



تاريخ الطب

obeykhanal.com

obeikandi.com

ناريخ الطبرك

ناريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ هـ - ٣١٠ هـ

الثالث



بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

الطبرى محمد بن جرير بن يزيد الطبرى. ٨٣٩ - ٩٢٢.
تاريخ الطبرى: تاريخ الرسل والملوك/ لأبى جعفر محمد بن جرير
الطبرى، تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم، ط ١ - القاهرة،
دار المعارف، [٢٠٠٩].

مج ٢، ٢٥ سم. - (نخائر العرب: ٣٠)

تدمك ٥ ٧٢٧٣ ٠٢ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - التاريخ

٢ - الملوك والحكام

(أ) ابراهيم، محمد أبى الفضل (محقق)

(ب) العنوان

ديوى ٩٠٧.٢

١ / ٢٠٠٩ / ٥

رقم الايداع ٢٠٠٩ / ٢٦٠٦

تصميم الغلاف: الفنان شريف رضا

الناسر
هاتف: ٢٥٧٧٢٠٧٢ - فاكس

بيان

ذكرت في مقدمة هذا الكتاب أنى اتخذت النسخة المطبوعة في ليدن - بين سنتي ١٨٧٩ و ١٨٩٨ - أصلاً اعتمدت عليه في التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة التي نشرت نشرًا علميًا على أساس المخطوطات المتنوعة التي وقعت لمصححيها ؛ وأثبت في حواشي الكتاب أهم فروقها ؛ كما زدت على ذلك فروق النسخ التي حصلت عليها ؛ مع ما وجدته ضروريًا من التعليق والشرح والتوضيح .

وقد فاتني أن أذكر أنى رجعت عند التحقيق أيضاً إلى ما يأتي :

١ - الروايات التي أوردها ابن جرير الطبري في تفسيره ^(١) ؛ مما يتعلق بأخبار بدء الخلق وقصص الأنبياء والسيرة النبوية ؛ ويكاد يكون ما أورده من ذلك متحدًا مع ما جاء في تاريخه من حيث الإسناد والعبارة .

٢ - سيرة ابن هشام ^(٢) في جميع ما ساقه المؤلف من رواية محمد بن إسحاق ، مما يتعلق بتاريخ العرب في الجاهلية وأخبار النبي عليه السلام في نشأته ومبعثه ومغازيه ؛ إذ كانت رواية ابن إسحاق في تاريخ الطبري تحتل المكانة الأولى في هذا الباب .

٣ - الأجزاء ^(٣) التي قام بنشرها الأستاذ المستشرق كوزيجارتن I.G.L. Kosegarten

(١) طبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر ؛ وطبعة بولاق فيما لم يظهر حتى الآن من طبعة دار المعارف .

(٢) سيرة ابن هشام بشرح أبي القاسم السبيل المعروف بالروض الأنف - المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٩١٤ .

(٣) طبعت في جريفسفلد Greifswald في عام ١٨٥٣ م .

على أساس المخطوطات التي اعتمد عليها ؛ وهي ثلاثة أجزاء في مجلد واحد ، وتنظم الأحداث الواقعة بين أواخر السنة الحادية عشرة وأواخر السنة الرابعة عشرة للهجرة ؛ وقد رمزت إليها في الحواشي بالحرف (ز) .

٤ - كتاب الغزوات الضامنة الكافلة ، والفتوح الجامعة الحافلة^(١) ؛ لأن القاسم عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن يوسف بن حبيش الأنصاري المعروف بابن حبيش ، وذكر في هذا الكتاب الغزوات والفتوح الإسلامية في أيام الخلفاء الثلاثة الأوائل ؛ أبي بكر وعمر وعثمان .

٥ - تاريخ ابن الأثير الجزري المعروف بالكامل^(٢) . وقد ذكر في مقدمته أنه أخذ جميع تراجم أبي جعفر ، لم يخلّ بواحدة منها ، واختار أتم الروايات فنقلها .

٦ - القسم الخاص بالتاريخ ، من كتاب نهاية الأرب لشهاب الدين النويري . وقد اعتمدت - فيما لم تنشره دار الكتب بمصر^(٣) - على النسخة المصورة المحفوظة في الدار برقم ٥٤٩ - معارف عامة ؛ عن الأصل المحفوظ بمكتبة كبريل بالآستانة .

هذا ؛ عدا ما قابلته من نصوص هذا الكتاب بما نقله أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني ، وياقوت في معجم البلدان ، والثعالبي في كتاب غرر أخبار ملوك الفرس^(٤) .

(١) قد اعتمدت في مراجعة هذا الكتاب على النصوص التي أوردتها ناشر طبعة ليدن نقلا من نسخة خطية في مكتبة ليدن رقم ٢٤٣ Or .

(٢) نشره مير الدمشقي بمصر سنة ١٣٤٨ هـ ، بتعليقات العالم المؤرخ عبد الوهاب النجار .

(٣) أصدرت دار الكتب ثمانية عشر جزءاً من هذا الكتاب . يبدأ القسم الخاص بالتاريخ من أول الجزء الثالث عشر من هذه الطبعة .

(٤) طبعت هذا الكتاب في مطبعات باريس الفرنسية سنة ١٨٥٠ بتأليف وتحرير Zarnitsky .

ولا يفوتني أن أذكر هنا أيضا أني عنت عناية تامة بالإفادة من الاستدراكات والتصويبات والتعليقات التي ألحقها ناشرو طبعة ليدن ، فأثبت بهذه الطبعة جميع التصويبات ، ورجعت إلى مواضع التعليقات في نصوصها الأصلية .

أما ما قد يظهر في هذه الطبعة من ملاحظات ، وما قد ينبه عليه العلماء والباحثون والمعنيون بالنصوص العربية وسلامتها من تصويبات ؛ فقد عقدت العزم على تلافي ذلك كله بعد الانتهاء من طبع بقية الأجزاء .

وأسأل الله جل شأنه ، العون والهداية والتوفيق .

محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة في صفر سنة ١٣٨٢ هـ

بويله سنة ١٩٦٢ م

obeikandi.com

ذكر الأحداث الكاثنة في سنة سبع من الهجرة

غزوة خيبر

ثم دخلت سنة سبع ؛ فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في بقية المحرم إلى خيبر واستخلف على المدينة سباع بن عُرْفطة الغفاري ، فضى حتى نزل بجيشه بوادٍ يقال له الرجيع ؛ فتل بين أهل خيبر وبين غطفان— فيما حدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهلَ خيبر ؛ وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : فبلغني أن غطفان لما سمعت بمزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، جمعوها له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهودَ عليه ؛ حتى إذا ساروا متقلّة^(١) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهاليهم حساً ؛ ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ؛ فأقاموا في أهاليهم وأموالهم ؛ وخلّوا بين رسول الله وبين خيبر ، وبدأ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأموال يأخذها^(٣) مالا مالا ، ويفتحها^(٤) حصناً حصناً ؛ فكان أولَ حصونهم افتتح حصن ناعم ؛ وعنده قتيل محمود بن مسلمة ؛ ألقيت عليه رجاً منه فقتلته ؛ ثم القموص ؛ حصن ابن أبي الحقيق . وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبائاً ؛ منهم صفية بنت حيى بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ؛ وابنتى عمِّ لها . فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه ، وكان دحية الكلبي قد سأل رسولَ الله صفية ؛ فلما اصطفاه لنفسه أعطاه ابنتى عمِّها ؛ وفشت السبايا من خيبر^(٥) في^(٦) المسلمين^(٧) .

(٢) ابن هشام : « وتلف » .

(٤) س : « وفتحها » .

(٦) س : « بين » .

(١) منقلة : مرحلة .

(٣) س : « وأخذها » .

(٥) س : « وقسمت السبايا في خيبر » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٧

قال : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنتى ^(١) الحصون والأموال .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ؛ أنه حدثه بعض أسلم ؛ أن بنى سهم من أسلم ، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله ؛ والله لقد جهدنا وما بأيدينا شيء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله شيئاً يعطيهم إياه ، فقال النبي : اللهم إني قد عرفت حالهم ، وأن ليس بهم قوة ؛ وأن ليس بيدي شيء أعطيهم إياه ؛ فافتح عليهم أعظم حصونها ^(٢) ؛ أكثرها طعاماً وودكاً . فغدا الناس ، ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ ؛ وما بخير حصن كان أكثر طعاماً وودكاً منه .

١٥٧٧/١

قال : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنهم الوطيح والسلايم — وكان آخر حصون خيبر افتتح — حاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة ^(٣) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل أخى بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : خرج مَرَّحِب اليهودى من حصنهم ؛ قد جمع سلاحه وهو يرتجز ؛ ويقول :

قد علمت خيبر أئى مَرَّحِب شاكى السلاح بطل مجرب ^(٤)

أطعن أحياناً وحيناً أضرب إذا اللبث أقبلت تحرب ^(٥)

• كان حماي ، للحمى لا يقرب •

وهو يقول : هل من مبارز ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ فقال محمد بن مسلمة ؛ فقال : أنا له يا رسول الله ؛ أنا والله الموتور الثائر ؛ قتلوا أخى بالأمس ! قال : فقم إليه ؛ اللهم أعينه عليه .

فلما أن دنا كل واحد منهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عمرية ^(٦)

(١) يتدنى ، أى يأخذ الأدنى فالأدنى .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨ .

(٣) س : « حصن لهم » .

(٤) شاكى السلاح : حادة .

(٥) تحرب ، أى أقبلت مغضبة .

(٦) عمرية : قديمة .

من شجر العُشْر^(١) ؛ فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ؛ فكلَّمَا لاذَ بها ١٥٧٨/١
اقتطع بسيفه منها ما دونه منها ؛ حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت
بينهما كالرجل القائم ، ما بينهما فتنٌ ؛ ثم حمل مرحبٌ على محمد فضربه ؛
فانقاه بالدَّرَقَة فوق سيفه فيها ؛ فعصَّتْ به فأمسكتَه ، وضربه محمد
ابن مسلمة حتى قتله^(٢) .

ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أُنَى يَاسِرُ شَاكِيَ السَّالِحِ بَطْلٌ مُعَاوِرُ
إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تُبَادِرُ وَأَحْجَمَتْ عَنْ صَوْلِي الْمَعَاوِرُ
• إِنَّ حِمَايَ فِيهِ مَوْتُ حَاضِرُهُ •

وحدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثني محمد
ابن إسحاق ، عن هشام بن عروة ؛ أَنَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ خَرَجَ إِلَى يَاسِرٍ ،
فَقَالَتْ أُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ : أَيْقُتْلُ ابْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ :
بَلْ ابْنُكَ يَقْتُلُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَخَرَجَ الزُّبَيْرُ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ عَلِمْتُ خَيْرُ أُنَى زَبَّارُ^(٣) قَرَمٌ لِقَوْمٍ غَيْرِ نَكْسٍ فَرَارُ
ابْنُ حِمَاةِ الْمَجْدِ وَابْنُ الْأَخْيَارِ^(٤) يَاسِرُ لَا يَنْغُرُكَ جَعْنُ الْكُفَّارِ
• فَجَمَعَهُمْ مِثْلُ السَّرَّابِ الْجَرَّارُ •

ثم التقيا فقتله الزبير .

١٥٧٩/١

حدثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا عَوْفٌ ،
عن ميمون أبي عبد الله ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُرَيْدَةَ حَدَّثَ عَنْ بُرَيْدَةَ الْأَسْلَمِيِّ ،
قَالَ : لَمَّا كَانَ حِينَ^(٥) نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِصْنِ أَهْلِ خَيْبَرَ ،
أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَنَهَضَ مَنْ نَهَضَ

(١) العُشْر : شجر أملس ضعيف العود . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

(٣) زبار ، من الزبير وهو القوة والمنعة . (٤) التويرى : « أين حماة المجدي » .

(٥) س : « حيث » .

معه من الناس ؛ فلقوا أهل خير ؛ فانكشف عمر وأصحابه ، فرجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ يخبئونه أصحابه ويحبّتهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطينَ اللّواءَ غدًا رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله . فلمّا كان من الغد تناولَ لها^(١) أبو بكر وعمر ؛ فدعا عليّاً عليه السلام وهو أرمد ، ففضل في عينيه ، وأعطاه اللّواءَ ؛ ونهض معه من الناس من نهض . قال : فلقى أهل خير ؛ فإذا مرحب يرتجز ويقول :

قَدْ عَلِمْتَ خَيْرُ أُنَى مَرَحِبُ شَاكِي السَّلَاحِ بَطَلُ مَجْرَبُ
أَطْعُنْ أَحْيَانًا وَحِينًا أَضْرِبُ إِذَا اللَّيْثُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فاختلف هو وعلى ضربين ، فضربه على^٢ على هامته ؛ حتى عضّ السيف منها بأضراسه^(٢) ؛ وسمع أهل العسكر صوت ضربته^(٣) ؛ فما تنام آخر الناس مع على عليه السلام حتى فتح الله له ولهم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا المسيّب بن مسيلم الأوديّ ، قال : حدثنا عبد الله بن بُرَيْدَة ، عن أبيه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ربما أخذته الشَّقِيقَة^(٤) ، فيلبث اليوم واليومين لا يخرج . فلمّا نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبير أخذته الشَّقِيقَة فلم يخرج إلى الناس . وإن أبا بكر أخذ راية رسول الله ؛ ثم نهض فقاتل قتالا شديداً ؛ ثم رجع فأخذها عمر فقاتل قتالا شديداً هو أشدّ من القتال الأوّل ؛ ثم رجع فأخبر بذلك رسول الله ، فقال : أما والله لأعطينّها غدًا رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يأخذها^(٥) عنوة — قال : وليس ثمّ على عليه السلام — فتناولت لها قريش ، ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب ذلك ؛

١٥٨٠/١

(١) و : « تناولها » .

(٢) س : « باطن رأسه » .

(٣) س : « المضربة » .

(٤) الشَّقِيقَة : نوع من صداع يعرض في مقدم الرأس أو إلى أحد جانبيه ، وفي الحديث :

« احتجم وهو محرم من شقيقة » — اللسان .

(٥) س : « فأخذها » .

فأصبح فجاء عليٌّ عليه السلام على بعيرٍ له ، حتى أناخ قريباً من خيباء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أرمد ، وقد عصب عينيه بشقة بُرد قطريٍّ ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مالك ؟ قال : رمِدْتُ بعد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادنُ مني ، فدنا فتفَلَّ في عينيه ، فما وجِعهما ^(١) حتى مضى لسبيله . ثم أعطاه الراية ؛ فنهض بها معه وعليه حُلَّة أرجوان حمراء قد أخرجَ خَمَلُها ^(٢) . فأقَى مدينة خيبر ؛ وخرج مرحب صاحب الحصن وعليه مِغْفَرٌ مُعَصْفَرٌ يمان ، وحجرٌ قد ثَقَبَ مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :
قد علمتُ خيبرَ أُنَى مرحبُ شاكِي السَّلاحِ بَطْلُ مجرَّبُ
فقال عليٌّ عليه السلام :

أَنَا الَّذِي سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ أَكُلُكُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ ^(٣)
لَيْتُ بِغَابَاتٍ شَدِيدٍ قَسْوَرَهُ .

فاختلفا ضربتين ؛ فبدره عليٌّ فضربه ، فقدَّ الحجرَ والمِغْفَرَ ورأسه ؛ ١٥٨١/١ حتى وقع في الأضراس . وأخذ المدينة .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الحسن ؛ عن بعض أهلِه ، عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجنا مع عليِّ بن أبي طالب حين بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دنا مِنَ الحصنِ خرج إليه أهلُه ؛ فقاتلهم فضربه رجل من اليهود . فطرح ترسَه من يده ؛ فتناول عليٌّ رضى الله عنه باباً كان عند الحصن ، فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل ؛ حتى فتح الله عليه ؛ ثم ألقاه من يده حين فرغ ؛ فلقد رأيتُني في نفر سبعة أنا ثامنهم ، نجهد على أن نَقْلِبَ ذلك البابَ فما نَقَلَبَهُ ^(٤) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما

(١) ط : « وجعها » ، و : « رجعها » . وما أثبتته من النويرى .

(٢) الحمل : هذب القטיפه ونحوها ما ينسج وتفضل له فضول .

(٣) السندرة : مكيال كبير .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٣٩ .

ففتح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القَمُوصَ ، حصن ابن أبي الحَقِيق ، أتى رسول الله بصفية بنت حُيَ بن أخطب ، وبأخرى معها ؛ فمَرَّ بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتلى من قتلى يهود . فلما رأتهُم التي مع صفية صاحت وصكَّت وجهها ، وحثت التراب على رأسها ، فلَمَّا رآها رسولُ الله قال : أغربوا^(١) عني هذه الشيطانة ؛ وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وأُلقيَ عليها رداؤه ، فعرف المسلمون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لبلال - فيما بلغني - حين رأى من تلك اليهودية^(٢) ما رأى : أنزِعَتْ منك الرحمة يا بلال ؛ حيث تمرُّ بامرأتين على قتلى رجالهما ! وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروسٌ بكنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق ؛ أن قمرًا وقع في حجرها ؛ فعرضت رؤياها على زوجها فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمدًا ، فلطمَّ وجهها لطمَّةٍ اخضرت عينها منها ؛ فأَتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثرٌ منها ، فسألها : ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع بن أبي الحَقِيق - وكان عنده كثر بنى النَّضِير - فسأله فوجد أن يكون يعلم مكانه ؛ فأَتى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم برجل من يهود ؛ فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني قد رأيت كِنانة يُطِيفُ بهذه الحربَةِ كلَّ غداة . فقال رسول الله لكنانة : أَرَأَيْتَ إِنْ وَجَدْنَاهُ عندك ، أَأَقْتُلُكَ ؟ قال : نعم ؛ فأمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالحربة فحُفِرَتْ ؛ فأخرج منها بعض كنزهم ؛ ثم سأله ما بقي ، فأبى أن يُؤديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزُّبَيْر بن العوام ، فقال : عذِّبْهُ حَتَّى تَسْتَأْصِلَ ما عنده ؛ فكان الزُّبَيْر يقدح بزنده في صدره حتى أشرف على نفسه ؛ ثم دفعه رسولُ الله إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة . وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلَ خيبر في حصنَيْهِم ، الوطِيحَ والسَّلامَ ؛ حتى إذا أيقنوا بالهَلَكَةِ^(٣) سألوهُ

(١) أغربوا : أبعدوا .

(٢) س : « اليهود » ، وفي ابن هشام : « بتلك » .

(٣) س : « الهلاك » .

أَنْ يَسِيرَهُمْ وَيَحْقِنَ لَهُمْ دِمَاءَهُمْ ؛ ففعل . وكان رسول الله قد حاز الأموال كلها : الشَّقَّ ونِظَاةً والكَتِيبَةَ ؛ وجميع حصونهم إِلَّا ما كان من ذِيْنِكَ الْحَصَنَيْنِ . ١٥٨٣/١
فلما سمع بهم أهل فَدَّكَ قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أَنْ يَسِيرَهُمْ وَيَحْقِنَ دِمَاءَهُمْ لَهُمْ ، وَيَخْلُوا لَهُ الْأَمْوَالُ ، ففعل ، وكان فيمن مشى بينهم وبين رسول الله في ذلك مُحَيِّصَةٌ بن مسعود ؛ أَخُو بَنِي حَارِثَةَ ؛ فلما نزل أهلُ خَيْبَرَ عَلَى ذَلِكَ ؛ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَعَامِلَهُمْ بِالْأَمْوَالِ عَلَى النَّصْفِ ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ؛ وأَعْمُرُهَا ؛ فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عَلَى النَّصْفِ ؛ عَلَى أَنَا إِذَا شِئْنَا أَنْ نَخْرِجَكُمْ أَخْرَجْنَاكُمْ ؛ وصالحه أهل فَدَّكَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ . فكانت خَيْبَرُ فَيْئًا لِلْمُسْلِمِينَ ، وكانت فَدَّكَ خَالِصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ لأنهم لم يَحْلِبُوا^(١) عَلَيْهَا بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ .
فلما اطمأنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ امْرَأَةً سَلَامَ بْنَ مِشْكَمٍ شَاةً مَصْلِيَّةً^(٢) ؛ وقد سألت : أَيَّ عُضْوٍ مِنَ الشَاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ؟ فَقِيلَ لَهَا : الذَّرَاعُ ؛ فَأَكْثَرْتُ فِيهَا السَّمَّ ، فَسَمَّتْ سَائِرَ الشَاةِ ؛ ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا ، فلما وَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنَاوَلَ الذَّرْعَ ؛ فَأَخَذَهَا فَلَاكَ مِنْهَا مُضْغَةٌ فَلَمْ يُسِغْهَا ؛ وَمَعَهُ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ ابْنُ مَعْرُورٍ ؛ وَقَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَأَمَّا بَشْرٌ فَأَمْسَاغَهَا ؛ وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ فَلَفَظَهَا ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لِيُخَيِّرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ ؛ ثُمَّ دَعَا بِهَا فَاعْتَرَفَتْ ، فَقَالَ : مَا حَمَلَكِ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَتْ : بَلَغْتَ مِنْ قُوَى مَا لَمْ يَخْخَفْ عَلَيْكَ ، فَقُلْتُ : إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيُخْبِرُنِي ؛ وَإِنْ كَانَ مَلِكًا اسْتَرَحْتُ مِنْهُ ؛ فَتَجَاوَزَ عَنْهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَمَاتَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ مِنْ إِكْلَتِهِ الَّتِي أَكَلَ^(٣) .

١٥٨٤/١

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ؛ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ عَثْمَانَ بْنِ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمَعْلَى ، قَالَ : وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) وَ : « يَرِجِفُوا » .

(٢) مَصْلِيَّةٌ : مَشْوِيَّةٌ .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٤٠ ، ٢٤١

عليه وسلم قال في مرضه الذي تُوفّي فيه - ودخلت عليه أمّ بشر بن البراء تَعُوده :
يا أمّ بَشْرُ ؛ إنّ هذا الأوانَ وجدت انقطاع أبْهَرِي من الأكلّة التي أكلتُ
مع ابنك بخير .

قال : وكان المسلمون يروْن أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات
شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلمّا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير انصرف
إلى وادى القرى فحاصر أهلَه لِيالِي ، ثمّ انصرف راجعاً إلى المدينة .

* * *

ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن ثور
ابن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة ، قال : لمّا انصرفنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خير إلى وادى القرى ، نزلنا أصلاً مع
مغارب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلامٌ له ؛ أهدها إليه
رفاعة بن زيد الجذامي ، ثمّ الضُّبَيْيُّ ^(١) ؛ فوالله إنا لنضع رَحْلَ رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذ أتاه سهمٌ غَرَبَ ^(٢) ؛ فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئاً له الجنة !
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : كلا والذي نفس محمد بيده ؛ إنّ شَمَلْتَه
الآن لتُحَرِّقُ عليه في النار . قال : وكان غلّتها من فيء المسلمين يوم خير .
قال : فسمعها رجلٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه ،
فقال : يا رسولَ الله ، أصبتُ شيراً أكينُ لتعلين لي ، قال : فقال :
يُقَدُّ لك مثلهما من النار ^(٣) .

وفي هذه السفرة نام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه عن صلاة الصبح
حتى طلعت الشمس ؛ حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ،

(١) الضبيي ، من الضبيب بن جذام ، له صحبة . وفي ابن هشام : « الضبيي » .

(٢) سهم غرب : لا يدرى راميهِ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤١ .

عن الزهري، عن سعيد بن المسيّب، قال : لمّا انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خير؛ وكان ببعض الطريق ، قال مِن آخر الليل : مَنْ رَجُلٌ يحفظ علينا الفجر ، لعلنا ننام ؟ فقال بلال : أنا يا رسول الله أحفظ لك ؛ فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ؛ وقام بلال يصلي ، فصلى ما شاء الله أن يُصلي ثم استند إلى بعيره ؛ واستقبل الفجر يرمقه ؛ فغلبته عينه ، فنام فلم يُوقِظْهم إلا مسُّ الشمس ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوّل أصحابه هبَّ من نومه ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ! فقال : يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت . ثم اقتاد رسول الله غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى بالناس ، فلمّا سلّم أقبل على الناس ، فقال : إذا نسيتمُ الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ^(١).

قال ابن إسحاق : وكان فتح خير في صفر .

قال : وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فرضخ ^(٢) لهن رسول الله من التّوّء ولم يضرب لهنّ بسهم .

* * *

[أمر الحجاج بن علاط السلمي]

قال : ولما فتحت خير قال الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إن لي مالا بمكة عند صاحبي أم شيبه بنت أبي طلحة - وكانت عنده ، له منها مُعرّض بن الحجاج - ومال متفرّق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يا رسول الله . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إنه لا بدّ لي من أن أقول ، قال : قل ، قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة ، فوجدت بشيئة البيضاء رجلا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله ، وقد بلغهم أنه قد سار

(١) سورة طه ١٤ ، والخبر في ابن هشام ٢ : ٢٤١ ، ٢٤٢ .

(٢) رضخ : أعطى .

إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ؛ ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ؛ فلما رأوني قالوا : الحجاج بن عيلاط — ولم يكونوا علموا بإسلامي — عنده والله الخبر ! أخبرنا بأمر محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ؛ وهي بلدة يهود وريف الحجاز . قال : قلت : قد بلغني ذلك ، وعندى من الخبر ما يسركم . قال : فالتأطوا^(١) بجسبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج ! قال : قلت : هزموا هزيمة لم تسمعوها بمثلها قط ؛ وقتل أصحابه قتلاً لم تسمعوها بمثلها قط ، وأسیر محمد أسراً ، وقالوا : لن نقتله حتى نبعث به إلى مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا فصاحوا بمكة وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدّم به عليكم فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة على غرمائي ؛ فلأنتى أريد أن أقدم خيبر . فأصيب من قتل^(٢) محمد وأصحابه قبل أن يسبقني التجار إلى ما هنالك .

١٥٨٧/١

قال : فقاموا فجمعوا مالي كأحدث جمّع سمعت به . فجتت صاحبي فقلت : مالي — وقد كان لي عندها مال موصوع — لعل الحق بخيبر ؛ فأصيب من فُرّص البيع قبل أن يسبقني إليه التجار . فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي ؛ وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الذي جئت به ؟ قال : قلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم ، قلت : فاستأخِر عني حتى ألقاك على خلاء . فلأني في جمّع مالي كما ترى ؛ فأنصرف عني حتى إذا فرغت من جمّع كل شيء كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ عليّ حديثي يا أبا الفضل ، فأني أخشى الطلّب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت . قال : أفعل ، قال : قلت : فأني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على ابنة ملكهم — يعني صفية بنت حنظل — ابن أخطب — ولقد افتتح خيبر ، وانتل ما فيها ؛ وصارت له ولأصحابه . قال : ما تقول يا حجاج ! قال : قلت : إى والله ؛ فاكم عليّ ؛ ولقد أسلمت

١٥٨٨/١

(١) التأطوا : التصقوا ، وفي ابن هشام : « التبطوا » ، أى مشوا إلى جنبها ملازمين لها .

(٢) القل : القوم المهزومون . قال ابن هشام : « ويقال : من في محمد » .

وما جئت إلا لآخذ مالي فرفقا من أن أغلب عليه، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك؛ فهو والله على ما تحب. قال: حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له، وتخلق وأخذ عصاه. ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها؛ فلما رأوه قالوا: يا أبا الفضل؛ هذا والله التجلد لحر المصيبة! قال: كلا والذي حلفت به! لقد افتتح محمد خير، وترك عروسا على ابنة ملكهم، وأحرز أموالها وما فيها؛ فأصبحت له ولأصحابه. قالوا: من جاءك بهذا الخبر؟ قال: الذي جاءكم بما جاءكم به؛ لقد دخل عليكم مسلما، وأخذ ماله وانطلق ليلحق برسول الله وأصحابه فيكون معه، قالوا: يال عباد الله! أفلت عدو الله! أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن، ولم ينشأوا^(١) أن جاءهم الخبر بذلك^(٢)

[ذكر مقاسم خير وأموالها]

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر، قال: كانت المقاسم على أموال خير على الشق ونطاة والكتيبة؛ فكانت الشق ونطاة في سهمان المسلمين، وكانت الكتيبة خمس الله عز وجل وخمس النبي صلى الله عليه وسلم؛ وسهم ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وطعم أزواج النبي، وطعم رجال مشروا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح؛ منهم خمسة ابن مسعود، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثين وسق شعير، وثلاثين وسق تمر. وقسمت خير على أهل الحديبية؛ من شهد منهم خير ومن غاب عنها، ولم يغيب عنها إلا جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها.

(١) لم ينشأوا: لم يلبسوا غير قليل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٢٤٤، ٢٤٥.

قال : ولما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرُّعب في قلوب أهل فَدَك حين بلغهم ما أوقع الله بأهل خيبر ؛ فبعثوا إلى رسول الله يُصالحونه على النِّصف من فَدَك ، فقدمت عليه رُسُلهم بخيبر أو بالطائف ^(١) ، وإما بعد ما قدِم المدينة . فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فَدَك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، لأنه لم يُوجِف ^(٢) عليها بخيل ولا ركاب ^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يبعثُ إلى أهل خيبر عبدَ الله بن رواحة خارصاً ^(٤) بين المسلمين ويهود ، فيخرُص عليهم ؛ فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شتم فلکم ؛ وإن شتم فلنا ؛ فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خرَّص عليهم عبد الله بن رواحة ؛ ثم أصيب بمؤنة ، فكان جبَّار بن صخر بن خنساء ، أخو بني سليمة ؛ هو الذي يخرُص عليهم بعد عبد الله بن رواحة . فأقامت يهود على ذلك لا يرى بهم المسلمون بأساً في معاملتهم ؛ حتى عدوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله ابن سهل ، أخي بني حارثة ؛ فقتلوه ، فاتهمهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه ^(٥) .

١٥٩٠/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سألتُ ابنَ شهاب الزُّهري : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودَ خيبر نخيلهم حين أعطاهم النخل على خرَّجها ؟ أبتَ ذلك لهم حتى قبُض ، أم أعطاهم إياها لضرورة من غير ذلك ؟ فأخبرني ابنُ شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنوةً بعد القتال ؛ وكانت خيبر مما أفاء الله على رسوله ؛ خمسها رسول الله وقسمها

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « بالطريق » .

(٢) الإيجاف : سرعة السير ، والركاب هنا : الإبل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

(٤) الخارص : الذي يحزر ما على النخل والكرم من ثمر ؛ وهو من الحرص ؛ أي الظن .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٨ .

بين المسلمين ، ونزل مَنْ نزل^(١) من أهلها على الإجملاء بعد القتال ؛ فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن شئتم دفعنا إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ؛ وتكون ثمارها بيننا وبينكم ؛ وأقرُّكم ما أقرَّكم الله . فقبلوا^(٢) ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة فيقسِّم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ؛ فلما توفى الله عز وجل نبيّه صلى الله عليه وسلم أقرّها أبو بكر بعد النبي في أيديهم على المعاملة التي كان عاملهم عليها رسول الله حتى توفى ، ثم أقرّها عمر صدراً من إمارته ؛ ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبض فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، ففحص عمر عن ذلك حتى بلغه الثبّت ، فأرسل إلى يهود أن الله قد أذن في إجلالكم ؛ فقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله فليأتني به أنفذه له ؛ ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله من اليهود فليتجهز للجلاء ؛ فأجلى عمر مَنْ لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم^(٣) . قال أبو جعفر : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة .

* * *

قال الواقدي : في هذه السنة رد رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب ابنته على أبي العاص بن الربيع ؛ وذلك في المحرم .

قال : وفيها قدّم حاطب بن أبي بلتعة من عند المقوقس بمارية وأختها سيرين وبغلته دلدل وحماره يعفور وكساً ؛ وبعث^(٤) معهما بخصي فكان معهما ، وكان حاطب قد دعاهما إلى الإسلام قبل أن يقدم بهما^(٥) ؛ فأسلمت هي وأختها ، فأنزلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سليم بنت ملحان - وكانت مارية وضيئة - قال : فبعث النبي صلى الله عليه وسلم

(١) من : « وترك من ترك » . (٢) س : « فقبلوه » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٤٩ (٤) و : « وأرسل » .

(٥) س : « للناس » .

وسلم بأختها سيرين إلى حسان بن ثابت ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان .
قال : وفي هذه السنة اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم منبره الذي كان
يخطبُ الناس عليه ، واتخذ درَجَتَيْنِ ومقعده .

قال : ويقال إنه عمل في سنة ثمان . قال : وهو الثبَّتُ عندنا .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب في ثلاثين
رجلا إلى عَجَزُ هوازن بئرَبةَ ، فخرج بدليل له من بني هلال ؛ وكانوا
يسرون الليل ، ويكمنون النهار ، فأقْبَحُ الخبرُ هوازنَ فهربوا ؛ فلم يلق كيدا ،
١٥٩٢/١ ورجع .

قال : وفيها سرية أبي بكر بن أبي قُحافة في شعبان إلى نجد ؛ قال سلمة
ابن الأكوع : غزونا مع أبي بكر في تلك السنة .
قال أبو جعفر : قد مضى خبرها قبل .

قال الواقدي : وفيها سرية بشير بن سعد إلى بني مُرَّة بفدك في شعبان
في ثلاثين رجلا ، فأصيب أصحابه وأرْتُثُ في القتلى ، ثم رجع إلى المدينة .

قال أبو جعفر : وفيها سرية غالب بن عبد الله في شهر رمضان إلى الميِّفعة ؛
فحدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالبَ
ابن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مُرَّة ، فأصاب بها مِرْداس بن ذُهَيْك
حليفاً لهم من الحُرقة من جُهينة ؛ قتله أسامة بن زيد ورجلٌ من الأنصار .
قال أسامة : لما غَشِيناه ، قال : أشهد أن لا إله إلا الله ؛ فلم نترع عنه
حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله أخبرنا الخبر ؛ فقال : يا أسامة ، مَنْ
لك بلا إله إلا الله !

قال الواقدي : وفيها سرية غالب بن عبد الله إلى بني عبد بن ثعلبة ؛ ذكر
أن عبد الله بن جعفر حدثه عن ابن أبي عون ، عن يعقوب بن عتبة ، قال :

قال يسار مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله : إني أعلم غيرةً من بني عبد بن ثعلبة ، فأرسل معه غالب بن عبد الله في مائة وثلاثين رجلاً ؛ حتى أغاروا على بني عبد ، فاستاقوا النعم والشاء ، وحدروها إلى المدينة .

* * *

قال : وفيها سرية بشير بن سعد إلى يَمَنِّ وجَنَاب ، في سؤال من سنة سبع ، ذكر أن يحيى بن عبد العزيز بن سعيد حدثه عن سعد بن عباد ، عن بشير بن محمد بن عبد الله بن زيد ، قال : الذي أهاج هذه السرية أن حُسَيْل بن نويرة الأشجعيّ - وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر - قدِم على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما وراءك ؟ قال : تركت جمعاً من غَطَفَان بالجَنَاب قد بعث إليهم عيينة بن حِصْن ليسيروا إليكم ، فدعا رسول الله بشير بن سعد ، وخرج معه الدليل حُسَيْل بن نويرة ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ؛ ولقيهم عبدٌ لعُيَيْنَة بن حِصْن فقتلوه ، ثم لقوا جمع عِيَيْنَة ؛ فانهزم ، فلقية الحارث بن عوف منهزمًا ، فقال : قد آن لك يا عيينة أن تقصر عما ترى .

* * *

[عمرة القضاء]

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهر ربيع الأول وشهر ربيع الآخر وجمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ١٥٩٤/١ وشهر رمضان وشوالاً ؛ يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه . ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صدّه فيه المشركون معتمرًا عُمرَةً القضاء مكان عُمرته التي صدّوه عنها ؛ وخرج معه المسلمون ممّن كان معه في عُمرته تلك ، وهي سنة سبع ؛ فلما سمع به أهلُ مكة خرجوا عنه ؛ وتحدثت قريش بينها أن محمدًا وأصحابه في عسر وجهد حاجة^(١) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ .

الحسن بن عُماره ، عن الحكم بن عتيبة ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، قال : اصطفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله المسجد ، اضطبع ^(١) بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأاً أراه اليوم من نفسه قوة ! ثم استلم الركن وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه حتى إذا وراه البيت منهم ؛ واستلم الركن الباقى مشى حتى يستلم الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ؛ ومشى سائرهما .

وكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم ؛ وذلك أن رسول الله إنما صنعها لهذا الحى من قريش الذى بلغه عنهم ؛ حتى حج حجة الوداع ، فرمى بها ، فضت السنة بها ^(٢) .

١٥٩٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة فى تلك العمرة ، دخلها وعبد الله بن رواحة أخذ بخطام ناقته ؛ وهو يقول :

خَلُّوا بَنَى الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ إِنِّى شَهِيدٌ أَنَّهُ رَسُولُهُ
خَلُّوا فَكُلُّ الْخَيْرِ فى رَسُولِهِ يَا رَبِّ إِنِّى مُؤْمِنٌ بِقِيلِهِ
أَعْرِفُ حَقَّ اللَّهِ فى قَبُولِهِ نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ ^(٣)
كَمَا قَتَلْنَاكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ ضَرْبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ
• وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ ^(٤) •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) فى اللسان : « اضطبع الشيء : أدخله تحت ثيابه ؛ والاضطباع الذى يؤمر به الطائف بالبيت أن تدخل الرداء من تحت الإبط الأيمن وتغطى به الأيسر كالرجل يريد أن يعالج أمراً فيها له ، يقال : قد اضطبعت بثوبه ؛ وهو مأخوذ من الضم ؛ وهو العضد ؛ ومنه الحديث : « أنه طاف مضطباً وعليه برد أخضر » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٤ . (٣) قال السهيلي : ويروى : « اليوم نصر بكم على تأويله » ، بسكون الباء ؛ وهو جائز فى الضرورة .

(٤) قال السهيلي : « وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ؛ كما قال ابن هشام ؛ قالهما يوم صفين وهو اليوم الذى قتل فيه عمار ؛ قتله أبو الغادية الفزارى وابن جزة ؛ اشتركا فيه » .

عن أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نَجِيج ، عن عطاء بن رباح ومجاهد ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث في سفره ذلك ؛ وهو حرام ؛ وكان الذي زوجه إياها العباس بن عبد المطلب . قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حُوَيْطِبُ بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، في نفر من قريش في اليوم الثالث ، وكانت قريش وكلتته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك فاخرج عنا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما عليكم لو تركتموني فأعزمت بين أظهركم فصنعنا لكم طعاماً فحضرتوه ! قالوا : لا حاجة لنا في طعامك فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ؛ حتى أتاه بها بسرف ، فبنى عليها رسول الله هنالك ، وأمر رسول الله أن يُبَدِّلُوا التَّهْدِيَّ وأبدل معهم ، فعزّت عليهم الإبل فرخص لهم في البقر؛ ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة في ذى الحجة ، فأقام بها بقية ذى الحجة — وولى تلك الحجة المشركون — والمحرم وصفراً وشهرى ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بعثته إلى الشام الذين أصيبوا بمؤنة .

وقال الواقدي : حدثني ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، قال : أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعتمروا في قابل قضاء لعمره الحديبية ، وأن يهدوا . قال : وحدثني عبد الله بن نافع ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، قال : لم تكن هذه العمرة قضاءً ، ولكن كان شرط على المسلمين أن يعتمروا قابلاً في الشهر الذي صدّهم المشركون فيه .

قال الواقدي : قول ابن أبي ذئب أحب إلينا ، لأنهم أحصروا ولم يصلوا إلى البيت .

وقال الواقدي : وحدثني عبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، عن محمد ابن إبراهيم ، قال : ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عمرة القضية ستين بدنة .

قال : وحدّثني مُعَاذُ بن محمد الأنصاريّ ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حمل السلاح والبيض والرمّاح ، وقاد مائة فرس ، واستعمل على السلاح بشير بن سعد ، وعلى الخيل محمد بن مسّلمة ، فبلغ ذلك قريشاً فراعهم ؛ فأرسلوا مكرز بن حفص بن الأخيف ، فلقبه بمَرّ الظّهْران ، فقال له : ما عُرِفْتُ صغيراً ولا كبيراً إلاّ بالوفاء ؛ وما أريد إدخال السلاح عليهم ؛ ولكن يكون قريباً إلىّ . فرجع إلى قريش فأخبرهم .

* * *

قال الواقديّ : وفيها كانت غزوة ابن أبي العوجاء^(١) السّلميّ إلى بني سُلَيم في ذى القعدة ؛ بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم بعد ما رجع من مكة في خمسين رجلاً ، فخرج إليهم . قال أبو جعفر : فلقبه - فيما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر - بنو سليم ، فأصيب بها هو وأصحابه جميعاً . قال أبو جعفر : أما الواقديّ فإنه زعم أنه نجا ورجع إلى المدينة ، وأصيب أصحابه .

ثم دخلت سنة ثمان من الهجرة

ففيها توفيت - فيما زعم الواقدي - زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن يحيى بن عبد الله بن أبي قتادة ، عن عبد الله بن أبي بكر .

[خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بنى الملوّح]

قال : وفيها أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الليثي في صفر إلى الكدّيد إلى بنى الملوّح .

١٥٩٨/١

قال أبو جعفر : وكان من خبر هذه السرية وغالب بن عبد الله ؛ ما حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري وسعيد بن يحيى بن سعيد - قال إبراهيم : حدثني يحيى بن سعيد ، وقال سعيد بن يحيى : حدثني أبي - وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ جميعاً عن ابن إسحاق ، قال : حدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة ، عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهني ، عن جندب ابن مكيث الجهني ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي ؛ كلب ليث ، إلى بنى الملوّح بالكدّيد ، وأمره أن يغير عليهم ، فخرج - وكنت في سريره - فضيناً ؛ حتى إذا كنا بقدّيد لقيناً بها الحارث ابن مالك - وهو ابن البرصاء الليثي - فأخذناه فقال : إني إنما جئت لأسلم ؛ فقال غالب بن عبد الله : إن كنت إنما جئت مسلماً ، فلن يضرّك رباطٌ يوم وليلة ؛ وإن كنت على غير ذلك استوثقنا منك . قال : فأوثقه رباطاً ثم خلف عليه رؤبجلاً أسود كان معنا ، فقال : امكث معه حتى نمرّ عليك ، فإن نازعك فاحترز رأسه . قال : ثم مضيناً حتى أتينا بطن الكدّيد ، فنزلنا عشيئاً بعد العصر ، فبعثني أصحابي ربيعةً ، فعمدّت إلى تلّ يطلعي على الحاضر^(١) ، فانبطحت عليه - وذلك قبيل المغرب - فخرج منهم رجل ، فنظر فرآني منبطحاً على التلّ ، فقال لامرأته : والله إنني لأرى على هذا التلّ سواداً ما كنت رأيته أوّل النهار ؛ فانظري لا تكون الكلاب

١٥٩٩/١

(١) الحاضر : الحيّ إذا حضر .

جَرَّتْ بعضُ أوعيتك . فنظرتُ فقالت : والله ما أفقد شيئاً . قال : فناوليني قوسى وسهمين من نَبْلَى ، فناولته فرماني بسهم فوضعه في جنبي . قال : فترعته فوضعته ، ولم أتحرك . ثم رماني بالآخر ، فوضعه في رأس منكبي ، فترعته فوضعته ولم أتحرك . فقال : أما والله لقد خالطه سهمائى ، ولو كان ريثة^(١) لتحرك ؛ فإذا أصبحت فاتبعى سهمى فخذيهما لا تمضغهما على الكلاب ، قال : فأملهناهم حتى راحت رائحتهم ، حتى إذا احتلبوا وعطنوا سكنوا ، وذهبت عتمة^(٢) من الليل شتتا عليهم الغارة ، فقتلنا مَنْ قتلنا واستقنا النعم ؛ فوجهنا قافلين ؛ وخرج صَرِيخُ القوم إلى القوم مُغَوَّثاً^(٣) . قال : وخرجنا سِرَاعاً حتى نمرَ بالحارث بن مالك ؛ ابن البرصاء ، وصاحبه ؛ فانطلقنا به معنا ، وأتانا صَرِيخُ الناس ، فجاءنا ما لا قبل لنا به ، حتى إذا لم يكن بيننا وبينهم إلا بطنُ الوادى مِنْ قُدَيْدٍ ، بعث الله عزَّ وجلَّ من حيث شاء سبحانه ما رأينا قبل ذلك مطراً ولا خالاً ، فجاء بما لا يقدر أحدٌ أن يقدم عليه ؛ فلقد رأيناهم ينظرون إلينا ، ما يَقْدِرُ أحدٌ منهم أن يقدم ولا يتقدم ؛ ونحن نحدوها سراعاً ؛ حتى أسندناها في المشلل ؛ ثم حدرناها عنها ، فأعجزنا القوم بما في أيدينا ، فما أنسى قولَ راجزٍ من المسلمين ؛ وهو يحدها في أعقابها ، ويقول :

أَبَى أَبَوِ الْقَاسِمِ أَنْ تَعَزَّيَ^(٤) فِي خَضِيلِ نَبَاتِهِ مُغْلُولٍ^(٥)
 * صُفِّرْ أَعَالِيهِ كُلَّوْنِ الْمَذْهَبِ *

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن رجل من أسلم ، عن شيخ منهم ، أن شِعَارَ أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة كان : أَمِيتَ أَمِيتَ^(٦) . قال الواقدي : كانت سرية غالب بن عبد الله بضعة عشر رجلاً .

* * *

(١) الريثة : الطليعة . (٢) العتمة : ثلث الليل الأول .

(٣) غوث الرجل ؛ إذا قال : واغوثاه ؛ (٤) تعزبت الإبل : إذا غابت في المرعى .

(٥) الخضل : النبات الأخضر المقبل . والمغلول : الكثير الذى يغلب على المشاة حين ترمده .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ؛ وكتب إليه كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد النبي رسول الله إلى المنذر بن ساوى . سلامٌ عليك ؛ فإني أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ؛ فإن كتابك جاءني ورسلك . وإنه من صلتى صلاتنا ، وأكل ذبيحتنا ، واستقبل قبلتنا فإنه مسلم ؛ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ، ومن أبى فعلية الجزية . قال : فصالحهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على أن على المجوس الجزية ، لا تؤكل ذبائحهم ، ولا تنكح نسائهم .

قال : وفيها بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جَيْفَر وعباد ابني جُلَنْدَى بَعْمَان ، فصدقا النبي ، وأقرأ بما جاء به ، وصدق ١٦٠١/١ أموالهما ، وأخذ الجزية من المجوس .

قال : وفيها سرية شجاع بن وهب إلى بنى عامر ، في شهر ربيع الأول في أربعة وعشرين رجلاً ، فشن الغارة عليهم ، فأصابوا نَعَمًا وشاءً ، وكانت سهامهم خمسة عشر بعيراً ؛ لكل رجل .

قال : وفيها كانت سرية عمرو بن كعب الغفاري إلى ذات أطلاق ، خرج في خمسة عشر رجلاً ؛ حتى انتهى إلى ذات أطلاق ، فوجد جمعاً كثيراً ، فدعَوْهم إلى الإسلام ، فأبَوْا أن يجيبوا ، فقتلوا أصحابَ عمرو جميعاً ، وتحامل حتى بلغ المدينة .

قال الواقدي : وذات أطلاق من ناحية الشام ، وكانوا من قُضاعة ، ورأسهم رَجُلٌ يقال له سَدُوس .

• • •

قال : وفيها قدم عمرو بن العاص مسلماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد أسلم عند النجاشي ، وقدم معه عثمان بن طلحة العبدري ، وخالد ابن الوليد المغيرة ، قدموا المدينة في أول صفر .

قال أبو جعفر : وكان سبب إسلام عمرو بن العاص ، ما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى ابن أبي أوس ، عن حبيب بن أبي أوس ، قال : حدثني

١٦٠٢/١

عمرو بن العاص من فيه إلى أذني ، قال : لَمَّا انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق ، جمعتُ رجالاً من قريش كانوا يرون رأيت . ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أنني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً مُتَكَرراً . وإنّي قد رأيت رأياً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قلت : رأيتُ أن نلحق بالنجاشي ، فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنّا عند النجاشي ، فلأن^(١) نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ؛ وإن يظهر قومنا فنحن منْ قد عرفوا ؛ فلا يأتينا منهم إلا خيراً . فقالوا : إن هذا لرأى . قلت : فاجمعوا له ما نهدي إليه — وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم — فجمعنا له آدمًا كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه ؛ فوالله إنا لعنده ؛ إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري — وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه — قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه ؛ فأعطانيه فضربت عنقه ! فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أنني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد .

فدخلت عليه ، فسجدتُ له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديق ! أهديت لي شيئاً من بلادك ؟ قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت لك آدمًا كثيراً ، ثم قرّرتُه إليه ، فأعجبه واشتهاه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ؛ إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ؛ وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيهِ لأقتله^(٢) ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ؛ ثم مدّ يده^(٣) فضرب بها^(٤) أنفه ضربةً ظننت أنه قد كسره — يعني النجاشي — فلوانشقت الأرض لي لدخلتُ فيها ففرقاً منه . ثم قلت : والله أيها الملك لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك ، قال : أتسألني أن أعطيكَ رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر^(٥) الذي كان يأتي موسى ، لتقتله ! فقلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ قال :

(١) لَمَّا : أي : حينئذ .

(٢) لَأَقْتُلُهُ : أي : لَأَقْتُلُهُ .

(٣) يَدُهُ : أي : يده .

(٤) بِهَا : أي : به .

واتبعه ؛ فإنه والله لعلّ الحقّ ، وليظهرنّ على منّ
على فرعون وجنوده .

ن : فتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ،
لإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي ؛ وقد حال رأيي عمّا كان عليه ،
صحابي إسلامي ، ثم خرجت عامداً لرسول الله لأسلم ؛ فلقيتُ خالد
ابن الوليد — وذلك قبل الفتح — وهو مقبلٌ من مكة ، فقلت : إلى أين يا أبا سليمان ؟
قال : والله لقد استقام المنيعم ؛ وإن الرجل لنبيّ ، أذهب والله أسلم ؛ فحتّى
متى ! فقلت : والله ما جئتُ إلاّ لأسلم ، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، فتقدّم خالد بن الوليد فأسلم وباع ، ثم دنوت فقلت : يا رسول
الله ، إننى أباعك على أن تغفرَ لى ما تقدّم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخّر !
فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا عمرو ، بايع فإنّ الإسلامَ يَجِبُ
ما قبله ، وإنّ الهجرة تجبُ ما قبلها . فبايعته ثم انصرفت .

١٦٠٤/١

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
لا أتهم ؛ أنّ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، كان معهما ، أسلم حين أسلما .

. . .

ذكر ما فى الخبر عن الكائن كان من الأحداث المذكورة

فى سنة ثمان من سنى الهجرة

فمّا كان فيها من ذلك توجيهُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن
العاص فى جُمادى الآخرة إلى السّلاسل من بلاد قُضاعة فى ثلثمائة^(١) ؛ وذلك
أنّ أمّ العاص بن وائل — فيما ذُكر — كانت قُضاعيّة ، فذُكر أنّ رسولَ
الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يتألّفهم بذلك ، فوجّهه فى أهل الشرف من
المهاجرين والأنصار ، ثم استمدّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فأمدّه
بأبى عبيدة بن الجراح على المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر فى
ماتنين ، فكان جميعهم^(٢) خمسمائة .

(١) س : « فى ثلثمائة من قُضاعة » . (٢) س : « جميعهم » .

[غزوة ذات السلاسل]

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى أرض بليّ وعُدرة ، يستنفر الناس إلى الشام ؛ وذلك أنّ أمّ العاص بن وائل كانت امرأة من بليّ ، فبعثه رسول الله إليهم يستألفهم بذلك ؛ حتى إذا كان على ماء بأرض جذام ، يقال له السلاسل - وبذلك سُميت تلك الغزوة ذات السلاسل - فلما كان عليه خاف ، فبعث إلى رسول الله يستمدّه ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو عبيدة ابن الجراح في المهاجرين الأولين ؛ فيهم أبو بكر وعمر رضوان الله عليهم ، وقال لأبي عبيدة حين وجهه : لا تختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو بن العاص : إنما جئت مدداً لي ، فقال له أبو عبيدة : يا عمرو ؛ إنّ رسول الله قد قال لي : لا تختلفا ؛ وأنت إن عصيتني أطعُتك ، قال : فأنا أميرٌ عليك ؛ وإنما أنت مددٌ لي ، قال : فدونك ! فصلتني عمرو ابن العاص بالناس .

[غزوة الحَبَط]

قال الواقدي : وفيها كانت غزوة الحَبَط ؛ وكان الأمير فيها أبو عبيدة ابن الجراح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في رجب منها ، في ثلثمائة من المهاجرين والأنصار قبل جهينة ، فأصابهم فيها أزلٌ شديد وجهد ، حتى اقتسموا التمر عدداً .

وحدثنا أحمد بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا عمّي عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث أن عمرو بن دينار حدثه أنه سمع جابر ابن عبد الله يقول : خرجنا في بعث ونحن ثلثمائة ، وعلينا أبو عبيدة ابن الجراح ، فأصابنا جوعٌ ، فكنا نأكل الحَبَط ثلاثة أشهر ؛ فخرجت دابة من البحر

يقال لها السَّعْبَر ، فكُنَّا نصف شهر ، نأكل منها ، ونحر رجلًا من الأنصار ١٦٠٦/١ جزائر ، ثم نحر من الغد كذلك ؛ فنهاه أبو عبيدة ، فأنتهى .

قال عمرو بن دينار— وسمعت ذكوان أبا صالح قال : إنه قيس بن سعد . قال عمرو : وحدثني بكر بن سوادة الجُدَامِي ، عن أبي جمرة ، عن جابر بن عبد الله نحو ذلك ، إلا أنه قال : جهدوا ؛ وقد كان عليهم قيس ابن سعد ، ونحر لهم تسع ركائب ، وقال : بعثهم في بَعَثٍ من وراء البحر ؛ وإن البحر ألقى إليهم دابة ؛ فكثوا عليها ثلاثة أيام يأكلون منها ويقعدون ويفرقون شحمها ؛ فلما قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكروا له ذلك من أمر قيس بن سعد ، فقال رسول الله : إن الجود من شيمة أهل ذلك البيت ، وقال في الحوت : لو تعلم أننا نبغكه قبل أن يرُوح لأحببنا أن لو كان عندنا منه شيء ؛ ولم يذكر الحَبِط ولا شيئًا سوى ذلك .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا الضَّحَّاكُ بنُ مخلد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر ، قال : زوَّدنا النبي صلى الله عليه وسلم جرابًا من تمر ، فكان يقبض لنا أبو عبيدة قبضة قبضة ، ثم تمرًا تمرًا ، فنمصّها ونشرب عليها الماء إلى الليل ؛ حتى نَقِد ما في الجراب ، فكُنَّا نجني الحَبِط ، فجعنا جوعًا شديدًا . قال : فألقى لنا البحر حوتًا ميتًا ، فقال أبو عبيدة : جياع كلوا ، فأكلنا — وكان أبو عبيدة ينصب الضَّلَع من أضلاعه فيمِرُّ الراكب على بعيه تحته ، ويحس النفر الخمسة في موضع عينه — ١٦٠٧/١ فأكلنا وادَّهنا حتى صلَّحت أجسامنا ، وحسنت شحماتنا ؛ فلما قدمنا المدينة قال جابر : فذكرنا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كُلُوا رزقًا أخرجه الله عزَّ وجلَّ لكم ، معكم منه شيء ؟ — وكان معنا منه شيء — فأرسل إليه بعض القوم فأكل منه .

قال الواقدي : وإنما سميت غزوة الحَبِط ^(١) ، لأنهم أكاوا الحَبِط حتى كأنَّ أشدَّاقهم أشدَّاق الإبل العَصِيَّة .

(١) الحَبِط : ورق الغضاء من الطلع ونحوه ، يخبط ويفرب بالعصا فيتناثر ثم يلف الإبل . يقال : عضه البعير كفرح إذا اشتكى من أكل الغضاء ورعيها .

قال : وفيها كانت سريرة وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان ، أميرها أبو قتادة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، عن محمد بن إبراهيم ، عن عبد الله بن أبي حذرر الأسلمي ، قال : تزوجت امرأة من قومي ، فأصدقته مائتي درهم ، فجنحت رسول الله صلى الله عليه وسلم أستعينه على نكاحي ، فقال : وكم أصدقت ؟ قلت : مائتي درهم يا رسول الله ، قال : سبحان الله ! لو كنتم إنا تأخذون الدراهم من بطن واد ما زدتم ! والله ما عندي ما أبيعك به . قال : فلبثت أياماً ، وأقبل رجل من بني جشم بن معاوية يقال له رفاعه بن قيس - أو قيس بن رفاعه - في بطن عظيم من جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وكان ذا اسمٍ وشرف في جشم . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين من المسلمين فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتونا به ؛ أو تأتونا منه بخبر وعلم . قال : وقدّم لنا شارفاً^(١) عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ؛ فوالله ما قامت به ضعفاً حتى دعهما الرجلان خلفها بأيديهم حتى استقلت وما كادت . ثم قال : تبّلغوا على هذه واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى جئنا قريباً من الحاضر عشيئاً مع غروب الشمس ، فكمن في ناحية ، وأمرت صاحبي ، فكمن في ناحية أخرى من حاضر القوم ، وقلت لهما : إذا سمعناي قد كبرت وشدت على العسكر فكبراً وشدّاً معي .

قال : فوالله إنا لكذلك ننظر أن نرى غيرة أو نصيب منهم شيئاً ؛ عشيئاً الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ؛ وقد كان لم راعٍ قد سرح في ذلك البلد ، فأبطل عليهم حتى تخوفوا عليه .

(١) الشارف من البرق : المستهجرة .

قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعه بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله في عنقه ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر . فقال نفتر ممّن معه : والله لا تذهب ، نحن نكفيك ! فقال : والله لا يذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك ، قال : والله لا يتبعني منكم أحد .

قال : وخرج حتى مرّ بي ، فلما أمكنني نفحته بسهم فوضعه في فؤاده ، فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه فاحتزرت رأسه ، ثم شددت في ناحية العسكر وكبرت ، وشدّ أصحابي وكبّرا ؛ فوالله ما كان إلا التجاء ممّن كان فيه عندك بكل ما قدروا عليه من نسايم وأبناهم ؛ وما خفّ معهم من أموالهم .

قال : فاستقنا إبلا عظيمة ؛ وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى ١٦٠٩/١ الله عليه وسلم ، وجئت برأسه أحمله معي ، قال : فأعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا ، فجمعت إلى أهلي .

وأما الواقدي ، فذكر أن محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، حدثه عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابن أبي حدرّد في هذه السرية مع أبي قتادة ، وأن السرية كانت ستة عشر رجلا ، وأنهم غابوا خمس عشرة ليلة . وأن سهمانهم كانت اثني عشر بعيرا يُعَدّلُ البعير بعشرين من الغنم . وأنهم أصابوا في وجوههم أربع نسوة ؛ فبهن فتاة وضيفة ، فصارت لأبي قتادة ، فكنتم سحمية بن الخزء فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا قتادة عنها ، فقال : اشتريتها من المغيرة . فقال : هبها لي ، فوهبها له . فأعطاه رسول الله حمية بن جندب الزبيدي .

قال : وفيها أغزى رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية أبا قتادة إلى بني النضير . حدثنا حميد ، قال : حدثنا سمعة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن أسد ، عن أبيه ، عن أبي قتادة ، عن أبي حذرة الأسلمي .

وقال بعضهم عن ابن القعقاع - عن أبيه ، عن عبد الله بن أبي حذرٍ ، قال :
بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضَمَ ، فخرجت في نفر من المسلمين
فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعيٍّ ومحلّم بن جثّامة بن قيس الليثي ، فخرجنا
حتى إذا كنا ببطن إضَمَ - وكانت قبل الفتح - مرّاً بنا عامر بن الأصبط ١٦١٠/١
الأشجعيّ على قعود له ، معه مُتَبِعٌ له ووطب من لبن ^(١) . فلما مرّ بنا سلم
علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلّم بن جثّامة الليثي لشيء
كان بينه وبينه ؛ فقتله وأخذ بعيره ومتبعه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر ، نزل فينا القرآن : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا
ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا ﴾ ^(٢) الآية .

وقال الواقدي : إنّما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث هذه
السريّة حين خرج لفتح مكة في شهر رمضان ، وكانوا ثمانية نفر .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة مؤتة

قال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ،
قال : لما رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ؛ أقام بها
شهرتَي ربيع ، ثم بعث في جمادى الأولى ببعثته إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق - عن
محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسولُ الله صلى
الله عليه وسلم ببعثته إلى مؤتة في جمادى الأولى من سنة ثمان ؛ واستعمل عليهم
زيد بن حارثة ، وقال : إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب
على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهّز الناس ، ثم تهيّئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر
خروجهم ودّع الناسُ أمراءَ رسولِ الله وسلموا عليهم وودّعوهم ؛ فلما

(١) متبع : تصغير متاع ؛ وهو السلعة وما يستمتع به الإنسان من حوائج أو ماله . والوطب :
وعاء اللبن . (٢) سورة النساء ٩٤ ، والخبر في التفسير ٩ : ٧٣ .

ودّع عبد الله بن رَوَاحَة مع من ودّع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى، فقالوا له : ما يُبكيك يا بن رَوَاحَة ؟ فقال : أما والله ما بي حبّ الدنيا ، ولا صباية بكم ؛ ولكنى سمعتُ رسولَ الله يقرأ آيةً من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ﴾ ^(١) . فليست أدرى كيف لى بالصّدْرِ بعد الورود ! فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله بن رَوَاحَة :

لُكِنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَ ^(٢)
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيَّ حَرَّانَ مُجَهِّزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبَدَ ^(٣)
حَتَّى يَقُولُوا إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدِّى أَرْشَدَكَ اللَّهُ مِنْ غَارٍ وَقَدْ رَشَدَا !

ثم إن القوم تهيّئوا للخروج ، فجاء عبد الله بن رَوَاحَة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فودّعه ، ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله يُشَيِّعُهُمْ ؛ حتى إذا ودّعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رَوَاحَة :

خَلَفَ السَّلَامُ عَلَى أَمْرِى وَدَعْتُهُ فِي النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وَخَلِيلٍ
ثُمَّ مَضُوا حَتَّى نَزَلُوا مُعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ؛ فَبَلَغَ النَّاسُ أَنَّ هِرْقُلَ قَدْ
نَزَلَ مَأَبَ مِنْ أَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنَ الرُّومِ ، وَانضَمَّتْ إِلَيْهِ الْمُسْتَعْرَبَةُ مِنْ
لَحْخَمٍ وَجُذَامٍ وَبَلَقِيسَ وَبِهْرَاءَ وَبَكِلَى فِي مِائَةِ أَلْفٍ مِنْهُمْ ؛ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ
بَكِلَى ، ثُمَّ أَحَدُ لِرَاشَةِ ، يُقَالُ لَهُ : مَالِكُ بْنُ رَافِلَةَ ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ الْمُسْلِمِينَ
أَقَامُوا عَلَى مُعَانَ لَيْلَتَيْنِ ، يَنْظُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ ، وَقَالُوا : نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ^{١٦١٢/١}
وَنُخْبِرُهُ بَعْدَ عَدُونَا ، فَلَمَّا أَنَّ يُمَيْدَنَا بِرَجَالٍ ، وَإِنَّمَا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِي
لَهُ فَشَجَّعَ النَّاسَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَة ، وَقَالَ : يَا قَوْمُ ؛ وَاللَّهِ إِنَّ الَّذِي تَكْرَهُونَ
لَلَّذِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةَ ، وَمَا نَقَاتِلُ النَّاسَ بَعْدَ وَلَا قُوَّةَ وَلَا كَثْرَةَ ،
مَا نَقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ ؛ فَانْطَلِقُوا ، فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى

(١) سورة مريم ٧١ .

(٢) ذات فرغ : ذات سعة . والزبد هنا : رغوة الدم .

(٣) مجهزة : سريعة القتل . وتنفيذ الأحشاء : تمضي فيها .

الحسنيتين ؛ إما ظهور ؛ وإما شهادة ، فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة في محبسهم ذلك :

جَلَبْنَا الخَيْلَ مِنْ آجَامٍ قُرْحٍ تُعْرِثُ مِنَ الْحَشِيشِ لَهَا الْعُكُومُ ^(١)
 حَدَوْنَاهَا مِنَ الصَّوَانِ سَبْتًا أَزَلَّ كَأَنَّ صَفَحَتَهُ أَدِيمٌ ^(٢)
 أَقَامَتْ كَيْلَتَيْنِ عَلَى مَعَانٍ فَأَعْقَبَ بَعْدَ قَتَرَتِهَا جُمُومُ
 قُرْحُنَا وَالْحِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ تَنْفَسُ فِي مَنَاحِرِهَا السَّمُومُ
 فَلَا وَابِي ، مَابَ لَنَايْنِهَا وَلَوْ كَانَتْ بِهَا عَرَبٌ وَرُومُ
 فَعَبَانَا أَعْنَتَهَا فَجَاءَتْ عَوَاسٍ وَالْفُبَارُ لَهَا بَرِيمٌ ^(٣)
 بِذِي لَجَبٍ كَانَ الْبَيْضَ فِيهِ إِذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُهَا النَّجُومُ
 فَرَاضِيَةِ الْمَعِيشَةِ طَلَّقَتْهَا أَسْنَتُنَا فَتَنَكِّحَ أَوْ تَنِيمُ ^(٤)
 ثُمَّ مَضَى النَّاسُ ^(٥)

١٦١٣/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنتُ يتيماً لعبد الله بن رواحة في حِجْرِهِ ، فخرج في سفره ذلك مُرْدَفِي على حَقِيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلةً إذ سمعته وهو يتمثل أبياته هذه :

إِذَا أَدَيْتَنِي وَحَمَلْتِ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ
 فَشَأْنُكَ أَنْعَمَ وَخَلَائِكَ ذَمٌّ وَلَا أَرْجِعْ إِلَى أَهْلِي وَرَأْيِي ^(١)
 وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَبِي الثَّوَاءِ
 وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعُ الْإِخَاءِ

- (١) قال السبيل : تفر ، أى يجمع بعضها إلى بعض . والعكوم : جمع عكم ، وهو الجنب .
 وفي ابن هشام : « من أجأ وفرع » ، أبو النبيت في ياقوت ٧ : ٤٩ .
 (٢) سبتا ، أى حذوفاها فعلا من جلد . وأزل : أملكس .
 (٣) قال السبيل : « البريم : حيط تحزم به المرأة ، والبريم أيضا : نفيث الناس وأخذلهم » .
 (٤) راضية المعيشة ، أى معيشتها مرضية . وتيم : تبقى من غير زوج .
 (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ .
 (٦) خللك ذم ، أى فاركك الذم .

هناك لا أبالي طَلَعَ بَعْلٌ وَلَا نَخَلَ أَسَافِلُهَا رِوَاءُ^(١)
 قال : فلما سمعتهم منه بكيت ، فحفظني بالدرّة ، وقال : ما عليك
 يا لُكَمَح ! يرفقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبتي الرَّحْل ! ثم قال عبد الله
 في بعض شعره وهو يبرّج :
 يَارَيْدَ زَيْدَ الْيَمَلَاتِ الذَّبَلِ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ هُدَيْتَ فَانْزِلِ^(٢)

١٦١٤/١

قال : ثم مضى الناس حتى إذا كانوا بشُحوم البلقاء ، لتقيتهم جموع
 هِرَاقِل من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَسَارِف . ثم دنا
 العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مَوْثَة ؛ فالتقى الناس عندها ،
 فتعباً المسلمون ، فجعّلوا على ميمتهم رجلاً من بني عُدْرَة ، يقال له قطبة بن
 قتادة ، وعلى ميسرهم رجلاً من الأنصار يقال له عَبَّاسَة بن مالك ، ثم التقى
 الناس ؛ فاقْتَلَوْا ؛ فقاتل زيد بن حارثة برأية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
 شاط^(٣) في رماح القوم ؛ ثم أخذها جعفر بن أبي طالب ؛ فقاتل بها حتى
 إذا ألحمه^(٤) القتال اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها^(٥) ، ثم قاتل القوم حتى
 قُتِل ؛ فكان جعفر أول رجل من المسلمين عَقَرَ في الإسلام فرسه^(٦) .

حدثنا ابنُ سُمَيْد ، قال : حدثنا سلَمة وأبو تَمِيمَة ، عن محمد بن
 إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : حدثني أبي الذي أرضعني —
 وكان أحد بني مرة بن عوف ، وكان في تلك الغزوة غزوة مَوْثَة — قال : والله
 لكأنني أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ؛ فعقرها ، ثم قاتل القوم
 حتى قُتِل ؛ فلما قتل جعفر أخذ الرأية عبد الله بن رَواحة ؛ ثم تقدّم بها
 وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أَقَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنِي طَائِعَةً أَوْ فَلَتُكْرِهِنَّ

(١) الجبل : الذي يشرب بمروقه من الأرض . (٢) اليمعات : جمع يعملة ؛ وهي الناقة
 السريعة . والذبل : التي أضعفها السير فقتل لحمها .

(٣) يقال : شاط الرجل ؛ إذا سال دمه فبذل . (٤) ألحمه القتال : تشب فيه فلم يجد مخلصاً .

(٥) عقرها : سرب قوائمها بالسيف . (٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

١٦١٥/١

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدُّوا الرِّثَّةَ^(١) مَالِي أَرَأَيْكَ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ !
 قَدْ طَالَمَا قَدْ كُنْتَ مُطْمَئِنَّةً هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُظْفَةٌ فِي شَنَّةٍ !^(٢)

وقال أيضاً :

يَا نَفْسُ إِلَّا تُتَقَلَّى تَمُوتِي هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلَّيْتَ
 وَمَا تَمَنَّيْتَ فَقَدْ أُعْطِيتِ إِنْ تَقَعَلِي فَعَلِمَهُمَا هُدَيْتِ

قال : ثم نزل ؛ فلما نزل أتاه ابنُ عمٍّ له بعظم من لحم ؛ فقال : شدَّ بها
 صلبك ؛ فإنك قد لقيت أيامك هذه ما لقيت ؛ فأخذه من يده ؛ فانتَهس^(٣)
 منه نَهْسَةً ثم سمع الخطمة^(٤) في ناحية الناس ، فقال : وأنت في الدنيا ! ثم ألقاه
 من يده ، وأخذ سيفه ؛ فتقدَّم فقاتل حتى قتل ؛ فأخذ الراية ثابتُ بنُ أقرم ؛
 أخو بَكَّعْجَلان ؛ فقال : يا معشرَ المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، فقالوا :
 أنت ، قال : ما أنا بفاعل ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ
 الراية دافع القوم ؛ وحاشي^(٥) بهم ، ثم انحاز وتحيز عنه^(٦) حتى انصرف
 بالناس^(٧) .

١٦١٦/١

فحدثني القاسم بن بيشر بن معروف ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ،
 قال : حدثنا الأسود بن شيبان ، عن خالد بن سمير ، قال : قدَّم علينا
 عبد الله بن رَبَّاحِ الأنصاري - وكانت الأنصار تُفَقِّهُهُ - فغشيه الناس ،
 فقال : حدثنا أبو قتادة فارسُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعث
 رسول الله جيشَ الأمراء ، فقال : عليكم زيد بن حارثة ؛ فإن أصيب فجعفر

(١) أجلب القوم : صاحوا واجتمعوا .

(٢) النظفة : الماء القليل الصافي . والشنة : السقاء البالي .

(٣) انتَهَس : أخذ منه بقمه يسيراً .

(٤) الخطمة : زحام الناس وحطم بعضهم بعضاً .

(٥) حاشي بهم : انحاز بهم ؛ من الحشى وهو الناحية . وفي ابن هشام : « حاشي بهم » ،
 من الحاشاة ؛ وهو المحاجزة .

(٦) س : « وتحيزوا » ، ابن هشام : « وانحيز » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٨ .

ابن أبي طالب ؛ فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة ؛ فوثب جعفر فقال :
يا رسول الله ؛ ما كنت أذهب أن تستعمل زيدا على ! قال : امض ؛ فإنك
لا تدري أى ذلك خير !

فانطلقوا ، فلبثوا ما شاء الله . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد
المنبر ، وأمر فنودي : الصلاة جامعة ! فاجتمع الناس إلى رسول الله ، فقال :
باب خير ، باب خير ، باب خير ! أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ؛ إنهم
انطلقوا فلقوا العدو ، فقتل زيد شهيداً - واستغفر له - ثم أخذ اللواء جعفر ،
فشد على القوم حتى قتل شهيداً - فشهد له بالشهادة واستغفر له - ثم أخذ اللواء
عبد الله بن رواحة ؛ فأثبت قدميه حتى قتل شهيداً - فاستغفر له - ثم أخذ
اللواء خالد بن الوليد - ولم يكن من الأمراء ؛ هو أمر نفسه - ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه سيف من سيوفك ، فأنت تنصره - فنذ يومئذ
سمى خالد سيف الله - ثم قال رسول الله : أبكروا فأمدوا وإخوانكم ولا يتخلقن
منكم أحد . فنفروا مشاة ورُكباناً ، وذلك في حر شديد .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله
ابن أبي بكر ، قال : لما أتى رسول الله مصاب جعفر ، قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : قد مر^(١) جعفر البارحة في نفر من الملائكة ، له جناحان ، مختضب
القوادم بالدم ، يريدون بيثة ؛ أرضاً باليمن .

قال . وقد كان قطببة بن قتادة العذري الذي كان على ميمنة المسلمين
حمل على مالك بن رافلة^(٢) قائد المستعربة فقتله . قال : وقد كانت كاهنة
من حدّس^(٣) حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً قد
قالت لقومها من حدّس - وقومها بطن يقال لهم بنو غنم : أنذرهم قوماً
خزراً^(٤) ، ينظرون شزراً^(٥) ، ويقودون الخيل بُتراً^(٦) ، ويهريقون دماً

(١) ابن هشام : « قدم » . (٢) ابن هشام : « زافلة » .

(٣) حدّس : قبيلة من لخم .

(٤) خزرأ : جمع أخزر ؛ وهو الذي ينظر بمؤخر عينه .

(٥) الشزر : نظر العداوة .

(٦) ابن هشام : « ترى » ، أى متتابعة .

عَكْرًا^(١) . فَأَخَذُوا بِقَوْلِهَا ، فَأَعْتَزَلُوا مِنْ بَيْنِ لَحْمٍ ؛ فَلَمْ يَزَالُوا بَعْدُ أَثَرَى^(٢) حَدَسَ . وَكَانَ الَّذِينَ صَلَّوْا الْحَرْبَ يَوْمَئِذٍ بَنُو ثَعْلَبَةَ ؛ بَطْنٌ مِنْ حَدَسَ ؛ فَلَمْ يَزَالُوا قَلِيلًا بَعْدَ ؛ وَلَمَّا انْصَرَفَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِالنَّاسِ أَقْبَلَ بِمِ قَافِلًا^(٣) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ الزَّبِيرِ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزَّبِيرِ ، قَالَ : لَمَّا دَخَلُوا مِنْ دُخُولِ الْمَدِينَةِ ، تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ ، وَلَقِيَهُمُ الصَّبِيَّانِ يَشْتَدُّونَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ مُقْبِلٌ مَعَ الْقَوْمِ عَلَى دَابَّةٍ ، فَقَالَ : خَذُوا الصَّبِيَّانِ فَاحْمِلُوهُمَا وَأَعْطُونِي ابْنَ جَعْفَرٍ ؛ فَأَتَيْتُ بَعْدَ اللَّهِ ابْنَ جَعْفَرٍ فَأَخَذَهُ ، فَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ : وَجَعَلَ النَّاسُ يَحْثُونَ عَلَى الْخَيْشِ الرَّابِ ، وَيَقُولُونَ : يَا فُرَّارُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ : لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ ؛ وَلَكِنَّهُمْ الْكُرَّارُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ^(٤) !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ؛ عَنْ بَعْضِ آلِ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ - وَهُمْ أَنْوَالُهُ - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ لَامْرَأَةٍ سَلَمَةَ بْنِ هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةِ : مَا لِي لَا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصَّلَاةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَعَ الْمُسْلِمِينَ ! قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَخْرُجَ ، كَلَّمَا خَرَجَ صَاحِبُ النَّاسِ : أَفَرَّرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ! حَتَّى قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَمَا يَخْرُجُ^(٥) .

وفيهما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة .

• • •

ذكر الخبر عن فتح مكة

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ ،

(١) المكر : التمكنر .

(٢) أثري ، أى أكثر مالا وعددا ؛ من الثروة ؛ وهى الكثرة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٥٩ ، ٢٦٠ . (٤) ابن هشام ٢ : ٢٦٠ .

قال: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد بعثه إلى مؤتة ، جمادى الآخرة ورجب .

ثم إن بني بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة ؛ يقال له الوثير . وكان الذي هاج ما بين بني بكر وبني خزاعة رجل من بلكحضرى ، يقال له مالك بن عباد - وحليف الحضرى يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة عدوا عليه فقتلوه ؛ وأخذوا ماله ؛ فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بني الأسود بن رزن الدليل ؛ وهم منسخر^(١) بني بكر وأشرفهم : سلمى . وكلثوم ، وذؤيب ؛ فقتلهم بعرفة عند أنصاب الحرم^(٢) .

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن رجل من بني الدليل ، قال : كان بنو الأسود يؤدون في الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية لفضلهم [فينا]^(٣) .

فيينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حَجَزَ بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به ، فلما كان صاحب الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش كان فيما شرطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشرط لهم - كما حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة . عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم وغيره من علمائنا - أنه من أحب أن يدخل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقده دخل فيه ؛ ومن أحب أن يدخل في عهد قريش وعقدهم دخل فيه ؛ فلدخلت بنو بكر في عقد قريش ، ودخلت خزاعة في عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما كانت تلك الهدنة اغتتمتها^(٤) بنو الدليل ، من بني بكر من خزاعة^(٥)

(١) انخر هنا : المتقدمون ؛ لأن الأنثى هو المقدم من الوجه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ .

(٣) سر : « اغتتمها » .

(٤) س : « من بني خزاعة » .

وأرادوا أن يصيبوا منهم [ثأراً] ^(١) بأولئك النفر الذين أصابوا منهم بني الأسود بن رَزَن ، فخرج نَوْفَل بن معاوية الدَّيْلِي في بني الدَّيْل — وهو يومئذ قائدهم ؛ ليس كل بني بكر تابعه — حتى بَيَّتَ خِزَاعَةَ ، وهم على الوتير ؛ ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلاً وتحاوزوا واقتلوا ؛ ورفدَت قريش بني بكر بالسَّلاح ؛ وقتل . . . من قريش مَنْ قاتل بالليل مستخفياً ؛ حتى حازوا ^(٢) خِزَاعَةَ إلى الحَرَم .

— قال الواقدي : كان ممن أعان من قريش بني بكر على خِزَاعَةَ ليلتئذ بأنفسهم متكررين صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ؛ مع غيرهم وعبيدهم —

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : فلما انتهوا إليه قالت بنو بكر : يانوفل ، إنا قد دخلنا الحرم إلهك إلهك ؛ فقال : كلمة عظيمة إنه لا إله له اليوم ! يا بني بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمري إنكم لتسرقون في الحرم ؛ أفلا تصيبون ثأركم فيه ! وقد أصابوا منهم ليلة بَيَّتوهم بالوتير رجلاً يقال له منبّه ، وكان منبّه رجلاً مفثوداً ^(٣) خرج هو ورجل من قومه ، يقال له تميم بن أسد — فقال له منبّه : يا تميم ، انج بنفسك ؛ فأما أنا فوالله إني لميت قتلوني أو تركوني ؛ لقد انبت ^(٤) فؤادي . فانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبّه قتلوه — فلما دخلت خِزَاعَةُ مكة لجئوا إلى دار بُدَيْل بن ورقاء الخزاعي ، ودار مولى لهم يقال له رافع .

قال : فلما تظاهرت [بنو بكر] ^(٥) قريش على خِزَاعَةَ ، وأصابوا منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خِزَاعَةَ — وكانوا في عَقْدِهِ وعهده — خرج عمرو بن سالم الخزاعي ، ثم أحد بني كعب ؛ حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه

(٢) حازوهم : ساقوهم .

(١) من ابن هشام .

(٤) انبت : انقطع .

(٣) مفثود : ضيف الفؤاد .

(٥) من سير ابن هشام .

وسلم المدينة ؛ وكان ذلك ممّا هاج فتح مكة ؛ فوقف عليه وهو في المسجد
جالسٌ بين ظهرانيّ الناس ، فقال :

لا هَمَّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ أَيْنَا وَأَيَّهِ الْأَتْلَدَا^(١)
فَوَالِدَا كُنَّا وَكُنْتَ وَلَدَا^(٢) ثَمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ تَنْزِعْ يَدَا^(٣)
فَأَنْصُرُ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا^(٤) وَأَذْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا^(٥)
فِيهِمْ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا^(٦) أَبْيَضَ مِثْلَ الْبَدْرِ يَنْمِي صُعدَا
إِنْ سِيمَ خَفْنًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزْبَدَا^(٧)
إِنْ قَرِيشًا أَخْلَفُوكَ الْمُوعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
وَجْعَلُوا لِي فِي كَدَاءِ رَصَدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
وَهُمْ أَذَلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا هُمْ يَتَّبِعُونَا بِالْوَتِيرِ هُجْدَا

« فَقَتَلُونَا رُكْمًا وَسُجْدَا » .

يقول : قد قتلونا وقد أسلمنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
سمع ذلك : قد نصرت يا عمرو بن سالم ! ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عَتَانٌ من السماء ، فقال : إن هذه السحابة لتستهيل بنصر بني كعب .
ثم خرج بُدَيْلُ بن ورقاء في نفر من خزاعة حتى قدِموا على رسول الله
المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ؛ ثم
انصرفوا راجعين إلى مكة . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس :
كأنكم بأبى سفيان قد جاء ليشدد العنق ، ويزيد في المدّة .

(١) ناشد : طالب ومذكر ، والأتلد : القديم .

(٢) ابن هشام : « قد كنتم ولدا وكنا ولدا » ؛ قال الميلى : « يريد أن بني عبد مناف ،
أهمهم من خزاعة . وكذلك قصي أمه فاطمة بنت سعد الخزاعية » .

(٣) أسلمنا ، من السلم .

(٤) ابن هشام : « أعدنا ، أى حاضرا ، من الشيء العتيد ؛ وهو الحاضر » .

(٥) المدد : العون .

(٦) تجرد : تشمر وتبها ؛ وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تجرد » ؛ بالخاء المهملة ؛ من الحرد ؛

وهو الغضب . (٧) الفيلق : العسكر الكبير .

ومضى بُدَيْل بن ورقاء وأصحابه ، فلقوا أبا سفيان بعُسفان ، قد بعثه قريش إلى رسول الله ليشدد العقد ويزيد في المدة ؛ وقد رهبوا الذي صنعوا ؛ فلما لقي أبو سفيان بُدَيْلا ، قال : من أين أقبلت يا بُدَيْل ؟ وظن أنه قد أتى رسول الله ، قال : سِرت^(١) في خِزاعة في السَّاحل وفي بطن هذا الوادي . قال : أو ما أتيتَ محمداً ؟ قال : لا . قال : فلما راح بُدَيْل إلى مكة قال أبو سفيان : ثن^(٢) كان جاء المدينة لقد عكف بها النوى ؛ فعمد إذ يبرك ناقته^(٣) ، فأخذ من بعرها ففتته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بُدَيْل محمداً .

ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ؛ فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ؛ والله ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش ، أم رغبت به عني ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله ، وأنت رجل متبرك نجس ؛ فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه فلم يردّد عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبي بكر فكلّمه أن يكلّمه رسول الله ؛ فقال : ما أنا بفاعل . ثم أتى عمر بن الخطاب ، فكلّمه فقال : أنا أشفع لكم إلى رسول الله ! فوالله لو لم أجد إلا النار لأحادثكم . ثم خرج فدخل على علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ، وعنده فاطمة ابنة رسول الله ؛ وعندها الحسن بن علي ، غلام يديب بين يديها ، فقال : يا علي ؛ إنك أمس القوم بي رحمة ، وأقربهم منى قرابة ، وقد جئت في حاجة ؛ فلا أرجعن كما جئت خائبة ؛ اشفع لنا إلى رسول الله ! قال : وبحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزّم رسول الله علي أن نكلّمه فيه ، فالتفت إلى فاطمة ، فقال : يا ابنة محمد ؛ هل لك أن تأمرى بك هذا فيجبر بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ! قالت : والله ما بلغ بسبي ذلك

(٢) س : « ثن » .

(١) ابن هشام : « سِيرت » .

(٣) ابن هشام : « فأتى مبرك راحلته » .

أن يجير بين الناس، وما يجير على رسول الله أحد . قال : يا أبا الحسن ، إننى أرى الأمور قد اشتدت على فأنصحنى . فقال له : والله ما أعلم شيئاً يغنى عنك شيئاً ، ولكذلك سيد بنى كنانة ؛ فقم فأجير بين الناس ، ثم الحق بأرضك . قال : أو ترى ذلك مغنياً عني شيئاً ! قال : لا والله ما أظن ؛ ولكن لأجد لك غير ذلك ؛ فقام أبو سفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ؛ إني قد أجرت بين الناس ؛ ثم ركب بعيرة فانطلق .

فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد عنده خيراً ، ثم جئت ابن الخطاب ؛ فوجدته أعدى القوم ، ثم جئت على بن أبى طالب ، فوجدته أليّن القوم ؛ وقد أشار على بشىء صنعتُه ؛ فوالله ما أدرى هل يغنى شيئاً أم لا ! قالوا : وبماذا أمرك ؟ قال : أمرنى أن أجير بين الناس ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال : لا ، قالوا : وبلك ! والله إن زاد على أن لعب بك ، فما يغنى عنا ما قلت . قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك ، قال : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز ؛ وأمر أهله أن يجهزوه ؛ فدخل أبو بكر على ابنته عائشة وهى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى بنيت ، أأمركم رسول الله بأن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ، قال : فأين تريته يريد ؟ قالت : والله ما أدرى .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس ^(١) أنه سائر إلى مكة ؛ وأمرهم بالجد والتهيؤ ^(٢) ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى تبغها ^(٣) فى بلادها .

فتجهز الناس ، فقال حسان بن ثابت الأنصارى يخوض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

(١) و : « الناس » .

(٢) س : « والانكاش » .

(٣) نبغها . من البغى ؛ وهى المفاجأة .

أَتَانِي وَلَمْ أَشْهَدْ بِيَطْحَاءَ مَكَّةَ رَجَالُ بَنِي كَعْبٍ تَحَزُّ رِقَابُهَا^(١)
 بِأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْلُوكُوا سِيُوفَهُمْ وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنِّ ثِيَابُهَا^(٢)
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنِي نُضْرَتِي سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو حَرْهُا وَعَقَابُهَا^(٣)!
 وَصَفْوَانُ عَوْدًا حَزَمَ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ فَهَذَا أَوْ أَوَّانُ الْحَرْبِ شَدَّ عَصَابُهَا
 فَلَا تَأْمَنُنَا يَا بَنَ أُمِّ مُجَالِدٍ إِذَا احْتَلَبْتَ صِرْفًا وَأَعْصَلَ نَابُهَا^(٤)
 فَلَا تَجْزَعُوا مِنْهَا فَإِنَّ سِيُوفَنَا لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بِأَبِهَا^(٥)
 ١٦٢٦/١
 وقول حسان :

• بِأَيْدِي رَجَالٍ لَمْ يَسْلُوكُوا سِيُوفَهُمْ •

يعنى قريشًا . وابن أمّ مجالد ، يعنى عكرمة بن أبى جهل^(٦)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير^(٧) إلى مكة ، كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابًا إلى قريش ، يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله من الأمر فى السَّير إليهم ؛ ثم أعطاه امرأة - يزعم محمد بن جعفر أنها من مزيّنة ؛ وزعم غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب^(٨) - وجعل لها جُعْلًا على أن تُبلّغه قريشًا . فجعلته فى رأسها ، ثم قتلته عليه قُرُوبُهَا ، ثم خرجت به . وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ؛ فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام ، فقال : أدركا امرأة

(١) ديوانه ٤١ ، ٤٢ ، وروايته : « وغينا فلم نشهد بيطحاء مكة » ، وفى ابن هشام : « عتاني ولم أشهد » .

(٢) لم تجن ثيابها : لم تستر . (٣) الديوان وابن هشام : « وخزها وعقابها » .

(٤) الديوان : « إذا خلقت حرب وأعصل نابها » .

(٥) موضع هذا البيت فى الديوان :

وَلَوْ شَهِدَ الْبَطْحَاءُ مِنَّا عِصَابَةً لَهَانَ عَلَيْنَا يَوْمَ ذَاكَ ضِرَابُهَا

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣ - ٢٦٦ .

(٧) من والتفسير وابن هشام : « السير » . (٨) « لبنى المطلب » .

قد كتب معها حاطب بكتاب^(١) إلى قريش ، يحذّره ما قد أجمعنا له في أمرهم ؛ فخرجوا^(٢) حتى أدركاها بالخليفة ، حليفة^(٣) ابن أبي أحمد ؛ فاستنزلاها ، فالتمسا في رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها علي بن أبي طالب : إنني أحلف^(٤) ما كذب رسول الله ولا كذبنا ؛ ولتُخْرِجِنِ إلى هذا الكتاب أو لنكشفنّك ؛ فلما رأت الجِدّ منه ، قالت : أعرض عني ، فأعرض عنها ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منه^(٥) ، فدفعته إليه ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله حاطباً ؛ فقال : يا حاطب ، ما حملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إني لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدّلت ، ولكنني كنتُ امرأً ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لي بين أظهرهم أهلٌ وولد ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، دعني فلاضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك يا عمر ، لعل الله قد اطلع إلى^(٦) أصحاب بدر يوم بدر ؛ فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ! فأنزل الله عز وجل في حاطب : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَإِلَيْكَ أُتِبْنَا ... ﴾^(٧) إلى آخر القصة^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس ، قال : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ؛ واستخلف

(١) و : « كتابا » .

(٢) يعدها في و : « مسرعين » .

(٣) كذا في ط ؛ على التصغير ؛ وفي ابن هشام : « الخليفة » ، وهما موضعان قرب المدينة ؛ ذكرهما ياقوت .

(٤) ابن هشام والتفسير : « أحلف بالله » .

(٥) ابن هشام : « منها » .

(٦) س : « على » .

(٧) سورة الممتحنة ١ ، ٤ .

(٨) الخبر في التفسير ٢٨ : ٣٩ (بولاق) ، وسيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ - ٢٦٧ .

على المدينة أبا رُهم كُثُوم بن حُصَيْن بن خَلَف الغِفَارِي ، وخرج لعشر مضيئ من شهر رمضان ، فصام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ؛ حتى إذا كان بالكَدِيد ما بين عُسْتَفان وأَمَج ، أفطر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظَّهْران في عشرة آلاف من المسلمين ، فسبقتُ سليم ؛ وألّفتُ مَرْيَسَةَ^(١) وفي كلِّ القبائل عدد وإسلام ؛ وأوعبَ^(٢) مع رسول الله المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظَّهْران ، وقد تُجَمِّيت الأخبار عن قريش فلا يأتيهم خبرٌ عن رسول الله ؛ ولا يدرون ما هو فاعلٌ ؛ فخرج في تلك الليلة أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام ، وبُدَيْل بن ورقاء ، يتحسون الأخبار ؛ هل يجدون خبراً أو يسمعون به^(٣) !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وقد كان فيما حدثني محمد بن إسحاق ، عن العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطلب ؛ عن ابن عباس : وقد كان العباس بن عبد المطلب تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق ؛ وقد كان أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيَا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بنيق العقاب ؛ فيما بين مكة والمدينة ، فالتمس الدخولَ على رسولِ الله ، فكلَّمته أمُّ سلمة فيهما ، فقالت : يا رسولَ الله ، ابن عمك وابن عمتك ومهرُك ، قال : لا حاجة لي بهما ، أما ابنُ عمي فهتَكَ عِرْضِي ، وأما ابنُ عمتي وصهرى فهو الذي قال بمكة ما قال .

فلما خرج الخبر إليهما بذلك ؛ ومع أبي سفيان بُنَى^(٤) له فقال : والله ليأذَنَ لي أو لأعْذَنَ بيد بُنَى^(٤) هذا ؛ ثم لذهبن في الأرض ؛ حتى نموت عطشاً وجوعاً . فلما بلغ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رَقَّ لهما ؛ ثم أذن لهما ،

(١) سبقتُ سليم ؛ أي كانت سبقت ، وألّفتُ مَرْيَسَةَ ، أي كانت ألفا .

(٢) أوعبَ الدوم ؛ أخرجوا كلهم لغزو .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٧ .

(٤) ابن هشام . « بيدى بنى هذا » .

لحق رسول الله^(١) بالعرج في نفر من أصحابه ، ولحقه الأقرع بن حابس بالسقيّا ، فقال عيينة : يا رسول الله ؛ والله ما أرى آلة الحرب ولا تهينة الإحرام ، فأين تتوجه^(٢) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حيث شاء^(٣) الله . ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعمى عليهم الأخبار ؛ فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظّهْران ، ولقيه العباس بالسقيّا ، ولقيه مخزّمة بن نوفل بنيق العقاب .

• • •

فلما نزل مرّ الظّهْران خرج أبو سفيان بن حرب ومعه حكيم بن حزام . فحدثنا أبو كريب ، قال : أخبرنا يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة عن ابن عباس . قال : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ الظّهْران ، قال العباس بن عبد المطلب ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة : يا صباح قريش^(٤) ! والله لئن بغتّها رسول الله في بلادها ؛ فدخل مكة عتوة ؛ إنه لهلاك قريش آخر الدهر ! فجلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، وقال : أخرج إلى الأراك لعلّي أرى حطّاً أباً أو صاحب لبس ؛ أو داخلاً يدخل مكة ؛ فيخبرهم بمكان رسول الله ؛ فيأتونه فيستأمنونه . فخرجت ؛ فوالله إني لأطوف في الأراك ألتمس ما خرجت له ؛ إذ سمعت صوت أبي سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، وقد خرجوا يتحسسون^(٥) الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسمعت أبا سفيان وهو يقول : والله ما رأيت كالיום قطّ نيراناً ! فقال بديل : هذه والله نيران خُرّاعة ، حمشتّها^(٦) الحرب ! فقال أبو سفيان : خُرّاعة الأُم من ذلك وأذلّ ! فعرفت صوته ، فقلت

(١) و : « برسول الله » .

(٢) و : « يتوجه رسول الله » .

(٣) س : « يشاء » .

(٤) يا صباح كذا . ويا صباحاد ، مما يستعمل من الألفاظ عند الإنذار بالغارة .

(٥) الأغاني : « يتحسسون » .

(٦) حمش فلان : هيجه .

يا أبا حنظلة ! فقال : أبو الفضل ! فقلت : نعم ، فقال : لبّيك فإدراك أبي وأُمّي ! فما وراءك ؟ فقلت : هذا رسول الله ورأى قد دَلَفَ ^(١) إليكم بما لا قبيلَ لكم به بعشرة آلاف من المسلمين . قال : فما تأمرني ؟ فقلت : تركب عَجَزُ هذه البغلة ، فأستأمن لك رسولَ الله ؛ فوالله لئن ظفّر بك ليضربنَّ عَنقَكَ ، فردفني فخرجت به أركضُ بغلةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم نحو رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّما مررت بنارٍ من نيران المسلمين ونظروا إليّ ، قالوا : عمُّ رسولِ الله على بغلةِ رسولِ الله ؛ حتّى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال أبو سفيان ! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عَقْد ولا عهد ! ثم اشتدّ نحو النبي صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، وقد أردفتُ ^(٢) أبا سفيان ؛ حتّى اقتحمتُ على باب القبة ، وسبقت ١٦٣٢/١ عمر بما تسبق به الدابة البطيئة الرجلَ البطيء ؛ فدخل عمر على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسولَ الله ، هذا أبو سفيان عدوُّ الله ؛ قد أمكن الله منه بغير عهد ولا عقد ؛ فدعني أضرب عنقه ؛ فقلت : يا رسولَ الله ، إنّي قد أجرته ! ثم جلست إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا ينجيه اليوم أحدٌ دوني ! فلمّا أكثّر فيه عُمَرَ ، قلت : مهلاً يا عمر ! فوالله ما تصنع هذا إلّا لأنّه رجل من بني عبد مناف ؛ ولو كان من بني عَدِيّ ابن كعب ما قلت هذا . فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يومَ أسلمتَ كان أحبَّ إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ! وذلك لأني أعلمُ أن إسلامك كان أحبَّ إليّ رسولِ الله من إسلام الخطاب لو أسلم ؛ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اذهب فقد آمنّا به حتّى تغدو به عليّ بالغداة . فرجع به إلى منزله ؛ فلمّا أصبح غدا به على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم . فلمّا رآه قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ! فقال : بأبي أنت وأُمّي ، ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله غيره لقد أغنى عني شيئاً ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنّي

(١) دلف : مشى فوق الدبيب .

(٢) س : « وقد ردفت أبا سفيان حتّى اقتحمت » .

رسول الله ! فقال : بأبى أنت وأبى ما أوصلك وأحلمك وأكرمك ! أما هذه
ففى النفس منها شيء ! فقال العباس : فقلت له ويلك ! تشهد شهادة الحق
قبل والله أن تضرب عنقك ؛ قال : فتشهد .

١٦٣٣/١ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس حين تشهد أبوسفیان :
انصرف يا عباس فاحبسہ عند خَطْمِ^(١) الجبل بمضيق الوادى ، حتى تمر
عليه جنود الله ، فقلت له : يا رسول الله . إن أبى سفيان رجل يحب الفخر ،
فاجعل له شيئاً يكون فى قومه . فقال : نعم ؛ مَنْ دخل دار أبى سفيان فهو
آمين ، وَمَنْ دخل المسجد فهو آمن ، وَمَنْ أغلق عليه بابه فهو آمن .
فخرجت حتى حبسته عند خَطْمِ الجبل بمضيق الوادى ؛ فرأت عليه القبائل ،
فيقول : مَنْ هؤلاء يا عباس ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى وسليم ! فتمر
به قبيلة ، فيقول : مَنْ هؤلاء ؟ فأقول : أسلم ، فيقول : مالى وأسلم ! وتمر
جُهيّنة ، فيقول : مالى وجُهيّنة ! حتى مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
الخصراء ؛ كنيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فى
الحديد ؛ لا يرى منهم إلا الخدق ، فقال : مَنْ هؤلاء يا أبى الفضل ؟ فقلت :
هذا رسول الله فى المهاجرين والأنصار ؛ فقال : يا أبى الفضل ، لقد أصبح
ملكُ ابن أخيك عظيماً . فقلت : ويحك إنها النبوة ! فقال : نعم إذا ،
فقلت : الحق الآن بقومك فخذهم ؛ فخرج سريعاً حتى أتى مكة ، فصرخ
فى المسجد : يا معشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم بما لا قبيل لكم به !
قالوا : فمعه ! فقال : مَنْ دخل دارى فهو آمن ، فقالوا : ويحك ! وما تُغنى
عنا دارك ! فقال : وَمَنْ دخل المسجد فهو آمن ، وَمَنْ أغلق عليه بابه
فهو آمن^(٢) .

١٦٣٤/١ حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثني

(١) خطم الجبل : أنفه ؛ أى مقدمه ، وفى س : « حطم » بالحاء ؛ وهو موضع ضيق تتراسم
فيه الخيل حتى يعظم بعضها بعضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، والأغانى ٦ : ٣٥٢ - ٣٥٤ ، (طبعة دار

أبى ، قال : حدثنا ، أبان العطار قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلى تسألنى عن خالد بن الوليد : هل أغار يوم الفتح ؟ وبأمر من أغار ؟ وإنه كان من شأن خالد يوم الفتح أنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما ركب النبي بطن ممرّ عامداً إلى مكة ، وقد كانت قريش بعثوا أبا سفيان وحكيم بن حزام يتلقيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وهم حين بعثوهما لا يدرون أين يتوجه (١) النبي صلى الله عليه وسلم ! إليهم أو إلى الطائف ! وذلك أيام الفتح ؛ واستتب أبو سفيان وحكيم بن حزام بدّيل بن ورقاء ، وأحبّا أن يصحبهما ، ولم يكن غير أبى سفيان وحكيم بن حزام وبدّيل ؛ وقالوا لهم حين بعثوهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تؤتينا من ورائكم ، فإننا لا ندرى من يريد محمد ! إيانا يريد ، أو هوازن يريد ، أو ثقيف ! وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قريش صلح يوم الحديبية وعهد ومدة ، فكانت بنو بكر فى ذلك الصلح مع قريش ، فاقتلت طائفة من بنى كعب وطائفة من بنى بكر ، وكان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش فى ذلك الصلح الذى اصطلحو عليه : « لا إغلال ولا إسلال » ، فأعانت قريش بنى بكر بالسلح ، فاتهمت بنو كعب قريشاً ، فنها غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة ؛ وفى غزوته تلك لقي أبى سفيان وحكيماً وبدّيلاً بمصر الظهران ؛ ولم يشعروا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل ممرّ ، حتى طلعا ١٦٣٤/١ عليه ، فلما رأوه بمصر ، دخل عليه أبو سفيان وبدّيل وحكيم بمنزله بمصر الظهران فبايعوه ، فلما بايعوه بعثهم بين يديه إلى قريش ، يدعوهم إلى الإسلام ، فأخبرت أنه قال : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن - وهى بأعلى مكة - ومن دخل دار حكيم - وهى بأسفل مكة - فهو آمن ، ومن أغلق بابها وكفّ يده فهو آمن .

وإنه لما خرج أبرمسيان وحكيم من عند النبي صلى الله عليه وسلم عامدين إلى مكة ، بعث فى أثرهما الزبير وأعطاء رابته ، وأمره على خيل المهاجرين والأنصار

وأمره أن يعرّز رايته بأعلى مكة بالتخجّون ؛ وقال للزبير : لا تبرح حيث أمرتك أن تعرّز رايتي حتى آتيك ؛ ومن ثمّ دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمر خالد بن الوليد - فيمن كان أسلم من قُضاعة وبنى سليم وأناس ، إنما أسلموا قبيل ذلك - أن يدخل من أسفل مكة . وبها بنو بكر قد استنفرتهم قريش . وبنو الحارث بن عبد مناة ومن كان من الأحابيش أمرتهم قريش أن يكونوا بأسفل مكة ، فدخل عليهم خالد بن الوليد من أسفل مكة .

وحدثت أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لخالد والزبير حين بعثهما : لا تقاتلا إلاّ من قاتلكما . فلما قدم خالد على بنى بكر والأحابيش بأسفل مكة . قاتلهم فهزمهم الله عز وجل . ولم يكن بمكة قتال غير ذلك ، غير أنّ كُرّز بن جابر أحد بنى محارب بن فهر وابن الأشعر - رجلا من بنى كعب - كانا في خيل الزبير فسلّكا كدّاء ، ولم يسلكا طريق الزبير الذي سلك ، الذي أمر به ^(١) . فقدموا على كتيبة من قريش مهبط كدّاء فقتلوا . ولم يكن بأعلى مكة من قبيل الزبير قتال ؛ ومن ثمّ قدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقام الناس إليه يبايعونه ، فأسلم أهل مكة ، وأقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندهم نصف شهر ، لم يزد على ذلك ، حتى جاءت هوازن وثقيف فزلوا بحنين .

وحدثنا ابن حنبل . قال : حدثنا سلمة . قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين فرّق جيشه من ذي طوى . أمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من كدّاء ؛ وكان الزبير على السجّنة اليسرى ، فأمر سعد بن عباد أن يدخل في بعض الناس من كدّاء . فرغم بعض أهل العلم أن سعداً قال حين وجه داخلا : « اليوم يوم الملاحمة ، اليوم تستحلّ الحرمه » . فسمعا رجلا من المهاجرين . فقال : يا رسول الله ، اسمع ما قال سعد بن عباد . وما تأمن أن تكون له في قريش صولة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي بن أبي طالب : أدركه فخذ الراية ، فكن أنت الذي تدخل بها ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيحٍ في حديثه ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من الليط أسفل مكة ، في بعض الناس ؛ وكان خالد على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم وغِفَار ومزينة وجهية وقبائل من قبائل العرب ؛ وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من أذخير ؛ حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت هنالك قبته ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيحٍ وعبد الله بن أبي بكر ، أن صفوان بن أمية ، وعكرمة ابن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو ، وكانوا قد جمعوا أناساً بالخدمة ليقاتلوا ؛ وقد كان حماسُ بن قيس بن خالد أخو بني بكر يُعدُّ سلاحاً قبل أن يدخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة ويصلح منها ، فقالت له امرأته : لماذا تعيد ما أرى ؟ قال : لحمد وأصحابه ، فقالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخدمَ مَكَّ بعضَهم ، فقال :

إِنْ تَقْبَلُوا الْيَوْمَ فَمَالِي عِلَّةٌ هَذَا سَلَاحٌ كَامِلٌ وَأَلَّةٌ ^(٢)
• وَذُو غِرَارَيْنِ سَرِيعُ السَّلَّةِ ^(٣) .

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل بن عمرو وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد نأوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كُرُزُ ابن جابر بن حِسل بن الأجب بن حبيب بن عمرو بن شيبان بن محارب بن ١٦٣٨/١
فهر ، وحُبَيْش بن خالد ، وهو الأشعر بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس

(٢) الألة : الحربة لها سنان طويل .

(١) ابن هشام : « ثم قال » .

(٣) ذو غرارين : ذو حدين .

ابن حَرَام بن حَبَشِيَّة بن كَسْب بن عمرو ؛ حليف بني منقذ - وكانا في خيل خالد بن الوليد ، فشدَّ آتته ، وسلكا طريقاً غير طريقه ، فقتلا جميعاً - قُتِل خُنَيْس قبل كُرُوز بن جابر ؛ فجعله كُرُوز بين رجله ؛ ثم قاتل حتى قُتِل وهو يرتجز ، ويقول :

قد علمت صفراء من بني فهر^(١) نَقِيَّةُ الْوَجْهِ نَقِيَّةُ الصُّدْرِ
لأُضْرِينَ الْيَوْمَ عن أَبِي صَخْرٍ .

وكان خُنَيْس يكنى بأبي صَخْرٍ ؛ وأصيب من جُهَيْنَةَ سَلَمَةَ بن المَيْلَاء من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين أناسٌ قريب من اثني عشر أو ثلاثة عشر . ثم انهزموا ، فخرج حِمَاسٌ منهزمًا ؛ حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلqi على بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

١٦٣٩/١ إنك لو شهدت يوم الخندمة إذ فرَّ صفوان وفرَّ عكرمة
وأبو يزيد قائمٌ كاللؤيمة^(٢) وأستقبلتهم بالسيوف المُلَمَّة
يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجُمُجَّة ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غَمْغَمَةً^(٣)
لهم نهيتٌ خلفنا وهممة^(٤) لم تنطقي في اللؤم أدنى كلمة^(٥)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين حين أمرهم أن يدخلوا مكة ؛ ألا يقتلوا أحداً إلا من قاتلهم ؛ إلا أنه قد عهد في نفر سِتْماهم ؛ أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ؛ منهم عبد الله بن سعد

(١) قال السهيلي : « أشار بقوله : « صفراء » ، إلى صفرة الخلق » .

(٢) قوله : « أبو يزيد » ، يقلب الهمزة من « أبو » ألفاً ساكنة ؛ وهو سهيل بن عمرو خطيب قريش . المؤنثة : المرأة التي لها أيتام ؛ والأعراف فيها مؤنث مثل مطلق . وفي ط : « كالماتمة » ، والنصواب ما أثبتته من ابن هشام . وانظر الروض الأنف .

(٣) الغمغمة : أصوات غير مفهومة لاختلاطها .

(٤) النهيت : صوت في الصدر ، راضمة مثله .

(٥) الخبر والرجز في ابن هشام ٢ . ٢٧٢

ابن أبي سرح بن حُبَيْب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حِسل بن عامر ابن لؤي - وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله، لأنه كان قد أسلم فارتدَّ مشركاً ، ففرَّ إلى عُثْمَانَ ، وكان أخاه من الرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمان أهل مكة ، فاستأمن له رسول الله ، فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمَّتْ طويلاً ، ثم قال : نعم ؛ ١٦٤٠/١ فلما انصرف به عثمان ، قال رسول الله لمن حوله من أصحابه : أما والله لقد صمَّتْ ليقومَ إليهِ بعضكم فيضرب عنقه ! فقال رجلٌ من الأنصار : فهلاً أومأتَ إلى يا رسول الله ! قال : إن النبي لا يقتل بالإشارة - وعبد الله بن خططل ، رجلٌ من بني تميم بن غالب - وإنما أمر بقتله لأنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً^(١) ، وبعث معه رجلاً من الأنصار ؛ وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً ، فتنزل منزلاً ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، ويصنع له طعاماً ، ونام فاستيقظ ولم يصنع له شيئاً ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتدَّ مشركاً ؛ وكانت له قيتان : فترتي وأخرى^(٢) معها ، وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر بقتلهما معه - والحويرث بن نُقَيْد بن وهب بن عبد بن قصي ، وكان ممن يؤذيه بمكة ، ومقيس بن صُبابَة - وإنما أمر بقتله لقتله الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مرتداً - وعكرمة بن أبي جهل ، وسارة مولاة كانت لبعض بني عبدالمطلب ، وكانت ممن يؤذيه بمكة . فأما عكرمة بن أبي جهل فهرب إلى اليمن ؛ وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له رسول الله فأتمته ؛ فخرجت في طلبه حتى أتته به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان عكرمة يحدث - فيما يذكرون - أن التذي ردة إلى الإسلام بعد خروجه إلى اليمن أنه كان يقول : أردت ركوب البحر لألحق بالحبشة ، فلما أتيت السفينة لأركبها ١٦٤١/١ قال صاحبها : يا عبد الله ، لا تركب سفينتي حتى تؤحِّدَ الله ، وتخلع ما دونه من الأنداد ، فإني أخشى إن لم تفعل أن نهلك فيها ، فقلت : وما يركبه أحدٌ

(١) مصدقاً : جامعاً للصّدقات .

(٢) ابن هشام : « وصاحبها » .

حتى يوحد الله ويخلق ما دونه ! قال : نعم ؛ لا يركبه أحدٌ إلاّ أخلص .
قال : فقلت : فقيم أفاقر محمدًا ! فهذا الذي جاءنا به ، فوالله إنّ إلّنا في
البحر لإلهنا في البر ؛ فعرفت الإسلام عند ذلك ، ودخل في قلبي . وأما عبد الله
ابن خطّل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومي وأبو بزة الأسلمي ، اشتركا في
دمه ، وأما مقيس بن صُبابة فقتله مُمَيْلَةُ بن عبد الله ؛ رجل من قومه ، فقالت
أخت مقيس :

لَعَمْرِي لَقَدْ أَخْزَى مُمَيْلَةُ رَهْطَهُ وَفَجَعَ أَضْيَافَ الشَّتَاءِ بِمَقْيَسِ
فَلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَ مَقْيَسٍ إِذَا النُّفْسَاءُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُخْرِسْ^(١) !

وأما قيتّا ابن خطّل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى حتى استؤمن
لها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمتّها . وأما سارة ، فاستؤمن لها
فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجلٌ من الناس فرسًا له في زمن عمر بن الخطاب
بالأبطح ، فقتلها . وأما الحويرث بن نُقيذ ، فقتله عليّ بن أبي طالب رضي
الله عنه^(٢) .

وقال الواقدي : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل ستة نفر وأربع
نسوة ، فذكر من الرجال مَنْ سَمَاهُ ابن إسحاق ، ومن النساء هند بنت عتبة
ابن ربيعة ، فأسلمت وبايعت ، وسارة مولاة عمرو بن هاشم بن عبد المطلب
ابن عبد مناف ، قتلت يومئذ ، وقُريبة ؛ قتلت يومئذ ، وفترتنى عاشت إلى خلافة
عثمان .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة . عن ابن إسحاق ، عن عمر بن موسى
ابن الوجيه ، عن قتادة السدوسي ؛ أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قام قائمًا
حين وقف على باب الكعبة ، ثم قال : لا إله إلا الله وحده ، لا شريك له ،

(١) لم تخرس : لم يصنع لها طعام عند ولادتها ، واسم ذلك الطعام : خرس وخرسه ، بضم
الخاء ؛ وإنما أرادت به زمن الشدة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٣ .

صَدَقَ وَعْدَهُ، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده. ألا كل مأثرة^(١)، أو دم، أو مال يُدعى؛ فهو تحت قدَمَيَّ هَاتَيْنِ إِلا سِدَانَةُ^(٢) البيت وسِقَايَةُ الْحَاجِّ. أَلَا وَقَتِيلُ الْخَطِيئِ مِثْلُ^(٣) الْعَمْدِ؛ السُّوْطِ^(٤) وَالْعَصَا، فِيهِمَا الدَّيَّةُ مَغْلَظَةٌ [مائة من الإبل]^(٥)، منها أربعون في بطونها وأولادها.

يا معشر قريش؛ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ نَحْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظُمَهَا بِالْآبَاءِ. النَّاسُ مِنْ آدَمَ؛ وَآدَمُ خَلِقَ مِنْ تَرَابٍ. ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾^(٦) الْآيَةَ.

يا معشر قريش، ويا أهل مكة؛ مَا تَرَوْنَ أَتَى فَاعِلٌ بِكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخُ كَرِيمٍ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. ثُمَّ قَالَ: اذْهَبُوا فَأَتَمُّ الْطُلُقَاءِ^(٧).

فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ كَانَ اللَّهُ أَمَكُهُ مِنْ رِقَابِهِمْ عَنُوءَ، وَكَانُوا لَهُ فَيْئًا، فَبِذَلِكَ يَسْمَى أَهْلُ مَكَّةَ الْطُلُقَاءِ. ثُمَّ اجْتَمَعَ النَّاسُ بِمَكَّةَ لِبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَجَلَسَ لَهُمْ - فِيمَا بُلَغْنِي - عَلَى الصَّفَا وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَحْتَ رَسُولِ اللَّهِ أَصْفَلًا مِنْ مَجْلِسِهِ يَأْخُذُ عَلَى النَّاسِ. فَبَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ - فِيمَا اسْتَطَاعُوا - وَكَذَلِكَ كَانَتْ يَبْعُهُ لِمَنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّاسِ عَلَى الْإِسْلَامِ. فَلَمَّا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ بَيْعَةِ الرِّجَالِ بَايَعَ النِّسَاءَ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ نِسَاءُ مِنْ نِسَاءِ قَرِيشٍ: فِيهِنَّ هَنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ، مَتَنَقِّبَةُ مَتَنَكَّرَةٍ لِحَدِيثِهَا وَمَا كَانَ مِنْ صَنِيعِهَا بِحُمَزَةٍ^(٨)، فَهِيَ تَخَافُ أَنْ يَأْخُذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(١) المأثرة: الخصلة التي تتوارث ويتحدث بها الناس. (٢) سدانة البيت: خدمته.

(٣) ابن هشام: «شبه». (٤) ابن هشام: «بالسوط والعصا».

(٥) من ابن هشام. (٦) سورة الحجرات ١٣.

(٧) الخبر إلى هنا في ابن هشام ٢: ٢٧٤. (٨) س: «لحمزة».

عليه وسلم بحدّثها ذلك ، فلما دنونَ منه ليباعنّه قال ، رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — : تبايعنّني على ألاّ تشركن بالله شيئاً ! فقالت هند : والله إنك لتأخذ علينا أمراً ما تأخذه على الرجال وستؤتيكه ، قال : ولا تسرقن ، قالت : والله إن كنت لأصيب من مال أبي سفيان الهنّة والهنّة ، وما أدري أكان ذلك حلالاً لي أم لا ! فقال أبو سفيان — وكان شاهداً لما تقول : أمّا ما أصبت فيما مضى فأنت منه في حلٍّ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وإنك لهند بنت عتبة ! فقالت : أنا هند بنت عتبة ، فاعفُ عما سلف عفا الله عنك ! قال : ولا تزني ، قالت : يا رسولَ الله ، هل تترقى الحرّة ! قال : ولا تقتلن أولادكُن ، قالت : قد ربّيتنهم صغاراً ، وقتلتهم يوم بدر كباراً ، فأنت وهم أعلم ! فضحك عمر بن الخطاب من قولها حتى استغرب^(١) . قال : ولا تأتين ببهتان تفرقن بين أيديكُن وأرجلكُن ، قالت : والله إن إتيان البهتان لقييح ، ولبعض التجاوز أمثل . قال : ولا تعصينني في معروف ، قالت : ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لعمر : بايعهن واستغفر لهن رسولُ الله ، فبايعهن عمر ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يُصافحُ النساء ، ولا يمَسُّ امرأة ولا تمسُّه إلا امرأة أحلتها الله له ، أو ذات محرم منه .

١٦٤٤/١

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبان ابن صالح ، أن بيعة النساء قد كانت على نحوين — فيما أخبره بعض أهل العلم — كان يوضع بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء فيه ماء ، فإذا أخذ عليهن وأعطيتهن غمسَ يده في الإناء ، ثم أخرجها ، فغمس النساء أيديهن فيه . ثم كان بعد ذلك يأخذ عليهن ، فإذا أعطيتهن ما شرط عليهن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن ، لا يريد على ذلك .

* * *

قال الواقدي : فيها قتل خيبر أدس بن أمية الكعبي جُنْدَب بن الأُدَلِيع

(١) استغرب : سأل ، وجمهول : بالغ في الضحك .

المُهَذَّلِيّ - وقال ابن إسحاق : ابن الأَثْوَع الهذليّ - وإنما قتله بدَحْل ، كان في الجاهليّة ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : إنّ خراشاً قتال ؛ إن خراشاً قتال ! يَتَعَيَّبُهُ بذلك ، فأمر النبيّ صلى الله عليه وسلم خَزْرَاعَةَ أن يَدُوهُ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير - قال محمد بن إسحاق : ولا أعلمه إلا وقد حدثني عن عروة بن الزبير - قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدّة ، ليركب منها إلى اليمن ^(١) ، فقال عُمر بن وهب ، يا نبيّ الله ، إنّ صفوان بن أمية سيّد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقتل نفسه في البحر ؛ فأمنه صلى الله عليه ! قال : هو آمين ، قال : يا رسول الله ، أعطيني شيئاً يعرف به أمانك ؛ فأعطاه عمامته التي دخل فيها مكة ؛ فخرج بها عُمر حتى أدركه بجدّة ، وهو يريد أن يركب البحر ، فقال : يا صفوان ، فذاك أبي وأمي ! أذكرك الله في نفسك أن تهلكها ! فهذا أمان من رسول الله قد جئتكم به ، قال : ويلك ! اغرب عني فلا تكلمني ! قال : أي صفوان ! فذاك أبي وأمي ! أفضل الناس ، وأبرّ الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمّتك ، عزّه عزّك ، وشرفه شرفك ، ومملكه ملكك ! قال : إني أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذلك وأكرم ؛ فرجع به معه ، حتى قدّم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال صفوان : إنّ هذا زعم أنك قد أمّنتني ، قال : صدق ، قال : فاجعلني في أمرى بالخيار شهرين ، قال : أنت فيه بالخيار أربعة أشهر ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزّهرى ، أن أمّ حَكِيم بنت الحارث بن هشام وفاخيتة بنت الوليد - وكانت فاخنة عند صفوان بن أمية ، وأمّ حَكِيم عند عكرمة بن أبي جهل - أسلمتا ، فأما أمّ حَكِيم فاستأمنت رسول الله لعكرمة بن أبي جهل ، فأمنه ، فلحقت به باليمن ، فجاءت به ؛ فلما أسلم عكرمة وصفوان ، أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول ^(٣) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٦ .

(١) س : « البحر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٨ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ؛ لما دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مكة هرب هبيرةُ بن أبي وهب المخزومي وعبد الله بن الزُبَيْرِ السَّهْمِيُّ إلى نَجْرَان .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ؛ قال : رمى حسانُ عبد الله بن الزُبَيْرِ وهو بنجران بيت واحد ، ما زاده ^(١) عليه :

لَا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أَحَلَّكَ بَغْضُهُ نَجْرَانًا فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْتِمُ ^(٢)

فلما بلغ ذلك ابنُ الزُبَيْرِ ، رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال حين أسلم :

يَا رَسُولَ الْمَلِكِ إِنَّ لِسَانِي رَاتِقٌ مَا فَتَقْتُ إِذْ أَنَا بُورُ ^(٣)

إِذْ أَبَارَى الشَّيْطَانَ فِي سَنَنِ أَلْرِي حِجٍّ وَمَنْ مَالٌ مَيْلُهُ مَشْبُورُ ^(٤)

أَمَنْ اللَّحْمُ وَالْعِظَامُ لِرَبِّي ثُمَّ نَفْسِي الشَّهِيدُ أَنْتَ النَّذِيرُ

لَإِنِّي عَنْكَ زَاجِرٌ ثُمَّ حَيٌّ ^(٥) مِنْ لَوْيَ فِكُلُّهُمْ مَقْرُورُ

١٦٧/١

وأما هُبَيْرَةُ بنُ أَبِي وَهْبٍ ، فأقام بها كافراً ، وقد قال حين بلغه إسلامُ أمِّ هَانِي بنتِ أَبِي طَالِبٍ وكانت تحبه ، واسمها هند :

أَشَافَنكَ هِنْدُ أُمِّ نَاكَ سَوَّالُهَا كَذَاكَ النَّوَى أَسْبَابُهَا وَانْقَالُهَا ^(٦)

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : وكان جميعُ مَنْ شَهِدَ فَتْحَ مَكَّةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَشْرَةَ آلَافٍ ؛ مِنْ بَنِي غِفَارٍ أَرْبَعَمِائَةٍ ، وَمِنْ أَسْلَمَ أَرْبَعَمِائَةٍ ، وَمِنْ مُزَيْنَةَ أَلْفٍ وَثَلَاثَةَ نَفَرٍ ، وَمِنْ بَنِي سُلَيْمٍ

(١) س : « زاد » . (٢) عيش أحد : قليل منقطع .

(٣) بور : هالك .

(٤) ابن هشام : « سنن الفى » ، والسنن : وسط الطريق . ومشبور : هالك .

(٥) كذا في ابن هشام : وفى ط « لاني عنك ناهى . . . » .

(٦) في أبيات ذكرها ابن هشام مع الخبر في السيرة ٢ : ٢٧٩ .

سبعمائة ، ومن جُهينة ألف وأربعمائة رجل ؛ وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم وطوائف العرب من بني تميم وقيس وأسد^(١) .

• • •

قال الواقدي : في هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم مليكة بنت داود اللثيية ، فجاء إليها بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت لها : ألا تستبحين حين تزوجين رجلاً قتل أباك ! فاستعاذت منه ؛ وكانت جميلة ، وكانت حدثنة ، ففارقها رسول الله ؛ وكان قتل أبائها يوم فتح مكة .

• • •

قال : وفيها هدم خالد بن الوليد العُزَيّ بطن نخلة ، لخمس ليالٍ بقين ١٦٤٨/١ من رمضان ؛ وهو صنم لبني شيبان ؛ بطن من سليم حلفاء بني هاشم ، وبنو أسد بن عبد العزى ، يقولون : هذا صنمنا ، فخرج إليه خالد ، فقال : قد هدمته ، قال : أرايت شيئاً ؟ قال : لا ، قال : فارجع فاهدمه ، فرجع خالد إلى الصنم فهدم بيته ، وكسر الصنم ، فجعل السادن يقول : أعزى أغضبى بعض غضباتك ! فخرجت عليه امرأة حبشية عريانة مؤكولة ، فقتلها وأخذ ما فيها من حلية ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بذلك ، فقال : تلك العزى ، ولا تعبد العزى أبداً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى — وكانت بنخلة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ؛ وكانت سدنتها من بني شيبان ، من بني سليم حلفاء بني هاشم — فلما سمع صاحبها بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسد^(٢) في الجبل الذى هى إليه فأصعد فيه ، وهو يقول :

أيا عزّ شُدّى شُدّة لا شوى لها على خالدٍ ألقى القناعَ وشمرى^(٣)
ويا عزّ إن لم تقتلى اليوم خالداً فبئى يايمٍ عاجلٍ أوتنصرى^(٤)

(٢) أسد في الجبل : ارتفع فيه .

(١) ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .

(٤) بئى : ارجى .

(٣) لا شوى لها ؛ أى لا تقى على شئ .

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١)

* * *

قال الواقدي : وفيها هُدم سُواع ؛ وكان برُهاط لَهْذِيل ، وكان حَجَرًا ؛
 ١٦٤٩/١ وكان الذي هدمه عمرو بن العاص لما انتهى إلى الصتم ، قال له السَّادَن :
 ما تريد ؟ قال : هَدمُ سُواع ، قال : لا تطيق تهديمه ، قال له عمرو بن العاص :
 أنتَ في الباطل بعد ! فهدمه عمرو ، ولم يجد في خزانته شيئاً ، ثم قال عمرو
 للسَّادَن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت والله .
 وفيها هدم مائة بالمشلل ، هدمه سعد بن زيد الأشهلي ، وكان للأوس
 والخزرج .

* * *

[مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك]

وفيها كانت غزوة خالد بن الوليد بنى جذيمة ، وكان من أمره وأمرهم
 ما حدثنا به ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
 قال : قد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث فيما حول مكة السرايا تدعو
 إلى الله عزَّ وجلَّ ؛ ولم يأمرهم بقتال ؛ وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره
 أن يسير بأسفل تِهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلاً ؛ فوطئ بني جذيمة ، فأصاب
 منهم .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنييف ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين ،
 قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة خالد بن الوليد داعياً
 ولم يبعثه مقاتلاً ، ومعه قبائل من العرب : سُلَيم ومُدَلِج ، وقبائل من غيرهم ؛
 فلمَّا نزلوا على الغُمَيْصَاء — وهى ماء من مياه بني جذيمة — بن عامر بن عبد مناة
 ابن كنانة — على جماعتهم ، وكانت بنو جذيمة قد أصابوا في الجاهلية عَوَفَ بن
 ١٦٥٠/١ عبد عوف أبا عبد الرحمن بن عوف والفاكه بن المغيرة — وكانا أقبالا تاجرِين من
 اليمن — حتى إذا نزل بهم قتلوهما ؛ وأخذوا أموالهما ، فلمَّا كان الإسلام ، وبعث

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ، سار حتى نزل ذلك الماء ؛ فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال لهم خالد : ضعوا السلاح ، فإنَّ الناس قد أسلموا^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني بعضُ أهل العلم ، عن رجل من بني جذيمة ، قال : لما أمرنا خالدٌ بوضع السلاح ، قال رجل منا يقال له جَحْدَمٌ : ويلكم يا بني جذيمة ! إنَّه خالد ! والله ما بعد وضع السلاح إلا الإِسار ، ثمَّ ما بعد الإِسار إلا ضرب الأعناق ؛ والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جحدم ؛ أتريد أن تسفك دماءنا ! إنَّ الناس قد أسلموا ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس ؛ فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد ؛ فلما وضعوه أمر بهم خالد عند ذلك فكثفوا ، ثمَّ عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم . فلما انتهى الخبرُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثمَّ قال : اللهمَّ إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد !

ثمَّ دعا عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا عليَّ اخرج إلى هؤلاء القوم ؛ فانظرنى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميكَ . فخرج حتى جاءهم ومعه مالٌ قد بعته رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، فودى لهم الدماء ١٦٥١/١ وما أصيب من الأموال ؛ حتى إنه ليدي مِيلغة^(٢) الكلب ؛ حتى إذا لم يبقَ شيءٌ من دم ولا مال إلا ودَّاه ، بقيت معه بقيةٌ من المال . فقال لهم عليٌّ عليه السلام حين فرغ منهم : هل بقيَ لكم دم أو مال لم يودَ إليكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإني أعطيكُم هذه البقية من هذا المال احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا لا يعلم ولا تعلمون . ففعل ، ثمَّ رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر ، فقال : أصبت وأحسن . ثمَّ قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه ؛ حتى إنه ليُرى بياضُ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٥ .

(٢) المِيلة : شيءٌ يحفر من خشب ويحمل ليغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب النعم وأهل

البادية .

ما تحت منكبيه ؛ وهو يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ، ثلاث مرات !

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً : إنه قال : ما قاتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي ، وقال : إن رسول الله قد أمرك بقتلهم لامتناعهم من الإسلام ، وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا سلاحهم ، ورأى ما يصنع خالد بنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه ^(١) !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي سلمة ، قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن ابن عوف - فيما بلغني - كلام في ذلك ، فقال له : عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ! فقال : إنما تأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن بن عوف : كذبت ! قد قتل قاتل أبي ، ولكنك إنما تأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ؛ حتى كان بينهما شيء ^(٢) ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلاً يا خالد ! دع عنك أصحابي ؛ فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقت في سبيل الله ؛ ما أدركت غدة رجل من أصحابي ولا روحته ^(٣) .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثنا أبي . وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ جميعاً عن ابن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن ابن عبد الله بن أبي حذررد الأسلمي ، عن أبيه عبد الله بن أبي حذررد ، قال : كنت يومئذ في خيل خالد ، فقال لي فتي منهم - وهو في السبي ؛ وقد جمعت يدها إلى عنقه برمة ^(٤) ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يا فتي ! قلت : نعم ؛ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ففائدني بها إلى هؤلاء النسوة ، حتى أقضي

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ . (٢) ابن هشام : « شر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٤ . (٤) الرمة : الحبل البالي .

إليهن حاجة ، ثم تردّتي بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ما سألت ، فأخذت برؤيته فقدته بها حتى أوقفته عليهن ، فقال : اسلمي حبّيش^(١) ، على نقد العيش^(٢) :

أرَيْتِكَ إِذْ طَالَبْتَكُمْ فَوَجَدْتَكُمْ بِجَلِيَّةٍ أَوْ أَلْفَيْتَكُمْ بِالْخَوَانِقِ ! ١٦٥٣/١
أَلَمْ يَكُ حَقًّا أَنْ يُنَوَّلَ عَاشِقُ تَكَلَّفَ إِدْلَاجَ السُّرَى وَالْوَدَائِقِ !^(٣)
فَلَا ذَنْبَ لِي قَدْ قُلْتُ إِذْ أَهْلُنَا مَعًا أَثْبَى بُوْدٍ قَبْلَ إِحْدَى الصَّفَائِقِ !^(٤)
أَثْبَى بُوْدٍ قَبْلَ أَنْ تَشْحَطَ النَّوَى وَيَنَاقِ الْأَمِيرُ بِالْحَبِيبِ الْمَفَارِقِ !^(٥)
فَإِنِّي لَأَسِرُّ لَدَى أَضْعَتِهِ وَلَا رَاقٍ عَيْنِي بَعْدَ وَجْهِكَ رَاقٍ
عَلَى أَنْ مَا نَابَ الْعَشِيرَةَ شَاغِلٌ وَلَا ذِكْرٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَوَامِقٍ
قَالَتْ : وَأَنْتَ فَحُيِّتَ عَشْرًا ، وَسَبْعًا وَتَرًّا ، وَثَمَانِيًا تَتَرَى !^(٦) ثُمَّ انْصَرَفْتُ
بِهِ ، فَقَدَّمْتُ فُضْرِبْتُ عُنُقَهُ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي فiras بن أبي سُنْبُلَةَ الأَسْلَمِيِّ ؛ عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها ، قالوا : قامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبّت عليه ، فما زالت تُقْبِلُهُ حَتَّى مَاتَ عِنْدَهُ .

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزُّهْرِيِّ ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة . ١٦٥٤/١

* * *

قال ابنُ إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليالٍ بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

* * *

(١) حبّيش : مرخم حبشة . (٢) على نقد العيش ؛ يريد على تمامه .

(٣) الإدلاج : السير ليلا . والودائق : جمع وديقة ؛ وهي شدة الحر في الظهيرة .

(٤) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صفيقة .

(٥) تشحط : تبعد . (٦) تترى : متتابعة .

ذكر الخبر عن غزوة

رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن بخنين

وكان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر المسلمين وأمر هوازن ما حدثنا علي بن نصر بن علي الجهضمي وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث - قال علي : حدثنا عبد الصمد ، وقال عبد الوارث : حدثنا أبي - قال : حدثنا أبان العطار . قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة عام الفتح نصف شهر ، لم يزد على ذلك ؛ حتى جاءت هوازن وثقيف ، فنزلوا بخنين - وحنين واد إلى جنب ذى الحجاز - وهم يومئذ عامدون يريدون قتال النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا قد جمعوا قبل ذلك حين سمعوا بمخرج رسول الله من المدينة ، وهم يظنون أنه إنما يريدهم حيث خرج من المدينة ، فلما أتاهم أنه قد نزل مكة ، أقبلت هوازن عامدين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وأقبلوا معهم بالنساء والصبيان والأموال - ورئيس هوازن يومئذ مالك بن عوف أحد بني نصر - وأقبلت معهم ثقيف ؛ حتى نزلوا حنيناً يريدون النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما حدث النبي وهو بمكة أن قد نزلت هوازن وثقيف بخنين ، يسوقهم مالك بن عوف أحد بني نصر - وهو رئيسهم يومئذ - عمد النبي صلى الله عليه وسلم حتى قدم عليهم ، فوافاهم بحنين ، فهزمهم الله عز وجل ، وكان فيها ما ذكر الله عز وجل في الكتاب ؛ وكان الذي ساقوا من النساء والصبيان والماشية غنيمة غنمها الله عز وجل رسوله ، فقسّم أموالهم فيمن كان أسلم معه من قريش .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ؛ جمعها مالك بن عوف النصري ؛ واجتمعت إليه مع هوازن وثقيف كلها ، فجمعت نصر وجشم كلها وسعد بن بكر وناس من بني هلال ؛ وهم قليل ، ولم يشهدا من قيس عيلان إلا هؤلاء . وغابت عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ؛ ولم يشهدا منهم أحد له اسم . وفي جشم دريد بن

الصِّمَّةُ شيخ كبير ؛ ليس فيه شيء إلا التيمّن برأيه ومعرفته بالحرب ، وكان شيخاً كبيراً مجرباً ؛ وفي ثقيف سيدان لهم في الأحلاف : قارب بن الأسود ابن مسعود . وفي بني مالك ذو الخمار سُبَيْع بن الحارث وأخوه الأحمر بن الحارث في بني هلال ، وجماع أمير الناس إلى مالك بن عوف النصرى .

فلما أجمع مالك المسير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حطّ مع الناس ١٦٥٦/١ أموالهم ونساءهم وأبنائهم ؛ فلما نزل بأوطاس ، اجتمع إليه الناس ؛ وفيهم دُرَيْد بن الصِّمَّة في شِجَار^(١) له يُقَادُّ به ؛ فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس . قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرر^(٢) ، ولا سهّل ديس^(٣) ؛ مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير . ويعار الشاء^(٤) . وبكاء الصغير ! قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم ، فقال : أين مالك ؟ فقيل : هذا مالك ، فدعى له . فقال : يا مالك ، إنك قد أصبحتَ رئيس قومك ؛ وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ؛ مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء ، وبكاء الصغير ! قال : سفت مع الناس أبنائهم ونساءهم وأموالهم ، قال : ولیم ؟ قال : أردت أن أجعل خلتك كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم ؛ قال : فأنقض به^(٥) ثم قال : راعى ضأن^(٦) والله ! هل يردّ المنهزم شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه . وإن كانت عليك فضيحت في أهلك ومالك . ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهد منهم أحد ، قال : غاب الجدد والحداء ؛ لو كان يوم علاء ورفعة لم تغيب عنه كعب وكلاب ؛ ولو ددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ؛ فمن شهدا منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر وعوف بن عامر ؛ قال : ذاك الجذعان^(٧) من بني عامر ! لا ينفعان ولا

(١) الشجار : شبه الهودج ؛ إلا أنه مكشوف الأعلى .

(٢) الحزن : المرتفع من الأرض ، والفرس : الذى فيه حجارة محددة .

(٣) الدهس : التبييض الكثير التراب . (٤) الأغنى : ثناء الشاء .

(٥) أنقض به : أى رجزه . (٦) فى الأغنى : أى أحق .

(٧) الجذعان : الشاب الحداد .

١٦٥٧/١ يضرّان، يا مالك إنّا لم تصنع بتقديم البيضة ؛ بيضة هوازن، إلى ثُحور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى متمنّع^(١) بلادهم وعلّيا قومهم ؛ ثم الق الصبّاء^(٢) على متُون الخيل ، فإن كانت لك لحيق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك . قال : والله لا أفعل ، إنك قد كبرت وكبير علمك ؛ والله لتطيعنني يا معشر هوازن أو لأتكنن^(٣) على هذا السيف حتى يخرج من ظهري ! وكره أن يكون لدريد فيها ذكر ورأي . قال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ؛ ولم يتهنئي :

يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعٌ أَخْبَ فِيهَا وَأَضَعُ^(٣)
أَقُودُ وَطَفَاءَ الزَّمْعِ كَأَنّهَا شَاةٌ صَدَعُ^(٤)

وكان دريد رئيس بني جُشَم وسيدهم وأسطهم ؛ ولكن السن أدركته حتى فتني - وهو دريد بن الصمة بن بكر بن علقمة بن جداعة بن غزيرة ابن جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن - ثم قال مالك للناس : إذا أنتم رأيتم القوم فاكسروا جفون سيوفكم ، وشدوا شدّة رجل واحد عليهم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أمية ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ؛ أنه حدث أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله لينظروا له ، ويأتوه بخبر الناس ؛ فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ قالوا : رأينا رجالاً بيضاً على خيل بلق ؛ فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ! فلم ينهه ذلك عن وجهه ؛ أن مصي على ما يريد^(٦) .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث

(١) الأغاني : « أعلى بلادهم » .

(٢) الصبّاء : جمع صاب ؛ وهم المسلمون عندهم ؛ كانوا يسمونهم بذلك ؛ لأنهم صبّوا من دينهم ، أي خرجوا .

(٣) الحجب والوضع : ضربان من السير .

(٤) الطفاء : الطويلة الشعر ، والزمع : الشعر الذي فوق مربوط الدابة .

(٥) الخبر في ابن هشام ٢ : ٢٨٧ ، والأغاني ١٠ : ٣٠ - ٣٢ (طبع دار الكتب) .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ .

إليهم عبد الله بن أبي حذرد الأسلمي ، وأمره أن يدخل في الناس فيقيم
فيهم حتى يأتيه بخبر منهم ؛ ويعلم من علمهم . فانطلق ابن أبي حذرد ،
فدخل فيهم ، فأقام معهم حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حَرْب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعلم أمر مالك وأمر هوازن وما هم عليه . ثم أتى
رسول الله ، فأخبره الخبر ؛ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ،
فأخبره خبير ابن أبي حذرد ، فقال عمر : كذب ! فقال ابن أبي حذرد :
إن تكذبني فطالما كذبت بالحق يا عمر ! فقال عمر : ألا تسمع يا رسول
الله إلى ما يقول ابن أبي حذرد ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت
ضالاً فهداك الله يا عمر^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
قال : حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن حسين ، قال : لما أجمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم السَّيْرَ إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان
بن أمية أدراعاً وسلاحاً ، فأرسل إليه ، فقال : يا أبا أمية - وهو يومئذ مشرك -
أعيرنا سلاحك هذا نلتقي فيه عدونا غداً . فقال له صفوان : أغضباً يا محمد!
قال : بل عارية مضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه
مائة درع بما يصلحها من السلاح ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
سأله أن يكفيه حملها ففعل^(٢) .

قال أبو جعفر محمد بن علي : فضت السنة أن العارية مضمونة مؤداة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله
ابن أبي بكر ، قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومعه ألفان
من أهل مكة ، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين فتح الله بهم مكة ، فكانوا
اثني عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتَّاب بن أسيد
ابن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة أميراً على من غاب عنه من
الناس ، ثم مضى على وجهه يريد لقاء هوازن^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٧ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٨ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما
استقبلنا وادي حنين ، انحدرنا في وادٍ من أودية تِهامة أجوف ^(١) حَطُوط ،
إنما نتحدر فيه انحداراً — قال : وفي عَمَامة ^(٢) الصبح ، وكان القوم قد سبقوا
إلى الوادي ، فكتموا لنا في شِعَابِه وأحنائه ومضايقه ، قد أجمعوا وتبشروا
وأعدوا — فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلاّ الكتاب قد شدت علينا شدة
رجل واحد ؛ وانهمز الناس أجمعون ، فانشمروا ^(٣) لا يلوي أحدٌ على أحد ؛
وانحاز رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس !
هلم إلىّ ! أنا رسولُ الله ، أنا محمد بن عبد الله ! قال : فلا شيء ، احتملت
الإبل بعضها بعضاً ، فانطلق الناس ؛ إلاّ أنه قد بقي مع رسولِ الله صلى الله
عليه وسلم نفرٌ من المهاجرين والأنصار وأهل بيته . وممن ثبت معه من المهاجرين
أبو بكر ، وعمر ، ومن أهل بيته عليُّ بن أبي طالب ، والعبّاس بن عبد المطلب ،
وابنُه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث ، وربيعه بن الحارث ، وأيّمن بن
عبيد — وهو أيمن بن أمّ — وأسامة بن زيد بن حارثة . قال : ورجل من
هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل ، أمام الناس
وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاتته الناس رفع رمحه لمن وراءه ؛
فاتبعوه . ولما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
من جفّة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجالٌ منهم بما في أنفسهم من الضغن ،
فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ؛ والأزلام معه في
كنانته ؛ وصرخ كَلْدَةُ بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أميّة بن
خكف وكان أخاه لأمه ، وصفوان يومئذ مشرك في المدة التي جعل له رسول الله
صلى الله عليه وسلم — فقال : ألا بطل السحرُ اليوم ! فقال له صفوان : اسكت
فَصَّ اللهُ فاك ! فوالله لأنّ يَرُبَّنِي رجلٌ من قريش أحبُّ إلىّ من أن يَرُبَّنِي

(١) أجوف : متسع . (٢) عَمَامة الصبح : ظلامه قبل أن يتبين .

(٣) انشمر الناس : انفضوا وانهمزوا .

رجل من هوازن ! وقال شيبه بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدركُ ثأري - وكان أبوه قُتل يوم أحد - اليوم أقتل محمداً . قال : فأردت رسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادى فلم أطلق ذلك ، وعلمت أنه قد منع مني ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بحكمة ^(٢) بغلته البيضاء ، قد شجرتها ^(٣) بها ، قال : وكنت امرأة جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى من الناس ما رأى : أين آيتها الناس ! فلما رأى الناس لا يلبثون على شيء قال : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب السمرّة ! فناديت : يا معشر الأنصار ، يا معشر أصحاب السمرّة ! قال : فأجابوا : أن لبّيك لبّيك ! قال : فيذهب الرجل منهم يريد لبثي بعيره ؛ فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه . ثم يقتحم عن بعيره فيخلّي سبيله في الناس ، ثم يؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل استقبلوا الناس . فاقتلوا ، فكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار ! ثم جعلت أخيراً : يا للخزرج ! وكانوا صبراً عند الحرب ؛ فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركابه ، فنظر مجتلكد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمي الوطيس ^(٤) !

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مصعب بن المقدم ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كان أبو سفيان بن الحارث يقود بالنبي صلى الله عليه وسلم بغلته يوم حنين ، فلما

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٨٩ .

(٢) الحكمة محرّكة : ما أحاط بحكمة بغلته من لجامه .

(٣) شجرتها بها : أي وضعها في شجرها ؛ وهو مجتمع العين .

(٤) الوطيس : التنور يخبز فيه . والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

غَشِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُشْرِكُونَ ، نَزَلَ فَجَعَلَ يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبَ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ

فَارْتَأَى مِنَ النَّاسِ أَشَدَّ مِنْهُ . .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَاصِمِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : بَيْنَمَا ذَلِكَ الرَّجُلُ مِنْ هَوَازِنَ صَاحِبِ الرَّايَةِ عَلَى جَمَلِهِ يَصْنَعُ مَا يَصْنَعُ ؛ إِذْ هَوَىٰ لَهُ عَلَىَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، يَرِيدَانِهِ ، فَيَأْتِيهِ عَلَىَّ مِنْ خَلْفِهِ ، فَيَضْرِبُ عِرْقُوبِي الْجَمَلَ ، فَوَقَعَ عَلَى عَجْزِهِ ، وَوَثَبَ الْأَنْصَارِيُّ عَلَى الرَّجُلِ فَضْرِبَهُ صَرْبَةً أَطَنَّ قَدَمَهُ ^(١) بِنِصْفِ سَاقِهِ ، فَانْجَعَفَ ^(٢) عَنْ رَحْلِهِ . قَالَ : وَاجْتَلَدَ النَّاسُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَجَعْتُ رَاجِعَةً النَّاسُ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ حَتَّى وَجَدُوا الْأَسَارَى مَكْتَفِينَ ؛ وَقَدْ التَفَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ ابْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ - وَكَانَ مَمْتَنًّا صَبْرًا يَوْمئِذٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ حِينَ أَسْلَمَ ، وَهُوَ آخِذٌ بِثَقَرٍ ^(٣) بَغْلَتِهِ - فَقَالَ : مِنْ هَذَا ؟ قَالَ : ابْنُ أُمِّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(٤) !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التَفَتَ ، فَرَأَى أُمَّ سَلِيمَ بِنْتَ مِلْحَانَ - وَكَانَتْ مَعَ زَوْجِهَا أَبِي طَلْحَةَ - حَازِمَةً وَسَطَهَا بَبُرْدٌ لَهَا ؛ وَإِنْتَهَا لِحَامِلٌ بَعْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ، وَمَعَهَا جَمَلٌ أَبِي طَلْحَةَ ، وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَعْزَّزَهَا ^(٥) الْجَمَلُ ، فَأَدْنَتُ رَأْسَهُ مِنْهَا ، فَأَدْخَلْتُ يَدَهَا فِي خِزَامَتِهِ ^(٦) مَعَ الْخِطَامِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أُمُّ سَلِيمِ ! قَالَتْ : نَعَمْ ؛

(١) أَطَنَّ قَدَمَهُ : أَطَارَهَا ؛ وَصَمَّ لَضَرْبِهِ طَيْنٌ ؛ أَيْ دَوَّى .

(٢) انْجَعَفَ عَنْ رَحْلِهِ : سَقَطَ عَنْهُ صَرِيحًا .

(٣) الثَقَرُ : السَّيْرُ فِي مَوْخَرِ السَّرَجِ .

(٤) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٩٠ .

(٥) يَعْزَّزُهَا : يَغْلِبُهَا .

(٦) الْخِزَامَةُ : حَلْقَةٌ مِنْ شَعْرِ تَجْعَلُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ .

بأنى أنت وأمتى يا رسول الله ! اقتُلْ هؤلاء الذين يفرُّون عنك كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهلٌ ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفى الله يا أمّ سليم ! ومعها خنجر فى يدها ، فقال لها أبو طلحة : ما هذا معك يا أمّ سليم ؟ قالت : خنجر أخذته معى ؛ إن دنا منى أحدٌ من المشركين بعجنته به ^(١) . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع ما تقول أمّ سليم يا رسول الله ! ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني حماد بن سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، عن أنس ابن مالك ، قال : لقد استلبَ أبو طلحة يوم حنين عشرين رجلاً وحده هو قتلهم ^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، أنه حدث عن جُبَيْر بن مُطْعِم ، قال : لقد رأيتُ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون مثلَ البِجَادِ ^(٤) الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ؛ فنظرت فإذا نملٌ أسود مبعوثٌ قد ملأ الوادى ؛ فلم أشك أنها الملائكة ، ولم يكن إلا هزيمة القوم ^(٥) .

١٦٦٤/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فلما انهزم هوازن استحرّ القتل من ثَقِيف بنى مالك ، فقتل منهم سبعون رجلاً تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيْب ؛ جدُّ ابن أمّ حَكَم بنت أبى سفيان ، وكانت رايتهم مع ذى الخِمار ، فلما قُتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قُتل ^(٦) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عامر بن وهب بن الأسود بن مسعود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلُ عثمان ، قال : أبعدَه الله ! فإنه كان يبغي قريشاً ^(٧) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٠ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ .

(١) بجمع بطنه : شقّه .

(٣) البجاد : الكساء .

حدثنا علي بن سهل ، قال : حدثنا مؤمل ، عن عمار بن زاذان ، عن ثابت ، عن أنس . قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين على بغلة بيضاء ، يقال لها 'دلدل' ، فلما انهزم المسلمون ، قال النبي صلى الله عليه وسلم لبغلته : البدي (١) 'دلدل' ! فوضعت بطنها على الأرض ، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم حفنة من تراب ، فرمى بها في وجوههم ، وقال : «حم لا ينصرون !» . فولى المشركون مدبرين ، ما ضرب بسيف ولا طعن برمح ولا رمى بسهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، قال : قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصراني أغر (٢) . قال : فينا رجل من الأنصار يستلب قتلى من ثقيف ، إذ كشف العبد ليستلبه ، فوجده أغر ، فصرخ بأعلى صوته : يعلم الله أن ثقيفاً غرل ما تخين ! قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا في العرب ، فقلت : لا تقل ذلك فذاك أبي وأمي ! إنما هو غلام لنا نصراني ، ثم جعلت أكشف له قتلانا فأقول : ألا تراهم مخنين ! قال : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود بن مسعود ، فلما هزم الناس أسند رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يقتل منهم إلا رجلان ، رجل من بني غيرة يقال له وهب ، وآخر من بني كنة (٣) يقال له : الجلاح ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ! إلا ما كان من ابن هنيذة - وابن هنيذة الحارث بن أوس (٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما انهزم المشركون أتوا الطائف ، ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة - ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف - فنبعث خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك في نخلة

(١) البدي : أمر من لبد بالمكان إذا لزمه فلم يبرحه .

(٢) أغرل : غير مخنون . (٣) ابن هشام : « كبة » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩١ ، ٢٩٢ ، وفيه « الحارث بن أريس » .

من الناس ، ولم تتبع مَنْ سَلَكَ الثَّيَابَا ، فَأَدْرَكَ رِبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعٍ بْنُ أُمَيَّانَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ رِبِيعَةَ بْنِ يَرْبُوعَ بْنِ سَمَّالَ بْنِ عَوْفِ بْنِ أُمْرِئِ الْقَيْسِ — وَكَانَ يُقَالُ لَهُ ابْنُ لَذْعَةَ^(١) وَهِيَ أُمُّهُ ، فَغَلَبَتْ عَلَى نَسَبِهِ — دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ ، فَأَخَذَ ١٦٦٦/١ بِخِطَامِ جَمَلِهِ ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ امْرَأَةٌ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ فِي شَجَارٍ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ، فَأَنَاحَ بِهِ ، وَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ كَبِيرٍ ، وَإِذَا هُوَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ، لَا يَعْرِفُهُ الْغُلَامُ ، فَقَالَ لَهُ دُرَيْدٌ : مَاذَا تَرِيدُ بِي ؟ قَالَ : أَقْتُلُكَ ، قَالَ : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : أَنَا رِبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعِ السَّامِيِّ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا ، فَقَالَ : بَشِمَا سَلَحَتِكَ أَمْكُ ! خَذْ سَيْفِي هَذَا مِنْ مَوْخِرِ الرَّحْلِ فِي الشَّجَارِ ، ثُمَّ اضْرِبْ بِهِ وَارْفَعْ عَنِ الْعِظَامِ ، وَاخْفُضْ عَنِ الدِّمَاغِ . فَإِنِّي كَذَلِكَ كُنْتُ أَقْتُلُ الرِّجَالَ . ثُمَّ إِذَا آتَيْتَ أَمَّكَ فَأَخْبِرْهَا أَنَّكَ قَتَلْتَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ ، فَرُبَّ يَوْمٍ وَاللَّهِ قَدْ مَنَعَتْ نِسَاءً ! فَزَعَمَتْ بَنُو سُلَيْمٍ أَنَّ رِبِيعَةَ قَالَ : لَمَّا ضَرَبْتُهُ فَوَقَعَ تَكَشَّفَ الثَّوْبُ عَنْهُ ، فَإِذَا عِجَانُهُ وَبَطْنُونَ فَخِذَيْهِ مِثْلَ الْقِرَاطِاسِ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ أَعْرَاءَ^(٢) . فَلَمَّا رَجَعَ رِبِيعَةُ إِلَى أُمِّهِ أَخْبَرَهَا بِقَتْلِهِ إِيَّاهُ ، فَقَالَتْ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَعْتَقْتُ أُمَّهَاتٍ لَكَ ثَلَاثًا^(٣) .

* * *

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي آثَارِ مَنْ تَوَجَّهَ قِبَلَ أَوْطَاسَ ، فَحَدَّثَنِي مُوسَى بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْكِنْدِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، عَنْ بُرَيْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ . قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ حُنَيْنٍ بَعَثَ أَبَا عَامَرَ عَلَى جَيْشٍ إِلَى أَوْطَاسَ ، فَلَقِيَ دُرَيْدَ بْنَ الصَّمَّةِ . فَقَتَلَ دُرَيْدًا ، وَهَزَمَ اللَّهُ أَصْحَابَهُ . ١٦٦٧/١

قَالَ أَبُو مُوسَى : فَبِعَنِيَّ مَعَ أَبِي عَامَرَ ، قَالَ : فَرُمِيَ أَبُو عَامَرَ فِي رُكْبَتِهِ ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي جُشَمٍ بِسَهْمٍ فَأَثْبَتَهُ فِي رُكْبَتِهِ ، فَانْتَهَيْتَ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : يَا عَمَّ ، مَنْ رَمَاكَ ؟ فَأَشَارَ أَبُو عَامَرَ لِأَبِي مُوسَى ، فَقَالَ : إِنَّ ذَاكَ قَاتِلِي ، تَرَاهُ ذَلِكَ الَّذِي رَمَانِي !

(١) ابْنُ هِشَامٍ : « الدَّفْعَةُ » . (٢) أَعْرَاءُ : جَمْعُ عَرَى وَهُوَ الْفَرَسُ الَّذِي لَا يَسْرُجُ .

(٣) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٢٩٣ ، وَالْأَغَانِي ١٠ : ٣١ ، ٣٢ .

قال أبو موسى : فقصدت له فاعتمدته ، فلهحقته ، فلما رآني ولّني
عني ذاهباً ، فاتبعته ، وجعلت أقول له : ألا تستحي ! ألسنت عريباً ! ألا
تثبت ! ففكر ، فالتقيت أنا وهو ، فاختلفنا ضربتين ، فضربته بالسيف ،
ثم رجعت إلى أبي عامر ، فقلت : قد قتل الله صاحبك ، قال : فانزع هذا السهم ،
فترعته فترأ منه الماء ، فقال : يا بن أخي ، انطلق إلى رسول الله ، فأفرغه مني
السلام ، وقل له إنه يقول لك : استغفر لي .

قال : واستخلفني أبو عامر على الناس فمكث يسيراً . ثم إنه مات .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
يزعمون أن سلمة بن دُرَيْد ، هو الذي رى أبا عامر بسهم فأصاب رُكْبته ،
فقتله ، فقال سلمة بن دُرَيْد في قتله أبا عامر :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي سَلَمَةٌ ابْنُ سَمَادِيرَ لَمَنْ تَوَسَّعَ^(١)
أَضْرِبُ بِالسَّيْفِ رِءُوسَ الْمُسْلِمَةِ *

وسمادير أم سلمة ، فانتفى إليها .

قال : وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف في فوارس من قومه
على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قِفُوا حَتَّى تَمْضِيَ ضُعَفَاؤُكُمْ وَتَلْحَقَ
أَخْرَاكُمْ ؛ فوقف هنالك حتى مضى مَنْ كَانَ لَحِقَ بِهِمْ مِنْهُمْ مِنْهُمْ^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني بعضُ بني سعد بن بكر ، أن رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم قال يومئذ لخليله التي بعث : إن قدرتم على بجاد—رجل من بني سعد
ابن بكر— فلا يفلتكم ؛ وكان بجاد قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون
ساقوه وأهله ، وساقوا أخته الشَّيْثَاء بنت الحارث بن عبد الله بن عبد العزى ،
أخت رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فغنقوا عليها في السياق معهم ،

(١) توسمه : استدل عليه وعرفه .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٣ .

فَقَالَتِ لِلْمُسْلِمِينَ : تَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنِّي لَأَخْتُ صَاحِبِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ ؛ فَلَمْ يُصَدِّقُوهَا حَتَّى أَتَوْا بِهَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ أَبِي وَجْزَةَ يَزِيدُ بْنُ عُبَيْدِ السَّعْدِيِّ ، قَالَ : لَمَّا انْتَهَى بِالشَّيْمَاءِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنِّي أَخْتُكَ ، قَالَ : وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ ؟ قَالَتْ عَقْصَةٌ عَضِضْتُهَا فِي ظَهْرِي وَأَنَا مُتَوَرِّكْتُكَ . قَالَ : فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْعَلَامَةَ ، فَبَسَطَهَا رِذَاءَةً ، ثُمَّ قَالَ : هَا هُنَا ، فَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ ، وَخَيَّرَهَا ، وَقَالَ : إِنْ أَحْبَبْتَ فَعِنْدِي 'مُحِبَّةٌ' مَكْرَمَةٌ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ أَمْتَعُكَ وَتَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكَ ، قَالَتْ : بَلْ تَمْتَنِي وَتَرُدَّنِي إِلَى قَوْمِي ، فَفَتَحَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَرَدَّهَا إِلَى قَوْمِهَا ؛ فَزَعَمَتْ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ أَنَّهُ أَعْطَاهَا غِلَامًا لَهُ يُقَالُ لَهُ مَكْحُولٌ ، وَجَارِيَةٌ ؛ فَزَوَّجَتْ أَحَدَهُمَا الْآخَرَ ، فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ مِنْ نَسْلِهِمَا بَقِيَّةٌ ^(١) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : اسْتَشْهَدَ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ : أَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ - وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنٍ ، مَوْلَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى يَزِيدُ بْنُ زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمَطْلَبِ بْنِ أَسَدٍ - جَمَعَ بِهِ فَرَسٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ الْجَنَاحُ ، فَقُتِلَ - وَمِنْ الْأَنْصَارِ سُرَّاقَةُ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ عَدِيٍّ بْنِ بَلْعَجَلَانَ ، وَمِنْ الْأَشْعَرِيِّينَ أَبُو عَامِرٍ الْأَشْعَرِيُّ . ثُمَّ جُمِعَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ سَبَايَا حُنَيْنٍ وَأَمْوَالُهَا ؛ وَكَانَ عَلَى الْمَغَانِمِ مَسْعُودُ بْنُ عَمْرٍو الْقَارِي ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالسَّبَايَا وَالْأَمْوَالِ إِلَى الْجِعْرَانَةِ فَحَبِسَتْ بِهَا ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : لَمَّا قَدِمَ فَلَ ^(٣) ثَقِيفَ الطَّائِفِ أَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ مَدِينَتِهَا ، وَصَنَعُوا الصَّنَائِعَ لِلْقِتَالِ ؛ وَلَمْ يَشْهَدْ حُنَيْنًا وَلَا حَصَارَ الطَّائِفِ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ وَلَا غَيْلَانُ بْنُ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٣) الفل : الجماعة المهزومون من الجيش .

سلمة ؛ كانا بجَرْش يتعلَّمان صنعة الدِّبَاب^(١) والضمُّور^(٢) والمجانيق^(٣) .

• • •

[غزوة الطائف]

فحدثنا عليّ بن نصر بن عليّ ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبي ، قال : أخبرنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : سار رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يوم حُنين من فوره ذلك - يعني منصرفه^(٤) - من حنين - حتى نزل الطائف ، فأقام نصف شهر يقاتلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقتلتهم ثقيف من وراء الحصن ؛ لم يخرج إليه في ذلك أحدٌ منهم ؛ وأسلم من حوهم من الناس كلَّهم ؛ وجاءت رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وفودهم ؛ ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يحاصرهم إلا نصف شهر حتى نزل الجِعْرانة ؛ وبها السبى الذى سبى رسولُ الله من حُنين من نسائهم وأبنائهم - ويزعمون أن ذلك السبى الذى أصاب يومئذ من هوازن كانت عدته ستة آلاف من نسائهم وأبنائهم - فلما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الجِعْرانة ، قدمت عليه وفود هوازن مُسلمين ، فأعتق أبناءهم ونساءهم كلَّهم ، وأهل بعُمرَة من الجِعْرانة ؛ وذلك فى ذى القعدة . ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة ، واستخلف أبا بكر رضى الله تعالى عنه على أهل مكة ، وأمره أن يقيم للناس الحج ، ويعلم الناس الإسلام . وأمره أن يؤمّن من حجّ من الناس ؛ ورجع إلى المدينة ؛ فلما

(١) فى ابن هشام : « الدبابات » قال السبيل : « الدبابة : آلة من آلات الحرب ، يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها » . وقال أبو ذر الحثي : « الدبابات : آلات تصنع من خشب وتغشى بجلود ويدخل فيها الرجال ويتصلون بمخاط الحصن » .

(٢) قال السبيل : « الضمور : مثل رموس الأسفاط ، يتق بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى كتاب العين : الضمور : جلود يغشى بها خشب يتق بها الحرب » .

(٣) المجانيق : جمع منجنيق ؛ وهى من آلات الحصار ترمى بها الحجارة الثقيلة . والخبر فى

سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠١ .

(٤) و : « من منصرفه » .

قَدِمَ مَعَهَا قَدِيمٌ عَلَيْهِ وَفُودٌ ثَقِيفٌ ، فَقَاضَوْهُ عَلَى الْقَضِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْتُ ؛ فَبَايَعُوهُ ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي عِنْدَهُمْ كَاتَبُوهُ عَلَيْهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَلَكَ إِلَى الطَّائِفِ مِنْ حُنَيْنٍ عَلَى نَخْلَةِ الْيَمَانِيَّةِ ، ثُمَّ عَلَى قَرْنٍ ، ثُمَّ عَلَى الْمُلَيْحِ ، ثُمَّ عَلَى بَحْرَةِ الرُّغَاءِ مِنْ لَيْمَةِ ، فَابْتَنَى بِهَا مَسْجِدًا ، فَصَلَّى فِيهِ ، فَأَقَادَ يَوْمَئِذٍ بِبَحْرَةِ الرُّغَاءِ حِينَ نَزَلَهَا بَدَمٌ - وَهُوَ أَوَّلُ دَمٍ أُقِيدَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ - رَجُلًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ ؛ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ هَذِيلٍ ، فَقَتَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ وَهُوَ بِلَيْمَةِ بِحَصْنِ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ فَهُدِمَ ؛ ثُمَّ سَلَكَ فِي طَرِيقٍ يُقَالُ لَهَا الضِّيْقَةُ ، فَلَمَّا تَوَجَّهَ فِيهَا ، سَأَلَ عَلَى اسْمِهَا ، فَقَالَ : مَا اسْمُ هَذِهِ الطَّرِيقِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : الضِّيْقَةُ ، فَقَالَ : بَلْ هِيَ الْيَسْرَى . ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى نَخْصٍ ؛ حَتَّى نَزَلَ تَحْتَ سِدْرَةٍ يُقَالُ لَهَا الصَّادِرَةُ ، قَرِيبًا مِنْ مَالِ رَجُلٍ مِنْ ثَقِيفٍ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِمَّا أَنْ تَخْرُجَ ؛ وَإِمَّا أَنْ نُخْرِبَ عَلَيْكَ حَائِطُكَ ؛ فَأَبَى أَنْ يَخْرُجَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِإِخْرَاجِهِ ^(١) .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الطَّائِفِ ؛ فَضَرَبَ عَسْكَرُهُ ، فَقَتَلَ أَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبِيلِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَسْكَرَ اقْتَرَبَ مِنْ حَائِطِ الطَّائِفِ فَكَانَتْ النَّبِيلُ تَنَالُهُمْ ، وَلَمْ يَقْدِرِ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَدْخُلُوا حَائِطَهُمْ ، غَلَقُوهُ دُونَهُمْ ؛ فَلَمَّا أَصِيبَ أُولَئِكَ التَّنَفُّرُ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالنَّبِيلِ ، ارْتَفَعَ ، فَوَضَعَ عَسْكَرُهُ عِنْدَ مَسْجِدِهِ الَّذِي بِالطَّائِفِ الْيَوْمَ ؛ فَحَاصَرَهُمْ بَضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً ^(٢) ؛ وَمَعَهُ امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِهِ ؛ إِحْدَاهُمَا أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةٍ وَأُخْرَى مَعَهَا - قَالَ الْوَاقِدِيُّ : الْأُخْرَى زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ - فَضَرَبَ لَهَا قَبَتَيْنِ ، فَصَلَّى بَيْنَ الْقَبَتَيْنِ مَا أَقَامَ .

(١) س : « بِإِخْرَاجِهِ » .

(٢) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : « وَيُقَالُ : سَبْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً » .

فلما أسلمت ثقيف ، بنى على مصلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أبو أمية بن عمرو بن وهب بن مُعْتَب بن مالك مسجداً ، وكانت في ذلك المسجد سارية - فيما يزعمون - لا تطلع عليها الشمس يوماً من الدهر ؛ إلا سُمع لها نقيض ^(١) ؛ فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالاً شديداً ، وتراموا بالنبل ^(٢) حتى إذا كان يوم الشدّة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابه ؛ ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد مُحمّاة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، وقتلوا رجالاً ؛ فأمر رسول الله بقطع أعناب ثقيف ، فوقع فيها الناس يقطعون .

وتقدّم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف . فناديا ثقيفاً : أن آمنونا حتى نكلّمكم ! فأمتوهما ؛ فدعوا نساء من نساء قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما - وهما يخافان عليهن السباء - فأبينّ ؛ منهن آمنة بنت أبي سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود له منها داود بن عروة وغيرها ^(٣) .

وقال الواقدي : حدثني كثير بن زيد ، عن الوليد بن رباح ، عن أبي هريرة ، قال : لما مضت خمس عشرة من حصار الطائف ، استشار رسول الله نوفل بن معاوية الديلي ، وقال : يا نوفل ، ما تَرى في المقام عليهم ؟ قال : يا رسول الله ؛ ثلث في جحر ؛ إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرّك .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر بن أبي قحافة ، وهو محاصرٌ ثقيفاً بالطائف : يا أبا بكر ، إنى رأيت ^(٤) أنه أهديت لي قعبة ^(٥) ؟

(١) النقيض : الصوت .

(٢) قال ابن هشام : «ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق ؛ حدثني من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ .

(٤) و : « أريت » . (٥) القعبة : القدح .

مملوءة زُبْدًا ، فنقرّها ديكٌ فأهراق ما فيها ؛ فقال أبو بكر : ما أظنّ أن تدرك منهم يومك هذا ما تُريد يا رسول الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ثم إنَّ خَوْلَةَ بنت حَكِيم بن أُمَيَّة بن حارثة بن الأوقص السَّلَمِيَّة — وهى امرأة عثمان بن مظعون — قالت : يا رسول الله ، أعطني إن فتح الله عليك الطائف حُلِيَّ بادية بنت غيلان بن سلمة ، أو حُلِيَّ الفارعة بنت عَقِيل — وكانتا من أحلى نساء ثقيف — قال : فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ! فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما حديث حدثتني خويلة أنك قلتها ! قال : قد قلتها ، قال : أو ما أذن فيهم يا رسول الله ! قال : لا ، قال : ١٦٧٤/١ أفلا أوذن بالرحيل فى الناس ! قال : بلى ؛ فأذن عمر بالرحيل ؛ فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبّيد بن أسيد بن أبى عمرو بن عيلاج الثقفى : ألا إنَّ الحى مقيمٌ ! قال : يقول عيينة بن حصن : أجل والله بحجدة كراما ! فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ! أتمدح قومًا من المشركين بالامتناع من رسول الله ، وقد جئت تنصره ^(١) ! قال : إني والله ما جئت لأقاتل معكم ثقيفًا ؛ ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب من ثقيف جارية أتبطنها لعلها أن تلد لى رجلاً ؛ فإن ثقيفًا قوم مناكير ^(٢) .

واستشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلاً ؛ سبعة من قريش ورجل من بنى ليث ، وأربعة من الأنصار ^(٣) .

* * *

(١) ابن هشام : « تنصر رسول الله » . (٢) مناكير : ذوو دهاء .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٣ .

[أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفة قلوبهم منها]

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من الطائف على دَحْنًا ؛
حتى نزل الجِعْرانة بمن معه من المسلمين ؛ وكان قد تمَّ سَبْيُ هوازن حين سار
إلى الطائف إلى الجِعْرانة . فحُبِس بها ؛ ثم أتته وفود هوازن بالجِعْرانة ؛
وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سَبْيِ هوازن من النساء والذراريِّ
عدد كثير ، ومن الإبل ستة آلاف بعير ، ومن الشاء ما لا يُحصى ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ،
قال : حدثني عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه عبد الله بن عمرو بن
العاص ، قال : أتى وفدُ هوازن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجِعْرانة ؛
وقد أسلموا ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إننا أصلٌ وعشيرة ؛ وقد أصابنا من البلاء
ما لا يخفى عليك ، فامنن علينا ممن الله عليك ! فقام رجل من هوازن —
أحدُ بني سعد بن بكر ، وكان بنو سعد هم الذين أرضعوا رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم — يقال له زهير بن صُرَد . وكان يكنى بأبي صُرَد — فقال :
يا رسولَ الله ؛ إننا في الخطائر ^(٢) عمتك وخالاتك وحواضنك ^(٣) اللاتي كنَّ
يكفّلنك ! ولو أننا ملّحنّا ^(٤) لنحارث بن أبي شمرٍ أو للنعمان بن المنذر ،
ثم نزل منا بمثل ما نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته ، وأنت خير المكفولين !
ثم قال :

أُمنن علينا رسولَ الله في كَرَمٍ فَإِنَّكَ المرءَ نرجوه ونَدَّخِرُ ^(٥)

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٥

(٢) الخطائر : جمع حظيرة ؛ وهي الزرب الذي يصنع للإبل والغنم ؛ وكان الهبي في
حظائر مثلها .

(٣) حواضنك : يعنى اللاتي أرضعن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت حاضته من بني سعد
ابن بكر .

(٤) ملحنّا : أرضعنا ؛ والملاح هنا : الرضاع . قال ابن هشام : « ويروى : « ولو أنا
مالحنّا » . (٥) قال السبيل : « ولم يذكر ابن إسحاق شعره في النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك اليوم في رواية البكاء ؛ وذكره في رواية إبراهيم بن سعد عنه » .

امِنْ عَلَى بَيْضَةٍ قَدْ عَاقَهَا قَدَرٌ^(١) مُمَزَّقٌ شَمْلُهَا ، فِي دَهْرٍ هَا غَيْرُ

فِي آيَاتِ قَالَهَا^(٢) ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ ؟ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ خَيْرَتَنَا بَيْنَ أَحْسَابِنَا وَأَمْوَالِنَا ، بَلْ تَرَدُّ عَلَيْنَا نِسَاءُنَا وَأَبْنَاؤُنَا فَهُمْ أَحَبُّ إِلَيْنَا ، فَقَالَ : أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمُطَّلَبِ فَهُوَ لَكُمْ ؛ فَإِذَا أَنَا صَلَّيْتُ بِالنَّاسِ ، فَقُولُوا : إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا ؛ فَسَأَعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ ؛ وَأَسْأَلُ لَكُمْ ؛ فَلَمَّا صَلَّيْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ ، قَامُوا فَتَكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبْنِي عَبْدُ الْمُطَّلَبِ فَهُوَ لَكُمْ ، وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَقَالَ الْأَنْصَارُ : وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ . قَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَيْمِ فَلَا ، وَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حَصَنٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو فِزَارَةَ فَلَا ، [و] قَالَ عَبَّاسُ بْنُ سُرْدَاسٍ : أَمَّا أَنَا وَبَنُو سَلِيمٍ فَلَا ، قَالَتْ^(٣) بَنُو سَلِيمٍ : مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ .

قَالَ : يَقُولُ الْعَبَّاسُ لِبْنِي سَلِيمٍ : وَهَتَّمُونِي^(٤) ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا مَنْ تَمَسَّكَ بِحَقِّهِ مِنْ هَذَا السَّبْيِ مِنْكُمْ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَائِضٍ مِنْ أَوَّلِ شَيْءٍ نُصِيْبِهِ ، فَرَدُّوا إِلَى النَّاسِ أَبْنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ^(٥) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ السَّعْدِيِّ أَبُو وَجْزَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَعْطَى عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ جَارِيَةً مِنْ سَبْيِ حُنَيْنٍ يُقَالُ لَهَا رَيْطَةُ بِنْتِ هَلَالِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ عَمِيرَةَ بْنِ هَلَالِ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ قُصَيْيَةَ بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، وَأَعْطَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ جَارِيَةً يُقَالُ لَهَا زَيْنَبُ بِنْتُ حَيَّانَ بْنِ

(١) كَذَا فِي السَّيْلِ فِي ط : « اِعْتَقَهَا » .

(٢) ذَكَرَهَا السَّيْلُ فِي الرُّوضِ الْأَنْفِ ٢ : ٣٠٦ .

(٣) ابْنُ هِشَامٍ : « فَقَالَتْ » . (٤) وَهَتَّمُونِي : أَعْصَفْتُونِي .

(٥) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢ : ٣٠٥ ، ٣٠٦ .

عمرو بن حبان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن نافع ، عن عبد الله بن عمر ، قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب جارية من سبي هوازن ، فوهبها لي ، فبعثت بها إلى أخوالي من بني جُمَح ليُصلِّحوا لي منها حتى أطوف بالبيت ثم آتيهم ؛ وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها ، قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ؛ فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله نساءنا وأبناءنا ، قال : قلت : تِلْكُمْ صاحبتكم في بني جُمَح ؛ اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها ؛ وأما عيينة بن حصن فأخذ عجوزاً من عَجَازِ هَوَازِن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً وأرى لها في الحى نسباً ؛ وعسى أن يعظم قداؤها ! فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض ألبى أن يردّها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ؛ فوالله ما فوها ببارد ، ولا تُدِيها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا درّها بماكد ، ولا زوجها بواجد (٢) . فردّها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أن عيينة لقي الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : والله إنك ما أخذتها بكراً غريبة (٣) ، ولا نصفاً وثيرة (٤) ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف : ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله : أخبروا مالكا أنه إن أتاني مسلماً رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتى مالك بذلك ؛ فخرج من الطائف إليه ؛ وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ؛ فيحبسوه ، فأمر بإرحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له فأتى به الطائف ؛ فخرج ليلاً ، فجلس على فرسه فركضه ؛ حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تُحبس له ، فركبها ، فلحق برسول الله فأدركه بالجرعانة — أو

١٦٧٨/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٦ . (٢) واجد : حزين ، والمالك : الغزير .

(٣) الغريبة : الصغيرة السن من النساء . (٤) الوثيرة : السمينة .

بمكة — فردّ عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه ^(١) .
 واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعلى مَنْ أسلم من تلك
 القبائل حول الطائف : ثُمالة وسامية وفههم ؛ فكان يقابل بهم ثقيفًا ،
 لا يخرج لهم سرّحٌ إلاّ أغار عليه ، حتى ضيّقَ عليهم ، فقال أبو محجّج بن
 حبيب بن عمرو بن عمير الثّقَفِيّ :

هابتِ الأعداءَ جانِبنا ثمّ تغزونا بنو سِلْمه
 وأتانا مالكٌ بهم ناقِضًا لِمَهْدِ والحُرْمه
 وأتونا في منازِلنا ولقد كنّا أولى نَقْمه
 وهذا آخر حديث أبي وجزة ^(٢) .

* * *

ثمّ رجع الحديث إلى حديث عمرو بن شعيب ، قال : فلما فرغ رسولُ
 الله صلى الله عليه وسلم من ردّ سبايا حُنين إلى أهلها ، ركب واتبعه الناس ^{١٦٧٩/١}
 يقولون : يا رسولَ الله ، اقسمْ علينا فيئتنا الإبل والغنم ، حتى أَلجئوه إلى شجرة ،
 فاخطففت الشجرة عنه ردائه ، فقال : رُدُّوا علىّ ردائي أيها الناس ؛ فوالله
 لو كان لي عدد شجر تهامة نَعَمًا لقسمتها عليكم ، ثم ما لقيتموني بخيلاً
 ولا جَبَانًا ولا كَذَابًا . ثمّ قام إلى جنب بعير ، فأخذ وَبَرَةً من سَنَامه
 فجعلها بين أصبعيه ، ثمّ رفعها فقال : أيّها الناس ، إنه والله ليص لي من فيئكم
 ولا هذه الوبرة إلاّ الحُمْس ، والحُمْس مردودٌ عليكم ، فأدُّوا الخِياطَ والمُخِيطَ ^(٣) ؛

(١) في رواية ابن هشام : « فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيتُ ولا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ في الناس كلّهم بمِثْلِ مُحَمَّدٍ
 أوفى وأعطى للجَزِيلِ إذا اجْتَدَى ومَتَى تَشَأْ يُنْجِرُكَ عَمَّا فِي غَدٍ
 وإذا الكُتَيْبَةُ عَرَدَتْ أنْيَابُهَا بالسْمُورِيِّ وضربِ كلِّ مَهْنَدٍ
 فكأنه ليثٌ على أشبالِهِ وسطَ الهَبَاءِ خادِرٌ في مرصدٍ

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ .

(٣) الخياط هنا : الخيط ، والمُخِيط : الإبرة .

فإن الغلول ^(١) يكون على أهله عاراً وناراً وشتاراً يوم القيامة . فجاءه رجل من الأنصار بكبّة ^(٢) من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه الكبّة أعمل بها بردعة بعير لي دبير ، قال : أمّا نصيب منها فلَكَ ، فقال : إنه إذا بلغت هذه فلا حاجة لي بها ، ثم طرحها من يده ^(٣) .
إلى ها هنا حديث عمرو بن شعيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ، قال : أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم - وكانوا أشرفاً من أشرف الناس يتأنفهم ويتأنف به قلوبهم - فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير . وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم ابن حزام مائة بعير ، وأعطى النضير ^(٤) بن الحارث بن كلدة بن علقمة أخا بني عبد الدار مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي حليف بني زهرة مائة بعير ، وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى صنتوان بن أمية مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن مائة بعير ، وأعطى الأقرع ابن حابس التميمي مائة بعير . وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين ؛ وأعطى دون المائة رجالاً من قريش ؛ منهم محترمة ابن نوفل بن أهيب الزهري . وعمر بن وهب الجمحي ، وهشام بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي - لا يخطّ عبدة ما أعطاهم ؛ وقد عرف فيما زعم أنها دون المائة - وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمي ^(٥) خمسين من الإبل ، وأعطى عباس بن مرداس السلمى أبا عرّ فسخطها ^(٦) ، وعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

١٦٨٠/١

(١) الغلول : الخيانة . (٢) الكبّة ، من قولهم أكب الغزل ؛ إذا جمده كلباً .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢ : ٣٠٦ - ٣٠٨ .

(٤) في رواية أخرى عن ابن هشام : « الحارث » .

(٥) ابن هشام : « واحد عدى بن قيس » .

(٦) ابن هشام : « فسخطها » .

١٦٨١/١

كانت نهباً تلافيتها بكررى على المهر في الأجرع^(١)
 وإيقاظي القوم أن يرتدوا إذا هجع الناس لم أهجع
 فأصبح نهبي ونهب العبيد بين عينة والأقرع
 وقد كنت في الحرب ذا تدرا فلم أعط شيئاً ولم أمنع^(٢)
 إلا أفايل أعطيتها عديد قوائم الأربع^(٣)
 وما كان حصن ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع^(٤)
 وما كنت دون أمري منهما ومن تضع اليوم لا يرفع^(٥)

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا فاقطعوا عنى لسانه ؛ فزادوه حتى رضى ؛ فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، أن قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يا رسول الله ، أعطيت عينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وترك جعيل بن سراقة الضمري^(٧) ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذي نفسى بيده ، لجعيل بن سراقة خير من طلاع^(٨) الأرض ، كلهم مثل عينة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهم ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه^(٩) .

(١) النهاب : جمع نهب ؛ وهو ما ينهب ويغنم ، يريد الماشية والإبل . والأجرع : المكان السهل .

(٢) ذا تدرا ، أى ذا دفع عن قوى .

(٣) الأفايل : صغار الإبل ، واحدا أفايل .

(٤) ابن هشام : « يفوقان شىخي » .

(٥) من : « ومن تخفض » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٧) قال السهيلي : « نسب ابن إسحاق جعيل إلى نسرة ؛ وهو معدود في غفار ؛ لأن غفارا

هم بنو حبليل بن ضمرة » .

(٨) طلاع الأرض : ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

١٦٨٢/١

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبو عبيدة بن محمد ، عن مِقْسَم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص وهو يطوف بالبيت معلقاً نعلَيْه ^(١) بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال : نعم ، أفل رجلٌ من بني تميم يقال له ذو الحَوْبِصِرَة ، فوقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعطي الناس ، فقال : يا محمد قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ! فقال رسول الله : أجل ؛ فكيف رأيت ؟ قال : لم أركَ عدلتاً ! فغضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند مَنْ يكون ! فقال عمر بن الخطاب : يا رسولَ الله ، ألا نقتله ^(٢) ! فقال : لا ، دعوه ^(٣) ؛ فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ^(٤) ، يُنْظَرُ في النصل ^(٥) فلا يوجد شيء ، [ثم في القِدْح فلا يوجد شيء] ^(٦) ؛ ثم في الفُوق ^(٧) فلا يوجد شيء ؛ سَبَقَ الفَرْتُ ^(٨) والدَّم ^(٩) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي مثل ذلك ؛ وسمّاه ذا الحَوْبِصِرَة التميمي ^(٩) .

قال أبو جعفر : وقد روى عن أبي سعيد الخدري أن الذي كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الكلام ؛ إنما كلمه به في مال كان على عليه السلام بعته من اليمن إلى رسول الله ، فقسّمه بين جماعة ؛ منهم عُسَيْبَة بن حِصْن ، والأقرع ، وزيد الخليل ؛ فقال حينئذ ما ذكر عن ذي الحَوْبِصِرَة أنه قاله رجل حضره .

(١) و : « معلقاً فيه نعليه » . (٢) ابن هشام : « أقتله » .

(٣) ابن هشام : « دعه » . (٤) الرمية : الشيء الذي يرى .

(٥) النصل : حديد السهم . (٦) من سيرة ابن هشام ، والقِدْح : السهم .

(٧) ان فوق : طرف السهم الذي يباشر الوتر . (٨) الفرت : ما يوجد في الكرش .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ممن شهد معه حنيناً ، قال : والله إني لأسير إلى جئ رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقة لي ، وفي رجلي نعل غليظة ، إذ زحمت ناقتي ناقة رسول الله ، ويقع حرف نعلي على ساق رسول الله فأوجعته ، قال : فقرع قدمي بالسوط ، وقال : أوجعتني فتأخر عني ، فانصرفت ؛ فلما كان من الغد إذا رسول الله يلتمسني ، قال : قلت : هذا والله لما كنت أصبت من رجل رسول الله بالأمس . قال : فجيئته وأنا أتوقع ، فقال لي : إنك قد أصبت رجلي بالأمس فأوجعتني فقرعت قدمك ^(١) بالسوط ، فدعوتك لأعوضك منها ؛ فأعطاني ثمانين نعجة بالضربة التي ضربني .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحى من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم المقالة ^(٢) ؛ حتى قال قائلهم : لبي والله رسول الله قومه ! فدخل عليه سعد بن عبادة فقال : يا رسول الله ؛ إن هذا الحى من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الذي أصبت ؛ قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يكن في هذا الحى من الأنصار شيء . قال : فأين أنت من ذلك يا سعد ! قال : يا رسول الله ما أنا إلا من قومي ! قال : فاجمع لي قومك في الحظيرة ، قال : فخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة ، قال : فجاءه رجال من المهاجرين ، فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا إليه أنه سعد فقال : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ، ثم قال : يا معشر الأنصار ، ما قالة بلغتني عنكم ،

١٦٨٤/١

وَمَوْجِدَةً^(١) وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ! أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَذَا كُمْ اللَّهُ ؛ وَعَالَةً^(٢) فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ ، وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ! قَالُوا : بَلَى ، اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ الْمُنُّ وَالْفَضْل ! فَقَالَ : أَلَا تَجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ! قَالُوا : وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، اللَّهُ وَلِرَسُولِهِ الْمُنُّ وَالْفَضْل ! قَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَصَدَقْتُمْ ، وَأَصْدَقْتُمْ ؛ أَتَيْتُنَا مُكَذِّبًا فَصَدَقْنَاكَ ، وَخَذُولًا فَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَأَوَيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَسِينَاكَ ؛ وَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ^(٣) مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لَيْسَلُمُوا ، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ! أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاءِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رَحَالِكُمْ ! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا^(٤) وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا ، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ! اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ !

١٦٨٥/١

قال : فبكي القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضيينا برسول الله قيسًا وجظًا : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرقوا^(٥) .

[عمرة رسول الله من الجعرانة]

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : قال : ثم خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمرًا ، وأمر ببقايا النِّع ، فحبس بمِجَنَّةَ ، وهي بناحية مَرَّ الظَّهْرَانِ ، فلمَّا فرغ رسول الله من عُمرته وانصرف راجعًا إلى المدينة ؛ استخلف عتَاب بنُ أسيد على مكة ، وخلف معه معاذُ بن جبل يُفَقِّههُ النَّاسُ فِي الدِّينِ وَيَعْلَمُهُمُ الْقُرْآنَ ، وَاتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَقَايَا النِّع .

وكانتُ عمرة رسول الله في ذى القعدة ، فقدم رسولُ الله صلى الله عليه

(١) كذا وردت هذه الرواية في الطبري ، وفي ابن هشام : « جدة » ، قال السهيلي : « هكذا الرواية « جدة » ، والمعروف عند أهل اللغة الموحدة إذا أردت الغضب ، وإنما الجدة في المال » .
(٢) عالة : جمع عائل ؛ وهو الفقير . (٣) قال السهيلي : « اللعاعة : بقلة ناعمة » .
(٤) الشعب : الطريق بين جباين . (٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٠ ، ٣١١ .

وسلم المدينة في ذي القعدة أو في ذي الحجة ، وحجّ الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحجّ عليه ، وحجّ تلك السنة بالمسلمين عتاب بن أسيد ؛ وهي سنة ثمان ؛ وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم في طائفهم ما بين ذي القعدة ، إذ انصرف رسول الله عنهم إلى شهر رمضان من سنة تسع ^(١) .

قال الواقدي : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم بين المسلمين بالخيبر ، أصاب كل رجل أربع من الإبل وأربعون شاة ؛ فمن كان منهم فارساً أخذ سهم فرسه أيضاً . وقال أيضاً : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لياليتين من ذي الحجة من سفرته هذه .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى جيفر وعمرو ابني الجُلندى من الأزد مُصدّقاً ، فخلّيا بينه وبين الصدقة ، فأخذ الصدقة من أغنيائهم وردّها على فقرائهم ، وأخذ الجزية من المحوس الذين بها ، وهم كانوا أهل البلد ، والعرب كانوا يكونون حولها .

قال : وفيها تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم الكلابية التي يقال لها ١٦٨٦/١ فاطمة بنت الضحّاك بن سفيان ، فاختارت الدنيا حين خيّرت . وقيل : إنّها استعازت من رسول الله ، ففارقها . وذكر أن إبراهيم بن وثيمة بن مالك بن أوس بن الحدثان ؛ حدثه عن أبي وجزة السعديّ أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوّجها في ذي القعدة .

قال : وفيها ولدت مارية لإبراهيم في ذي الحجة ، فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أمّ بُردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد بن خديّاش بن عامر ابن غنم بن عدى بن النجار ، وزوّجها البراء بن أوس بن خالد بن الجعد ابن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن عدى بن النجار ؛ فكانت ترضعه . قال : وكانت قابليتها سلّمى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فخرجت إلى أبي رافع فأخبرته أنها ولدت غلاماً ؛ فبشّره أبو رافع رسول الله ؛ فوهب له مملوكاً .

قال : وغارت نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم . واشتدّ عليهنّ حين رزقت منه الولد .

ثم دخلت سنة تسع

وفيها قدم وفد بني أسد على رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر - فقالوا : قد منا يا رسول الله قبل أن ترسل إلينا رسولا ، فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ... ﴾ ^(١) الآية .

وفيها قدم وفد بليّ في شهر ربيع الأول ، ففزّلوا على رؤيّف بن ثابت البليّ .

وفيها قدم وفد الداريين من الخُم ، وهم عشرة .

• • •

[أمر ثقيف وإسلامها]

وفيها قدم - في قول الواقدي - عروة بن مسعود الثقفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً ، وكان من خبره - ما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سالم ، عن محمد بن إسحاق - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن أهل الطائف أتبع أثره عروة بن مسعود بن مُعَتَّب حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم ؛ وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما ينحدث قومهم ^(٢) : إنهم قاتلوك ؛ وعرف رسول الله أن فيهم نخوة بالامتناع الذي كان منهم - فقال له عروة : يا رسول الله ، أنا أحب إليهم من أبكارهم ^(٣) - وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً -

(١) سورة الحجرات ١٧ . (٢) ابن هشام : « قومه » .

(٣) قال ابن هشام : « ويقال : من أبصارهم » .

فخرج يدعُو قومه إلى الإسلام ، ورجا ألا يخالفوه لمزلتهم فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عليّة له وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهمٌ فقتله ؛ فتزعم بنو مالك أنه قتل رجُلٌ منهم يقال له أوُس بن عوف ، أخو بني سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتل رجُلٌ منهم من بني عتّاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر . فقليل لعروة : ما ترى في دمك ؟ قال : كرامة أكرمني الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس في إلّا ما في الشهداء الذين قُتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفوني معهم ، فدفنوه معهم . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله في قومه كمثل صاحب يَس في قومه ^(١) .

* * *

وفيها قدم وفدُ أهل الطائف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل : إنهم قدموا عليه في شهر رمضان .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرًا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ألا طاقة لهم بحرب من حوّلهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنص بن شريق الثقفي ، أن عمرو بن أمية أخا بني عِلاج كان مهاجرًا لعبد ياليل بن عمرو ، الذي بينهما سبيٌّ - وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب - فبشى إلى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل عليه داره ، ثم أرسل إليه : إن عمرو بن أمية يقول لك : اخرج إلى ، فقال عبد ياليل لارسل : ويحك ! أعمرو أرسلك ؟ قال : نعم ، وهو ذا واقف في دارك . فقال : إن هذا لشيءٌ ما كنت أظنه ! لعمرو كان أُمع في نفسه من ذلك . فلما رآه رَحَّبَ به ، وقال عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرةٌ ، إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، وقد ^(٢) أسلمت

العربُ كلُّها ، وليست لكم بحرهم طاقة ، فانظروا في أمركم . فعند ذلك انتمرت ثقيف بينها . وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْبٌ . ولا يخرج منكم أحدٌ إلا اقتطع به ! فائتمروا [بينهم] ^(١) . وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً ، كما أرسلوا عروة ، فكلّموا عبد ياليل ابن عمرو بن عمير - وكان في سن ^(٢) عروة بن مسعود - وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشي أن يُصنّع به إذا رجع كما يُصنّع بعروة ، فقال : لست فاعلاً حتى تبعثوا معي رجالاً ، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف وثلاثة من بني مالك . فَيَكُونُوا ستة : عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد دُهْمَان أخو بني يسّار ، وأوس بن عوف أخو بني سالم ، ونُصَيْمِر بن خَرَّشَة بن ربيعة أخو بلحارث ؛ وبعثوا من الأحلاف مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب وشَرَحْبِيل بن غَيْلَان بن سلمة بن معتب ؛ فخرج بهم عبد ياليل - وهو نَابُ القوم ^(٣) وصاحب أمرهم ؛ ولم يخرج إلا خَشْيَةً من مثل ما صنّع بعروة بن مسعود ، ليشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى انطائف رهطه - فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة لقوا بها المغيرة بن شعبة يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ، وكانت رعيّتها نُوباً على أصحابه ، فلما رآهم المغيرة ترك الركاب وضرب ^(٤) يشتدُّ لِيُبَشِّرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بقدمهم عليه ، فلقّيه أبو بكر الصديق رضى الله عنه قبل أن يدخل على رسول الله ، فأخبره عن ركب ثقيف أنهم قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم شروطاً ، ويكتبوا من رسول الله كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم . فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا الذى أحدثه ، ففعل المغيرة ، فدخل أبو بكر على رسول الله ، فأخبره عن ركب ثقيف بقدمهم ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه فَرَوَّحَ الظَّهْرَ معهم ، وعلمهم كيف يُحْيُونَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهليّة .

(١) من ابن هشام .

(٢) ابن هشام : « وكان سنّ عروة » .

(٣) نَابُ القوم : سيدهم ورؤسائهم . (٤) ضربه : وثب .

ولما أن قدِموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبّة في ناحية مسجده - كما يزعمون - وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اكتتبوا كتابهم ؛ وكان خالد هو الذي كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله حتى يأكل منه خالد ؛ حتى أسلموا وبايعوا وفرغوا من كتابهم - وقد كان فيما سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع الطاغية ؛ وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ؛ فأبى رسول الله ذلك عليهم ؛ فما برحوا يسألونه ستة ستة سنة ، فأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم ؛ فأبى أن يدعها شيئاً يسمى ؛ وإنما يريدون بذلك فيما يُظْهِرُونَ أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذرائعهم ، ويكرهون أن يروّعوا قومهم يهدمها حتى يدخلهم الإسلام - فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها ؛ وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يُعْفِيَهم من الصلاة ، وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم ؛ فقال رسول الله : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ؛ وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه ؛ فقالوا : يا محمد ، أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ؛ أمر عليهم عثمان بن أبى العاص - وكان من أحدثهم سنّاً - وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن ، فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إني قد رأيتُ هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام وتعلّم القرآن ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عتبة ، قال : فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان بن حرب ،

والمغيرة بن شعبة في هدم الطاغية ، فخرجوا مع القوم ؛ حتى إذا قدِموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : ادخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم^(١) ، فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمِعْوَل ، وقام قومه دونه - بنو مُعْتَب - خَشْيَةً أَنْ يُرْمَى أو يصاب كما أصيب عُرْوَة ، وخرج نساءٌ ثَقِيفٌ حُسْرًا^(٢) يبكين عليها ، ويقلن :

أَلَا أَبْسِكِينَ دُفَاعٌ^(٣) أَسْلَمَهَا الرُّضَاعُ^(٤) .
 • لَمْ يُخْبِنُوا الْمِصَاعُ^(٥) •

قال : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهأ لك^(٦) ! واهأ لك ! فلما هدمها المغيرة أخذ مالها وحليَّيها وأرسل إلى أبي سفيان وحليَّيها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان أن يقضى من مال اللات دينَ عُرْوَة والأسود ابني مسعود ، فقضى منه دينهما^(٧) .

وفي هذه السنة غزا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة تبوك

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد منصرفه من الطائف ، ما بين ذى الحجة إلى رجب .

-
- (١) ابن هشام : « الهدم » . (٢) حبرا : مكشوفات الثروبس .
 (٣) ابن هشام : « لتبكين » . (٤) الرضاع هنا : اللثام .
 (٥) المصاع : المضاربة . (٦) ابن هشام : « آها لك » .
 (٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٢٦ ، ٣٢٧ .

ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم ؛ كل قد حدث في غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لم يحدث بعض ، وكل قد اجتمع حديثه في هذا الحديث . إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ؛ وذلك في زمن عُسرة من الناس ، وشدة من الحر ، وجذب من البلاد ؛ وحين طابت الثمار وأحييت الظلال ؛ فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها على الحال من الزمان الذي هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج في غزوة إلا كفى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذي يصمده له ؛ إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه يئسها للناس لبعد الشقة وشدة الزمان وكثرة العدو الذي يصمده^(١) له ، ليتأهب الناس لذلك أهبة ، وأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

فتجهز الناس على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه لما فيه ؛ مع ما عظموا من ذكر الروم وغزوهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو في جهازه ذلك للجعد بن قيس أخى بنى سلمة : هل لك يا جعد العام في جلاد بنى الأصفر^(٢) ؟ فقال : يا رسول الله ، أو تأذن لي ولا تفتني ! فوالله لقد عرف قومي ما رجل أشد عجباً بالنساء مني ؛ وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر ألا أصبر عنهن . فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك ؛ ففي الجعد بن قيس نزلت هذه الآية : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي ۖ ﴾^(٣) الآية ؛ أى إن كان إنما يخشى الفتنة من نساء بنى الأصفر — وليس ذلك به — [فأ]^(٤) سقط فيه من الفتنة يتخلفه عن رسول الله والرغبة بنفسه عن نفسه أعظم ؛ وإن جهنم لمن ورائه . وقال قاتل من المنافقين لبعض : لا تنفروا في الحر ، زهادة في الجهاد ،

(١) يصمد : يقصد . (٢) بنو الأصفر : هم الروم .

(٣) سورة التوبة ٤٩ . (٤) من ابن هشام .

وشكناً في الحق ، وإرجافاً بالرسول ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ . إلى قوله : ﴿ جَزَاءُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(١) .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جدّ في سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضّ أهل الغنى على النفقة والحملان ^(٢) في سبيل الله ، ورغبهم في ذلك ، فحمل رجال من أهل الغنى فاحتسبوا ^(٣) ، وأنفق عثمان ابن عفان في ذلك نفقة عظيمة لم ينفق أحدٌ أعظم من نفقته ^(٤) .

ثم إن رجالاً من المسامين أتوا رسول الله ، وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم ^(٥) ، فاستحملوا ^(٦) رسول الله ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : ﴿ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعِينُوا تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ ^(٧) . قال : فبلغني أن يامين بن عُمَيْر بن كعب النضري لقي أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مَعْقِل ، وهما يبيكان ، فقال لهما : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه ، وليس عندنا ما ننقوي به على الخروج معه ، فأعطاهما ناضحاً ^(٨) ١٦٩٥/١ فارتحلاه ، وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة التوبة ٨١ ، ٨٢ . (٢) الحملان : مصدر حمل يحمل .

(٣) احتسبوا ، أى جعلوا أجر ما بذلوا عند الله .

(٤) قال ابن هشام : « حدثني من أثنى به أن عثمان بن عفان أنفق في جيش العسرة في غزوة تبوك ألف دينار » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارض عن عثمان فإنني عنه راض » .

(٥) ابن هشام : « وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بني عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعلبة بن زيد أحد بني حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب أحد بني مازن بن النجار ، وعمرو بن حزام بن الجموح أخو بني سلمة ، وعبد الله بن المخفل المزني - وبعض الناس يقول : بل هو عبد الله بن عمرو المزني - وهرم بن عبد الله أخو بني واقف ، وعرباض بن سارية القرظي » .

(٦) استحملوه : طلبوا منه ما يحملهم عليه . (٧) سورة التوبة ٩٢ .

(٨) الناضح : الحمل يستق عليه .

قال : وجاءَ المُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ . فاعتذروا إليه فلم يعذرهم الله عزَّ وجلَّ ؛ وَذَكَرَ لِي أَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ بَنِي غِفَّارٍ ، مِنْهُمْ خُفَّافُ بْنُ إِيمَاءَ بْنِ رَحْضَةَ .

ثم استتب^(١) برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ؛ وقد كان نفر من المسلمين أَبْطَأَتْ بِهِمُ النِّيَّةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى تَخَلَّفُوا عَنْهُ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلَا ارْتِيَابٍ ؛ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ أَبِي كَعْبٍ أَخُو بَنِي سَلِيمَةَ ، وَمِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ أَخُو بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ أَخُو بَنِي وَاقِفٍ ، وَأَبُو خَيْثَمَةَ أَخُو بَنِي سَالِمٍ بْنِ عَوْفٍ ؛ وَكَانُوا نَفَرَ صَدَقَ لَا يُتَّهَمُونَ فِي إِسْلَامِهِمْ ، فَلَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرْبَ عَسْكَرِهِ عَلَى ثِيَّةِ الْوَدَّاعِ ، وَضَرْبَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولٍ عَسْكَرِهِ عَلَى حِدَّةٍ أَصْفَلَ مِنْهُ بِحِذَاءِ ذُبَابٍ ؛ جَبَلٍ بِالْجَبَّانَةِ أَصْفَلَ مِنْ ثِيَّةِ الْوَدَّاعِ . وَكَانَ — فِيهَا يَزْعُمُونَ — لَيْسَ بِأَقْلَ الْعَسْكَرِينَ ؛ فَلَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخَلَّفَ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَيَمَنْ تَخَلَّفَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ وَأَهْلِ الرَّيْبِ — وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أَخَا بَنِي عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ — وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ تَبْتَلٍ أَخَا بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ التَّابُوتِ أَخَا بَنِي قَيْنُقَاعٍ ؛ وَكَانُوا مِنْ عِظَمَاءِ الْمُنَافِقِينَ ؛ وَكَانُوا مِمَّنْ يَكِيدُ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ^(٢) .

قال : وفيهم — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري — أَنزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ١٦٩٦/١ ﴿لَقَدْ أَتَفَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ . . .﴾^(٣) ، الآية .

* * *

قال ابن إسحاق : وَخَلَّفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَنِي طَالِبٍ عَلَى أَهْلِهِ ، وَأَمَرَهُ بِالْإِقَامَةِ فِيهِمْ . وَاسْتَخَلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعُ بْنُ عَرْفُطَةَ ، أَخَا بَنِي غِفَّارٍ ، فَأَرْجَفَ الْمُنَافِقُونَ بَعْلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَقَالُوا : مَا خَلَّفَهُ

(١) استتب : قَتَعَ واستمر . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ - ٣١٧ .

(٣) سورة التوبة ٤٨ .

إلا استقالا له ، وتخفّفاً منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالجُرف فقال : يا نبي الله ؛ زعم المنافقون أنك إنما خلّفتني ، أنك استقلتني وتخفّفت مني ! فقال : كذبوا ، ولكني إنما خلّفتك لما ورائي ، فارجع فاخلّفني في أهلي وأهلك ؛ أفلا ترضى يا عليّ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؛ إلاّ أنه لا نبي بعدي ! فرجع عليّ إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره^(١) .

ثم إن أبا خيثمة أخا بني سالم رجع — بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً — إلى أهله في يوم حارّ ، فوجد امرأتين له في عريشين^(٢) لهما في حائط^(٣) ، قد رشّت كل واحدة منهما عريشها وبرّدت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاماً ؛ فلمّا دخل فقام على باب العريشين ؛ فنظر إلى امرأته وما صنعتا له ، قال : رسول الله في الضحّ^(٤) والريح ، وأبو خيثمة في ظلال باردة وماء بارد وطعام مهيل وامرأة حسناء ، في ماله مقيم ! ما هذا بالنّصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ؛ فهيشا لي زاداً ؛ ففعلتا . ثم قدّم ناضحه فارتحله ، ثم خرج في طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك ، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجُمحي في الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا^(٥) حتى إذا دنوا من تبوك قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لي ذنباً ، فلا عليك أن تخلّف عني حتى آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم . ففعل ، ثم سار حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : يا رسول الله ، هذا راكب على الطريق مقيل ، فقال رسول الله : كنّ أبا خيثمة ! فقالوا : يا رسول الله ، هو والله أبو خيثمة ! فلمّا أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله : أولّتي لك

(١) ابن هشام : « ثم رجع عليّ إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره » .

(٢) العريش : شبه الخيمة ، يظلّل ليكون أبرد الأخبية والبيوت .

(٣) ابن هشام : « حائطه » ، والحائط هنا : البستان .

(٤) س : « فتوافقا » .

(٥) الضح : الشمس .

يا أبا خيثمة ! ثم أخبر رسول الله الخبر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعا له بخير .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرّ بالحجر نزلها واستقى الناس من بئرها ، فلمّا راحوا منها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من ماءها شيئاً ، ولا تتوضّئوا منها للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجنّ أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ؛ ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا رجلين من بني ساعدة ؛ خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذى ١٦٩٨/١ ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب في طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته في جبلتى طيتى ، فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحب له ! ثم دعا للذى أصيب على مذهبه فشفي ، وأما الآخر الذى وقع بجبلتى طيتى ؛ فإنّ طيتاً هدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة (١) .

قال أبو جعفر : والحديث عن الرجلين (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن العباس بن سهل بن سعد الساعدي : فلما أصبح الناس - ولا ماء معهم - شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا الله ، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء (٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قلت لمحمود بن أبي سعيد : هل كان الناس يعرفون التفاق فيهم ؟ قال : نعم ؛ والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٦ ، ٣١٨ .

(٢) في ابن هشام : « والحديث عن الرجلين » ، عن عبد الله بن أبي بكر عن عباس بن سهل ابن سعد الساعدي ، وقد حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه قد سمى له العباس الرجلين ؛ ولكنه استودعه

لإيها ، فأبى عبد الله أن يسميها لي . (٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ .

أبيه ومن عمته ومن عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ؛ ثم قال محمود :
لقد أخبرني رجالٌ من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان
يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الماء
بالحِجْر ما كان ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله
السحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، أقبلنا عليه نقول : ويُسْحَك ! هل بعد
هذا شيء ! قال : سحابة مارة .

ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق
ضَلَّتْ نَاقَتُهُ ، فخرج أصحابُه في طلبِها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلٌ من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عَقَبِيًّا ^(١) بدريًّا ، وهو
عمُّ بني عمرو بن حزم ، وكان في رحله زيد بن لُصَيْب القَيْنُتَاعِي ، وكان
منافقًا ، فقال زيد بن لُصَيْب ^(٢) وهو في رحل عُمارة ، وعُمارة عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أليس يزعم محمد أنه نبيّ يخبركم عن خبر السماء وهو
لا يدري أين ناقته ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - وعُمارة عنده : إن
رجلاً قال : إنَّ محمدًا هذا يخبركم أنه نبيّ ، وهو يزعم أنه يخبركم بخبر
السماء وهو لا يدري أين ناقته ! وإني والله ما أعلم إلا ما علَّمني الله ، وقد دلني
الله عليها ، وهي في الوادي من شعب كذا وكذا قد حبستها شجرة بزمامها ،
فانطلقوا حتى تأتوا بها ، فذهبوا فجاءوا بها ، فرجع عُمارة بن حزم إلى أهله ،
فقال : والله لتعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آتفًا عن
مقالة قائل أخبره الله عنه كذا وكذا - للذي قال زيد بن لُصَيْب - فقال رجلٌ
ممن كان في رحل عُمارة ، ولم يحضر رسول الله : زيد والله قال هذه المقالة قبل
أن تأتي . فأقبل عُمارة على زيد يتجأ في عنقه ^(٣) ، ويقول : يا عباد الله ،
والله إنَّ في رحلي لداهية وما أدري ! اخرج يا عدو الله من رحلي فلا
تصحبتني ! قال : فزعم بعضُ الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ، وقال بعض :
لم يزل مُتَّهِمًا بشر حتى هلك .

(١) أي من شهد بيعة العقبة . (٢) ابن هشام في إحدى روايته : « لصيت » .

(٣) يجأ في عنقه : يطمئه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ؛ فجعل يتخلف عنه الرجل فيقولون : يا رسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير ١٧٠٠/١ فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير^(١) ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ حتى قيل : يا رسول الله ، تخلف أبو ذرٍّ وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه .

قال : وتلوم^(٢) أبو ذرٍّ على بعيره : فلما أبطأ عليه أخذ متاعه ، فحماله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ماشياً ، ونزل رسول الله في بعض منازل ، فنظره ناظرٌ من المسلمين ، فقال : يا رسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذرٍّ ! فلما تأمله القوم ، قالوا : يا رسول الله ، هو أبو ذرٍّ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله أبا ذرٍّ ! يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويُبْعَث وحده^(٣) .

حدثنا ابنُ حصيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما نفي عثمان أبا ذرٍّ نزل أبو ذرٍّ الرَبْدَةَ ، فأصابه بها قَدْرُهُ ، ولم يكن معه أحدٌ إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن غَسَّلا نِي وَكَفَّتا نِي ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركبت يركب بكم فقولوا : هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ، ثم وضعاه على قارعة الطريق ، فأقبل عبد الله بن مسعود ورهطٌ من أهل مُعَرِّاق عُمَارًا ، فلم يرُعْهم إلا بجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذرٍّ صاحب رسول الله ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهلَّ عبد الله بن مسعود بيكي ، ويقول : صدق رسول الله ! تمشي وحدك ، وتموت وحدك . وتُبْعَث ١٧٠١/١ وحدك ! ثم نزل هو وأصحابه فوارَوْه .

ثم حدثهم ابن مسعود حديثه ودا قال له رسول الله في مسيره إلى تبوك .

(١) ابن هشام : « على غير ذلك » . (٢) تلوم : تمكث وتمهل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٨ ، ٣١٩ .

قال : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم ودیعة بن ثابت أخو بني عمرو ابن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة ، يقال له مخشي^(١) ابن حمير ، يسرون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحتسبون قتال بني الأصفر كقتال غيرهم ! والله لكأني بكم غداً مقترنين في الجبال ؛ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين . فقال مخشي ابن حمير : والله لا وددت أنتي أقاضى على أن يضرب كل رجل منّا مائة جلدة ، وأنا نفلت أن ينزل الله فينا قرآنًا لمقاتلكم هذه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — لعمار بن ياسر : أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ،^(٢) فسلّهم عمّا قالوا ؛ فإن أنكروا فقل : بلى قد قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك ؛ فأتوا رسول الله يعتذرون إليه ، فقام ودیعة بن ثابت ورسول الله واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو أخذ بحمّتيها^(٣) : يا رسول الله ، كنّا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ وَآلِنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ ﴾^(٤) . وقال مخشي بن حمير : يا رسول الله ، قعد بن اسمي واسم أبي ؛ فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشي بن حمير ؛ فسمي عبد الرحمن ، وسأل الله أن يقتله شهيداً لا يُعالم مكانه ، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر . فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحَنِّته بن ربيعة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاها الجزية ، وأهل جرباء وأذرح أعطوه الجزية ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل كتاباً ؛ فهو عندهم .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة — وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدَةَ ، كان ملكاً عليها ، وكان نصرانياً — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده

(١) ابن هشام في إحدی رواياته : « مخشي » . بالتحديد .

(٢) احترقوا ، أي هلكوا ، وفي ط : « اخترقوا » ، وأثبت ما في ابن هشام .

(٣) الحقب : حبل يشد على بطن البعير . (٤) سورة التوبة ٦٥ .

يصيد البقر ، فخرج خالد بن الوليد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفي ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحكّ بقرورها باب القصر ، فقالت امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ، قالت : فمن يترك هذا ؟ قال : لأحد . فنزل فأمر بفروسه فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ له يقال له حسان ، فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم ؟ فلما خرجوا تلاحقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذته ، وقتلوا أخاه حسان ، وقد كان عليه قباء له من ديباج مخصوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه ^(١) عليه ^(٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ؛ قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه ^{١٧٠٣/١} بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله : أتتعجبون من هذا ! فوالذي نفس محمد بيده للمناديل ^(٣) سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته .

رجع الحديث إلى حديث يزيد بن رومان الذي في أول غزوة تبوك . قال : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببوك بضعة عشرة ليلة ولم يجاوزها ^(٤) ، ثم انصرف قافلاً إلى المدينة ، فكان في الطريق ماء يخرج من وشك ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادي المشقوق ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الماء فلا يستقي من منه شيئاً حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين فاستقوا ما فيه ، فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣١٩ .

(٤) ابن هشام : « لم يجاوزها » .

(١) و : « مقدمه » .

(٣) و « للمندبل » .

وقف عليه فلم يَرَّ فيه شيئاً ؛ فقال : مَنْ سَبَقْنَا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يا رسول الله ، فلان وفلان ، فقال : أو لم نَنْهَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا منه شيئاً حتى نَأْتِيَهُ ! ثم لعنهم رسولُ الله ، ودعا عليهم . ثم نزل صلى الله عليه وسلم ، فوضع يده تحت الوُشْل (١) ، فجعل يصبُّ في يده ما شاء الله أن يصبَّ ، ثم نضحه به ومسحه بيده ، ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو ، فانخرق من الماء — كما يقول مَنْ سمعه : إن (٢) له حَسَناً كحصى الصواعق ؛ فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ بَقِيَ مِنْكُمْ لَيْسَمَعَنَّ (٣) بهذا الوادى ؛ وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه . ثم أقبل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذي أُوَّان ؛ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ؛ وكان أصحاب مسجد الضَّرَّار قد كانوا أتوه وهو يتجهَّز إلى تَبُوك ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ؛ وإنا نحب أن تأتينا فتصلت لنا فيه . فقال : إني على جَنَاح سَفَرٍ ، وحال شغل — أو كما قال رسول الله — ولو قدمنا إن شاء الله أتيناكم فصلتينا لكم فيه ؛ فلما نزل بذي أُوَّان أتاه خبرُ المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُخْشُم ، أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدى — أو أخاه عاصم بن عدى أخا بني العَجْلان — فقال : انطلقا إلى المسجد الظالم أهلُه فاهدماه وحرِّقاه ؛ فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم ابن عوف ؛ وهم رهط مالك بن الدُخْشُم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى ، فدخل إلى أهله ، فأخذ سَعَمَةً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله ، فحرِّقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤) ، إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثني عشر رجلاً : خِذام بن خالد ، من بني عُبيد بن

(١) الوُشْل : حجر أو جبل يقطر منه الماء قليلاً قليلاً .

(٢) ابن هشام : « وإن له حساً » .

(٣) ابن هشام : « لئن بقيتم لتسمعن » . (٤) سورة التوبة ١٠٧ .

زيد ؛ أحد بنى عمرو بن عوف - ومن داره أخرج مسجد الشقاق - وثعلبة بن حاطب من بنى عبيد - وهو إلى بنى أمية بن زيد ، ومُعْتَب بن قُشَيْر من بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وأبو حَبِيبَة بن الأزعر من بنى ضُبَيْعَة بن زيد ، وعَبَاد ابن حُثَيْف ؛ أخو سهل بن حُثَيْف من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مجمَع بن جارية وزيد بن جارية ، ونَسَبَتِل بن الحارث ، من بنى ضُبَيْعَة ، وبحَزْرَج - وهو إلى بنى ضُبَيْعَة - ويحَاد بن عَمَّاز - وهو من بنى ضُبَيْعَة - ووديعَة بن ثابت وهو إلى بنى أمية رهط أبي لُبَابَة بن عبد المنذر .

* * *

قال : وقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة - وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعَب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية - فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا يكلمن أحدٌ أحدًا من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه مَنْ تخلف عنه من المنافقين ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله ولم يعذرهم الله ولا رسوله ، واعتزل المسلمون كلامَ هؤلاء الثلاثة نفر ، حتى أنزل الله عز وجل قوله : ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ - إلى قوله - ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(١) ، فتاب الله عليهم .

قال : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في شهر رمضان . وقدم عليه في ذلك الشهر وفدٌ ثَقِيف ، وقد مضى ذكر خبرهم قبل .

* * *

[أمر طيٍّ وعدى بن حاتم]

قال : وفي هذه السنة - أعني سنة تسع - وجّه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في سرية إلى بلاد طيٍّ في ربيع الآخر ، فأغار عليهم ، فسبى وأخذ سيفين كانا في بيت الصنم ؛ يقال لأحدهما :

رَسُول، وَاللَّا خَيْرَ الْمَخْذَمِ؛ وَكَانَ لهُمَا ذِكْرٌ، كَانَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي شَمِيرٍ نَذَرَ هُمَا لَهُ، وَسَبَّيَ أُخْتَ عَدَى بْنِ حَاتِمٍ.

قال أبو جعفر: فأما الأخبار الواردة عن عدى بن حاتم عندنا بذلك فبغير بيان وقت، وبغير ما قال الواقدي في سبى على أخت عدى بن حاتم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا سمالك، قال: سمعت عباد بن حُبَيْش يحدث عن عدى بن حاتم، قال: جاءت خيلُ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو قال: رسلُ رسول الله - فأخذوا عمتي وناساً، فأتوا بهم النبي صلى الله عليه وسلم. قال: فصُفُّوا له. قالت: قلت: يا رسول الله، نأى الوافد، وانقطع الولد؟ وأنا عجوز كبيرة ما بي من خدمة، فمن على من الله عليك يا رسول الله! قال: ومن وأفدك؟ قالت: عدى بن حاتم، قال: الذي فر من الله ورسوله! قالت: فمَن على - ورَجُل إلى جنبه ترى أنه على عليه السلام، قال: سليه حُمْلَانًا - قال: فسألته، فأمر بها فأتيتني، فقالت: لقد فعلت فعلة ما كان أبوك يفعلها! قالت: اثني راغباً وراهباً، فقد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه. قال: فأتيتُه فإذا عنده امرأة وصبيان - أو صبي - فذكر قربهم من النبي صلى الله عليه وسلم - فعرفت أنه ليس بملك^(١) كمرى ولا قيصر، فقال لي: يا عدى بن حاتم، ما أفرك^(٢) أن يقال لا إله إلا الله! فهل من إله إلا الله! وما أفرك أن يقال الله أكبر! فهل من شيء هو أكبر من الله! فأسلمتُ فرأيت وجهه استبشر.

١٧٠٧/١

حدثنا ابنُ حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن شيبان بن سعد الطائي، قال: كان عدى بن حاتم طيئياً يقول فيما بلغني: ما رجل^(٣) من العرب كان أشدَّ كراهيةً لرسول الله حين سمع به مني؛ أما

(١) و: «ملك» . (٢) ما الذي جعلك تفر من الجهاد في سبيل الله .

(٣) ابن هشام: «ما من رجل» .

أنا فكنتُ امرأً شريفًا ، وكنتُ نصرانيًّا أسيرُ في قومي بالمرْباع ^(١) ، فكنتُ في نفسي على دين ، وكنتُ ملكًا في قومي ، لما كان يُصنع بي ، فلما سمعتُ برسول الله كرهته ، فقلت لغلام كان لي عربيًّا وكان راعيًا لإبلي : لا أبالك ! أعدِ دُ لي من إبلي أجمالًا ذلًّا ^(٢) سِمانًا مَسَّانًا ، فاحبسها قريبًا مني ؛ فإذا سمعتَ بجيشٍ لمحمد قد وطئ هذه البلاد فأذنتي ، ففعل . ثم إنه أتاني ذات غداة ، فقال : يا عدى ؛ ما كنت صانعًا إذا غَشِيَتْكَ خيل محمد فاصنعه الآن ، فإني قد رأيتُ رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد ، قال : فقلت : قَرَّب لي جمالي ، فقرَّبها ، فاحتملتُ بأهلي وولدي ، ثم قلت : ألحقُ بأهل ديني من التَّصارى بالشَّام ، فسلكت الحوشية وخلفت ابنة حاتم في الحاضر ، فلما قدمت الشَّام أقمت بها ، وتُخالفني خيلُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتصيبُ ابنة حاتم فيمن أُصيب . فقدم بها على رسول الله في سبایا طيِّبٍ ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هَرَبِي إلى الشَّام . قال : فجعلت ابنة حاتم في حظيرة بباب المسجد كانت السبایا يُحْبَسْنَ بها ، فرَّب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت إليه - وكانت امرأةً جَزَلَةً - فقالت : يا رسول الله ؛ هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ عليَّ مَنَ الله عليك ! قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم ، قال : الفارُّ من الله ورسوله ! قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركني ؛ حتى إذا كان الغد مرَّ بي وقد أيسَّتُ ، فأشار لي رجلٌ من خلفه : أن قومي إليه فكلمه ، قالت : فقمْتُ إليه ، فقلت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامننْ عليَّ مَنَ الله عليك ! قال : قد فعلتُ فلا تعجلي بخروجي حتى تجدي من قومك مَن يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثم أذنيني . قالت : فسألت عن الرجل الذي أشار إليَّ أن كلمه فقبل : علي بن أبي طالب . قالت : وأقمت حتى قدم ركبٌ من بلي - أو من قضاة - قالت : وإنما أريد أن آتي أخي

(١) أسير بالمرْباع ؛ أى آخذ الربيع من الغنم ؛ لأنى سيدهم .

(٢) ذلًا : جمع ذلول ؛ وهو الجمل السهل الذى قد ريض .

بالشام ، قالت : فجنّت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : يا رسول الله ، قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكساني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني وأعطاني نفقة ، فخرجت معهم حتى قدِمْتُ الشام .

١٧٠٩/١

قال عدى : فوالله ، إني لقاعدٌ في أهلي إذ نظرت إلى ظعينة^(١) تُصَوَّبُ^(٢) إلى^(٣) تَوَمَّنَا . قال : فقلت : ابنة حاتم ! قال : فإذا هي هي ؛ فلما وقفت على أنسحلت^(٤) تقول : القاطع الظالم ! احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بُنيّة والدك وعورّته ! قال : قلت : يا أخيتي ، لا تقول إلا خيراً ، فوالله مالى عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندي ، فقلت لها — وكانت امرأة حازمةً : ماذا تريين في أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فالسابق إليه له فضيلة ، وإن يكن ملكاً فلن تذلّ في عزّ اليمن وأنت أنت ! قلت : والله إن هذا للرأى . قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله المدينة ، فدخلت عليه وهو في مسجده فسأمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق بي إلى بيته ، فوالله إنه لعامدٌ بي إذ لَتَيْتُهُ امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفتني ، فوقف لها طويلاً تكلمته في حاجتها . قال : فقلت في نفسي : والله ما هذا بملك ، ثم مضى رسول الله حتى دخل بيته ، فتناول وسادةً من أدَمٍ محشوةً ليفاً ، فقذفها إلى ، فقال لي : اجلس على هذه ، قال : قلت : لا بل أنت ، فاجلس عليها . قال : لا بل أنت ، فجلست وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض . قال : قلت في نفسي : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك رَكُوسِيَا^(٥) ! قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير في قومك بالمِيرْبَاع ! قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحلّ لك في دينك ، قال : قلت : أجل والله — وعرفت أنه نبيُّ مرسل يعلم ما يُجهل — قال : ثم قال : لعله^(٥) يا عدى بن

١٧١٠/١

(١) الظعينة : المرأة في اليهود . (٢) تصوب إلى : تقصد .

(٣) أنسحلت : أخذت في اللوم ومضت فيه مجدة .

(٤) الركوسية : قوم لهم دين بين دين النصارى والمصابين .

(٥) بن هشام : « لملك » .

حاتم ؛ إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى ^(١) من حاجتهم ! فوالله ليوشكنَّ المال يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعله ^(٢) إنما يمنعك من الدخول ^(٣) في هذا الدين ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ؛ فوالله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف إلا الله ؛ ولعله إنما يمنعك من الدخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم ، وإيم الله ليوشكنَّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت . قال : فأسلمت ، فكان عدي بن حاتم يقول : مضت الثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكوننَّ قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، ورأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف شيئاً حتى تحج هذا البيت . وإيم الله لتكوننَّ الثالثة لفيضنَّ المال حتى لا يوجد من يأخذه .

• • •

[قدوم وفد بني تميم ونزول سورة الحجرات]

قال الواقدي : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بني تميم ، فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، قالا : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عطاراد بن حاجب بن زرارة بن عدس التميمي في أشرف من ١٧١١/١ تميم ، منهم الأقرع بن حابس ، والزبرقان بن بدر التميمي ثم أحد بني سعد ، وعمر بن الأهتم ، والحُتات بن فلان ، ونعيم بن زيد ، وقيس بن عاصم أخو بني سعد في وفد عظيم من بني تميم ، معهم عيينة بن حصن بن حذيفة الفزاري — وقد كان الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحصار الطائف ، فلما وفد وفد بني تميم كانا معهم — فلما دخل وفد بني تميم المسجد ، نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء الحُجرات : أن اخرج إلينا يا محمد . فأذى ذلك من صياحهم رسول الله

(١) كذا في ابن هشام : وفي ط : « لا » . (٢) ابن هشام : « ولعلك » .

(٣) ابن هشام : « دخول فيه » .

صلى الله عليه وسلم ؛ فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك ^(١) لنفاخرَكَ ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : نعم ، أذنت لخطيبكم فليقل ^(٢) . فقام إليه عطار بن حاجب ، فقال : الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكاً ، ووهب لنا أموالاً عظيمةً نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثره عدداً . وأيسره عُدَّةً ، فن مثلنا فى الناس ! ألسنا براءوس الناس وأولى فضلهم ! فن يفاخرنا فليعد مثل ما عدنا ؛ وإنا لونشاء لأكثرنا الكلام ؛ ولكننا نحيامن الإكثار فيما أعطانا ؛ وإنا نعرف . أقول هذا الآن لتأتونا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس أخى بلحارث بن الخزرج : قم فأجب الرجل فى خطبته .

١٧١٢/١

فقام ثابت ، فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلَّقه ، قضى فيهن أمره ، وسَّع كرسيه علمه . ولم يك شئ قط إلا من فضله . ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكاً واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسباً ، وأصدقهم حدِيثاً ، وأفضلهم حسَباً ، فأنزل عليه كتابه ، واتممه على خلَّقه ؛ فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان ، فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رَحِمِهِ ؛ أكرم الناس أنساباً ، وأحسن الناس وجوهاً ؛ وخير الناس فعلاً ؛ ثم كان أوَّل الخلق إجابةً — واستجاب لله حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم — نحن ؛ فنحن أنصار الله ووُزراء رسوله ، نقَاتِل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فن آمن بالله ورسوله منع ماله ودَمَه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً ، وكان قتله علينا يسيراً ، أقول قولى هذا وأستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات ؛ والسلام عليكم .

قالوا : يا محمد ، ائذن لشاعرنا ، فقال : نعم ، فقام الزُّبْران بن بدر فقال ^(٣) :

نَحْنُ الْكِرَامُ فَلَا حَىَّ يُعَادِلُنَا مَنَا الْمُلُوكُ وَفِينَا تُنْصَبُ الْبَيْعُ ^(٤)

(١) و : « قد جئناك » . (٢) س : « فليقل » .

(٣) قال السهيلي : « وإن بعض الناس ينكر الشعر له ، وذكر أن الشعر لقيس بن عاصم » .

(٤) البيع : مواضع الصلوات والعبادات ، واحداً بيعة .

١٧١٣/١

وَكَمْ قَسَرْنَا مِنَ الْأَحْيَاءِ كَلِمَهُمْ عِنْدَ النَّهَابِ وَفَضْلُ الْعِزِّ يُتَّبَعُ
وَنَحْنُ نَطْعُمُ عِنْدَ الْقَحْطِ مَطْعَمَنَا مِنْ الشَّوَاءِ إِذَا لَمْ يُؤْنَسِ الْقَرْعُ ^(١)
ثُمَّ تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَائِهِمْ مِنْ كُلِّ أَرْضٍ هُوبًا ثُمَّ نَضْطَنَعُ ^(٢)
فَنَنْخَرُ الْكُومَ عِبْطًا فِي أُرُومَتِنَا لِلنَّازِلِينَ إِذَا مَا أَنْزَلُوا شَبَعُوا ^(٣)
فَلَا تَرَانَا إِلَى حَيٍّ نَفَاخِرُهُمْ إِلَّا اسْتَقَادُوا وَكَادَ الرَّأْسُ يُقْتَطَعُ
إِنَّا أَبِينَا وَلَنْ يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ
فَمَنْ يُقَادِرْنَا فِي ذَلِكَ يَعْرِفْنَا فَيَرْجِعِ الْقَوْلَ وَالْأَخْبَارُ تُسْتَمَعُ ^(٤)

وكان حسان بن ثابت غائباً، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال حسان: فلما جاءني رسوله فأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم، خرجت إلى رسول الله، وأنا أقول:

مَنْعَنَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ حَلَّ وَسَطْنَا عَلَى كُلِّ بَاغٍ مِنْ مَعْدٍ وَرَاغِمٍ ^(٥)
مَنْعَنَا لَمَّا حَلَّ بَيْنَ بُيُوتِنَا بِأَسْيَافِنَا مِنْ كُلِّ عَادٍ وَظَالِمٍ
بَبَيْتٍ حَرِيدٍ عِزُّهُ وَتَرَاوُهُ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ وَسَطِ الْأَعَاجِمِ ^(٦)
هَلِ الْمَجْدُ إِلَّا الشُّؤْدُودُ وَالنَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعَظَامِ !

١٧١٤/١

قال: فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام شاعر القوم، فقال ما قال، عرضت في قوله وقلت على نحو مما قال؛ فلما فرغ الزُّبرقان بن

(١) القرع: السحاب الرقيق؛ يريد إذا أخلفهم المطر فأجدبت أرضهم.

(٢) هوبا: سراعاً. قال السهيل: «وليس السراة جمع سري» كما ظنوا؛ وإنما هو كما تقول: «ذروتهم وسنامهم»، وسراة كل شيء: أعلاه.

(٣) الكوم: جمع كومة؛ وهي العظيمة السنام من النوق. وعبط: من غير علة. أرومتنا، أي أن هذا الكرم متأصل فينا.

(٤) في ابن هشام: «فن يفأخرنا في ذلك نعرفه»؛ وبعد هذا البيت في ابن هشام:

إِنَّا أَبِينَا وَلَا يَأْبَى لَنَا أَحَدٌ إِنَّا كَذَلِكَ عِنْدَ الْفَخْرِ نَرْتَفِعُ

(٥) ديوانه ٢٤٦

(٦) البيت الحريد: الفريد.

بدر من قوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال ، قال : فقال حسان :

١٧١٥/١
 إِنْ الذَّوَائِبَ مِنْ فِيهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ
 يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ
 قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمْ
 سَجِيَّةً تِلْكَ مِنْهُمْ غَيْرَ مُحَدَّثَةٍ
 إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاقُونَ بَعْدَهُمْ
 لَا يَرْفَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكْفُهُمْ
 إِنْ سَابَقُوا النَّاسَ يَوْمًا فَازَ سَبْقُهُمْ
 أَعَفَّةٌ ذَكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَفَّتُهُمْ
 لَا يَبْخُلُونَ عَلَى جَارٍ يَفْضُلُهُمْ
 إِذَا نَصَبْنَا لِحَيٍّ لَمْ نَدِبْ لَهُمْ
 نَسَمُوا إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْنا نَحْبَالَهَا
 لَا فَخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عَدُوِّهِمْ
 كَانَهُمْ فِي الْوَغَى وَالْمَوْتُ مُكْتَنِعٌ
 خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَوْا عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
 ١٧١٦/١
 قَدْ بَيْنُوا سُنَّةً لِلنَّاسِ تُتَّبَعُ (١)
 تَقْوَى الْإِلَهِ وَكُلُّ الْخَيْرِ يُصْطَنَعُ
 أَوْ حَاوَلُوا النِّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا
 إِنْ الْخِلَافَةُ فَاعْلَمْ شَرَّهَا الْبِدْعُ
 فَكُلُّ سَبَقٍ لِأَذْنَى سَبْقِهِمْ تَبِعُ
 عِنْدَ الدَّفَاعِ وَلَا يُوْهُونَ مَا رَفَعُوا
 أَوْ أَرَانُوا أَهْلَ مَجْدٍ بِالنَّدَى مَتَعُوا (٢)
 لَا يَطْبَعُونَ وَلَا يُرْدِيهِمْ طَمَعُ (٣)
 وَلَا يَمَسُّهُمْ مِنْ مَطْمَعٍ طَبَعُ (٤)
 كَمَا يَدْبُ إِلَى الْوَحْشِيَّةِ الذَّرْعُ (٥)
 إِذَا الزَّعَافُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا (٦)
 وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا هُلْعُ (٧)
 أَسْدٌ بَحْلِيَّةٌ فِي أَرْسَائِهَا فَدَعُ (٨)
 وَلَا يَكُنْ هَكَذَا الْأَمْرُ الَّذِي مَنَعُوا (٩)

(١) ديوانه ٣٤٨ ، ويريد بالذوائب ، السادة . (٢) متعوا : زادوا .

(٣) لا يطبعون : لا يدنون . (٤) الطمع : الدنس .

(٥) نصبنا : أظهرنا انداداً ولم نسرهما . والذرع : ولد البقرة الوحشية .

(٦) الزعاف : أطراف الناس وأتباعهم . وخشعوا : تذللوا .

(٧) الخور : الضعفاء . والهلع : جمع هلوع ؛ وهم الجازعون .

(٨) مكتنع : دان . وحلية : مأسدة بالين . والأرساغ : جمع رسع ؛ وهو موضع القيد من الرجل . وفدح : اعرجاج إلى ناحية .

(٩) عفوا : من غير مشقة .

فَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ — فَاتْرُكْ عَدَاوَتَهُمْ شَرًّا يُخَاضُ^(١) عَلَيْهِ النَّسَمُ وَالسَّلْعُ^(٢)
أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْعَتَهُمْ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ
أَهْدَى لَهُمْ مِدْحَتِي قَلْبٌ يُوَارِزُهُ فِيمَا أَحَبَّ لِسَانٌ حَائِكٌ صَنَعُ^(٣)
فِيَانِهِمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلَّهُمْ إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْشَمَعُوا^(٤)

فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى
إنّ هذا الرجل لمؤتّى^(٥) له ! لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر
من شاعرنا ، وأصواتهم^(٦) أعلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحسن جوائزهم — وكان عمرو بن الأهتم قد
خائنهم القوم في ظهرهم — فقال قيس بن عاصم — وكان يبغض عمرو بن الأهتم :
يا رسول الله ؛ إنه قد كان منا رجل في رحالنا وهو غلام حدث . وأزرى به .
فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ؛ فقال عمرو بن
الأهتم حين بلغه ذلك من قول قيس بن عاصم ، وهو يهجه :

ظَلِمْتَ مُفْتَرِشًا هَلْبَاكَ تَشْتَعْنِي^(٧) عِنْدَ الرُّسُولِ فَلَمْ تَصْدُقْ وَلَمْ تُصِيبْ
إِنْ تُبْغِضُونَا فَإِنَّ الرُّومَ أَضْلَكُمُ وَالرُّومَ لَا تَمْلِكُ الْبَغْضَاءُ لِلْعَرَبِ
سُدْنَا فَسُودَدْنَا عَوْدٌ وَسُودَدُكُمْ مُؤَخَّرٌ عِنْدَ أَصْلِ الْعَجَبِ وَالذَّنْبِ^(٨)

(١) يخاض يخلط . (٢) السلع : نبات مسموم .

(٣) صنع . يحسن القول ويجيده .

(٤) شمعوا : غزلوا ؛ وأصل الشمع النهر والطرب . وقد أورد ابن هشام بعد هذا أبياتا أخرى
للزبرقان ، أشدها في وفد بني تميم عند الرسول ، أولها :

أُنَيْنَاكَ كَمَا يَعْلَمُ النَّاسُ فَضَلْنَا إِذَا احْتَفَلُوا عِنْدَ احْتِضَارِ الْمَوَاسِمِ

وأجابه حسان بأبيات أخرى أيضا ، أولها :

هَلْ الْمَجْدُ إِلَّا السُّودْدُ الْعَوْدُ وَالنَّدَى وَجَاهُ الْمُلُوكِ وَاحْتِمَالُ الْعِظَامِ !

إلى آخر الأبيات . .

(٥) مؤق له : موفق .

(٦) ابن هشام : « ولأصواتهم » .

(٨) ابن هشام : ٣ : ٢٢٢ - ٢٢٧

(٧) ابن هشام « مفترش الهلياء » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان ، قال : فأنزل الله فيهم القرآن : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَبْذُلُونَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ ﴾ — من بني تميم — ﴿ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ^(١) ؛ قال : وهي القراءة الأولى ^(٢) .

• • •

قال الواقدي : وفيها مات عبد الله بن أبي بن سلؤل ، مريض في ليال بَقِينَ من شوال ، ومات في ذى القعدة ، وكان مرضه عشرين ليلة .

• • •

[قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم]

قال : وفيها قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير في شهر رمضان مقرين بالإسلام ؛ مع رسولهم الحارث بن عبد كلال ونعيم ابن عبد كلال ، والنعمان قَيْلَ ذِي رُعَيْنَ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير مَقْدَمُهُ من تَبُوكَ ورسولهم إليه بإسلامهم : ١٧١٨/١ الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قَيْلَ ذِي رُعَيْنَ ، وهَمْدَان ومُتَعَاوِر ؛ وبعث إليه زُرْعَةُ ذُو يَزَنَ مَالِكُ بْنُ مُرَّةَ الرَّهَافِيَّ بإسلامه ، ومفارقتهم الشرك وأهله ، فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال والنعمان ^(٣) قَيْلَ ذِي رُعَيْنَ وهَمْدَان ومُتَعَاوِر ؛ أما بعد ذلكم ؛ فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . أما بعد ؛ فإنه قد وقع بنا رسولكم مَقْلَتَنَا ^(٤) من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلكم ،

(١) سورة الحجرات ٤ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧ .

(٣) ابن هشام : « وإلى النعمان » . (٤) ابن هشام : « منقلبتنا » .

وخبَّرَ ما قبَلَكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ؛ وإنَّ الله قد هداكم بهدائه ^(١) ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ؛ وأعطيتم من المغانم خمس الله ، وسهم نبيِّه وصفيِّه ^(٢) ؛ وما كُتِبَ على المؤمنين من الصدقة من العقار ^(٣) عَشْرُ ما سَقَتِ العين وما سَقَتِ السماء ، وكلَّ ما سَقَى بالغَرْبِ ^(٤) نصف العُشْر ، وفي الإبل في الأربعين ابنة لبون ، وفي ثلاثين من الإبل ابنُ لبون ذكراً ، وفي كلِّ خمس من الإبل شاة ، وفي كلِّ عشر من الإبل شاتان ، وفي كلِّ أربعين من البقر بقرة ^(٥) ، وفي كلِّ ثلاثين من البقر تسبيحٌ ؛ جَدْعٌ أو جَدْعَةٌ ، وفي كلِّ أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . وإنها فريضة الله التي فرض على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خيرٌ له ، ومن أدّى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر ^(٥) المؤمنين على المشركين ؛ ١٧١٩/١ فإنه من المؤمنين ، له ما لم وعليه ما عليهم ؛ وله ذمّة الله وذمة رسوله . وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى فإنَّ له مثل ما لم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يفتن ^(٦) عنها ، وعليه الجزية ؛ على كلِّ حالم ذكر أو أنثى ، حرّاً أو عبد ؛ دينار وافر أو قيمته من المعاف ^(٧) أو عرضة ^(٨) ثياباً ؛ فمن أدّى ذلك إلى رسول الله ؛ فإنَّ له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدوٌّ لله ولرسوله .

أما بعد ؛ فإنَّ رسولَ الله محمداً النبيَّ أرسلَ إلى زُرْعَة ذى يَزَن أن إذا أتاكم ^(٩) رُسُلِي فأوصيكم بهم ^(١٠) خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ومالك بن عباد ، وعقبة بن نَمِر ، ومالك بن مُرّة وأصحابهم ؛ وأن اجتمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وبلدعوها ^(١١) رُسُلِي ، وإن أميرهم معاذ بن جبل ؛ فلا ينقلبن إلا راضياً .

(١) ابن هشام : « بهداه » .

(٢) العقار : الأرض التي تزرع .

(٣) ظاهر : عاون وآزر .

(٤) ابن هشام : « لا يرد عنها » .

(٥) ابن هشام : « أو عوضه » .

(٦) كذا في ابن هشام ، في ط : « بها » .

(٧) ابن هشام : « أتاكم » .

(٨) ابن هشام : « أبلغوها » .

أما بعد ؛ فإنّ محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ؛ ثم إن مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وأمرك بحمير خيراً ؛ ولا تَخَوْثُوا ولا تَخْذَلُوا فإنّ رسول الله مولى غنيكم وفقيركم ؛ وإنّ الصدقة لا تحلّ لحمد ولا لأهله ؛ إنما هي زكاة يتركّي بها على فقراء المؤمنين وأبناء السبيل ؛ وإنّ مالكم قد بلغ الخبر وحفظ الغيب ، وأمركم به خيراً ، وإني قد بعثت إليكم من صالحى أهلى وأولى ديني ^(١) ، وأولى علمهم ؛ فأمركم بهم خيراً فإنه منظور إليهم ؛ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ^(٢) .

• • •

قال الواقديّ : وفيها قدم وفدٌ بتهراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر رجلاً ، ونزلوا على المقداد بن عمرو .

قال : وفيها قدم وفد بنى البسكاء .

وفيها قدم وفد بنى فزارة ؛ وهم بضعة عشر رجلاً ، فيهم خارجة بن حصن .

قال : وفيها نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين النجاشي ، وأنه مات في رجب سنة تسع .

قال : وفيها حجّ أبو بكر بالناس ثم خرج أبو بكر من المدينة في ثلثمائة ، وبعث معه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشرين بدنة ، وساق أبو بكر خمس بدنات . وحجّ فيها عبد الرحمن بن عوف وأهدى .

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب عليه السلام على أثر أبى بكر رضى الله عنه ، فأدركه بالعرج ، فقرأ على عليه براءة يوم النحر عند العقبة . فحدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ؛ عن السديّ ، قال : لما نزلت هذه الآيات إلى رأس الأربعين

— يعنى من سورة براءة — فيعث بهن رسول الله مع أبى بكر، وأمره على الحج، فلما سار فبلغ الشجرة من ذى الحليفة أتبعه بعلي، فأخذها منه؛ فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، بأبى أنت وأمى! أنزل فى شأنى شيء؟ قال: لا؛ ولكن لا يبلغ عنى غيرى أو رجل منى. أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معى فى الغار، وأنت صاحبى على الخوض! قال: بلى يا رسول الله. فسار أبو بكر على الحج، وسار على يؤذن براءة، فقام يوم الأضحى فأذن فقال: لا يقربن المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوفن بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فله عهده^(١) إلى مدته، وإن هذه أيام أكل وشرب، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلماً. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد^(٢) ابن عمك إلا من الطعن والضرب.

فرجع المشركون فلام بعضهم بعضاً، وقالوا: ما تصنعون وقد أسلمت قريش! فأسلموا^(٣).

حدثني الحارث بن محمد، قال: حدثنا عبد العزيز بن أبان، قال: حدثنا أبو معشر، قال: حدثنا محمد بن كعب القرظي وغيره، قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أميراً على الموسم سنة تسع، وبعث على بن أبى طالب بثلاثين أو أربعين آية من «براءة»، فقرأها على الناس، يؤجل المشركين أربعة أشهر يتسيحون فى الأرض، فقرأ عليهم براءة يوم عرفة، أجل المشركين عشرين يوماً من ذى الحجة والحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر، وقرأها عليهم فى منازلهم، ولا يحجتن بعد عامنا هذا مشرك، ولا يطوفن بالبيت عريان^(٤).

قال أبو جعفر: وفى هذه السنة فرضت الصدقات، وفرق فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عماله على الصدقات.

(١) س: «فعهده». (٢) التفسير: «أو عهد».

(٣) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٩ (٤) الخبر فى التفسير ١٤ : ١٠٠

وفيها نزل قوله : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ ﴾^(١) ؛ وكان السبب الذى نزل ذلك به قصة أمر ثعلبة بن حاطب ، ذكر ذلك أبو أمامة الباهلي^(٢) . قال الواقدي : وفي هذه السنة ماتت أم كلثوم ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شعبان ، وغسلتها أسماء بنت عميس وصفيّة بنت عبد المطلب . قال : وقيل غسلتها نسوة من الأنصار ، فيهن امرأة يقال لها أم عطية ، ونزل فى حفرتها أبو طلحة .

قال : وفيها قدم وفد ثعلبة بن منقذ .

* * *

[قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد]

وفيها قدم وفد سعد هذيم . حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني سلمة بن كهيل ومحمد بن الوليد بن نويفع ، عن كريب مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : بعث بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، فأناخ بعيره على باب المسجد ثم عتقه ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، وكان ضمام بن ثعلبة رجلاً جليلاً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : قال رسول الله : أنا ابن عبد المطلب . قال : محمد ؟ قال : نعم ، قال : يا ابن عبد المطلب ، إني سائلك ومغليظ لك^(٤) فى المسألة ، فلا تجدن فى نفسك ! قال : لا أجيد فى نفسى ، فسأل عما بدا لك ، قال : أنشدك بالله^(٥) إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك ، آله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك بالله إلهك وإله من كان

١٧٢٣/١

(١) سورة التوبة ١٠٣ . (٢) أسباب النزول للواحدي ١٨٩ . ١٩٠ .

(٣) ابن هشام : « أحمد ؟ » . (٤) ابن هشام : « عليك » .

(٥) ابن هشام : « أنشدك الله » .

قيلك وإله من هو كائن بعدك ، الله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده ،
ولا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التي كانت آباؤنا تعبد من دونه ^(١) ؟
قال : اللهم نعم ، قال : فأنشذك بالله إلهك وإله من كان قبلك وإله
من هو كائن بعدك . الله أمرك أن تأمرنا أن نصلّي هذه الصلوات الخمس ؟
قال : اللهم نعم . قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة ؛
الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الإسلام كلها ، يناشده عن كل فريضة
كما ناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له . وأشهد أن محمداً رسول الله . وسأؤدّي هذه الفرائض
وأجتنب ما نهيتني عنه . ثم لا أنقص ولا أزيد . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً ^(٢) .
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولّي : إن صدق ذو العقيصتين ^(٣)
يدخل الجنة . قال : فأني بعيره فأطلق عقّاله ، ثم خرج حتى قدّم على قومه ،
فاجتمعوا إليه ، فكان أول ما تكلم به أن قال : باست اللات والعزى ! قالوا :
مه يا ضيمام ! اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ! قال : ويحكم ^(٤) ،
إنهما والله لا ينفعان ولا يضراّن ؛ إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً ،
استنقذكم به مما كنتم فيه ؛ وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ؛
وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه .

١٧٢٤/١

قال : فوالله ما أمسى ذلك اليوم في حاضره ^(٥) رجل ولا امرأة إلا مسلماً . قال :
يقول ابن عباس : فما سمعنا بوافيد قوم كان أفضل من ضيمام بن ثعلبة ^(٦) .

(١) ابن هشام : « يعبدون معه » .
(٢) من ابن هشام .
(٣) العقيصّة : الضفيرة من الشعر .
(٤) ابن هشام : « ويلكم » .
(٥) الحاضر : الحى .
(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ثم دخلت سنة عشر

[سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وإسلامهم]

قال أبو جعفر : فبعث فيها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ بن الوليد في شهر ربيع الآخر - وقيل في شهر ربيع الأول ، وقيل في جمادى الأولى - سريةً في أربعمائة إلى بني الحارث بن كعب .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالدَ ابن الوليد في شهر ربيع الآخر - أو في جمادى الأولى - من سنة عشر ، إلى بلحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا لك فاقبل منهم ، وأقم فيهم ، وعلمهم كتابَ الله وسنة نبيه ، ومعالم الإسلام ، فإن لم يفعلوا فقاتلهم .

فخرج خالدٌ حتى قدم عليهم ، فبعث الركب ان يضربون في كل وجه ، ويدعون الناس إلى الإسلام ، ويقولون : يا أيها الناس أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعاهم إليه ، فأقام خالد فيهم ؛ يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه .

ثم كتب خالدٌ إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم .
 ١٧٢٥/١ لحمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد ، السّلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ فإنّي أحمدُ إليك الله الذي لا إله إلا هو ؛ أمّا بعد يا رسول الله صلّى الله عليك ؛ بعثتني إلى بني الحارث بن كعب ، وأمرتني إذا أتيتهم ألاّ أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ؛ فإن أسلموا قبلت منهم وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنّي قدمتُ عليهم فدعوتهُم إلى الإسلام ثلاثة أيام كما أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركباًنا [قالوا] ^(١) : يا بني الحارث ، أسلموا

(١) من ابن هشام .

تَسَلَّمُوا، فَأَسْلَمُوا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيمٌ بين أظهرهم وأمرهم بما أمرهم الله به ،
وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يكتب إلى رسول الله ، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : بسم الله الرحمن الرحيم . من
محمد النبي رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك
الذي لا إله إلا هو ؛ أما بعد ، فإن كتابك جاءني مع رسلك به يخبر أن بني
الحارث قد أسلموا قبل أن يقاتلوا^(١) ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام
وشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن
قد هداهم الله بهداه ؛ فبشرهم وأندرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدُهم ؛
والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فأقبل خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفدُ
بلحارث بن كعب ؛ فيهم قيس بن الحُصَيْن بن يزيد بن قنَنان ذى الغُصَّة ،
وزيد بن عبد المَدَّان ، وبزید بن المَحَجَّل ، وعبد الله بن قُرَيْظ^(٢) الزِيَادِي ؛
وشَدَّاد بن عبد الله القَسَنَانِي ، وعمرو بن عبد الله الصَّبَّانِي .

فلما قدِمُوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرآهم قال : مَنْ هَؤُلَاءِ
القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هَؤُلَاءِ بنو الحارث بن
كعب ؛ فلما وقفوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم سَأَلُوا عليه ، فقالوا :
نشهد أنك رسول الله ، وأن لا إله إلا الله ، فقال رسول الله : وأنا أشهد أن لا إله
إلا الله وأنى رسول الله . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا
زُجِرُوا استقدموا ! فسكتوا ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها رسول الله صلى
الله عليه وسلم الثانية ، فلم يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها رسول الله الثالثة فلم
يراجعهم منهم أحد ، ثم أعادها رسول الله الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدَّان :
نعم يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجِرْنَا استقدمنا ، فقالها أربع مرات^(٣) ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن خالد بن الوليد لم يكتب إلى فيكم

(١) ابن هشام : « تقاتلهم » . (٢) ابن هشام : « قراد » .

(٣) ابن هشام : « قالها أربع مرار » .

أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لألقيت رؤوسكم تحت أقدامكم . فقال يزيد بن عبد المدان : أمّا والله يا رسول الله ، ما حمدناك ولا حمدنا خالدًا ، فقال رسول الله : فمن حمدتم؟ قالوا : حمدنا الله الذي هدانا لك [يا رسول الله] ^(١) ؛ قال : صدقتم ؛ ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدًا ، فقال رسول الله : بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : يا رسول الله ، كنا نغلب من قاتلنا ، أنا كنا بنى عبيد ، وكنا نجتمع ولا نتفرق ، ولا نبداً أحدًا بظلم ، قال : صدقتم . ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحارث بن كعب قيس بن الحصين . فرجع وفد بلحارث ابن كعب إلى قومهم في بقية شوال أو في صدر ذى القعدة ، فلم يمشوا بعد أن قدّموا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

١٧٢٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي بكر ، قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى بنى الحارث بن كعب بعد أن ولّى وفدهم عمرو بن حزم الأنصاري ، ثم أحد بنى التجار ، ليفقههم في الدين ويعلمهم السنة وسعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ ^(٣) ؛ عقد من محمد النبي لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله في أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمر به الله وأن يبشّر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم في الدين ، وينهى الناس ولا يمس أحد القرآن إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذي لهم ؛ وبالذي عليهم ؛ ويلين للناس في الحق ، ويشدد عليهم في الظلم ؛ فإن الله عز وجل كره الظلم ونهى عنه وقال : ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ ^(٤) ، ويبشّر الناس بالجنة وبعملها ، ويُنذر بالنار

(١) من ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

(٣) سورة المائدة ١ (٤) سورة هود ١٨

وبعملها ، ويستألف الناس حتى ينفقوها في الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به في الحج الأكبر والحج الأصغر ؛ وهو العمرة ، وينهى الناس أن يصلي أحد في ثوب واحد صغير ؛ إلا أن يكون ثوباً واحداً يثنى طرفه على عاتقه ، وينهى أن يحتبى أحد في ثوب واحد يُفَضِّي بفرجه إلى السماء ، وينهى ألا يعقص أحد شعر رأسه إذا عفا في قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هَيْجٌ عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ؛ وليكن دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدع إلى الله ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطعوها بالسيف حتى يكون دعاؤهم إلى الله وحده لا شريك له ، ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ، ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله عز وجل ، وأمره بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والخشوع ، وبغسل الفجر ، وبهجر بالهاجرة حين تَمِيل الشمس ، وصلاة العصر والشمس في الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ؛ لا تؤخر حتى تبدو النجوم في السماء ، والعشاء أول الليل . ويأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودي لها ، والنسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغنم خمس الله وما كتب على المؤمنين في الصدقة من العقار عشر ما سقى البعل وما سقت السماء ومِمَّا سقى الغرب نصف العشر ، وفي كل عشر من الإبل شاتان ، ١٧٢٨/١ وفي كل عشرين من الإبل أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفي كل ثلاثين من البقر تبيع جَدَعٌ أو جَدَعَةٌ ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة شاة ؛ فإنها فريضة الله التي افترض الله عز وجل على المؤمنين في الصدقة ؛ فمن زاد خيراً فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان دين الإسلام فإنه من المؤمنين ؛ له مثل ما لهم وعليه مثل ما عليهم ؛ ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يُفْتَن عنها ، وعلى كل حالم ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، ديناراً وافٍ أو عَرَضُهُ ^(١) ثياباً ؛ فمن أدّى ذلك ؛ فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك فإنه عدو لله ورسوله وللمؤمنين جميعاً ^(٢) .

(١) ابن هشام : « أو عرضه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٧ ، ٣٤٨ .

* * *

قال الواقدي : توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمره بن حزم عامه
ببنجران .

* * *

قال الواقدي : وفي هذه السنة قدم وفد سَلَامان في شوال على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهم سبعة نفر ؛ رأسهم حبيب السَلَاماني .
وفيها قدم وفدُ غَسَّان في رمضان .
وفيها قدم وفد غامد في رمضان .

* * *

[قدوم وفد الأزد]

وفيها قدم وفد الأزد ، رأسهم صُرَد بن عبد الله في بضعة عشر . فحدثنا
ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن
عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَد
ابن عبد الله الأزدي فأسلم فحسن إسلامه ، في وفد من الأزد ، فأمره رسول
الله على مَنْ أُسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بمن أُسلم من أهل بيته المشركين
من قبائل اليمن ، فخرج صُرَد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله في جيش حتى
نزل بجُرَش ؛ وهي يومئذ مدينة مغلّقة ، وفيها قبائل اليمن ، وقد ضوّت إليهم
خَنَنُهم ، فدخلوا معهم حين سمعوا بمسير المسلمين ، فحاصروهم بها قريباً من
شهر ، وامتنعوا منهم فيها . ثم إنه رجع عنهم قافلاً ؛ حتى إذا كان إلى جبل يقال
له « كَشَر »^(١) ظنّ أهل جُرَش أنه إنما ولّى عنهم منهزمًا ؛ فخرجوا في طلبه ؛
حتى إذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلاً ؛ وقد كان أهل جُرَش قد بعثوا
رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة يترادان وبنظران ؛
فبينما هما عند رسول الله عشيّة بعد العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم : بأيّ بلاد الله شكركم ؟ فقام الجُرَشِيّان فقالا : يا رسول الله ؛ ببلادنا جبل

(١) ابن هشام : « شكر » .

يقال له جبل كثر ؛ وكذلك تسميته أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكثرة ؛ ولكنه « شكر » قالوا : فإله يا رسول الله ؛ قال : إن بُدِنَ الله ائْتُنَحَرَّ عنده الآن . قال فجلس الرجلان إلى أبي بكر وإلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله الآن ليأتى لكما قومكما ^(١) ، فقوموا إلى رسول الله فأسألاه أن يدعو الله فيرفع عن قومكما ، فقاما إليه فأسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ؛ فخرجا من عند رسول الله راجعين إلى قومهما ، فوجدوا قومهما أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ؛ وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر ؛ فخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحمته لهم حمى حول قريتهم ١٧٣١/١ على أعلام معلومة للفرس ، وللراحلة . وللمشيرة تُشير ^(٢) الحرب ؛ فمن رعاها من الناس سوى ذلك فإله سحت ، فقال رجل من الأزد في تلك الغزوة - وكانت ختم تصيب من الأزد في الجاهلية وكانوا يغزون ^(٣) في الشهر الحرام : ياغزوة ما غزونا غير خائبة فيها البغال وفيها الخيل والحمر حتى أتينا حميرا في مصائبها وجمع ختمهم قد ساءت لها النذر ^(٤) إذا وصعت غليلا كنت أحملها قأبالي أدانوا بعد أم كفروا ! ^(٥)

* * *

[سرية على بن أبي طالب إلى اليمن]

قال : وفيها وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب في سرية إلى اليمن في رمضان . فحدثنا أبو كريب ومحمد بن عمرو بن هيثاج ، قالوا : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن الأزجي ، قال : حدثنا إبراهيم بن يوسف ، عن أبيه ، عن أبي إسحاق ، عن البراء بن عازب ، قال : بعث

(١) أي يخبركما بقتلهم . (٢) ابن هشام : « بقرة الحرب » .

(٣) ابن هشام : « يمدون » ، أي يعتدون .

(٤) المصانع : القرى والحصون والأبنية الضخمة . ساغت : ذاعت وانتشرت .

(٥) الغليل : حرارة الجوف من عطش أو نحوه . ودانوا : خضعوا . والخبرة في سيرة ابن

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام فكننت فيمن سار معه ؛ فأقام عليه ستة أشهر لا يجيبونه إلى شيء ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وأمره أن يُقْفِل خالدًا ومَنْ معه ، فإن أراد أحد من كان مع خالد بن الوليد أن يعقّب معه تركه . ١٧٣٢/١

قال البراء : فكننت فيمن عقّب معه ؛ فلما انتهينا إلى أوائل اليمن ، بلغ القوم الخبر ، فجمعوا له ، فصلّيتُ بنا على الفجر ، فلما فرغ صفّنا صفًّا واحدًا ، ثم تقدّم بين أيدينا ، فحمّد الله وأثنى عليه ، ثم قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلمتْ هَمْدَان كلُّها في يوم واحد ، وكتب بذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قرأ كتابه خرّ ساجدًا ، ثم جلس ، فقال : السلام على هَمْدَان ، السلام على هَمْدَان ! ثم تتابع أهل اليمن على الإسلام .

• • •

[قدوم وفد زُبَيْد]

قال أبو جعفر : وفيها قدِم وفدُ زُبَيْد على النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامهم . فحدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زُبَيْد ، فأسلم ، وكان عمرو بن معد يكرب قد قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى إليهم أمرُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ؛ إنك سيّد قومك اليوم ؛ وقد ذُكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقول ، إني نبي ؛ فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ؛ فإن كان نبيا كما يقول ؛ فإنه لا يخفى ^(١) عليك . إذا لقيناه اتبعناه ^(٢) ؛ وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه ذلك قيس بن مكشوح وسقّه رأيه .

(١) ابن هشام : « لن يخفى » . (٢) ابن هشام : « وإذا لقيناه اتبعناه » .

فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصدقه وآمن به ؛ فلما بلغ ذلك قيساً أوعد عمراً ، وتحفظ عليه ^(١) ، وقال :
خالفتي وترك رأبي ! فقال عمرو في ذلك :

أَمَرْتُكَ يَوْمَ ذِي صَعَا ، أَمْرًا بَادِيًا رَشْدُهُ
أَمَرْتُكَ بِاتِّقَاءِ أَلَدٍ هِـ والمعروف تاتَعْدُهُ ^(٢)
خَرَجْتَ مِنَ الْمَنَى مِثْلَ الْإِجْمَارِ أَعَارَهُ وَتَدُهُ ^(٣)
تَمَنَّنِي عَلَى فَرَسٍ عَلَيْهِ جَالِيًا أَسْدُهُ
عَلَى مُفَاضَةٍ كَالْنَهْـيِ أَخْلَصَ مَاءَهُ جَدُّهُ ^(٤)
تَرَدُّ الرُّمَحِ مِثْنِي الْإِشْنَانِ عَوَائِرُ أَقْصَدُهُ ^(٥)
فَلَوْ لَا قَيْتَنِي لَأَقْبَ تَ لَيْثًا فَوْقَ لِبْدُهُ ^(٦)
تَلَاقِي شَبَبًا شَنِّ الْبَرَّائِنِ نَاشِرًا كَتْدُهُ ^(٧)
يُسَامِي الْقِرْنَ إِنْ قَرْنٌ تَيْمَمُهُ فَيَعْتَصِدُهُ ^(٨)
فَيَأْخُذُهُ فَيَرْقُمُهُ فَيَخْفِضُهُ فَيَقْتَصِدُهُ ^(٩)
فَيَدْمَغُهُ فَيَحْطِمُهُ فَيَخْضِمُهُ فَيَزْدَرِدُهُ ^(١٠)
ظَلَمْتُ الشَّرْكَ فَمَا أَحْ رَزَتْ أُنْيَابُهُ وَيَدُهُ

(١) ابن هشام : « تحطم عليه » ، أى اشتد .

(٢) في ابن هشام : « تتمده » .

(٣) ابن هشام : « مثل الحمير غره وتده » .

(٤) الدرع المفاضة : الواسعة . والنهى : الغدير من الماء . والجدد : الأرض الصلبة .

(٥) عوائير : مطايرة . والقصد : جمع قصدة ؛ وهى ما يكسر من الرمح .

(٦) اللبد : جمع لبدة ، وهى ما على كتفى الأسد ورأسه من الشعر .

(٧) الشنب : الذى يتعلق بقرنه ولا يزيله . والشن : الغليظ الأصابع ، والبرائن للبايع

بمزالة الأصابع للإنسان . وناشر : مرتفع . والكند : ما بين الكتفين .

(٨) يعتصده : يأخذه تحت عضده ليصرعه .

(٩) يقتصده : يقتله .

(١٠) يدمغه : يذهبه . ويحطمه : يكسره . ويخضمه : يأكله .

مَتَى مَا يُغْدَى أَوْ يُغْدَى بِهِ فَقَبُولُهُ بِرَدِّهِ^(١)
 فَيَخْطُرُ مِثْلَ خَطْرِ الْقَحْلِ لِي فَوْقَ جِرَانِهِ رَبْدُهُ
 فَأَمْسَى يَعْتَرِيهِ مِنْ أَلْبَعُوضِ مَمْنَعًا بِلَدِّهِ
 فَلَا تَتَمَنَّى وَتَمَنَّيَ غَيْرِي لَيْنًا كَتَدُّهُ
 وَبَوَّيْنِي لَهُ وَطَنًا^(٢) كَثِيرًا حَوْلَهُ عَدَدُهُ

١٧٣٤/١

قال : فأقام عمرو بن معد يكرب في قومه من بني زُبَيْد ؛ وعليهم فَرَوَة
 ابن مُسَيْك المُرَادِي ، فلما تَوَقَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْتَدَّ عمرو
 فقال حين ارتدَّ :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَوَةَ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مُخْزِدٍ بِقَدْرِ^(٣)
 وَكُنْتُ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عُمَيْرٍ تَرَى الْخَوْلَاءَ مِنْ خُبْنٍ وَغَدْرِ^(٤)

[قدوم فَرَوَة بن مسيك المُرَادِي]

وقد كان قدم على رسول الله في هذه السنة—أعني سنة عشر—قبل قدوم عمرو
 ابن معد يكرب ، فَرَوَة بن مُسَيْك المُرَادِي مفارقًا لملوك كِنْدَةَ . فحدثنا ابن
 حُمَيْد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ،
 قال : قدِمَ فَرَوَة بن مُسَيْك المُرَادِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفارقًا
 لملوك كِنْدَةَ ، ومعانداً لهم ؛ وقد كان قَبِيلَ الْإِسْلَام بين مُرَاد وهَمْدَان
 وقعة أصابت فيها هَمْدَان من مُرَاد ما أرادوا ؛ حتى أَثْخَنُوهُمْ^(٥) في يوم كان
 يقال له الرِّزْم ؛ وكان الذي قَادَ هَمْدَان إلى مُرَاد الأَجْدَع بن مالك ،
 ففَضَحَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وفي ذلك يقول فَرَوَة بن مُسَيْك :

(١) من هذا البيت إلى آخر القصيدة ما لم يذكر في سيرة ابن هشام .

(٢) ط : « وثوى » .

(٣) ساف : شم . وفي ابن هشام : « بشفر » . عن أبي عبيدة .

(٤) الخولاء : جلدة ماؤها أخضر تخرج مع الولد فيها أغراس وتروق وخطوط خضر وحمير .

والخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ .

(٥) أَثْخَنُوهُمْ : أَكْثَرُوا الْقَتْلَ فِيهِمْ وَأَخْرَجُوا .

١٧٣٥/١

فَإِنْ تَغْلِبْ فَعَلَابُونَ قَدِمًا (١) وَإِنْ نُهَزَمْ فَفَيْزٌ مُهَزِّمِينَ (٢)
وَأَنْ تَقْتُلَ فَلَا جُنَّ وَلَكِنْ مَنَابِتَا وَطْعَمَةُ آخِرِينَ (٣)
كَذَلِكَ أَلْدَهَرُ دَوْلَتَهُ سِجَالٌ تَكْرُ صُرُوفُهُ حِينًا فَحِينًا (٤)
فَيَيْنَادُ يُسَرُّ بِهِ وَيَرْضَى وَلَوْ لُبِسَتْ غَضَارَتُهُ سَيْنِينَ (٥)
إِذَا أَنْقَلَبْتَ بِهِ كَرَاتُ دَهْرٍ فَالْقَى لِلْأُولَى غَبَطُوا طَحِينًا (٦)
وَمَنْ يُغْبِطُ بَرِيْبَ أَلْدَهْرِ مِنْهُمْ يَجِدُ رَيْبَ الزَّمَانِ لَهُ خَوْنًا
فَنَوْ خَلَدَ الْمُلُوكُ إِذَا خَلَدْنَا وَلَوْ بَقِيَ الْكِرَامُ إِذَا بَقِينَا
فَأَفْنَى ذَاكُمْ سَرَوَاتُ قَوْمِي كَمَا أَفْنَى الْقُرُونُ الْأَوَّلِينَ (٧)

ولما توجه فروة بن مُسَيْكٍ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً للملك
كِنْدَةَ قَالَ :

لَمَّا رَأَيْتُ مُلُوكَ كِنْدَةَ أَغْرَضْتَ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلِ عِرْقُ نَسَائِمِهَا (٧)
يَمْتُ رَاحِلَتِي أَوْمٌ مُحَمَّدًا أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحَسَنَ ثَرَائِمِهَا

قَالَ : فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ - فِيمَا
بَلَغَنِي : يَا فَرُوءَ ، هَلْ سَأَلَكَ مَا أَصَابَ قَوْمَكَ يَوْمَكَ يَوْمَ الرِّزْمِ (٨) ؟ فَقَالَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَنْ ذَا يَصِيبُ قَوْمَهُ مِثْلَ مَا أَصَابَ قَوْمِي يَوْمَ الرِّزْمِ ؟ لَا يَسُوءُهُ

(١) ابن هشام : « وإن تغلب فغير مغلبينا » .

(٢) رواية ابن هشام : « وما إن طيناجين ولكن » ، قال في اللسان : « طينا ، يجوز أن يكون
معناه : ما دهرنا وشأننا وعادتنا ، ومعنى هذا الشعر : إن كانت همدان ظهرت علينا في يوم الردم فغلبنا
فغير مغلبين ، والمغلب : الذي يغلب مرارا ؛ أي لم تغلب إلا مرة واحدة » .

(٣) سجال من المسجلة ؛ وأصله في البئر يستقي هذا مرة وهذا مرة ؛ والمعنى هنا يكون تارة
للإنسان وتارة عليه .

(٤) غضارة الشيء : طراوته . (٥) غبطوا : حسنت حالهم .

(٦) سروات الناس : أشرفهم .

(٧) النسا : عرق مستبطن في الفخذ ؛ وهو مقصور ومدته للشعر .

(٨) ابن هشام : « الردم » .

ذلك ! فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً . فاستعمله رسولُ الله على مُراد وزُبَيْدٍ ومَذْحِجٍ كُلِّهَا ؛ وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة ، وكان معه في بلاده حتى تُوَفِّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا أبو كُرَيْبٍ وسفيان بن وكيع ، قالا : حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ ، قال : أخبرنا مجالد ، قال : حَدَّثَنَا عامر ، عن فَرْوَةَ بن مُسَيْكٍ ، قال : قال رسول الله : أَكْرَهْتَ يَوْمَكَ وَيَوْمَ هَمْدَانَ ؟ فقلت : إِي وَالله ! أَفْنَى الْأَهْلِ وَالْعَشِيرَةِ ؛ فَقَالَ : أَمَا إِنَّهُ خَيْرٌ لِمَنْ بَقِيَ .

• • •

[قدوم الجارود في وفد عبد القيس]

وفيهما قَدَمٌ وفد عبد القيس ، فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثَنَا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قَدِمَ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارودُ بن عمرو بن حَنْشٍ بن المَعْلَى ، أَخُو عبد القيس في وفد عبد القيس وكان نصرانيًّا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حَدَّثَنَا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمته ؛ فعرض عليه الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إني قد كنت على دين ؛ وإني تاركٌ ديني لدينك ؛ فتضمن ^(٢) لي ديني ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا ضامنٌ لك أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه . قال : فأسلم وأسلم معه أصحابه ، ثم سألوا رسولَ الله الحُمْلَانِ ؛ فقال : والله ما عندي ما أَحْمِلُكُمْ عليه ، فقالوا : يا رسولَ الله ، إن بيننا وبين بلادنا ضَوَالٌ من ضوَالِ الناس ؛ أفنتبَلِّغُ عليها إلى بلادنا ؟ قال : إياكم وإياها ؛ فإنما ذلك حَرِّقَ النار . قال : فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه — وكان حسنَ الإسلام صُلْبًا على دينه — حتى هلك ؛ وقد أدرك الرِّدَّةَ ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٤ . (٢) ابن هشام : « أفضمن ؟ » .

فلما رجع من قومه مَنْ كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور^(١)، المنذر ابن النعمان بن المنذر ، أقام الجارود فشَهِد شهادة الحق ودعا إلى الإسلام ، فقال : يا أيها الناس ؛ إني أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنهى مَنْ لم يشهد^(٢) .

وقد كان رسول الله بعث العلاء بن الحضرمي قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى ، فأسلم فحسن إسلامه ؛ ثم هلك بعد وفاة رسول الله ، وقبل ردة أهل البَحْرَيْن ، والعلاء أميرٌ عنده لرسول الله على البحرين^(٣) .

• • •

[قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة]

وفيهما قدم وفد بنى حنيفة ؛ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة ؛ فيهم مُسيلمَة بن حبيب الكذاب ، فكان مترلماً في دار ابنة الحارث ؛ امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حَدَّثَنِي بَعْضُ عُلَمَائِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، أَنَّ بَنِي حَنِيفَةَ أَتَتْ بِمُسَيْلَمَةَ إِلَى ١٧٣٨/١ رسول الله صلى الله عليه وسلم تسره بالثياب ، ورسول الله جالس في أصحابه ، ومعه عَسِيبٌ^(٤) من سَعَفِ النَّخْلِ ، في رأسه خُوصَات ، فلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُمْ يَسْتَرُونَهُ بِالثِّيَابِ ، كَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا الْعَسِيبَ الَّذِي فِي يَدِي مَا أُعْطَيْتَكَ !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة ، قال : كان حديثُ مسيلمَة على غير هذا ؛

(١) قال السهيلي : « إنما سمي الغرور لأنه غر قومه في تلك الردة ، أو غرره واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك » .

(٢) ابن هشام : « وأكفر من لم يشهد » . قال : ويروى : « وأكنى من لم يشهد » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ .

(٤) العسيب : جريد النخل .

زعم أن وفد بني حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفوا مسيلمة في رحلهم ؛ فلما أسلموا ذكروا له مكانه ، فقالوا : يا رسول الله ؛ إنا قد خلفنا صاحبنا لنا في رحالنا وركابنا يحفظهما لنا . قال : فأمر نه رسول الله بمثل ما أمر به للقوم ؛ وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ، يحفظ ضيعة أصحابه ؛ وذلك [الذي] ^(١) يريد رسول الله . قال : ثم انصرفوا عن رسول الله وجاءوا مسيلمة بما أعطاه رسول الله ؛ فلما انتهى إلى اليمامة ارتدّ عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إني قد أشركت في الأمر معه ، وقال لوفده : ألم يقل لكم رسول الله حيث ذكروا : « أما إنه ليس بشركم مكانا » ! ما ذلك إلا لما كان يعلم أني قد أشركت معه ؛ ثم جعل يسجع السجعات ^(٢) ، ويقول لهم فيها يقول مضاهاة ^(٣) للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلي ، أخرج عنها نسمة تسعسى ، من بين صفاق ^(٤) وحشي » ، ووضع عنهم الصلاة ؛ وأحلّ لهم الخمر والزنا ، ونحو ذلك . فشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نبي ^(٥) ، فأصفت ^(٦) بنو حنيفة على ذلك ، فأنه أعلم أيّ ذلك كان ^(٧) .

* * *

[قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة]

قال أبو جعفر : وفيها قدم وفد كندة ؛ رأسهم الأشعث بن قيس الكندي ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث ابن قيس في ستين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله مسجدة ، وقد

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ابن هشام : « الأساجيع » .

(٣) مضاهاة : مشابهة . (٤) الصفاق : مارق من البطن .

(٥) ابن هشام : « وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبي » .

(٦) أصفقا على ذلك : أجمعوا عليه .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

رَجَلُوا جُمُوعَهُمْ^(١)، وَتَكَحَّلُوا، عَلَيْهِمْ جُبَيْبُ الْخَبِيرَةِ؛ قَدْ كَفَفُوها^(٢) بِالْحَرِيرِ؛ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَلَمْ تَسْلِمُوا؟ قَالُوا: بلى، قَالَ: فَمَا بَالُ هَذَا الْحَرِيرِ فِي أَعْنَاقِكُمْ؟ قَالَ: فَشَقَّوْهُ مِنْهَا فَأَلْتَقَوْهُ، ثُمَّ قَالَ الْأَشْعَثُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ نَحْنُ بَنُو آكَلِ^(٣) الْمُرَارِ، وَأَنْتَ ابْنُ آكَلِ الْمُرَارِ، فَتَسَمَّيَ رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: نَاسَبُوا بِهَذَا النَّسَبِ الْعَبَّاسُ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ. قَالَ: وَكَانَ رَبِيعَةُ وَالْعَبَّاسُ تَاجِرَيْنِ؛ فَكَانَا إِذَا سَاحَا فِي أَرْضِ الْعَرَبِ فَسْتَلَا مَنْ هُمَا؛ قَالَا: نَحْنُ بَنُو آكَلِ الْمُرَارِ؛ يَتَعَزَّزَانِ بِذَلِكَ؛ وَذَلِكَ أَنَّ كِنْدَةَ كَانَتْ مَلُوكًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ لَا نَقْفُو أَمَّنَا^(٤)، وَلَا نَنْتَفِي مِنْ أَيْتِنَا. فَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ: هَلْ عَرَفْتُمْ يَا مَعْشَرَ كِنْدَةَ! وَاللَّهِ لَا أَسْمَعُ رَجُلًا قَالَهَا بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا ضَرْبَتْهُ حِدَّةٌ ثَمَانِينَ^(٥).

• • •

قال الواقدي: وفيها قدم وفدٌ محارب

وفيها قدم وفدُ الرَّهَآوِيِّينَ.

وفيها قدم وفدُ الْعَاقِبِ وَالسَّيِّدِ مِنْ نَجْرَانَ، فَكُتِبَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابُ الصَّلَاحِ. ١٧٤٠/١

قال: وفيها قدم وفدُ عَبَّسَ.

وفيها قدم وفدُ صَدِيفَ، وَافَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حِجَّةِ الْوُدَاعِ.

(١) رَجَلُوا: سَرَحُوا وَسَطَّوْا. وَالْجَمْعُ: جَمْعُ جَمَّةٍ؛ وَهِيَ يَجْتَمِعُ شَعْرُ النَّاصِيَةِ الَّتِي يَصِلُ إِلَى الْمَنْكِينَ.

(٢) كَفَفُوها: جَعَلُوا لَهَا مَحْجَفًا مِنْ حَرِيرٍ.

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: «الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ مِنْ وَلَدِ آكَلِ الْمُرَارِ مِنْ قَبْلِ النَّسَاءِ، وَآكَلِ الْمُرَارِ الْحَارِثُ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَجَرٍ بْنُ عَمْرِو بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مَعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرٍ بْنِ مَرْتَعٍ بْنِ مَعَاوِيَةَ ابْنِ كَنْدَى - وَيُقَالُ كِنْدَةُ».

(٤) لَا نَقْفُو أَمَّنَا: لَا نَتَّبِعُ نَسَبَ أَمَّنَا، قَالَ السَّهْلِيُّ: «وَذَلِكَ أَنَّ فِي جَدَاتِ الذِّبْيِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هِيَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ؛ مِنْهُنَّ دَعْدُ بِنْتُ سُرَيْرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ الْحَارِثِ الْكَنْدِيُّ الْمَذْكُورُ؛ وَهِيَ أُمُّ كَلَّابِ بْنِ مَرَّةٍ». (٥) سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ ٢: ٣٤٥.

قال : وفيها قدم عدى بن حاتم الطائي ، في شعبان .

وفيها مات أبو عامر الراهب عند هيرقل ، فاختلف كنانة بن عبد ياليل وعلقة بن علاثة في ميراثه ، فقضى به لكنانة بن عبد ياليل . قال : هما من أهل المدر ، وأنت من أهل الوبر .

• • •

[قدوم رفاعة بن زيد الجذامي]

قال : وفيها قدم وفد خولان ، وهم عشرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذنة الحديدية قبل خبير رفاعة بن زيد الجذامي ثم الضبيي ؛ فأهدى لرسول الله غلاماً ، وأسلم فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله إلى قومه كتاباً ، في كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذا كتاب من محمد رسول الله لرفاعة بن زيد ؛ إني بعثته إلى قومه عامةً ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ؛ فمن أقبل فمن حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهريئ . فلما قدم رفاعة على قومه ، أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة ؛ حرة الرجلاء فنزلوها ^(١) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن رجال من جذام كانوا بها علماء ، أن رفاعة بن زيد ، لما قدم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله ومعه تجارة له ؛ حتى إذا كان بوادٍ من أوديتها ، يقال له : شتار ؛ أغار على دحية الهنيد بن عوص وابنه عوص بن الهنيد ، الضليعيان - والضليع بطن من جذام - فبأكل شيء كان معه ؛

فبلغ ذلك نفرًا من بني الضَّبْيِ قوم رفاة ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهُنَيْد وابنه ، فهم من بني الضَّبْيِ النعمان بن أبي جعال ، حتى لقوهم ، فاقتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّةُ بن أشقر الضَّفاري ثم الضَّلَيْعي ، فقال : أنا ابن لُبْنَى ؛ ورعى النعمان بن أبي جعال بسهم فأصاب رُكْبَتَهُ ، فقال حين أصابه : خُذْهَا وَأَنَا ابن لُبْنَى - وكانت له أمٌ تدعى لُبْنَى - قال : وقد كان حسان بن مِلَّةَ الضَّبْيِي قد صحب دِحْيَةَ بن خليفة الكلبي قبل ذلك ؛ فعلمته أم الكتاب ؛ فاستنقذوا ما كان في يد الهُنَيْد وابنه عوص ، فردوه على دِحْيَةَ ؛ فسار دِحْيَةَ حتى قدم على رسول الله ، فأخبره خبره ، واستسقاء دم الهُنَيْد وابنه ؛ فبعث إليهم رسول الله زيد بن حارثة - وذلك الذي هاج غزوة زيد جُدَامًا ، وبعث معه جيشًا - وقد وجهت غطفان من جُدَامِ كلِّها ووائل ١٧٤٢/١ ومن كان من سلامان وسعد بن هُدَيم حين جاءهم رفاة بن زيد بكتاب رسول الله ؛ فتزلوا بالحرّة ؛ حرّة الرجلاء ، ورفاة بن زيد بكرّاع رَبَّةٍ ولم يعلم ، ومعه ناسٌ من بني الضَّبْيِ وسائر بني الضَّبْيِ بوادي من ناحية الحرّة مما يسيل مُشَرَّقًا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ؛ فأغار بالفضّافِض من قبَل الحرّة ، وجمعوا ما وجدوا من مال وأناس ، وقتلوا الهُنَيْد وابنه ورجلَيْن من بني الأحنف ، ورجلًا من بني خَصِيب ؛ فلما سمعت بذلك بنو الضَّبْيِ والجيش بفسفاء مدّان ، ركب حسان بن مِلَّةَ على فرس لسويد بن زيد يقال لها العَجَاجَة ، وأنيف بن مِلَّةَ على فرس للملّة ، يقال لها رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس له يقال لها شَمِير ؛ فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد لأنيف بن مِلَّةَ : كفّ عنا وانصرف ؛ فإننا نخشى لسانك ، فانصرف فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه ؛ فجعل فرسه تبحث بيدها وتوثب ؛ فقال : لأنّا أضنُّ بالرجلين منك بالفرسيّين ؛ فأرختي لها حتى أدركهما ؛ فقالا له : أمّا إذ فعلت ما فعلت ، فكفّ عنا لسانك ولا تشأمنا اليوم ، وتواطئوا ^(١) ألا يتكلم منهم إلا حسان بن مِلَّةَ ؛ وكانت

(١) ابن هشام : « فتواطئوا » .

١٧٤٣/١ بينهم كلمة في الجاهلية؛ قد عرفوها؛ بعضهم من بعض؛ إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال: «ثورى» (١).

فلما برزوا على الجيش أقبل القوم يتدرونهم؛ فقال حسان: إنا قوم مسلمون؛ وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدحم بائع رجه (٢) يقول معروضه: كأنما ركزه على منسج فرسه جد وأعتق (٣)؛ فأقبل يسوقهم، فقال أنيف: «ثورى»، فقال حسان: مهلاً! فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حسان: إنا قوم مسلمون، فقال له زيد: فاقرا أم الكتاب، فقرأها حسان، فقال زيد بن حارثة: نادوا في الجيش، إن الله قد حرّم علينا شجرة (٤) القوم التي جاءوا منها إلا من ختر (٥)؛ وإذا أخت لحسان ابن ملّة - وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضّيب - في الأسارى. فقال له زيد: خذها، فأخذت بحقنونه (٦)، فقالت أم الفزّز الضّليعية: أتستلقون بيناتكم، وتندرون أتهاتكم! فقال أحد بني خصيب: إنها بنو الضّيب! وسحرت (٧) ألسنتهم سائر اليوم، فسمعها بعض الجيش، فأخبر بها زيد بن حارثة، فأمر بأخت حسان، فنكّت يداها من حقنونه، فقال لها: اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكنّ حكمه؛ فرجعوا؛ ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذي جاءوا منه، فأمسوا في أهلهم؛ واستعموا ذوداً (٨) لسويد بن زيد، فلما شربوا عتمتهم (٩) ركبوا إلى رفاعه بن زيد؛ وكان من ركب إلى رفاعه تلك الليلة أبو زيد بن عمرو وأبو شماس بن عمرو، وسويد بن زيد، وبعجة بن زيد؛ وبرذع بن زيد، وثعلبة بن عمرو، ومخزبة بن عدى، وأنيف بن ملّة، وحسان بن ملّة؛ حتى صبحوا رفاعه

(١) ابن هشام: «أو ثورى» . (٢) ساقطة من ابن هشام .

(٣) ثرة القوم: ناحيتهم التي يحملونها .

(٤) ختر: نقض العهد وخان . (٥) حقو الرجل: خصمه .

(٦) ابن هشام: «بحر» .

(٧) البود: ما بين الثلاث إلى العشر من الإبل . واستعموا ذوداً: انظروا إلى عنقه الليل .

(٨) عتمتهم، أي في وقت العتمة .

ابن زيد بكراع ربةً بظهر الحرّة على برهنالك من حرّة ليلي ، فقال له حسان بن ملّة : إنك بالخالس تحلب المعزى ونساء جذام يجزرن أسارى قد غرّها كتابك الذى جئت به ! فدعا رفاعه بن زيد بحمل له ؛ فجعل يشكل عليه رحله ؛ وهو يقول :

« هل أنت حىّ أو تُنادى حياً »

ثم غدا وهم معه بأمية بن صفارة أخى الحصيبى المقتول مبكرين من ظهر الحرّة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا انتهوا إلى المسجد ؛ ونظر إليه رجل من الناس ، فقال لهم : لا تُنبيخوا إبلكم وتقطع أيديهن ، فزولوا عنها وهن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآهم ، ألح^(١) إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعه بن زيد المنطق قام رجل من الناس ، فقال : إن هؤلاء يا نبيّ الله قومٌ سحرة ؛ فرددها مرتين ؛ فقال رفاعه : رحم الله من لم يجزنا فى يومنا هذا إلا خيراً ! ثم دفع رفاعه كتابه إلى رسول الله الذى كان كتبه له ، فقال : دونك يا رسول الله ١٧٤٥/١ قديماً كتابه ، حديثاً غدره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ يا غلام وأعلن ؛ فلما قرأ كتابهم واستخبرهم فأخبروه الخبر ، قال رسول الله : كيف أصنع بالقتلى ؟ ثلاث مرات ؛ فقال رفاعه : أنت يا رسول الله أعلم ، لأنحرم عليك حلالاً ، ولا نحيل لك حراماً ؛ فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حياً ، ومن كان قد قُتل فهو تحت قدميّ هاتين . فقال رسول الله : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا على ، فقال على : يا رسول الله ؛ إن زيدا بن بطيعة ، قال : خذ سيفي ، فأعطاه سيفه ؛ فقال على : ليس لى راحلة يا رسول الله أركبها ، فحمله رسول الله على جمل لتعليه بن عمرو ؛ يقال له المكحاح ؛ فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبي وبشر ؛ يقال لها الشمر ؛ فأنزلوه عنها ، فقال : يا على ما شأنى ؟ فقال له على : ما لهم عرفوه فأخذوه . ثم ساروا حتى لقوا الجيش بفيء الفحلستين ، فأخذوا ما فى أيديهم من أموالهم ؛ حتى كانوا يذرعون لبد المرأة من تحت الرّحل^(٢)

(١) ألح : أشار .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥ .

وفدُ بني عامر بن صعصعة

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدِمَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وفدُ بني عامر ؛ فيهم عامر بن الطفيل ، وأربدُ بن قيس بن مالك بن جعفر ، وجبَّارُ بن سلمى بن مالك بن جعفر ؛ وكان هؤلاء الثلاثة رؤوس القوم وشياطينهم . ١٧٤٦/١

فقدم عامر بن الطفيل على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم وهو يريد الغدَر به ؛ وقد قال له قومه : يا عامر ؛ إنَّ الناس قد أسلموا فأسلم ؛ قال : والله لقد كنتُ آليتُ ألاَّ أنتهيَ حتى تتبعَ العربُ عقبِي ؛ أفأنا أتبعُ عقبَ هذا النقي من قريش ! ثم قال لأربد : إذا قدمت على الرجل فإني شاغلٌ عنك وجهه ؛ فلماذا فعلتُ ذلك فاعلته بالسيف ؛ فلما قدِموا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم قال عامر بن الطفيل : يا محمد خالتي ^(١) ؛ قال : لا والله حتى تؤمِّنَ بالله وحده ، قال : يا محمد خالتي ، قال : وجعل يكلمه فينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يجير شيئاً ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالتي ، قال : لا والله حتى تؤمِّنَ بالله وحده لا شريك له . فلما أبى عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنَّها عليك خيلاً حُمراً ورجالاً ، فلما ولَّى قال رسولُ الله : اللهم اكفني عامر بن الطفيل ، فلما خرجوا من عند رسولِ الله قال عامر لأربد : ويحك يا أربد ! أين ما كنت أوصيتك به ! والله ما كان على ظهر الأرض رجلٌ هو أخوف على نفسي عندى منك ، وإيمُ الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا تعجلُ على لا أبالك ! والله ما هممت بالذي أمرتني به من مرة إلا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ! قال عامر بن الطفيل :

بَعَثَ الرَّسُولُ بَمَا تَرَى فَكَأَنَّمَا عَمْدًا نَشَنَ عَلَى الْمَقَانِبِ غَارًا
وَلَقَدْ وَرَدَنَّا الْمَدِينَةَ شُرْبًا وَلَقَدْ قَتَلْنَا بِحَوْهَا الْأَنْصَارًا
وخرجوا راجعين إلى بلادهم ؛ حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله عزَّ

(١) خالتي بالتشديد ؛ أي اتخذني خليلاً ، وبالتخفيف : تفرد لي خالياً .

وجلّ على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فقتله ؛ وإنه في بيت امرأة من بني سكلو ؛ فجعل يقول : يا بني عامر ؛ أَعْدَّةٌ كَعْدَةِ الْبَكْرِ ؛ وموت في بيت امرأة من بني سكلو ^(١) ! ثم خرج أصحابه حين واروه ؛ حتى قدموا أرض بني عامر ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم ، فقالوا : ما وراءك يا أريد ؟ قال : لا شيء ؛ والله لقد دعانا إلى عبادة شيء لوددت أنه عندي الآن فأريه بنسبى هذه حتى أقتله ؛ فخرج بعد مقاتله هذه بيوم أو يومين ، معه جمل له يبيعه ؛ فأرسل الله عليه وعلى جملة صاعقة فأحرقتهما . وكان أريد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه ^(٢) .

[قدوم زيد الخليل في وفد طي]

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طي ؛ فيهم زيد الخليل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ؛ وعرض عليهم رسول الله الإسلام فأسلموا فحسن إسلامهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنا ١٧٤٨/١ ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن رجال من طي : « ما ذكركم رجل من العرب بفضل ثم جاءني إلا رأيته دون ما يقال فيه إلا ما كان من زيد الخليل ؛ فإنه لم يبلغ فيه كل ما فيه . ثم سمّاه زيد الخير ؛ وقطع له فيداً وأرضين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله : إن ينسج زيد من حمى المدينة ! سمّاها رسول الله [باسم] ^(٣) غير الحمى وغير أمّ مَلْدَم فلم يُثبتته — فلما انتهى من بلاد نجد إلى ماء من مياهه يقال له فَرْدَة أصابته الحمى ؛ فمات بها ، فلما أحسن زيد بالموث قال :

أُمِرْتُ جُلُ قَوْمِي الْمَشَارِقَ عُذْوَةً وَأَتْرَكْتُ فِي بَيْتٍ بِفَرْدَةٍ مُنْجِدٍ
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ مَرَضْتُ لَعَادَنِي عَوَائِدُ مَنْ لَمْ يُبْرَ مِنْهُمْ يَمْجِدٍ

(١) الفدة : داء يصيب البعير فيموت منه ، والبكر : الفتى من الإبل ، والسلولية : امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة ؛ وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أمهم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٣٧ . (٣) من ب وابن هشام .

فلما مات عِدَّت امرأته إلى ما كان معها من كُتُبِهِ الَّتِي قَطَعَ لَهُ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَرَّقَتْهَا بِالنَّارِ^(١) .

• • •

[كِتَابُ مُسَيْلِمَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ وَالْجَوَابُ عَنْهُ]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ كَتَبَ مُسَيْلِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَّعِي
أَنَّهُ أَشْرِكٌ مَعَهُ فِي النَّبُوَّةِ . حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ
إِسْحَاقَ ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، قَالَ : كَانَ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبٍ الْكَذَّابُ
كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ
اللَّهِ . سَلَامٌ عَلَيْكَ ؛ فَإِنِّي قَدْ أَشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ ؛ وَإِن لَنَا نِصْفَ الْأَرْضِ
وَلَقَرِيشَ نِصْفَ الْأَرْضِ ، وَلَكِنْ قَرِيشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ .
فَقَدِمَ عَلَيْهِ رَسُولَانِ بِهَذَا الْكِتَابِ^(٢) .

١٧٤٩/١

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ شَيْخٍ
مِنْ أَشْجَعٍ قَالَ ابْنُ حَمِيدٍ : أَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُجَاهِدٍ فَيَقُولُ : عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ ،
عَنْ سَلَمَةَ بْنِ تُعَيْمٍ بْنِ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ تُعَيْمٍ - قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لهُمَا حِينَ قَرَأَ كِتَابَ مُسَيْلِمَةَ : فَمَا تَقُولَانِ أَتَمَّا ؟ قَالَا :
نَقُولُ كَمَا قَالَ ؛ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا أَنَّ الرُّسُلَ لَا تُقْتَلُ لَضَرَبْتُ أَعْنَاقَكُمَا .
ثُمَّ كَتَبَ إِلَى مُسَيْلِمَةَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ
الْكَذَّابِ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهَدْيَ ؛ أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا
مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ . قَالَ : وَكَانَ ذَلِكَ فِي آخِرِ سَنَةِ عَشَرَ^(٢) .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ دَعْوَى مُسَيْلِمَةَ وَمَنْ ادَّعَى النَّبُوَّةَ مِنْ
الْكَذَّابِينَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِنَّمَا كَانَتْ بَعْدَ انْصِرَافِ النَّبِيِّ
مِنْ حِجَّةِ الْمَسْمُومِ حِجَّةَ الْوَدَاعِ ؛ وَمَرَضَتُهُ الَّتِي مَرَضَهَا الَّتِي كَانَتْ مِنْهَا وَفَاتِهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٢ .

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزُّهرى ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال : حدثني سيف بن عمر - وكتب بذلك إلى السريُّ يقول : حدثنا شُعيب ابن إبراهيم التميمي ، عن سَيْف بن عمر التميمي الأسدي - قال : حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجَذْع الأنصاري ، عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي مُؤَيَّهبة مولى رسول الله ، قال : لما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التمام ، فتحلّل به السير ، وطارَتْ به الأخبار لتحلّل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قد اشتكى ؛ فوثب الأسود باليمن ومسيلمةُ بالهامة ؛ وجاء أخبر عنهما للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم وثب طليحة في بلاد بني أسد بعد ما أفاق النبي ، ثم اشتكى في المحرم وجعه الذي توفاه الله فيه .

• • •

[خروج الأمراء والعمال على الصدقات]

قال أبو جعفر : وفرّق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع البلاد التي دخلها الإسلامُ عُمَلاً على الصدقات . فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعُمَاله على الصدقات ، على كلِّ ما أوطأ الإسلام من البلدان ؛ فبعث المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة إلى صنعاء ؛ فخرج عليه العنسي وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد أخا بني بياضة الأنصاري إلى حضرموت على صدقتها ^(١) ، وبعث عدي بن حاتم على الصدقة ؛ صدقة طيِّبٍ وأسَد ، وبعث مالك بن نُؤيرة على صدقات بني حنظلة ، وفرّق صدقة بني سعد على رجلين منهم ، وبعث العلاء بن الحضرمي على البحرين ، وبعث عليّ بن أبي طالب إلى نَجْران ليجمع صدقاتهم ، ويقدم عليه بجزيتهم ^(٢) .

• • •

(١) ط : « عبد الله » ، والصواب ما أثبت من الإصابة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤٩ .

[حجة الوداع]

١٧٥١/١

فلما دخل ذو القعدة من هذه السنة - أعني سنة عشر - تجهّز النبيّ إلى الحجّ ، فأمر الناس بالجهاز له . فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلامة ، عن ابن إسحاق ؛ عن عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى الحجّ لخمس ليال بقين من ذى القعدة ^(١) ، لا يذكّر ولا يذكّر الناس إلاّ الحجّ ؛ حتى إذا كان بسرف ، وقد ساق رسول الله معه الهدى وأشراف من أشرف الناس ، أمر الناس أن يحلّوا بعمرّة إلاّ من ساق الهدى ، وحضت ذلك اليوم ؛ فدخل علىّ وأنا أبكى ؛ فقال : مالك يا عائشة ؟ لعلك نفست ! فقلت : نعم ، لوددت أنّي لم أخرج معكم عامي هذا في هذا السفر ، قال : لا تفعلين ؛ لا تقولين ذلك ؛ فإنك تقضين [كل] ^(٢) ما يقضى الحاج ؛ إلاّ أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ؛ فحلّ كلّ من كان لا هدى معه ، وحلّ نساؤه بعمرّة ؛ فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر [كثير] ^(٣) ، فطُرح في بيتي ، قلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله عن نسائه البقر ؛ حتى إذا كانت ليلة الحصبّة ، بعث رسول الله مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر ، لأقضى عُمرتي من التمتع مكان عُمرتي التي فاتتني ^(٤) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلامة ، عن ابن إسحاق ، عن ابن أبي نجيع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبي طالب إلى نجران ، فلقية بمكة ؛ وقد أحرم ؛ فدخل علىّ علىّ فاطمة ابنة رسول الله ،

(١) قال ابن هشام : « فاستعمل على المدينة أبا دجاجة الساعدي ، ويقال : سباع بن عرفة

الغفاري » .

(٢) من ابن هشام . (٣) من ابن هشام . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ .

فوجدناها قد حلت وتبيأت ، فقال : مالك يا ابنة رسول الله ؟ قالت :
 أمرنا رسول الله أن نحل بعمره ؛ فأحلنا ، قال : ثم أتى رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله : انطلق فطُفْ
 بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أهلت
 بما أهلت به ؛ قال : ارجع فأحلل كما حل أصحابك ، قال : قلت : يا رسول
 الله ، إني قلت حين أحرم : اللهم إني أهلت بما أهل به عبدك ورسولك ؛
 قال : فهل معك من هدى ؟ قال : قلت : لا ، قال : فأشركه رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في هديه وثبت على إحرامه مع رسول الله ؛ حتى فرغا
 من الحج ، ونحر رسول الله الهدى عنهما ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى
 ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن
 رُكَّانة ، قال : لما أقبل على بن أبي طالب من اليمن ليلقى رسول الله بمكة
 تعجل إلى رسول الله ، واستخلف على جنده الذين معه رجلاً من أصحابه ،
 فعمد ذلك الرجل ، فكسا رجالاً من القوم حللاً من البر الذي كان مع
 على بن أبي طالب ؛ فلما دنا جيشه ؛ خرج على ليلقاهم ؛ فإذا هم عليهم
 الحلل ، فقال : ويحك ما هذا ! قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا
 في الناس ، فقال : ويلك ! انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول الله . قال :
 فانتزع الحلل من الناس ، وردّها في البر ؛ وأظهر الجيش شكايه لما صنع بهم ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد بن كعب
 ابن عجرة ، عن عمته زينب بنت كعب بن عجرة — وكانت عند أبي سعيد
 الخدري — عن أبي سعيد ، قال : شكا الناس على بن أبي طالب ، فقام
 رسول الله فينا خطيباً ، فسمعه يقول : يا أيها الناس ؛ لا تشكوا علياً ، فوالله
 إنه لأخشى في ذات الله — أو في سبيل الله — [من أن يشكى] ^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، قال : ثمّ مضى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على حجته ؛ فأرى الناس مناسكتهم ، وأعلمهم سننَ حجّتهم ؛ وخطب الناس خطبته التي يبتن للناس فيها ما يبتن ، فحمد الله وأثنى عليه ؛ ثم قال :

أيّها الناس، اسمعوا قولي، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا، بهذا الموقف أبداً . أيّها الناس ؛ إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام ؛ إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومكم هذا ، وحرمة^(١) شهركم هذا ؛ وستلقون^(٢) ربّكم فيسألکم عن أعمالکم . وقد بلغتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها . وإنّ كلّ ربّاً موضوع ، ولكم رءوس أموالکم ، لا تظلمون ولا تُظلمون . قضى الله أنه لا ربا . وإنّ ربا العباس بن عبد المطلب موضوعٌ كَلَه ، وأنّ كلّ دم كان في الجاهلية موضوع ، وإنّ أوّل دم أضغُ دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب - وكان مسترضعاً في بني ليث ، فقتلته بنو هذيل - فهو أوّل ما أبداً به من دماء الجاهلية .

١٧٥٤/١

أيّها الناس ؛ إنّ الشيطان قد يش من أن يُعبّد بأرضكم هذه أبداً ؛ ولكنه^(٣) رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالکم^(٤) ، فاحذروه على دينکم .

أيّها الناس : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلِلُونَ مَا كَانَ لِيُؤَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلِلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴾^(٥) ، ويُسْحَرُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ؛ وإنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ؛ وإنّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ

(١) ابن هشام : « وحرمة » .

(٢) ابن هشام : « وإنكم ستلقون » .

(٣-٣) ابن هشام : « ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي مما تحقرون من أعمالكم » .

(٤) سورة التوبة ٣٧

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ^(١) ، ثلاثة متوالية ؛ ورجب مُضَرّ الذى بين جمادى وشعبان^(٢) .

أما بعد أيها الناس ؛ فإنّ لكم على نسايتكم حقّاً ولنّ عليكم حقّاً ، لكم عليهنّ ألاّ يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ؛ وعليهنّ ألاّ يأتين بفاحشة مُبِينَةٍ ؛ فإنّ فعلن فإنّ الله أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع ، وتضربوهنّ ضرباً غير مُبرّح^(٣) ، فإنّ انتهين فلهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف . واستوصوا بالنساء خيراً ؛ فلهنّ عندكم عَوَان^(٤) لا يملكن لأنفسهنّ شيئاً ، وإنّكنّ إنما أخذنّعهنّ بأمانة الله ، واستحللتم فروجهنّ بكلمة الله ؛ فاعقلوا أيها الناس واسمعوا قولى ؛ فإنّى قد بلغت وتركت فيكم ما إنّ اعتصمتم به فلنّ تضلّوا أبداً ؛ كتاب الله وسنة نبيّه .

أيها الناس ، اسمعوا قولى فإنّى قد بلغت ، واعقلوه . تعلّمْن أن كلّ مسلم أخو المسلم ، وأنّ المسلمين إخوة ، فلا يحلّ لامرئٍ من أخيه إلّاّ ما أعطاه عن طيب نفس ؛ فلا تظلموا أنفسكم . اللهمّ هل بلغت ! قال : فذكر أنّهم قالوا : اللهمّ نعم ، فقال رسول الله : اللهمّ اشهد^(٥) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عبّاد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : كان الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله وهو على عترقة ، ربيعة بن أميّة بن خلف ، قال : يقول له رسول الله : قل : أيّها النّاس ؛ إنّ رسول الله يقول : هل تدرون أىّ شهر هذا ! فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحُرْمَةِ شهركم هذا . ثمّ قال : قل : إنّ رسول الله ، يقول : أيّها النّاس ؛ فهل تدرون أىّ بلد هذا ؟ قال : فيصرخُ به ، فيقولون : البلد الحرام ، قال : فيقول : قل : إنّ الله حرّم عليكم دماءكم

(١) سورة التوبة ٣٦ .

(٢) قال السهيل : « إنّما قال ذلك ؛ لأنّ ربيعة كانت تحرم فى رمضان وتسميه رجب » .

(٣) الضرب المبرح : الشديد . (٤) عوان : جمع عانية ؛ وهى الأسيرة .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٠ ، ٣٥١ . (٦) ابن هشام : « يأها » .

وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . ثم قال : قل : أيها الناس ، هل تدرون أي يوم هذا ؟ فقال لهم ، فقالوا : يوم الحج الأكبر ، فقال : قل : إن الله حرم عليكم أموالكم ودماءكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا ^(١) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، أن رسول الله حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف — للجبل الذي هو عليه — وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قَرْح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر ، قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر ؛ ففضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وعلمهم ما افترض عليهم في حجهم في المواقف ورمى الجمار والطواف بالبيت ، وما أحل لهم في حجهم وما حرم عليهم ؛ فكانت حجة الوداع وحجة البلاغ ؛ وذلك أن رسول الله لم يحج بعدها ^(٢) .

١٧٥٦/١

* * *

[ذكر جملة الغزوات]

قال أبو جعفر : وكانت غزواته بنفسه ستاً وعشرين غزوة ؛ ويقول بعضهم : هن سبع وعشرون غزوة ؛ فن قال : هي ست وعشرون ، جعل غزوة النبي صلى الله عليه وسلم خيبر وغزوته من خيبر إلى وادي القرى غزوة واحدة ؛ لأنه لم يرجع من خيبر حين فرغ من أمرها إلى منزله ؛ ولكنه مضى منها إلى وادي القرى ؛ فجعل ذلك غزوة واحدة . ومن قال : هي سبع وعشرون غزوة ، جعل غزوة خيبر غزوة ، وغزوة وادي القرى غزوة أخرى ؛ فيجعل العدد سبعاً وعشرين .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ستاً وعشرين غزوة . أول غزوة غزاها ودَّان ؛ وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط إلى ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥١ ، ٣٥٢ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ .

الأولى يطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر [الكبرى] ^(١) التي قتل فيها صناديد قريش وأشرفهم ، وأسْرَ فيها مَنْ أَسْرَ ، ثم غزوة بني سليم حتى بلغ الكُدْر ؛ ماء لبني سليم ، ثم غزوة السَّوَبِيق يطلب أبا سفيان حتى بلغ قرقرة الكُدْر ، ثم غزوة غطفان إلى نجد ؛ وهي غزوة ذي أمْر ؛ ثم غزوة بَحْران ؛ معدن بالحجاز من فوق الفُرْع ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة ١٧٥٧/١ بني النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقَاع من نخل ، ثم غزوة بدر الآخرة ^(٢) ، ثم غزوة دُومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قُريظة ، ثم غزوة بني الحِثْيَان من هُدَيْل ، ثم غزوة ذي قَرَد ، ثم غزوة بني المصطلق من خَزاعة ، ثم غزوة الحديبية - لا يريد قتالاً ، فصدّه المشركون - ثم غزوة خيبر ؛ ثم اعتمر عُمره القضاء ، ثم غزوة الفتح ؛ فتح مكة ، ثم غزوة حُنَيْن ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحُنَيْن ، والطائف ^(٣) .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حَشمَة ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : غَزَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ستّاً وعشرين غزوة . ثم ذكر نحو حديث ابن حُميد ، عن سَلَمَة .

قال محمد بن عمر : مغازى رسول الله معروفة مجتمعة عليها ، ليس فيها اختلاف بين أحد في عددها ؛ وهي سبع وعشرون غزوة ؛ وإنما اختلفوا بينهم في تقديم مغزاة قبل مغزاة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثني محمد بن عمر ، قال : حدثنا مُعَاذ بن محمد الأنصاري ، عن محمد بن ثابت الأنصاري ، قال : سئل ابنُ عمر : كم غَزَا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبعا وعشرين غزوة ، فقبل لابن عمر : كم غزوتَ معه ؟ قال : إحدى وعشرين غزوة ؛ أولها الخندق ، وفاتني ستّ غزوات ، وقد كنت حريضاً ، قد عرضت

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) ط : « الأخرى » ، وأثبت ما في ابن هشام .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ ، ٣٥٤ .

على النبي صلى الله عليه وسلم؛ كل ذلك يردني فلا يميزني حتى أجازني في الخندق .

١٧٥٨/١ قال الواقدي : قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى عشرة ، ذكر من ذلك التسع التي ذكرتها عن ابن إسحاق ؛ وعدت معها غزوة وادي القرى ، وأنه قاتل فيها فقتل غلامه ميدعم ، رُمي بسهم . قال : وقاتل يوم الغابة ، نقتل من المشركين ، وقتل عكرز بن نضلة يومئذ .

• • •

[ذكر جيلة السرايا والبعوث]

واختلف في عدد سرايا صلى الله عليه وسلم ، حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة : قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه — فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله — خمساً وثلاثين بعثاً وسرية^(١) : سرية عبدة بن الحارث إلى أحياء من ثنية المرة ، وهو ماء بالحجاز ؛ ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب إلى ساحل البحر من ناحية العيص — وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبدة — وغزوة سعد بن أبي وقاص إلى الحرار من أرض الحجاز ، وغزوة عبد الله بن جحش إلى نخلة ، وغزوة زيد ابن حارثة القرادة ؛ ماء من مياه نجد ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد العنوي الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبي عبدة بن الجراح إلى ذي القصة من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب ثرية من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي — كلب ليث السكندية ، وأصاب بلعملة ، وغزوة علي بن أبي طالب إلى بني عبد الله بن سعد من أهل فدك ، وغزوة ابن أبي العوجاء السلمي أرض

١٧٥٩/١

(١) ابن هشام من رواية البكاء عن ابن إسحاق : « ثمانيا وثلاثين . عن ابن بعث وسرية » .

وجاء في الأصل بعد ما ذكر : « بعث : غزوة » ، ويبدو أن هذا تنسيب أدرج في النص .

بنى سُلَيْمٌ ، أُصِيبَ بِهَا هُوَ وَأَصْحَابُهُ جَمِيعًا ، وَغَزَوْهُ عُكَّاشَةُ بْنُ مُحْصِنِ الْغَمْرَةِ ، وَغَزَوْهُ أَبِي سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ قَطَنًا ؛ مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَاحِيَةِ نَجْدٍ قُتِلَ فِيهَا مَسْعُودُ بْنُ عُرْوَةَ ، وَغَزَوْهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ ؛ أَخِي بَنِي الْحَارِثِ إِلَى الْقُرْطَاءِ مِنْ هَوَازِنَ ، وَغَزَوْهُ بِشِيرُ بْنُ سَعْدٍ إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِقَدَّكَ ، وَغَزَوْهُ بِشِيرُ بْنُ سَعْدٍ أَيْضًا إِلَى يُثْمَنَ وَجِنَابَ ؛ بَلَدَيْنِ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ - وَقِيلَ يُثْمَنُ وَجَبَّارٌ ؛ أَرْضٌ مِنْ أَرْضِ خَيْبَرَ ، وَغَزَوْهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْجَمُومَ ؛ مِنْ أَرْضِ بَنِي سُلَيْمٍ ، وَغَزَوْهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَيْضًا جُدَّامَ مِنْ أَرْضِ حِصْمَى - وَقَدْ مَضَى ذِكْرُ خَبَرِهَا قَبْلَ - وَغَزَوْهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ أَيْضًا وَادَى الْقُرَى ، لِقَى بَنِي فَرَازَةَ .

وَغَزَوْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ خَيْبَرَ مَرَّتَيْنِ : لِإِحْدَاهُمَا الَّتِي أَصَابَ اللَّهُ فِيهَا يُسَيْرُ بْنُ رِزَامٍ - وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ يُسَيْرِ بْنِ رِزَامِ الْيَهُودِيَّ أَنَّهُ كَانَ بِخَيْبَرَ يَجْمَعُ غَطَفَانًا لَغَزْوِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبِعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ؛ مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنْتَيْسٍ حَلِيفُ بَنِي سَلَمَةَ ، فَلَمَّا قَدِمَا عَلَيْهِ كَلَّمُوهُ وَوَعَدُوهُ وَقَرَّبُوا لَهُ ، وَقَالُوا لَهُ : إِنَّكَ إِنْ قَدِمْتَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ اسْتَعْمَلَكَ وَأَكْرَمَكَ ؛ فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى خَرَجَ مَعَهُمْ فِي نَفَرٍ مِنْ يَهُودٍ ؛ فَحَمَلَهُ ١٧٦٠/١
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَنْتَيْسٍ عَلَى بَعِيرِهِ وَرَدَفَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْقَرْقَرَةِ مِنْ خَيْبَرَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ نَدِمَ يُسَيْرُ بْنُ رِزَامٍ عَلَى سِيَرِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، فَفَطَنَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أَنْتَيْسٍ وَهُوَ يَرِيدُ السَّيْفَ ؛ فَاقْتَحَمَ بِهِ ؛ ثُمَّ ضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَ رِجْلَهُ وَضَرَبَهُ يُسَيْرُ بِمِخْرَشٍ ^(١) فِي يَدِهِ مِنْ شَوْحَطٍ ^(٢) ، فَأَمَّهُ ^(٣) فِي رَأْسِهِ ، وَقَتَلَ اللَّهُ يُسَيْرًا ؛ وَمَالَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى صَاحِبِهِ مِنْ يَهُودٍ فَقَتَلَهُ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا أَفْلَتَ عَلَى رَاحِلَتِهِ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أَنْتَيْسٍ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَقَلَّ عَلَى شَجَّتِهِ فَلَمْ تَقْجَحْ وَلَمْ تَوْذِهِ .

وَغَزَوْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَتِيكَ إِلَى خَيْبَرَ ؛ فَأَصَابَ بِهَا أَبَا رَافِعٍ ؛

(١) الْخَرَشُ وَالْمُخْرَاشُ : الْحَجَنُ ؛ وَهُوَ عَصَا مَعْقُوفَةٌ يَجْذِبُ بِهَا الْبَعِيرَ وَيُنْزِعُ .

(٢) الشَّوْحَطُ : شَجَرُ النَّبَعِ .

(٣) أَمَّهُ : جَرَحَهُ فِي أَمِّ رَأْسِهِ .

وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بعث محمد بن مسلمة وأصحابه - فيما بين بدر وأحد - إلى كعب بن الأشرف فقتلوه، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أنيس إلى خالد بن سفيان بن نُبَيْشِج الهذلي - وهو بنخلة أو بعُرنة - يجمع لرسول الله ليفزوه، فقتله^(١).

* * *

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله بن أنيس ، قال : دعاني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه بلغني أن خالد بن سفيان بن نُبَيْشِج الهذلي يجمع لي الناس ليفزوني - وهو بنخلة أو بعُرنة - فأنته فاقبلته ، قال : قلت : يا رسولَ الله ؛ انعتني لي حتى أعرفه ، قال : إذا رأيته أذكرَكَ الشيطانَ ! إنه آية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قُشْعَريرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفي حتى دفعت إليه وهو في ظعن يرتاد لهنّ منزلاً حيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ما وصف لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القُشْعَريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاورة تشغلني عن الصلاة ، فصلّيت وأنا أمشي نحوه ، أوّى برأسي إيماء ؛ فلما انتهيت إليه قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك ويجمعك لهذا الرجل ؛ فجاءك لذلك ، قال : أجل ، أنا في ذلك ؛ فشيت معه شيئاً حتى إذا أمكنتني حملت عليه بالسيف حتى قتله ؛ ثم خرجت وتركت ظعائنه مكبات عليه . فلما قدّمت على رسول الله وسلّمت عليه ورآني ، قال : أفلح الوجه ! قال : قلت : قد قتلت . قال : صدقت ! ثم قام رسولُ الله فدخل بيته ، فأعطاني عصا ، فقال : أمسِكْ هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسولُ الله . وأمرني أن أمسكها عندي ، قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله فتسأله لم ذلك ؟ فرجعتُ إلى رسولِ الله ، فقلت : يا رسولَ الله ، لِمَ أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية ما بيني وبينك يوم القيامة ؛ إن أقلّ الناس المتخصّرون^(٢)

١٧٦١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٧ . (٢) تخصر الرجل ؛ إذا أمسك المخصرة ،

وهي ما اختصر الإنسان يده فأمسكه ، من عصا أو مقرعة أو عزة أو عكازة .

يومئذ ؛ فقرنها عبد الله بسيفه ، فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها فضُمَّت معه في كفنه ، ثم دفنا جميعاً .

• • •

ثم رجع الحديث إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة إلى مؤتة من أرض الشام ، وغزوة كعب بن عمير الغفاري بذات أطلاق من أرض الشام ، فأصيب بها هو وأصحابه ، وغزوة عيينة بن حصن بن العنبر من بني تميم ؛ وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ؛ فأغار عليهم ؛ فأصاب منهم ناساً ، وسبى منهم سبيّاً .

• • •

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ؛ إن عليّ رقبة من بني إسماعيل ، قال : هذا سبي بني العنبر يقدم الآن فنُعْطيك إنساناً فتعتقينه . قال ابن إسحاق : فلما قدم سيههم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب فيهم وفد من بني تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ منهم ربيعة بن رُفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وحنظلة بن دارم ، وفراس بن حابس . وكان ممن سبى من نساءهم يومئذ أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أري ، ونَجْوة بنت نهد وجميلة بنت قيس ، وعمرة بنت مَطر .

• • •

ثم رجع إلى حديث عبد الله بن أبي بكر . قال : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي - كلب ليث - أرض بني مرة ؛ فأصاب بها مرداس بن نهيك ؛ حليفاً لهم من الحُرقة من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ورجل من الأنصار ، وهو الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة : مَنْ لَكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ !

وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل . وغزوة ابن أبي حدرّد وأصحابه إلى بطن إضم . وغزوة ابن أبي حدرّد الأسلمي إلى الغابة . وغزوة عبد الرحمن ابن عوف .

وبعث سرية إلى سيف البحر ، وعليهم أبو عبيدة بن الجراح ؛ وهي غزوة الحبّط .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد ابن عمر : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وأربعين سرية .

* * *

قال الواقدي : في هذه السنة قدّم جرير بن عبد الله البجليّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً في رمضان . فبعثه رسول الله إلى ذي الخلصة فهدمها . قال : وفيها قدّم وبر بن محسن على الأبناء باليمن . يدعوهم إلى الإسلام فقتل على بنات النعمان بن بزرّج فأسلمن ، وبعث إلى فيروز الديلمي فأسلم ، وإلى مركبود وعطاء ابنه . ووهب بن منبه . وكان أوّل من جمع القرآن بصنعاء ابنه عطاء بن مركبود ووهب بن منبه . قال : وفيها أسلم ياذان ، وبعث إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم بإسلامه .

* * *

قال أبو جعفر : وقد خالف في ذلك عبد الله بن أبي بكر من قال : كانت مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ستاً وعشرين غزوة ، من أنا ذاكره : حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا زهير ؛ عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : سمعت منه أن رسول الله غزا تسع عشرة غزوة . وحجّ بعد ما هاجر حجة . لم يحجّ غير حجة الوداع . وذكر ابن إسحاق حجة بمكة . قال أبو إسحاق : فسألت زيد بن أرقم : كم غزوت مع رسول الله ؟ قال : سبع عشرة .

حدثنا ابن المنثي . قال : حدثنا محمد بن جعفر . حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق : أن عبد الله بن يزيد الأنصاريّ خرج يستقيّ بالناس ، قال :

فصلتى ركعتين ثم استسقى . قال : فلقيت يومئذ زيد بن أرقم ، قال : ليس بيني وبينه غير رجل - أو بيني وبينه رجل - قال : فقلت : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة ، فقلت : كم غزوت معه ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، فقلت : فما أول غزوة غزا ؟ قال : ذات العُسير - أو العُشيرة .

وزعم الواقدي أن هذا عندهم خطأ ، حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق الهمداني ، قال : قلت لزيد بن أرقم : كم غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : سبع عشرة غزوة ، قلت : كم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : تسع عشرة غزوة . قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدي : فحدثت بهذا الحديث عبد الله بن جعفر ، فقال : هذا إسناد أهل العراق ، يقولون هكذا ؛ وأول غزوة غزاها زيد بن الأرقم المريسيع ، وهو غلام صغير ، وشهد مؤنة رديف عبد الله بن رَوَاحَة ؛ وما غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث غزوات أو أربعا .

وروي عن مكحول في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا ابن عمر ، قال : حدثني سويد بن عبد العزيز ، عن النعمان بن المنذر ، عن مكحول ، قال : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة غزوة ؛ قاتل من ذلك في ثمان غزوات أولهن بدر وأحد والأحزاب وقريظة .

قال الواقدي : فهذان الحديثان : حديث زيد بن الأرقم ، وحديث مكحول جميعاً غلط .

• • •

ذكر الخبر عن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني عبد الله بن أبي^(١) زياد ، قال : حدثنا زيد بن الحارث ، عن سفيان الثوري ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر ، أن النبي صلى الله

(١) ساقطة من ط ، وما أثبتته من التصويبات .

عليه وسلم حجّ ثلاث حجج : حجّتين قبل أن يهاجر ، وحجّة بعد ما هاجر ، معها عمرة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ^(١) ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرتين قبل أن يحجّ ، فبلغ ذلك عائشة ، فقالت : اعتمر رسول الله أربع عمرة ؛ قد علم ذلك عبد الله بن عمر ، منهنّ "عمرة مع حجته" . حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي ، قال : حدثنا أبو حمزة ، عن مطرف ، عن أبي إسحاق ، عن مجاهد ، قال : سمعت ابن عمر يقول : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عمرة . فبلغ عائشة ، فقالت : لقد علم ابن عمر أنه اعتمر أربع عمرة ، منها عمرته التي قرن معها الحجّة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : دخلت أنا وعروة بن الزبير المسجد ؛ فإذا ابن عمر جالس عند حجرة عائشة ، فقلنا : كم اعتمر النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : أربعاً ؛ إحداهنّ في رجب ، فكرهنا أن نكذّبه ونردّ عليه ، فسمعنا استئذان عائشة في الحجّة ، فقال عروة بن الزبير : يا أمّه ، يا أمّ المؤمنين ، أما تسمعين ما يقول أبو عبد الرحمن ! فقالت : وما يقول ؟ قال : يقول : إنّ النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرة ؛ إحداهنّ في رجب ، فقالت : يرحم الله أبا عبد الرحمن ! ما اعتمر النبي عمرة إلاّ وهو شاهد ، وما اعتمر في رجب .

• • •

ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم

ومنّ منهنّ عاش بعده ومنّ منهنّ فارقه في حياته ، والسبب الذي فارقه من أجله ، ومنّ منهنّ مات قبله .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّج خمس

(١) ط : « بنان » ، وأثبت ما في التصريبات .

عشرة امرأة ؛ دخل بثلاث عشرة ، وجمع بين إحدى عشرة ، وتوفى عن تسع .
 تزوج في الجاهلية ؛ وهو ابن بضع وعشرين سنة خديجة بنت خويلد بن
 أسد بن عبد العزى ؛ وهى أول من تزوج ، وكانت قبله عند عتيق بن عابد^(١)
 ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم^(٢) بن
 رواحة بن حنجر بن معيص بن لؤى . فولدت لعتيق جارية ، ثم توفى عنها
 وخلف عليها أبو هالة بن زُرارة بن نَبَّاش بن زُرارة بن حبيب بن سلامة بن
 غُدَى بن جُرُوة بن أسيد بن عمرو بن تميم ؛ وهو فى بنى عبد الدار بن قصى . ١٧٦٧/١
 فولدت لأبى هالة هند بن أبى هالة ؛ ثم توفى عنها فخلف عليها رسول الله ،
 وعندها ابن أبى هالة هند ، فولدت لرسول الله ثمانية : القاسم ، والطيب ،
 والطاهر ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة .

قال أبو جعفر : ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حياتها على
 خديجة حتى مضت لسبيلها ؛ فلما توفيت خديجة تزوج رسول الله بعدها ؛
 فاختلف فيمن بدأ بنكاحها منهم بعد خديجة ، فقال بعضهم : كانت التى
 بدأ بنكاحها بعد خديجة قبل غيرها عائشة بنت أبى بكر الصديق . وقال بعضهم :
 بل كانت سوادة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر . فأما
 عائشة فكانت يوم تزوجها صغيرة لا تصلح للجماع ؛ وأما سوادة فإنها كانت
 امرأة ثيباً ، قد كان لها قبل النبى صلى الله عليه وسلم زوج ؛ وكان زوجها قبل
 النبى السكّران بن عمرو بن عبد شمس ، وكان السكّران من مهاجرة الحبشة
 فتنصرت ومات بها ؛ فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة .

قال أبو جعفر : ولا خلاف بين جميع أهل العلم بسيرة رسول الله صلى
 الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتى بسودة قبل عائشة .

• • •

• ذكر السبب الذى كان فى خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة وسودة
 والرواية الواردة بأولاهما كان عقد عليها رسول الله عقدة النكاح :

(١) فى الاستيعاب : « عائذ » . (٢) النويرى : « واسم الأصم جندب بن هرم بن رواحة » .

حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى ، قال : حدثنى أبى ، قال :
حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن
عائشة ، قالت : لما توفيت خديجة ، قالت خولة بنت حكيم بن أمية بن الأوقص ،
امراً عثمان بن مظعون وذلك بمكة : أى رسول الله ، ألا تزوج ؟ فقال :
ومن ؟ فقالت : إن شئت بكراً وإن شئت ثيباً ، قال : فمن البكر ؟ قالت :
ابنة أحب خلق الله إليك عائشة بنت أبى بكر ، قال : ومن الثيب ؟ قالت :
سودة بنت زمعة بن قيس ، قد آمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه . قال :
فاذهبي فاذهريهما على . فجاءت فدخلت بيت أبى بكر ، فوجدت أم رومان ،
أم عائشة ، فقالت : أى أم رومان ؟ ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة !
قالت : وماذا ؟ قالت : أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ، قالت :
وددت ! انتظرى أبابكر ، فإنه آت ، فجاء أبو بكر ، فقالت : يا أبابكر ،
ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة ! أرسلنى رسول الله أخطب عليه عائشة ،
قال : وهل تصلح له ، إنما هى ابنة أخيه ! فرجعت إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقالت له ذلك ، فقال : ارجعى إليه ، فقولى له : أنت أختى
فى الإسلام ، وأنا أخوك ، وابتنى تصلىح لى ؟ فأنت أبابكر فذكرت ذلك
له ، فقال : انتظرى حتى أرجع ، فقالت أم رومان : إن المطيع بن عدي
كان ذكرها على ابنه ، ولا والله ما وعد شيئاً قط فأخلف . فدخل أبو بكر
على مطيع ، وعنده امرأته أم ابنه الذى كان ذكرها عليه ، فقالت العجوز :
يا بن أبى قحافة ، لعلنا إن زوجنا ابنتنا ابنتك أن تصيبته ^(١) وتدخله فى دينك
الذى أنت عليه ! فأقبل على زوجها المطيع ، فقال : ما تقول هذه ؟ فقال : إنها
تقول ذاك . قال : فخرج أبو بكر ، وقد أذهب الله العدة التى كانت فى
نفسه من عده التى وعدها إياه ، وقال لخولة : ادعى لى رسول الله ، فدعته
فجاء فأنكحه ، وهى يومئذ ابنة ست سنين . قالت : ثم خرجت فدخل
على سودة فقالت : أى سودة ، ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة !
قالت : وماذا ؟ قالت : أرسلنى رسول الله يحطبك عليه ، قالت : فقالت :

١٧٦٨/١

١٧٦٩/١

وددت ! ادخلي على أبي فاذكري له ذلك ، قالت : وهو شيخ كبير قد
تخلف عن الحج ، فدخلت عليه ، فحيته بتحية أهل الجاهلية ، ثم قلت :
إن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسلني أخطب عليه سودة ، قال : كفء
كريم ، فإذا تقول صاحبته ؟ قالت : تحب ذلك ، قال : ادعيها إلي ،
فدعيت له ، فقال : أي سودة ، زعمت هذه أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
أرسل يخطبك وهو كفء كريم ، أفتحبين أن أزوجه ؟ قالت : نعم ، قال :
فادعني لي ، فدعته ، فجاء فزوجه ، فجاء أخوها من الحج ، عبد بن
زعة ، فجعل يحثي في رأسه التراب ، فقال بعد أن أسلم : إني لسفيه يوم أحشي
في رأسي التراب أن تزوج رسول الله سودة بنت زعة ! قال : قالت عائشة :
فقدمنا المدينة ، فترأ أبو بكر السُّنَّح في بني الحارث بن الخزرج ، قالت :
فجاء رسول الله فدخل بيتنا ، فاجتمع إليه رجال من الأنصار ونساء ، فجاءني
أُمِّي وأنا في أرجوحة بين عَدَقَيْن يرفعني ، فأزلتني ثم وقت جُميمة كانت لي ،
ومسحت وجهي بشيء من ماء ، ثم أقبلت تقودني ، حتى إذا كنت عند الباب
وقفت بي حتى ذهب بعض نَفْسِي ، ثم أدخلت ورسول الله جالس على سرير
في بيتنا . قالت : فأجلستني في حجره ، فقالت : هؤلاء أهلك فبارك الله
لك فيهن ، وبارك لمن فيك ! وثب القوم والنساء ، فخرجوا ، فبني رسول الله
في بيته ، ما نحرت جزور ولا ذُبعت على شاة ، وأنا يومئذ ابنة تسع سنين ،
حتى أرسل إلينا سعد بن عبادة يَحْفَنُهُ كان يرسل بها إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم .

حدثنا علي بن نصر ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث —
وحدثني عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : حدثني أبي — قال : حدثنا أبان
الطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك
ابن مروان : إنك كتبت إلي في خديجة بنت خويلد تسألني : متى توفيت ؟
وإنها توفيت قبل مُخْرَج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بثلاث سنين أو
قريباً من ذلك ، ونكح عائشة متوفى خديجة ، كان رسول الله رأى عائشة
مرتين ، يقال له : هذه امرأتك ، وعائشة يومئذ ابنة ست سنين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بعائشة بعد ما قدم المدينة وهى يوم بنى بها ابنة تسع سنين .

• • •

رجع الخبر إلى خبر هشام بن محمد . ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر - واسمه عتيق بن أبى قحافة ، وهو عثمان - ويقال عبدالرحمن بن عثمان - بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة ، تزوجها قبل الهجرة بثلاث سنين ، وهى ابنة سبع سنين ؛ وجمع إليها بعد أن هاجر إلى المدينة وهى ابنة تسع سنين فى شوال ؛ فتوفى عنها وهى ابنة ثمان عشرة ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرة غيرها ، ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ابن نضيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن كعب - وكانت قبله عند خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى ابن سعد بن سهم . وكان بدرياً ، شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - فلم تلد له شيئاً ، ولم يشهد من بنى سهم بدرًا غيره .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، واسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وكانت قبله عند أبى سلمة ابن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ؛ وشهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فارس القوم ، فأصابته جراحة يوم أحد فمات منها ؛ وكان ابن عمه رسول الله ورضيعه ، وأمه برة بنت عبد المطلب ولدت له عمر ، وسلمة ، وزينب ، ودرة ؛ فلما مات كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبى سلمة تسع تكبيرات ، فلما قيل : يا رسول الله ، أسهوت أم نسيت ؟ قال : لم أسه ولم أنس ؛ واو كبرت على أبى سلمة ألفاً كان أهلاً لذلك ؛ ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لأبى سلمة بخاتمه فى أهله . فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الأحزاب سنة ثلاث ، وزوج سلمة بن أبى سلمة ابنة حمزة بن عبد المطلب .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام المريسيع جويرة بنت الحارث ١٧٧٢/١ ابن أبي ضرار بن حبيب بن مالك بن جديمة - وهو المصطلق بن سعد بن عمرو - سنة خمس ، وكانت قبله عند مالك بن صفوان ذى الشفر بن أبي سرح بن مالك بن المصطلق ؛ لم تلد له شيئاً ؛ فكانت صفيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع ، فأعتقها وتزوجها ، وأسّلت رسول الله صلى الله عليه وسلم عتق ما فى يده من قومها ، فأعتقهم لها .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمّ حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ؛ وكانت عند عبيد الله بن جحش بن رثاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كسير بن غنم بن دودان بن أسد - وكانت من مهاجرات الحبشة هي وزوجها ، فتتصر زوجها وحاولها أن تتابعه فأبت وصبرت على دينها ، ومات زوجها على النصرانية ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي فيها ، فقال النجاشي لأصحابه : من أولاكم بها ؟ قالوا : خالد بن سعيد بن العاص ، قال : فزوجها من نبيكم ، ففعل وأمهرها أربعمائة دينار . ويقال : بل خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عثمان بن عفان ، فلمّا زوجه إياها بعث إلى النجاشي فيها ، فساق عنه النجاشي ، وبعث بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رثاب ابن يعمر بن صبرة ؛ وكانت قبله عند زيد بن حارثة بن شراحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم تلد له شيئاً ، وفيها أنزل الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ ... ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ، فزوجها الله عز وجل إياه ، وبعث فى ذلك جبريل . وكانت تفخر على نساء النبي صلى الله عليه وسلم ، وتقول : أنا أكرمهن وإيّا ، وأكرمهن سقيراً .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة بنت حيي بن أخطب بن سعيّة بن ثعلبة بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبى حبيب بن النضير ؛

وكانت قبله تحت سلام بن مِشْكَم بن الحكم بن حارثة بن الخزرج بن كعب بن الخزرج ؛ وتوفى عنها وخلف عليها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، فقتله محمد بن مسلمة بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ضرب عنقه صبراً ، فلما تصفح النبي صلى الله عليه وسلم السبى يوم خيبر ، ألقى رداءه على صفية ، فكانت صفية يوم خير ؛ ثم عرض عليها الإسلام فأسلمت ، فأعتقها ؛ وذلك سنة ست .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن ابن بجير بن الهزيم بن ربيعة بن عبد الله بن هلال ؛ وكانت قبله عند عمر ابن عمرو ، من بني علفة بن غيررة بن عوف بن قسي - وهو ثقيف - لم تلد له شيئاً ، وهى أخت أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف في عمرة القضاء ؛ زوجها إياه العباس ابن عبد المطلب ؛ فتزوجها رسول الله .

١٧٧٤/١

وكل هؤلاء اللواتي ذكرنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجهن إلى هذا الموضع ، توفى رسول الله وهن أحياء ، غير خديجة بنت خويلد .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة من بني كلاب بن ربيعة ؛ يقال لها النشاة بنت رفاع ، وكانوا حلفاء لبني رفاع من قريظة . وقد اختلف فيها ، وكان بعضهم يسمي هذه سنا وينسبها ، فيقول : سنا بنت أسماء بن الصلت السلمي . وقال بعضهم : هى سبا بنت أسماء بن الصلت من بني حرام من بني سليم . وقالوا : توفيت قبل أن يدخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونسبها بعضهم فقال : هى سنا بنت الصلت بن حبيب بن حارثة بن هلال بن حرام بن سمان بن عوف السلمي .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم الشنبا بنت عمرو الغفارية . وكانوا أيضاً حلفاء لبني قريظة ، وبعضهم يزعم أنها قريظة ، وقد جهل نسبها لهلاك بني قريظة ، وقيل أيضاً إنها كنانية ، فعركت^(١) حين دخلت

عليه ؛ ومات إبراهيم قبل أن تطهر ، فقالت : لو كان نبياً ما مات أحب الناس إليه ؛ فسرّحها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم غزيرة بنت جابر من بني أبي بكر بن كلاب ، باغ رسول الله عنها جمال وبسطة ، فبعث أبا أسيد الأنصاري ، ثم الساعدي ، فخطبها عليه ، فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم — وكانت حديثة عهد بالكفر — فقالت : إني لم أستمري في نفسي ، إني أعوذ بالله ١٧٧٥/١ منك ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : امتنع عائذ الله . وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : إنها من كيندة .

ثم تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت التعمان بن الأسود ابن شرّاحيل بن الجؤن بن حُجر بن معاوية الكندي ، فلما دخل بها وجد بها يابضاً ففتحها وجهراً وردّها إلى أهلها ؛ ويقال : بل كان التعمان بعث بها إلى رسول الله فسرّحتّه ، فلما دخلت عليه استعاذت منه أيضاً ، فبعث إلى أبيها ، فقال له : أليست ابتلك ؟ قال : بلى ، قال لها : أليست ابنته ؟ قالت : بلى ، قال التعمان : عليكها يا رسول الله ، فلما ولّاها ... وأطّنب في النساء فقال : إنها لم تيجع قط ، ففعل بها ما فعل بالعمرية ، فلا يدري : ألقوها أم نقول أبيها : « إنها لم تيجع قط » .

وأفاء الله عز وجلّ على رسوله ریحانة بنت زيد ، من بني قريظة . وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مارية القبطية ، أهداها له المقوقس صاحب الإسكندرية ، فولدت له إبراهيم بن رسول الله .

فهؤلاء أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهن ست قرشيات .

قال أبو جعفر : ومن لم يذكر هشام في خبره هذا ممن روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تزوجه من النساء : زينب بنت خزيمة — وهي التي يقال لها أمّ المساكين — من بني عامر بن صعصعة ، وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت قبل رسول الله عند الطفيل بن الحارث بن المطلب ، أخى عبيدة بن الحارث ، توفيت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة .

وقيل إنه لم يَمُتْ عند رسول الله في حياته من أزواجه غيرها وغير خديجة وشرآف بنت خليفة، أخت دحية بن خليفة الكلبي، والعالية بنت ظبيان .

حدثني ابن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، عن عَقِيل ، عن ابن شهاب ، قال : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم العالية ؛ امرأة من بني أبي بكر بن كلاب فتعها ^(١) ، ثم فارقها ، وقتيلة بنت قيس ابن معد يكرب أخت الأشعث بن قيس ، فتوفيت عنها قبل أن يدخل بها ، فارتدت عن الإسلام مع أخيها ، وفاطمة بنت شريح .

وذكر عن ابن الكلبي أنه قال : غزيرة بنت جابر ، هي أم شريك ، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد زوج كان لها قبله ؛ وكان لها منه ابن يقال له شريك ، فكُنيت به ، فلما دخل بها النبي صلى الله عليه وسلم وجدها مسنة ، فطلقها ، وكانت قد أسلمت ؛ وكانت تدخل على نساء قريش فتدعوهم إلى الإسلام .

وقيل : إنه تزوج خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث ؛ روى ذلك عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وبهذا الإسناد أن ليلى بنت الخطيم بن عدى بن عمرو بن سواد بن ظفر ابن الحارث بن الخزرج ، أقبلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو موكّ ظهره الشمس ، فضربت على منكبيه ، فقال : من هذه ؟ قالت : أنا ابنة مباري الرياح ، أنا ليلى بنت الخطيم ، جئتك أعرض عليك نفسي فتزوجني ، قال : قد فعلت ، فرجعت إلى قومها ، فقالت : قد تزوجني رسول الله ، فقالوا : بنما صنعت ! أنت امرأة غيري ؛ والنبي صاحب نساء ، استقبله نفسك ، فرجعت إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالت : أفلني ، قال : قد أفلتك .

وبغير هذا الإسناد أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج عمرة بنت يزيد ، امرأة من بني رؤاس بن كلاب .

ذَكَرَ مَنْ خَاطَبَ النَّبِيَّ

صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهن

منهن أم هانئ بنت أبي طالب ، واسمها هند ، خطبها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يتزوجها ؛ لأنها ذكرت أنها ذات ولد .

وخطب ضُبَاعَةُ بنت عامر بن قُرْط بن سَلَمَةَ بن قُشَيْر بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة إلى ابنها سَلَمَةَ بن هشام بن المغيرة ، فقال : حتى أَسْتَأْمِرَهَا ، فأتاها فقال : إن النبي صلى الله عليه وسلم خطبك ، فقالت : ما قلت له ؟ قال : قلت له حتى أَسْتَأْمِرَهَا ! قالت : وفي النبي يُسْتَأْمَرُ ! ارجع فزوجته ؛ فرجع فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه أخبر أنها قد كبرت .

وخطب — فيما ذكر — صَفِيَّة بنت بشامة أخت الأعور العنبري ، وكان أصابها سبأ ، فخيرها ، فقال : إن شئت أنا وإن شئت زوجك ، قالت : بل زوجي ؛ فأرسلها .

وخطب أم حبيب بنت العباس بن عبد المطلب ، فوجد العباس أخاه من الرضاعة ، أَرْضَعْتُهُمَا ثَوْبِيَّة .

وخطب جَمْرَةَ بنت الحارث بن أبي حارثة ، فقال أبوها — فيما ذكر : بها شيء ، ولم يكن بها شيء ، فرجع فوجدها قد برصت .

• • •

ذَكَرَ سِرَارِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وهي مارية بنت شمعون القبطية ، وريحانة بنت زيد القرظية . وقيل : هي من بني النضير . وقد مضى ذكر أخبارهما قبل .

• • •

ذَكَرَ مَوَالِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

فمنهم زيد بن حارثة وابنه أسامة بن زيد ، وقد ذكرنا خبره فيما مضى . وثوبان — مولى رسول الله ، فأعتقه ، ولم يزل معه حتى قبض ، ثم نزل حِمْنَص

وله بها دار وقف ؛ ذكر أنه توفي سنة أربع وخمسين في خلافة معاوية .
وقال بعضهم : بل كان سكن الرملة ، ولا عقب له .

وشُقْران - وكان من الحبشة ، اسمه صالح بن عدي ، اختلف في أمره . قد ذكر عن عبد الله بن داود الخريبي أنه قال : شُقْران ورثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبيه . وقال بعضهم : شُقْران من الفرس ، ونسبه فقال : هو صالح بن حول ابن مهر بود .

نسب شُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول من نسبته إلى عجم الفرس . زعم أنه صالح بن حول بن مهر بود بن آذر جُشنَس بن مهربان بن فيران بن رستم بن فيروز بن ماي بن بهرام بن رشتري ، وزعم أنهم كانوا من دهاقين الرى .

وذكر عن مصعب الزبيري أنه قال : كان شُقْران لعبد الرحمن بن عوف . فوهبه للنبي صلى الله عليه وسلم وأنه أعقب ؛ وأن آخرهم مؤبا ، رجل كان بالمدينة من ولده ، كان له بالبصرة بقية .

ورُوَيْفَع - وهو أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اسمه أسلم . وقال بعضهم : اسمه إبراهيم . واختلفوا في أمره ؛ فقال بعضهم : كان للعباس بن عبد المطلب ، فوهبه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعتقه رسول الله . وقال بعضهم : كان أبو رافع لأبي أحيحة سعيد بن العاص الأكبر فورثه بنوه ، فأعتق ثلاثة منهم أنصاءهم منه ، وقتلوا يوم بدر جميعاً ؛ وشهد أبو رافع معهم بدرأ ، ووهب خالد بن سعيد نصيبه من لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه رسول الله . وابنه البهي - اسمه رافع .

١٧٧٩/١

وأخو البهي عبيدة الله بن أبي رافع - وكان يكتب لعل بن أبي طالب ، فلما ولي عمرو بن سعيد المدينة دعا البهي ، فقال : من مولاك ؟ فقال : رسول الله ، فضربه مائة سوط ، وقال : مولى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ، فضربه مائة سوط ؛ فلم يزل يفعل به ذلك كلما سأله : مولى من أنت ؟ قال : مولى رسول الله ؛ حتى ضربه خمسمائة سوط ، ثم قال : مولى من أنت ؟ قال : مولاكم ، فلما قتل عبد الملك عمرو بن سعيد قال البهي بن أبي رافع :

صَحَّتْ وَلَا شَاتْ وَصَرَّتْ عَدُوَّهَا يَمِينُ هَرَاقَتْ مُهْجَةً ابْنِ سَعِيدٍ
هُوَ ابْنُ أَبِي الْعَاصِي مِرَارًا وَيَنْتَبِي إِلَى أُسْرَةٍ طَابَتْ لَهُ وَجُدُودٍ

وسلَّمان الفارسيّ - وكنيته أبو عبد الله من أهل قرية أصبهان ؛ ويقال :
إنه من قرية رامهرْمُز ؛ فأصابه أمرٌ من بعض كُتَلَب ، فبيع من بعض
اليهود بناحية وادي القُرى ؛ فكَاتَب اليهودي ، فأعانه رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم والمسلمون حتَّى عَتَقَ . وقال بعضُ نَسَابَةِ القُرس : سلَّمان من
كورسابور ، واسمه مابه بن بوذخشان بن ده ديره .

وسَفِينَة - مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان لَأَمَّ سلمة فأعتقه ؛
واشترطت عليه خِدْمَةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ، قيل : إنه أَسَوْد ؛
واختلِفَ في اسمه ، فقال بعضهم : اسمه مِهْرَان ، وقال بعضهم : اسمه رَبَّاح ،
وقال بعضهم : هو مِن عَجَم القُرس ؛ واسمه سيبه بن مارقيه ، وأنسَة . يكنى
أَبَا مُسَرَّح ، وقيل : أَبَا مَسْرُوح . كان من مولَدَى المرأة ؛ وكان يأذن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس ، وشهد بدرًا وأحدًا والمشاهد
كلَّها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : أصلُه من عَتَجَم
القُرس ؛ كانت أمّه حبشيّةً وأبوه فارسيًّا . قال : واسم أبيه بالفارسية كردوى
ابن أَشْرَنِيْدَه بن أدوهر بن مهادر بن كحَنكَان من بني مهجوار بن يوماست .
وأبو كَبْشَة - واسمه سُلَيْم ، قيل إنه كان من مولَدَى مكة ، وقيل :
من مولَدَى أرضِ دَوْس ، ابتاعه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأعتقه ، فشهِد
مع رسول الله بدرًا وأحدًا والمشاهد . تُوفِّيَ في أوَّلِ يومِ اسْتِخْلَافِ فيه عمر بن
الخطاب ، سنة ثلاث عشرة من الهجرة .

وأبو مُوَيْهَبَة - قيل : إنه كان من مولَدَى مُزَيْنَة ، فاشتراه رسولُ الله
صلى الله عليه وسلم فأعتقه .

وَرَبَّاح الأَسود - كان يأذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وَفَضَّالَة - مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم نَزَلَ - فيما ذكر - الشَّام .

وَمِدْعَم - مولَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عبدًا لرفاعة

١٧٨١/١ ابن زيد الجُذَامِيُّ، فوهبه لرسول الله، فقتل بوادى القرى، يوم نزل بهم رسول الله، أناه سهم غَرَبٌ^(١) فقتله.

وأبو ضُمَيْرَة - كان بعضُ نَسَابَةِ الفرس زعم أنه من عَجَمِ الفرس، من وَلَدِ كَشْتَا سَبِ الْمَلِكِ، وأنَّ اسمه وَاحِ بن شِيرِز بن يَرويس بن تَارِيشْمَه ابن مَاهُوش بن بَاكْمَهير. . وذكر بعضهم أنه كان ممن صار في قَسَمِ رسول الله في بعض وقائعه، فأعتقه، وكتب له كتاباً بالوصية؛ وهو جَدُّ حَسين بن عبد الله بن أبي ضُمَيْرَة، وأن ذلك الكتاب في أيدي ولد ولده وأهل بيته، وأنَّ حَسين بن عبد الله هذا قدم على المهديّ ومعه ذلك الكتاب، فأخذه المهديّ فوضعه على عينيه، ووصله بثلاثمائة دينار.

وَيَسَار - وكان فيما ذكر نوبيّاً؛ كان فيما وقع في سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض غزواته فأعتقه؛ وهو الذي قتله العُرَيْثُونَ الذين أغاروا على لِقَاح رسول الله.

ومِهْرَان - حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان له خَصِيٌّ يقال له مَابُور - كان المقوقس أهداه إليه مع الجاريتين اللتين يقال لإحدهما مارية، وهي التي تمرى بها والأخرى سيرين وهي التي وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت، لما كان من جنابة صفوان بن المعطل عليه، فولدت لحسان ابنه عبد الرحمن بن حسان. وكان المقوقس يعث بهذا الخصى مع الجاريتين اللتين أهداهما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليوصلهما إليه، ويحفظهما من الطريق حتى تنصلا إليه. وقيل: إنه الذي قُذِفَتْ مارية به، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً وأمره بقتله، فلما رأى عليّاً وما يريد به تكشف حتى تبين لعلّ أنه أجب لأشيء معه مما يكون مع الرجال، فكف عنه على. . وخرج إليه من الطائف - وهو محاصر أهلها - أعبد لهم أربعة، فأعتقهم صلى الله عليه وسلم، منهم أبو بكر.

• • •

ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 'ذكر أن عثمان بن عفان كان يكتب له أحياناً ، وأحياناً على بن
 أبي طالب ، وخالد بن سعيد ، وأبان بن سعيد ، والعلاء بن الحضرمي .
 قيل : أول من كتب له أبي بن كعب ؛ وكان إذا غاب أبي كتب له
 زيد بن ثابت .

وكتب له عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ثم ارتدت عن الإسلام ، ثم راجع
 الإسلام يوم فتح مكة .
 وكتب له معاوية بن أبي سفيان ، وحظظة الأسيدري .

* * *

أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن
 عمر ، قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة ، عن أبيه ،
 قال : أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرس ابتاعه بالمدينة
 من رجل من بني فزارة بعشر أواق ، وكان اسمه عند الأعرابي الضريس ،
 فسماه رسول الله السككب ؛ وكان أول ما غزا عليه أحد ، ليس مع المسلمين
 يومئذ فرس غيره ، وفرس لأبي بردة بن نيار ، يقال له ملاح (١) .

حدثني الحارث ، قال : أخبرنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ،
 قال : سألت محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة عن المرتجز ، فقال : هو
 الفرس الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة بن ثابت ؛ وكان ١/١٧٨٣
 الأعرابي من بني مرة (٢) .

حدثني الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن
 عمر ، قال : أخبرنا أبي بن عباس بن سهل ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال :
 كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس : ليزاز ، والظرب ، واللخيف (٣) ؛

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٨٩ (٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٣) في الفائق : « اللخيف » ، بالحاء ، ورجحها ابن الأثير

فأما نِزَارُ فأهداه له المقوقس ، وأما اللَّخِيْفُ فأهداه له ربيعة بن أبي البراء ،
فأثابه عليه فرائضَ من نَعَمَ بنى كلاب ، وأما الظَّرْبُ فأهداه له فَرْوَةُ
ابن عمرو الجُدَامِي . وأهدى تميم الدارِي لرسول الله فرساً يقال له : الوَرْدُ ،
فأعطاه عمر ، فحمل عليه عمر في سبيل الله ، فوجده يتنابح ^(١) .
وقد زعم بعضهم أنه كان له مع ما ذكرت من الخيل فرس يقال له
اليَعْسُوب .

• • •

ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ،
قال : حدثنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : كانت دُلْدُلُ
بغلة النبي صلى الله عليه وسلم أول بغلة رُئيت في الإسلام ، أهداها له المقوقس
وأهدى له معها حماراً يقال له عُفَيْرٌ ، فكانت البغلة قد بقيت حتى كان
زمن معاوية ^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال :
أخبرنا معمر ، عن الزهري ، قال : دُلْدُلُ أهداها له فَرْوَةُ بن عمرو الجُدَامِي .
حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ،
قال : أخبرنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن زامل بن عمرو ، قال :
أهدى فَرْوَةُ بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها فضة ، فوهبها
لأبي بكر ، وحماره يعفور ، فنفق منصرفه من حجة الوداع ^(٣) .

• • •

ذكر أسماء إبالة صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ،
قال : حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، قال : كانت

(١) يناع : سير بخط نسيحة . طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٠

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١ (٣) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩١

القَصْرَاءُ من نَعَمَ بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر وأخرى معها بثمانمائة درهم ، وأخذها منه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعمائة ؛ فكانت عنده حتى نفقت ، وهى التى هاجر عليها ؛ وكانت حين قدم رسولُ الله المدينة رِبَاعِيَّةً ، وكان اسمها القصواء والجندعاء والعَضْبَاءُ ^(١) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني ابنُ أبي ذئب ، عن يحيى بن يعلى ، عن ابنِ المسيب ، قال : كان اسمها العَضْبَاءُ ؛ وكان فى طرف أذنها جَدْعٌ ^(٢) .

• • •

ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني معاوية بن عبد الله بن عبيد الله بن أبى رافع ، قال : كانت لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم لِقَاحٌ ، وهى التى أغار عليها القوم بالغابة ، وهى عشرون لَقْحَةً ^(١) ، وكانت التى يعيش بها أهلُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم يراح إليه كلَّ ليلة بقَرْبَتَيْنِ عظيمتين من لبن فيها لِقَاحٌ غِزَارٌ ^(٢) : الحناء ، والسمراء ، والعريس ، والسَّعْدِيَّةُ ، والبُغُومُ ، واليَسِيرَةُ ، والريَّا ^(٣) .

١٧٨٥/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني هارون بن محمد ، عن أبيه ، عن نُبَيْهَانٍ ، مولى أمِّ سلمة ، قال : سمعتُ أمَّ سلمة ، تقول : كان عيشُنَا مع رسولِ الله اللبَنُ — أو قالت أكثر عيشُنَا — كانت لرسولِ الله لِقَاحٌ بالغابة كان قد فرَّقها على نسائه ، فكانت فيها لَقْحَةٌ تدعى العريس ؛ وكنا منها فيما شئنا من اللبن ، وكانت لعائشة لَقْحَةٌ تدعى السمراء غزيرة ، لم تكن كلِّقَحتي ، فقرب راعيهم النَّسَاحَ إلى مَرَعَتِي بناحية الجَوَانِيَّةِ ، فكانت تروح على أبياتنا فتؤتِي بهما فتحلبان ، فتوجدُ لَقْحَتَهُ أغزر منهما بمثل لبنيهما أو أكثر ^(٤) .

(١) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٢ (٢) اللقحة والقروح : الناقة الخلوب .

(٣) ابن سعد : « لقائح غزر » ، أى كبريات اللبن

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، وفيها : « واللبان » . (٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٩٤

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبد السلام بن جبَّير ، عن أبيه ، قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقائح تكون بذى الجَدْر ، وتكون بالجماء ، فكان لبنيها يتؤوب إلينا ؛ لِقحة تدعى مهرة ، أرسل بها سعدُ بن عبادَة من نَعَم بني عَقِيل وكانت غزيرة ، وكانت الرِّيا والشقراء ابتاعهما بسوق النَّبَط من بني عامر ، وكانت بردة ، والسمراء ، والعريس ، واليسيرة ، والحناء ، يُحْلَبْنَ ويُرَاح إليه بلبنهن كل ليلة ؛ وكان فيها غلام للنبي صلى الله عليه وسلم اسمه يَسَّار ، فقَتَلوه ^(١) .

• • •

ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني زكرياء بن يحيى ، عن إبراهيم بن عبد الله ، من ولد عتبة بن غزوان ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة : عجوة ، وزمزم ، وسُقْيَا ، وبركة ، وورسة ، وأطلال ، وأطراف ^(١) .

١٧٨٦/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد ، قال : حدثني أبو إسحاق ، عن عباد بن منصور ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كانت منائحُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع أعنز منائح ، يرعاهن ابنُ أمِّ أيمن ^(١) .

• • •

ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن مروان بن

أبي سعيد بن الملقى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أسياف : سيفاً قَلْعِيّاً^(١) ، وسيفاً يُدْعَى بِتَاراً ، وسيفاً يدعى الحَتَف ؛ وكان عنده بعد ذلك المِخْذَمُ ورسوب ، أصابهما من الفِلس^(٢) . وقيل إنه قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينةَ ومعه سيفان ، يقال لأحدهما : القُضيب^(٣) ، شهد به بدرًا ، وسيفه ذو الفقار غنمه يوم بدر ، ١٧٨٧/١ كان لمنبه بن الحجاج^(٤) .

• • •

ذكر أسماء قسيه ورماحه صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن الملقى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع ثلاثة أرماح وثلاث قسي : قوس الرّجاء ، وقوس شوخط ، تدعى البيضاء ، وقوس صفراء تدعى الصفراء من نبع^(٥) .

• • •

ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن الملقى ، قال : أصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من سلاح بني قَيْنُقَاع درعين ؛ درع يقال لها السعدية ، ودرع يقال لها فضة^(٦) .

حدثني الحارث ، قال : حدثني ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن عمر ، عن جعفر بن محمود ، عن محمد بن مسلمة ، قال : رأيتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد درعين :

(١) سيف قلعي : منسوب إلى القلعة موضع بالبادية قرب حلوان ، تنسب إليه السيوف .

(٢) الفِلس : صم كان لطيفاً ، أرسل الرسول في هنه سنة تسع ، وأصاب منه ثلاثة سيوف ،

ياقوت ٦ : ٣٩٤ .

(٣) ط : « العُضْب » ، والتصويب من الفائت . (٤) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٦

(٥) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧ (٦) طبقات ابن سعد ١ : ٤٨٧

درعهُ ذاتُ الفضولِ ودرعهُ فضةٌ ، ورأيتُ عليه يومَ خيبرِ درعين : ذاتِ الفضولِ والسَّعدية (١) .

• • •

ذكرُ ترسه صلى الله عليه وسلم

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا عتاب بن زياد ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر ، قال : سمعتُ مكحولاً يقول : كان لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم ترسٌ فيه تمثالُ رأسِ كبش . فذكره رسولُ الله مكانه ، فأصبح يوماً وقد أذهبه الله عز وجل .

١٧٨٨/١

• • •

ذكرُ أسماءِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم

حدثني محمد بن المثنى ، قال : حدثنا ابنُ أبي عدي ، عن عبد الرحمن — يعني المسعودي — عن عمرو بن مرة ، عن أبي عبيدة ، عن أبي موسى ، قال : سَمِيَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَفْسَهُ أَسْمَاءً ، مِنْهَا مَا حَفِظْنَا . قال : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْمُقَفَّى ، وَالْحَاشِرُ ، وَنَبِيُّ التُّوبَةِ وَالْمَلْحَمَةِ . حدثني ابنُ المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : أخبرنا إبراهيم — يعني ابن سعد — عن الزهري ، قال : أخبرني محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن لي أسماءً ، أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْعَاقِبُ ، وَالْمَاحِي . قال الزهري : العاقب : الذي ليس بعده أحد ، والمَاحِي : الذي يمحو الله به الكفر .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال ، أخبرنا سفيان ابن حسين ، قال : حدثني الزهري ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَنَا مُحَمَّدٌ ، وَأَحْمَدُ ، وَالْمَاحِي .

والعاقب ، والحاشر ؛ الذى يحشر الناس على قدميّ . قال يزيد : فسألت
سفيان : ما العاقب ؟ قال : آخر الأنبياء .

* * *

١٧٨٩/١

ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم

حدثني ابنُ المنثى ، قال : حدثني ابنُ أبي عديّ ، عن المسعوديّ ،
عن عثمان بن عبد الله بن هُرْمَز ، قال : حدثني نافع بن جُبَيْر ، عن عليّ
ابن أبي طالب ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل
ولا بالقصير ، ضَخْمُ الرَّأْسِ واللّحية ، شَتْنُ الكَفَيْنِ ^(١) والقَدَمَيْنِ ، ضَخْمُ
الكَرَادِيسِ ^(٢) ، مُشْرَبًا وَجْههُ الحُمْرَةَ ، طَوِيلُ الْمَسْرُوبَةِ ^(٣) إِذَا مَشَى
تَكَفَأَ تَكَفُّؤًا ^(٤) كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ^(٥) ، لَمْ أَرْ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ ؛
صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ المنثى ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا
مجمع بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الله بن عمران ، عن رجل من الأنصار
— لم يسمّه — أنه سأل عليّ بن أبي طالب وهو فى مسجد الكوفة مُحْتَبَبٌ
بِحِمَاةِ سيفه ، فقال : انعست لى نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له
عليّ : كان رسولُ الله أبيضَ اللون مُشْرَبًا حُمْرَةَ ، أدعج مسَبُطُ الشعر ،
دقيقُ الْمَسْرُوبَةِ ، سهْلُ الخَدَّيْنِ ، كَثَّ اللّحية ، ذَا وَفْرَةٍ ^(٦) . كَأَن عُنُقَهُ
إِبْرِيْقُ فِضَّةٍ ؛ كان له شعر من لَبَّيْتَهُ إِلَى سُرَّتِهِ يَجْرَى كَالْقَضِيبِ ؛ لم يكن
فى إبطه ولا صدره شعر غيره ، شَتْنُ الكَفِّ والقَدَمِ ؛ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ
مِنْ صَبَبٍ ؛ وَإِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْقَلِعُ مِنْ صَخْرٍ ، وَإِذَا التَفَتَ التَفَتَ جَمِيعًا ؛
ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا العاجز ولا اللّثيم ؛ كَأَنّ العَرَقُ فى وجهه

(١) شَتْنُ الكَفَيْنِ : يميلان إلى الغلظ . (٢) الكراديس : مفتق كل منظمين .

(٣) المسربة : الشعر ما بين وسط الصدر إلى البطن .

(٤) تَكَفَأَ : يميل إلى الأمام فى مشيه .

(٥) الصب ، محرّكة : طريق يكون فى حدود .

(٦) الوفرة : الشعر المجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه .

اللؤلؤ ؛ ولتريح عرقه أطيب من المسك ؛ لم أرقبله ولابعده مثله صلى الله عليه وسلم .
 حدثنا ابنُ المقدمي ، قال : حدثنا يحيى بن محمد بن قيس الذي يقال له أبو زُكير . قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين ؛ فأقام بمكة عشرًا وبالمدينة عشرًا ، وتوفّيَ على رأسِ ستين ؛ ليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء ؛ ولم يكن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالطويل البائن ، ولا القصير ؛ ولم يكن بالأبيض الأمهت^(١) ؛ ولا الآدم ، ولم يكن بالجعْد القَطَط ولا السَّبَط^(٢) .

حدثني ابنُ المنثي قال : حدثنا يزيد بن هارون ، عن الجريري ، قال : كنت مع أبي الطفيل نطوف بالبيت ؛ فقال : ما بقى أحدٌ رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيري ؛ قال : وقلت : أرايته ؟ قال : نعم ، قلت : كيف كان صفته ؟ قال : كان أبيضَ مليحًا مقصّدًا^(٣) .

ذكر خاتم النبوة التي كانت به صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المنثي ، قال : حدثنا الضحاك بن مخلد ، قال : حدثنا عزرة بن ثابت ، قال : حدثنا علباء ، قال : حدثنا أبو زيد ، قال : قال لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا زيد ، اذنُ مني امسحَ ظهري - وكشف عن ظهره - قال : فسَّسْتُ ظهره ، ثم وضعتُ أصبعي على الخاتم^(٤) فغمزْتُها ، قال : قلت : وما الخاتم ؟ قال : شعرٌ يجمعُ كان على كتفيه .
 حدثنا ابنُ المنثي ، قال : حدثنا بشر بن الوضاح أبو الهيثم ، قال : حدثنا أبو عقيل الدَّورقي عن أبي نصره ، قال : سألتُ أبا سعيد الخدري عن الخاتم التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ، قال كانت بَصْعَةً ناشرة .

(١) الأمهق : الشديد البياض . (٢) السبط : المسترسل ، والجعد : القصير ، والقطط : شعر

الزنج . (٣) المقصد : الذي ليس بالجسم ولا الفضيل .

(٤) أنث كلمة « الخاتم » ، لأنه ضمنها معنى الشامة أو العلامة .

ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا حمّاد بن واقد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلّم من أحسنِ الناس ، وأسمحِ الناس ، وأشجعِ الناس ؛ لقد كان فزعٌ بالمدينة ، فانطلق أهلُ المدينة نحو الصوت ، فإذا هم قد تلقّوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على فرسٍ عُرِّي^(١) لأبى طلحة ، ما عليه سَرَجٌ ، وعليه السيف . قال : وقد كان سبقهم إلى الصّوت ، قال : فجعل يقول : يا أيها الناس ، لم تُراعوا ، لم تُراعوا ! مرتين ، ثم قال : يا أبا طلحة ، وجدناه بحرّاً ؛ وقد كان الفرس يبطأ ، فما سبقه فرسٌ بعد ذلك .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن ثابت ، عن أنس ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أشجعِ الناس ، وأجودَ الناس ؛ كان فزعٌ بالمدينة فخرج الناس قبل الصوت ، فاستبرأ الفزع على فرسٍ لأبى طلحة عُرِّي ، ما عليه سَرَجٌ ، في عنقه السيف . قال : وجدناه بحرّاً — أو قال : وإنه لبَحْرٌ .

• • •

ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يمشي أم لا

حدثني ابنُ المثنى ، قال : حدثنا مُعَاذُ بن مُعَاذٍ ، قال : حدثنا حَرِيزُ بن عَمَّان ، قال أبو موسى : قال مُعَاذُ : وما رأيتُ من رجل قطّ من أهل الشام أَفْضَلُهُ عليه ، قال : دخلنا على عبد الله بن بُسْرٍ ، فقلت له من بين أصحابي : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ؟ أَشَيْخًا كان ؟ قال : فوضع يده على عَنَقَتِهِ ، وقال : كان في عَنَقَتِهِ شعرٌ أبيض .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا زهير ، عن أبي إسحاق ، عن أبي جُحَيْفَةَ ، قال : رأيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عَنَقَتُهُ بيضاء ، قيل : مثلُ مَنْ أنت يومئذ يا أبا جُحَيْفَةَ ؟ قال : أبري النَّبَلِ وأريشها .

حدثني ابنُ المشي ، قال : حدثنا خالد بن الحارث ، قال : حدثنا حميد ، قال : سئل أنس : أخضب رسول الله ؟ قال : فقال أنس : لم يشتد برسول الله الشيب ، ولكن خضب أبو بكر بالحناء والكتَم^(١) ، وخضب عمر بالحناء .

حدثنا ابنُ المشي ، قال : حدثنا ابنُ أبي عدي ، عن حميد ، قال : سئل أنس : هل خضب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لم يرَ من الشيب إلا نحو من تسع عشرة أو عشرين شعرة بيضاء في مقدم لحيته . قال : إنه لم يشن بالشيب ، فقل لأنس : وشين هو ! قال : كلُّكم يكرهه ، ولكن خضب أبو بكر بالحناء والكتَم ، وخضب عمر بالحناء .

حدثنا ابنُ المشي ، قال : حدثنا معاذ بن معاذ ، قال : حدثنا حميد ، عن أنس ، قال : لم يكن الشيب الذي بالنبي صلى الله عليه وسلم عشرين شعرة . ١٧٩٣/١

حدثنا ابنُ المشي ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة : عن سبّاك ، عن جابر بن سمرة ، قال : ما كان في رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيب إلا شعرات في مفروق رأسه ؛ وكان إذا دهنه غطّاهن .

حدثنا ابنُ المشي ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا سلام بن أبي مطيع ، عن عثمان بن عبد الله بن موهَّب ، قال : دخلتُ زوجُ النبي صلى الله عليه وسلم فأخرجت إلينا شعراً من شعر رسول الله مخضوباً بالحناء والكتَم .

حدثنا ابنُ جابر بن الكردى الواسطي ، قال : حدثنا أبو سفيان ، قال : حدثنا الضحاك بن حمزة ، عن غيلان بن جامع ، عن إياد بن لقيط ، عن أبي ربيعة ، قال : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكتَم ؛ وكان يبلغ شعره كتفيه أو منكبيه — الشك من أبي سفيان .

(١) الكَم محرّكة : نبت يحاط بالحناء ويخضب به الشعر فيبني لونه .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبدُ الرحمن بن مهدي ، عن إسماعيل بن عمار ، عن يحيى بن نافع -- عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أم هانئ ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وله صفائر أربع .

• • •

ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله الذي توفي فيه

وما كان منه قبيل ذلك لما نعت إليه نفسه صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : يقول الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۖ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝ ﴾ (١) . قد مضى ذكرنا قبل ما كان من تعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه - في حجته التي حجتها المسماة حجة الوداع ، وحجة التمام ، وحجة البلاغ - مناسكهم ووصيته إياهم . بما قد ذكرت قبل في خطبته التي خطبها بهم فيها .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من ستمره ذلك بعد فراغه من حجته إلى منزله بالمدينة في بقية ذي الحجة ، فأقام بها ما بقي من ذي الحجة والمحرم والصفر .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة

ذكر الأحداث التي كانت فيها

قال أبو جعفر: ثم ضرب في المحرم من سنة إحدى عشرة على الناس بعثاً إلى الشام، وأمر عليهم مولاة وابن مولاة أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره — فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن الحارث بن عيش بن أبي ربيعة — أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والدأروم من أرض فلسطين، فتجهز الناس، وأوعب^(١) مع أسامة المهاجرون الأولون^(٢).

فبينما الناس على ذلك ابتدئ صلى الله عليه وسلم شكواه التي قبضه الله عز وجل فيها إلى ما أراد به من رحمته وكرامته. في ليالٍ بقرين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول.

حدثنا عبيد الله بن سعد^(٣) الزهري، قال: حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرنا سيف بن عمر، قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن ثابت ابن الجزع الأنصاري، عن عبيد بن حنين مولى النبي صلى الله عليه وسلم، عن أبي مؤنبه مولى رسول الله، قال: رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد ما قضى حجة التمام، فتحلّل به السير، وضرب على الناس بعثاً، وأمر عليهم أسامة بن زيد، وأمره أن يوطئ من آبل الزيت من مشارف الشام الأرض بالأردن، فقال المنافقون في ذلك، ورد عليهم النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه لخليق لها — أي حقيق بالإمارة — وإن قلتم فيه لقد قلتم في أبيه من قبل؛ وإن كان لخليقاً لها». فطارت الأخبار بتحلّل السير بالنبي صلى الله عليه وسلم أن النبي قد اشتكى، فوثب الأسود باليمن ومسيمة بالهامة؛

(١) أوعب المهاجرون: جمعوا ما استطاعوا من العدة.

(٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢: ٣٥٢.

(٣) ط: «سعيد»، وأثبت ما في التصويبات.

وجاء الخبر عنهما للنبي صلى الله عليه وسلم . ثم وثب طليحة في بلاد أسد بعد ما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اشتكى في الحرم وجعه الذي قبضه الله تعالى فيه .

حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثني عمي يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرنا سيف ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن أبيه ؛ قال : اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي توفاه الله به في عقب الحرم . وقال الواقدي : بُدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه لليلتين بقيتا من صفر .

* * *

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ابن عمر ، قال : حدثنا المستنير بن يزيد النخعي ، عن عروة بن غزيرة الدثيني ، عن الضحاك بن فيروز بن الديلمي ، عن أبيه ، قال : إن أول ردة كانت في الإسلام باليمن كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدى ذى الحيمار عبهلة بن كعب - وهو الأسود - في عامه مذحج . خرج بعد الوداع ؛ كان الأسود كاهناً شعباًذا^(١) ، وكان يريهم الأعاجيب ، ١٧٩٦/١ ويسري قلوب من سمع منطقه ، وكان أول ما خرج أن خرج من كهف خبان ؛ وهي كانت داره ، وبها ولد ونشأ ؛ فكاتبه مذحج ، وواعدته نجران ؛ فوثبوا بها وأخرجوا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد بن العاص وأنزلوه منزلهما ، ووثب قيس بن عبد يغوث على فروة بن مسيك وهو على مراد ، فأجلاه ونزل منزله ؛ فلم ينشب عبهلة بنجران أن سار إلى صنعاء فأخذها ، وكتب بذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم من فعله ونزوله صنعاء ؛ وكان أول خبر وقع به عنه من قبيل فروة بن مسيك ، ولحق بفروة من تم على الإسلام من مذحج ، فكانوا بالأحسية ، ولم يكاتبه الأسود ولم يرسل إليه ، لأنه لم يكن معه أحد يشاغيه ، وصفا له ملك اليمن .

(١) شعباذا : مشعبا ، والشعبذة والشعوذة : أخذ كالسحري الذي يغير ما عليه أصله في رأى العين .

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرني يحيى بن يعقوب ، قال : حدثني سيف ، قال : حدثنا طلحة بن الأعلم ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضرب بعث أسامة فلم يستب لوجع رسول الله ونخلع مسيلمة والأسود ؛ وقد أكثر المنافقون في تأمير أسامة ، حتى بلغه ؛ فخرج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس عاصباً رأسه من الصداع لذلك الشـأن وانتشاره ، لرؤيا رآها في بيت عائشة : فقال : إني رأيت الباردة — فيما يرى النائم — أن في عضدي سوارين من ذهب ؛ فكرهتهما ففضختهما ، فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين — صاحب اليمامة وصاحب اليمن — وقد بلغني أن أقواماً يقولون في إمارة أسامة ! ولعمري لئن قالوا في إمارته ، لقد قالوا في إمارة أبيه من قبله ! وإن كان أبوه خليفاً للإمارة ، وإنه خليق لها ؛ فأنفذوا بعث أسامة . وقال : لعن الله الذين يتخذون قبور أنبيائهم مساجد !

فخرج أسامة فضرب بالخرطف ؛ وأنشأ الناس في السكر ؛ ولجج طلحة وتمهل الناس . وثقل ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستم الأمر ، فظفروا أولهم آخرهم ، حتى توفي الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم .

كتب إلى السري بن يحيى ، يقول : حدثنا شعيب بن إبراهيم التميمي ، عن سيف بن عمر ، قال : حدثنا سعيد بن عبيد أبو يعقوب ، عن أبي ماجد الأسدي ، عن الحضرمي بن عامر الأسدي ، قال : سأله عن أمر طلحة ابن خويلد ؛ فقال : وقع بنا الخبر بوجع النبي صلى الله عليه وسلم . ثم بلغنا أن مسيلمة قد غلب على اليمامة ، وأن الأسود قد غلب على اليمن ؛ فلم يلبث إلا قليلاً حتى ادعى طلحة النبوة ، وعسكر بسميراء ، واتبعه العوام ، وأمتكف أمره ؛ وبعث حبال ابن أخيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى المودة ، ويخبره خبره . وقال حبال : إن الذي يأتيه ذو النون ؛ فقال : لقد سبني ملكاً ، فقال حبال : أنا ابن خويلد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قتل الله وحرماك الشهادة !

(١) ثقيل : اشتد عليه المرض .

وحدثني عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمِّي يعقوب ، قال : أخبرنا سيِّف ، قال : وحدَّثنا سعيد بن عبيد ، عن حُرَيْث بن المَعْلَى : أنَّ أوَّل مَنْ كُتِبَ إلى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَبَرِ طَلِيحَةَ سِنَانُ بْنُ أَبِي سِنَانٍ ، ١٧٩٨/١ وكان على بنى مالك ؛ وكان قُضَاعِيٌّ بن عمرو على بنى الحارث .

حدثنا عبيدُ الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمِّي ، قال : أخبرنا سيف ، قال : أخبرنا هِشَامُ بن عُرْوَةَ ، عن أبيه ، قال : حاربهم رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرسَل ، قال : فأرسل إلى نفرٍ من الأبناء رسولا ، وكتب إليهم أن يحاولوه ، وأمرهم أن يستنجدوا رجلاً قد سَمَاهُمْ — من بنى تميم وقيس ؛ وأرسل إلى أولئك النَّفَرِ أن ينجدوهم ، ففعلوا ذلك ؛ وانقطعت سُبُلُ المرتدة ، وطعنوا في نقصان وأغلقهم ، واشتغلوا في أنفسهم ، فأصيب الأسود في حياة رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبل وفاته بيوم أو ليلة ، ونظَّ طليحة ومسيلمة وأشباههم بالرسَل ؛ ولم يشغله ما كان فيه من الوجع عن أمرِ الله عزَّ وجلَّ والذبَّ عن دينه ، فبعث وِثْرَ بنَ يُحْنَسَ إلى فيروز وجُشَيْشِ الدِّبْلَمِيِّ وداذويه الإصطخري ؛ وبعث جرير بن عبد الله إلى ذى الكَلَّاعِ ودى ضَلَمٍ ، وبعث الأقرع بن عبد الله الحميريَّ إلى ذى زُودٍ وذى مُرَّانَ ، وبعث فرات بن حيَّان العجليَّ إلى ثُمَامَةَ بن أَثَالٍ ، وبعث زياد بن حنظلة التميميَّ ثم العمريَّ إلى قيس بن عاصم والزَّيْبِرْقَانِ بن بدر ، وبعث صلصل بن شَرْحَبِيلٍ إلى تَسْبَرَةَ العنبريَّ ووَكَيْعِ الداريَّ وإلى عمرو بن المحجوب العامريَّ ، وإلى عمرو بن الحَفَّاجِيَّ من بنى عامر ، وبعث ضرار بن الأزور الأسديَّ إلى عَوْفِ الزرقانيَّ من بنى الصَّيْنَاءِ وسنان الأسديَّ ثم الغنميَّ ، وقُضَاعِيٍّ الدُّثَلِيَّ ، وبعث نعيم بن مسعود الأشجعيَّ إلى ابن ذى اللحية وابن مشيمصة الجبيريَّ .

وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثنا الصَّقْعَبُ ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أن رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعَ وجعه الذى قبض فيه فى آخر صفر فى أيام بقين منه ؛ وهو فى بيت زينب بنت جحش .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمةُ وعلىّ بن مجاهد ، عن محمد ابن إسحاق ، عن عبد الله بن عمر بن عليّ ، عن عبيد بن جبّير، مولى الحكم ابن أبي العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبي مُوَيْهبة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال لى : يا أبا مويّهبة، إني قد أُمِرْتُ أن أستغفرَ لأهل البقيع ؛ فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السّلام عليكم أهل المقابر ؛ ليَهَنَ لَكُمْ ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ! أقبلت الفتنَ كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شرٌّ من الأولى . ثم أقبل علىّ فقال : يا أبا مويّهبة ، إني قد أوتيت مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، خيّرْتُ بين ذلك وبين لقاء ربّى والجنة ، فاخترت لقاء ربّى والجنة . قال : قلت : بأبى أنت وأمى ! فخذ مفاتيحَ خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة . فقال : لا والله يا أبا مويّهبة ، لقد اخترت لقاء ربّى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف فبدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه الذى قُبِضَ فيه ^(١) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق .

وحدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا علىّ بن مجاهد ، قال : حدثنا ابنُ إسحاق ، عن يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهريّ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجدُ صُداً فى رأسى ، وأنا أقول : وارأساه ! قال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه ! ثم قال : ما ضرّك لو متّ قبلى فقامتُ عليك وكفنتك ، وصليت عليك ، ودفنتك ! فقلت : والله لكاننى بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتى فأعرست

ببعض نساك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتنام به وجهه ؛ وهو يدور على نسائه حتى استعز به ^(١) وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه ١٨٠١/١ فاستأذنن أن يمرض في بيتي ، فأذن له ^(٢) .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ورجل آخر تخط قدماه الأرض ، عاصباً رأسه حتى دخل بيتي .

— قال عبيد الله : فحدثت هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس ، فقال :

هل تدري من الرجل ؟ قلت : لا ، قال : علي بن أبي طالب ، ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع —

ثم غمير ^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به الوجع ؛ فقال : أهريقوا علي من سبع قيرب من آبار شتى ؛ حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ؛ قالت : فأقعدناه في مخضب ^(٤) لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبيكم ، حسبيكم ! ^(٥) .

فحدثني حميد بن الربيع الخراز ، قال : حدثنا معن بن عيسى ، قال : حدثنا الحارث بن عبد الملك بن عبد الله بن إياس الليثي ؛ ثم الأشجعي ، عن القاسم بن يزيد ، عن عبد الله بن قسيب ، عن أبيه ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، عن أخيه الفضل بن عباس ، قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرجت إليه فوجدته موعوكاً قد عصب رأسه . فقال : خذ بيدي يا فضل ، فأخذت بيده ؛ حتى جلس على المنبر ؛ ثم قال : ناد في الناس . فاجتمعوا إليه ، فقال : أما بعد أيها الناس ، فإنني أحمدهم إليكم الله الذي لا إله إلا هو . وإنه قد دنا مني حقوق من بين أظهركم ، فمن كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليستقيده منه ، ومن كنت شتمت له عريضاً فهذا عريضتي فليستقيده منه ؛ ألا وإن الشحناء ليست من طبعي ولا من شأني ، ؛ ألا وإن

(١) استعز به : اشتد به وجهه وغلبه على نفسه . (٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٦ .

(٣) غمر : أصابته غرة المرض ؛ وهي شدته . (٤) المخضب : إناء يغتسل فيه .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٨ .

أحببكم إلى من أخذ مني حقاً إن كان له ، أو حللني فلقيت الله وأنا أطيب النفس ؛ وقد أرى أن هذا غير مُعْنٍ عني حتى أقوم فيكم مراراً .

قال الفضل : ثم نزل فصلتي الظهر ، ثم رجع فجلس على المنبر ، فعاد لمقاتته الأولى في الشحاء وغيرها ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ؛ إن لي عندك ثلاثة دراهم ، قال : أعطه يا فضل ، فأمرته فجلس . ثم قال : أيها الناس ، من كان عنده شيء فليؤدّه ولا يقل فضوح الدنيا ، ألا وإن فضوح الدنيا أيسر من فضوح الآخرة . فقام رجل فقال : يا رسول الله عندى ثلاثة دراهم غللتها في سبيل الله ، قال : ولیم غللتها ؟ قال : كنت إليها محتاجاً ، قال : خذها منه يا فضل . ثم قال : يا أيها الناس ، من خشي من نفسه شيئاً فليقم أدع له . فقام رجل فقال : يا رسول الله ، إني لكذاب ، إني لفاحش ، وإني لنؤوم ؛ فقال : اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً ، وأذهب عنه النوم إذا أراد . ثم قام رجل فقال : والله يا رسول الله . إني لكذاب وإني لمناق ، وما شيء - أو إن شيء - إلا قد جنيته . فقام عمر بن الخطاب ، فقال : فضحت نفسك أيها الرجل ! فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا بن الخطاب ، فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة ، اللهم ارزقه صدقاً وإيماناً وصييراً أمره إلى خير .

فقال عمر كلمة . فضحك رسول الله ، ثم قال : عمر معي وأنا مع عمر ، والحق بعدي مع عمر حيث كان .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن أيوب بن بشير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه ؛ حتى جلس على المنبر ؛ ثم كان أول ما تكلم به أن صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ؛ وأكثر الصلاة عليهم . ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر ، وعلم^(١) أن نفسه يُريد ؛ فبكى ، وقال : بل نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على

(١) ابن هشام : « وعرف » .

رسلك يا أبا بكر ! انظروا هذه الأبواب الشوارع التلافظة^(١) في المسجد فسُدَّوها ؛ إلا ما كان من بيت أبي بكر^(٢) ؛ فإنني لا أعلم أحداً كان أفضل عندي في الصحبة يداً منه^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبي سعيد بن المَعْلَى ، أن رسول الله قال يومئذ في كلامه هذا : فإنني لو كنت متخذاً من العباد خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده^(٤) .

وحدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي عبد الله ابن وهب ، قال : حدثنا مالك ، عن أبي النضر ، عن عبيد بن حنين ، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوماً على المنبر فقال : إن عبداً خيره الله بين أن يؤتم به من زهرة الدنيا ما شاء ، وبين ما عند الله ؛ فاختار ما عند الله ؛ فبكى أبو بكر ثم قال : فدينك بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله ! قال : فتعجبنا له ، وقال الناس : انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله عن عبد يخير ، ويقول : فدينك بآبائنا وأمهاتنا ! قال : فكان رسول الله هو المخير ، وكان أبو بكر أعلمنا به ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أمتي الناس على في صحبته وماله أبو بكر ؛ ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ؛ ولكن أخوة الإسلام ؛ لا تبقى خوافة في المسجد إلا خوافة أبي بكر .

حدثني محمد بن عمر بن الصباح الحمدي ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثنا مسلم بن جعفر البجلي ، قال : سمعت عبد الملك ابن الأصبهاني عن خلافة الأسدي ، قال : قال عبد الله بن مسعود : نعى إلينا نبينا وحبيبنا نفسه قبل موته بشهر ؛ فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أتنا عائشة ، فنظر إلينا وشدَّ ، فدمعت عينه ، وقال : مرحباً بكم ! رحمكم الله !

(١) التلافظة في المسجد : التافذة إليه .

(٢) سيرة ابن هشام : « ولا بيت أبي بكر » . قال ابن هشام : وروى : « لإبواب أبي بكر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٦٩ .

أَوَاكُمُ اللَّهُ ! حَفَظَكُمُ اللَّهُ ! رَفَعَكُمُ اللَّهُ ! نَفَعَكُمُ اللَّهُ ! وَفَقَّكُمْ اللَّهُ ! نَصَرَكُمُ اللَّهُ !
 سَلَّمَكُمُ اللَّهُ ! رَحِمَكُمُ اللَّهُ ! قَبَلَكُمُ اللَّهُ ! أَوْصِيَكُمُ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَوْصَى اللَّهُ بِكُمْ ،
 وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ ، وَأَوْذِيَكُمُ إِلَيْهِ ؛ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ، لَا تَعْلَوْا عَلَى اللَّهِ
 فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ؛ فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ
 لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(١) . وَقَالَ : ﴿ أَلَيْسَ
 فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ ^(٢) . فَقُلْنَا : مَتَى أَجْلُكَ ؟ قَالَ :
 قَدْ دَنَا الْفَرَاقُ ، وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى . قُلْنَا : فَمَنْ يَغْسِلُكَ
 يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : أَهْلِي الْأَدْنَى فَلَا دُنَى ، قُلْنَا : فَمِمَّ نَكْفِنُكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟
 قَالَ : فِي ثِيَابِي هَذِهِ إِنْ شِئْتُمْ ؛ أَوْ فِي بِياضِ مِصْرَ ، أَوْ حِلَّةِ يَمَانِيَّةَ ، قُلْنَا :
 فَمَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟ قَالَ : مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ ، وَجَزَاكُمُ عَنْ نَبِيِّكُمْ
 خَيْرًا ! فَبَكَيْنَا وَبَكَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفَّيْتُمُونِي
 فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا ، عَلَى شَفِيرِ قَبْرِي ، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً ،
 فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَصَلِّيَ عَلَيَّ جَلِيسِي وَخَلِيلِي جَبْرِيلُ ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ ،
 ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ مَعَ جُنُودٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهَا . ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجًا
 فَوْجًا ، فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ، وَلَا تُؤْذُونِي بِتَرْكِيَةِ وَلَا بَرْنَةِ وَلَا صِيْحَةٍ ،
 وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي ، ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ ، ثُمَّ أَنْتُمْ بَعْدَ . أَفَرَأَوْا
 أَنْفُسَكُمْ مَنَى السَّلَامِ ؛ فَإِنِّي أَشْهَدُكُمْ أَنَّي قَدْ سَلَّمْتُ عَلَى مَنْ بَايَعَنِي عَلَى
 دِينِي مِنَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . قُلْنَا : فَمَنْ يُدْخِلُكَ فِي قَبْرِكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ ؟
 قَالَ : أَهْلِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرِينَ يَرُونَكُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ .

١٨٠٦/١

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حَمَّادٍ الدُّوْلَابِيُّ . قَالَ : حَدَّثَنَا سَعْيَانُ ، عَنْ سُلَيْمَانَ
 ابْنِ أَبِي مُسْلِمٍ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . قَالَ : يَوْمَ الْخُمَيْسِ
 وَمَا يَوْمَ الْخُمَيْسِ ! قَالَ : اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَعُهُ ، فَقَالَ :
 اثْنُونِي أَكْتُبْ كِتَابًا لَا تَضَلُّوا بَعْدِي أَبَدًا . فَتَنَازَعُوا - وَلَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ أَنْ يُتَنَازَعَ -

فقالوا: ما شأنه؟ أهَجَرَ^(١)! استفهموه؛ فذهبوا يعيدون عليه، فقال: دعوني فما أنا فيه خير مما تدعونني إليه؛ وأوصى بثلاث؛ قال: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو مما كنت أجيزهم؛ وسكت عن الثالثة عمداً - أو قال: فنسيتها^(٢).

حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا يحيى بن آدم، قال: حدثنا ابن عيينة، عن سليمان الأحمول، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس! ثم ذكر نحو حديث أحمد بن حماد، غير أنه قال: ولا ينبغي عند نبي أن ينازع.

حدثنا أبو كُريب وصالح بن سَمَّال، قال: حدثنا وكيع، عن مالك ابن مِغْوَل، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: يوم الخميس ودا يوم الخميس! قال: ثم نظرتُ إلى دُمُوعه تسيل على خديته كأنها نظام اللؤلؤ. قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتنوني باللَّوح والدَّواة - أو بالكَتِف والدَّواة - أكتب لكم كتاباً لا تضلُّون بعده. قال: فقالوا: إن رسول الله يَهْجُر.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: حدثني عمي عبد الله ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن الزُّهري. قال: أخبرني عبد الله ابن كعب بن مالك؛ أن ابن عباس أخبره أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه الذي تُوُفِّي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبَح رسولُ الله؟ قال: أصبح بحمد الله بارئاً، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال: ألا تَرَى أنك بعد ثلاث عبيدُ العصا! وإنِّي أَرَى رسول الله سيُتَوَفَّى في وجهه هذا؛ وإنِّي لأَعْرِفُ وجهه بنبي عبد المطلب عند الموت؛ فاذهب إلى رسول الله فسله فيمن يكون هذا الأمر؟ فإن كان فينا عِلْمٌ بذلك، وإن كان في غيرنا أمر به فأوصي بنا. قال علي: والله لئن

(١) أهجَرَ، أي اختلف كلامه بسبب المرض، وانظر نهاية ابن الأثير.

(٢) صحيح مسلم ٣ : ١٢٥٧، وروايته: «فَنَسِيَهَا».

سألناها رسول الله ففنعناها لا يعطيناها الناس أبداً ؛ والله لا أسأله رسول الله أبداً .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ علي بن أبي طالب على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : أحلف بالله لقد عرفت الموت في وجه رسول الله كما كنت أعرفه في وجه بني عبد المطلب ؛ فانطلق بنا إلى رسول الله ؛ فإن كان هذا الأمر فينا علمنا ، وإن كان في غيرنا أمرنا^(١) فأوصى بنا الناس ؛ وزاد فيه أيضاً : فتوفي رسول الله حين اشتد الضحى من ذلك اليوم^(٢) .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثنا أبي ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفرغوا علي من سبع قيرب من سبع آبار شتى ، لعلني أخرج إلى الناس فأعهد إليهم .

قال محمد ، عن محمد بن جعفر ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : فصبتنا عليه من سبع قيرب ، فوجد راحة ، فخرج فصلتي بالناس ، وخطبهم ، واستغفر للشهداء من أصحاب أحد ، ثم أوصى بالأنصار خيراً ، فقال : أما بعد يا معشر المهاجرين ، إنكم قد أصبحتم تزيدون ، وأصبحت الأنصار لا تزيد على هبتها التي هي عليها اليوم ، والأنصار عيبتي^(٣) التي أويت إليها ، فأكرموا كريمهم ، ونجاوزوا عن مسيئهم . ثم قال : إن عبداً من عباد الله قد خيّر بين ما عند الله وبين الدنيا فاختر ما عند الله ؛ فلم يقمها إلا أبو بكر ؛ ظن أنه يريد نفسه ، فبكي ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : على رسلك يا أبا بكر ! سدوا هذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر ؛ فإني لا أعلم امرأ أفضل يداً في الصحابة من أبي بكر .

(١) ابن هشام : « أمرناه » . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ .

(٣) عيبتي : موضع ثقتي وسري . والعيبة في الأصل : ما يجعل فيه الثياب .

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
 حدثنا سفيان ، قال : حدثنا موسى بن أبي عائشة ، عن عبيد الله بن عبد الله
 ابن عتبة ، عن عائشة ، قالت : لَدَدْنَا^(١) رسولَ الله صلى الله عليه وسلم في
 مرضه ، فقال : لا تُلْدُونِي ! فقلنا : كراهيةُ المريضِ الدواء . فلما أفاق قال :
 لا يَبْقِي منكم أحدٌ إلا لَدَدَ ؛ غير العباس فإنه لم يشهدكم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق في حديثه
 الذي ذكرناه عنه ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ،
 قالت : ثم نزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتنام به وجعه
 حتى غُمِرَ ، واجتمع عنده نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء
 من نساء المؤمنين ؛ منهن أسماء بنت عميس ، وعنده عمه العباس بن عبد المطلب ،
 وأجمعوا على أن يُلْدُوهُ ، فقال العباس : لألدته ، قال : فلدَ ، فلما أفاق
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . قال : مَنْ صنعَ بي هذا ؟ قالوا : يا رسول
 الله ، عمك العباس ، قال : هذا دواء أتى به نساء من نحو هذه الأرض -
 وأشار نحو أرض الحبشة - قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال العباس : خشينا
 يا رسولَ الله أن يكون بك وجع ذات الجنب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان
 الله ليعذبَني به ، لا يَبْقِي في البيت أحدٌ إلا لَدَدَ إلا عمي . قال : فلقد لدت
 ميمونة وإنها لصائغة لقسم رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ؛ عقوبةً لهم بما صنعوا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، أن عائشة حدثته أن رسولَ الله
 صلى الله عليه وسلم حين قالوا : خشينا أن يكون بك ذات الجنب ، قال :
 إنها من الشيطان ؛ ولم يكن الله ليسلطها على .

حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني الصَّقْعَب
 ابن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ثَقُلَ
 في وجعه الذي تَوَفَّى فيه حتى أغمِيَ عليه ؛ فاجتمع إليه نساؤه وابنته وأهلُ

(١) الله : أن يجعل الدواء في شق النعم .

بيته والعبّاس بن عبد المطلب وعلى بن أبي طالب وجميعهم ؛ وإن أسماء بنت عميس قالت : ما وجهه هذا إلا ذات الجنب ، فلُدّوه ، فلُدّناه ، فلما أفاق ، قال : مَنْ فعل بي هذا ؟ قالوا : لَدَتُكَ أسماء بنت عميس ؛ ظننتُ أن بك ذات الجنب . قال : أعوذ بالله أن يُبلّغني بذات الجنب ؛ أنا أكرم على الله من ذلك .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سعيد بن عبيد بن السَّبّاق ، عن محمد بن أسامة بن زيد ، عن أبيه أسامة ابن زيد ، قال : لما ثقل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبطتُ وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلنا على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصمّت فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فعرّفتُ أنه يدعوني ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه ، وهو يقول : إن الله عزّ وجلّ لم يقبض نبياً حتى يخيره ^(٢) .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا يونس بن بكير ، قال : حدّثنا يونس بن عمرو ، عن أبيه ، عن الأرقم بن شرحبيل ، قال : سألتُ ابنَ عباس : أوصى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا ، قلت : فكيف كان ذلك ؟ قال : قال رسولُ الله : ابعثوا إلى عليّ فادعوه ، فقالت عائشة : لو بعثتُ إلى أبي بكر ! وقالت حفصة : لو بعثتُ إلى عمر ! فاجتمعوا عنده جميعاً ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : انصرفوا ، فإن ثك لي حاجة أبعثُ إليكم ؛ فانصرفوا ، وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : آن الصلاة ؟ قيل : نعم ، قال : فأمرُوا أبا بكر ليُصلّي بالناس ، فقالت عائشة : إنه رجلٌ رقيق ، فرم عمر ، فقال : مرُّوا عمر ، فقال عمر : ما كنت لأتقدّم وأبو بكر

١٨١١/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٠ . وبقية الخبر هناك . « قالت فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعها منه وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : إذا والله لا يختارنا ! وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبياً لم يقبض حتى يخير » .

شاهد ، فتقدم أبو بكر ، ووجد رسولُ الله خِفَّةً ، فخرج ، فلمّا سمع أبو بكر حركته تأخّر ، ف جذب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثوبه ، فأقامه مكانه ، وقعد رسول الله ، فقرأ من حيث انتهى أبو بكر .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن الأعمش ، قال : [و] حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : حدثنا أبو معاوية ووكيع ، قالا : حدثنا الأعمش ، وحدثنا عيسى بن عثمان بن عيسى ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عائشة ، قالت : لما مرض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المرض الذي مات فيه ، أذنّ بالصلاة ، فقال : **مُرُوا أبا بكر أن يصلي بالناس** ، فقلت : **إنّ أبا بكر رجلٌ رقيق** ، وإنه متى يقوم مقامك لا يطيق ! قال : فقال : **مروا أبا بكر يصلي بالناس** ، فقلت مثل ذلك ، فغضب ، وقال : **إنك صواحبُ يوسف** - وقال ابن وكيع : « صواحبُ يوسف » - **مُرُوا أبا بكر يصلي بالناس** ، قال : فخرج يُهادى بين رجلين وقدماه تخطّان في الأرض ، فلما دنا من أبي بكر ، تأخّر أبو بكر ، فأشار إليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن **قم في مقامك** ، فقعد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فصلّى إلى جنب ١٨١٢/١ أبي بكر جالساً . قالت : فكان أبو بكر يصلي بصلاة النبي ، وكان الناس يصلّون بصلاة أبي بكر . اللفظ لحديث عيسى بن عثمان .

حدثت عن الواقدي ، قال : سألت ابن أبي سبرة : كم صلّى أبو بكر بالناس ؟ قال : سيع عشرة صلاة ، قلت : من أخبرك ؟ قال : أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، عن رجلٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم . قال : وحدثنا ابنُ أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل ، عن عكرمة ، قال : صلّى بهم أبو بكر ثلاثة أيام .

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، عن الليث ، عن يزيد بن الهاد ، عن موسى بن سرجيس ، عن القاسم ، عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يموت ، وعنده قدح فيه ماء يُدخل يده في القدح ، ثم يمسح وجهه باماء ثم يقول : اللهم أعني على سكرة الموت !

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن ابن الهاد ، عن موسى بن سرجيس ، عن القاسم بن محمد عن عائشة ، قالت : رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت . ثم ذكر مثله ؛ إلا أنه قال : أعيتني على سكرات الموت .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم الاثنين ، اليوم الذي قبض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس وهم يصلون الصبح ، فرقعَ الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسولُ الله ؛ حتى قام بباب عائشة ، فكاد المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ؛ فترحوا به ، وتفرجوا . فأشار بيده : أن اثبتوا على صلاتكم ، وتبسم رسولُ الله فرحاً لما رأى من هيتهم في صلاتهم ، وما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة ؛ ثم رجع وانصرف الناس ، وهم يظنون أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد أفاق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنح ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مُليكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصُّبْح ؛ وأبو بكر يصلّي بالناس ؛ فلما خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاّته ، فدفع رسول الله في ظهره ، وقال : صلّ بالناس . وجلس رسول الله إلى جنبه ؛ فصلّي قاعداً عن يمين أبي بكر ؛ فلما فرغ من الصلوة ، أقبل على الناس وكأهمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد ؛ يقول : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، سَعُرَتِ النَّارُ ، وَأَقْبَلَتِ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ! وَإِنِّي وَاللَّهِ لَا تَمْسِكُونَ عَلَيَّ شَيْئاً ؛ إِنِّي لَمْ أَحِلْ لَكُمْ إِلَّا مَا أَحَلَّ لَكُمْ الْقُرْآنُ ، وَلَمْ أُحَرِّمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْقُرْآنُ . فلما فرغ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر :

يا نبي الله ؛ إني أراك قد أصبحت بنعمة الله وفضله كما نحب ، واليوم يوم ١٨١٤/١
ابنة خارجة ، فأتيها . ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج أبو بكر
إلى أهله بالسُّنَح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن
يعقوب بن عتبة ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قالت : رجع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع
في حجرى ، فدخل على رجل من آل بكر في يده سواك أخضر . قالت :
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يده نظراً عرفت أنه يريد ، فأخذته
فضمغته حتى ألتئمت ، ثم أعطيته إياه ؛ قالت : فاستن به كأشد ما رأيته
يستن بسواك قبله ، ثم وضعه ؛ ووجدت رسول الله يثقل في حجرى . قالت :
فذهبت أنظر في وجهه ، فإذا نظره قد شخّص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى
من الجنة ! قالت : قلت : خيَّرت فاخترت والذي بعثك بالحق ! قالت :
وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
يحيى بن عباد بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات
رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وفي دورى ؛ ولم أظلم فيه
أحدًا ، فمن سقتهى وحداثة سنّى أن رسول الله قبض وهو في حجرى ، ثم
وضعت رأسه على وسادة ؛ وقمت ألتدّم مع النساء ، وأضرب وجهى ^(١) .

* * *

ذكر الأخبار الواردة باليوم الذى توفى فيه رسول الله

١٨١٥/١

ومبلغ سنه يوم وفاته

قال أبو جعفر : أما اليوم الذى مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا
خلاف بين أهل العلم بالأخبار فيه أنه كان يوم الاثنين من شهر ربيع الأول ، غير أنه

اختلف في أى الاثنين كان موته صلى الله عليه وسلم ؟ فقال بعضهم في ذلك ما حدثت عن هشام بن محمد بن السائب ، عن أبي مخنف ، قال : حدثنا الصَّقْعَب بن زهير ، عن فقهاء أهل الحجاز ، قالوا : قُبِضَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نصفَ النهار يوم الاثنين ، لليلتين مَصَّتَا من شهر ربيع الأول ، وبويع أبو بكر يوم الاثنين في اليوم الذي قُبِضَ فيه النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال الواقدي : تَوَفَّى يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خَلَّتْ من شهر ربيع الأول ، ودفن من الغد نصفَ النهار حين زاغت الشمس ، وذلك يوم الثلاثاء . قال أبو جعفر : تَوَفَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بالسُّنْح وعمر حاضرٌ . فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن سعيد بن المسيَّب ، عن أبي هريرة ، قال : لما تَوَفَّى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله تَوَفَّى وأن رسول الله والله ما مات ؛ ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فغاب عن قومه أربعين ليلة ؛ ثم رجع بعد أن قيل قد مات ؛ والله ليرجعن رسولُ الله فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم يزعمون أن رسول الله مات .

١٨١٦/١

قال : وأقبل أبو بكر حتى نزلَ على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكاتم الناس ؛ فلم يلتفت إلى شيء حتى دخلَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ؛ ورسول الله مُسَجَّى^(١) في ناحية البيت ، عليه بُرْد حَبْرَة^(٢) ، فأقبل حتى كشف عن وجهه ، ثم أقبل عليه فقبَّله ، ثم قال : بأبي أنت وأُمي ! أما المَوْتَةُ التي كتب الله عليك فقد دُفِنَتْهَا ، ثم لن يصيبك بعدها مَوْتَةٌ أبداً . ثم رَدَّ الثَّوبَ على وجهه ، ثم خرج وعمرُ يكلم الناس ، فقال : على رِسْلِكَ يا عمر ! فأنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا يُنصِتْ أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه ،

(١) مسجى : مغشى .

(٢) الحبرة : ضرب من ثياب البين .

وتركوا عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ؛ إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ؛ ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . ثم تلا هذه الآية : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ ... ﴾ ^(١) إلى آخر الآية . قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تلاها أبو بكر يومئذ . قال : وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم .

قال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر يتلوها ١٨١٧/١ فعقرت ^(٢) حتى وقعت إلى الأرض ؛ ما تحملي رجلاي ، وعرفت أن رسول الله قد مات ^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن أبي معشر زياد بن كليب ، عن أبي أيوب ، عن إبراهيم ، قال : لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبا ، فجاء بعد ثلاث ، ولم يجزئ أحداً أن يكشف عن وجهه ؛ حتى اربد بطنه ؛ فكشف عن وجهه ، وقبل بين عينيه ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ! طببت حيا وطبت ميتا ! ثم خرج أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ومن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات . ثم قرأ : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسِجْزِي اللَّهِ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(١) . وكان عمر يقول : لم يمُت ؛ وكان يتوعد الناس بالقتل في ذلك .

فاجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليبايعوا سعد بن عبادة ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فأتاهم معه عمر وأبو عبيدة بن الجراح ، فقال : ما هذا ؟

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) عقرت : دهشت .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧١ ، ٣٧٢ .

فقالوا : منّا أميرٌ ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : منّا الأمراء ومنكم الوزراء .
ثم قال أبو بكر : إني قد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين : عمر أو أبا عبيدة ،
إن النبي صلى الله عليه وسلم جاءه قومٌ فقالوا : ابعث معنا أميناً فقال :
لأبعثنَّ معكم أميناً حقاً أمين ؛ فبعث معهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ وأنا أرضى
لكم أبا عبيدة . فقام عمر ، فقال : أَيْبَكُم تطيب نفسه أن يخلف قدّمين
قدّمهما النبي صلى الله عليه وسلم ! فبايعه عمر وبايعه الناس ، فقالت
الأنصار - أو بعض الأنصار ؛ لا نبايع إلاّ عليّاً .

١٨١٨/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن
كليب ، قال : أتى عمرُ بن الخطاب منزلَ عليّ وفيه طلحة والزبير ورجالٌ
من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقنَّ عليكم أولاً لتخرجنَّ إلى البَيْعَةِ . فخرج
عليه الزبيرُ مُصْلِتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه
فأخذوه .

حدثنا زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا أبو عَوّانة ، قال :
حدثنا داود بن عبد الله الأوديّ ، عن حميد بن عبد الرحمن الحميرى ،
قال : توفّي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في طائفة من المدينة ،
فجاء فكشف الثوبَ عن وجهه فقَبَلَه ، وقال : فِدَاكَ أبى وأُمى ! ما أَطْيَبَ بَكَ
حيّاً وميتاً ! مات محمدٌ وربّ الكعبة ! قال : ثم انطلق إلى المنبر ، فوجد عمر
ابن الخطاب قائماً يُوعِدُ الناس ، ويقول : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم
حيٌّ لم يمِتْ ؛ وإنه خارج إلى من أَرْجَفَ به ، وقاطع أيديهم ، وضارب
أعناقهم ، وصالبهم . قال : فتكلّم أبو بكر ، وقال : أنيستُ . قال : فأبى
عمر أن يُنصتَ ، فتكلّم أبو بكر ، وقال : إن الله قال لنبيّه صلى الله عليه وسلم :
﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۚ ثُمَّ لَأَنكُم يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمُ
تَحْتَصِيمُونَ ۝ ﴾^(١) . وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ
مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ^(٢) ، حتى ختم الآية ، فمن

١٨١٩/١

كان يعبدُ محمدًا فقد مات إلهه الذي كان يعبده . ومن كان يعبد الله لا شريك له ، فإن الله حي لا يموت .

قال : فحلف رجالٌ أدركناهم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم : ما علمنا أن هاتين الآيتين نزلتا حتى قرأهما أبو بكر يومئذ ؛ إذ جاء رجل يسعياً فقال : هاتيك الأنصار قد اجتمعت في ظلة بني ساعدة ، يبايعون رجلاً منهم ، يقولون : منّا أميرٌ ومن قريش أمير . قال : فانطلق أبو بكر وعمر يتقاودان حتى أتياهم ؛ فأراد عمر أن يتكاثم ، فنهاه أبو بكر ، فقال : لا أعصى خليفة النبي صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين .

قال : فتكاثم أبو بكر ، فلم يترك شيئاً نزل في الأنصار ، ولا ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم من شأنهم إلا وذكره . وقال : لقد علمتم أن رسول الله قال : لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً سلكت وادى الأنصار ، ولقد علمت يا سعد أن رسول الله قال وأنت قاعدٌ : قريش ولاه هذا الأمر ، فبسر الناس تبع أبرهم ، وفاجرهم تبع لفاجرهم . قال : فقال سعد : صدقت ، فنحن الوزراء وأنتم الأمراء . قال : فقال عمر : أبسط يدك يا أبا بكر فلا يبايعك ؛ فقال أبو بكر : بل أنت يا عمر ، فأنت أقوى لها مني . قال : وكان عمر أشدّ الرجلين . قال : وكان كل واحد منهما يريد صاحبه يفتح يده يضرب عليها ، ففتح عمر يد أبي بكر وقال : إن لك قوتى مع قوتك . قال : فبايع الناس واستثبتوا للبيعة ، وتخلّف على الزبير ، واختلط الزبير سيفه ، وقال : لا أغمد ١٨٢٠/١ حتى يبايع علي ، فبلغ ذلك أبا بكر وعمر ، فقال عمر : خذوا سيف الزبير ، فاضربوا به الحجرة . قال : فانطلق إليهم عمر ، فجاء بهما تعباً ، وقال : لتبايعا وأنما طئعان . أو لتبايعا وأنما كارهان ! فبايعا .

حديث السقيفة

حدثني علي بن مسلم ، قال : حدثنا عبيد بن عماد ، قال : حدثنا عباد بن راشد . قال : حدثنا عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف القرآن ، قال :

فحجَّ عمر وحجبتنا معه ، قال : فإني لَفَرِي منزلٍ بِمَنَى إذ جاءني عبدُ الرحمن ابن عوف ، فقال : شهدتُ أمير المؤمنين اليوم ، وقام إليه رجلٌ فقال : إني سمعتُ فلاناً يقول : لو قد مات أمير المؤمنين لقد بايعتُ فلاناً^(١) . قال : فقال أمير المؤمنين : إني لقائمُ العشيَّةِ في الناس فحَدِّثْهُمْ هؤلاء الرَّهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس أمرهم . قال : قلتُ : يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ الموسمَ يجمع رِيعَ الناس وغوغاءَهم ؛ وإنَّهم الذين يغلبون على مجلسك ، وإني لخائف إن قلت اليوم مقالةً ألاَّ يَعُوهَا ولا يَحْفَظُوهَا ، ولا يضعوها على مواضعها ، وأن يطيروا بها كلَّ مطيرٍ ؛ ولكن أمهل حتى تقدِّم المدينة ، نقدم دار الهجرة والسَّنة ، وتخلِّص بأصحابِ رسولِ الله من المهاجرين والأنصار ، فتقول ما قلت متمكِّناً فيعُوهَا مقالنك ، ويضعوها على مواضعها . فقال : والله لأقومنَّ بها في أوَّل مقام أقومُهُ بالمدينة .

١٨٢١/١

قال : فلمَّا قدِمْنَا المدينة ، وجاء يوم الجمعة هَجَرَتْ للحديث الذي حدثنيه عبد الرحمن ؛ فوجدت سعيد بن زيد قد سبقني بالتهجير ، فجلست إلى جنبه عند المنبر ، ركبتي إلى ركبته ؛ فلمَّا زالت الشمس لم يلبث عمر أن خرج ، فقلت لسعيد وهو مقبل : ليقولنَّ أمير المؤمنين اليوم على هذا المنبر مقالةً لم تُقَلْ قبله . فغضب وقال : فأى مقالة يقول لم تُقَلْ قبله ! فلمَّا جلس عمر على المنبر أذَّن المؤذنون ، فلمَّا قضى المؤذن أذانه قام عمر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أمَّا بعد ، فإنِّي أريد أن أقول مقالة قد قدَّ رَأَن أقولها ، مِنَّ وعَاقِلها وحَفَظها ، فليحدِّث بها حيث تنتهي به راحلته ، ومَن لم يعيها فإني لا أحلَّ لأحد أن يكذِّب عليَّ . إن الله عزَّ وجلَّ بعثَ محمداً بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ؛ وكان فيما أنزل عليه آية الرَّجْم ، فرجم رسولُ الله ورجمنا بعده ، وإني قد خشيتُ أن يطولَ بالناس زمان ، فيقول قائل : والله ما نجد الرَّجْم في كتاب الله ، فيصُلُّوا بترك فريضة أنزلها الله ، وقد كنا نقول : لا ترغَّبوا عن آباءكم ؛ فإنه كفرٌ

(١) بعدها في ابن هشام : « والله ما كانت بيعة أبي بكر إلا فلتة ، فمت ، قال : فغضب عمر فقال : إني لم إن شاء الله لقائم العشيَّة . . . »

بكم أن ترغبوا عن آبائكم . ثم إنه بلغني أن قاتلاً منكم يقول :
 لو قد مات أمير المؤمنين بايعت فلاناً ! فلا يَغُرَّنَ امرأ أن يقول : ١٨٢٢/١
 إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة ؛ فقد كانت كذلك ؛ غير أن الله وثق
 شرها ؛ وليس منكم من تَقَطَّعُ إليه الأعناق مثل أبي بكر ^(١) ! وإنه كان من خببرنا
 حين توفي الله نبيّه صلى الله عليه وسلم أن عليّاً والزبير ومن معهما تخلّفوا عنا
 في بيت فاطمة ، ونخلت عن الأنصار بأسرها ، واجتمع المهاجرون إلى
 أبي بكر ، فقلت لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا
 نفوسهم ؛ فلقينا رجلاً صالحاً قد شهدا بدرًا ، فقالا : أين تريدون يا معشر
 المهاجرين ؟ فقلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار . قالوا : فارجعوا فاقضوا
 أمركم بينكم . فقلنا : والله لتأينتهم ، قال : فأتيناهم وهم مجتمعون في سقيفة
 بني ساعدة . قال : وإذا بين أظهرهم رجلٌ مزملٌ ^(٢) ، قال : قلتُ : من
 هذا ؟ قالوا : سعد بن عباد ، فقلت : ما شأنه ؟ قالوا : وجيعٌ ، فقام
 رجلٌ منهم ، فحمد الله ، وقال : أما بعد ، فنحن الأنصار وكنية الإسلام ،
 وأنتم يا معشر قريش رهطُ نبيّنا ؛ وقد دفت إلينا من قومكم دافةٌ ^(٣)
 قال : فلما رأيتهم يريدون أن يختزلونا من أصلنا ، ويفصّبونا الأمر . وقد كنت
 زورت ^(٤) في نفسي مقالةً أقدمها بين يدي أبي بكر ، وقد كنت أداري
 منه بعض الحد ^(٥) ، وكان هو أقرّ منّي وأحلم ؛ فلمّا أردت أن أتكلّم ، قال : ١٨٢٣/١
 على رِسْلِكَ ! فكرهت أن أعصيه ؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه ، فما ترك شيئاً
 كنتُ زورت في نفسي أن أتكلّم به لو تكلمت ؛ إلا قد جاء به أو بأحسن منه .
 وقال : أما بعدُ يا معشر الأنصار ؛ فإنكم لا تذكرون منكم فضلاً إلا وأنتم
 له أهلٌ ؛ وإن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ؛ وهم

(١) بعدها في ابن هشام : « فن بايع رجلاً عن غير مشورة المسلمين فإنه لا بيعة له هو ولا الذي
 بايعه فقرة أن يقتلا » .

(٢) مزمل : ملتف في كساء أو غيره .

(٣) الدافة : القوم يسرون جماعة سراً ليس بالشديد .

(٤) زورت مقالة : هيأتها وأعدتها .

(٥) الحد ؛ أى الحدة .

أوسط [العرب] ^(١) داراً ونسباً ، ولكن قد رضى لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيتهما شئتم . فأخذ بيدي وبيد أبي عبيدة بن الجراح . وإني والله ما كرهت من كلامه شيئاً غير هذه الكلمة ؛ إن كنت لأقدّم فتضرب عني فيما لا يقرّني إلى إثم أحبّ إلى من أن أؤمّر على قوم فيهم أبو بكر . فلمّا قضى أبو بكر كلامه ، قام منهم ^(٢) رجل ، فقال : أنّا جدّ يلها ^(٣) المحكّك ، وعُدّ يقها ^(٤) المرجّب ؛ منّا أمير ومنكم أمير ؛ يا معشر قریش .

قال : فارتفعت الأصوات ، وكثر اللّغَط ^(٥) ، فلمّا أشفقت الاختلاف ، قلت لأبي بكر : ابسطْ يدك أبايعك . فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ، وبايعه الأنصار . ثمّ نزونا ^(٦) على سعد . حتى قال قائلهم : قتلتم سعد بن عباداً ! فقلت : قتل الله سعداً ! وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر ؛ خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدّثوا بعدنا بيعة ، فلما أن نتابعهم على ما نرضى ، أو نخالفهم فيكون فساد ^(٧) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، قال : إن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة ، عويم بن ساعدة والآخر معن بن عدى ؛ أخو بني العجلان ، فأما عويم بن ساعدة فهو الذي بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) من ابن هشام ، وأوسط العرب : أشرفهم . وداراً ؛ أى بلداً ؛ يريد مكة .

(٢) ابن هشام : « من الأنصار » .

(٣) الخذل : تصغير جذل ، وهو عود يكون في وسط مبرك الإبل تحتك به وتسريح إليه ، فيضرب به المثل في الرجل يشتت برأيه .

(٤) المذيق : تصغير عذق ؛ وهو النخلة نفسها . والمرجّب : الذي تبنى إلى جانبه دعامة ترفده لكثرة حملة ولعزه على أهله ؛ فضرب به المثل في الرجل الشريف الذي يعظمه قومه .

(٥) اللفظ : اختلاط الأصوات .

(٦) نزونا على سعد : وثبنا عليه ووطئناه .

(٧) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٢ ، ٣٧٣ برواية ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، عن عبد الرحمن بن عوف .

عليه وسلم : مَنْ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ مُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴾ ^(١) ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة ! وأما معن فبلغنا أَنَّ النَّاسَ بَكَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ تَوَفَّاهُ اللَّهُ ، وقالوا : والله لوددنا أَنَا مَتْنًا قَبْلَهُ ؛ إِنَّا نَخْشَى أَنْ نَفْتِنَ بَعْدَهُ . فقال معن بن عدى : والله ما أَحَبُّ أُنَى مَتِّ قَبْلَهُ حَتَّى أَصْدَقَهُ مِيتًا كَمَا صَدَقْتَهُ حَيًّا . فقتل معن يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر يوم مُسَيِّلَةِ الْكَذَّابِ ^(٢) .

حدثنا عبيد الله بن سعيد الزهرى ، قال : أخبرنا عمى يعقوب بن إبراهيم قال : أخبرني سيف بن عمر ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي ظبية البجلي ، قال : حدثنا الوليد بن جُمَيْعِ الزُّهْرِي ، قال : قال عمرو بن حريث لسعيد ابن زيد : أشهدت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، قال : فتى ببيع أبو بكر ؟ قال : يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهوا أَنْ يَبْقَوْا بَعْضُ يَوْمٍ وَلَيْسُوا فِي جَمَاعَةٍ . قال : فخالف عليه أحدٌ ؟ قال : لا إِلَّا مَرْتَدٌّ أَوْ مَنْ قَدْ كَادَ أَنْ يَرْتَدَّ ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْقُذُهُمُ مِنَ الْاِنْصَارِ . قال : فهل قعد أحد من المهاجرين ؟ قال : لا ، تنابح المهاجرون ١٨٢٥/١ على بيعته ، من غير أَنْ يَدْعَوْهُمْ .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرني عمى ، قال : أخبرني سيف ، عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : كان على في بيته إِذْ أَتَى فَقِيلَ لَهُ : قد جلس أبو بكر للبيعة ، فخرج في قميص ما عليه إزار ولا رداء ، عجلاً ، كراهية أَنْ يُبْطِئَ عَنْهَا ، حتى بايعه . ثم جلس إليه وبعث إلى ثوبه فأناه فتنجله ، ولزم مجلسه .

حدثنا أبو صالح الضَّرَّارِي ، قال : حدثنا عبد الرزاق بن همام ، عن معمر ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، أَنَّ فَاطِمَةَ وَالْعَبَّاسَ أَتَيَا

(١) سورة التوبة ١٠٨ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ .

أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فداك ، وسهمته من خير ، فقال لهما أبو بكر : أما إنني سمعتُ رسولَ الله يقول : لا نورثُ ، ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال . وإنني والله لا أدعُ أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلاّ صنعته . قال : فهجرتُه فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت ، فدفنها على أيلاء ، ولم يؤذن بها أبا بكر . وكان لعلّ وجهه من الناس حياة فاطمة ، فلما توفيت فاطمة انصرفت وجوه الناس عن عليّ ؛ فكثرت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفيت .

قال معمر : فقال رجلٌ للزهرى : أفلم يبایعه عليّ ستة أشهر ! قال : لا ؛ ولا أحدٌ من بني هاشم ؛ حتى يبایعه عليّ . فلما رأى عليّ انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر : أن ائتنا ولا يأتينا معك أحدٌ ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، قال أبو بكر : والله لا أتيتهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ! قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على عليّ ، وقد جمّع بني هاشم عنده ، فقام عليّ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمّا بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكارٌ لفضيلتك ، ولا نفاسةٌ عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكنّا كنّا نرى أن لنا في هذا الأمر حقّاً ، فاستبددتم به علينا . ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقّهم . فلم يزل عليّ يقول ذلك حتى بكى أبو بكر .

فلما صمت عليّ تشهد أبو بكر . فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ؛ فوالله لقرابة رسول الله أحبُّ إلىّ أن أصل من قرابتي ؛ وإنني والله ما ألوتُ في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم غير الخير ؛ ولكنني سمعت رسول الله يقول : لا نورث ؛ ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال ؛ وإنني أعوذ بالله لا أذكر أمراً صنعه محمد رسول الله إلاّ صنعته فيه إن شاء الله .

ثم قال عليّ : موعداك العشيّة للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل

على الناس ، ثم عذر علياً ببعض ما اعتذر ، ثم قام على^١ فعظم من حقّ أبي بكر ، وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه . قالت : فأقبل الناس إلى علي^٢ فقالوا : أصبت وأحسن ، قالت : فكان الناس قريباً إلى علي^٣ حين قارب الحق والمعروف .

١٨٢٧/١

حدثني محمد بن عثمان بن صفوان الثقفي^٤ ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، قال : حدثنا مالك — يعني ابن مَرْغُول — عن ابن الحرّ ، قال : قال أبو سفيان لعلي^٥ : ما بال هذا الأمر في أقلّ حيّ من قريش ! والله لننْ شت لأملأنتها عليه خيلاً ورجالاً ! قال : فقال علي^٦ : يا أبا سفيان ، طالما عادت الإسلام وأهلته فلم تضره بذاك شيئاً ! إنا وجدنا أبا بكر لها أهلاً .

حدثني محمد بن عثمان الثقفي^٧ ، قال : حدثنا أمية بن خالد ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت ، قال : لما استخلف أبو بكر قال أبو سفيان : ما لنا ولأبي فصيل ! إنما هي بنو عبد مناف ! قال : فليل له : إنه قد ولّى ابنك ، قال : وصلّته رَحِم !

حدثت عن هشام ، قال : حدثني عَوَانَة ، قال : لما اجتمع الناس على بيعة أبي بكر ، أقبل أبو سفيان ؛ وهو يقول : والله إني لأرى عجاجة لا يظفئها إلا دم ! يا آل عبد مناف فيم أبو بكر من أموركم ! أين المستضعفان ! أين الأذلان علي^٨ والعباس ! وقال : أبا حسن ! أبسط يدك حتى أبايعك . فأبى علي^٩ عليه ، فجعل يتمثل بشعر المتلمّس :

وَلَنْ يُقِيمَ عَلَى خَسَفٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَدِّ
هَذَا عَلَى الْخَسَفِ مَعْكُوسٌ بِرُمْتِهِ^(١) وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

قال : فزجره علي^{١٠} ، وقال : إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة : وإنك والله طالما بغيت الإسلام شراً ! لا حاجة لنا في نصيحتك .

١٨٢٨/١

(١) الرمة : الحبلى ، والعكس : شد عتق الدابة إلى إحدى يديها .

قال هشام بن محمد : وأخبرني أبو محمد القرشي ، قال : لما بويغ أبو بكر ، قال أبو سفيان لعلّي والعباس : أنتم الأذلّان ! ثم أنشد يتمثّل :

إِنَّ الْهَوَانَ حِمَارُ الْأَهْلِ يَعْرِفُهُ وَالْحُرُّ يَنْكُرُهُ وَالرَّسَلَةُ الْأَجْدُ
وَلَا يَقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُرَادُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عِزُّ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْحَسَنِ مَعَكُوسٌ بِرُمَّتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَبْكِي لَهُ أَحَدٌ

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : لما بويغ أبو بكر في السقيفة ؛ وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلّم قبل أبي بكر ؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ؛ إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلا عن رأيي ؛ وما وجدتُها في كتاب الله ؛ ولا كانت عهداً عهده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ولكني قد كنت أرى أن رسول الله سيدبر أمرنا ؛ حتى يكون آخرنا ؛ وإن الله قد أبقي فيكم كتابه الذي هدى به رسول الله ؛ فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ؛ وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ؛ صاحب رسول الله ، وثاني اثنين إذا هما في الغار ؛ فقوموا فبايعوا . فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة بعد بيعة السقيفة . ١٨٢٩/١

ثم تكلّم أبو بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ؛ إني قد وليت عليكم ولست بخيركم ؛ فإن أحسنت فأعينوني ؛ وإن أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى أريح عليه حقّه إن شاء الله ، والقويُّ منكم الضعيف عندي حتى آخذ الحقّ منه إن شاء الله . لا يدع أحدٌ منكم الجهاد في سبيل الله ؛ فإنه لا بدّعه قوم إلاّ ضربهم الله بالذلّ ، ولا تشيع الفاحشة في قومٍ إلاّ عمّهم الله بالبلاء . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ؛ فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا إلى صلاتكم رحمكم الله ! (١)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إني لأمشي مع عمر في خلافته ؛ وهو عامد إلى حاجة له ، وفي يده الدرة ، وما معه غيري . قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشي^(١) قدمه بديرته ، قال إذ التفت إلى فقال : يا ابن عباس ، هل تدري ما حملني على مقاتلي هذه التي قلت حين توفي الله رسوله ؟ قال : قلت : لا أدري يا أمير المؤمنين ؛ أنت أعلم ، قال : والله إن حملي على ذلك إلا أني كنت أقرأ هذه الآية : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾^(٢) ؛ فوالله إني كنت لأظن أن رسول الله سيقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ؛ فإنه لا تذى حملني على أن قلت ما قلت^(٣) .

* * *

[ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه]

قال أبو جعفر : فلما بويع أبو بكر أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان ذلك من فعلهم يوم الثلاثاء ؛ وذلك انغد من وفاته صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : إنما دفن بعد وفاته بثلاثة أيام ، وقد مضى ذكر بعض قائل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر وكثير بن عبد الله وغيرهما من أصحابه ، عن محمد بن عبد الله بن عباس ، أن علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل ابن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الذين ولوا غسله ، وإن أوس بن خويلد أخذ بني عوف ابن الخزرج ؛ قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله يا علي ؛ وحفظنا من رسول

(١) الوحشي من أعضاء الإنسان : ما كان إلى خارج . (٢) سورة البقرة ١٤٣ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ .

الله ! وكان أوُس من أصحاب بدر^(١) ؛ وقال : ادخل ؛ فدخل فحضر غُسْلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأُسندَه على بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثم هم الذين يَقلِّبونه معه ؛ وكان أسامة بن زيد وشُقْران مولياه هُمَا اللذان يصبان الماء ، وعلى يغسله قد أسندَه إلى صدره ، وعليه قميصه يَدُلُّكُه مِن ورائه ، لا يَفْضِي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى يقول : بأبي أنت وأُمِّي ! ما أطيبك حيًّا ومَيِّتًا ! ولم يُرَ من رسول الله شيءٌ مما يُرَى من الميت^(٢) .

١٨٣١/١

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى ابن عبيد ، عن أبيه عبيد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا أن يَغْسِلُوا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه ، فقالوا : والله ما ندرى أنْجَرْدَ رسول الله من ثيابه كما نَجَرْدَ موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ! فلما اختلفوا ألقى عليهم السَّنة حتى ما منهم رجل إلا ودَقْنُهُ في صدره ، ثم كلَّمهم متكلم من ناحية البيت لا يَدْرِي مَنْ هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ؛ قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغسلوه وعليه قميصه يصبون عليه الماء فوق القميص ، ويدلُّكونه والقميص دون أيديهم^(٣) .

قال : فكانت عائشة تقول : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما غسَلَه إلا نِساءه .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلَمة ، عن ابن إسحاق ، عن جعفر ابن محمد بن علي بن حسين ، عن أبيه ، عن جدّه علي بن حسين . قال ابن إسحاق : وحدَّثني الزَّهْرِيُّ ، عن علي بن حسين ، قال : فلما فُرِغَ من غُسْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفِّنَ في ثلاثة أثواب : ثوبين صُحَارِيِّين^(٤) وبُرْدَ حَبَرَةٍ ؛ أدرج فيها لإدراجا^(٥) .

(١) في ابن هشام : « وكان أوُس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر »

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(٣) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .

(٤) ثوب صحاري : منسوب إلى صحار ؛ وهي مدينة باليمن .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن حسين بن عبد الله ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو عبيدة بن الجراح يَضْرَحُ^(١) كحفر أهل مكة - وكان أبو طلحة زيد ابن سهل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، وكان يَلْحَدُ - فدعا العباسُ رجلين . فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة ، وللآخر : اذهب إلى أبي طلحة ؛ اللهم خيرْ لرسولك ؛ قال : فوجد صاحبُ أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما فرغ من جهاز رسول الله يوم الثلاثاء وُضع على سريره في بيته ؛ وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه ؛ فقال قائل : ندفنه في مسجده ، وقال قائل : يدفن مع أصحابه ؛ فقال أبو بكر : إننى سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما قبض نبيٌّ إلا يدفن حيث قبض » ؛ فرفع فراش رسول الله الذى توفى عليه ؛ فحفر له تحته ؛ ودخل الناس على رسول الله يصالون عليه أرسالا^(٢) ؛ حتى إذا فرغ الرجال أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ؛ ثم أدخل العبيد ؛ ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ . ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد . قال : حدثنا سلمة . عن محمد بن إسحاق . عن فاطمة بنت محمد بن عُمارة ، امرأة عبد الله - يعنى ابن أبى بكر - عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة . عن عائشة أم المؤمنين . قالت : ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوتَ المساحي من جوف الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وكان الذى نزل قبرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قال أوس بن خولى : أنشدك الله يا على وحظنا

(١) يضرح : يشق الأرض للقبر . (٢) أرسالا : جماعة بعد جماعة .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

من رسول الله ! فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ؛ وقد كان شُقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وُضِع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته ، وبنى عليه ؛ قد أخذ قطيفة كان رسول الله يلبسها ويفترشها ؛ ففقدوها في القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحدٌ بعدك أبداً . قال : فدُفِنَت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان المغيرة بن شعبه يدعى أنه أحدثُ الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : أخذت خاتمي فألقيته في القبر ، وقلت : إن خاتمي قد سقط ، وإنما طرحته عهداً لأمس رسول الله ، فأكون آخرَ الناس به عهداً^(١) .

حدثني ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَمِ أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمدتُ مع عليّ بن أبي طالب في زمانِ عمر - أو زمانِ عثمان - فنزل على أخته أمّ هانئ بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع وسكبتُ له غسلاً فاغتسل ؛ فلما فرغ من غُسله دخل عليه نفرٌ من أهل العراق ؛ فقالوا ، يا أبا الحسن ؛ جئنا نسألك عن أمر نحب أن نخبرنا به ! فقال : أظنّ المغيرة يعدّكم أنه كان أحدثَ الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم ! قالوا : أجل ، عن ذا جئنا نسألك ! قال : كذب ؛ كان أحدثُ الناس عهداً برسول الله قُتَيْمَ بن العباس^(٢) .

١٨٣٤/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن صالح ابنِ كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن عائشة ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة^(٣) سوداء حين اشدّ به وجعه ، قالت : فهو يَضْمَعُهَا مرّةً على وجهه ، ومرّةً يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قومًا اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ ! يحذر ذلك على أمته^(٤) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن صالح

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٦ .

(٣) خميصة سوداء : ثوب خبز أو صوف مغم . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٧٧ .

ابن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يُتْرَكْ بجزيرة العرب دينان ^(١) .

قالت : وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول ، في اليوم الذي قدم فيه المدينة مهاجراً فاستكمل في هجرته عشر سنين كوامل .

• • •

واختلف في مبلغ سنّته يوم توفى صلى الله عليه وسلم ، فقال بعضهم : كان له يومئذ ثلاث وستون سنة .
• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حمّاد — يعني ابن سلمة — عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه ، وبالمدينة عشراً ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة .

١٨٣٥/١

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حمّاد ، عن أبي جمرة ، عن أبيه ، قال : عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً وستين سنة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وأقام بمكة عشراً ، وبالمدينة عشراً ، وتوفى وهو ابن ثلاث وستين .

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جمرة الضُبَيْي ، عن ابن عباس ، قال :

بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ يَوْحَىٰ إِلَيْهِ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ وَهَبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِي عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : تَوَفَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ .

• • •

وَقَالَ آخَرُونَ : كَانَ لَهُ يَوْمُئِذٍ خَمْسٌ وَسِتُونَ .
• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي زِيَادُ بْنُ أَبِي ثَوْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ يُونُسَ بْنِ مِهْرَانَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : قَبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ ، عَنْ دُغْفَلٍ — يَعْنِي ابْنَ حَنْظَلَةَ — أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَفَّى وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .

• • •

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلَكَانَ لَهُ يَوْمُئِذٍ سِتُونَ سَنَةً .
• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

١٨٣٦/١

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا حُجَّاجٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا حَمَّادٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، قَالَ : بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ سِتِّينَ .

حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا شَيْبَانُ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَائِشَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرًا .

• • •

ذكر الخبر عن اليوم والشهر

اللَّذَيْنِ توفى فيهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال أبو جعفر : حدثنا عبد الرحمن بن الوليد الجرجاني ، قال :
حدثنا أحمد بن أبي طيبة ؛ قال : حدثنا عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن
عمر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع ،
فأراهم مناسكتهم ، فلما كان العام المقبل حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حجة الوداع سنة عشر ؛ وصدر إلى المدينة ، وقبض في ربيع الأول .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا موسى بن داود ، عن
ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حسن الصنعاني ، عن ابن عباس ،
قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنّب يوم الاثنين ،
ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ،
وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن شريك ،
قال : حدثني أبي ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ، عن أبيه ، قال : توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم في
شهر ربيع الأول في اثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين
ودفن ليلة الأربعاء .

حدثني أحمد بن عثمان ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا
أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أنه دخل
عليه فقال لامرأته فاطمة : حدثني محمد ما سمعت من عمرة بنت عبد الرحمن .
فقلت : سمعت عمرة تقول : سمعت عائشة تقول : دفن نبي الله صلى الله عليه
وسلم ليلة الأربعاء ؛ وما علمنا به حتى سمعنا صوت المساحي .

ذكر الخبر عما جرى

بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة في سقيفه بني ساعدة

حدثنا هشام بن محمد ، عن أبي مِحْنَف ، قال : حدثني عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قُبِضَ اجتمعت الأنصار في سقيفه بني ساعدة ، فقالوا : نؤتي هذا الأمر بعد محمد عليه السلام سعد بن عباد ، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض ، فلما اجتمعوا قال لابنه أو بعض بني عمته : إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي ؛ ولكن تلتق مني قولي فأسمعهموه ؛ فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله ، فيرفع صوته فيسمع أصحابه ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا معشر الأنصار ؛ لكم سابقة في الدين وفضيلة في الإسلام ليست لقبيلة من العرب ؛ إن محمداً عليه السلام لسيث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان ؛ فما آمن به من قومه إلا رجال قليل ؛ وكان ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ؛ ولا أن يعزوا دينه ، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم حينئذ محمداً ؛ حتى إذا أراد بكم الفضيلة ، ساق إليكم الكرامة وخصكم بالنعمة ، فزفكم الله الإيمان به وبرسوله ، والمنع له ولأصحابه ، والإعزاز له ولدينه ، والجهاد لأعدائه ، فكنتم أشد الناس على عدوه منكم ، وأثقله على عدوه من غيركم ؛ حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً ؛ وأعطى البعيد المنقادة صاعراً داخراً ، حتى أثنى الله عز وجل نرسوله بكم الأرض ، ودانت بأسيافكم له العرب ؛ وتوفاه الله وهو عنكم راض ؛ وبكم قريبر عين استبدوا هذا الأمر فإنه لكم دون الناس .

فأجابوه بأجمعهم : أن قد وفقت في الرأي وأصبت في القول ؛ وإن نعدو ما رأيت ، ونؤتيك هذا الأمر ؛ فإنك فينا متسع وأصالح المؤمنين رضا . ثم إنهم ترادوا الكلام بينهم ، فقالوا : فإن أبست مهاجرة قريش ، فقالوا : نحن المهاجرون وصحابة رسول الله الأولون ، ونحن عشيرته وأولياؤه ، فعلام تنازعونا هذا الأمر بعده ؟ فقالت طائفة منهم : فإننا نقول إذا : منّا أمير

ومنكم أميرٌ ؛ ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً . فقال سعد بن عبادَةَ حين ١٨٣٩/١
سمعها : هذا أولُ الوهنِ !

وأتى عمرَ الخبِرُ ، فأقبل إلى منزلِ النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل
إلى أبي بكر وأبو بكر في الدار وعلى بن أبي طالب عليه السلام دائب في
جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأرسل إلى أبي بكر أن اخرج إلى ،
فأرسل إليه : إني مشغول ؛ فأرسل إليه أنه قد حدث أمرٌ لا بد لك من
حضوره ، فخرج إليه ، فقال : أما علمت أن الأنصار قد اجتمعت في
سقيفة بني ساعدة ، يريدون أن يولّوا هذا الأمر سعد بن عبادَةَ ؛ وأحسنهم
مقالةً من يقول : منّا أميرٌ ومن قريش أمير ! فضيا مسرعين نحوهم ؛
فلقي أبا عبيدة بن الجراح ؛ فتماشوا إليهم ثلاثتهم ، فلقيتهم عاصم بن
عدى وعويم بن ساعدة ، فقال لهم : ارجعوا فإنه لا يكون ما تريدون ، فقالوا :
لا نفعل ، فجاءوا وهم مجتمعون . فقال عمر بن الخطاب : أتيناهم - وقد كنتُ
زورتُ كلاماً^(١) أردت أن أقوم به فيهم - فلما أن دفعتُ إليهم ذهبْتُ
لأبتدئ المنطق ، فقال لي أبو بكر : رويداً حتى أتكلّم ثم انطق بعد بما
أحببت . فنطق ، فقال عمر : فما شيء كنتُ أردت أن أقوله إلا وقد أتى به
أوزاد عليه .

فقال عبد الله بن عبد الرحمن^(٢) : فبدأ أبو بكر - فحمد الله وأثنى عليه ؛
ثم قال : إن الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه : وشهيداً على أمته ، ليعبدوا الله
ويوحّدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتى ؛ ويزعمون أنها لهم عنده شافعة ، ولم
نافعة ؛ وإنما هي من حَجَرٍ منحوت ، وخشبٍ منجور ، ثم قرأ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا
عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٣) ، وقالوا : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾^(٤) ؛
فعظّم على العرب أن يتركوا دين آبائهم ، فخصّ الله المهاجرين الأولين من

(١) زورت كلاماً : هيأته ، وفي ز : « رويت » . (٢) هو راوى الخبر .

(٣) سورة يونس ١٨ . (٤) سورة الزمر ٣ .

قومه بتصديقه ، والإيمان به ، والمؤاسة له . والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم ؛ وتكذيبهم إياهم ؛ وكلُّ الناس لهم مخالف ؛ زار عليهم ، فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنفِ الناس لهم ؛ وإجماع قومهم عليهم ؛ فهم أول مَنْ عَبدَ الله في الأرض وآمن بالله وبالرسول ؛ وهم أولياؤه وعشيرته ، وأحقُّ الناس بهذا الأمر من بعده ؛ ولا ينازعهم ذلك إلا ظالم ، وأنتم يا معشر الأنصار ، مَنْ لا يَنْكِرُ فضلهم في الدين ، ولا سابقتهُم العظيمة في الإسلام ، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله ، وجعل إليكم هجرته ، وفيكم جيلةُ أزواجه وأصحابه ؛ فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا [أحدٌ] ^(١) بمنزلتكم ؛ فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تُفْتَتون بمشورة . ولا تقضى دونكم الأمور .

قال : فقام الحَبَابُ بن المنذر بن الجموح ، فقال : يا معشر الأنصار ، امْلِكُوا عليكم أمركم ؛ فإنَّ الناس في فيئكم وفي ظِلِّكم ، ولن يَجْرِي مجرى على خلافكم ؛ ولن يُصِدر الناس إلاَّ عن رأيكم . أنتم أهل العزِّ والثروة ، وأولو العَدَدِ والمَنَّةِ والتجربة ، ذوو البأس والنجدة ؛ وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون ؛ ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم ؛ ويتنقض عليكم أمركم ؛ [فإن] أبي هؤلاء إلاَّ ما سمعتم ؛ فتأَ أمير ومنهم أمير .

١٨٤١/١

فقال عمر : هيئات لا يجتمع اثنان في قَرْنٍ ! والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم ؛ ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها مَنْ كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم ؛ ولنا بذلك على مَنْ أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين ؛ مَنْ ذا ينازعنا سلطانَ محمد وإمارته ، ونحن أولياؤه وعشيرته إلاَّ مُدْلٍ بباطل ، أو مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ . و متورط في هلكة !

فقام الحَبَابُ بن المنذر فقال : يا معشر الأنصار ، امْلِكُوا على أيديكم ، ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر ؛ فإن أبوا عليكم ما سألتهموه ، فاجلُّوهم عن هذه البلاد ، وتولَّوْا عليهم هذه الأمور ؛ فأنتم أحقُّ بهذا الأمر منهم ؛ فإنه بأسيا فكم دانَ لهذا الذين مَنْ دانَ مَنْ لم يكن يدين . أنا جُذِّلْتُهَا

المُحَكِّكُ ، وَعَدَّيْقُهَا الْمَرْجَبُ ! أَمَّا وَاللَّهِ أَتَنُ شَتْمَ لِنَعِيدَتِهَا
جَذْعَةً^(١) ؛ فَقَالَ عَمْرٌ : إِذَا يَقْتُلُكَ اللَّهُ ! قَالَ : بَلْ إِيَّاكَ يَقْتُلُ !

فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛ إِنَّكُمْ أَوَّلَ مَنْ نَصَرَ وَأَزَرَ ؛
فَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ مَنْ يَدُلُّ وَغَيْرَ .

فَقَامَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ أَبُو النُّعْمَانِ بْنُ بَشِيرٍ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ؛
إِنَّا وَاللَّهِ لَنُكِنَّا أَوْلَى فَضِيلَةً فِي جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ ، وَسَابِقَةً فِي هَذَا الدِّينِ ؛
مَا أَرَدْنَا بِهِ إِلَّا رِضَا رَبِّنَا وَطَاعَةَ نَبِيِّنَا ؛ وَالْكَدْحَ لَأَنْفُسِنَا ؛ فَمَا يَنْبَغِي
لَنَا أَنْ نَسْتَطِيلَ عَلَى النَّاسِ بِذَلِكَ ، وَلَا نَبْتَغِي بِهِ مِنَ الدُّنْيَا عَرَضًا ؛
فَإِنَّ اللَّهَ وَلِيُّ الْمُنَّةِ عَلَيْنَا بِذَلِكَ ؛ أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ
قُرَيْشٍ ، وَقَوْمُهُ أَحَقُّ بِهِ وَأَوْلَى . وَإِيمَ اللَّهُ لَا يَرَانِي اللَّهُ أَنَا زَعَمَهُمْ هَذَا الْأَمْرَ أَبَدًا ،
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخَالِفُوهُمْ وَلَا تَنَازَعُوهُمْ !

فَقَالَ أَبُو بَكْرٌ : هَذَا عَمْرٌ ، وَهَذَا أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَأَيُّهُمَا شَتَمَ فَبَايَعُوا . فَقَالَا :
لَا وَاللَّهِ لَا نَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ؛ فَإِنَّكَ أَفْضَلُ الْمُهَاجِرِينَ وَثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا
فِي الْغَارِ ، وَخَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى الصَّلَاةِ ؛ وَالصَّلَاةُ أَفْضَلُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ ؛
فَمَنْ ذَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَتَقَدَّمَكَ أَوْ يَتَوَلَّى هَذَا الْأَمْرَ عَلَيْكَ ! ابْسُطْ يَدَكَ نَبَايَعُكَ .
فَلَمَّا ذَهَبَا لِبَايَعَاهُ ، سَبَقَهُمَا إِلَيْهِ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، فَبَايَعَهُ ، فَناداهُ الْحُبَابُ
ابْنَ الْمُنْذَرِ : يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ : عَقَّكَ^(٢) عَقَاقٍ ؛ مَا أَحْوَجَكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ،
أَنْتَ سَتَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ الْإِمَارَةَ ! فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ؛ وَلَكِنِّي كَرِهْتُ أَنْ أَنَا زَعَ
قَوْمًا حَقًّا جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُمْ .

وَلَمَّا رَأَتْ الْأَوْسُ مَا صَنَعَ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ ، وَمَا تَدَعَوْهُ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ ، وَمَا
تَطَلَّبُ الْخَزْرَجُ مِنْ تَأْمِيرِ سَعْدِ بْنِ عِبَادَةَ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ، وَفِيهِمْ أَسِيدُ
ابْنِ حُضَيْرٍ - وَكَانَ أَحَدَ النُّقَبَاءِ : وَاللَّهِ لَنُؤَيِّسَتْهَا الْخَزْرَجُ عَلَيْكُمْ مَرَّةً لَا زَالَتْ
لَهُمْ عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ الْفَضِيلَةِ ؛ وَلَا جَعَلُوا لَكُمْ مَعَهُمْ فِيهَا نَصِيبًا أَبَدًا ، فَقَوْمُوا فَبَايَعُوا

(١) جذعة : فتية . (٢) ط : « عقتك » ، والتصويب من اللسان .

أبا بكر . فقاموا إليه فبايعوه ، فانكسر على سعد بن عبادَةَ وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني أبو بكر بن محمد الخزاعي ، أن أسلمَ أقبلتَ يجماعتها حتى تضايقَ بهم السكك . فبايعوا أبا بكر ، فكان عمر يقول : ما هو إلا أن رأيتُ أسلمَ . فأيقنتُ بالنصر .

قال هشام ، عن أبي مخنف : قال عبدُ الله بن عبد الرحمن : فأقبل الناس من كلِّ جانب يبايعون أبا بكر ، وكادوا يطئون سعد بن عبادَةَ ، فقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعداً لا تطؤوه ، فقال عمر : اقتلوه قتله الله ! ثم قام على رأسه ، فقال : لقد هممتُ أن أطأك حتى تُشدَّ رَعَصُكَ ^(١) ، فأخذ سعد بليحية عمر ، فقال : والله لو حصصتَ منه شعره ما رجعت وفي فيك واضحة ^(٢) . فقال أبو بكر : مهلاً يا عمر ! الرقُّ ها هنا أبلغ . فأعرض عنه عمر . وقال سعد : أما والله لو أن بني قوَّة ما ، أقوى على النهوض ، لسمعتَ مني في أقطارها وسككها زئيراً يُجْحِرُك ^(٣) وأصحابك ، أما والله إذاً لألحقنك بقوم كنتَ فيهم تابعاً غير متبوع ! احملوني من هذا المكان ، فحملوه فأدخلوه في داره ، وترك أياً ما ثم بعث إليه أن أقبل فبايع فقد بايع الناس وبايع قومك . فقال : أما والله حتى أرميكم بما في كنانتي من نبلي ، وأخضبتُ سنان رمحي ، وأضربكم بسيفي ما ملكته يدي ، وأقاتلكم بأهل بيتي ومن أطاعني من قومي ، فلا أفعل ، وإيمُ الله لو أن الجن اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتُكم . حتى أعرض على ربي ، وأعلم ما حسبي .

١٨٨٤/١

فلما أتى أبو بكر بذلك قال له عمر : لاتدعه حتى يبايع . فقال له بشير بن سعد : إنه قد لج وأبى . وليس بمبايعكم حتى يُقتل . وليس بمقتول حتى يُقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته ، فاتركوه فليس تركه بضاركم . إنما هو رجل واحد . فتركوه وقبلوا مشورة بشير بن سعد واستنصحوه لما بدا لهم منه .

(١) تندر عضدك : تزال عن موضعها ، وفي ط : « عضوك » .

(٢) الواضحة : الأسنان التي تبدو عند الضحك .

(٣) يجحرك وأحباك ، أى يدخلكم المضايق .

فكان سعد لا يصلّي بصلاتهم ، ولا يجمع معهم ويحج ولا يفيض معهم بإفاضتهم ؛ فلم يزل كذلك حتى هلك أبو بكر رحمه الله .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف ابن عمر ، عن سهل وأبي عثمان ، عن الضحّاك بن خليفة ، قال : لما قام الحُبابُ ابن المُنذر انتضى سيفه ؛ وقال : أنا جُذَيْلُهَا المحكّك وعُذَيْقُهَا المرجّب ؛ أنا أبو شبل في عريسة الأسد ، يعزّي إلى الأسد . فحامله عمر فضرب يده ، فنذر السيف ، فأخذه ثم وثب على سعد ووثبوا على سعد ؛ وتتابع القوم على البيعة ؛ وباع سعد ؛ وكانت فلنةٌ كفّلتات الجاهليّة ؛ قام أبو بكر دونها . وقال قاتل حين أوطىء سعد : قتلتم سعداً ، فقال عمر : قتله الله ! إنه منافق ، واعترض عمر بالسيف صخرةً فقطعه .

حدثنا عبيد الله بن سعيد ، قال : حدثني عمي يعقوب ، قال : حدثنا سيف ، عن مبشر ، عن جابر ، قال : قال سعد بن عباد يومئذ لأبي بكر : إنكم يا معشر المهاجرين حسدتموني على الإمارة ؛ وإنك وقوي أجبرتموني على البيعة ، فقالوا : إنا لو أجبرناك على الفرقة فصرت إلى الجماعة كنت في سعة ؛ ولكننا أجبرنا على الجماعة ، فلا إقالة فيها ؛ لأن نزع يداً من طاعة ، أو فرقت جماعة ، لنضر بن الذي فيه عيناك .

• • •

[ذكر أمر أبي بكر في أول خلافته]

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمي ، قال : حدثنا سيف — وحدثني السري بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر — عن أبي ضمرة ، عن أبيه ، عن عاصم بن عدى ، قال : نادى منادى أبي بكر ، من بعد الغد من متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليتمّ بعث أسامة ؛ ألا لا يبقين بالمدينة أحدٌ من جُنْد أسامة إلاّ خرج إلى عسكره بالجُرف . وقام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه وقال :

يأيها الناس ، إنما أنا مثلكم ؛ وإنى لا أدرى لعكم ستكلفوننى ما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يطيق ؛ إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات ؛ وإنما أنا متبعٌ واست بمبتدع ؛ فإن استقممت فتابعونى ، وإن زغت فقومونى ؛ وإن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبض وليس أحدٌ من هذه الأمة يطلبه بمظلمة ضربة سوط فما دونها ؛ ألا وإن لى شيطاناً يعترينى ؛ فإذا أتانى

١٨٤٦/١

فاجتنبونى ؛ لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم ؛ وأنتم تغدون وتروحون فى أجلٍ قد غيبَ عنكم علمه ؛ فإن استطعتم ألاَّ يمضى هذا الأجل إلاَّ وأنتم فى عملٍ صالح فافعلوا ؛ ولن تستطيعوا ذلك إلاَّ بالله ، فسابقوا فى مهل آجالكم من قبل أن تسلمتكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ؛ فإن قوماً نسوا آجالهم ، وجعلوا أعمالهم لغيرهم ؛ فإيتاكم أن تكونوا أمثالهم . الجدد الجدد ! والوفا الوفا ! والنجاء النجاء ! فإن وراءكم طالباً حثيثاً ، أجلاً مَرَّةً سريعاً . احذروا الموت ، واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ، ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .

وقام أيضاً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلاَّ ما أريد به وجهه ؛ فأريدوا الله بأعمالكم ، واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها ، وخطأ ظفرت به ، وضرائب أدتيموها ، وسلَف قد متموه من أيام فانية لأخرى باقية ؛ لحين فقركم وحاجتكم . اعتبروا عباد الله بمن مات منكم ، وتفكروا فيمن كان قبلكم . أين كانوا أمس ، وأين هم اليوم ! أين الجبارون ! وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة فى مواطن الحروب ! قد تضعضع بهم الدهر ، وصاروا رميمات ؛ قد تركت عليهم القالات ؛ الخبيثات للخبيثين ، والخبيثون للخبيثات . وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؛ قد بعدوا ونسي ذكرهم ، وصاروا كلاً شياً . ألا إن الله قد أبى عليهم التبعات ، وقطع عنهم الشهوات ، ومضوا والأعمال أعمالهم ، والدنيا دنيا غيرهم ، وبقينا خلقاً بعدهم ؛ فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ؛ وإن اغتررنا كنا مثلهم ! أين الوُضاءُ الحسنة وجوههم ، المعجبون بشبابهم ! صاروا تراباً ، وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ! أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط ، وجعلوا فيها الأعاجيب ! قد تركوها

١٨٤٧/١

لَمَنْ خَلَقَهُمْ ؛ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةٌ ، وَهُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْقُبُورِ ، هَلْ نَحْسُ مِنْهُمْ مَنْ أَحَدٌ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ! أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ ؛ قَدْ انْتَهَتْ بِهِمْ آجَالُهُمْ ، فَوَرَدُوا عَلَى مَا فَعَلُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ . إِلَّا إِنْ اللَّهَ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يَعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا ، وَلَا يَصْرِفُ عَنْهُ بِهِ سُوءًا ، إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ . وَاعْلَمُوا أَنْكُمْ عِبِيدٌ مَدِينُونَ ، وَإِنْ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرِكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ ؛ أَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ ، وَلَا شَرَّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ — ١٨٤٨/١ — وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا سَيْفٌ — عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجُمِعَ الْأَنْصَارُ فِي الْأَمْرِ الَّذِي افْتَرَقُوا فِيهِ ، قَالَ : لَيْتُمُ بَعَثُ أَسَامَةَ ؛ وَقَدْ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ ؛ إِمَّا عَامَةً وَإِمَّا خَاصَّةً فِي كُلِّ قَبِيلَةٍ ؛ وَنَجَّيْتُ الْفَنَاقَ ، وَاشْرَأَيْتِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، وَالْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ فِي اللَّيْلَةِ الْمَطِيرَةِ الشَّاتِيَةِ ، لَفَقَدَ نَبِيَّهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَلَّتْ لَهُمْ ، وَكَثُرَ عَدُوُّهُمْ . فَقَالَ لَهُ النَّاسُ : إِنْ هَؤُلَاءِ جُلُّ الْمُسْلِمِينَ وَالْعَرَبِ — عَلَى مَا تَرَى — قَدْ انْتَقَضَتْ بِكَ ؛ فَلَيْسَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَفَرِّقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِهِ ، لَوْ ظَنَنْتُ أَنَّ السَّبَّاحَ تَخَطَّفَنِي لَأَنْفَذْتُ بَعَثَ أَسَامَةَ كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقُرَى غَيْرِي لَأَنْفَذْتَهُ !

حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ — وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَيْفٌ — عَنْ عَطِيَّةٍ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ عَنْ عَلِيٍّ ، وَعَنْ الضُّحَّاكِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَا : ثُمَّ اجْتَمَعَ مِنْ حَوْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْقَبَائِلِ الَّتِي غَابَتْ فِي عَامِ الْخُدَيْيَّةِ ، وَخَرَجُوا وَخَرَجَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فِي جُنْدِ أَسَامَةَ ؛ فَجَبَسَ أَبُو بَكْرٍ مَنْ بَقِيََ مِنْ تِلْكَ الْقَبَائِلِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ الْمَجْرَةُ فِي دِيَارِهِمْ ، فَصَارُوا مَسَالِحَ حَوْلَ قَبَائِلِهِمْ وَهُمْ قَلِيلٌ .

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ — وَحَدَّثَنِي السَّرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَيْفٌ — عَنْ أَبِي ضَمْرَةَ

وأبى عمرو وغيرهما؛ عن الحسن بن أبى الحسن البصرى ، قال : ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته بعثاً على أهل المدينة ومن حولهم ؛ وفيهم عمر ابن الخطاب ، وأمر عليهم أسامة بن زيد . فلم يجاوز آخرهم الخندق ، حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوقف أسامة بالناس ، ثم قال لعمر : ارجع إلى خليفة رسول الله فاستأذنه ؛ يأذن لى أن أرجع بالناس ؛ فإن معى وجوه الناس وحدهم ؛ ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله وأثقال المسلمين أن يخطفهم المشركون . وقالت الأنصار : فإن أبى إلا أن نخشى فأبلغه عنا ، واطلب إليه أن يولّى أمرنا رجلاً أقدم سنّاً من أسامة . فخرج عمر بأمر أسامة ، وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة ، فقال أبو بكر ، لو خبطتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ! قال : فإن الأنصار أمروني أن أبلغك ، وإنهم يطلبون إليك أن تولّى أمرهم رجلاً أقدم سنّاً من أسامة ؛ فوثب أبو بكر - وكان جالساً - فأخذ بلحية عمر ، فقال له : ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب ! استعملته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرنى أن أنزعه ! فخرج عمر إلى الناس فقالوا له : ما صنعت ؟ فقال : امضوا ، ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيكم من خليفة رسول الله !

ثم خرج أبو بكر حتى أتاهم ، فأشخصهم وشيعهم وهو ماش وأسامه ركب ، وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ، والله لتركبن أو لأنزلن ! فقال : والله لا تنزلن . والله لأأركب ! وما على أن أغبر قدمى في سبيل الله ساعة ، فإن للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة ! حتى إذا انتهى قال : إن رأيت أن تعينى بعمر فافعل ! فأذن له ، ثم قال : يا أيها الناس ، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عني : لا تسخروا ولا تغلبوا ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ، ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا^(١) نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة

مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ؛ وسوف تمرُّون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع ؛ فدَعَوْهم وما فرَّغوا أنفسهم له ، وسوف تقدِّمُون على قوم يأتونكم بآذية فيها ألوانُ الطعام ؛ فإذا أَكَلْتُم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسمَ الله عليها . وتلقون أقواماً قد فحسوا أوساط رءوسهم وتركوا حولها مثل العصائب ؛ فاخفِقوهم بالسيف خَفَقَةً . اندفعوا باسم الله ، أفناكم الله بالطعن والطاعون^(١) .

حدثني السريّ ، قال : حدثنا شعب ، قال : حدثنا سيف — وأخبرنا ١٨٥١/١ عبيد الله ، قال : أخبرني عمّي ، قال : حدثنا سيف — عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : خرج أبو بكر إلى الجُرُف ، فاستَقْرَى أَسَامَةَ وبعثه ، وسأله عمرَ فأذن له ، وقال له : اصنع ما أمرك به نبيُّ الله صلّى الله عليه وسلّم ، ابدأ ببلاد قُضاعة ثم إيتِ آيِلَ ، ولا تقصِّرَنَّ في شيء من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ولا تعجلَنَّ لما خلَّفتَ عن عهده . ففضى أَسَامَةُ مُغْدِئاً على ذِي المَرْوَةِ والوادي ، وانتهى إلى ما أمره به النبيّ صلى الله عليه وسلم من بَثِّ الخيول في قبائل قُضاعة والغارة على آيِل ، فسلم وغنم ، وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومثقله راجعاً .

فحدثني السريّ بن يحيى ، قال : حدثنا شُعَيْب ، عن سيف — وحدثنا عُبَيْد الله ، قال : أخبرنا عمّي ، قال : أخبرنا سيف — عن موسى بن عقبة ، عن المغيرة بن الأَخْنَس .

وعنهما ، عن سيف ، عن عمرو بن قيس ، عن عطاء الخراساني مثله .

• • •

بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسيّ

كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جَمَعَ — فيما بلغنا — لباذام حين أسلم وأسلمت اليمن عمَلِ اليمن كلَّها ، وأمَّره على جميع مخالفيها ، فلم يزل عامل رسول الله

(١) كذا في س ، وفي ط : « أفناكم » ، ولا معنى له ، وما أثبتته يتفق مع الحديث : « فناء أمي بالطعن والطاعون » . وانظر النهاية ٣ : ٣٩ .

صلى الله عليه وسلم أيام حياته ، فلم يعزله عنها ولا عن شيء منها ، ولا أشرك معه فيها شريكاً حتى مات باذام ، فلما مات فرق عملها بين جماعة من أصحابه .

فحدثني عبيد الله بن سعد الزهرى ، قال : حدثنا عمى : قال : حدثنا

سيف - وحدثني السرى بن يحيى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن ١٨٥٢/١

سيف - قال : حدثنا سهيل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر

ابن لؤذان الأنصارى السلمى - وكان فيمن بعث النبي صلى الله عليه وسلم مع

عمال اليمن في سنة عشر بعد ما حج حجة التمام : وقد مات باذام ، فلذلك

فرق عملها بين شهر بن باذام ، وعامر بن شهر الحمداني ، وعبد الله بن

قيس أبي موسى الأشعرى ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبي هالة ،

ويعلى بن أمية ، وعمر بن حزم ، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد

البياضى وعكاشة بن ثور بن أصغر الغوثى ؛ على السكاسك والسكون ومعاوية

ابن كندة ، وبعث معاذ بن جبل معلماً لأهل البلدين : اليمن وحضرموت .

حدثني عبيد الله ، قال : أخبرني عمى ، قال : أخبرني سيف - يعنى

أبن عمر - عن أبي عمرو مولى إبراهيم بن طلحة ، عن عبادة بن قرص بن

عبادة ، عن قرص الليثى ، أن النبي صلى الله عليه وسلم رجع إلى المدينة بعد

ما قضى حجة الإسلام ، وقد وجه إمارة اليمن وفرقها بين رجال ، وأفرد كل

رجل بحيزه ، ووجه إمارة حضرموت وفرقها بين ثلاثة ، وأفرد كل واحد منهم

بحيزه ، واستعمل عمرو بن حزم على نجران ، وخالد بن سعيد بن العاص على

ما بين نجران وريمع وزبيد ، وعامر بن شهر على همدان ، وعلى صنعاء

ابن باذام ، وعلى عكاشة والأشعرى الطاهر بن أبي هالة ، وعلى مأرب أبا موسى

الأشعرى ، وعلى الجند يعلى بن أمية . وكان معاذ معلماً ينتقل في عماله كل ١٨٥٣/١

عامل باليمن وحضرموت ؛ واستعمل على أعمال حضرموت ؛ على السكاسك

والسكون وعكاشة بن ثور ، وعلى بنى معاوية بن كندة عبد الله ^(١) - أو المهاجر -

فاشتمكى فلم يذهب حتى وجهه أبو بكر . وعلى حضرموت زياد بن لبيد

(١) هو عبد الله بن قيس ، أبو موسى الأشعرى .

البياضى ، وكان زياد يقوم على عمل المهاجر ؛ فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء عماله على اليمن وحضرموت ؛ إلا من قُتِلَ في قتال الأسود أو مات ؛ وهو باذام ، مات ففرّق النبي صلى الله عليه وسلم العمل من أجله . وشهر ابنه — يعنى ابن باذام — فسار إليه الأسود فقاتله فقتله .

وحدثنى بهذا الحديث السرى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف . فقال فيه : عن سيف ، عن أبى عمرو مولى إبراهيم بن طلحة . ثم سائر الحديث بإسناده مثل حديث ابن سعد الزهرى .

قال : حدثنى السرى ، قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعمى ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أول من اعترض على العنسى وكائنه عامر بن شهر الهمداني في ناحيته وفيروز وداؤويه في ناحيتهما ، ثم تابع الذين كتب إليهم على ما أمروا به .

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمى ، قال : أخبرنى سيف ، قال . وحدثنا السرى ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف — عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، قال : فبينما نحن بالجنّد قد أقمناهم على ما ينبغي ، وكتبنا بيننا وبينهم الكتب ، إذ جاءنا كتاب من الأسود : أيها المتوردون علينا ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ، ووفّروا ما جمعتم ؛ فنحن أولى به وأنتم على ما أنتم عليه . فقلنا للرسول : من أين جئت ؟ قال : من كهف خبّان . ثم كان وجهه إلى نجران ، حتى أخذها في عشر لخرجه ، وطابقه عوام مذحج . فبينما نحن ننظر في أمرنا ، ونجمع جمعنا ، إذ أتينا فقيلاً : هذا الأسود بشعوب^(١) ، وقد خرج إليه شهر بن باذام ؛ وذلك لعشرين ليلة من منجمه . فبينما نحن ننتظر الخبر على من تكون الدبرة ، إذ أتانا أنه قتل شهراً ، وهزم الأبناء ، وغلب على صنعاء خمس وعشرين ليلة من منجمه . وخرج معاذ هارباً ، حتى مرّ بأبى موسى

(١) شعوب : فصر باليمن معروف بالارتفاع ، أو بساتين بظاهر صنعاء — ياقوت .

وهو بمأرب، فافتحما حضرموت؛ فأما معاذ فإنه نزل في السكون؛ وأما أبو موسى فإنه نزل في السكاسك مما يلي المنور والمفازة^(١) بينهم وبين مأرب، وانحاز سائر أمراء اليمن إلى الطاهر إلاّ عمرًا وخالدًا؛ فإنيهما رجعا إلى المدينة؛ والطاهر يومئذ في وسط بلاد عكّ بحيال صنعاء. وغلب الأسود على ما بين صهيد — ١٨٥٥/١ مفازة حضرموت — إلى عمل الطائف إلى البحرين قبل عدن، وطابقت عليه اليمن، وعكّ بتهامة معترضون عليه؛ وجعل يستطير استنطارة الحريق، وكان معه سبعمائة فارس يوم لقي شهرًا سوى الركبان؛ وكان قواده قيس بن عبد يغوث المرادي ومعاوية بن قيس الجعنيّ ويزيد بن محرم ويزيد بن حصين الحارثي ويزيد بن الأفكّل الأزدي. وثبت ملكه واستغلف أمره، ودانت له سواحل من السواحل؛ حاز عشر^(٢) والشرجة والخردة^(٣) وغلافقة وعدن، والجند؛ ثم صنعاء إلى عمل الطائف، إلى الأحسية وعليّيب؛ وعامله المسلمون بالبقية^(٤)، وعامله أهل الردّة بالكفر والرجوع عن الإسلام. وكان خليفته في مذحج عمرو بن معد يكرب، وأسند أمره إلى نفر؛ فأما أمر جنده فلم يبق قيس بن عبد يغوث، وأسند أمر الأبناء إلى فيروز ودادويه.

فلما أئخن في الأرض اسنخف بقيس وبفيروز ودادويه، وتزوج امرأة شهر؛ وهي ابنة عمّ فيروز؛ فبينما نحن كذلك بحضرموت — ولا نأمن أن يسير إلينا الأسود، أو يبعث إلينا جيشًا، أو يخرج بحضرموت خارج يدعي بمثل^(٥) ما ادعى به الأسود، فتحن على ظهر، تزوج معاذ إلى بني بكرة^(٦)؛ حتى من السكون، امرأة أخوالها بنوزنكيبيل يقال لها رملة، فحدّوا لصهره^(٧) ١٨٥٦/١

(١) ز: «أظفور وأظفارة».

(٢) عشر، ضبطه صاحب مراصد الاطلاع بفتح أوله وسكون ثانيه، وقال: «وهو عشر، بالتشديد؛ إلا أن أهل اليمن لا يقولونه إلا بالتخفيف».

(٣) كذا ضبطه ياقوت بالفتح، وقال: «بلد باليمن له ذكر في حديث العنسي» وفي ط بكسر الحاء.

(٤) س: «بالقية».

(٥) س: «مثل».

(٦) س: «نكرة».

(٧) س: «بصهر».

علينا^(١) ، وكان معاذ بها معجباً ، فإن كان ليقول فيما يدعو الله به : اللهم ابغثنى يوم القيامة مع السكون ، ويقول أحياناً : اللهم اغفر للسكون — إذ جاءتنا كتبُ النبي صلى الله عليه وسلم يأمرنا فيها أن نبعث الرجال لمحاولته أو لمصاولته ؛ وتُبلغ^(٢) كل من رجا عنده شيئاً من ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . فقام معاذ في ذلك بالذي أمر به ، فعرفنا القوة وثقنا بالنصر.^(٣)

حدثنا السري ، قال : أخبرنا شعيب . قال : حدثنا سيف — وحدثنى عبيد الله ، قال : أخبرنا عتي ، قال : أخبرنا سيف — قال : أخبرنا المستير ابن يزيد ، عن عروة بن غزية الدثيني ، عن الضحاك بن فيروز — قال السري : عن جشيش بن الديلمي ، وقال عبيد الله : عن جشش^(٤) بن الديلمي — قال : قدم علينا وبر بن يحنس بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يأمرنا فيه بالقيام على ديننا ، والنهوض في الحرب ، والعمل في الأسود : إما غيلة وإما مصادمة ؛ وأن يبلغ عنه من رأينا أن عنده نجدة وديننا . فعملنا في ذلك ، فرأينا أمراً كثيفاً . ورأينا قد تغير لقيس بن عبد يغوث — وكان على جنده — فقلنا : يخاف على دمه ؛ فهو لأول دعوة فدعواناه وأنبأناه الشأن . وأبلغناه عن النبي صلى الله عليه وسلم : فكأنا وقعنا عليه من السماء ، وكان في غم وضيق بأمره ؛ فأحيانا إلى ما أحببنا من ذلك ، وجاءنا^(٥) وبر بن يحنس ، وكاتبنا الناس ودعواناهم ؛ وأخبره الشيطان بشيء . فأرسل إلى قيس وقال : يا قيس ، ما يقول هذا ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول : عتمدت إلى قيس فأكرمته ؛ حتى إذا دخل منك كل مدخل . وصار في العز مثلك ، مال ميل عدوك . وحاول ملكك وأضمر على العذر ! إنه يقول : يا أسود يا أسود ! يا سعوة يا سعوة ! اقطف قننته ، وخذ من قيس أعلاه . وإلا سلبك أو قطف قننتك . فقام قيس — وحلف به : كذب وذى الخمار ؛ لأنت أعظم في

(٢) س : « أو تبلغ » .

(١) ز : ه .

(٤) كذا في المشبه ١٨٦ ، وفي ط :

(٣) ز : « بالنصرة » .

(٥) ز : « وجاء » .

« جشيش » ، تحريف .

نفسى وأجلٌ عندى من أنْ أحدث بك نفسى ؛ فقال : ما أجفاك ! أتكذب المَلِك ! قد صدق المَلِك ؛ وعرفت الآن أنك تائبٌ مما اطلع عليه منك .

ثم خرج فأتانا . فقال : يا جُشَيْش ، ويا فَيَرُوز ، ويا داذويه ؛ إنه قد قال وقلت ^(١) ؛ فما رأى ؟ فقلنا : نحن على حذر ؛ فإننا فى ذلك ؛ إذ أرسل إلينا ، فقال : ألم أشرِّقْكُمْ على قومِكُمْ . ألم يبلغنى عنكم ! فقلنا : أُلِّقْنَا مَرَّتَنَا هذه ، فقال : لا يبلغنى عنكم فأقتلكم ^(٢) ؛ فنجوْنَا ولم نكدْ ؛ وهو فى ارتياب من أمرنا وأمر قيس ؛ ونحن فى ارتياب وعلى خطر عظيم ؛ إذ جاءنا اعتراض عامر ابن شَهْر وذى زود وذى مُرَّان وذى الكَلَّاع وذى ظُلَيْم عليه ، وكاتبونا وبذلوا لنا النَصْر ؛ وكاتبناهم وأمرناهم ألاَّ يحرِّكوا شيئاً حتى نُبْرِم الأمر - وإنما احتاجوا لذلك حين جاء كتاب النبىِّ صلى الله عليه وسلم ؛ ^(٣) وكتب النبىُّ صلى الله عليه وسلم إلى أهل نَجْران ^(٤) ؛ إلى عَرَبِهِمْ وساكنى الأرض من غير العرب ؛ فنبتوا فَنَسَحُوا وانضموا إلى مكان واحد - وبلغه ذلك ، وأحسَّ بالهلاك ، وفرَّق لنا الرأى . فدخلتُ على آذاد ؛ وهى امرأته ، فقلت : يا ابنةَ عمِّ ؛ قد عرفتُ بلاءَ هذا الرجل عند قومك ؛ قَتَلَ زوجك ، وطأطأ فى قومك القتل ^(٥) ، وسفل بمن بوى منهم ؛ وفضح النساء ؛ فهل عندك من مِلااةٍ عليه ! فقالت : على أىِّ أمره ^(٦) ؟ قلت : إخراجهُ . قالت : أو قتله ، قلت : أو قتله ، قالت : نعم والله ما خلَّق الله شخصاً أبغضَ إلىَّ منه ؛ ما يقوم لله على حقٍّ ، ولا ينتهى له عن حرمة ^(٧) ؛ فإذا عزمتم فأعلمونى أخبركم بمأتى هذا الأمر . فأخرجُ فإذا فيروز وداذويه ينتظرانى ، وجاء قيس ونحن نريد أن نناهضه ، فقال له رجل قبل أن يجلس إلينا : المَلِك يدعوك . فدخل فى عشرة من مَدْحَج وهمدان . فلم يقدر ^(٨) على قتله معهم - قال السِّرى فى حديثه : فقال :

١٨٥٨/١

(١) س : « وقد قلت » . (٢) كذا فى ز ، وفى ط : « فأقبلكم » .

(٣-٣) ساقط من ز .

(٤) طأطأ القتل فى قومه ؛ أى أسرع فيهم بالقتل .

(٥) ز : أضاف : « حو » .

(٦) ابن الأثير : « محرم » .

(٧) ز : « فلم يقدم » .

يا عيْهله بن كعب بن غوث ، وقال عبيدُ الله في حديثه : يا عيْهله بن كعب بن غوث - أَمِنِي تَحَصَّنْ بِالرَّجَالِ ! أَلَمْ أَخْبِرْكَ الْحَقَّ وَتَخْبِرْنِي الْكَذَابَةَ ^(١) ! إنه يقول : ياسوءة ياسوءة ! إلاّ تقطع من قيس يدَه يَقْطَع قُتْنَتَكَ ^(٢) العُلَيَّا ؛ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ قَاتِلُهُ ؛ فَقَالَ : إنه ليس من الحق أن أَقْتَلَكَ ^(٣) وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَرَّ ^(٤) بِي بِمَا أَحْبَبْتَ ؛ فَأَمَّا الْخُوفُ وَالْفَزَعُ فَأَنَا فِيهِمَا مَخَافَةٌ [أَنْ تَقْتُلَنِي] ^(٥) - قَالَ الزَّهْرِيُّ : فَأَمَّا قَتَلْتَنِي فَوْتُهُ ، وَقَالَ السَّرِيُّ : أَقْتَلَنِي فَوْتُهُ أَهْوَنُ عَلَى مَنْ مَوَاتَ أَمُوتُهَا كُلَّ يَوْمٍ - فَرُقَ لَهُ فَأَخْرَجَهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فَأَخْبَرَنَا وَاطَّأَنَا ^(٦) ، وَقَالَ : اْعْمَلُوا حَمْلَكُمْ ؛ وَخَرَجَ عَلَيْنَا فِي جَمْعٍ ، فَقَمْنَا مَثُولًا لَهُ ، وَبِالْبَابِ مِائَةٌ مِائَةً بَقْرَةً وَبَعِيرٌ ، فَقَامَ وَخَطَّ خَطًّا فَأَقِيمْتَ مِنْ وَرَائِهِ ، وَقَامَ مِنْ دُونِهَا ، فَنَحَرَهَا غَيْرَ مَحْبَسَةٍ وَلَا مَعْقَلَةٍ ، مَا يَقْنَحُ الْخَطَّ مِنْهَا شَيْءٌ ، ثُمَّ خَلَّاهَا فَجَالَتْ إِلَى أَنْ زَهَقَتْ ؛ فَمَا رَأَيْتُ أَمْرًا كَانَ أَفْظَعَ مِنْهُ ، وَلَا يَوْمًا أَوْحَشَ مِنْهُ . ثُمَّ قَالَ : أَحَقُّ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ يَا فَيْرُوزُ ؟ وَبَوَّأَ لَهُ الْحَرْبَةَ - لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُنَحِّرَكَ فَأَتْبِعَكَ هَذِهِ الْبَهِيمَةَ ، فَقَالَ : اخْتَرْتَنَا لِصَهْرِكَ وَفَضَّلْتَنَا عَلَى الْأَبْنَاءِ ؛ فَلَوْ لَمْ تَكُنْ نَبِيًّا مَا بَعَثْنَا نَصِيحَتَنَا مِنْكَ بِشَيْءٍ ؛ فَكَيْفَ وَقَدْ اجْتَمَعَ لَنَا بِكَ أَمْرٌ آخِرَةٌ وَدُنْيَا ؛ لَا تَقْبَلَنَّ عَلَيْنَا أَمْثَالَ مَا يَبْلُغُكَ ؛ فَإِنَّا بِحَيْثُ نَحْبُ . فَقَالَ : اقْسِمُ هَذِهِ ؛ فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَنْ هِيَ هَذَا ، فَاجْتَمَعَ إِلَى أَهْلِ صَنْعَاءَ ، وَجَعَلَتْ أَمْرٌ لِلرُّهْطِ بِالْجَزُورِ وَلِأَهْلِ الْبَيْتِ بِالْبَقَرَةِ ، وَلِأَهْلِ الْحِلَّةِ ^(٧) بَعْدَةً ، حَتَّى أَخَذَ أَهْلُ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِقَسْطِهِمْ . فَلَحِقَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى دَارِهِ - وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَى - رَجُلٌ يَسْعَى إِلَيْهِ بِفَيْرُوزٍ ؛ فَاسْتَمَعَ لَهُ ، وَاسْتَمَعَ لَهُ فَيْرُوزُ وَهُوَ يَقُولُ : أَنَا قَاتِلُهُ غَدًا وَأَصْحَابُهُ ؛ فَاغْدُ عَلَيَّ ، ثُمَّ التَفْتُ فَلَمَّا بِهِ ^(٨) ، فَقَالَ : مَهْ ! فَأَخْبِرْهُ بِالَّذِي صَنَعَ ، فَقَالَ : أَحْسَنْتَ ، ثُمَّ ضَرَبَ دَابَّتَهُ دَاخِلًا ، فَجَرَعَ إِلَيْنَا فَأَخْبَرَنَا

(١) ابن الأثير : « الكذب » . (٢) ابن الأثير : « قبتك » .

(٣) ابن الأثير : « أهلك » . (٤) ابن الأثير : « فرق » .

(٥) سن التويرى . (٦) ط : « وطوانا » ، وانظر ص ٢٣٢ س ١٤

(٧) ط : « الحلة » ، والصواب ما أثبتته من ز . (٨) ز : « بفيروز » .

الخبر ، فأرسلنا إلى قيس : فجاءنا ، فأجمع مَلُؤُهُمْ أن أعود إلى المرأة فأحسرها بعزيمتها لتخبرنا بما تأمر : فأثبتُ المرأةَ وقلت : ما عندك ؟ فقالت : هو متحرِّزٌ متحرِّسٌ ، وليس من القَصْرِ شيءٌ إلاَّ والحرسُ محيطون به غير هذا البيت ، فإنَّ ظهْرَهُ إلى مكان كذا وكذا من الطريق : فإذا أُمسينم فانتقبوا عليه ، فإنَّكم من دون الحرس ، وليس دون قتله شيء . وقالت : إنَّكم ستجدون فيه سراجاً وسلاحاً . فخرجتُ فلتلقاني الأسود خارجاً من بعض منازل ، فقال لي : ما أدخلك عليَّ ؟ ووجعاً رأسي حتى سقطتُ -- وكان شديداً -- وصاحت المرأة فأدهشته عني ، ولولا ذلك لقتلني . وقالت : ابن عمي جاءني زائراً ، فقصرتُ بي ! فقال : اسكتي لا أبالك . فقد وهبته لك ! فتزايلتُ عني . فأثبتُ أصحابي فقلت : النجاء ! الهرب ! وأخبرتهم الخبر : فإننا على ذلك حيناً رآى إذ جاءني رسولُها : لا تدعَنَّ ما فارقتك عليه : فإنني لم أزلُ به حتى اطمأنَّ ، فقلنا لفيروز : اتبها فتنبتُ منها : فأما أنا فلا سبيلَ لي إلى الدخول بعد النَهْيِ . ففعل ، وإذا هو كان أظنَّ مني : فلما أخبرته قالت : وكيف ينبغي لنا أن ننقب على بيوت مبطنَّة ! ينبغي لنا أن نعلم بِطائفة البيت : فدخلا فاقتلعا البطانة : ثم أغلقاه : وجلس عندهما كالزائر : فدخلَ عليها [الأسود] ^(١) فاستخفَّته غيرة ^(٢) ، وأخبرته برضاغ وقرابة منها عنده محرم . فصاح به وأخرجه . وجاءنا بالخبر : فلما أُمسينا عملنا في أمرنا : وقد واطأنا أشياء عُنَّا ، وعجلنا عن مراسلة الهمدانيين والحميريين : فنقبنا البيت من خارج . ثم دخلنا وفيه سراج تحت جفنة : واتقينا بفيروز : وكان أنجدنا وأشدنا -- فقلنا : انظر ماذا ترى ! فخرج ونحن بينه وبين الحرس معه في مقصورة : فلما دنا من باب البيت سمع غطيظاً شديداً . وإذا المرأة جالسة : فلما قام ^(٣) على الباب أجلسه الشيطان فكلَّمه على لسانه -- وإنه ليغُطُّ جالساً . وقال أيضاً : مالي ولك يا فيروز ! فعشى إن رجع أن يهلك وتهلك المرأة . فعاجله فخالطه وهو مثل الجمل : فأخذ برأسه فقتله ، فدقَّ

(٢) س : « الغيرة » .

(١) من ابن الأثير .

(٣) س : « قدم » .

عنقه ، ووضع ركبته في ظهره فدقّه . ثم قام ليخرج ؛ فأخذت المرأة بثوبه وهي ترى أنه لم يقتله ، فقالت : أين تدعني ! قال : أخبر أصحابي بمقتله ؛ فأثانا فقمنا معه ؛ فأردنا حز رأسه ؛ فحزّكه الشيطان فاضطرب^(١) فلم يضبطه ؛ فقلت : اجلسوا على صدره ؛ فجلس اثنان على صدره . وأخذت المرأة بشعره ، وسمعنا بريرة^(٢) فأبجمته بمثلاة^(٣) ؛ وأمر الشفيرة على حلقه فخار كأشدّ خوار ثور سمعته قطّ ؛ فابتدر الحرس الباب وهم حول المقصورة ، فقالوا : ما هذا ، ما هذا ! فقالت المرأة : النبي يوحى إليه ! فحمد . ثم سمرنا ليلتنا ونحن نأتمر كيف نخبر أشياعنا ، ليس غرنا ثلاثين : فيروز وداذويه وقيس^(٤) ؛ فاجتمعنا على النداء بشعارنا الذي بيننا وبين أشياعنا ، ثم ينادى بالأذان ، فلما طلع الفجر نادى داذويه بالشعار ، ففرغ المسلمون والكافرون ، وتجمع الحرس فأحاطوا بنا ، ثم ناديت بالأذان ، وتوافت خيولهم إلى الحرس ، فناذيتهم : أشهد أن محمداً رسول الله ؛ وأن عبثه كذاب ! وألقينا إليهم رأسه ، فأقام وبس الصلاة ، وشتمها القوم غارة ؛ ونادينا : يا أهل صنعاء ، من دخل عليه داخل فتعلقوا به ، ومن كان عنده منهم أحد فتعلقوا به . ونادينا بمن في الطريق : تعلقوا بمن استطعتم ! فاختلفوا صبياناً كثيرين ؛ وانتهبوا ما انتهبوا ، ثم مضوا خارجين ؛ فلما برزوا فقدوا منهم سبعين فارساً ركباناً ؛ وإذا أهل الدور والطرق وقد وافونا بهم ؛ وفقدنا سبعمائة عيّل فراسلونا وراسلناهم أن يتركوا لنا ما في أيديهم ، وترك لهم ما في أيدينا ؛ ففعلوا فخرجوا لم يظفروا متاً بشئ ؛ فترددوا فيما بين صنعاء ونجران ، وخلصت صنعاء والجند . وأعز الله الإسلام وأهله ؛ وتنافسنا الإمارة ؛ وتراجع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أعمالهم ؛ فاصطلحنا على معاذين جبل ، فكان يصلّي بنا ، وكتبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر ؛ وذلك في حياة

(١) س . « فاضطرب فيه » .

(٢) البريرة : الصباح .

(٣) المثلاة : الحرة التي تمسكها المرأة عند النوح تشير بها .

(٤) كما في ط . « وعقدنا نأتمر بيننا : فيروز وداذويه وقيس ؛

كيف نخبر أشياعنا » . ويلاحظ أن راوى الخبر هنا هو جشس الديلمي ، وانظر أوله ص ٢٣١ .

النبي صلى الله عليه وسلم . فأتاه الخبر من ليلته ، وقدمت رُسُلُنا ؛ وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة تلك الليلة ؛ فأجابنا أبو بكر رحمه الله .

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - عن أبي القاسم الشنوي ، عن العلاء بن زياد ، عن ابن عمر ، قال : أتى الخبرُ النبي صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها العنسي ليُشترنا ، فقال : قُتِلَ العنسي البارحة ، قتله رجلٌ مباركٌ من أهل بيت مباركين ، قيل : ومن هو ؟ قال : فيروز ، فاز فيروز !

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرني سيف - وحدثنى السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - عن المستنير ، عن عروة ، عن الضحاك ، عن فيروز ، قال : قتلنا الأسود ، وعاد أمرنا كما كان ؛ إلا أنا أرسلنا إلى معاذ ، فراضينا^(١) عليه ؛ فكان يصلّي بنا في صَنْعَاء ؛ فوالله ما صلّي بنا إلا ثلاثاً ونحن راجون مؤمّلون ، لم يبق شيء نكرهه إلا ما كان من تلك الخيول التي تردّد بيننا وبين نَجْرَانَ ؛ حتى أتانا الخبر بوفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانتقضت الأمور ؛ وأنكرنا كثيراً مما كنّا نعرف ، واضطربت الأرض .

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف ، عن أبي القاسم وأبي محمد ، عن أبي زُرْعَةَ يَحْيَى بن أبي عمرو السَّيْبَانِي^(٢) ، من جُنْدِ فلسطين ؛ عن عبد الله بن فيروز الدَّيْلَمِي ؛ أن أباه حدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث إليهم رسولاً ، يقال له : وَبَر بن بُحَنْس الأزدِي ؛ وكان منزله على دَاذَوِيهِ الفارسي ، وكان الأسود كاهناً معه شيطان وتابع له ، فخرج فقتل على ملك اليمن ؛ فقتل ملكها ونكح امرأته ومَلَكَ اليمن ؛ وكان باذام هلك قبل ذلك ، فخلف ابنه على أمره ، فقتله وتزوَّجها ، فاجتمعت أنا ودَاذَوِيهِ وقيس بن المكشوح المِراذِي عند وَبَر بن بُحَنْس رسول نبي الله صلى الله عليه

١٨٦٤/١

(١) س : « فتواصينا » . (٢) ط : « الشيباني » ، وانظر تصويبات ط .

وسلم نأتمر بقتل الأسود . ثم إن الأسود أمر الناس فاجتمعوا في رحبة من صنعاء ، ثم خرج حتى قام في وسطهم ، ومعه حربة الملك ، ثم دعا بفرس الملك فأوجره الحربة ، ثم أرسل فجعل يجري في المدينة ودماؤه تسيل حتى مات . وقام وسط الرحبة ؛ ثم دعا بجزر^(١) من وراء الحيط فأقامها ، وأعناقها ورءوسها في الحيط ما يجزئه . ثم استقبلهن بحربته فنحرهن فتصدعن عنه ؛ حتى فرغ منهن ، ثم أمسك حربته في يده ، ثم أكب على الأرض ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول - يعنى شيطانه الذى معه : إن ابن المكشوح من الطغاة ، يا أسود اقطع قنة رأسه العليا . ثم أكب رأسه أيضاً ينظر ، ثم رفع رأسه ، فقال : إنه يقول : إن ابن الديلمي من الطغاة ؛ يا أسود اقطع يده اليمنى ورجله اليمنى ؛ فلما سمعت قوله قلت : والله ما آمن أن يدعو بى ، فينحرنى بحربته كما نحر هذه الجزر ؛ فجعلت أستر بالناس لثلا يرانى ، حتى خرجت ولا أدري من حذرى^(٢) كيف آخذ ! فلما دنوت من منزلى لقينى رجل من قومه ، فدق فى رقبتي ، فقال : إن الملك يدعوك وأنت تروغ ! ارجع ؛ فردت ، فلما رأيت ذلك خشيت أن يقتلنى . قال : وكنت لا يكاد يفارق رجلا منا أبداً خنجره ، فأدس يدي فى خفى ، فأخذت خنجري ، ثم أقبلت وأنا أريد أن أحمل عليه ، فأطعنه به حتى أقتله ، ثم أقتل من معه ، فلما دنوت منه رأى فى وجهى الشر ، فقال : مكانك ! فوقفت ، فقال : إنك أكبر من هاهنا وأعلمهم بأشراف أهلها ، فاقسم هذه الجزر بينهم . وركب فانطلق وعلقت أقسم اللحم بين أهل صنعاء ، فأتاني ذلك الذى دق فى رقبتي ، فقال : أعطيتني منها ، فقلت : لا والله ولا بضعة واحدة ؛ ألسنت الذى دققت فى رقبتي ! فانطلق غضبان حتى أتى الأسود ؛ فأخبره بما لقيني منى وقلت له . فلما فرغت أتيت الأسود أمشي إليه ، فسمعت الرجل وهو يشكوني إليه ، فقال له الأسود : أما والله لأذبحنه ذبحاً ! فقت له : إني قد فرغت

(١) الجزر : جمع جزور ، بالفتح ، وهو ما يذبح من الإبل .

(٢) س : « حذره » .

مما أمرتني به، وقسمته بين الناس . قال : قد أحسنت فانصرف . فانصرفت ، فبعثنا إلى امرأة الملك : إنا نريد قتل الأسود ؛ فكيف لنا ! فأرسلت إلى : أن هلم . فأتيتها ، وجعلت الحارية على الباب لتؤذِنّا إذا جاء ؛ ودخلت أنا وهي البيت الآخر ، فحفزنا حتى نقبنا نقباً ، ثم خرجنا ^(١) إلى البيت ، فأرسلنا الستر ، فقلت : إنا نقتله الليلة ، فقالت : فتعالوا ؛ فاشعرت بشيء حتى إذا الأسود قد دخل البيت ؛ وإذا هو معنا ؛ فأخذته غيرة شديدة ، فجعل يدق في رقبتي ، وكفكفتته عنّي ، وخرجت فأتيت أصحابي بالذي صنعت ، وأيقنت بانقطاع الحيلة عنا فيه ؛ إذ جاءنا رسول المرأة ؛ ألا يكسرن عليكم أمركم ما رأيتم ؛ فلأتى قد قلت له بعد ما خرجت : ألسم تزعمون أنكم أقوام أحرار لكم أحساب ^(٢) ! قال : بلى ، فقلت : جاءني أخى يسلم عليّ ويكرمني ، ف وقعت عليه تدق في رقبته ؛ حتى أخرجه ، فكانت هذه كرامتك إياه ! فم أزل ألومه حتى لام نفسه ، وقال : أهو أخوك ؟ فقلت : نعم ، فقال : ما شعرت ؛ فأقبلوا الليلة لما أردتم .

١٨٦٦/١

قال الديلمي : فاطمأنت أنفسنا ، واجتمع لنا أمرنا ؛ فأقبلنا من الليل أنا وداذويه وقيس حتى ندخل البيت الأقصى من الثقب الذي نقبنا ، فقلت : يا قيس ، أنت فارس العرب ، ادخل فاقتل الرجل ، قال : إني تأخذني رعدة شديدة عند البأس ، فأخاف أن أضرب الرجل ضربة لا تغني شيئاً ؛ ولكن ادخل أنت يا فيروز ، فإنك أشبنا وأقوانا ، قال : فوضعت سيفي عند القوم ، ودخلت لأنظر أين رأس الرجل ؛ فإذا السراج يزهر ؛ وإذا هو راقد على فرش قد غاب فيها لا أدرى أين رأسه من رجله ! وإذا المرأة جالسة عنده كانت تطعمه رماناً حتى رقد ، فأشرت إليها : أين رأسه ؟ فأشارت إليه ، فأقبلت أمشي حتى قمت عند رأسه لأنظر ، فما أدرى أنظرت في وجهه أم لا ؛ فإذا هو قد فتّح عينه ، فنظر إلى ، فقلت : إن رجعت إلى سيفي خفت أن يفوتني ويأخذ عدة يمنع ^(٣) بها مني ؛ وإذا شيطانه قد أنذره بمكانى وقد

١٨٦٧/١

(١) س : « خرجت » . (٢) ز : « حسنت » .

(٣) س : « فيمنع » .

أيقظه ، فلما أبطأ كلمني على لسانه ؛ وإنه لينظر ويغُطُّ ، فأضرب يدي إلى رأسه ، فأخذت رأسه بيدٍ ولحيته بيدٍ ؛ ثم ألوى عنقه فدققته ؛ ثم أقبلت إلى أصحابي ، فأخذت المرأة بثوبي ، فقالت : أحتكم نصيحتكم ! قلت : قد والله قتلته وأرحسك منه . قال : فدخلتُ على صاحبي فأخبرتهما ، قالا : فارجع فاحتر رأسه واثنا به ، فدخلت فبربر فألجمته فحزرت رأسه ، فأتيتهما^(١) به ، ثم خرجنا حتى أتينا منزلنا ؛ وعندنا وبر بن يُحنس الأزدي ، فقام معنا حتى ارتقينا على حصن مرتفع من تلك الحصون ؛ فأذن وبر بن يُحنس بالصلاة ، ثم قلنا : ألا إن الله عز وجل قد قتل الأسود الكذاب ، فاجتمع الناس إلينا فرمينا برأسه ، فلما رأى القوم الذين كانوا معه أسرجوا خيولهم ؛ ثم جعل كل واحد منهم يأخذ غلاماً من أبنائنا معه من أهل البيت الذي كان نازلاً فيهم ؛ فأبصرتهم في الغلَس مُردفي الغلمان ، فناديت أخي وهو أسفل مني مع الناس : أن تعلقوا بمن استطعتم منهم ؛ ألا ترون ما يصنعون بالأبناء ! فتعلقوا بهم ؛ فحبسنا منهم سبعين رجلاً ، وذهبوا منا بثلاثين غلاماً ، فلما برزوا إذا هم يفقدون سبعين رجلاً حين تفقدوا أصحابهم ، فأتونا فقالوا : أرسلوا إلينا أصحابنا ، فقلناهم : أرسلوا إلينا أبناءنا ، فأرسلوا إلينا الأبناء ، وأرسلنا إليهم أصحابهم .

قال : وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : إن الله قد قتل الأسود الكذاب العنسي ، قتله بيد رجل من إخوانكم ، وقوم أسلموا وصدقوا ؛ فكنا كنا على الأمر الذي كان قبل قدوم الأسود علينا وأمين الأمراء وتراجعوا ، واعتذر الناس وكانوا حديثي^(٢) عهد بالجاهلية^(٣) .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنِي السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن عبيد بن صخر ، قال : كان أول أمره إلى آخره ثلاثة أشهر .

(١) س : « ثم أتيتهم » .

(٢) ط : « حديث » .

(٣) س : « بجاهلية » .

وحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف - وحدَّثنا عبيد الله قال : أخبرنا عمتي ، قال : أخبرنا سيف - عن جابر بن يزيد ، عن عروة ابن غزيرة ، عن الضحّاك بن فيروز ، قال : كان ما بين خروجه بكتّهف خبّان ومقتله ^(١) نحواً من أربعة أشهر ؛ وقد كان قبل ذلك مستسراً بأمره . حتى بادى ^(٢) بعد .

حدثني عمر بن شبّة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد ، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جُعْدَبَة وغسان بن عبد الحميد وجويرة بن أسماء : عن مشيختهم ، قالوا : أمضى أبو بكر جيش أسامة بن زيد في آخر ربيع الأول ، وأتى مقتل العنسيّ في آخر ربيع الأول بعد مخرج أسامة ؛ وكان ذلك أول فتح أتى أبو بكر وهو بالمدينة .

* * *

وقال الواقدي : في هذه السنة - أغنى سنة إحدى عشرة - قدم وفد النّخَع في النصف من المحرم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأسهم زُرارة بن عمرو ، وهم آخر من قدم من الوفود . ١٨٦٩/١

وفيهما : ماتت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الثلاثاء ، لثلاث خلون من شهر رمضان ؛ وهي يومئذ ابنة تسع وعشرين سنة أو نحوها . وذكر أن أبا بكر بن عبد الله ، حدثه عن إسحاق بن عبد الله ، عن أبان بن صالح بذلك . وزعم أن ابن جرير حدثه عن عمرو بن دينار . عن أبي جعفر ، قال : توفيت فاطمة عليها السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر .

قال : وحدَّثنا ابن جرير ، عن الزهري ، عن عروة ، قال : توفيت فاطمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر . قال الواقدي : وهو أثبت عندنا . قال : وغسلها عليّ عليه السلام وأسماء بنت عميس .

(١) س : « إلى مقتله » .

(٢) يقال : بادى بالأمر ؛ إذا جاهر به .

قال : وحدَّثني عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف ، عن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن قالت : صلتى عليها العباس بن عبد المطلب .

وحدَّثنا أبو زيد ، قال : حدَّثنا عليّ ، عن أبي معشر ، قال : دخل قبرها العباس وعليّ والفضل بن العباس .

قال : وفيها توفّيَ عبدُ الله بن أبي بكر بن أبي قُحافة ، وكان أصابه بالطائف سهمٌ مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ، رماه أبو محجن ، ودَمِلَ الجرح حتى انتقض به في شوال ؛ فمات .

وحدَّثني أبو زيد ، قال : حدَّثنا عليّ ، قال : حدَّثنا أبو معشر ومحمد ابن إسحاق وجُؤَيْرِيَّة بن أسماء بإسناده الذي ذكرتُ قبل ، قالوا : في العام الذي بُويع فيه أبو بكر مَلِكُ أَهْلِ فَارِس عليهم يَزْدَجِرِد .

قال أبو جعفر : وفيها كان لقاء أبي بكر رحمه الله خارجةً بن حصن الفَزَارِي . حدَّثني أبو زيد ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمد بإسناده الذي ذكرت ، قبل ، قالوا : أقام أبو بكر بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوجيهه أسامة في جيشه إلى حيث قُتل أبوه زيد بن حارثة من أرض الشام ؛ وهو الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره بالمسير إليه ؛ لم يُحدِث شيئاً ، وقد جاءت^(١) وفودُ العرب مرتدين يُقِرُّون بالصَّلَاة ، ويمنعون الزكاة . فلم يقبل ذلك منهم وردّهم ، وأقام حتى قدِم أسامة بن زيد بن حارثة بعد أربعين يوماً من شخوصه — ويقال : بعد سبعين يوماً — فلمّا قدِم أسامة بن زيد استخلفه أبو بكر على المدينة وشخص — ويقال استخلف سناناً الضمريّ على المدينة — فسار ونزل بذي القَصّة في جُمادى الأولى ؛ ويقال في جُمادى الآخرة ؛ وكان نوفل بن معاوية الدَّيْلِيّ بعثه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ،

فلقيه خارجة بن حصن بالشَّرَبَةِ ؛ فأخذ ما في يديه ؛ فردّه على بني فزارة ؛ فرجع نوفل إلى أبي بكر بالمدينة قبل قدوم أسامة على أبي بكر . فأول حرب كانت في الرَّدّة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حرب العنسي ؛ وقد كانت حرب العنسي باليمن ؛ ثم حرب خارجة بن حصن ومنظور بن زبّان بن سيار في غَطَفَانَ ، والمسلمون غدوون ، فانهاز أبو بكر إلى أَجَمَةِ فاستتر بها ، ثم هزم الله المشركين .

وحدثني عبيد الله ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن المجالد ابن سعيد ، قال : لما فصل أسامة كثرت الأرض وتضرمت ^(١) ، وارتدت من كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً .

وحدثني عبيد الله ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف - وحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفصل أسامة ارتدت العرب عواماً أو خواصاً ؛ وتوحى مسيلمة وطليحة ، فاستغلظ أمرهما ؛ واجتمع على طليحة عوامٌ طييءٌ وأسد ، وارتدت غطفان إلى ما كان من أشجع وخواص من الأقباء فبايعوه ، وقدمت هوازن رجلاً وأخبرت رجلاً ^(٢) أمسكوا الصدقة إلا ما كان من ثقيف وليفتها ^(٣) ؛ فإنهم اقتدى بهم عوامٌ جديلة والأعجاز ؛ وارتدت خواص من بني سليم ؛ وكذلك سائر الناس بكل مكان .

قال : وقدمت رسول النبي صلى الله عليه وسلم من اليمن واليمامة وبلاد بني أسد ووفود من كان كاتبه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمر أمره في الأسود ومسيلمة وطلحة بالأخبار والكتب ؛ فدفعوا كتبهم إلى أبي بكر ؛ وأخبروه

(١) ابن الأثير ٢ : ٢٧١ : « وتضرمت الأرض ناراً » .

(٢) س : « أخرى » .

(٣) يقال : جاءوا ومن لف لفهم ، أي ومن عد فيهم وتأشب إليهم .

الخبر ، فقال لهم أبو بكر : لا تبرحوا حتى تجيء رسلُ أمرائكم وغيرهم بأدبى مما وصفتم وأمر ؛ وانتفاض الأمور . فلم يلبثوا أن قدِمَت كتبُ أمراء النبي صلى الله عليه وسلم من كل مكان بانتفاض عامة أو خاصة ، وتبسطهم بأنواع الميل على المسلمين ، فحاربهم أبو بكر بما كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حاربهم بالرسول . فردَّ رسلهم بأمره ، وأتبع الرسولَ رسلًا ؛ وانتظر بمصادمتهم قدومَ أسامة ؛ وكان أول من صادم عبس وذبيان ، عاجلوه فقاتلهم قبل رجوع أسامة .

حدثني عبيد الله ، قال : أخبرنا عمى ، قال : أخبرنا سيف - وحدثنى المروى ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف - عن أبي عمرو ، عن زيد بن أسلم ، قال : مات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وعمره على قضاة ، وعلى كلب امرؤ القيس بن الأصبع الكلبى من بني عبد الله ، وعلى القيسين عمرو بن الحكم ، وعلى سعد هذيم معاوية بن فلان الوائلى .

وقال المروى الوائلى : فارتدت وديعة الكلبى فيمن آزره من كلب ، وبقى امرؤ القيس على دينه . وارتدت زُمَيْل بن تَطْبَةَ القيسى فيمن آزره من بني القيسين وبني عمرو ، وارتدت معاوية فيمن آزره من سعد هذيم . فكتب أبو بكر إلى امرئ القيس بن فلان - وهو جد سَكِينَة ابنة حسين - فسار لوديعة ، وإلى عمرو فأقام لزميل ، وإلى معاوية العذرى . فلما توسط أسامة بلاد قضاة ، بث الخيول فيهم وأمرهم أن ينهضوا من أقام على الإسلام إل من رجع عنه ؛ فخرجوا هربًا ؛ حتى أَرَزُوا ^(١) إلى دُومَة ، واجتمعوا إلى وديعة ، ورجعت خيول أسامة إليه ؛ فضى فيها أسامة . حتى أغار على الحمقتين ، فأصاب في بني الصيب من جذام ، وفي بني خليل من لَحْم ولفها من القبيلين ؛ وحازهم من آبل وانكفأ سالمًا عائمًا .

(١) أَرَزُوا إلى دومة الجندل : التجهل إليها .

فحدثني السريّ ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ واجتمعت أسد وغطفان وطيبتي على طليحة ؛ إلا ما كان من خواصّ أقوام في القبائل الثلاث ؛ فاجتمعت أسد بسميراء ، وفزارة ومن يليهم من غطفان بجنوب طيبة ، وطيبتي على حدود أرضهم . واجتمعت ثعلبة بن سعد ومن يليهم من مرة وعيس بالأبرق من الرّبذة ، وتأشّب^(١) ، إليهم ناس من بني كنانة ؛ فلم تحملهم البلاد ؛ فافترقوا فرقتين ؛ فأقامت فرقة منهم بالأبرق ، وسارت الأخرى إلى ذى القصة ، وأمدهم طليحة بجبال^(٢) فكان حبال على أهل ذى القصة من بني أسد ومن تأشّب من ليث والدليل ومُدْلج . وكان على مرة بالأبرق عوف بن فلان بن سنان ، وعلى ثعلبة وعيس الحارث ابن فلان ؛ أحد بني سبيع ، وقد بعثوا وفوداً فقدموا المدينة ، فنزلوا على وجوه الناس ، فأنزلوهم ما خلا عبّاساً فتحمّلوا بهم على أبي بكر ؛ على أن يقيموا الصلّاة ؛ وعلى ألاّ يؤتوا الزكاة ؛ فعزم الله لأبي بكر على الحق . وقال : لو منعوني عقلاً^(٣) لجاهلهم عليه - وكانت عقل^(٤) الصدقة على أهل الصدقة مع الصدقة - فردّهم فرجع وفد من يثلى المدينة من المرتدة إليهم ، فأخبروا

(١) تأشّبوا إليهم : انضموا والتفوا .

(٢) حبال ، ضبطه ابن الأثير : « بكسر الحاء المهملة وفتح الباء الموحدة وبعد الألف لام » . وهو أخو طليحة .

(٣) قال ابن الأثير في النهاية ٣ : ١١٨ : « وفي حديث أبي بكر : لو منعوني عقلاً ما كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه : أراد بالعقال الحبل الذي يعقل به البعير الذي كان يؤخذ في الصدقة ؛ لأن على صاحبها التسليم ؛ وإنما يقع القبض بالرباط . وقيل : أراد ما يساوى عقلاً من حقوق الصدقة . وقيل : إذا أخذ المصدق أعيان الإبل ، قيل : أخذ عقلاً ، وإذا أخذ أثمانها قيل : أخذ نقداً . وقيل : أراد بالعقال صدقة العام ؛ يقال : أخذ المصدق عقال هذا العام ؛ أى أخذ منهم صدقته ، وبث فلان على عقال بني فلان ؛ إذا بث على صدقاتهم . واختاره أبو عبيدة ؛ وهو أشبه عندى بالمعنى . وقال الخطابي : إنما يضرب المثل في مثل هذا بالأقل لا بالأكثر ، وليس بسائر في لسانهم ؛ لأن العقال صدقة عام . وفي أكثر الروايات : لو منعوني عناقاً ، وفي أخرى جدياً » . (٤) العقل ، بضمين : جمع عقال .

١٨٧٤/١

عشائهم بقلّة من أهل المدينة ، وأطمعهم فيها ؛ وجعل أبو بكر بعد ما أخرج الوفد على أنقاب المدينة نفرّاً : عليّاً والزبير وطلحة وعبد الله بن مسعود ؛ وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد ، وقال لهم : إن الأرض كافرة ^(١) ؛ وقد رأى وفدكم منكم قلّة ؛ وإنكم لا تدرون أليلاً توتّون أم نهراً ! وأدناهم منكم على يريد . وقد كان القوم يأملون أن تقبل منهم ونوادعهم ؛ وقد آيينا عليهم ، ونبذنا إليهم عهدهم ، فاستعدّوا وأعدّوا . فما لبثوا إلا ثلاثاً حتى طرّقوا المدينة غارة مع الليل ، وخلّفوا بعضهم بذى حسّى ^(٢) ، ليكونوا لهم رداءً ، فوافق الغوّار ^(٣) ليلاً الأنقاب ؛ وعليها المقاتلة ، ودوهم أقوام يدرجون ، فنبههم ؛ وأرسلوا إلى أبي بكر بالخبر ، فأرسل إليهم أبو بكر أن الزموا أما كنكم ، ففعلوا . وخرج في أهل المسجد على النواضح إليهم ، فانفش ^(٤) العدو ، فاتبعهم المسلمون على إبلهم ؛ حتى بلغوا ذى حسّى ؛ فخرج عليهم الردء بأنحاء قد نفخوها ، وجعلوا فيها الحبال ، ثم دهموها ^(٥) بأرجلهم في وجوه الإبل ؛ فتدههه كل نحى ^(٦) في طوله ^(٧) ، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها -- ولا تنفر الإبل من شيء نفارها من الأنحاء -- فعاجت بهم ما يملكونها ؛ حتى دخلت بهم المدينة ؛ فلم يصرع مسلم ولم يصب ؛ فقال في ذلك الخطيل بن أوس أخو الخطيئة ابن أوس :

١٨٧٥/١

فَذِي لَبَنِي ذُبَيَّانَ رَحْلِي وَنَاقِي عَشِيَّةَ يُحْدِي بِالرَّمَاكِ أَبُو بَكْرٍ
وَلَكِنْ يَدْهُدِي بِالرَّجَالِ فِهْبَنَهُ إِلَى قَدَرٍ مَا إِنْ يَزِيدُ وَلَا يَحْرِي ^(٨)
وَلِلَّهِ أَجْنَادٌ تَذَاقُ مَذَاقَهُ لَتَحْسَبَ فِيمَا عُدَّ مِنْ عَجَبِ الدَّهْرِ !

(١) كافرة ، أى مظلمة .

(٢) ضبطه ابن الأثير : « بضم الحاء المهملة ، والسين المهملة المفتوحة » .

(٣) كذا في س ، وفي ط : « فوافوا » .

(٤) انفش العدو انفشاشاً : انهزم وفشل .

(٥) دهموها ، أى دهموها .

(٦) النحى : الزق .

(٧) الطول : الحبل يشد به .

(٨) أى لا يزيد ولا ينقص . وهذه رواية س . وفي ط : « ما إن نقيم ولا تسرى » .

وأشده الزهري: « من حسب الدهر » .

وقال عبد الله الليثي : وكانت بنو عبد مناة من المرتدة - وهم بنو ذبيان - في ذلك الأمر بذى القصة وبذى حصى :

١٨٧٦/١

أَطَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ مَا كَانَ بَيْنَنَا
أَيُّورُثُهَا بَكْرًا إِذَا مَاتَ بَعْدَهُ
فِيَا أَعْبَادِ اللَّهِ مَا لَأَبَى بَكْرًا !^(١)
وَتِلْكَ لَعَمْرُ اللَّهِ قَاصِمَةُ الظَّهِرِ^(٢)
فَهَلَّا رَدَدْتُمْ وَفَدْنَا بِزَمَانِهِ
وَهَلَّا حَشِيتُمْ حَسْرَةَ رَاغِيَةِ الْبَكْرِ !^(٣)
وَإِنَّ الَّتِي سَالُوكُمْ فَمَنْعْتُمْ
لَكَالْتَمَرِ أَوْ أَحْلَى إِلَيَّ مِنَ التَّمْرِ

فظنَّ القومُ بالمسلمين الوهنَ ، وبعثوا إلى أهل ذى القصة بالخبر ؛ فقدموا عليهم اعتماداً في الذين أخبروهم ، وهم لا يشعرون لأمر الله عز وجل الذي أَرَادَهُ ، وأحب أن يبلغه فيهم ، فبات أبو بكر ليلته يتهياً ، فعبى الناس ، ثم خرج على تعبئة من أعجاز ليلته يمشي ، وعلى ميمته النعمان بن مقرن ، وعلى ميسرته عبد الله بن مقرن ، وعلى الساقة سويد بن مقرن معه الرُّكَّابُ ؛ فما طالع الفجر إلا وهم والعدوُّ في صعيد واحد ، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حساً حتى وضعوا فيهم السيوف ، فاقتلوا أعجاز ليلتهم ؛ فما ذرَّ قرْنُ الشَّمْسِ حتى ولَّوهم الأدبارَ ، وغلبوهم على عامة ظهرهم ؛ وقتل حيال واتبعهم أبو بكر ، حتى نزل بذى القصة - وكان أول الفتح - ووضع بها النعمان ابن مقرن في عدد^(٤) ، ورجع إلى المدينة فذلَّ^(٥) بها المشركون ؛ فوثب بنو ذبيان وعبس على من فيهم من المسلمين ؛ فقتلوهم كلَّ قتلَةٍ ؛ وفعل من وراءهم فعلهم . وعزَّ المسلمون بوقعة أبي بكر ، وحلف أبو بكر ليقتلنَّ في المشركين كلَّ قتلَةٍ ؛ وليقتلنَّ في كلِّ قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة ؛ وفي ذلك يقول زياد بن حنظلة التميمي :

١٨٧٧/١

(١) أورده صاحب الأعاني (١ / ١٥٧ - طبعة دار الكتب) هذا البيت وثاقبه ، ونسبها إلى الخليفة . (٢) الأعاني : « أبو رثا » .

(٣) ط : « رامية البكر » والأجود ما أثبت من س .

(٤) ز : « عدد » . (٥) ابن الأثير : « له » .

غَدَاةَ سَعَى أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِمْ كَمَا يَسْعَى لِمَوْتِهِ جَلَالٌ^(١)
 أَرَا حَ عَلَى نَوَاحِيهَا عَلِيًّا وَمَجَّ لَهْنَ مُهْجَتَهُ حِيَالُ
 وقال أيضاً :

أَقَمْنَا لَهُمْ عُرْضَ السَّالِ فَكُبِّكِبُوا كَكَبْكَبَةِ الْغُرَى أَنَاخُوا عَلَى الْوَفْرِ
 فَمَا صَبَرُوا لِلْحَرْبِ عِنْدَ قِيَامِهَا صَبِيحَةَ يَسْمُو بِالرَّجَالِ أَبُو بَكْرٍ
 طَرَفْنَا بَنِي عَبْسٍ بِأَدْنَى نَبَاحِهَا وَذُبَّانَ نَهْنَهَا بِقَاصِمَةِ الظَّهِيرِ

ثم لم يُصْنَعْ إِلَّا ذَلِكَ ؛ حتى ازداد المسلمون لها ثباتاً على دينهم في كل
 قبيلة ، وازداد لها المشركون انعكاساً من أمرهم في كل قبيلة ؛ وطرقت المدينة
 صدقاتٌ نفَر : صفوان ، الزبرقان ، عدى ؛ صفوان ، ثم الزبرقان ، ثم عدى ؛
 صفوان في أول الليل ، والثاني في وسطه ، والثالث في آخره . وكان الذي بشر
 بصَفْوَانَ سعد بن أبي وقاص ، والذي بشر بالزبرقان عبدُ الرحمن بن عرف ،
 والذي بشر بعديّ عبدُ الله بن مسعود . وقال غيره : أبو قتادة .

قال : وقال الناس لكَذَّهِمْ حين طلع : نذير ، وقال أبو بكر : هذا بشير ،
 هذا حامٍ وليس بوان ؛ فإذا نادى بالخير ، قالوا : طالما بشرت بالخير !
 وذلك لتمام ستين يوماً من مَخْرَجِ أسامة . وقدم أسامة بعد ذلك بأيام لشهرين
 وأيام ، فاستخلفه أبو بكر على المدينة ، وقال له وبخنده : أريحوا وأريحوا
 ظهركم .

ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذى القِصَّة والذين كانوا على الأنقاب على
 ذلك الظَّهْر ؛ فقال له المسلمون : نَتَشُدُّكَ اللَّهُ يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ تَعْرِضَ
 نَفْسَكَ ! فَإِنَّكَ إِنْ تَصَبَّ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ نِظَامٌ . ومقامك أشدُّ على العدوِّ ،
 فابعث رجلاً ، فإن أصيب أَمَرْتَ آخر ، فقال : لا والله لا أفعلُ ولا واسيتكم
 بنفسى ؛ فخرج في تعبيته إلى ذى حُسَى وذى القِصَّة ، والنَّعْمان وعبد الله
 وسُوَيْد على ما كانوا عليه ، حتى نزل على أهل الرِّبْدَةِ بِالْأَبْرِق ؛ فاقتلوا ، فهزم

(١) كذا في ز ، والجلال : البعير العظيم ، وفي ط : « جلال » .

الله الحارث وعوفاً ، وأخذ الحطيئة أسيراً ، فطارت عبس وبنو بكر ؛ وأقام أبو بكر على الأبرق أياماً ؛ وقد غلب بني ذبيان على البلاد . وقال : حرام على بني ذبيان أن يملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله ! وأجلاها . ١٨٧٩/١
فلما غلب أهل الردة ؛ ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه ، وسامح^(١) الناس جاءت بنو ثعلبة ؛ وهي كانت منازلهم لينزلوها ، فنبعوا منها فأتوه في المدينة ، فقالوا : علام نمنع من نزول بلادنا ! فقال : كذبتم ، ليست لكم بلاد ؛ ولكنها موهبي ونقدي^(٢) ، ولم يعثبهم ، وحسمي الأبرق لخيول المسلمين ، وأرعى سائر بلاد الربدة الناس على بنى ثعلبة ، ثم حمأها كلها لصدقات المسلمين ؛ لقتال كان وقع بين الناس وأصحاب الصدقات ، فنع بذلك بعضهم من بعض .

ولما فضت عبس وذبيان أرزوا إلى طليحة وقد نزل طليحة على بزأخة ، وارتحل عن سميراء إليها ، فأقام عليها ؛ وقال في يوم الأبرق زياد بن حنظلة :

ويوم بالأبرق قد شهدنا على ذبيان يلهب التهايا
أتيناهام بداهية نسوف^(٣) مع الصديق إذ ترك العتابا

* * *

حدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت بن الجذع وحرام بن عثمان ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : لما قدم أسامة بن زيد خرج أبو بكر واستخلفه على المدينة ، ومضى حتى انتهى إلى الربدة يلتقي بني عبس وذبيان وجماعة من بني عبد مناة ابن كنانة ، فلقيتهم بالأبرق ، فقاتلهم فهزمهم الله وفلّهم . ثم رجع إلى المدينة ، فلما جم جند أسامة ، وثاب من حول المدينة خرج إلى ذي القصة فركبهم - وهو على بريد من المدينة تلقاء نجدة - فقطع فيها الجند ، وعقد الألوية . عقد أحد عشر لواءً على أحد عشر جنداً ، وأمر أمير كل

(١) ز : « وشاح البأس » . (٢) التفد : ما استنقذ من العدو .

(٣) داهية نسوف : شاقة ؛ وفي معجم البلدان : « نأد » .

جند باستنفاً من مَرَّ به من المسلمين من أهل القوة ، وتخلَّف بعضُ أهل القوة لمنع بلادهم .

حدثنا السَّري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : لما ^(١) أراح أسامة وجنده ظهرهم وجسموا ، وقد جاءت صدقات كثيرة تفضل عنهم ^(٢) ، قطع أبو بكر البعوث وعقد الأولوية ، فعقد أحد عشر لواءً : عقد لخالد بن الوليد وأمره بطليحة بن خويلد ؛ فإذا فرغ سار إلى مالك بن نويرة بالبُطاح إن أقام له ، ولِعكرمة ابن أبي جهل وأمره بمسيلمة ، وللمهاجر بن أبي أمية وأمره بجنود العنسي ومعونة الأبناء على قيس بن المكشوح ومن أعانته من أهل اليمن عليهم ، ثم يمضي إلى كندة بمضرموت ، ولخالد بن سعيد بن العاص — وكان قدم على تقيته ^(٣) ذلك من اليمن وترك عمله — وبعثه إلى الحمقتين من مشارف الشام ، ولعمرو بن العاص إلى جماع قضاة وديعة والحارث ، ولخديفة بن محصن الغلفاني وأمره بأهل دبا ولعرجة بن هرثة وأمره بمهرة ؛ وأمرهما أن يجتمعا وكل واحد منهما في عمله على صاحبه ، وبعث شرحبيل بن حسنة في أثر عكرمة ابن أبي جهل ، وقال : إذا فرغ من الإمامة فالحق بقضاة ، وأنت على خيلك تقاتل أهل الردة ، ولطريف بن حاجر وأمره ببني سليم ومن معهم من هوازن ، ولسويد بن مقرن وأمره بتهامة اليمن ، وللعلاء بن الحضرمي وأمره بالبَحْرَيْن .

• • •

[كتاب أبي بكر إلى القبائل المرتدة ووصيته للأمراء]

ففصلت الأمر من ذي القصّة ، ونزلوا على قصدهم ، فلحق بكل أمير جنده ، وقد عهد إليهم عهده ، وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدة .

(١) س : « فلما » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » . (٣) تقيته ذلك : حين ذلك .

حدثنا السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ؛ وشاركه في العهد والكتاب قحذم ؛ فكانت الكتب إلى قبائل العرب المرتدة كتاباً واحداً :

بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من تلقه كتابي هذا من عامة وخاصة ؛ أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلامٌ على من اتبع الهدى ، ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى ، فاتى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، نقيض بما جاء به ، ونكسر من أبى ونجاهده . أما بعد ؛ فإن الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده إلى خلقه بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين . فهدى الله بالحق من أجاب إليه ، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه من أدبر عنه ؛ حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً . ثم توفى الله رسوله صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ، ونصح لأمرته ؛ وقضى الذى عليه ، وكان الله قد بين له ذلك ولأهل الإسلام فى الكتاب الذى أنزل ؛ فقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴾ ^(٢) ، وقال للمؤمنين : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَخُرَّ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ ^(٣) ؛ فمن كان إنما يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان إنما يعبد الله وحده لا شريك له فإن الله له بالمرصاد ؛ حتى قيسوم لا يموت ؛ ولا تأخذه سنة ولا نوم ، حافظ لأمره ، منتقم من عدوه ، يجزيه . وإنى أوصيكم بتقوى الله وحظكم ونصيكم من الله ، وما جاءكم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، وأن تهتدوا بهتداه ، وأن تعصموا بدين الله ، فإن كل من لم يهده الله ضال ، وكل

١٨٨٢/١

(١) سورة الزمر : ٣٠ (٢) سورة الأنبياء : ٣٤ (٣) سورة آل عمران : ١٤٤

مَنْ لَمْ يُعَافِهِ مَبْتَلًى ، وَكُلَّ مَنْ لَمْ يُعِينَهُ اللَّهُ مَخْذُولٌ ، فَمَنْ هَدَاهُ اللَّهُ كَانَ مُهْتَدِيًّا ، وَمَنْ أَضَلَّهُ كَانَ ضَالًّا ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّمْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ ^(١) ، وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا عَمَلٌ حَتَّى يَقْرَبَهُ ؛ وَلَمْ يُقَبَّلْ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ . وَقَدْ بَلَغَنِي رَجُوعُ مَنْ رَجَعَ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ أَقْرَءَ بِالْإِسْلَامِ وَعَمِلَ بِهِ ؛ اغْتَرَارًا بِاللَّهِ ، وَجَهَالَةً بِأَمْرِهِ ، وَإِجَابَةً لِلشَّيْطَانِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ^(٢) . وَقَالَ : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ^(٣) ، وَإِنِّي بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ فَلَانًا فِي جَيْشٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالنَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ ، وَأَمَرْتُهُ أَلَّا يَقَاتِلَ أَحَدًا وَلَا يَقْتُلَهُ حَتَّى يَدْعُوهُ إِلَى دَاعِيَةِ اللَّهِ ؛ فَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَأَقْرَأَ وَكَفَّ وَعَمِلَ صَالِحًا قَبِلَ مِنْهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ ؛ وَمَنْ أَبَى أَمَرْتُ أَنْ يَقَاتِلَهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ ثُمَّ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَدَرٌ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يُحْرِقَهُمُ النَّارُ ، وَيَقْتُلَهُمْ كُلَّ قِتْلَةٍ ، وَأَنْ يَسْبِيَ النِّسَاءَ وَالذَّرَارِيَ ، وَلَا يَقْبَلَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا الْإِسْلَامُ ؛ فَمَنْ اتَّبَعَهُ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ، وَمَنْ تَرَكَهُ فَلَنْ يَعْبِزَ اللَّهُ . وَقَدْ أَمَرْتُ رَسُولِي أَنْ يَقْرَأَ كِتَابِي فِي كُلِّ مَجْمَعٍ لَكُمْ ؛ وَالِدَاعِيَةُ الْأَذَانُ ؛ فَإِذَا أَذَّنَ الْمُسْلِمُونَ فَأَذَّنُوا كُفُّوا عَنْهُمْ ؛ وَإِنْ لَمْ يُوْذَنُوا عَاجِلُوهُمْ ؛ وَإِنْ أَذَّنُوا اسْأَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ ، وَإِنْ أَقْرَأَ قَبِلَ مِنْهُمْ ؛ وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ .

فَنَفَذْتُ الرُّسُلَ بِالْكِتَابِ أَمَامَ الْجُنُودِ ، وَخَرَجْتُ الْأُمَرَاءَ وَمَعَهُمُ الْعُهْدُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . هَذَا عَهْدٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِفُلَانٍ حِينَ بَعَثَهُ فِيمَنْ بَعَثَهُ لِقِتَالِ مَنْ رَجَعَ عَنِ الْإِسْلَامِ ، وَعَهْدٌ إِلَيْهِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَا اسْتَطَاعَ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ سِرًّا وَعِلَانِيَةً ، وَأَمْرُهُ بِالْجِدِّ فِي أَمْرِ اللَّهِ ،

ومجاهدة مَنْ تولى عنه ، ورجع عن الإسلام إلى أمانى الشيطان بعد أن يُعذر
إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام ؛ فإن أجابوه أمسك عنهم ، وإن لم يجيبوه شنّ
غارته عليهم حتى يقرّوا له ؛ ثم ينبئهم بالذى عليهم والذى لهم ، فيأخذ
ما عليهم ، ويعطيهم الذى لهم ؛ لا يُنظرهم ، ولا يردّ المسلمين عن قتال عدوّهم ؛
فن أجاب إلى أمر الله عزّ وجلّ وأقرّ له قبيل ذلك منه وأعانته عليه بالمعروف ؛
ولنما يقاتل^(١) مَنْ كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله ؛ فإذا أجاب
الدعوة لم يكن عليه سبيل ؛ وكان الله حسيبه بعد فيما استسّر به ، ومَنْ لم
يجب داعية الله قُتِل وقُتِل حيث كان ؛ حيث بلغ مراغمه ، لا يقبل من أحد
شيئاً أعطاه إلا الإسلام ؛ فنّ أجابه وأقرّ قبيل منه وعلمه ، ومَنْ أبى قاتله ؛
فإن أظهره الله عليه قتل منهم^(٢) كل قتلة بالسلاح والنيران ، ثم قسم ما أفاء الله
عليه ، إلا الخمس فإنه يبلّغناه ، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد ، وألاّ
يُدخل فيهم حسّوا حتى يعرفهم ويعلم ما هم ؛ لا يكونوا عيوناً ، ولئلاّ يؤتى
المسلمون مِنْ قبلهم ، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقّدهم ،
ولا يعجل بعضهم عن بعض ، ويستوصى بالمسلمين في حُسْن الصحبة ولين
القول .

١٨٨٥/١

ذكر بقية الخبر عن غطفان

حين انضمت إلى طليحة وما آل إليه أمر طليحة

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : حدثنا عمي ، قال : أخبرنا سيف -
وحدثني السري ، قال : حدثنا شعيب ، قال : حدثنا سيف -
عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد وبدر بن الحليل وهشام بن عروة ،
قالوا : لما أُرزت عَبَسَ وُذِيانَ وَلِفْثُهَا إِلَى الْبُرَاخَةِ ، أُرسل طليحة إلى
جَدِيلَةَ وَالْعَوْتُ أَنْ يَنْضَمُوا إِلَيْهِ ، فَتَعَجَّلَ إِلَيْهِ أَنْاسٌ مِنَ الْحَيَّيْنِ ، وَأَمَرُوا
قَوْمَهُم بِاللِّهَاقِ بِهِمْ ، فَقَدِمُوا عَلَى طَلِيحَةَ ، وَبَعَثَ أَبُو بَكْرٍ عَدِيًّا قَبْلَ تَوْجِيهِ
خَالِدٍ مِنْ ذِي الْقَصَّةِ إِلَى قَوْمِهِ ، وَقَالَ : أَذَرِكُهُمْ لَا يَتَوَكَّلُوا . فَخَرَجَ
إِلَيْهِمْ فَفَتَلَهُمْ فِي الدَّرَوَةِ وَالْغَارِبِ ، وَخَرَجَ خَالِدٌ فِي أَثَرِهِ ، وَأَمَرَهُ أَبُو بَكْرٍ أَنْ
يَبْدَأَ بِطَيْئٍ عَلَى الْأَكْنَافِ ، ثُمَّ يَكُونَ وَجْهَهُ إِلَى الْبُرَاخَةِ ، ثُمَّ يَنَاقِثَ بِالْبُطَاحِ ،
وَلَا يَرِيمُ إِذَا فَرَّغَ مِنْ قَوْمٍ حَتَّى يَحْدُثَ إِلَيْهِ ، وَيَأْمُرَهُ بِذَلِكَ . وَأَظْهَرَ أَبُو بَكْرٍ
أَنَّهُ خَارِجٌ إِلَى خَيْبَرٍ وَمَنْصَبٌ عَلَيْهِ مِنْهَا حَتَّى يَلَاقِيَهُ بِالْأَكْنَافِ ، أَكْنَافَ
سَلَمَى ؛ فَخَرَجَ خَالِدٌ فَازْوَارًا عَنِ الْبُرَاخَةِ ، وَجَنَحَ إِلَى أَجَا . وَأَظْهَرَ أَنَّهُ
خَارِجٌ إِلَى خَيْبَرٍ ، ثُمَّ مَنْصَبٌ عَلَيْهِمْ ، فَقَعَدَ ذَلِكَ طَيْئًا وَبَطْنًا عَنْ طَلِيحَةَ ؛
وَقَدِمَ عَلَيْهِمْ عَدِيٌّ ؛ فَدَعَاهُمْ فَقَالُوا : لَا نَبَايَعُ أَبَا الْفَصِيلِ أَبَدًا ، فَقَالَ : لَقَدْ
أَنَاكُمْ قَوْمٌ لِيُبَيِّحُنَّ حَرِيمَكُمْ . وَلَتُرَكَّنَنَّ بِالْفَحْلِ الْأَكْبَرِ ؛ فَشَأْنَكُمْ بِهِ . فَقَالُوا
لَهُ : فَاسْتَقْبِلِ الْخَيْشَ فَهَنَّهُ^(١) عَنَّا حَتَّى نَسْتَخْرِجَ مِنْ لَحِقٍ بِالْبُرَاخَةِ مَنَّا ،
فَإِنَّا إِنْ خَالَفْنَا طَلِيحَةَ وَهَمَ فِي يَدَيْهِ قَتَلَهُمْ أَوْ ارْتَهَنَهُمْ . فَاسْتَقْبَلَ عَدِيٌّ خَالِدًا
وَهُوَ بِالسَّنَحِ ، فَقَالَ : يَا خَالِدُ ، أَمْسِكْ عَنِّي ثَلَاثًا يَجْتَمِعُ لَكَ خَمْسُمِائَةٍ
مُقَاتِلٍ تَضْرِبُ بِهِمْ عَدُوَّكَ ؛ وَذَلِكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُعَجِّلَهُمْ إِلَى النَّارِ ؛ وَتَشَاغَلَ
بِهِمْ ؛ فَفَعَلَ . فَعَادَ عَدِيٌّ إِلَيْهِمْ وَقَدْ أَرْسَلُوا إِخْوَانَهُمْ ، فَأَتَوْهُمْ مِنْ بُرَاخَةِ كَالْمَدَنَةِ
لَهُمْ ؛ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يُشْرِكُوا ؛ فَعَادَ عَدِيٌّ بِإِسْلَامِهِمْ إِلَى خَالِدٍ ، وَارْتَحَلَ خَالِدٌ نَحْرَ
الْأَنْسُرِ يَرِيدُ جَدِيلَةَ ، فَقَالَ لَهُ عَدِيٌّ : إِنْ طَيْئًا كَالطَّاثِرِ ، وَإِنْ جَدِيلَةَ

(١) هَنَّهُ عَنَّا ؛ أَيْ ادْفَعَهُ وَكَفَّهُ

أحدُ جناحي طَيْئٍ ؛ فأجَلْتَنِي أَيامًا لعلَّ الله أن ينتقذ جَدِيدَ كَمَا انتقذ الغوث ؛ فنعل ، فَأَتَاهُمْ عَدَى فلم يزل بهم حتى بايعوه ؛ فجاءه بإسلامهم ، ولحق بالمسلمين منهم ألف رَاكِب ؛ فكان خير مولود وُلِدَ في أرض طَيْئٍ وأعظمه عليهم بركة .

وأما هشام بن الكلبي ؛ فإنه زعم أن أبا بكر لما رَجَعَ إليه أسامة ومن كان معه من الجيش ؛ جَدَّ في حرب أهل الردة ، وخرج بالناس وهو فيهم حتى نزل بذي القَصَّة ؛ منزلاً من المدينة على بريد من نحو هَجْد ، فَعَبَّيَ هنالك جنوده ، ثم بعث خالد بن الوليد على الناس ، وجعل ثابت بن قيس على الأنصار ، وأمره إلى خالد ، وأمره أن يصمد لطلَيْحَة وعُيَيْنَة بن حصن ، وهما على بُزَاخَة ؛ ماء من مياه بني أسد ؛ وأظهر أني أَلَايِك^(١) بمَن معي من نحو خيبر ، مكيدة ؛ وقد أوعب^(٢) مع خالد الناس ؛ ولكنه أراد أن يبلغ ذلك عدوه فيرعبهم . ثم رجع إلى المدينة ، وسار خالد بن الوليد ؛ حتى إذا دَنَّا من القوم بعث عُكَّاشَة بن محصن ، وثابت بن أقرم — أحد بني العَجْلَان حليفاً للأنصار — طليعة ؛ حتى إذا دَنَوْا من القوم خرج طليحة وأخوه سلمة ، ينظران ويسألان : فأمَّا سلمة فلم يمهل ثابتاً أن قتله ، ونادى طليحة أخاه حين رأى أن قد فرغ من صاحبه أن أعِنِّي على الرجل ؛ فإنه آكل ؛ فاعتونا عليه ، فقتلاه ثم رجعا ، وأقبل خالد بالناس حتى مروا بثابت بن أقرم قتيلاً ، فلم يفتنوا له حتى وطئته المطيُّ بأخفافها ، فكبر ذلك على المسلمين ، ثم نظروا فإذا هم بعُكَّاشَة بن محصن صريعاً ، فجزع لذلك المسلمون ، وقالوا : قتل سيدان من سادات المسلمين وفارسان من فرسانهم ؛ فانصرف خالد نحو طَيْئٍ .

١٨٨٨/١

قال هشام : قال أبو مِخْنَف : فحدثني سَعْدُ بن مجاهد ، عن المُحَلِّ ابن خليفة ، عن عدى بن حاتم ، قال : بعثتُ إلى خالد بن الوليد أن سرَّ إلى فأقم عندي أياماً حتى أبعث إلى قبائل طَيْئٍ ، فأجمع لك منهم أكثر ممن معك ، ثم أصحبك إلى عدوك . قال : فسار إلى .

قال هشام : قال أبو مِخْنَف : حدثنا عبد السلام بن سُويد أن بعض

الأنصار حدثه أن خالداً لما رأى ما بأصحابه من الجزع عند مقتل ثابت وعُكاشة ، قال لهم : هل لكم إلى أن أميل بكم إلى حيٍّ من أحياء العرب : كثير عددهم ، شديدة شوكتهم ، لم يرتد^(١) منهم عن الإسلام أحد ! فقال له الناس : ومن هذا الحي الذي تعني ؟ فنعم والله الحي هو ! قال لهم : طيب ، فقالوا : وفقك الله ، نعم الرأي رأيت ! فانصرف بهم حتى نزل بالجيش في طيب .

قال هشام : حدثني جدي بن خبّاب النبهاني من بني عمرو بن أبي ، أن خالداً جاء حتى نزل على أرك ؛ مدينة سلمى .

قال هشام : قال أبو مخنف : حدثني إسحاق أنه نزل بأجأ . ثم تبعي لحربه ، ثم سار حتى التقيا على بُزّاحة : وبنو عامر على سادتهم وقادتهم قريباً يستمعون ويترّصون على من تكون الدّبرة .

قال هشام عن أبي مخنف : حدثني سعد بن مجاهد ، أنه سمع أشياخاً من قومه يقولون : سألنا خالداً أن نكفيه قيساً فإن بني أسد حلفاؤنا ، فقال : والله ما قيس بأوهن الشوكتين ، اصمّدوا إلى أي القبليتين أحبيهم . فقال عدى : لو ترك هذا الدين أسرفي الأدنى فالأدنى من قومي لجاهدتهم عليه ، فأنا أمتنع من جهاد بني أسد لحلفهم ! لا لعمر الله لا أفعل ! فقال له خالد : إن جهاد الفريقين جميعاً جهادٌ ؛ لا تخالف رأي أصحابك ، امض^(٢) إلى أحد الفريقين ، وامض بهم إلى القوم الذين هم لقتانهم أنشط^(٣) .

قال هشام : عن أبي مخنف : فحدثني عبد السلام بن سويد ، أن خيل طيب كانت تلي خيل بني أسد وفزارة قبل قدوم خالد عليهم فيتشامون^(٤) ولا يقتلون . فتقول أسد وفزارة : لا والله لا نبايع^(٥) أبا الفصّل أبداً . فتقول لهم خيل^(٦) طيب : أشهد ليقاتلتكم حتى تكونه أبا الفحل الأكبر !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) ز : « يرجع » . (٢) ابن الأثير : « وامض » .

(٣) س : « نشاط » .

(٤) يشامون ، أي يدنو بعضهم من بعض ، وفي س : « يتشامون » .

(٥) ب : « نبايع » . (٦) ساقطة من ز .

عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكَّانة ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بن عبد الله بن عُبَيْة ، قال : حَدَّثْتُ أَنَّ النَّاسَ لما اقْتَتَلُوا ، قَاتَلَ عُبَيْةٌ مع طَلِيحَةَ في سَبْعِمِائَةٍ من بَنِي فِزَارَةَ قتالاً شَدِيداً ، وَطَلِيحَةُ مُتَلَفِّفٌ في كِسَاءٍ لَهُ بِفَنَاءِ بَيْتٍ لَهُ مِنْ شَعْرٍ ، يَنْتَبِأُ لَهُمْ ، وَالنَّاسُ يَقْتَتِلُونَ ، فَلَمَّا هَزَّتْ عُبَيْةُ الْحَرْبَ ، وَضَرَسَ الْقِتَالَ ، كَرَّ عَلَى طَلِيحَةَ ، فَقَالَ : هَلْ جِئْتُكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَارْجِعْ فَقَاتِلْ حَتَّى إِذَا ضَرَسَ الْقِتَالَ وَهَزَّتْ الْحَرْبُ كَرَّ عَلَيْهِ فَقَالَ : لَا أَبَا لَكَ ! أَجِئْتُكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ ، قَالَ : يَقُولُ عُبَيْةٌ حَلْفًا : حَتَّى مَتَى ! قَدْ وَاللَّهِ بَلَغَ مِنَّا ! قَالَ : ثُمَّ رَجَعَ فَقَاتَلَ ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ كَرَّ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : هَلْ جِئْتُكَ جَبْرِيلُ بَعْدَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : فَإِذَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ : قَالَ لِي : « إِنَّ لَكَ رَحْمًا كَرَّحَاهُ ، وَحَدِيثًا لَا تَنْسَاهُ » ، قَالَ : يَقُولُ عُبَيْةٌ : أَظُنُّ أَنَّ قَدْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ سَيَكُونُ حَدِيثٌ ^(١) لَا تَنْسَاهُ ؛ يَا بَنِي فِزَارَةَ هَكَذَا ؛ فَانْصَرَفُوا ؛ فَهَذَا وَاللَّهِ كَذَّابٌ . فَانْصَرَفُوا وَانْهَزَمَ النَّاسُ فَغَشَوْا طَلِيحَةَ يَقُولُونَ : مَاذَا تَأْمُرُنَا ؟ وَقَدْ كَانَ أَعَدَّ فِرْسَهُ عِنْدَهُ ، وَهَيَّأَ بَعِيرًا لِامْرَأَتِهِ النَّوَّارِ ، فَلَمَّا أَنْ غَشَوْهُ يَقُولُونَ : مَاذَا تَأْمُرُنَا ؟ قَامَ فَوَثَبَ عَلَى فِرْسِهِ ، وَحَمَلَ امْرَأَتَهُ ثُمَّ نَجَّاهَا ، وَقَالَ : مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ وَيَنْجُو بِأَهْلِهِ فَلْيَفْعَلْ ؛ ثُمَّ سَلَكَ الْحَوْشِيَّةَ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ وَارْفَضَ جَمْعَهُ ؛ وَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ ، وَابْنُ عَامِرٍ قَرِيبًا مِنْهُمْ عَلَى قَادَتِهِمْ وَسَادَتِهِمْ ؛ وَتِلْكَ الْقِبَائِلُ مِنْ سُلَيْمٍ وَهَوَازِنَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ؛ فَلَمَّا أَوْقَعَ اللَّهُ بِطَلِيحَةَ وَفِزَارَةَ مَا أَوْقَعَ ، أَقْبَلَ أَوْلَتْكَ ^(٢) يَقُولُونَ : نَدْخُلُ فِيهَا خَرَجْنَا مِنْهُ ، وَنُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَنُسَلِّمُ لِحُكْمِهِ فِي أَمْوَالِنَا وَأَنْفُسِنَا .

١٨٩١/١

قال أبو جعفر : وكان سبب ارتداد عُبَيْةٍ وَغَطَفَانَ وَمَنْ ارْتَدَّ مِنْ طَيْئِ مَا حُدِّثْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بن سعد ، قال : أَخْبَرَنِي عَمِّي ، قَالَ : أَخْبَرَنِي سَيْفٌ - وَحَدَّثَنِي الْمَرِيُّ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ عَنْ سَيْفٍ - عَنْ طَلْحَةَ بن الأَعْلَمِ عَنْ حَبِيبِ ابْنِ رَبِيعَةَ الْأَسَدِيِّ ، عَنْ عُمَارَةَ بنِ فُلَانٍ الْأَسَدِيِّ ، قَالَ : ارْتَدَّ طَلِيحَةُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَادَّعَى النُّبُوَّةَ ، فَوَجَّهَ النَّبِيَّ

١٨٩٢/١

صلى الله عليه وسلم ضيار بن الأزور إلى عماله على بني أسد في ذلك ؛ وأمرهم بالقيام في ذلك على كل من ارتد ، فأشجوا^(١) طليحة وأخافوه . ونزل المسلمون بواردات . ونزل المشركون بسميمراء ؛ فما زال المسلمون في نماء والمشركون في نقصان ؛ حتى همّ ضيار بالمسير^(٢) إلى طليحة ، فلم يبق [أحد]^(٣) إلا أخذه سلماً^(٤) ، إلا ضربة كان ضربها بالجرار^(٥) ، فباعه ، فشاعت في الناس . فأتى المسلمون وهم على ذلك بخبر موت نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقال ناس من الناس لتلك الضربة : إن السلاح لا يُحيك^(٦) في طليحة ؛ فما أمسى المسلمون من ذلك اليوم حتى عرفوا النقصان ، ورفض الناس إلى طليحة واستطار أمره ، وأقبل ذو الحيمارين عوف الجندمي حتى نزل بإزائنا ، وأرسل إليه ثمامة بن أوس بن لأم الطائي : إن معي من جنديلة خمسمائة . فإن دهمكم أمر فنحن بالقرءودة والأنسر دوين الرمل . وأرسل إليه مهلهل بن زيد : إن معي حد الغوث ؛ فإن دهمكم أمر فنحن بالأكتاف^(٧) بجبال فيند . وإنما تحدت طيبي على ذي الحيمارين عوف ؛ أنه كان بين أسد وغطفان وطيبي حلف في الجاهلية ، فلما كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم اجتمعت غطفان وأسد على طيبي ، فأزاحوها عن دارها في الجاهلية : غوثها وجند يلتها ، فكره ذلك عوف ؛ ففقط ما بينه وبين غطفان ، وتتابع الحيان على الجلاء ، وأرسل عوف إلى الحيتين من طيبي ، فأعاد حلفهم . وقام بنصرتهم ، فرجعوا إلى دورهم . واشتد ذلك على غطفان ؛ فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عبيدة بن حصن في غطفان ، فقال : ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا وبين بني أسد ؛ وإني لجدد الحلف الذي كان بيننا في القديم ومتابع طليحة ؛ والله^(٨) لأن نتبع نبياً من الخلفين أحب إلينا من أن نتبع نبياً^(٩) من قريش ؛ وقد مات محمد ، وبقي طليحة . فطابقوه على رأيه ، ففعل وفعلوا .

(١) أشجوه : أوقموه في الهم والخوف .

(٢) ب : « بالسير » .

(٣) تكله من ز .

(٤) سلما بالتحريك ، أى صلحا .

(٥) الجراز : السيف القطاع .

(٦) لا يحيك فيه السيف ؛ أى لا يؤثر .

(٧) ب : « بيتا » .

(٨) ب : « والله » .

فلمّا اجتمعت غطفان على المطابقة^(١) لطليحة هرب ضرار وقضاعي
وسنان ومن كان قام بشيء من أمر النبي صلى الله عليه وسلم في بني أسد
إلى أبي بكر، وارفص من كان معهم، فأخبروا أبا بكر الخبر، وأمروه
بالحدّ، فقال ضرار بن الأزور: فما رأيتُ أحداً - ليس رسول الله صلى الله
عليه وسلم - أملاً بحرب شَعَوَاء من أبي بكر؛ فجعلنا نخبره، ولكأنّا نخبره
بما له ولا عليه. وقدمت عليه وفود بني أسد وغطفان وهوازن وطيتي،
وتلقت وفود قضاة أسامة بن زيد، فحوزها^(٢) إلى أبي بكر؛ فاجتمعوا
بالمدينة فزلوا على وجوه المسلمين؛ لعاشر من مُتَوَفَّى رسول الله صلى الله
عليه وسلم، فعرضوا الصلاة على أن يُعَفَّوْا من الزكاة، واجتمع مئلاً من
أنزلهم على قبول ذلك حتى يبلغوا ما يريدون؛ فلم يبق من وجوه المسلمين
أحد إلا أنزل منهم نازلاً إلا العباس. ثم أتوا أبا بكر فأخبروه خبرهم وما
أجمع عليه ملوئهم، إلا ما كان من أبي بكر، فإنه أبى إلا ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يأخذ، وأبوا، فردّهم وأجلّهم يوماً وليلة؛ فنتظروا إلى
عشائهم.

حدثني السري، قال: حدثنا شعيب، عن سيف، عن الحجاج،
عن عمرو بن شعيب، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث عمرو
ابن العاص إلى جَيْفَر، منصرفه من حجة الوداع، فأت رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعمرو بعُثْمَان، فأقبل حتى إذا انتهى إلى البحرين وجد
المنذر بن ساوى في الموت. فقال له المنذر: أشير عليّ في مالي بأمر لي
ولا عليّ، قال: صدّق بعقار صدقة تجرى من بعدك، ففعل. ثم
خرج من عنده، فسار في بني تميم، ثم خرج منها إلى بلاد بني عامر،
فزل على قُرّة بن هبيرة، وقرة يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً؛ وعلى ذلك
بنو عامر كلّهم إلا خواص، ثم سار حتى قدم المدينة، فأطافت به قريش،
وسألوه فأخبرهم أن العساكر معسكرة من دبا إلى حيث انتهت إليكم،
ففرقوا وتحلّقوا حلقاً، وأقبل عمر بن الخطاب يريد التسليم على عمرو،

فَرَجَّ بِحُلُقَةٍ ، وَهَمَّ فِي شَيْءٍ مِّنَ الَّذِي سَمِعُوا مِنْ عَمْرٍو فِي تِلْكَ الْحُلُقَةِ : عُثْمَانُ وَعَلَى وَطَلْحَةُ وَالزَّيْبُرُ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ وَسَعْدٌ ؛ فَلَمَّا دَنَا عَمْرٌ مِنْهُمْ سَكَتُوا ، فَقَالَ : فِيمَ أَنْتُمْ ؟ فَلَمْ يُجِيبُوهُ ، فَقَالَ : مَا أَعْلَمُنِي بِالَّذِي خَلُوتُمْ عَلَيْهِ ! فَغَضِبَ طَلْحَةُ ، وَقَالَ : تَاللَّهِ يَا بَنِي الْخَطَابِ لَتُخْبِرُنَا بِالْغَيْبِ ! قَالَ : لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ؛ وَلَكِنْ أَظُنُّ قَلَمٌ : مَا أَخَوْفُنَا عَلَى قَرِيشٍ مِنَ الْعَرَبِ وَأَخْلَقَهُمْ ^(١) أَلَّا يَقْرَؤُوا بِهَذَا الْأَمْرِ ! قَالُوا : صَدَقْتَ ، قَالَ : فَلَا تَخَافُوا هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ ، أَنَا وَاللَّهُ مِنْكُمْ عَلَى الْعَرَبِ أَخَوْفُ مَنْى مِنَ الْعَرَبِ عَلَيْكُمْ ؛ وَاللَّهُ لَوْ تَدَخَّلُونَ مَعَاشِرَ قَرِيشٍ جُحُرًا لَدَخَلْتُهُ الْعَرَبَ فِي آثَارِكُمْ ؛ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِيهِمْ . وَمَضَى إِلَى عَمْرٍو فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ .

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : نَزَلَ عَمْرٌو بْنُ الْعَاصِ مَنْصُوفَةً مِنْ عُثْمَانَ - بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بُقْرَةً بِنَ هُبَيْرَةَ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ ، وَحَوْلَهُ عَسْكَرٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ مِنْ أَفْنَاهُمْ ، فَذَبِجَ لَهُ وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُ ، فَلَمَّا أَرَادَ الرَّحْلَةَ خَلَا بِهِ قَرَّةً ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، إِنَّ الْعَرَبَ لَا تَطِيبُ لَكُمْ نَفْسًا بِالْإِثَاوَةِ ، فَإِنْ أَنْتُمْ أَعْفَيْتُمُوهَا مِنْ أَخَذِ أَمْوَالِهَا فَسَتَسْمَعُ ^(٢) لَكُمْ وَتَطِيعُ ؛ وَإِنْ أَيْتَمَ فَلَا أَرَى أَنْ تَجْتَمَعَ ^(٣) عَلَيْكُمْ . فَقَالَ عَمْرٌو : أَكْفَرْتُ ^(٤) يَا قَرَّةُ ! وَحَوْلَهُ بَنُو عَامِرٍ ؛ فَكُفِّرَ أَنْ يَبُوحَ بِمَتَابِعَتِهِمْ فَيَكْفُرُوا بِمَتَابِعَتِهِ ، فَيَنْفِرَ ^(٥) فِي شَرٍّ ، فَقَالَ : لَنَرُدَّكُمْ إِلَى فَيْتِكُمْ - وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ الْإِسْلَامُ - اجْعَلُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدًا . فَقَالَ عَمْرٌو : أَتَوْعِدُنَا ^(٦) بِالْعَرَبِ وَتَخَوَّفُنَا بِهَا ! مَوْعِدُكَ حَقُّشُ ^(٧) أَمَلِكْ ؛ فَوَاللَّهِ لَا وَطِئْتَ عَلَيْكَ الْخَلِيلَ . وَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَالْمُسْلِمِينَ فَأَخْبَرَهُمْ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ خَالِدٌ مِنْ أَمْرِ بَنِي عَامِرٍ وَبَيْعَتِهِمْ عَلَى مَا بَايَعَهُمْ عَلَيْهِ ، أَوثَقَ عُيَيْنَةَ بْنَ

(١) كَذَا فِي ب ، س ، وَفِي ط : « أَحْلَقَهُمْ » . (٢) ز : « فَسَمِعَ »

(٣) ب : « تَجَمَّعَ » . (٤) ب : « كَفَرْتُ » .

(٥) ز « وَيَنْفِرُ » . (٦) كَذَا فِي ب ، وَفِي ط : « أَتَوَاعِدُنَا » .

(٧) الْحَفْشُ : حَقِيبَةُ الْمَرْأَةِ تَضَعُ فِيهِ زَيْنَهَا ، يُرِيدُ تَحْقِيرَهُ .

حصن وقرّة بن هبيرة ، فبعث بهما إلى أبي بكر ، فلما قدما عليه قال له قرّة : يا خليفة رسول الله ، إنني قد كنت مسلماً ، ولي من ذلك على إسلامي عند عمرو بن العاص شهادة ؛ قد مررتُ في فأكرمته وقرّيته ومنعته . قال : فدعا أبو بكر عمرو بن العاص ، فقال : ما تعلم من أمر هذا ؟ فقصّ عليه الخبر ، حتى انتهى إلى ما قال له من أمر الصدقة ، قال له قرّة : حسبك رحمك الله ! قال : لا والله ؛ حتى أبلغ له كل ما قلت . فبلغ له ، فتجاوز عنه أبو بكر . وحقّق دمه ^(١) .

١٨٩٧/١ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكّانة ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، قال : أخبرني مَنْ نظر إلى عُيَيْنَة بن حصن مجموعةً يدها إلى عنقه بجبل ، يَنْخُسُه غلمان المدينة بالجرّيد ^(٢) ، يقولون : أيّ عدوّ الله ، أكفرت بعد إيمانك ! فيقول : والله ما كنت آمنت بالله قط . فتجاوز عنه أبو بكر وحقّق له دمه .

حدثني السري . قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهّل بن يوسف ، قال : أخذ المسلمون رجلاً من بني أسد ، فأثبّ به خالد بالغمم — وكان عالماً بأمر طليحة — فقال له خالد : حدثنا عنه وعمّا يقول لكم ، فزعم أن مما أتى به : « والحمام واليام ، والصرَد الصَّوَام ، قد صمن قبلكم بأعوام ، ليلغن مُلْكُنا العراق والشام » .

حدثني السري . قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن أبي يعقوب سعيد بن عبيد . قال : لما أرزى أهل الغمّر إلى البُراخة ^(٣) ، قام فيهم طليحة ، ثم قال : « أمرت أن تصنعوا رحاً ذات عُرّاً ، يرى الله بها مَنْ رَمَى ، يهوى عليها من هوى » . ثم عبّى جنوده ، ثم قال : « ابعثوا فارسيين ، على فرسين

(١) يقال : حقن دمه ؛ إذا حل به القتل فأنقذه .

(٢) الجرّيد : قضبان النخل . وأحدثه جريدة .

(٣) أرزى أهل الغمّر إلى البُراخة : التجثوا إليها .

أدهميين ، من بني نَصْر بن قُعَيْن ، يأتيا نكم بعين . فبعثوا فارسين ^(١) من بني قُعَيْن ، فخرج هو وسلمة طليعتين .

حدثنا المروى ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن ١٨٩٨/١ ثابت بن الجذع ، عن عبد الرحمن بن كعب ، عن شهاب بن زاذان عن الأنصار ، قال : لم يُصَبْ خالد على البزاة عيلاً ^(٢) واحداً ، كانت عيالات بني أسد مُحَرَّزَةً - وقال أبو يعقوب : بين مِثْقَبٍ وفَلَنَج ، وكانت عيالات قيس بن فُلَجٍ وأواسط - فلم يَعدُ أن انهزموا ، فأقروا جميعاً بالإسلام خشية على الذراري ، واتقوا خالداً بطليته ، واستحقوا الأمان ، ومضى طليحة ؛ حتى نزل ^(٣) .

كلب على النَّقْع ، فأسلم ، ولم يزل مقيماً في كلب حتى مات أبو بكر ؛ وكان إسلامه هنالك حين بلغه أن أسداً وغطفان وعامراً قد أسلموا ؛ ثم خرج نحو مكة معتمراً في إماراة أبي بكر ، ومرت بجَنَابَاتِ المدينة ، فقيل لأبي بكر : هذا طليحة ، فقال : ما أصنع به ! خلدوا عنه ، فقد هداه الله للإسلام . ومضى طليحة نحو مكة ففُضِيَ عمرته ، ثم أتى عمر إلى البقية حين استخلف ، فقال له عمر : أنت قاتل عكاشة وثابت ! والله لا أحبك أبداً . فقال : يا أمير المؤمنين ، ما تهتم من رجلين أكرمهما الله بيدي ، ولم يُهِنِّي بأيديهما ! فباعه عمر ثم قال له : يا خلدع ، ما بقي من كهانتك ؟ قال : نفخة أونفختان بالكبر . ثم رجع إلى دار قومه : فأقام بها حتى خرج إلى العراق .

• • •

ذكر ردة هوازن وسليم وعامر

حدثنا السري ، عن شعيب . عن سيف ، عن سهل وعبد الله ، قالوا : ١٨٩٩/١ أمّا بنو عامر فإنهم قدّموا رجلاً وأخروا أخرى ، ونظروا ما تصنع أسد وغطفان ؛ فلما أحيط بهم وبنو عامر على قاداتهم وسادتهم ، كان قرة بن

(١) ب : « فارسين » .

(٢) العيل والعيال : من تتكفل بهم وتقوم أمرهم .

(٣) ب : « ينزل » .

هُبَيْرَة فِي كَعْبٍ وَمِنْ لَافِئَهَا ^(١) ، وَعَلَقْمَة بِنَ عُلَاثَة فِي كَلَابٍ وَمِنْ لَافِئَهَا . وَقَدْ كَانَ عَلَقْمَة أَسْلَمَ ثُمَّ ارْتَدَّ فِي أَزْمَانِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ خَرَجَ بَعْدَ فَتْحِ الطَّائِفِ حَتَّى لَحِقَ بِالشَّامِ ؛ فَلَمَّا تَوَفَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ مَسْرِعًا حَتَّى عَسَكَرَ فِي بَنِي كَعْبٍ ، مَقْدَمًا رَجُلًا وَمُؤَخَّرًا أُخْرَى ؛ وَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ سَرِيَّةً ، وَأَمَرَ عَلَيْهَا الْقَعْقَاعَ بْنَ عَمْرٍو ، وَقَالَ : يَا قَعْقَاعُ ، سِرْ حَتَّى تُغَيِّرَ عَلَى عَلَقْمَة بِنَ عُلَاثَة ، لَعَلَّكَ أَنْ تَأْخُذَهُ لِي أَوْ تَقْتُلَهُ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ شِفَاءَ الشَّقِّ الْخَوْصُ ^(٢) ، فَاصْنَعْ مَا عِنْدَكَ . فَخَرَجَ فِي تِلْكَ السَّرِيَّةِ ؛ حَتَّى أَغَارَ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ عَلَقْمَة ؛ وَكَانَ لَا يَبْرَحُ أَنْ يَكُونَ عَلَى رَجُلٍ ^(٣) ؛ فَسَابَقَهُمْ عَلَى فَرَسِهِ ؛ فَسَبَقَهُمْ مَرَاكِضَةً ، وَأَسْلَمَ أَهْلُهُ وَوَلَدَهُ ، فَانْتَسَفَ ^(٤) امْرَأَتَهُ وَبَنَاتِهِ وَنِسَاءَهُ ، وَمَنْ أَقَامَ مِنَ الرِّجَالِ ؛ فَاتَّقَوْهُ بِالْإِسْلَامِ ، فَقَدِمَ بِهِمْ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَجَحَدَ وَلَدَهُ وَزَوْجَتَهُ أَنْ يَكُونُوا مَالِئًا عَلَقْمَة ، وَكَانُوا مَقِيمِينَ فِي الدَّارِ ، فَلَمْ يَبْلُغْهُ إِلَّا ذَلِكَ ، وَقَالُوا : مَا ذُنُبُنَا فِيمَا صَنَعَ عَلَقْمَة مِنْ ذَلِكَ ! فَأَرْسَلَهُمْ ثُمَّ أَسْلَمَ . فَقَبِلَ ذَلِكَ مِنْهُ ^(٥) .

حَدَّثَنَا السَّرِيُّ ، عَنْ شُعَيْبٍ . عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ أَبِي عَمْرٍو وَأَبِي ضَمْرَةَ . عَنْ ابْنِ سِيرِينَ مِثْلُ ^(٦) مَعَانِيهِ . وَأَقْبَلَتْ بَنُو عَامِرٍ بَعْدَ هَزِيمَةِ أَهْلِ بَرْزَاخَةَ يَقُولُونَ : نَدْخُلُ فِيمَا خَرَجْنَا مِنْهُ . فَبَايَعَهُمْ عَلَى مَا بَايَعَ عَلَيْهِ أَهْلَ الْبَرْزَاخَةِ مِنْ أَسَدٍ وَغَطَفَتَانِ وَطَيْئٍ قَبْلَهُمْ . وَأَعْطَوْهُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ . وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَسَدٍ وَلَا غَطَفَتَانِ وَلَا هَوَازِنَ وَلَا سُلَيْمٍ وَلَا طَيْئٍ إِلَّا أَنْ يَأْتَوْهُ بِالَّذِينَ حَرَقُوا وَمَثَلُوا وَعَدُوا عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي حَالِ رَدَّتِهِمْ . فَأَتَوْهُ بِهِمْ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ إِلَّا قَرَّةَ بْنَ هُبَيْرَةَ وَنَفَرًا مَعَهُ أَوْثَقَهُمْ ، وَمَثَلَ بِالَّذِينَ عَدَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ ؛ فَأَحْرَقَهُمُ بِالنِّيرَانِ وَرَضَّخَهُمُ بِالْحِجَارَةِ . وَرَى بِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ ، وَنَكَسَهُمْ فِي الْآبَارِ ، وَخَزَقَ بِالنَّبَالِ ^(٧) . وَبَعَثَ بِقَرَّةٍ وَبِالْأَسَارِيِّ ، وَكُتِبَ

(١) لافئها ، أى اجتمع إليها واختلط بها . (٢) الخوص : الحياطة .

(٣) ز : « رجل » . (٤) انتسفهم : اختلهم .

(٥) س : « منهم » . (٦) س : « بمثل » .

(٧) خزق بالنبال : رى فأنصاب .

إلى أبي بكر : إن بني عامر أقبلت بعد إعراض ، ودخلت في الإسلام بعد تربص^(١) ؛ وإنني لم أقبل من أحد قاتلني أو سألني شيئاً حتى يجيئوني بمن عدا على المسلمين ؛ فقتلتهم كل قتل ، وبعثت إليك بقرّة وأصحابه .

حدثنا السري ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن نافع ، قال : كتب أبو بكر إلى خالد : ليبرّدك ما أنعم الله به عليك خيراً ، وانتق الله في أمرك ؛ فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ١٩٠١/١ جدّ في أمر الله ولا تبسّين ، ولا تنظفرن بأخذ قتل^(٢) المسلمين إلا قتلته ونكلت به غيره ؛ ومن أحببت من حادّ الله أوضاده^(٣) ؛ ممن ترى أن في ذلك صلاحاً فاقتله . فأقام على البرأحة شهراً يصعد عنها ويصوب ، ويرجع إليها في طلب أولئك ؛ ففهم من أحرّق ، ومنهم من قمطه ورضخه بالحجارة ؛ ومنهم من رمى به من رؤوس الجبال . وقدم بقرّة وأصحابه ، فلم يزلوا ولم يُقبل لهم كما قيل لعيسىّة وأصحابه ؛ لأنهم لم يكونوا في مثل حالهم ؛ ولم يفعلوا فعلهم

قال السري : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ، قالوا : واجتمعت فلان غطفان إلى ظفر ، وبها أم زمّل سلمى ابنة مالك بن حذيفة بن بدر ؛ وهي تشبه بأمها أم قرفة بنت ربيعة بن فلان بن بدر ؛ وكانت أم قرفة عند مالك بن حذيفة ، فولدت له قرفة ، وحكمة ، وجراشة ، وزملاً ، وحسيناً ، وشريكاً ، وعبداً ، وزفر ، ومعاوية ، وحكمة ، وقيساً ، ولأياً ؛ فأما حكمة فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أغار عيينة بن حصن على سرح المدينة ، قتله أبو قتادة ؛ واجتمعت تلك الفلّال إلى سلمى ؛ وكانت في مثل عز^(٤) أمها ، وعندها جمل أم قرفة ؛ ١٩٠٢/١ فزّلوا إليها فدمرتهم ، وأمرتهم بالحرب ، وصعدت سائرة فيهم وصوبت ، تدعوهم إلى حرب خالد ، حتى اجتمعوا لها^(٥) ، وتشجعوا على ذلك ، وتأنّب^(٦) إليهم الشرداء من كل جانب - وكانت قد سبيت أيام

(١) بعد تربص ؛ أي بعد توقف وتلبث . (٢) ز : « من المسلمين »

(٣) ب : « صاده » . (٤) س : « عزم » .

(٥) س : « إليها » . (٦) تأنّب إليهم الشرداء : التجنّوا .

أم قِرْقَة ، فوقعت لعائشة فأعتقتها ، فكانت تكون عندها ، ثم رجعت إلى قومها ؛ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليهن يوماً ، فقال إن إحداكن تستنبح كلاب الحوُب ؛ ففعلت سَلَمَى ذلك حين ارتدت ؛ وطلبت بذلك الثَّار ، فسيرت فيما بين ظَفَر والحوُب ؛ لتجمع إليها ، فتجمع إليها كُلُّ قَلٍّ^(١) ومُضَيِّقٌ عليه من تلك الأحياء من غَطَفَان وهَوَازِن وسُلَيم وأسد وطَبِيٍّ ، فلما بلغ ذلك خالداً - وهو فيما هو فيه من تتبع الثَّار ، وأخذ الصدقة ودعاء الناس وتسكينهم - سار إلى المرأة وقد استكثف أمرها ، وغلظ شأنها ؛ فنزل عليها وعلى جُمَاعِهَا^(٢) ، فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ وهى واقفة على جَمَلِ أُمِّهَا ، مثل عزّها ، وكان يقال : من نخس جملها فله مائة من الإبل لعزّها ، وأبيرت يومئذ بيوتات من جاس^(٣) - قال أبو جعفر : جاس حتى من غَنَمٍ - وهاربة ، وغَنَمٌ ، وأصيب في أناس من كاهِلٍ ، وكان قتالهم شديداً ؛ حتى اجتمع على الجمل فوارس فقروه وقتلوا . ١٩٠٣/١ وقتل حول جملها مائة رجل ؛ وبعث بالفتح ، فقدم على أثر قِرْقَة بنحو من عشرين ليلة .

قال السرى : قال شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ، قالا : كان من حديث الجوّاء وناعير ، أن الفجاءة إياس بن عبدياليل قدّم على أبي بكر ، فقال : أعنتى بسلاح ، ومُرّنى بمن شئت من أهل الرّدة ؛ فأعطاه سلاحاً ، وأمره أمره ، فخالف أمره إلى المسلمين ؛ فخرج حتى ينزل بالجوّاء ، وبعث نجبة^(٤) بن أبي الميثاء من بنى الشريد ، وأمره بالمسلمين ؛ فشنتها غارة على كلّ مسلم في سُلَيم وعامر وهوازن ؛ وبلغ ذلك أبا بكر ، فأرسل إلى طرّيفة بن حازم يأمره أن يجمع له وأن يسير إليه ؛ وبعث إليه عبد الله بن قيس الجاسى عوناً ؛ ففعل ، ثم نهضوا إليه وطلباه ؛ فجعل يلوذ منهما حتى لقيّياه على الجوّاء ؛ فاقتتلوا ، فقتل نجبة ، وهرب الفجاءة ، فلحقه طرّيفة فأسره . ثم بعث به إلى أبي بكر ، فقدم به على أبي بكر ، فأمر فأوقد له ناراً في مصلى المدينة على حطب كثير ، ثم رمى به فيها مقموطاً .

(١) القل : الجماعة المهزومون . (٢) س : « جماعها » .

(٣) ط : « خاسى » ، وانظر تصويبات ط . (٤) ابن الأثير : « نجبة » .

قال أبو جعفر : وأمّا ابنُ حُميد ؛ فإنه حدّثنا في شأن الفُجاءة عن سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : قدِم على أبي بكر رجلٌ من بني سليم ، يقال له الفُجاءة ؛ وهو إياس بن عبد الله بن عبد باليل بن عُميرة بن خُفّاف ، فقال لأبي بكر : إني مسلم ؛ وقد أردت جِهادَ مَنْ ارتدَّ من الكُفّار ، فأحملني وأعني ؛ فحمله أبو بكر على ظَهْر ، ١٩٠٤/١ وأعطاه سلاحاً ، فخرج يستعرض الناس : المسلم والمُرتد ، يأخذ أموالهم ، ويصيب مَنْ امتنع منهم ؛ ومعه رجلٌ من بني الشَّريد ، يقال له : نجبة بن أبي الميثاء ، فلما بلغ أبا بكر خبره ، كتب إلى طريفة بن حاجر : إنَّ عدو الله الفُجاءة أتاني يزعمُ أنه مسلم ، ويسألني أنْ أقويه على مَنْ ارتدَّ عن الإسلام ، فحملته وسلّحتُه ، ثم انتهى إلى من يقين الخبر أنَّ عدو الله قد استعرض الناس : المسلم والمُرتد يأخذ أموالهم ، ويقتل مَنْ خالفه منهم ، فسرَّ إليه بمن معك من المسلمين حتّى تقتله ، أو تأخذه فتأيسَّي به . فسار طريفة بن حاجر ، فلما التقى الناس كانت بينهم الرَّمِيَّ بالنبل ، فقتل نجبة بن أبي الميثاء بسهم رُمي به ، فلما رأى الفُجاءة من المسلمين الجِدَّ قال لطريفة : والله ما أنت بأولى بالأمر مِنِّي ، أنت أميرٌ لأبي بكر وأنا أميره . فقال له طريفة : إن كنت صادقاً فضع السلاح ، وانطلق معي إلى أبي بكر . فخرج معه ، فلما قد ما عليه أمر أبو بكر طريفة بن حاجر ، فقال : أخرج به إلى هذا البقيع فحرّقه فيه بالنار ؛ فخرج به طريفة إلى المصلّى فأوقد له ناراً ، فحرقه فيها ، فقال خُفّاف بن نُدْبَة — وهو خُفّاف بن عمير — يذكر الفُجاءة ، فيما صنع :

لَمْ يَأْخُذُوا سِلَاحَهُ لِقِتَالِهِ وَلِذَا كُنْمْ عِنْدَ الْإِلَهِ أَثَامٌ^(١)
لَا دِينَهُمْ دِينِي وَلَا أَنَا مِنْهُمْ^(٢) حَتَّى يَسِيرَ إِلَى الصَّرَاةِ شَامُ

١٩٠٥/١

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : كانت سليم بن منصور قد انتقض بعضهم ، فرجعوا كُفّاراً ، وثبت بعضهم على الإسلام مع أمير كان لأبي بكر عليهم ،

(١) الأصمعيات ٢١ . (٢) كذا في س ، وفي ط : « ولا أنا فانت » وفي الأصمعيات « كافر » .

يقال له معن بن حاجر ، أحد بني حارثة ، فلما سار خالد بن الوليد إلى طليحة وأصحابه ، كتب إلى معن بن حاجر أن يسير بمن ثبت معه على الإسلام من بني سليم مع خالد ، فسار واستخلف على عمله أخاه طريفة ابن حاجر ، وقد كان لحق فيمن لحق من بني سليم بأهل الردة أبو شجرة ابن عبد العزى ، وهو ابن الخنساء ، فقال :

فلو سألت عنا غداة مُرامٍ^(١) كما كنتُ عنها سائلا لو نأيتها^(٢)
لقاء بني فِهْرٍ وكان لقاءهم غداة الجِواء حَاجةً فقضيتها
صبرتُ لهم نَفْسِي وعَرَّجْتُ مُهْرَتِي على الطَّعْنِ حتى صار وَرْدًا كَمِيتُها
إذا هي صَدَّتْ عن كَيْيَ أُریده عَدَلْتُ إِلَيْهِ صَدْرُها فهديتها

فقال أبو شجرة حين ارتدت عن الإسلام :

صَحَا القلبُ عن مَيِّ هَواءٍ وأَقْصَرا وطَوَّعَ فيها العاذِلين فابْصَرا
وأصبح أدنى رائدِ الجَهلِ والصِّبا كما وُدُّها عَنَّا كذاك تَقْصِيرًا
وأصبح أدنى رائدِ الوصلِ منهمُ كما جَبَلُها من جَبَلنا قد تَبَرَّرا
ألا أيَّها المُدلي بكثرةِ قومه وحظُّك منهم أن تُضَامَ وتُفْهَرا
سَلِ الناسَ عَنَّا كلَّ يومٍ كَرِهَةً إذا ما التَقينا : دارِ عَيْنٍ وحُسْرا
أَلَسْنا نُعاطِي ذا الطَّماحِ لجامَهُ ونَطْعنُ في الهِجاءِ إذا الموتُ أَفْقَرا !
وعاضِرَةٌ شَبابه تَخْطُرُ بِالقِنا ترى البُلُقَى في حافاتها والسَّنورا^(٣)
فَرَوَيْتُ رُحْمِي من كَتِيبَةِ خالِدٍ وإني لأَرْجو بعدها أن أَعْمَرا

١٩٠٦/١

ثم إن أبا شجرة أسلم ، ودخل فيما دخل فيه الناس ، فلما كان زمن عمر بن الخطاب قدم المدينة . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أنس السلمي ، عن رجال من قومه . وحدثنا السري قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن سهل وأبي يعقوب ومحمد بن مرزوق ،

(١) ياقوت ٣ : ١٥٥ ، وروايته : « غداة لقائنا » . وانظر الإصابة : ٤ : ١٠١ .

(٢) ب : « إذ نأيتها » . (٣) السنور : كل سلاح من حديد .

وعن هشام، عن أبي مَخْنَف، عن عبدالرحمن بن قيس السلمي، قالوا:
فأناخ ناقته بصعيد بن قريظة. قال: ثم أتى عمر وهو يعطى المساكين من
الصدقة ويقسمها بين فقراء العرب، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطني فإني
ذو حاجة، قال: ومن أنت؟ قال: أبو شجرة بن عبد العزى السلمي،
قال: أبو شجرة! أي عدو الله، ألسن الذي تقول: *

فرويتُ رمحي من كتيبة خالدٍ وإني لأرجو بعدها أن أعمراً
قال: ثم جعل يعلوه بالدرة في رأسه حتى سبقه عدواً، فرجع إلى ناقته
فارتحلها، ثم أسندها في حرة شوران راجعاً إلى أرض بني سليم، فقال:

ضنّ علينا أبو حفصٍ بنائله	وكلُّ مُخْتَبِطٍ يوماً له ورقٌ ^(١)
ما زال يُرْهقني حتى خذيت له ^(٢)	وحال من دون بعض الرغبة الشفق
لما رهبتُ أبا حفصٍ وشُرطته	والشيخُ يفرغ أحياناً فينحني
ثمّ أزعجتُ إليها وهي جانحة	مثل الطريدة لم ينبت لها ورق ^(٣)
أوردتها الخلل من شوران صادرة	إني لأزري عليها وهي تنطلق ^(٤)
تطيرُ مرواً بان عن مناسمها	كما تنوقد عند الجهيد الورق
إذا يعارضها خرقٌ تعارضه	ورهاء فيها إذا استعجلتها خرق
ينوء آخرها منها بأولها	سرحُ اليمين بها نهضة العنق ^(٥)

ذكر خبر

بني تميم وأمر سجاح بنت الحارث بن سويد

وكان من أمر بني تميم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفّي وقد
فرق فيهم عماله؛ فكان الزبير بن بدر على الرباب وعوف والأبناء - فيما

(١) الحبط: ضرب ورق الشجر حتى ينحى عنه؛ ثم يستخلف من غير أن يضر ذلك بأصل
الشجرة وأغصانها. وفي الإصابة: «قد ضنّ عنا». (٢) س: «رهبت». (٣) أزعجت إليها: راقبتها ونظرت إليها. والطريدة: أصل العنق.
(٤) حرة شوران، من حرار الحجاز، معروفة. (٥) في البيت إقواء.

ذكر السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصعب بن عطية بن بلال ، عن
 أبيه وسهم بن منجاب - وقيس بن عاصم على مُقْسَعِيسَ والبُطُونِ ، وصفوان ١٩٠٩/١
 ابن صفوان وسبيرة بن عمرو على بن عمرو ؛ هذا على بهندى وهذا على خَضَمَ -
 قبيلتين^(١) من بني تميم - ووکیع بن مالك ومالك بن زُويرة على بنى حنظلة ؛ هذا
 على بنى مالك ، وهذا على بنى يربوع . فضرب صفوان إلى أبى بكر حين
 وقع إليه الخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم بصدقات بنى عمرو ، وما ولى
 منها وبما ولى سيرة ، وأقام سيرة في قومه لحدث إن ناب القوم ، وقد أطرق قيس ينظر
 ما الزبرقان صانع . وكان الزبرقان متعتباً^(٢) عليه ، ولما جامله إلا مزقه
 الزبرقان بحوثته وجده . وقد قال قيس وهو ينتظر لينظر ما يصنع ليخالفه
 حين أبطأ عليه : واويلنا^(٣) من ابن العُكْلِيّة ! والله لقد مزقنى فما أدري ما أصنع !
 لئن أنا تابعت أبا بكر وأتيته بالصدقة لينحرنها في بنى سعد فليسودننى فيهم ،
 ولئن نحرتها في بنى سعد ليأتين أبا بكر فليسودننى عنده . فعزم قيس على
 قسمها في المقاعس والبطن ، ففعل . وعزم الزبرقان على الوفاء ، فاتبع صفوان
 بصدقات الرّباب وعوف والأبناء حتى قدّم بها المدينة ، وهو يقول ويُعَرِّض ١٩١٠/١
 بقيس :

وفيت بأذوادِ الرُّسول وقد أبت سعاة فلم يردّدْ بعيراً مُحْجِرُها^(٤)

وتحلّل الأحياء ونشب الشرّ ، وتشاغلو وشغّل بعضهم بعضاً . ثم ندم
 قيس بعد ذلك ، فلما أظلمه العلّاء بن الحضرميّ أخرج صدقتها ؛ فتلّقاه بها ؛
 ثم خرج معه ، وقال في ذلك :

ألا أبْلِغَا عَنِّي قريشاً رسالةً إذا ما أتتها بيناتُ الودائع^(٥)

فتشاغلت في تلك الحال عوف والأبناء بالبُطُونِ : والرّباب بمقاعس ، وتشاغلت
 خَضَمَ بمالك وبهندى يربوع ؛ وعلى خَضَمَ سبيرة بن عمرو ، وذلك الذى
 حلّفه عن صفوان والحصين بن نيار على بهندى ، والرّباب ؛ عبد الله بن صفوان

(١) ب والنویری : « قبيلتان » . (٢) س : « مبيعاً » .

(٣) ب ، س : « يا ويلتنا » . (٤) الإصابة ١ : ٥٢٤ برواية مخالفة .

(٥) الأغاني في ١٤ : ٧٥ (طبعة دار الكتب) .

على ضبّة . وعيصمة بن أبيسر على عبد مناة . وعلى عوف والأبناء عوف بن البلاد ابن خالد من بني غنم الحشمي ، وعلى البطون سيعر بن خفاف ؛ وقد كان ثمامة ابن أثال تأتيه أمداد من بني تميم ؛ فلما حدث هذا الحدث ^(١) فيما بينهم تراجعوا إلى عشائرهم ، فأضّر ذلك بثامة بن أثال حتى قدم عليه عكرمة وأنضه ؛ فلم يصنع شيئاً ؛ فبينما الناس في بلاد تميم على ذلك ، قد شغل بعضهم بعضاً ؛ فسلمهم بإزاء من قدّم رجلاً وأخر أخرى وتربّص . وإبزاء من ارتاب ، فجيئتهم سجاح بنت الحارث قد أقبلت من الجزيرة . وكانت ورهطها في بني تغلب تقود أفناء ربيعة ، معها الهذيل بن عمران في بني تغلب ، وعقّة ابن هلال في النمر . وتاد ^(٢) بن فلان في إياد . والسليل بن قيس في شيبان . فأتاهم أمر دهمي . هو أعظم مما فيه الناس ، لهجوم سجاح عليهم . ولما هم فيه من اختلاف الكلمة . والتشاغل بما بينهم . وقال عفيف بن المنذر في ذلك :

ألم يأتيك والأنباء تسرى بما لاقت سرّاة بني تميم
تدّعى من سراتهم رجالٌ وكانوا في الذّوائب والصّميم
والجّوهم وكان لهم جنابٌ إلى أحياء خالية وخيم

وكانت سجاح بنت الحارث بن سويد بن عصفان - هي وبنو أبيها عصفان - في بني تغلب ، فتنبت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجزيرة في بني تغلب . فاستجاب لها الهذيل . وترك التنصر ؛ وهؤلاء الرؤساء الذين أقبلوا معها لتغزو بهم أبا بكر . فلما انتهت إلى الحزن راسلت مالك بن نويرة ودعته إلى المودة ، فأجابها . وفتأها ^(٣) عن غزوها . وحملها على أحياء من بني تميم . قالت : نعم ، فشأنك بمن رأيت ، فإني إنما أنا امرأة من بني يربوع ، وإن كان ملك فالملك ملّكم . فأرسلت إلى بني مالك بن حنظلة تدعوهم إلى المودة . فخرج عطار بن حاجب وسروات بني مالك حتى نزلوا في بني العنبر على سبرة بن عمرو هرباً قد كرهوا ما صنع وكيع .

(١) ب : « الحديث » .

(٢) ط : « زياد » . وهر أبو عدى بن وتاد الإيادي . وانظر تاريخ الطبري .

(٣) فتأها : كفها .

٩٤٤ . ٩٩٦ - طبع أوربا .

وخرج أشباههم من بني يربوع ؛ حتى نزلوا على الحصين بن نيار في بني مازن ، وقد كرهوا ما صنع مالك ؛ فلما جاءت رسلها إلى بني مالك تطلب الموادة ، أجاها إلى ذلك وكيع ، فاجتمع وكيع ومالك وسجاح ، وقد وادع بعضهم بعضاً ، واجتمعوا على قتال الناس وقالوا : بمن نبدا ؟ بخصم ، أم ببهدي ، أم بعوف والأبناء ، أم بالرباب ؟ وكفوا عن قيس لما رأوا من تردده وطمعوا فيه ، فقالت : « أعدوا الركب ، واستعدوا للنهاب ؛ ثم أغبروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب » .

قال : وصمدت^(١) سجاح للأحفار حتى تنزل بها ، وقالت لهم : إن الله هناه حجاز بني تميم ؛ ولن تعدوا الرباب ؛ إذا شداها المصاب ، أن تلوذ بالدجاني والدهاني ؛ فلينزها بعضهم . فتوجه الحفول - يعني مالك بن نؤيرة - إلى الدجاني فترها ؛ وسمعت بهذا الرباب فاجتمعوا لها ؛ ضبتهَا وعبد مناتها ، فولى وكيع وبشر بن بكر من بني ضبة ، وولى ثعلبة بن سعد بن ضبة عقّة ، وولى عبد مناة الهذيل . فالتقى وكيع وبشر وبنو بكر من بني ضبة ، فهزما ، وأسیر سماعة ووكيع وقعقاع ، وقتلت قلى كثيرة ؛ فقال في ذلك قيس بن عاصم ؛ وذلك أول ما استبان فيه الندم^(٢) :

كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ سَمَاعَةَ إِذْ غَزَا^(٣) وَمَا سُرَّ قَعْقَاعٌ وَخَابَ وَكَيْعٌ^(٤)
رَأَيْتُكَ قَدْ صَاحَبْتَ ضَبَّةً كَارَهَا عَلَى نَدَبٍ فِي الصَّفْحَتَيْنِ وَجِيعٌ^(٥)
وَمُطْلَقٌ أُمْرِي كَانَ حَقًّا مَسِيرُهَا^(٦) إِلَى صَخْرَاتٍ أُمْرُهُنَّ جَمِيعٌ

فصرفت سجاح والهذيل^(٧) وعقّة بني بكر ، للموادة التي بينها وبين وكيع - وكان عقّة خال بشر - وقالت : اقتلوا الرباب ويصالحونكم ويطلقون أسراكم ، وتحملون^(٨) لهم دماءهم ؛ وتحمد غباً رأيهم أخراهم . فأطلقت

(١) صمدت : قصدت . (٢) بعدها في س : « إبعاداً لضبة » .

(٣) س : « غزوا » . (٤) س : « سرّ قعقاعا » .

(٥) س : « للصفحتين » . (٦) ز : « مبرها » .

(٧) س : « الهذيل » بدون واو . (٨) س : « ويحملون » .

لهم ضبّة الأسرى ؛ وودّوا القتلى ، وخرجوا عنهم . فقال في ذلك قيس
يُعيّرهم صلح ضبّة ، إسعاداً لضبّة وتأنيساً لهم . ولم يدخل في أمر سجاح
عمري ولا سعدى ولا ربى ؛ ولم يطمعوا من جميع هؤلاء إلا في قيس ؛ حتى
بدا منه إسعاد ضبّة ؛ وظهر منه الندم . ولم يُمالِشْهُمْ من حظلة إلا وكيع
ومالك ؛ فكانت ممالاتهما موادعةً على أن ينصر بعضهم بعضا ، ويحتاز
بعضهم إلى بعضهم ؛ وقال أصم التيمي في ذلك :

أَتَنَّا أُخْتُ تَغْلِبُ فَاسْتَهَدَتْ جَلَابَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي أُبَيْنَا
وَأَرْسَتْ دَعْوَةً فِينَا سَفَاهَا وَكَانَتْ مِنْ عَمَائِرِ آخِرِينَا
فَمَا كُنَّا لَنَرْزِيَهُمْ زِبَالًا وَمَا كَانَتْ لَتُسَلِّمَ إِذْ أَتَيْنَا
أَلَا سَقَيْتُ حُلُومَكُمْ وَضَلَّتْ عَشِيَّةَ تَحْشُدُونَ لَهَا بُيُنَا

قال : ثمّ إن سجاح خرجت في جنود الجزيرة^(١) ، حتى بلغت النّجّاج ؛
فأغار عليهم أوس بن خزيمة الهُجيميّ فيمن تأشّب إليه من بني عمرو ،
فأسير الهذيل ؛ أسره رجل من بني مازن ثمّ أحد بني وبر ، يدعى ناشرة .
وأسير عقة ؛ أسره عبدة الهجيمي ؛ وتهاجزوا على أن يترادّوا الأمرى ،
وينصرفوا عنهم ، ولا يجتازوا عليهم ؛ ففعلوا ، فردّوها وتوثّقوا عليها وعليهما ؛ أن
يرجعوا عنهم ، ولا يتخذوهم طريقاً إلا من ورائهم . فوفوا^(٢) لهم ؛ ولم يزل في
نفس الهذيل على المازني ؛ حتى إذا قُتل عثمان بن عفّان ، جمع جمعاً فأغار
على سقّار ، وعليه بنو مازن ؛ فقتلته بنو مازن ورّموا به في سقّار .

ولمّا رجع الهذيل وعقة إليها واجتمع رؤساء أهل الجزيرة قالوا لها : ما تأمريننا ؟
فقد صالح مالك وو كيع قومهما ؛ فلا ينصروننا ولا يزيدوننا على أن نجوز
في أرضهم ، وقد عاهدنا هؤلاء القوم . فقالت : اليمامة ؛ فقالوا : إن شوكة
أهل اليمامة شديدة ؛ وقد غلظ أمر مسيلمة ؛ فقالت : « عليكم باليمامة ؛

(١) بعدها في س : « تريد المدينة » .

(٢) ب : « فوقفوا » .

١٩١٦/١

ودفعوا دَفِيفَ الحمامة ؛ فإنها غزوة صَرَّامة ؛ لا يلحقكم بعدها ملامة .
 فَتَنَهَدَتْ لَبْنِي حَنيفة ؛ وبلغ ذلك مسيلمة فهابها ؛ وخاف إن هو شغل
 بها أن يغلبه ثُمَامَةُ على حَجَرٍ أو شَرَحِيلٍ ^(١) بن حَسَنَةَ ، أو القِبَائِلَ التي
 حولهم ، فأهدى لها ؛ ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها .
 فَنَزَلَتِ الجنود على الأمواه ، وأذِنَتْ له وآمَنَتْهُ ؛ فجاءها وافداً في أربعين
 من بني حَنِيفَةَ - وكانت راسخةً في النَّصْرَانِيَّةِ ، قد علمت من علم نصارى
 تغلب - فقال مُسَيْلِمَةُ : لَنَا نِصْفُ الْأَرْضِ ؛ وكان لقريش نصفها لو عدلت ؛
 وقد رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ النِّصْفَ الَّذِي رَدَّتْ قُرَيْشٌ ؛ فَحَبَّأَكَ ^(٢) به ، وكان لها
 لو قبلت . فقالت : « لَا يَرَدُّ النِّصْفَ إِلَّا مَنْ حَنَفَ » ^(٣) ، فأحمل
 النِّصْفَ إِلَى خَيْلٍ تَرَاهَا كَالسَّهَفِ ^(٤) . فقال مسيلمة : « سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ سَمِعَ ،
 وَأَطْمَعُهُ بِالْخَيْرِ إِذْ طَمَعُ ؛ وَلَا زَالَ أَمْرُهُ فِي كُلِّ مَا سَرَّ نَفْسَهُ يَجْتَمِعُ . رَأَى كَمْ
 رَبُّكُمْ فَحِيَّاءَكُمْ ، وَمَنْ وَحْشَةٌ خَلَّاءَكُمْ ؛ وَيَوْمَ دَبَّتْ أَنْجَاكُمْ . فَأَحْيَاكُمْ عَلَيْنَا مِنْ
 صَلَوَاتِ مَعْشَرِ أَزْرَارٍ ، لَا أَشْقِيَاءَ وَلَا فَجَّارٍ ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيَصُومُونَ النَّهَارَ ، لِرَبِّكُمْ
 الْكِبَارِ . رَبُّ الْغُيُومِ وَالْأَمْطَارِ » .

وقال أيضاً : « لَمَّا رَأَيْتُ وُجُوهَهُمْ حَسُنْتَ ، وَأَبْشَارَهُمْ ^(٥) صَفَتْ ، وَأَيْدِيَهُمْ
 ١٩١٧/١ طَفَلَتْ ^(٦) . قلت لهم : لَا النِّسَاءُ تَأْتُونَ ، وَلَا الْخَمْرُ تَشْرَبُونَ ؛ وَلَكِنْ كُنْتُمْ مَعْشَرَ
 أَزْرَارٍ ، تَصُومُونَ يَوْمًا ، وَتَكْلِفُونَ يَوْمًا ؛ فَسُبْحَانَ اللَّهِ ! إِذَا جَاءَتْ الْحَيَاةُ كَيْفَ
 تَحْيَوْنَ ، وَإِلَى مَلِكِ السَّمَاءِ تَرْقَوْنَ ! فلو أنها حَبَّةُ خَرْدَلَةٍ ^(٧) ، لَقَامَ
 عليها شهيد يعلم ما في الصدور ، ولأكثر الناس فيها الثُّبُورُ » .
 وكان ممَّا شَرَعَ لَهُمْ مُسَيْلِمَةُ أَنْ مِنْ أَصَابٍ وَلَدَبًا وَاحِدًا عَقِبًا ^(٨) لَا يَأْتِي

(١) ابن الأثير : « وشرحيل » . (٢) ز س : « فحباك » .

(٣) حنف : مال .

(٤) السهف : فلول السك الصغار ، أرادت أنها هزيلة .

(٥) س : « وأبصارهم » .

(٦) طفلت : صارت طفلة ؛ أى ناعمة .

(٧) س : « خردل » .

(٨) ابن الأثير : « ذكرأ » .

امرأة إلى أن يموت ذلك الابن فيطلب الولد ؛ حتى يصيب ابنا ثم يمسيك ؛ فكان قد حرّم النساء على من له ولد ذكر .

« » « »

قال أبو جعفر : وأمّا غير سيف ومن ذكرنا عنه هذا الخبر ؛ فإنه ذكر أن مسيلمة لما نزلت به سجاح . أغلق الحصن دونها ، فقالت له سجاح : انزل ، قال : فنجي عنك أصحابك . ففعلت . فقال مسيلمة : اضربوا لها قبةً وجسمروها لعلها تذكر الباه ؛ ففعلوا ، فلما دخلت القبة نزل مسيلمة فقال : ليقيفها هنا عشرة ، وها هنا عشرة ؛ ثم دارسها ، فقال : ما أوحى إليك ؟ فقالت^(١) : هل تكون النساء يبتدنن ! ولكن أنت قل ما أوحى إليك ؟ قال : « ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق^(٢) وحشى^(٣) » . قالت : وماذا أيضاً ؟ قال : أوحى إلى : « أن الله خلق النساء أفراجا ، وجعل الرجال لهن أزواجا ؛ فنولج فيهن فعنسا^(٤) إيلاجا ، ثم نُخرِجُها إذا نشاء إخراجا ، فينتجن لنا سخالا إنتاجا » . قالت : أشهد أنك نبي ، قال : هل لك أن أتزوجك فأكل بقوى وقومك العرب ! قالت : نعم ، قال :

ألا قومي إلى النيك فقد هي لك المصجع
وإن شئت في البيت وإن شئت في المخدع
وإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

(١) ط : « وقالت » : وأثبت ما في ب ، س .

(٢) الصفاق : الجلد الأيمن الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر .

(٣) بعد ما في الأغاني : « من بين ذكر وأنثى ، وأموات وأحيا ، ثم إلى ربهم يكون المنتهى » .

(٤) في الأغاني : « الغراميل » ؛ وهو بمعناها . وفي ط : « فعسا » ، بالفاء ؛ تصحيف .

قالت : بل به أجمع ، قال بذلك ^(١) أوحى إلى ^(٢) . فأقامت عنده ثلاثاً
ثم انصرفت إلى قومها ، فقالوا : ما عندك ؟ قالت : كان على الحق فاتبعته
فترجته ، قالوا : فهل أصدقتك شيئاً ؟ قالت : لا ، قالوا : ارجعي ^(٣) إليه ،
فقبیح بمثلك أن ترجع بغير صداق ! فرجعت ، فلما رآها مسيلمة أغلق
الحصن ، وقال : مالك ؟ قالت : أصدقني صداقاً ، قال : من مؤذنتك ^(٤) ؟
١٩١٩/١ قالت : شبث بن ربعي الرِّبَاحي ، قال : على به . فجاء فقال : ناد
في أصحابك أن مسيلمة بن حبيب رسول الله قد وضع عنكم صلاتين ممّا
أتاكم به محمد : صلاة العشاء الآخرة وصلاة الفجر .
قال : وكان من أصحابها الزُّبرقان بن بدر وعطارد بن حاجب
ونظرواؤهم .

-- وذكر الكلبي أن مشيخة بني تميم حدثوه أن عامّة بني تميم
بالرَّمْل لا يصلونهما - فانصرفت ومعهما أصحابها ، فيهم الزُّبرقان .
وعطارد بن حاجب ، وعمرو بن الأهتم ، وغيلان بن خرّشة ، وشبث
ابن ربعي ، فقال عطارد بن حاجب :
أُمِسْتُ نَبِيَّتَنَا أَنْتَى نُطِيفُ بِهَا وَأَصْبَحَتْ أَنْبِيَاءَ النَّاسِ ذُكْرَانَا ^(٥)
وقال حكيم بن عيَّاش الأعور الكلبي ، وهو يعير مضر بسجاح .
ويذكر ربيعة :

أَتَوْكُم بِدِينٍ قَائِمٍ وَأَتَيْتُمْ مِمَّنْ سَخَّ الْأَيَاتُ فِي مُصْحَفٍ طَبَّ ^(٦)

« * * »

(١) ب : « بذلك » .

(٢) الخبر إلى هنا في الأغاني ١٨ : ١٦٥ ، ١٦٦ (ساسي) ، وفيه : « فواقها فلما قام عنها
قالت : إن مثل لا يجرى أمرها هكذا فيكون وصمة على قومي ؛ ولكي مسلمة النبوة إليك ، فاططبي إلى
أولياي يزوجوك ، ثم أقود تميما مملوك ، فخرج وخرجت معه ؛ فاجتمع الحيان من حنيفة و تميم ، فقالت
لهم سبحاح : إنه قرأ على ما أنزل عليه فوجدته حقاً ، فاتبعته . ثم خطبها فزوجوه إياها ، وسألوه عن المهر .
فقال : قد وضعت عنكم صلاة العصر ؛ فبنو تميم إلى الآن بالرَّمْل لا يصلونها . ويقولون : هذا حق
لنا . ويهر كريمة منا لا نردّه » .

(٣) س : « فارجمي » . (٤) س : « دونك » .

(٥) الأغاني : « أضحت نبيتنا » .

(٦) س : « بمنسلخ » .

رجع الحديث إلى حديث سيف . فصالحها على أن يحمل إليها النصف من غلات اليمامة ، وأبت إلاّ السنة المقبلة يُسلّتها^(١) ؛ فباح لها بذلك ؛ ١٩٢٠/١ وقال : خلّفتي على السلف منّ يجمعه لك ، وانصرفي أنت بنصف العام ؛ فرجع فحمل إليها النصف ، فاحتملته وانصرفت به إلى الجزيرة ، ونخلّفت التهذيل وغفّة وزباداً لينجز النصف الباقي ؛ فلم يفجأهم إلاّ دُنُو خالد بن الوليد منهم ؛ فارفضوا . فلم تزل سجاج في بني تغلب ؛ حتى نقلهم^(٢) معاوية عام الجماعة في زمانه ؛ وكان معاوية حين أجمع^(٣) عليه أهل العراق بعد على عليه السلام يُخرج من الكوفة المستغرب في أمر على ، ويُنزّل داره المستغرب في أمر نفسه من أهل الشام وأهل البصرة وأهل الجزيرة ؛ وهم الذين يقال لهم النواقل^(٤) في الأمصار ؛ فأخرج من الكوفة قعقاع بن عمرو بن مالك إلى إيليا بفلسطين ، فطلب إليه أن ينزل منازل بني أبيه بني عُقْشان ، وينقلهم إلى بني تميم ، فنقلهم من الجزيرة إلى الكوفة ، وأنزلهم منازل القعقاع وبني أبيه^(٥) ؛ وجاءت معهم وحسن إسلامها^(٦) ؛ وخرج الزبرقان والأقرع إلى أبي بكر ، وقالوا : اجعل لنا خراج البحرين ونضمن لك ألاّ يرجع من قومنا أحد ، ففعل وكتب الكتاب . وكان الذي يختلف بينهم طلحة بن عبيد الله وأشهدوا شهوداً منهم عمر . فلما أتى عمر بالكتاب فنظر فيه لم يشهد ، ثم ١٩٢١/١ قال : لا والله ولا كرامة ! ثم مرّق الكتاب ومحاها ، فغضب طلحة ، فأتى أبا بكر ، فقال : أأنت الأمير أم عمر ؟ فقال : عمر ؛ غير أن الطاعة لي . فسكت .

وشهداً مع خالد المشاهد كلّها حتى اليمامة ، ثم مضى الأقرع ومعه شُرّجبل إلى دومة^(٧) .

• • •

(١) ز : « بسلّتها » .

(٢) ب : « نقلهم » . (٣) ز : « اجتمع » .

(٤) ب : « النواقل » . (٥) ب : « أمية » .

(٦) ز : « إسلامهم » . (٧) ز : « دومة الجندل » .

ذكر البطّاح وخبره

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصّعب بن عطية بن بلال ، قال : لما انصرفت سجاج إلى الجزيرة ، ارعوى مالك بن نؤيرة ، وندم وتحير في أمره ، وعرف وكيع وسماعة قبّح ما أتيا ، فرجعا رجوعاً حسناً ، ولم يتجبرا ، وأخرجوا الصدقات فاستقبلا بها خالداً ؛ فقال خالد : ما حملكما على موادة هؤلاء القوم ؟ فقالا : ثأرٌ كنّا نطلبه في بني ضبّة ؛ وكانت أيام تشاغل وفرض ، وقال وكيع في ذلك :

فلا تحسباً أئى رجعتُ وأنى مُنعتُ وقد تُحنى إلى الأصابع^(١)
ولكننى حاميتُ عن جلّ مالكٍ ولا حظتُ حتى أكلحتنى الأخادع^(٢) ١٩٢٢/١
فلما أتانا خالدٌ بليوانه تخطتُ إليه بالبطّاح الودائعُ
ولم يبق في بلاد بني حنظلة شيء يكره إلا ما كان من مالك بن نؤيرة ومن
تأشب إليه بالبطّاح ؛ فهو على حاله متحيرٌ شج .

كتب إلى السريّ ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم وعمرو بن شعيب ، قالوا : لما أراد خالد السّير خرج من ظفر ، وقد استبرأ أسداً وغطفاناً وطيثاً وهوازن ؛ فسار يريد البطّاح دون الحزن ؛ وعليها مالك بن نؤيرة ، وقد تردّد عليه أمره ، وقد تردّدت الأنصار على خالد وتخلّفت عنه ، وقالوا : ما هذا بعهد الخليفة إلينا ! إن الخليفة عهد إلينا إن نحن فرغنا من البزّاخة ، واستبرأنا بلاد القوم أن نقيم حتى يكتب إلينا . فقال خالد : إن يك عهد إليكم هذا فقد عهد إلى أن أمضى ، وأنا الأمير وإلى تنتهى الأخبار . ولو أنّه لم يأتني له كتاب ولا أمر ؛ ثم رأيت فرصة ؛ فكنت إن أعلمته فاتتني لم أعلمه حتى أنتهزها ؛ كذلك لو ابتلينا بأمر ليس منه^(٣) ١٩٢٣/١

(١) ياقوت ٢ : ٢١٥ .

(٢) ياقوت : « أكلحتنى » .

(٣) ب : « فيه » .

عهد إلينا فيه لم^(١) ندع أن نرى أفضل ما بحضرتنا^(٢) ، ثم نعمل به . وهذا مالك بن نويرة بجيالتنا ، وأنا قاصد إليه ومن معي من المهاجرين والتابعين بإحسان ؛ ولست أكرهكم^(٣) . ومضى خالد ، وندمت الأنصار ، وتذامروا^(٤) ، وقالوا : إن أصاب القوم خيراً فإنه لخير حُرمتوه ، وإن أصابتهم مصيبة ليجتنبنكم الناس . فأجمعوا اللحاق بخالد وجرّدوا إليه رسولا ؛ فأقام عليهم حتى لحقوا به ؛ ثم سار حتى قدم البطاح فلم يجد به أحداً^(٥) .

قال أبو جعفر : فيما كتب به إلى السريّ بن يحيى ، يذكر عن شعيب ابن إبراهيم أنه حدثه عن سيف بن عمر ، عن خزيمة بن شجرة العُصفانيّ ، عن عثمان بن سويد ، عن سويد بن المثعبة^(٦) الرّياحيّ : قال : قدم خالد ابن الوليد البطاح فلم يجد عليه أحداً ، ووجد مالكا^(٧) قد فرقههم في أموالهم ، ١٩٢٤/١ ونهّاهم عن الاجتماع حين تردّد عليه أمره ، وقال : يا بنيّ يربوع ؛ إننا قد كنا عصينا أمراءنا إذ دعونا إلى هذا الدين ، وبطّأنا الناس عنه فلم نُفلح ولم نُنجح ، وإنّي قد نظرت في هذا الأمر ، فوجدت الأمر يتأتّى لهم بغير سياسة ، وإذا الأمر لا يسوسه الناس ؛ فليأتكم ومناواة قوم صنع لهم : ففترقوا إلى دياركم وادخلوا في هذا الأمر . ففترقوا على ذلك إلى أموالهم ، وخرج مالك حتى رجع إلى منزله . ولما قدم خالد البطاح بثّ السرايا وأمرهم بداعية الإسلام أن يأتوه بكلّ من لم يُجيب ، وإن امتنع أن يقتلوه ؛ وكان ممّا أوصى به أبو بكر : إذا نزلتم منزلاً فأذّنوا وأقيموا ؛ فإن أذن القوم وأقاموا فكفّوا عنهم ؛ وإن لم يفعلوا فلا شيء إلاّ الغارة ؛ ثم اقتلوهم كلّ قتيلة ؛ الحرق فما سواه ؛ وإن^(٨)

(١) س : « فلم » . (٢) ابن الأثير : « ما يحضرنا » .

(٣) الأغاني : « أكرههم » .

(٤) تذامروا : حض بعضهم بعضاً .

(٥) الخبر في الأغاني ١٥ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ (طبعة دار الكتب) .

(٦) الأغاني : « المثعبة » .

(٧) الأغاني : « مالك بن نويرة » .

(٨) الأغاني : « فإن » .

أجابوكم إلى داعية الإسلام فسائلوهم ؛ فإن أقرؤا بالزكاة فاقبلوا^(١) منهم ؛ وإن أبَوْها فلا شيء إلا الغارة ولا كلمة . فجاءته الخيل بمالك بن نويرة في نفر معه من بني ثعلبة بن يربوع ، من^(٢) عاصم وعبيد وعرين وجعفر ، فاختلفت^(٣) السرية فيهم ، وفيهم أبو قتادة ؛ فكان فيمن شهد أنهم قد أذتوا وأقاموا وصلّوا . فلمّا اختلفوا فيهم أمر بهم فحبسوا^(٤) في ليلة باردة لا يقوم لها شيء ؛ وجعلت تزداد برّداً ، فأمر خالدٌ منادياً فنادى : « أدفئوا أسراكم » ، وكانت في لغة كنانة إذا قالوا^(٥) : دثّروا الرجل فأدفتوه ، دَفِئَتْه قتله وفي لغة غيرهم : أدفّيه فاقبله ، فظنّ القوم - وهى في لغتهم القتل - أنه أراد القتل ، فقتلوهم ، فقتل ضرارُ بن الأزور مالكا ، وسمع خالد الواعية^(٦) : فخرج وقد فرغوا منهم ، فقال : إذا أراد الله أمراً أصابه .

وقد اختلف القوم فيهم ، فقال أبو قتادة : هذا عملك ، فزبره خالد فغضب وبغى ، حتى أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر ؛ حتى كلّمه عمر فيه ، فلم يرض إلا أن يرجع إليه ، فرجع إليه حتى قدم معه المدينة ، وتزوج^(٧) خالدٌ أم تميم ابنة المنهال^(٨) ، وتركها لينقض طهرها ، وكانت العرب تكره النساء في الحرب وتعايرهن ، وقال^(٩) عمر لأبي بكر . إن في سيف خالد رهقاً ، فإن لم يكن هذا حقاً ، حق^(١٠) عليه أن تقيده ؛ وأكثر عليه في ذلك - وكان أبو بكر لا يقيد من عماله ولا وزعيته^(١١) - فقال : هيه يا عمر ! تأول فأخطأ ، فارتفع لسانك عن خالد . وودى مالكا وكتب إلى خالد أن يقدم عليه ، ففعل ، فأخبره خبرته ،

(١) الأغاني : « قبلتم » . (٢) الأغاني : « ومن بني عاصم » .

(٣) الأغاني : « واختلفت » .

(٤) الأغاني : « أمر بحبسهم » .

(٥ - ٥) الأغاني : « دافأنا الرجل وأدفتوه ، فذلك معنى : اقتلوه ، من الدف » .

(٦) الواعية : الحيلة والصراخ على الميت ونعيه .

(٧) الأغاني : « وكان قد تزوج » .

(٨) المنهال بن عصمة الرياحي ؛ وهو الذي كفن مالكا في ثوبيه .

(٩) الأغاني : « فقال » .

(١٠) الأغاني : « وحق عليه أن تقيده » .

(١١) الوزعة : أصحاب السلطان .

فَعَذَرَهُ وَقَبِلَ مِنْهُ ، وَعَتَفَهُ فِي التَّزْوِيجِ الَّذِي كَانَتْ تَعِيبُ عَلَيْهِ الْعَرَبُ مِنْ ذَلِكَ ^(١) وَكَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبَ ، عَنْ سَيْفَ ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : شَهِدَ قَوْمٌ مِنَ السَّرِيَّةِ أَنَّهُمْ أَذْنَوْا وَأَقَامُوا وَصَلُّوا ، فَفَعَلُوا مِثْلَ ذَلِكَ . وَشَهِدَ آخَرُونَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ ، فَفَعَلُوا . وَقَدَّمَ أَخُوهُ مَتَمَّ بْنَ نُؤَيْرَةَ يَتَشُدُّ أَبَا بَكْرٍ دَمَهُ ، وَيَطْلُبُ إِلَيْهِ فِي سَبَبِهِمْ ؛ فَكَتَبَ لَهُ بَرْدَ السَّبْيِ ، وَالْحَاجَّ عَلَيْهِ عَمْرٌ فِي خَالِدٍ أَنْ يَعْزِلَهُ ، وَقَالَ : إِنْ فِي سَيْفِهِ رَهَقًا . فَقَالَ : لَا يَا عَمْرُ ؛ لَمْ أَكُنْ لِأَشِيمٍ سَيْفًا سَلَّهَ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ^(٢) .

كَتَبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبَ ، عَنْ سَيْفَ ، عَنْ خُزَيْمَةَ ، عَنْ عُمَانَ ، عَنْ سُؤَيْدَ ، قَالَ : كَانَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ شَعْرًا ؛ ١٩٢٧/١ وَإِنْ أَهْلَ الْعَسْكَرِ أَثَقُوا بِرُءُوسِهِمْ ^(٣) الْقُدُورَ . فَمَا مِنْهُمْ رَأْسٌ إِلَّا وَصَلَتْ النَّارُ إِلَى بَشَرَتِهِ مَا خِلَا مَالِكًا ، فَإِنَّ الْقُدْرَ نَضَجَتْ وَمَا نَضِجَ رَأْسُهُ مِنْ كَثَرَةِ شَعْرِهِ ، وَقَتَّى ^(٤) الشَّعْرُ الْبَشَرَةَ حَرًّا ^(٥) أَنْ يَبْلُغَ مِنْهُ ذَلِكَ . وَأَنْشَدَهُ مَتَمُّ ؛ وَذَكَرَ خَمَصَةَ ^(٦) ؛ وَقَدْ كَانَ عَمْرٌ رَأَى مَقْدَمَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَكْذَاكَ يَا مَتَمُّ كَانَ ! قَالَ : أَمَّا مَا أَعْنَى فَنَعَمْ ^(٧) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ ؛ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ مِنْ عَهْدِهِ إِلَى جِيوشِهِ : أَنَّ إِذَا غَشِيَتْ دَارًا مِنْ دُورِ النَّاسِ فَسَمِعَتْ فِيهَا أَذَانًا لِلصَّلَاةِ ، فَأَمْسَكُوا عَنْ أَهْلِهَا حَتَّى تَسْأَلُوهُمْ مَا الَّذِي نَقِمُوا ! وَإِنْ لَمْ تَسْمَعُوا أَذَانًا ، فَشُتُّوا الْغَارَةَ ، فَاقْتُلُوا ^(٨) ، وَحَرَّقُوا .

(١) الْأَغَانِي ١٥ : ٣٠٠ - ٣٠٢ (٢) الْأَغَانِي ١٥ : ٣٠٢ .

(٣) أَثَقَ الْقُدْرَ تَأْثِيقًا : وَضَعَهَا عَلَى الْأَثَاقِ ، يُرِيدُ أَنَّهُمْ جَعَلُوا رُءُوسَهُمْ أَثَاقًا لِلْقُدُورِ .

(٤) الْأَغَانِي : « وَوَقَى » . (٥) الْأَغَانِي : « مِنْ حَرِّ النَّارِ » .

(٦) فِي الْأَغَانِي : « يَعْنِي قَوْلَهُ : »

لَقَدْ كَفَّنَ الْمُنْهَالُ تَحْتَ رِدَائِهِ قَتَى غَيْرَ مِبْطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا

فَقَالَ : أَكْذَاكَ كَانَ يَا مَتَمُّ ؟ قَالَ : أَمَّا مَا أَعْنَى فَنَعَمْ .

(٧) الْأَغَانِي ١٥ : ٣٠٢ ، ٣٠٣ . (٨) الْأَغَانِي : « وَاقْتُلُوا » .

وكان ممن شهد لمالك بالإسلام أبو قتادة الحارث بن ربعي أخو بني سلمة ، وقد كان عاهد الله ألا يشهد مع خالد بن الوليد حرباً أبداً بعدها ؛ وكان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل ، فأخذ القوم السلاح . قال : فقلنا : إننا المسلمون ، فقالوا : ونحن المسلمون ، قلنا : فما بال السلاح معكم ! قالوا لنا : فما بال السلاح معكم ! قلنا : فإن كنتم كما تقولون فضعوا السلاح ، قال : فوضعوها ؛ ثم صليتنا وصلوا . وكان خالد يعتذر في قتله أنه قال له وهو يراجع : ما إخال صاحبكم ^(١) إلا وقد كان يقول كذا وكذا . قال : أو ما تعدّه لك صاحباً ! ثم قدّمه فضرب عنقه وأعناق أصحابه ، فلما بلغ قتلهم عمر بن الخطاب ، تكلم فيه عند أبي بكر فأكثر ، وقال : عدو الله عدداً على امرئ مسلم فقتله ، ثم نرّا على امرأته !

وأقبل خالد بن الوليد قافلاً حتى دخل المسجد وعليه قباء له عليه صدأ الحديد ، معتجراً بعمامة له ، قد غرز في عمامته أسنهما ؛ فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانتزع الأسنهم من رأسه فحطّمها ، ثم قال : أريئنا ! قتلت امرأة مسلماً ، ثم نزوت على امرأته ! والله لأرجمنك بأحجارك — ولا يكلمه خالد بن الوليد ، ولا يظن إلا أن رأى أبي بكر على مثل رأى عمر فيه — حتى دخل على أبي بكر ، فلما أن دخل عليه أخبره الخبر ، واعتذر إليه فعذره أبو بكر ، وتجاوز عنه ما كان في حربه تلك . قال : ففخر خالد حين رضى عنه أبو بكر ، وعمر جالس في المسجد ، فقال : هلم إلى يا بن أم شملة ! قال : فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه ، ودخل بيته .

وكان الذي قتل مالك بن نويرة عبد بن الأزور الأسدي ^(٢) . وقال ابن الكلبي : الذي قتل مالك بن نويرة ضرار بن الأزور .

* * *

(١) بعدها في الأغاني : « يعني النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٢) الأغاني ١٥ : ٣٠٣ ، ٣٠٤ .

ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كان أبو بكر حين بعث عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة وأتبعه شُرْحَبِيلَ عَجَلْ عكرمة ، فبادر شُرْحَبِيلَ ليذهب بصوتها^(١) فواقعهم ، فنكبه ، وأقام شُرْحَبِيلَ بالطريق حيث أدركه الخبر ؛ وكتب عكرمة إلى أبي بكر بالذي كان^(٢) من أمره ، فكتب إليه أبو بكر : يا بن أمّ عكرمة ، لا أرينك ولا تراني على حالنا ! لا ترجع فتوهين الناس ؛ امض على وجهك حتى تساند حَذِيفَةَ وعَرْفَجَةَ فقاتلْ معهما أهلَ عُمَانَ ومَهْرَةَ ، وإن شغلا فامضِ أنت ، ثم تسير وتسير جندك تستبرئون^(٣) من مررتهم به ؛ حتى تلتقوا أنتم والمهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت .

١٩٣٠/١

وكتب إلى شُرْحَبِيلَ يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره ، ثم كتب إليه قبل أن يوجه خالدًا بأيام إلى اليمامة : إذا قدم عليك خالدٌ ، ثم فرغتم إن شاء الله فالحق بقضاعة ؛ حتى تكون أنت وعمرو بن العاص على من أبى منهم وخالف . فلمّا قدم خالدٌ على أبي بكر من البطحاء رضى أبو بكر عن خالد ، وسميع عذره وقبيل منه وصدقه ورضى عنه ، وجهه إلى مسيلمة وأوعب معه الناس . وعلى الأنصار ثابت بن قيس والبراء بن فلان ، وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد ، وعلى القبائل ؛ على كل قبيلة رجل . وتعجّل خالد حتى قدّم على أهل العسكر بالبطحاء ، وانتظر البعث الذي ضرب بالمدينة ؛ فلمّا قدّم عليه نهض حتى أتى اليمامة وبنو حنيفة يومئذ كثير .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن رجال ، قالوا : كان عددُ بني حنيفة يومئذ أربعين ألف مقاتل ؛ في قرأها

(١) س : « بصوتها » . (٢) ابن الأثير : « بالخبر » .

(٣) ب : « تستبرئون » .

وَحُجِّرَها ، فسار خالد حتى إذا أظلم عليهم أسندَ خيولاً لعقّة والهذيل
وزياد ؛ وقد كانوا أقاموا على خَرْجٍ أخرجته لهم مُسَيْلِمة ليلحقوا به سجاح .
وكتب إلى القبائل من تميم فيهم ؛ فنفروهم حتى أخرجوهم من جزيرة العرب ،
وعجّل شُرْحِيل بن حسنة ، وفعل فعل عكرمة ، وبادر خالدًا بقتال ١٩٣١/١
مُسَيْلِمة قبل قدوم خالد عليه ؛ فنكِب ، فحاجَزَ^(١) ؛ فلمّا قدم عليه خالد
لامَهُ ؛ وإنّما أسند خالد تلك الخيول مخافة أن يأتوه من خلفه ؛ وكانوا
بأفنيّة اليمامة .

كتب إلى المريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن سعيد بن
ثابت . عمّن حدّثه ، عن جابر بن فلان ، قال : وأمّد أبو بكر خالدًا
بسليط ؛ ليكون ردءًا له من أن يأتيه أحدٌ من خلفه ؛ فخرج ؛
فلمّا دنا من خالد وجد تلك الخيول التي انتابت تلك البلاد قد فرّقوا ؛
فهرّبوا ؛ وكان منهم قريباً ردءاً لهم ؛ وكان أبو بكر يقول : لا أستعمل أهل
بدر ؛ أدعهم حتى يلقوا الله بأحسن أعمالهم ؛ فإنّ الله يدفع بهم وبالصلحاء
من الأمم أكثر وأفضل ممّا ينتصر^(٢) بهم ؛ وكان عمر بن الخطاب يقول :
والله لأشركنهم وليؤاسننى .

كتب إلى المريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم ،
عن عبيد بن عمير ؛ عن أثال الحنّى - وكان مع ثمامة بن أثال - قال : وكان
مُسَيْلِمة يصانِع كلّ أحد ويتألّفه^(٣) ولا يبالي أن يطلع الناس منه على قبيح ؛
وكان معه نهار الرّجال بن عُنْفُوّة ، وكان قد هاجر إلى^(٤) النبيّ صلّى الله
عليه وسلّم ؛ وقرأ القرآن ؛ وفقه في الدين . فبعثه مُعلّمًا لأهل اليمامة
وليشغّب على مُسَيْلِمة ، وليشدد^(٥) من أمر المسلمين ؛ فكان أعظم فتنة على
بنى حنيفة من مُسَيْلِمة ؛ شهد له أنّه سمع محمدًا صلّى الله عليه وسلّم
يقول : إنه قد أشرك معي ؛ فصدّقه واستجابوا له ، وأمروه بمكاتبة النبيّ صلّى الله

(١) حاجز عدوه بحاجزة : منعه .

(٢) ب : « ما ينتظر » . (٣) ب : « يتابعه » .

(٤) ز : « مع » . (٥) س : « وليسد » .

عليه وسلّم ، ووعدوه إن هو لم يقبل أن يُعينوه عليه ؛ فكان نهار
الرجّال بن عصفوة لا يقول شيئاً إلاّ تابعه عليه ؛ وكان ينتهى إلى
أمره ، وكان يؤذن للنبيّ صلى الله عليه وسلّم ، ويشهد في الأذان أنّ
محمدًا رسول الله ؛ وكان الذي يؤذن له عبد الله بن النّوّاحه ، وكان
الذى يُقيم له حُجَيْر بن عُمَيْر ، ويشهد له ، وكان مسيلمه إذا دنا
حُجَيْر من الشهادة ، قال : صرّح حُجَيْر ؛ فيزيد في صوته ،
ويبالغ لتصديق نفسه ، وتصديق نهار وتضليل من كان قد أسلم ؛ فعظّم
وقارّه في أنفسهم .

قال : وضرب حرّمًا باليمامة ، فنهى عنه ؛ وأخذ النّاس به ، فكان مُحَرّمًا
فوقع في ذلك الحرّم قُرَى الأحاليف ؛ أفخاذ من بني أسيّد ، كانت دارهم
باليمامة ؛ فصار مكان دارهم في الحرّم — والأحاليف : سيّحان ونمارة ونمر
والخارث بنو جرّوة — فإنّ أخصبوا أغاروا على ثمار أهل اليمامة ، واتّخذوا
الحرّم دغلاً^(١) ، فإنّ نذروا بهم فدخلوه أحجموا عنهم ؛ وإنّ لم ينذروا بهم
فذلك ما يريدون . فكثّر ذلك منهم حتى استعَدّوا عليهم ؛ فقال : أنتظر
الذى يأتي من السماء فيكم وفيهم . ثم قال لهم : « والليل الأطحم »^(٢) ، والذّئب
الأدلم^(٣) . والجندع الأزلم^(٤) ، ما انتهكت أسيّد من مُحَرّم ؛ فقالوا : أما
مَحْرَم استحلال الحرّم وفساد الأموال ! ثم عادوا للغارة ، وعادوا للعدوى^(٥)
فقال : أنتظر الذى يأتي ، فقال : « والليل الدّامس ، والذّئب الهامس »^(٦) ،
ما قطعت أسيّد من رطب ولا يابس ؛ فقالوا : أمّا النخيل مُرطبة فقد
جدّوها^(٧) ، وأمّا الجدران يابسة فقد هدموها ؛ فقال : اذهبوا وارجعوا
فلا حقّ لكم .

وكان فيما يقرأ لهم فيهم : « إنّ بني تميم قوم طهر لِقَاح »^(٨) ، لا مكروه

(١) الدغل : ما استترت به .

(٢) الطحمة : سواد الليل .

(٣) الأدلم : الأسود الغويل .

(٤) الجذع الأزلم : الدهر .

(٥) العدوى : العدوان .

(٦) الذّئب الهامس : الشديد .

(٧) جدوها : قطعوها .

(٨) قوم لقا ح : لم يدينوا للملوك ولم يصعبهم مباء .

عليهم ولا إتاوة ، نجاورهم ما حيننا بإحسان ، نمنعهم من كلّ إنسان ؛ فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن .

وكان يقول : « والشاء وألوانها ، وأعجبها السود وألوانها . والشاة السوداء واللبن الأبيض ، إنه لعجب محض ، وقد حرّم المذق ، فما لكم لا تمتنعون ! » .
وكان يقول : « يا ضفدع ابنة ضفدع ، نَقَى ما تَنَقَّى ، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكذّرين » .

١٩٣٤/١

وكان يقول : « والمبذّرات زَرَعًا ، والحاصدات حَصَدًا ، والذاريات قمحًا ، والطاحنات طحْنًا ، والحابزات خُبْزًا ، والثارذات ثَرْدًا ^(١) . واللاقمات لقمًا . إهالة وسمنًا ، لقد فضّلْتُم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المَدَر ؛ ريفكم فامنعوه . والمعتَر ^(٢) فأووه ، والباغي فناوئوه » .

قال : وأنته امرأة من بني حنيفة تكنى بأمّ الهيثم فقالت : إنّ نخلنا لسُحِقَ ^(٣) وإنّ آبارنا لجُرُرُ ^(٤) ؛ فادع الله لماثنا ولنخلنا ^(٥) كما دعا محمد لأهل هَزَمَانَ . فقال : يا نَهَارُ ^(٦) ما تقول هذه ؟ فقال : إنّ أهل هَزَمَانَ أتوا محمداً صلى الله عليه وسلّم فشكّوا بَعْدَ ماثِم ^(٧) ؛ - وكانت آبارهم جُرُزًا - ونخلهم أنّها سُحِقَ . فدعا لهم فجاشت آبارهم ، وانحسّرت كلّ نخلة قد انتهت حتى وضعت جيرانها لانتهاؤها ، فحكّت ^(٨) به الأرض حتى أنشبت عروقاً ثم قَطِعت من دون ذلك . فعادت فسيلاً ^(٩) مكمّماً ينمي صاعداً ^(١٠) . قال : وكيف صنع بالآبار ؟ قال : دَعَا بِسَجَل ^(١١) ، فدعا لهم فيه .

١٩٣٥/١

(١) ثرد الخبز ثردا : فته ثم يله يمزق . (٢) ز : وابن الأثير : « والمعي » .

(٣) سحق : جمع سحق . وهي الطويلة من النخل .

(٤) ياقوت : « جُرُز » ، والجُرُز : الأرض المجدبة .

(٥) ب : « ونخلنا » .

(٦) ياقوت : « فقال لرحال بن عوف » .

(٧) ياقوت : « مياهم » .

(٨) ياقوت : « فحكّت » .

(٩) الفسيل : صغار النخل ؛ وجمعه فسلان .

(١٠) ياقوت : « صعدا » .

(١١) السجل : الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء قل أو كثير ، ولا يقال لها سجل إذا كانت فارغة

ثم تَمَضَضَ بِفَمِهِ ^(١) منه ، ثم مَجَّ فِيهِ ، فانطلقوا به حتى فرغوه في تلك الآبار ، ثم سَقَوْهُ نخلهم ، ففعل النبي ^(٢) ما حدثتك ، وبقي الآخر إلى انتهائه . فدعا مُسَيْلِمَةَ بدلوا من ماء فدعا لهم فيه ، ثم تَمَضَضَ مِنْهُ ، ثم مَجَّ فِيهِ فنقلوه فأفرغوه في آبارهم . فغارت مياه تلك الآبار ، ونحوى نخلهم ؛ وإنما استبان ذلك بعد مهلكه ^(٣) .

وقال له نهار : بَرَّكَ عَلَى مولودى بنى حنيفة ^(٤) ، فقال له : وما التبريك ؟ قال : كان أهل الحجاز إذا ولد فيهم المولود أتوا به محمداً صلى الله عليه وسلم فحنَّكه ومسح رأسه ؛ فلم يؤت مسيلمه بصبي فحنَّكه ومسح رأسه إلا قرع ^(٥) ولشيع ^(٦) واستبان ذلك بعد مهلكه .

وقالوا : تَتَّبَعَ حِطَّانَهُمْ كما كان محمد صلى الله عليه وسلم يصنع فصل فيها . فدخل حائطاً ^(٧) من حوائط اليمامة ، فتوضأ ، فقال نهار لصاحب الحائط : ما يمنعك من وضوء ^(٨) الرحمن فتسقي به حائطك حتى يروى ويبتل ، كما صنع بنو المهرية ، أهل بيت من بنى حنيفة - وكان رجل من المهرية قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ وضوءه فنقله معه إلى اليمامة فأفرغه في بئر ، ثم نزع وسقى ، وكانت أرضه تهوم فرويت وجزأت فلم تُلَفْ إلا خضرَاء مهتزة - ففعل فعادت يساباً لا ينبت مرعاها .

وأناه رجلٌ فقال : ادْعُ الله لأرضي فإنَّها مُسْبِخَةٌ ؛ كما دعا محمد صلى الله عليه وسلم لسلمي على أرضه . فقال : ما يقول يا نهار ؟ فقال :

(١) كذا في ياقوت ، وفي ط : « بغم » .

(٢) كذا في ياقوت ، وفي ط : « النبي » .

(٣) ياقوت ٨ : ٤٦٩ .

(٤) ابن الأثير : « أمر يدك على أولاد بنى حنيفة » .

(٥) القراع : ذهاب الشعر عن شدة البرد . كالتصعق . أو التدمية .

(٦) اللقيح : تحول اللبن من لبن إلى ماء ، أو من لبن إلى لبن .

(٧) الحائط هنا : اليمامة .

(٨) الوضوء ، بالتفتح : الماء يتروا به .

قدم عليه سلمى ، وكانت أرضه سبخة فدعا له ، وأعطاه سَجَلًا من ماء ،
ومَجَّ له فيه ، فأفرغه في بئرهِ ، ثم نزع ، فطابت وعدُّبَتْ ؛ ففعل مثل ذلك
فانطلق الرَّجُلُ ، ففعل بالسَّجَلِ كما فعل سلمى ، ففرقت أرضه ، فما
جفَ ثراها ، ولا أدرك ثمرها .

وأنته امرأة فاستجلبته إلى نَحْلٍ لها يدعو لها فيها ، فجزت كبائسها^(١)
يوم عَقْرَبَاءَ كُلِّهَا ؛ وكانوا قد غلموا واستبان لهم ؛ ولكن الشَّقَاءُ غلبَ عليهم .
كتب إلى السريّ ، قال : حدثنا شُعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْدِ بْنِ
ذُفْرَةَ النَّمَرِيّ ، عن عمير بن طلحة النَّمَرِيّ ، عن أبيه ، أَنَّهُ جَاءَ الْيَمَامَةَ ،
فقال : أَيْنَ مُسَيْلِمَةَ ؟ قالوا : مه رسول الله ! فقال : لا ، حتَّى
أراه ؛ فَلَمَّا جَاءَهُ ، قال : أنت مسيلمة ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ يَأْتِيكَ ؟
قال : رحمن ، قال : أُنَى نور أو في ظلمة ؟ فقال : في ظلمة ، فقال : أشهد
أَنَّكَ كَذَابٌ^(٢) وَأَنَّ مُحَمَّدًا صَادِقٌ ؛ وَلَكِنْ كَذَّابٌ رَبِيعَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ
صَادِقٍ مُضَرٍّ ، فقتل معه يوم عَقْرَبَاءَ .

١٩٣٧/١

كتب إلى السريّ ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن الكلبي مثله ؛ إِلَّا
أَنَّهُ قَالَ : كَذَّابٌ رَبِيعَةٌ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ كَذَّابٍ مُضَرٍّ .

وكتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعمى .
عن عبيد بن عمير ، عن رجل منهم ، قال : لما بلغ مسيلمة دنوًا خالداً ،
ضرب عسكره بعقرباء ، واستنفر الناس ، فجعل النَّاسُ يخرجون إليه ،
وخرج مَجَّاعَةٌ بن مُرَّارَةَ في سَرِيَّةٍ يَطْلُبُ ثَأْرًا لَهُ فِي بَنِي عَامِرٍ وَبَنِي تَمِيمٍ
قَدْ خَافَ فَوَاتِهِ ، وَبَادِرَ بِهِ الشَّغْلَ ، فَأَمَّا ثَأْرُهُ فِي بَنِي عَامِرٍ فَكَانَتْ خَوْلَةً
ابْنَةُ جَعْفَرٍ فِيهِمْ ، فَمَنَعُوهُ مِنْهَا ، فَاخْتَلَجَهَا ؛ وَأَمَّا ثَأْرُهُ فِي بَنِي تَمِيمٍ فَتَمِيمٌ أَخَذُوا
لَهُ . وَاسْتَقْبَلَ خَالِدٌ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَةَ ، فَقَدَّمَهُ وَأَمَرَ عَلَى الْمَقْدَمَةِ خَالِدَ بْنَ
فُلَانٍ الْخَزَوِمِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى الْمُجَنَّبَتَيْنِ زَيْدًا وَأَبَا حُذَيْفَةَ ، وَجَعَلَ مُسَيْلِمَةَ عَلَى

(١) الكبائس : جمع كباسة ؛ وهي الملق التام بشايرجه وبسره .

(٢) ابن الأثير : « الكذاب » .

مجنَّبِيهِ المحَكَّم والرَّجَّال ، فسار خالد ومعه شُرَحْبِيل ، حتَّى إذا كان من
١٩٣٨/١ عسكر مسيلمة على ليلة ، هجم على جُبَيْلَةَ^(١) هجوم^(٢) — المقلِّل يقول :
أربعين ، والمكثَّر يقول : ستين — فإذا هو مَجَّاعَةٌ وأصحابه ، وقد غلبَهم
الكَرَى ، وكانوا راجعين من بلاد بنى عامر ، قد طَوَّأُوا إليهم ؛ واستخرجوا
خَوَلة ابنة جعفر فهي معهم ، فعرَّسوا دون أصل الثَّيَّة ؛ ثَيَّةَ اليمامة ، فوجدوهم
نياماً وأرسان خيولهم بأيديهم تحت خدودهم وهم لا يشعرون بقرب الجيش منهم ؛
فأنبَهُهم ، وقالوا : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : هذا مَجَّاعَةٌ وهذه حنيفة ، قالوا :
وَأَنْتُمْ فلا حيَّاكم الله ! فأوثقوهم وأقاموا إلى أن جاءهم خالد بن الوليد ، فأثوَّه
بهم ؛ فظنَّ خالد أنهم جاءوه ليستقبلوه وليتَّقوه بحاجته . فقال : مئى سمعتم بنا ؟
قالوا : ما شَعَرْنَا بك ؛ إِنَّمَا خرجنا لثَّار لنا فيمَنْ حولنا من بنى عامر
وتميم ، ولو فطنوا لقالوا : تلقيناك حين سمعنا بك . فأمر بهم أن يقتلوا ، فجادوا
كلَّهم بأنفسهم دُونَ مَجَّاعَةِ بن مرارة ، وقالوا : إن كنت تريد بأهل
اليمامة غداً خيراً أوشراً فاستبق هذا ولا تقتله ؛ فقتلهم خالد وحبس مَجَّاعَةَ
عنده كالرَّهينة .

كتب إلى السرى ، قال : حدَّثنا شُعَيْب ، عن سيف ، عن طلحة .
عن عِكْرَمَةَ ، عن أبى هريرة ، وعبد الله بن سَعِيد عن أبى سعيد عن
أبى هريرة ، قال : قد كان أبو بكر بعث إلى الرَّجَّال فأتاه فأوصاه بوصيَّته .
١٩٣٩/١ ثم أرسله إلى أهل اليمامة ؛ وهو يرى أَنَّهُ على الصدق حين أجابه . قال :
قال أبو هريرة : جلستُ مع النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في رهط معنا الرَّجَّال
ابن عُنْفُوَةَ ، فقال : إِنَّ فيكم لرجلاً ضِرْسُهُ في النار أعظم من أحد .
فهلك القوم وبقيت أنا والرَّجَّال ، فكنت متخوفاً لها ؛ حتَّى خرج الرَّجَّال
مع مُسَيْلِمَةَ . فشهد له بالنبوة ؛ فكانت فتنة الرَّجَّال أعظم من فتنة مُسَيْلِمَةَ .
فبعث إليهم أبو بكر خالداً ، فسار حتَّى إذا بلغ ثَيَّةَ اليمامة ، استقبل مَجَّاعَةَ
ابن مُرَّارَةَ — وكان سيّد بنى حنيفة — في جَبَلٍ^(٣) من قومه ، يريد الغارة على

(١) ب : « حيلة » . (٢) كذا في ب . وفي ط : « هجوع » .

(٣) جبل من قومه : أى جماعة منهم .

بنى عامر . ويطلبُ دماً ، وهم ثلاثة وعشرون فارساً ركبائاً قد عرسوا .
فبيّتهم خالد في معرّسهم ، فقال : متى سمعتم بنا ؟ فقالوا : ما سمعنا بكم ؛
إنما خرجنا لنشّيرَ بدم لنا في بنى عامر . فأمر بهم خالد فضربت أعناقهم ،
واسنحياً مجّاعة ؛ ثم سار إلى اليمامة ؛ فخرج مسيلمة وبنو حنيفة حين
سمعوا بخالد ، فنزلوا بعقرباء . فحلّ بها عليهم - وهى طرف اليمامة دون
الأموال - وريف اليمامة وراء ظهورهم . وقال شرحبيل بن مُسيلم : يا بنى
حنيفة ، اليومَ يومُ الغيرة ، اليوم إن هزمتم تستردفُ النساءُ سيئات ،
ويُنكحنّ غير خطيبات ^(١) ؛ فقاتلوا عن أحسابكم ، وامنعوا نساءكم . فاقتلوا
بعقرباء ، وكانت رايةُ المهاجرين مع سالم مولى أبى حذيفة ، فقالوا : نخشى
علينا من نفسك شيئاً ! فقال : بشس حامل القرآن أنا إذا ! وكانت راية
الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت العرب على راياتها ومجّاعة أسيرٌ
مع أمّ تميم في فسطاطها . فجال المسلمون جولةً ، ودخل أناس من
بنى حنيفة على أمّ تميم ، فأرادوا قتلها ، فنعها مجّاعة . قال : أنا لها جارٌ ،
فنعمت الحرّة هى ! فدفعهم عنها ، وترادّ المسلمون ، فكروا عليهم ؛ فانهمزت
بنو حنيفة ، فقال المحكم بن الطمّيل : يا بنى حنيفة ، ادخلوا الحديقة ؛
فإنى سأمنع أديباركم . فقاتلَ دونهم ساعة ثم قتله الله ؛ قتله عبد الرحمن بن
أبى بكر ؛ ودخل الكفار الحديقة ، وقتل وحشى مسيلمة . وضربه رجلٌ من
الأنصار فشاركه فيه .

١٩٤٠/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، بنحو
حديث سيف هذا ؛ غير أنه قال : دعا خالد بمجّاعة ومنّ أخذ معه حين
أصبح ، فقال : يا بنى حنيفة ، ما تقولون ؟ قالوا : نقول : متاً نبىٌ ومنكم
نبىٌ ؛ فعرضهم على السيف ؛ حتى إذا بقى منهم رجلٌ يقال له سارية بن
عامر ومجّاعة بن مُرارة ، قال له سارية : أيّها الرّجل ؛ إن كنت تريد بهذه
القرية غداً خيراً أو شراً ، فاستبقِ هذا الرجل - يعنى مجّاعة - فأمر به
خالد فأوثقه فى الحديد ؛ ثم دفعه إلى أمّ تميم امرأته ، فقال : استوصى به

١٩٤١/١

خيرًا ، ثم مضى حتى نزل اليمامة على كتيب مشرف على اليمامة ، فضرب به عسكره ، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة وقد قدم في مقدمته الرّحّال — قال أبو جعفر ، هكذا قال ابن حميد بالحاء — بن عُنْفُوَة بن نهشل ، وكان الرّحّال رجلاً من بني حنيفة قد كان أسلم ، وقرأ سورة البقرة ، فلماً قدم اليمامة شهد لمسيلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان أشركه في الأمر ؛ فكان أعظم على أهل اليمامة فتنة من مسيلمة ؛ وكان المسلمون يسألون عن الرّحّال يرجون أنه يشتم على أهل اليمامة أمرهم بإسلامه ، فلقيتهم في أوائل النَّاس متكتباً^(١) ، وقد قال خالد بن الوليد وهو جالس على سريره . وعنده أشراف الناس والنَّاس على مصافتهم ؛ وقد رأى بارقة في بني حنيفة : أبشروا يا معشر المسلمين ؛ فقد كفاكم الله أمر عدوكم . واختلف القوم إن شاء الله ؛ فنظر مجاعة وهو خلفه موثقاً في الحديد ، فقال : كلاً والله ؛ ولكنها الهند وانية خشوا عليها من تحطشها ، فأبرزوها للشمس لتلين لهم ؛ فكان كما قال . فلما التقى المسلمون كان أول من لقيتهم الرّحّال بن عُنْفُوَة ، فقتله الله .

حدثنا ابن حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن شيخ من بني حنيفة ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوماً — وأبو هريرة ورّحّال بن عُنْفُوَة في مجلس عنده : « لضيرس^(٢) أحذكم أيتها المجلس في النار يوم القيامة أعظم من أحد » . قال أبو هريرة : فضى القوم لسبيلهم . وبقيت أنا ورّحّال بن عُنْفُوَة ، فما زلت لها متخوّفاً ؛ حتى سمعت بمخرج رحّال . فأمنت وعرفت أن ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق .

ثم التقى الناس ولم يلقيهم حرب قط مثلاً من حرب العرب ؛ فاقتتل النَّاس قتلاً شديداً ؛ حتى انهزم المسلمون وخلّص بنو حنيفة إلى مجاعة وإلى خالد . فزال خالد عن قسطاطه ودخل أناس القسطاط وهي مجاعة عند أم تميم ، فحمل عليها رجل بالسيف ، فقال مجاعة : م .

(١) من . « متكتباً » . (٢) ز : « ضيرس » .

أنا لها جارٌّ ، فنعمت الحرّة ! عليكم بالرجال ، فرعبكوا^(١) الفسطاط بالسيوف . ثم إن المسلمين تداعوا ، فقال ثابت بن قيس : بشما عودّتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! اللهم إني أبرأ إليك ممّا يعبد هؤلاء - يعنى أهل الإمامة - وأبرأ إليك ممّا يصنع هؤلاء - يعنى المسلمين - ثم جالد بسيفه حتى قُتِل . وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالم : لا تحوّر بعد الرجال ، ثم قاتل حتى قُتِل . ثم قام البراءُ بن مالك أخو أنس^(٢) بن مالك - وكان إذا حضر الحرب أخذته العرواء^(٣) حتى يقعد عليه الرجال ؛ ثم يتنفّض تحتهم حتى يبول في سراويله ؛ فإذا بال يثور كما يثور الأسد - فلمّا رأى ما صنع الناس أخذه الذى كان يأخذه حتى قعد عليه الرجال . فلمّا بال وثب ، فقال : أين يا معشر المسلمين ! أنا البراءُ بن مالك ، هلمّ إلى ! وفاءت فئة من الناس فقاتلوا القوم حتى قتلهم الله ، وخلّصوا إلى مُحكمّ الإمامة - وهو مُحكمّ بن الطَّمِيل - فقال حين بلغه القتال : يا معشر بنى حنيفة ، الآن والله تُستحقّق الكرائم غيرَ رضىّات ، وينكحن غيرَ خطيبات ؛ فما عندكم من حسَب فأخرجوه . فقاتل قتالا شديداً ؛ ورماه عبد الرحمن بن أبى بكر الصّدّيق بسهم فوضعه في نحره فقتله . ثم زحف المسلمون حتى ألجّوهم إلى الحديقة : حديقة الموت ؛ وفيها عدوّ الله مُسيلمة الكذاب ، فقال البراءُ : يا معشر المسلمين ، ألقوني عليهم فى الحديقة . فقال الناس : لا تفعل يا برّاء ، فقال : والله لتطرّحنّ عليهم فيها ؛ فاحتمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار ؛ اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة ، حتى فتحها للمسلمين ، ودخل المسلمون عليهم فيها ؛ فاقتتلوا حتى قتل الله مُسيلمة عدوّ الله ؛ واشترك فى قتله وحشىٌ مولى جُبَيْر بن مطعم ورجل من الأنصار ، كلاهما قد أصابه ؛ أمّا وحشىٌ فدفن عليه حربته ، وأمّا الأنصارى فضرّبه بسيفه ، فكان وحشىٌ يقول : ربك أعلم أينما قتله !

(١) رعبكوا الفسطاط ، أى مرّكوه .

(٢) س : « أخ لأنس » .

(٣) العرواء : رعدة تصيب الإنسان ؛ وهى فى الأصل برد الحمى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن الفضل بن العباس بن ربيعة ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ، قال : سمعت رجلاً يومئذ يصرخ يقول ، قتله العبد الأسود !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عبيد بن عمير . قال : كان الرجالُ بحيالُ زيد بن الخطاب ؛ فلما دنا صفّاهما ، قال زيد : يا رجال ، الله الله ! فوالله لقد تركت الدين ، وإن الذي أدعوك إليه لأشرفُ لك ، وأكثرُ لدينك ^(١) . فأبى ، فاجتلدا فقتل الرجل وأهل البصائر من بني حنيفة في أمر مسيلمة ، فتدامروا وحمل كل قوم في ناحيتهم ؛ فجال المسلمون حتى بلغوا عسكرهم ، ثم أعزّوه لهم ، فقطعوا أطناب البيوت ، وهتكوها ، وتشاغلو بالعسكر ، وعالجوا مجاعة ؛ وهمّوا بأمة تميم ، فأجارها ، وقال : نعيم أم المشوى ! وتدامر زيد وخالد وأبو حذيفة ، وتكلم الناس - و[كان] ^(٢) يوم جنوب له غبار - فقال زيد : لا والله لا أتكلّم اليوم حتى يزعمهم أو ألقى الله فأكلّمه بحجتي ! عضّوا على أضراسكم أيها الناس ، واضربوا في عدوكم ، وامضوا قدماً . ففعلوا ، فردّوهم إلى مصافهم حتى أعادوهم إلى أبعد من الغاية التي حيزوا إليها من عسكرهم ، وقتل زيد رحمه الله . وتكلم ثابت فقال : يا معشر المسلمين ، أنتم حزبُ الله وهم أحزاب الشيطان ، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه ، أرؤفكم كما أرىكم ^(٣) ، ثم جلد فيهم حتى حازهم ^(٤) . وقال أبو حذيفة : يا أهل القرآن ، زينوا القرآن بالفعّال . وحمل فحازهم حتى أنفذهم ، وأصيب رحمه الله ، وحمل خالد بن الوليد ، وقال لحماته : لا أوتين من خلقي . حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن فضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما أعطى سالم الراية يومئذ ، قال : ما أعلمني لأى شيء أعطيتمونيها ! قلتم : صاحب قرآن وسيثبت كما ثبت صاحبها

(٢) من ز .

(١) ز « وأكبر لك » .

(٤) س : « جاوزهم أبعد مما جاوزهم » .

(٣) ز : « أراكم » .

قبله حتى مات ! قالوا : أجل . وقالوا : فانظر كيف تكون ؟ فقال : بشس والله حامل القرآن أنا إن لم أثبت ! وكان صاحبُ الراية قبله عبد الله بن حفص بن غانم .

وقال عبد الله بن سعيد بن ثابت وابن إسحاق : فلمّا قال مجاعة لبني حنيفة : ولكن عليكم بالرجال ، إذا فئة من المسلمين قد تدامروا بينهم فتفصّأوا وتفتانى المسلمون كلّهم . وتكلّم رجالٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، وقال زيد بن الخطاب : والله لا أنكلّم أو أظفر أو أقتل ، واصنعوا كما أصنع أنا ؛ فحمل وحمل أصحابه . وقال ثابت بن قيس : يشتما عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! هكذا عنّي حتى أريكم الجلال . وقُتِل زيد بن الخطاب رحمه الله .

كتب إلى السرى ، قال : حدثنا شعيب . عن سيف . عن مبشر ، عن سالم ، قال : قال عمر لعبد الله بن عمر حين رجع : ألا هلكت قبل زيد ! هلك زيد وأنت حيّ ! فقال : قد حرّصتُ على ذلك أن يكون ، ولكنّ نفسي تأخّرت ، فأكرمه الله بالشهادة . وقال سهل : قال : ما جاء بك وقد هلك زيد ؟ ألا وارىت وجهك عنّي ! فقال : سألت الله الشهادة فأعطيتها . وجهدتُ أن تساق إلى فلم أعطها .

١٩٤٦/١

كتب إلى السرى . عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة بن الأعلم . عن عبيد بن عمير : إن المهاجرين والأنصار جَبَسُوا أَهْلَ الْبُؤَادَى وَجَبَسَتْهُمْ أَهْلُ الْبُؤَادَى ، فقال بعضهم لبعض : امتازوا كي نُسْتَحْيَا مِنَ الْفِرَارِ الْيَوْمَ ، ونعرف اليوم من أين نؤتي ! ففعلوا . وقال أهلُ القرى : نحن أعلم بقتال أهل القرى يا معشر أهل البادية منكم ، فقال لهم أهل البادية : إن أهل القرى لا يحسنون القتال ، ولا يدرون ما الحرب ! فستروا إذا امتزجنا من أين يجي الخلل ! فامتازوا ، فما رُئِيَ يوم كان أحدٌ ولا أعظم نكايَةً لما رُئِيَ يومئذٍ ، ولم يُدَرَّ أَىَ الْفَرِيقَيْنِ كَانَ أَشَدَّ فِيهِمْ نَكَايَةً ! إِلَّا أَنَّ الْمَصِيبَةَ كَانَتْ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ أَكْثَرَ مِنْهَا فِي أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، وَأَنَّ الْبَقِيَّةَ أَبَدًا فِي الشَّدَّةِ . ورمى عبد الرحمن بن أبي بكر المحكمّ بسهم فقتله وهو يخطب ، فنحره

١٩٤٧/١

(١) كذا في ب ، وفي ط : « امتزجنا » .

وقَتَلَ زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ الرَّجَالَ بَنَ عُنْفُوَّةَ .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضَّحَّاك بن يربوع .
عن أبيه ، عن رجل من بني سُحَيْمٍ قد شهدا مع خالد ، قال : لمَّا اشتدَّ
القتال - وكانت يومئذٍ سَجَالًا إِنَّمَا تكون مرة على المسلمين ومرة على الكافرين -
فقال خالد : أَيُّهَا النَّاسُ امْتَازُوا ^(١) لنعلَمَ بلاء كلِّ حَيٍّ . ولنعلَمَ من أين
نُؤْتَى ! فامْتَاز أَهْلُ الْقُرَى والبوادي ، وامْتَازت القبائل من أَهل البادية وأهل
الحاضر ؛ فوقف بنو كلِّ أَب على رأيهم . فقاتلوا جميعاً . فقال أَهل
البوادي يومئذٍ : الْآنَ يَسْتَحِرُّ الْقَتْلُ فِي الْأَجْزَعِ الْأَضْعَفِ . فاستحَرَ القتل في
أهل القرى ، وثبت مسيلمة ، ودارت رحاهم عليه . فعرف خالد أَنَّهُ لَا تَرْكُدُ
إِلَّا بِقَتْلِ مَسِيلِمَةَ ؛ ولم تحفل بنوحنيفة بقتل مَنْ قتل منهم . ثم برز خالد .
حتى إِذَا كَانَ أَمَامَ الصَّفِّ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ وانتمى . وقال : أَنَا ابْنُ الْوَلِيدِ الْعَوْدِ ،
أَنَا ابْنُ عَامِرٍ وَزَيْدٍ ! . ونادى بشعارهم يومئذٍ . وكان شعارهم يومئذٍ : يَا مُحَمَّدَاهُ !
فجعل لَا يَبْرُزُ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلَهُ ، وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

أَنَا ابْنُ أَشْيَاخٍ وَسَيْفِي السَّخْتُ أَعْظَمُ شَيْءٍ حِينَ يَأْتِيكَ النَّفْتُ

وَلَا يَبْرُزُ لَهُ شَيْءٌ إِلَّا أَكَلَهُ . ودارت رحا المسلمي وطحنت . ثم نادى خالد
حين دنا من مَسِيلِمَةَ - وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ
مَعِ مَسِيلِمَةَ شَيْطَانًا لَا يَعْصِيهِ . فإِذَا اعْتَرَاهُ أَرْبَدَ كَانَ شِدْقِيهِ زَبَابَتَانِ
لَا يَهْمُ بِخَيْرٍ أَبَدًا إِلَّا صَرَفَهُ عَنْهُ . فإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهُ عَوْرَةً ؛ فَلَا تُقِيلُوهُ الْعَثْرَةَ -
فلمَّا دنا خالدٌ مِنْهُ طَلَبَ تَلْكَ . وَرَأَاهُ ثَابِتًا وَرَحَاهُمْ تَدُورُ عَلَيْهِ . وَعَرَفَ
أَنَّهَا لَا تَرُولُ إِلَّا بِزَوَالِهِ . فدعا مسيلمة طلباً لعورته . فأجابه . فعرض عليه
أشياءَ مَسَا يَشْتَهِي مَسِيلِمَةَ . وقال : إِنْ قَبِلْنَا النِّصْفَ ، فَأَيُّ الْأَنْصَافِ
تَعْطِينَا ؟ فَكَانَ إِذَا هُمْ بِحِرَابِهِ أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ مُسْتَشِيرًا ^(٢) ، فَبَيْنَاهُ ^(٣) شَيْطَانُهُ أَنْ

(١) امْتَازُوا . أَي تَفَرَّقُوا وَانْفَصَلُوا .

(٢) ب : « مُسْتَشِيرًا » . ابن الأثير : « لِيَسْتَشِيرَ شَيْطَانُهُ » .

(٣) ز : « فَبَيْنَا » .

يقبل ، فأعرض^(١) بوجهه مرة من ذلك ؛ وركبه خالد فأرهقه فأدبر ، وزالوا
فدمر خالد الناس ، وقال : دونكم لا تقيلوهم ! وركبهم فكانت
هزيمتهم ؛ فقال مسيلمة حين قام ، وقد تطاير الناس عنه ، وقال قائلون :
فأين ما كنت تعدنا ؟ فقال : قاتلوا عن أحسابكم ، قال : ونادى المحكم :
يا بني حنيفة ؛ الحديقة الحديقة ! ويأتى وحشى على مسيلمة وهو مزبد متساند
لا يعقل من الغيظ ، فخرط عليه حربته فقتله ، واقتحم الناس عليهم
حديقة الموت من حيطانها وأبوابها ، فقتل في المعركة . وحديقة الموت عشرة
آلاف مقاتل .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون ، وطلحة .
عن عمرو بن شعيب وابن إسحاق أنهم لما امتازوا وصبروا ، وانحازت
بنو حنيفة تبعهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى بلغوا بهم إلى حديقة الموت ، فاختلجوا
في قتل مسيلمة عندها ، فقال قائلون : فيها قتل ، فدخلوها وأغلقوها عليهم ،
وأحاط المسلمون بهم وصرخ البراء بن مالك ، فقال : يا معشر المسلمين ،
احملوني على الجدار حتى تطرحوني عليه ؛ ففعلوا حتى إذا وضعوه على الجدار
نظر وأرعد فنادى : أنزلوني ، ثم قال : احملوني ؛ ففعل ذلك مراراً ثم قال :
أف لهذا خشعاً ! ثم قال : احملوني ، فلمّا وضعوه على الحائط اقتحم
عليهم ، فقاتلهم على الباب حتى فتحه للمسلمين وهم على الباب من خارج
فدخلوا ؛ فأغلق الباب عليهم ، ثم رمى بالمفتاح من وراء الجدار ، فاقتلوا
قتالا شديداً لم يروا مثله ، وأبير^(٢) من في الحديقة منهم ؛ وقد قتل الله
مسيلمة ، وقالت له بنو حنيفة : أين ما كنت تعدنا ! قال : قاتلوا عن
أحسابكم !

١٩٤٩/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هارون وطلحة وابن
إسحاق ، قالوا : لمّا صرخ الصارخ أن العبد الأسود قتل مسيلمة ؛ خرج

(١) ب : « فأعرض » .

(٢) أبير : أهلك .

خالد بمجاعة يرسف في الحديد ليريه مُسيلمَة ، وأعلام جنده ، فأتى على الرجال فقال : هذا الرجال !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ المسلمون من مُسيلمَة أتى خالد فأخبر ، فخرج بمجاعة يرسف معه في الحديد ليدله على مُسيلمَة ، فجعل يكشف له القتل حتى مرَّ بمحکم بن الطُّفَّيل - وكان رجلاً جسيماً وسيماً - فلماً رآه خالد ، قال : هذا صاحبكم . قال : لا ، هذا والله خيرٌ منه وأكرم ، هذا محکم اليمامة . قال : ثم مضى خالد يكشف له القتل حتى دخل الحديقة ، فقلب له القتل ؛ فإذا رُوَيْجَل أَصَيْفَرُ أَخْيَنَسُ ^(١) . فقال مجاعة : هذا صاحبكم ، قد فرغتم منه ، فقال خالد لمجاعة : هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل ، قال : قد كان ذلك يا خالد ، وإنَّه والله ما جاءك إلا سرعان ^(٢) الناس ؛ وإن جماهير الناس لفي الحصون ^(٣) . فقال : ويلك ما تقول ! قال : هو والله الحق ، فهلم لأصالحك ^(٤) على قومي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحاك ، عن أبيه ، قال : كان رجلٌ من بني عامر بن حنيفة يدعى الأغلب بن عامر بن حنيفة ، وكان أغلظ أهل زمانه عنقاً ؛ فلماً انهزم المشركون يومئذ ، وأحاط المسلمون بهم ، تماوت ، فلماً أثبت المسلمون في القتل أتى رجلٌ من الأنصار يكنى أبا بصيرة ومعه نفرٌ عليه ، فلماً رأوه مُجدلاً في القتلى وهم يحسونه قتيلاً ، قالوا : يا أبا بصيرة ، إنك تزعم - ولم تزل تزعم - أن سيفك قاطع ، فاضرب عنق هذا الأغلب الميت ، فإن قطعت فكل شيء كان يبلغنا حق ، فاخترطه ثم مشى إليه ولا يرويه إلا ميتاً ، فلماً دنا منه ثار ،

(١) الأخينس : تصغير الأحنس ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتداع قليل في الأرنبة .

(٢) سرعان الناس ، بالتحريك ويخفف : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٣) ز : « في الحصون » .

(٤) ز : « فلأصالحك » .

فحاضره^(١)، واتَّبِعْهُ أَبُو بصيرة ، وجعل يقول : أنا أبو بصيرة الأنصاري !
وجعل الأغلب يتمطر^(٢) ولا يزداد منه إلا بُعدًا ؛ فكلَّمَا قال ذلك أبو بصيرة ،
قال الأغلب : كيف ترى عدُوَّ أخيك الكافر ! حتى أفلت .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن
القاسم بن محمد ، قال : لمَّا فرغ خالد من مُسَيْلَمَةَ والجند ، قال له عبد الله
ابن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر : ارتحل بنا وبالنَّاس فانزل على الحصون ،
فقال : دعاني أبْتُ الخيولَ فألقط^(٣) مَنْ ليس في الحصون ، ثم أرى رأيي .
فبُتَّ الخيولَ فَحَوَّوْا ما وجدوا من مال ونساء وصبيان ، فضعموا هذا إلى العسكر ،
ونادى بالرحيل لينزل على الحصون ، فقال له مجاعة : إنَّه والله ما جاءك إلا
سرَّعان النَّاس ، وإنَّ الحصون لملوءة رجالًا ، فهلمَّ لك إلى الصُّلح على
ما ورائي ، فصالحه على كلِّ شيء دون النفوس . ثم قال^(٤) : أنطلقُ إليهم
فأشاورهم وننظر في هذا الأمر ؛ ثمَّ أرجع إليك . فدخل مجاعة الحصون ،
وليس فيها إلاَّ النساء والصبيان ومشيخة فانية . ورجال ضَعْفَى^(٥) فظَاهَر
الحديد على النساء وأمرهنَّ أن ينشنَّ^(٦) شعورهنَّ ، وأن يُشْرِفْنَ على رؤوس
الحصون حتى يرجع إليهنَّ ؛ ثمَّ رجع فأتى خالدًا فقال : قد أبوا أن يُجيزوا
ما صنعتُ ، وقد أشرف لك^(٧) بعضهم نقضًا علىَّ وهم منِّي برَّاء . فنظر
خالد إلى رؤوس الحصون وقد اسودَّت ، وقد نهَكَت المسلمين الحرب ،
وطال اللقاء ؛ وأحبُّوا أن يرجعوا على الظَّفَر ، ولم يدروا ما كان كائنًا لو كانَ فيها
رجال وقتال^(٨) ، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل قصبة المدينة يومئذ
ثلثمائة وستون . قال سهل : ومن المهاجرين من غير أهل المدينة والتابعين بإحسان ثلثمائة

١٩٥١/١

(١) حاضره : جالده . (٢) تمطر : أسرع في عدوه ؛ وأصله في الخيل .

(٣) ز : « فألقط » . (٤) التويرى : « ثم قال مجاعة » .

(٥) س : « ضعفاء » . (٦) التويرى : « بنشر » .

(٧) ن : « لكم » . (٨) ب ، س : « أو قتال » .

من هؤلاء وثلاثمائة من هؤلاء ؛ ستمائة أوزيدون . وقتل ثابت بن قيس يومئذ ؛ قتله رجل من المشركين قطعت رجله ، فرمى بها قاتله فقتله . وقيل من بني حنيفة في الفضاء بعقرباء سبعة آلاف ، وفي حديقة الموت سبعة آلاف ؛ ١٩٥٢/١ وفي الطلب نحو منها^(١) .

وقال ضيرار بن الأزور في يوم اليمامة :

ولو سُئِلْتُ عَنَّا جَنُوبٌ لَأَخْبَرْتُ عَشِيَّةً سَأَلَتْ عَقْرَبَاهُ وَمَلَهُمْ^(٢)
وسال بفرع الوادِ حتى تَرَقَّرَقَتْ حِجَارَتُهُ فِيهَا مِنَ الْقَوْمِ بِالْدَمِ^(٣)
عَشِيَّةً لَا تُغْنِي الرَّمَا حُ مَكَانَهَا وَلَا النَّبْلُ إِلَّا الْمَشْرِقُ الْمُصَمَّمُ^(٤)
فَإِنْ تَبَتَّغَى الْكَفَّارَ غَيْرَ مُلِيمَةٍ جَنُوبٌ ، فَإِنِّي تَابِعُ الدِّينَ مُسْلِمٌ
أَجَاهِدُ إِذْ كَانَ الْجِهَادُ غَنِيمَةً وَلِلَّهِ بِالْمَرْءِ الْمَجَاهِدِ أَعْلَمُ

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قال مجاعة لخالد ما قال إذ قال له : فهلم لأصالحك عن قومي لرجل قد نهكته الحرب ، وأصيب معه من أشراف الناس من أصيب ؛ فقد رق وأحب الدعة والصِّلح . فقال : هلم لأصالحك^(٥) ، فصالحه على الصفراء والبَيْضَاء والحلقة ونصف السببي . ثم قال : إنني آتيت القوم فأعرض عليهم ما قد صنعت . قال : فانطلق إليهم^(٦) ، فقال للنساء : البسن الحديد ثم أشرفن على الحصون ، ففعلن . ثم رجع إلى خالد ، وقد رأى خالد الرجال فيما يرى على الحصون عليهم الحديد . فلما انتهى إلى خالد ، قال : أبوا ما صالحتك

(١) س : « مثلها » .

(٢) معجم البلدان ٦ : ١٩٤ .

(٣) في البيت إقواء .

(٤) المصم من السيوف : الذي يمر في العظام .

(٥) ز : « أصالحك » .

(٦) ز : « قال القوم » .

عليه ، ولكن^١ إن شئت صنعت [لك] ^(١) شيئاً ، فعزمتُ على القوم . قال : ما هو ؟ قال : تأخذُ مني رُبْعَ السَّبِيّ وتدعُ ربعاً . قال خالد : قد فعلت ، قال : قد صالحتُك ، فلمّا فرغاً فتحت الحصون ، فإذا ليس فيها إلّا النساء والصبيان ، فقال خالد لمجاعة : ويحك خدعتني ! قال : قومي ، ولم أستطع إلّا ما صنعت .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، قال : قال مجاعة يومئذ ثانية : إن شئت أن تقبل مني نصفَ السبّي والصفراء والبيضاء والحلقة والكراع وعزمت وكتبت الصلحَ بيني وبينك . ففعل خالد ذلك ، فصالحه على الصفراء والبيضاء والحلقة والكراع وعلى نصف السبّي وحائط من كل قرية يختاره خالد ، ومزرعة يختارها خالد . فتقاضوا على ذلك ، ثم سرّحه ، وقال : أنتم بالخيار ثلاثاً ، والله لئن تئتموا وتقبلوا لأهدن إليكم ، ثم لا أقبل منكم خصلةً أبداً إلّا القتل . فأتاهم مجاعة فقال : أمّا الآن فاقبلوا ، فقال سلامة بن عمير الحنفى : لا والله لا نقبل ؛ نبعث إلى أهل القرى والعبيد ونقاتل ولا نقاضى خالداً ، فإن الحصون حصينة والطعام كثير . والشاء قد حضّر . فقال مجاعة : إنك امرؤ مشنوم ، وغرك أتى خدعت القوم حتى أجابوني إلى الصلح ، وهل بقي منكم ^(٢) أحد فيه خير ، أو به دفع ! وإنما أنا بادرتمكم ^(٣) قبل أن يصيبكم ما قال شرحبيل بن مسيلة . فخرج مجاعة سابع سبعة حتى أتى خالداً . فقال : بعد شد ^(٤) مارضوا . اكتب كتابك ، فكتب :

١٩٥٤/١

هذا ^(٥) ما قاضى عليه خالد بن الوليد بن مجاعة بن مرارة وسلامة بن عمير وفلانا وفلانا : قاضاهم على الصفراء والبيضاء ونصف السبّي والحلقة والكراع وحائط من كل قرية ومزرعة ؛ على أن يسلموا ^(٦) . ثم أنتم آمنون بأمان الله . ولكم دمة خالد بن الوليد ودمة أبي بكر خليفة رسول الله

(١) من ز . (٢) ب : فيكم .

(٣) س : « أبادر بكم » . (٤) ط : « شر » ، وانظر التصويبات .

(٥) قبلها في النويري : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(٦) س : « تسلموا » .

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذِمَّةُ ^(١) الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْوَفَاءِ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ طَلْحَةَ ، عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : لَمَّا صَالَحَ خَالِدٌ مَجَاجَةَ ؛ صَالَحَهُ عَلَى الصَّفَرَاءِ وَالْبَيْضَاءِ وَالْحُلُقَةِ وَكُلِّ حَائِطٍ رِضَانًا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ وَنِصْفِ الْمَمْلُوكِينَ . فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَقَالَ خَالِدٌ : أَنْتَ بِالْخِيَارِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ : يَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، قَاتِلُوا عَنْ أَحْسَابِكُمْ ، وَلَا تَصَالِحُوا عَلَى شَيْءٍ ، فَإِنَّ الْحِصْنَ حَصِينَ ، وَالطَّعَامَ كَثِيرٌ . وَقَدْ حَضَرَ الشِّتَاءُ . فَقَالَ مَجَاجَةُ : يَا بَنِي حَنْظَلَةَ ، أَطِيعُونِي وَاعْصُوا سَلَمَةَ ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ مَشْتُومٌ ، قَبْلَ أَنْ يَصِيبَكُمْ مَا قَالَ شُرْحَبِيلُ بْنُ مَسْلَمَةَ « قَبْلُ أَنْ تُسْتَرْدَفَ النِّسَاءُ غَيْرَ رِضِيَّاتٍ ، وَيَنْكَحْنَ غَيْرَ خَطِيْبَاتٍ » . فَأَطَاعُوهُ وَعَصَوْا سَلَمَةَ ، وَقَبِلُوا قَضِيَّتَهُ . وَقَدْ بَعَثَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِكِتَابٍ إِلَى خَالِدٍ مَعَ سَلَمَةَ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ ، يَأْمُرُهُ إِنْ ظَفَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ جَرَتْ عَلَيْهِ الْمَوَاسِي مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ ، فَقَدِمَ فَوَجَدَهُ قَدْ صَالَحَهُمْ ، فَوَفَّى لَهُمْ ، وَتَمَّ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ ، وَحُشِرَتْ بَنُو حَنْظَلَةَ إِلَى الْبَيْعَةِ وَالْبَرَاءَةِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ إِلَى خَالِدٍ . وَخَالِدٌ فِي عَسْكَرِهِ ؛ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا قَالَ سَلَمَةُ بْنُ عُمَيْرٍ لِمَجَاجَةَ : اسْتَأْذِنِ لِي عَلَى خَالِدٍ أَكَلِمَهُ فِي حَاجَةٍ لَهُ عِنْدِي وَنَصِيحَةٍ — وَقَدْ أَجْمَعَ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ — فَكَلِمَهُ فَأَذِنَ لَهُ ، فَأَقْبَلَ سَلَمَةَ بْنُ عُمَيْرٍ ، مُشْتَمِلًا عَلَى السَّيْفِ يَرِيدُ مَا يَرِيدُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْمُقْبِلُ ؟ قَالَ مَجَاجَةُ : هَذَا الَّذِي كَلَّمْتِكَ فِيهِ ، وَقَدْ أَذِنْتَ لَهُ . قَالَ : أَخْرِجُوهُ عَنِّي ؛ فَأَخْرَجُوهُ عَنْهُ ، فَفَتَشَوْهُ فَوَجَدُوا مَعَهُ السَّيْفَ ، فَلَعَنُوهُ وَشَتَمُوهُ وَأَوْثَقُوهُ . وَقَالُوا : لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَهْلِكَ قَوْمُكَ . وَإِيمَ اللَّهُ مَا أَرَدْتَ إِلَّا أَنْ تُسْتَأْصَلَ بَنُو حَنْظَلَةَ . وَتَسْبِي الذَّرِيَّةِ وَالنِّسَاءِ ؛ وَإِيمَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ خَالِدًا عَلِمَ أَنَّكَ حَمَلْتَ السَّلَاحَ لَقَتَلَكَ ، وَمَا نَأْمَنُهُ إِنْ بَلَغَهُ [ذَلِكَ أَنْ يَقْتُلَكَ وَ] ^(٢) أَنْ يَقْتُلَ الرِّجَالَ وَيَسْبِيَ النِّسَاءَ بِمَا فَعَلْتَ ؛ وَيَحْسَبُ أَنَّ ذَلِكَ عَنْ مَلَأٍ مَنًّا . فَأَوْثَقُوهُ وَجَعَلُوهُ فِي الْحِصْنِ ؛ وَتَتَابَعَ بَنُو حَنْظَلَةَ عَلَى الْبَرَاءَةِ مِمَّا كَانُوا عَلَيْهِ ، وَعَلَى الْإِسْلَامِ ، وَعَاهَدَهُمْ سَلَامَةً عَلَى الْأَلَا يُحَدِّثُ حَدَثًا وَيَعْفُوهُ ، فَأَبَوْا وَلَمْ يَثِقُوا بِحُكْمِهِ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ عَهْدًا ، فَأَفْلَتَ

(١) كَذَا فِي ز ، وَفِي ط : « ذِمَّة » . (٢) مِنْ ز .

ليلاً ؛ فعمد إلى عسكر خالد ، فصاح به الحرّس ^(١) ، وفزعت بنو حنيفة ، فاتّبعوه فأدركوه في بعض الحوائط ، فشدّ عليهم بالسيف ؛ فاكتفوه بالحجارة ، وأجال السيف على حلّقه فقطع أوداجه ، فسقط في بئر فات .

كتب إلى المريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الضحّاك بن يربوع ، عن أبيه ، قال : صالح خالد بن حنيفة جميعاً إلّا ما كان بالعرض والقرية فلمهم سُبُوا عند انبثاث الغارة ، فبعث إلى أبي بكر ممّن جرّى عليه القعم بالعرض والقرية من بني حنيفة أو قيس بن ثعلبة أو يشكر ، خمسمائة رأس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثمّ إن خالدًا قال لمجاعة : زوّجني ابنتك ، فقال له مجاعة : مهلاً ، إنك قاطع ظهري وظهرك معي عند صاحبك . قال : أيها الرجل ، زوّجني ؛ فزوجه ، فبلغ ذلك أبا بكر ، فكتب إليه كتاباً يقطر الدم : لعمري يا بن أمّ خالد ، إنك لفارغ تنكح النساء وبغناء بيتك دم ألف ومائتي رجل من المسلمين لم يجفّف بعد ! قال : فلمّا نظر خالد في الكتاب جعل يقول : هذا عمل الأعيّس — يعني عمر بن الخطاب — وقد بعث خالد بن الوليد وفدًا من بني حنيفة إلى أبي بكر ، فقدّموا عليه . فقال لهم أبو بكر : ويحكم ! ما هذا الذي استزلّ منكم ما استزلّ ! قالوا : يا خليفة رسول الله ؛ قد كان الذي بلغك ممّا أصابنا كان أمرًا لم يبارك الله عزّ وجلّ له ولا لعشيرته فيه ، قال : على ذلك ^(٢) ، ما الذي دعاكم به ! قالوا : كان يقول : « يا ضفدع نقى نقى ، لا الشارب تمنعين ، ولا الماء تكدرين ؛ لنا نصف الأرض ، ولقريش ^(٣) نصف الأرض » ولكنّ قريشًا قوم يعتدون .

قال أبو بكر : سبحان الله ! ويحكم ! إن هذا لكلام ^(٤) ما خرج من إلّ ^(٥) ولا برّ ، فأين يذهب بكم ! فلمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة — وكان منزله الذي به التقى الناس أباض ؛ واد من

(١) ز : « الحرّاس » .

(٢) ز : « ذاك » .

(٣) ز : « ولكم » .

(٤) ز : « كلام » ، النويري : « الكلام » .

(٥) الإل : العهد والقرابة .

أودية اليمامة . ثم تحول إلى وادي من أوديتها يقال له الوبر - كان^(١) منزله بها .

• • •

ذكر خبر

أهل البحرين وردة الحطم ومن تجمع معه بالبحرين

قال أبو جعفر : وكان فيما بلغنا من خبر أهل البحرين وارتداد من ارتد منهم ما حدثنا عبيد الله بن سعد^(٢) ، قال : أخبرنا عمي يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا سيف ، قال : خرج العلاء بن الحضرمي نحو البحرين ؛ وكان من حديث البحرين أن النبي صلى الله عليه وسلم والمنذر بن ساوى اشتكيا في شهر واحد ، ثم مات المنذر بعد النبي صلى الله عليه وسلم بقليل ، وارتد بعده أهل البحرين ، فأما عبد القيس ففأاءت ، وأما بكر فتمت على ردتها ؛ وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود حتى فاءوا^(٣) .

حدثنا عبيد الله ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ، عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : قدم الجارود بن المعلّى على النبي صلى الله عليه وسلم مرتاداً ، فقال : أسلم يا جارود ، فقال : إن لي ديناً ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : إن دينك يا جارود ليس بشيء ، وليس بدين ؛ فقال له الجارود : فإن أنا أسلمت فما كان من تبعه في الإسلام فعليك ؟ قال : نعم . فأسلم ومكث بالمدينة حتى فقه^(٤) . فلما أراد الخروج ، قال : يا رسول الله ، هل نجد^(٥) عند أحد منكم ظهراً نتبلغ^(٦) عليه ؟ قال : ما أصبح عندنا ظهر ، قال : يا رسول الله ؛ إننا

(١) كذا في س ، وفي ط : « وكان » .

(٢) كذا في الأغاني ؛ وفي ط : « عبيد الله بن سعيد » . وانظر تهذيب التهذيب وتاريخ بغداد .

(٣) الخبر في الأغاني ١٥ : ٢٥٥ (دار الكتب) . وروايته : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مات ارتدوا ، ففأاءت عبد القيس منهم ، وأما بكر فتمت على ردتها ، وكان الذي ثنى عبد القيس الجارود بن علي » .

(٤) الخبر إلى هنا في الأغاني ١٥ : ٢٥٦ . (٥) ب : « ما نجد » .

(٦) ب : « يتبلغ عليه » .

تَجِدُ بالطريق ضَوَّالٌ من هذه الضوَّالِ ، قال : تلك حَرَقُ النار . وإيَّاكَ وإيَّاها . فلَمَّا قَدِمَ على قومه دَعَاهُمْ إلى الإسلام فأجابه كلُّهم ، فلم يَلِثَ إلَّا سِيرًا حَتَّى مات النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقالت عبد القيس : لو كان محمدٌ نبيًّا لما مات ؛ وارتدوا ، وبلغه ذلك فبعث فيهم فجمعهم . ثم قام فخطبهم ، فقال : يا معشر عبد القيس ؛ إني سائلُكم عن أمر فأُروني به إن علمتموه ولا تجيبوني إن لم تعلموا^(١) . قالوا : سلْ عَمَّا بدا لك ، قال : تَلْمُونَ^(٢) أَنَّهُ كَانَ لِلَّهِ أَنْبِيَاءُ فيما مضى ؟ قالوا : نعم ، قال : تعلمونه^(٣) أو ترونه ؟ قالوا : لا بلْ نَعْلَمُه ، قال : فما فعلوا ؟ قالوا : ماتوا ، قال : فإنَّ محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات كما ماتوا ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ، قالوا : ونحن نشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ؛ وأنتَ^(٤) سَيِّدُنَا وَأَفْضَلُنَا . وثبتوا على إسلامهم ، ولم يسطروا ولم يُبَسِّطُوا إليهم وخَلَوْا بين سائر ربيعة وبين المنذر والمسلمين ، فكان المنذر مشتغلًا بهم حياته ، فلمَّا مات المنذر حُصِرَ أصحاب المنذر في مكانين حَتَّى تَنَقَّذَهُمُ^(٥) العلاء .

قال ابو جعفر : وأمَّا ابن إسحاق فإنه قال في ذلك ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه ، قال : لَمَّا فرغ خالد بن الوليد من اليَمَامَةِ بعث أبو بكر رضي الله عنه العلاء بن الحضرمي . وكان العلاء هو الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعثه إلى المنذر بن ساوى العبدى ، فأسلم المنذر ، فأقام بها العلاء أميرًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فمات المنذر بن ساوى بالبحرين بعد متوفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان عمرو بن العاص بعُثَ ، فتوفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعمرو بها فأقبل عمرو ، فمَرَّ بالمنذر بن ساوى وهو بالموت^(٦) فدخل عليه فقال المنذر له :

(١) ز : « تعلموه » .

(٢) س : « أتلْمُونَ » .

(٣) س : « أتعلمونه » .

(٤) ز : « وأنتَ » .

(٥) النويرى : « أنقذهم » .

(٦) ز : « في الموت » .

كَمْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَجْعَلُ لِلْمَيْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالِهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ ؟ قَالَ عَمْرُو : فَقُلْتُ لَهُ : كَانَ يَجْعَلُ لَهُ الثَّلَاثُ : قَالَ : فَمَا تَرَى لِي أَنْ أَصْنَعَ فِي ثَلَاثٍ مَالِي ؟ قَالَ عَمْرُو : فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ شِئْتَ قَسَمْتَهُ فِي أَهْلِ قَرَابَتِكَ ، وَجَعَلْتَهُ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ ؛ وَإِنْ شِئْتَ تَصَدَّقْتَ بِهِ فَجَعَلْتَهُ صَدَقَةً مُحَرَّمَةً تَجْرَى مِنْ بَعْدِكَ عَلَى مَنْ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَيْهِ . قَالَ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَجْعَلَ مِنْ مَالِي شَيْئًا مُحَرَّمًا كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَالْوَصِيلَةِ وَالْحَامِي (١) وَلَكِنْ أَقْسِمُ ، فَأَنْفِذْهُ عَلَى مَنْ أَوْصَيْتُ بِهِ لَهُ يَصْنَعُ بِهِ مَا يَشَاءُ .

قال : : فكان عمرو يعجب لها (٢) من قوله . وارتدت ربيعة بالبحرين فيمن ارتدت من العرب ، إلا الجارود بن عمرو بن حنش بن مَعْلَى ؛ فإنه ثبت على الإسلام ومن معه من قومه . وقام حين بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتداد العرب ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، وأكفر من لا يشهد . واجتمعت ربيعة بالبحرين وارتدت ، فقالوا : نردُّ الملك (٣) في آل المنذر ، فَلَكَوا المنذر بن النعمان بن المنذر ، وكان يُسَمَّى الغرور ، وكان يقول حين أسلم وأسلم الناس وغلبهم السيف : لستُ بالغرور ؛ ولكنني المغرور (٤)

حدثنا عبيد الله بن سعد ، قال : أخبرنا عمي ، قال : أخبرنا سيف .

(١) هو ما تضمنته الآية الكريمة : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾

وَأَهْلُ الْإِبِلِ إِذَا تَنَجَّتِ النَّاقَةُ خَمْسَةَ أَبْطُنٍ آخرها ذكر بحروا أذنبا ، أى شقروها وحرّموا ركوبها ، ولا تطرد عن ماء ولا مرعى ، وإذا لقيها المعري لم يركبها ، واسمها البحيرة . وكان يقول الرجل : إذا قدمت من سفرى أو برئت من مرضى فناقنى سائبة ، وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها . وقيل : كان الرجل إذا اعتق عبداً قال : هو سائبة ، فلا تقتل بينهما ولا ميراث . وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم ، وإن ولدت ذكراً فهو لأهلهم ؛ فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لأهلهم ، وإذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قد حمى ظهوره فلا يركب ولا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى .

(٢) س : « بها » .

(٣) الأغاني : « ردوا » .

(٤) الأغاني ١٥ : ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) .

عن إسماعيل بن مسلم ، عن عُمَيْرِ بْنِ فُلانٍ الْعَبْدِيِّ ، قال : لَمَّا مَاتَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ الْحُطَمُ بْنُ ضُبَيْعَةَ أَخُو بَنِي قَيْسِ بْنِ
ثَعْلَبَةَ فَيَمَنْ^(١) اتَّبَعَهُ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ عَلَى الرَّدَّةِ ، وَمَنْ تَأَسَّبَ^(٢) إِلَيْهِ
مِنْ غَيْرِ الْمُرْتَدِّينَ مِمَّنْ لَمْ يَزَلْ كَافِرًا ، حَتَّى نَزَلَ الْقَطِيفَ وَهَجَرَ ، وَاسْتَفْوَى
الْخَطَّ وَمِنْ فِيهَا مِنَ الزُّرْطِ وَالسِّيَابِجَةِ ، وَبَعَثَ بَعْثًا إِلَى دَارَيْنِ ، فَأَقَامُوا لَهُ
لِيَجْعَلَ عَبْدَ الْقَيْسِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ ، وَكَانُوا مُخَالَفِينَ لَهُمْ ، يَمُدُّونَ الْمُنْذِرَ وَالْمُسْلِمِينَ ؛
وَأَرْسَلَ إِلَى الْغُرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ ، أَخِي النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ؛ فَبَعَثَهُ إِلَى جَوْثَانِي ،
وَقَالَ : اثْبَتْ ، فَإِنِّي إِن ظَفَرْتُ مَلَكْتُكَ بِالْبَحْرَيْنِ حَتَّى تَكُونَ كَالنُّعْمَانِ
بِالْحَيَّةِ^(٣) . وَبَعَثَ إِلَى جَوْثَانِي ، فَحَصَرَهُمْ وَأَلْحَوْا عَلَيْهِمْ^(٤) فَاشْتَدَّ عَلَى الْمُحْصُورِينَ
الْحَصْرُ^(٥) . وَفِي الْمُسْلِمِينَ الْمُحْصُورِينَ رَجُلٌ مِنْ صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ يُقَالُ لَهُ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَدَّافٍ ؛ أَحَدُ بَنِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ كِلَابٍ ، وَقَدْ اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ
الْجُوعُ حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلِكُوا . وَقَالَ فِي ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ حَدَّافٍ :

أَلَا أُنَبِّغُ أَبَا بَكْرٍ رَسُولًا وَفَتَيَانِ الْمَدِينَةِ أَجْمَعَيْنَا
فَهَلْ لَكُمْ إِلَى قَوْمٍ كَرَامٍ قُعودٌ فِي جَوْثَانِي مُحْصَرَيْنَا
كَأَنَّ دِمَاءَهُمْ فِي كُلِّ فَجٍّ شُعَاعُ الشَّمْسِ بَغْشَى النَّاضِرَيْنَا
تَوَكَّلْنَا عَلَى الرَّحْمَنِ إِنَّا وَجَدْنَا الصَّبْرَ لِلْمُتَوَكِّلِينَ^(٥)

كُتِبَ إِلَى الْمُرِّي : عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الصَّعْبِ^(٦) بْنِ عَطِيَّةٍ
ابْنِ بِلَالٍ ، عَنْ سَهْمِ بْنِ مَيْسَجَابٍ ، عَنْ مَيْسَجَابِ بْنِ رَاشِدٍ ، قَالَ : بَعَثَ
أَبُو بَكْرٍ الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ عَلَى قِتَالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ بِالْبَحْرَيْنِ ؛ فَلَمَّا أَقْبَلَ
إِلَيْهَا ؛ فَكَانَ بِحَيَالِ الْيَمَامَةِ ؛ لَحِقَ بِهِ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ فِي مُسْلِمَةٍ بَنَى حَنِيفَةَ

(١) الْأَغَانِي : « وَمَنْ اتَّبَعَهُ » .

(٢) تَأَسَّبَ إِلَيْهِ : تَجَمَّعَ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا

(٣ - ٢) الْأَغَانِي : « وَبَعَثَ إِلَى رَوَاتِنَا » . وَقِيلَ : جَوْثَانِي فَحَاصِرُهُمْ . وَأُلْحِ عَلَيْهِمْ » .

(٤) الْأَغَانِي : « فَاشْتَدَّ الْحَصَارُ عَلَى الْمُحْصُورِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » .

(٥) الْأَغَانِي ١٥ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ . (٦) الْأَغَانِي : « الصَّعْبِ » .

من بنى سُحَيْمٍ وَمِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ مِنْ سَائِرِ بَنِي حَنِيفَةَ ، وَكَانَ مُتَلَدِّدًا ؛
 وَقَدْ أُلْحِقَ^(١) عَكْرَمَةُ بَعْمَانِ ثُمَّ مَهْرَةَ ، وَأَمَرَ شُرْحَيْلَ بِالْمَقَامِ حَيْثُ انْتَهَى إِلَى ١٩٦٣/١
 أَنْ يَأْتِيَهُ أَمْرُ أَبِي بَكْرٍ ، ثُمَّ يَغَاوِرُ هُوَ وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ أَهْلَ الرَّدَّةِ مِنْ
 قُضَاعَةَ . فَأَمَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ فَكَانَ يُغَاوِرُ سَعْدًا وَبَلِيًّا وَأَمَرَ هَذَا بِكَلْبٍ
 وَلَيْفَهَا ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهَا وَنَحْنُ فِي عُلْيَا الْبِلَادِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ لَهُ فَرَسٌ مِنَ الرِّبَابِ
 وَعَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ إِلَّا جَنْبَهُ ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَهُ ؛ فَأَمَّا بَنُو حَنْظَلَةَ فَإِنَّهُمْ قَدَّمُوا رَجُلًا
 وَأَخْرَأُوا أُخْرَى . وَكَانَ مَالِكُ بْنُ نُؤَيْرَةَ فِي الْبُطَاحِ وَمَعَهُ جُمُوعٌ يُسَاجِلُنَا وَنَسَاجِلُهُ .
 وَكَانَ وَكِيعُ بْنُ مَالِكٍ فِي الْقَرْعَاءِ مَعَهُ جُمُوعٌ يُسَاجِلُ عَمْرًا وَعَمْرُو يُسَاجِلُهُ ،
 وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ مَنَاةَ فَإِنَّهُمْ كَانُوا فِرْقَتَيْنِ ؛ فَأَمَّا عَوْفٌ وَالْأَبْنَاءُ فَإِنَّهُمْ
 أَطَاعُوا الزُّبْرُقَانَ بْنَ بَدْرٍ ، فَثَبَّتُوا عَلَى إِسْلَامِهِمْ وَتَمَّوْا وَذَبُّوا عَنْهُ ؛ وَأَمَّا الْمُقَاعَسُ
 وَالْبُطُونُ فَإِنَّهُمَا أَصَاخَا وَلَمْ يَتَابَعَا ؛ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ ؛ فَإِنَّهُ
 قَسَمَ الصَّدَقَاتِ الَّتِي كَانَتْ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ فِي الْمُقَاعَسِ وَالْبُطُونِ حِينَ شَخَصَ
 الزُّبْرُقَانَ بِصَّدَقَاتِ عَوْفٍ وَالْأَبْنَاءِ ؛ فَكَانَتْ عَوْفٌ وَالْأَبْنَاءُ مُشَاغِلِينَ بِالْمُقَاعَسِ
 وَالْبُطُونِ . فَلَمَّا رَأَى قَيْسُ بْنُ عَاصِمٍ مَا صَنَعَتِ الرِّبَابُ وَعَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ الْعِلَاءَ
 نَدِمَ عَلَى مَا كَانَ قَرَّطَ مِنْهُ ، فَتَلَقَّى الْعِلَاءَ بِإِعْدَادِ مَا كَانَ قَسَمَ مِنَ الصَّدَقَاتِ ،
 وَنَزَعَ عَنْ أَمْرِهِ الَّذِي كَانَ هَمًّا بِهِ ، وَاسْتَأْذَنَ حَتَّى أبلغَهَا إِيَّاهُ ، وَخَرَجَ مَعَهُ إِلَى ١٩٦٤/١
 قِتَالِ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ؛ وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا كَمَا قَالَ الزُّبْرُقَانُ فِي صَدَقَتِهِ حِينَ
 أبلغَهَا أَبَا بَكْرٍ ؛ وَكَانَ الَّذِي قَالَ الزُّبْرُقَانُ فِي ذَلِكَ :

وَقَيْتُ بِأَذْوَادِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَبْتُ سَعَاةً فَلَمْ يَرُدُّدْ بَعِيرًا مُجِيرُهَا
 مَعًا وَمَنْعَنَاهَا مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ تَرَامِي الْأَعَادِي عِنْدَنَا مَا يَضِيرُهَا^(٢)
 فَأَدْبَيْتُهَا كَيْ لَا أَخُونَ بِذِمَّتِي مَحَانِيْقٌ لَمْ تُدْرَسْ لِرَكْبٍ ظَهُورُهَا
 أَرَدْتُ بِهَا التَّقْوَى وَبَجْدِ حَدِيثِهَا إِذَا عُصْبَةُ سَامَى قَبِيلِي فَخُورُهَا
 وَإِنِّي لَمِنْ حَتَّى إِذَا عُدَّ سَعِيهِمْ^(٣) يَرَى الْفَخْرَ مِنْهَا حَيْثُ وَقُبُورُهَا

(١) ز : « لُحِقَ » . (٢) ب : « نَرَامِي » .

(٣) ز : « شَعْبِهِمْ » .

أَصَاغِرُهُمْ لَمْ يَصْفَرُوهَا وَكَبَّارُهُمْ^(١) رِزَانُ مَرَّاسِيهَا، عِفَافٌ صُدُورُهَا
وَمِنْ رَهْطٍ كَنَادَ تَوَفَّيْتُ ذِمَّتِي^(٢) وَلَمْ يَثْنِ سِيفِي نَبْحُهَا وَهَرِيرُهَا^(٣)
وَلِلَّهِ مُلْكٌ قَدْ دَخَلْتُ وَفَارَسُ^(٤) طُعْنْتُ إِذَا مَا الْخَلِيلُ شَدَّ مُعِيرُهَا
فَقَرَّجْتُ أُولَاهَا بِنَجْلَاءِ ثَرَّةٍ^(٥) بِحَيْثُ الَّذِي يَرْجُو الْحَيَاةَ يَصِيرُهَا^(٦)
وَمَشْهَدٌ صِدْقٍ قَدْ شَهِدْتُ فَلَمْ أَكُنْ^(٧) بِهِ خَامِلًا وَالْيَوْمَ يُثْنِي مَصِيرُهَا
أَرَى رَهْبَةً الْأَعْدَاءِ مِنِّي جَرَاءَةً وَيَكِي إِذَا مَا النَّفْسُ يُوحِي ضَمِيرُهَا^(٨)

١٩٦٥/١

وقال قيس عند استقبال^(٧) العلاء بالصدقة :

أَلَا أَيْلِفَا عَنِّي قَرِيشًا رِسَالَةً إِذَا مَا أَتَتْهَا بَيِّنَاتُ الْوُدَائِعِ^(٨)
حَبَوْتُ بِهَا فِي الدَّهْرِ أَعْرَاضَ مِنْقَرٍ^(٩) وَأَيَّاسْتُ مِنْهَا كُلَّ أَطْلَسٍ طَامِعٍ^(١٠)
وَجَذْتُ أَبِي وَالْخَالَ كَانَا بِنَجْوَةٍ بَقَاعٍ فَلَمْ يَخْلُلْ بِهَا مَنْ أَدَانِيعُ^(١١)

فأكرمه العلاء ، وخرج مع العلاء بن عمرو وسعد الرباب مثل عسكره ،
وسلك بنا الدهناء ، حتى إذا كنا في بحببوحتها والحسنات والعزافات^(١٢)
عن يمينه وشماله ، وأراد الله عز وجل أن يرينا آياته نزل وأمر الناس بالنزول ،
فنفكرت الإبل في جوف الليل ، فَمَا بَقِيَ عِنْدَنَا بَعِيرٌ وَلَا زَادٌ وَلَا مَزَادٌ

١٩٦٦/١

(١) ب : « يصغروا » ، س : « يصغروا » .

(٢) ب : « كنان » ، ز : « كنان » .

(٣) ز : « نبحها » .

(٤) س : « رقبه ملك » .

(٥) ب : « بصيرها » ، ز : « نصيرها » .

(٦) ب : « وبكى » .

(٧) ب ، ز : « استقبال » .

(٨) البيتان : الأول والثاني في الأغاني : ١ : ٧٥ (طبع دار الكتب) ، وفي س :

« إذا ما أتتهم » . وفي الأغاني : « إذا ما أتتهم مهاديات الودائع » .

(٩) الأغاني : « حوت بما صدقت في العام منقرا » .

(١٠) يريد بالأطلس هنا اللص الخبيث ، على التشبيه بالذئب .

(١١) كانا بنجوة ، أي كانا بمنجى . وفي البيت إقواء .

(١٢) العزافات : الضاربات بالدفوف .

ولا بناء إلا ذهب عليها في عرض الرمل ، وذلك حين نزل الناس ، وقبل أن يحطّوا ؛ فما علمت جمعاً هجم عليهم من الغمّ ما هجم علينا وأوصى بعضنا إلى بعض ، ونادى منادى العلّاء : اجتمعوا ، فاجتمعنا إليه ، فقال : ما هذا الذي ظهر فيكم وغلّب عليكم ؟ فقال الناس : وكيف نلام ونحن إن بلغنا غداً لم تحمّ شمسُه حتى نصير حديثاً ! فقال : أيّها الناس ؛ لا ترعوا ، ألستم مسلمين ! ألستم في سبيل الله ! ألستم أنصار الله ! قالوا : بلى ، قال : فأبشروا ؛ فوائه لا يتخذُ الله من كان في مثل حالكم . ونادى المنادى بصلاة الصبح حين طلّع الفجر فصلّى بنا ، ومنّا المتيّم ، ومنّا من لم يزل على طهّوره ؛ فلماً قضى صلاته جثا لرُكبتَيْه وجثا للنّاس ، فنصب^(١) في الدّعاء ونصّبوا معه ؛ فلمع لهم سرابُ الشمس ؛ فالتفت إلى الصّف ، فقال : رائد ينظر ما هذا ؟ ففعل ثم رجع ، فقال : سراب ، فأقبل على الدّعاء ، ثم لمع لهم آخر فكذلك ، ثم لمع لهم آخر ، فقال : ماء ، فقام وقام الناس ، فشينّا إليه حتى نزلنا عليه ، فشربنا واغتسلنا ، فما تعالى الشّهار حتى أقبلت الإبل تُكْرَدُ^(٢) من كلّ وجه ، فأنأخت إلينا ، فقام كلّ رجل إلى ظهره ، فأخذه ، فما فقدنا سلكاً^(٣) . فأرويناها وأستيناها العالّ بعد النّهل ؛ وتروّينا ثم تروّحنا - وكان أبو هريرة رقيقى - فلما غيبتنا عن ذلك المكان ، قال لى : كيف علمك بموضع ذلك الماء ؟ فقلت : أنا من أهدى العرب^(٤) بهذا البلاد قال : فكُن^(٥) معي حتى تقيمتنى عليه ، فكررتُ به ، فأتيت به^(٦) على ذلك المكان بعينه ؛ فإذا هو لا غديرَ به ، ولا أثر للماء ، فقلت له : والله لولا أنتى لا أرى الغدير لأخبرتكَ أن هذا هو المكان ؛ وما رأيت بهذا المكان ماءً ناقعاً قبل^(٧) اليوم ؛ وإذا إداوة مملوءة ، فقال : يا أبا سهم^(٨) ، هذا والله المكان ؛

(١) نصب في الدّعاء ينصب ؛ إذا تعب فيه واجتهد . (٢) الكرد : الطرد .

(٣) السلك : جمع سلكة ؛ وهو الخيط الذي يحاط به الثوب .

(٤) الأغانى : « أنا أهدى الناس » .

(٥) الأغانى : « فكر معي » .

(٦) الأغانى : « فأنأخت على ذلك المكان » .

(٧) الأغانى : « وما رأيت بهذا المكان ماء قبل ذلك » .

(٨) الأغانى : « يا سهم » .

ولهذا رجعت ورجعت بك . وملأت ^(١) إداوقى ثم وضعتها على شفيره ^(٢) ، فقلت :
 إن كان منّا من المنّ وكانت آية عرفتها ؛ وإن كان غيائاً عرفته ؛ فإذا منّ
 من المنّ ، فحمد الله ، ثم سيرنا حتى نزل هَجَر . قال : فأرسل العلاء ١٩٦٨/١
 إلى الجارود ورجل آخر أن انضمّا في عبد القيس حتى تنزلا على الحطّم ممّا
 يليكما ؛ وخرج هو فيمّن جاء معه وفيمّن قدّم عليه ؛ حتى ينزل عليه ممّا
 يلي هَجَرَ ، وتجمّع المشركون كلّهم إلى الحطّم إلاّ أهل دارين ،
 وتجمّع المسلمون كلّهم إلى العلاء بن الحضرمي ، وخذق المسلمون والمشركون ،
 وكانوا يتراخون القتال ويرجعون إلى خَسَدَقهم ؛ فكانوا كذلك شهراً ؛ فبينما
 الناس ليلةٌ إذ سمع المسلمون في عسكر المشركين ضوضاء شديدة ؛ كأنها
 ضوضاءُ هزيمة أو قتال ، فقال العلاء : منّ يأتينا بخبر القوم ؟ فقال عبد الله
 ابن حَذَف : أنا آتيكم بخبر القوم - وكانت أمّه عَجَلِيّة - فخرج حتى
 إذا دنا من خَسَدَقهم أخذوه ، فقالوا له : منّ أنت ؟ فانتسب لهم ، وجعل
 ينادى : يا أبْجَرَاه ! فجاء أبجر بن بَجِير ، فعرفه فقال : ما شأنك ؟
 فقال : لا أضيّع [الليلة] ^(٣) بين اللّهآزم ! علّام أقتل وحول عساكر من
 عَجَلٍ وتيمّ اللّات وقيس وعنزة ! أبتلاع بى الحطّم ونزاع القبائل وأنتم
 شهود ! فتخلّصه ، وقال : والله إنّي لأظنّك بشّ ابن الأخت لأخوالك ١٩٦٩/١
 الليلة ! فقال : دَعْنِي من هذا وأطعمني ؛ فإنّي قد متّ جوعاً . فقرّب له
 طعاماً ؛ فأكل ثمّ قال : زودني واحمِلْني وجوّزني أنطلق إلى طيبي .
 ويقول ذلك لرجل قد غلب عليه الشراب ، ففعل وحمله على بعير ، وزوده
 وجوّزه ؛ وخرج عبد الله بن حَذَف حتى دخل عسكر المسلمين ، فأخبرهم
 أنّ القوم سُكّارى ، فخرج المسلمون عليهم حتى اقتحموا عليهم عسكرهم ،
 فوضعوا السيوف فيهم حيث شاءوا ، واقتحموا الخندق هُرّاباً ، ففردّ ، وناجٍ
 ودّهش ، ومقتول أو مأسور ، واستولّى المسلمون على ما في العسكر ؛ لم يفلت

(١) كذا في ز والأغاني وابن الأثير ، وفي ط : « ملأت » بدون الواو .

(٢) الأغاني : « شفير الوادي » .

(٣) من الأغاني .

رجلٌ إلا بما عليه ؛ فأما أبجر فأفلت ، وأما الحُطَم فإنه بَعِل^(١) ودُهِش ، وطار فزاده ؛ فقام إلى فرسه والمسلمون خلالهم يجوسونهم - ليركبهُ ؛ فلمّا وضع رجله في الرّكاب انقطع به ، فرّ به عفيف بن المنذر أحد بني عمرو بن تميم ، والحُطَم يستغيث ويقول : ألا رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة يعقِلني ! فرفع صوته ، فعرف صوته ، فقال : أبو ضُبَيْعة ! قال : نعم ، قال : أعطني رجلك أعقِلك ، فأعطاه رجله يعقله ، فنفضها فأطنّها^(٢) من الفخذ ، وتركه ، فقال : أجهز عليّ ، فقال : إني أحبّ ألا تموت حتى أمضُك . - وكان مع عفيف عدّة من ولد أبيه ، فأصيبوا ليلتئذ - وجعل الحطَم لا يمرُّ به في الليل أحدٌ من المسلمين إلا قال : هل لك في الحُطَم أن تقتله ؟ ويقول : ذاك لمن لا يعرفه ، حتى مرّ به قيس بن عاصم ، فقال له ذلك ، فقال عليه فقتله ، فلمّا رأى فخذَه نادرة^(٣) ، قال : واسوأناه ! لو علمت الذي به لم أحرّكه ؛ وخرج المسلمون بعد ما أحرزوا الخندق على القوم يطلبونهم ، فاتّبعوهم ، فلحق قيس بن عاصم أبجر - وكان فرس أبجر أقوى من فرس قيس - فلمّا خشي أن يفوته طعنه في العُرقوب فقطع العَصَب ، وسكّم النَّسَا ؛ فكانت رادة ، وقال عفيف بن المنذر :

فإن يرقأ العُرقوبُ لا يرقأ النَّسَا وما كُلُّ مَنْ يَهْوَى بذلك عالمٌ^(٤)
ألم تر أنّا قد فللنا حُماهم بأُسرّة عمرو والرباب الأكارم^(٥)
وأُسّر عفيف بن المنذر الغرور بن سويد^(٦) ، فكلّمته الرّباب فيه ، وكان أبوه ابن أخت التّميم^(٧) ، وسأله أن يُجيره ، فقال للعلاء : إني قد أجرت هذا ، قال : ومنّ هذا ؟ قال : الغرور ، قال : أنت غرت هؤلاء ، قال : آيتها الملك ، إني لستُ بالغرور ؛ ولكنني المغرور ، قال :

(١) بعل : دهش وخاف فلم يدر ما يصنع .

(٢) نفحه بالسيف : تناوله به . أطها : قطعها .

(٣) نادرة : ساقطة .

(٤) الأغاني : « وما كل من تلقى بذلك عالم » .

(٥) في البيت إقواء .

(٦) بعدها في الأغاني : « ابن أخي النعمان بن المنذر » . (٧) الأغاني : « وكان ابن أختهم » .

١٩٧١/١

أَسْلِمَ ، فَأَسْلَمَ وَبَقِيَ بِهِجْرَ ، وَكَانَ اسْمُهُ الْغَرُورُ ، وَلَيْسَ بِلَقَبٍ ؛ وَقَتْلَ عَفِيفِ
 الْمَنْدَرِ بْنِ سُوَيْدِ بْنِ الْمَنْدَرِ ، [أَخَا الْغَرُورِ لِأُمِّهِ ^(١)] ، وَأَصْبَحَ الْعَلَاءُ فَقَسَمَ
 الْأَنْفَالَ ، وَنَقَلَ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْبَلَاءِ ثِيَابًا ، فَكَانَ فَيَمُنُ نَقَلَ عَفِيفِ بْنِ
 الْمَنْدَرِ وَقِيصِ بْنِ عَاصِمِ وَثَمَامَةَ بْنِ أَثَالٍ ؛ فَأَمَّا ثَمَامَةُ فَتَقَلَّ ثِيَابًا فِيهَا خَمِيصَةٌ ^(٢)
 ذَاتُ أَعْلَامٍ ، كَانَ الْحُطَمُ يُبَاهِي فِيهَا ، وَبَاعَ الثِّيَابَ . وَقَصَدَ عُظْمُ الْفُلَّالِ
 لِدَارَيْنِ ^(٣) ، فَرَكِبُوا فِيهَا السَّفْنَ ، وَرَجَعَ الْآخَرُونَ إِلَى بِلَادِ قَوْمِهِمْ ؛ فَكَتَبَ
 الْعَلَاءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى مَنْ أَقَامَ عَلَى إِسْلَامِهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فِيهِمْ ، وَأَرْسَلَ
 إِلَى عَتَبِيَّةِ بْنِ النَّهَّاسِ وَإِلَى عَامِرِ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ بِلَزُومِ مَا هُمْ عَلَيْهِ وَالْقَعُودِ
 لِأَهْلِ الرَّدَةِ بِكُلِّ سَبِيلٍ ، وَأَمَرَ مِسْمَعًا بِمَبَادِرَتِهِمْ ، وَأَرْسَلَ إِلَى خَصِيفَةَ التَّمِيمِيِّ
 وَالْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ الشَّيْبَانِيِّ ، فَأَقَامُوا لِأَوَّلِكَ بِالطَّرِيقِ ، فَفَنَّهُمْ مَنْ أَنْابَ ، فَقَبِلُوا
 مِنْهُ وَاشْتَمَلُوا عَلَيْهِ ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ أَبَى وَلَجَّ فَنَعَ مِنَ الرَّجُوعِ ، فَارْجَعُوا عَوْدَهُمْ
 عَلَى بَنِيهِمْ ؛ حَتَّى عَبَرُوا إِلَى دَارَيْنِ ، فَجَمَعَهُمُ اللَّهُ بَهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ رَجُلٌ
 مِنْ بَنِي ضُبَيْعَةَ بْنِ عَجَلٍ ، يَدْعَى وَهْبًا ، يَعْبِرُ مَنْ ارْتَدَّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ :
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبِكُ خَلْقَهُ فَيَخْبِتُ أَقْوَامٌ وَيَصْفُو مَعْشَرٌ
 لَحَى اللَّهُ أَقْوَامًا أَصِيبُوا بِخَنْفَةٍ ^(٤) أَصَابَهُمْ زَيْدُ الضَّالِّلِ وَمَعْمَرُ !

١٩٧٢/١

وَلَمْ يَزَلِ الْعَلَاءُ مُقِيمًا فِي عَسْكَرِ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَيْهِ الْكُتُبُ مِنْ عِنْدِ
 مَنْ كَانَ كَتَبَ إِلَيْهِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ، وَبَلَغَهُ عَنْهُمْ الْقِيَامُ بِأَمْرِ اللَّهِ ،
 وَالْغَضَبُ لَدَيْهِ ، فَلَمَّا جَاءَهُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ يَشْتَهِي ، أَيقَنَ أَنَّهُ لَنْ
 يُؤْتَى مِنْ خَلْفِهِ شَيْءٌ يَكْرِهُهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ ، وَنَدَبَ النَّاسَ إِلَى
 دَارَيْنِ . ثُمَّ جَمَعَهُمْ فَخَطَبَهُمْ ، وَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَمَعَ لَكُمْ أَحْزَابَ الشَّيَاطِينِ
 وَشُرَكَاءَ الْحَرْبِ ^(٥) فِي هَذَا الْبَحْرِ ^(٦) ؛ وَقَدْ أَرَاكُمْ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْبَرِّ لَتَعْتَبِرُوا بِهَا

(١) من الأغاني .

(٢) الخميصة : كساء أسود له علمان .

(٣) الأغاني : « وهرب الفل إلى دارين » .

(٤) ب : « بجمة » .

(٥) الأغاني : « وشذاذ الحرب » .

(٦) الأغاني : « في هذا اليوم » .

في البحر ، فانهضوا إلى عدوكم ، ثم استعروضوا البحر إليهم ، فإن الله قد جمعهم ، فقالوا : نفعل ولا نهاب والله بعد الدّ هُنا هو لا ما بقينا .

فارتحل وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر افتحموا على الصّاهل ^(١) .
والحامل ^(٢) ، والشاحج ^(٣) والنّاهق : والراكب والراجل ^(٤) ، ودعا ودعوا ؛
وكان دعاؤه ودعائهم : يا أرحم الراحمين ، يا كريم . يا حلیم ، يا أحد ،
يا صمد يا حيّ يا مُحيي الموتى ، يا حيّ يا قيوم ، لا إله إلا أنت
يا ربنا . فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثل رَملة مَيْشاء ،
فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وإنّ ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة
لسفن البحر في بعض الحالات ، فالتقوا بها ، واقتتلوا قتالا شديداً ، فما
تركوا بها مُخبراً ^(٥) وسبوا الذّاررى ، واستاقوا الأموال ؛ فبلغ نقل
الفارس ستة آلاف ، والراجل ألفين ، قطعوا ليلهم وساروا يومهم ؛ فلمّا
فرغوا رجعوا عودهم على بدشهم حتى عبّروا ، وفي ذلك يقول عفيف بن
المنذر :

ألم تر أنّ الله ذلّل بحره
دعونا الذي شقّ البحار فجاءنا
وأُنزل بالكفار إحدى الجلائل !
بأعجب من فلق البحار الأوائل ^(٦)

ولمّا رجع العلاء إلى البحرين ، وضرب الإسلام فيها بجيرانه ، وعزّ
الإسلام وأهله : وذلّ الشرك وأهله ؛ أقبل الدّين في قلوبهم ما فيها على
الإرجاف . فأرجف مرّجفون ، وقالوا : هاذاك مفروق ، قد جمع رهطه .
شبيان وتغلب والنّمير ، فقال لهم أقوام من المسلمين : إذا تشغلهم عنا اللّهّازم -
واللهّازم يومئذ قد استجمع أمرهم على نصر العلاء وطابقوا . وقال عبد الله

(١) الصّاهل : انفرس ؛ والصهيل صوته .

(٢) الحامل : التطيع من الإبل .

(٣) الشاحج : أنبعل ، والشحيج : صوته .

(٤) عبارة الأغاني : « فارتحل وارتحلوا حتى أتى ساحل البحر ؛ فافتحموا على الخيل ؛ هم والحمولة

والإبل والبغال ، الراكب والراجل » .

(٥) مخبراً ، أي أحداً يخبر بما كان ؛ يريد أنهم استأصلوهم .

(٦) الأغاني : « من شق البحار »

ابن حذَف في ذلك :

لا تُوعِدونا بِمَفْرُوقٍ وَأَمْرَتِهِ إِنَّ يَأْتِنَا يَلْقَ فِينَا سَنَةَ الْحُطَمِ
وإنَّ ذَا الْحَيِّ مِنْ بَكْرٍ وَإِنْ كَثُرُوا لَأُمَّةٌ دَاخِلُونَ النَّارَ فِي أُمَمٍ
فَالْتَخَلُّ ظَاهِرُهُ خَيْلٌ وَبَاطِنُهُ خَيْلٌ تَكَدَّسُ بِالْفِتْيَانِ فِي النِّعَمِ ١٩٧٤/١
وَأَقْفَلُ ^(١) الْعَلَاءِ بْنِ الْحَضَرِيِّ النَّاسِ ، فَرَجَعَ النَّاسُ إِلَّا مَنْ أَحَبَّ الْمَقَامَ ،
فَقَفَلْنَا وَقَفَّلَ ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ ؛ حَتَّى إِذَا كُنَّا عَلَى مَاءٍ لَبِنَى قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ؛
فَرَأَوْا ثُمَامَةَ ، وَرَأَوْا خَمِيصَةَ الْحُطَمِ عَلَيْهِ دَسُوا ^(٢) لَهُ رَجُلًا ، وَقَالُوا : سَلِّهِ
عَنْهَا كَيْفَ صَارَتْ لَهُ ؟ وَعَنِ الْحُطَمِ : أَهْوَقْتَهُ أَوْ غَيْرَهُ ؟ فَأَتَاهُ ، فَسَأَلَهُ
عَنْهَا . فَقَالَ : نَفَلْتُهَا . قَالَ : أَنْتَ قَتَلْتَ الْحُطَمَ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي
كُنْتُ قَتَلْتَهُ ، قَالَ : فَمَا بَالُ هَذِهِ الْخَمِيصَةِ مَعَكَ ؟ قَالَ : أَلَمْ أَخْبِرْكَ ! فَرَجَعَ
إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَتَجَمَّعُوا لَهُ ، ثُمَّ أَتَوْهُ فَاحْتَوَشَوْهُ ؛ فَقَالَ : مَا لَكُمْ ؟ قَالُوا :
أَنْتَ قَاتِلُ الْحُطَمِ ؟ قَالَ : كَذَبْتُمْ ، لَسْتُ بِقَاتِلِهِ وَلَكِنِّي نَفَلْتُهَا ، قَالُوا :
هَلْ يَنْفَعُ إِلَّا الْقَاتِلَ ! قَالَ : إِنَّهَا لَمْ تَكُنْ عَلَيْهِ ؛ إِنَّمَا وَجِدْتُ فِي رَحْلِهِ ،
قَالُوا : كَذَبْتَ . فَأَصَابُوهُ .

قال : وكان مع المسلمين راهبٌ في هَجَرَ ؛ فَأَسْلَمَ يَوْمَئِذٍ فَقِيلَ : مَا دَعَاكَ
إِلَى الْإِسْلَامِ ؟ قَالَ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ ، خَشِيتُ أَنْ يَمْسَخَنِي اللَّهُ بَعْدَهَا إِنْ أَنَا لَمْ أَفْعَلْ ؛
فَيَبُضُّ فِي الرِّمَالِ ، وَتَمْهِيدُ أَتْبَاجِ الْبَحَارِ ^(٣) ، وَدَعَاءُ سَمْعَتِهِ فِي عَسْكَرِهِمْ فِي الْهَوَاءِ
مِنَ السَّحَرِ . قَالُوا : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ؛ لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ،
وَالْبَدِيعُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ ، وَالِدَائِمُ غَيْرُ الْغَافِلِ . وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ، وَخَالِقُ
مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى ، وَكُلَّ يَوْمٍ أَنْتَ فِي شَأْنٍ ، وَعَلِمْتَ اللَّهُمَّ كُلَّ شَيْءٍ ١٩٧٥/١
بِغَيْرِ تَعَلُّمٍ ^(٤) ؛ فَعَلِمْتَ أَنَّ الْقَوْمَ لَمْ يُعَانُوا بِالْمَلَأْنِكَةِ إِلَّا وَهْمَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ^(٥) .
فَلَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَعُونَ مِنْ ذَلِكَ
الْهَجَرِيِّ ^(٦) بَعْدَ .

(١) أَقْفَلُ النَّاسِ : أَرْجَعَهُمْ . (٢) الْأَغَانِي : « يَشْتَرِ إِلَيْهِ » .

(٣) الْأَغَانِي : « الْبُحُور » . (٤) الْأَغَانِي : « تَعْلِيم » .

(٥) الْخَبَرُ إِلَى هُنَا فِي الْأَغَانِي ١٥ : ٢٥٧ - ٢٦٢ ، مَعَ تَصَرُّفٍ وَاخْتِصَارٍ .

(٦) ابْنُ الْأَثِيرِ : « هَذَا مِنْهُ بَعْدَ » .

وكتب العلاء إلى أبي بكر : أما بعد ؛ فإن الله تبارك وتعالى فَجَّرَ لنا الدّهْنةَ فيضاً لا تُرَى غواربه ، وأرانا آية وعبرة بعد غمّ وكرب ، لنحمد الله ونمجّده ، فادعُ الله واستنصره لجنوده وأعوان دينه .

فحميد أبو بكر الله ودعاه ، وقال : ما زالت العرب فيما تحدثت عن بلدانها يقولون : إن لقمان حين سُئِلَ عن الدّهْنة : أيحترقها أو يدعونها ؟ نهاهم ، وقال : لا تبلغها الأرشيّة ، ولم تفرّ العين ؛ وإن شأن هذا الفيض من عظيم الآيات ، وما سمعنا به في أمة قبلها . اللهم أخلف محمداً صلى الله عليه وسلم فينا .

ثم كتب إليه العلاءُ بهزيمة أهل الخندق وقتل الحطيم ، قتله زيد ومعمار^(١) : أمّا بعد ، فإن الله تبارك اسمه سلّب عدونا عقولهم ، وأذهب ريحهم بشارب أصابوه من النهار ، فاقحمنا عليهم خندقهم ، فوجدناهم سُكّارى ، فقتلناهم إلّا الشريد ، وقد قتل الله الحطّيم .

فكتب إليه أبو بكر : أمّا بعد . فإن بلغك عن بنى شيان بن ثعلبة تمام على ما بلغك ، وخاض فيه المرّجفون ، فابعث إليهم جنداً فأوطئهم وشرّد بهم من خلفهم . فلم يجتمعوا ؛ ولم يصبر ذلك من إرجافهم إلى شيء .

ذكر الخبر عن ردّة أهل عُمان ومهرة واليمن

قال أبو جعفر : وقد اختلف في تاريخ حرب المسلمين . فقال محمد ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، عن سلّمة عنه : كان فتح اليمامة واليمن والبحرين وبعث الجنود إلى الشام في سنة اثنتي عشرة .

وأما أبو زيد فحدثني عن أبي الحسن المدائني في خبر ذكره ، عن أبي معشر ويزيد بن عياض بن جعدبة وأبي عبيدة بن محمد بن أبي

(١) لم يسمع ، وانظر ص ٣١٠ من ١٥ .

عُبَيْدَة وَغَسَّانَ بن عبد الحميد وَجُوَيْرِيَّةَ بن أسماء ، بإسنادهم عن مشيختهم وغيرهم من علماء أهل الشام وأهل العراق ؛ أَنَّ الفُتُوحَ في أهل الرَّدَّةِ كُلِّهَا كانت لخالد بن الوليد وغيره في سنة إحدى عشرة ، إِلَّا أُمَ ربيعةَ بن بُجَيْرٍ ؛ فَإِنَّهُ كَانَ في سنة ثلاث عشرة .

وقصة ربيعة بن بجير التغلبي أَنَّ خالد بن الوليد - فيما ذكر في خبره هذا الذي ذكرت عنه - بالمُصَيِّخِ وَالْحَصِيدِ . قام وهو في جَمْعٍ من المرتدين فقاتله ، وغَنِمَ وَسَبَى ، وأصاب ابنةً لربيعة بن بُجَيْرٍ ، فسابها وبعث بالسَّبْيِ إلى أبي بكر رحمه الله . فصارت ابنة ربيعة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

١٩٧٧/١

...

فَأَمَّا ^(١) أُمُّ عُمَانَ فَإِنَّهُ كَانَ - فيما كتب إلى السري بن يحيى يخبرني عن شُعَيْب ، عن سَيْفٍ ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد والغصن بن القاسم ودوسى الجليسي ^(٢) عن ابن مُحَيْرِيز ، قال : نِيعَ بَعْمَانَ ذُو النَّجَّاحِ لِقَيْطِ ^(٣) بن مالك الأزدي . وكان يسامى ^(٤) في الجاهلية الجُلَسَنَدِي ؛ وادَّعى بمثل ما ادَّعى به مَنْ كَانَ نَبِيًّا . وغلب على عُمَانَ مرتدًّا ، وألْحَأَ جَيْفَرًا وعبادًا إلى الأجيال والبحر . فبعث جَيْفَرًا إلى أبي بكر يخبره بذلك . ويستجيشه عليه . فبعث أبو بكر الصديق حذيفة بن محصن الغلصاني من حِمِيرٍ ، وعَرَفَجَةَ الْبَارِقِ من الأزدي ، حذيفة إلى عُمَانَ وعرفجة إلى مَهْرَةَ . وأمرهما إذا اتَّفَقَا أَنْ يَجْتَمِعَا عَلَى مَنْ يُعْتَا إِلَيْهِ ، وَأَنْ يَبْتَدِئَا بِعُمَانَ ، وحذيفة على عَرَفَجَةَ في وجهه ، وعَرَفَجَةُ على حذيفة في وجهه . فخرجا متساندين ، وأمرهما أَنْ يُجِدَّ السَّيْرَ حَتَّى يَقْدَمَا عُمَانَ ؛ فَإِذَا كَانَ مِنْهَا قَرِيبًا كَاتِبًا جَيْفَرًا وعبادًا ؛ وعملأ برأيهما . ففضيا لما أَمَرَا بِهِ ؛ وقد كان أبو بكر بعث عِكْرَمَةَ إلى مُسَيْلَمَةَ بِالْيَمَامَةِ ، وأتبعه شَرْحَبِيلُ بن حَسَنَةَ .

(١) ب ، س : « قال أبو جعفر فاما » (٢) كذا في ز و ي ب : « الجليسي » .

(٣) س : « ابن لقيط » . (٤) كذا في ط ، و ي س : « يسمى » .

وسمى لهما اليمامة ؛ وأمرهما بما أمر به حذيفة وعرفجة . فبادر عكرمة
 شُرْحَبِيل ، وطلب حظوة الظَّفَر ، فنكبه مُسَيْلَمَة ؛ فأحجم عن
 مُسَيْلَمَة ، وكتب إلى أبي بكر بالخبر ، وأقام شُرْحَبِيل عليه حيث بلغه
 الخبر ، وكتب أبو بكر إلى شُرْحَبِيل بن حسنة ؛ أن أقم بأدنى اليمامة
 حتى يأتبك أمرى ، وترك أن يُمَضِّيه لوجهه الذى وجهه له ؛ وكتب إلى
 عكرمة يُعَنِّفه لتسرعه ، ويقول : لا أرى نك ولا أسمع بك إلا بعد بلاء ،
 والحق بعُثمان حتى تقاتل أهل عُمان ، وتعين حذيفة وعرفجة ، وكل
 واحد منكم على خياله ، وحذيفة ما دُمَ في عمله على الناس ، فإذا فرغتم
 فامض إلى مَهْرَة ، ثم ليكن وجهك منها إلى اليمامة ، حتى تلاقى المهاجر
 ابن أبي أمية باليمن وبحضرموت ، وأوطئ من بين عمان واليمن ممن ارتد ؛
 وليبلغنى بلاؤك .

ففى عكرمة فى أثر عرفجة وحذيفة فيمن كان معه حتى لحق
 بهما قبل أن ينتهيا إلى عُمان ، وقد عهد إليهم أن ينتهوا إلى رأى عكرمة
 بعد الفراغ فى السير معه أو المقام بعُمان ، فلمَّا تلاحقوا — وكانوا قريباً من
 عُمان بمكان يُدعى رجماً^(١) — راسلوا جيفراً وعبدًا . وبلغ لقيطاً بجىء
 الجيش ، فجمع جموعه وعسكر يدبًا ، وخرج جيفر وعبد من موضعهما
 الذى كانا فيه ، فعسكرا بصُحَّار ، وبعثا إلى حذيفة وعرفجة وعكرمة
 فى القدوم عليهما ، فقدموا عليهما بصُحَّار ، فاستبرءوا ما يليهم حتى رضوا
 ممن يليهم ؛ وكاتبوا رؤساء مع لقيط وبدءوا بسيد بنى جديد ، فكاتبهم وكاتبوه
 حتى ارفضوا عنه ؛ وهبوا إلى لقيط ، فالتقوا على دَبَّا ، وقد جمع لقيط
 العيالات ، فجعلهم وراء صفوفهم ليُجترَبهم ؛ وليحافظوا على حُرْمهم —
 — ودَبَّا هى المِصر والسوق العظمى — فاقتتلوا يدبًا قتالا شديداً ؛ وكاد
 لقيط يستعلى الناس ؛ فبيناهم كذلك ، وقد رأى المسلمون الخلل ورأى
 المشركون الظَّفَر ، جاءت المسلمين موادُّهم العظمى من بنى ناجية ؛ وعليهم
 الخريث بن راشد ، ومن عبد القيس وعليهم سيحان بن صوحان ، وشواذب^(٢)

(٢) الشواذب : جمع شاذب ، وهو المتنحى عن وطنه .

(١) س : « رجمًا » .

عُمان من بني ناجية وعبد القيس ، فقوى الله بهم أهل الإسلام ، ووهن الله بهم أهل الشرك ؛ فولّى المشركون الأدبار ، فقتلوا منهم في المعركة عشرة آلاف ، وركبهم حتى أئخذوا فيهم ، وسبّوا الذراري ، وقسموا الأموال على المسلمين ، وبعثوا بالخمسة إلى أبي بكر مع عرفة ، ورأى عكرمة وحذيفة أن يقيم حذيفة بعُمان حتى يوطئ الأمور ، ويسكن الناس ؛ وكان الخمس ثمانمائة رأس ، وغنموا السوق بخذافيها . فسار عرفة إلى أبي بكر بخمسة السبئي والمغانم ، وأقام حذيفة لتسكين الناس ، ودعا القبائل حول عُمان إلى سكون^(١) ما أفاء الله على المسلمين ، وشواذب عُمان ، ومضى عكرمة في الناس ، وبدأ بمهرة ، وقال في ذلك عبّاد الناجي :

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاقَ لَقِيطَ بْنَ مَالِكٍ مِنْ الشَّرِّ مَا أَخْزَى وَجْهَ الثَّمَالِبِ ١٩٨٠/١
وَبَادَى أَبَا بَكْرٍ وَمِنْ هَلٍّ قَارَتَمِي خَلِيجَانِ مِنْ تَيَّارِهِ الْمَتْرَاكِبِ
وَلَمْ تَنْهَهُ الْأَوَّلَى وَلَمْ يُنْكَأَ الْعِدَا فَأَلَوْتُ عَلَيْهِ خَيْلَهُ بِالْجَنَائِبِ^(٢)

• • •

ذكر خبر مهرة بالنجد

ولمّا فرغ عكرمة وعرفة وحذيفة من ردة عُمان ، خرج عكرمة في جنده نحو مهرة ، واستنصر من حول عُمان وأهل عُمان ، وسار حتى يأتي مهرة ، ومعه ممن استنصره من ناجية والأزد وعبد القيس وراسب وسعد من بني تميم^(٣) بشر^(٤) ؛ حتى اقتحم على مهرة بلادها ، فوافق بها جمعيتين من مهرة : أمّا أحدهما فبمكان من أرض مهرة يقال له : جَيْرُوت ، وقد امتلأ ذلك الحيز إلى نضدُون - قاعيتين من قيعان مهرة - عليهم شخريت ، رجل من بني شخراة ؛ وأمّا الآخر فبالنجد ؛ وقد انقادت

(١) سكون ، بمعنى السكنى ، وهو الإقامة . (٢) ب : « بالحائب » .

(٣) وهو سعد بن زيد ، وانظر ص ٣٢٧ س ١٤ . (٤) ز : « يسير » .

متهرة جميعاً لصاحب هذا الجمع ؛ عليهم المصباح ؛ أحد بنى محارب
والناس كلهم معه ؛ إلا ما كان من شخرية ، فكانا مختلفين ؛ كل واحد ١٩٨١/١
من الرئيس يدعو الآخر إلى نفسه ، وكل واحد من الجندتين يشتهي أن
يكون الفلج^(١) لرئيسهم ؛ وكان ذلك ممّا أعان الله به المسلمين وقتواهم
على عدوهم ؛ وهتهم .

ولما رأى عكرمة قلة من مع شخرية دعاه إلى الرجوع إلى الإسلام ؛
فكان لأول الدعاء ، فأجابه وهن الله بذلك المصباح . ثم أرسل إلى المصباح
يدعوه إلى الإسلام والرجوع عن الكفر ؛ فاغتر بكثرة من معه ، وازداد مباحدة
لمكان شخرية ، فسار إليه عكرمة ، وسار معه شخرية ، فالتقوا هم
والمصباح بالنجد ؛ فاقتتلوا أشد من قتال دبا .

ثم إن الله كشف جنود المرتدين ، وقتل رئيسهم ، وركبهم المسلمون
فقتلوا منهم ما شاءوا ، وأصابوا ما شاءوا ، وأصابوا فيما أصابوا ألفى نجية ،
فخمس عكرمة النى ، فبعث بالأخماس مع شخرية إلى أبى بكر ، وقسم
الأربعة الأخماس على المسلمين ، وازداد عكرمة وحنده قوة بالظهور والمتاع
والأداة ، وأقام عكرمة حتى جمعهم على الذى يحب ، وجمع أهل النجد ؛
أهل رياض^(٢) الروضة ، وأهل الساحل ؛ وأهل الجزائر ؛ وأهل المر واللبان
وأهل جيروت ، وظهور الشحر والصبرات ، وينعب ، وذات الخيم ؛ فبايعوا ١٩٨٢/١
على الإسلام ، فكتب بذلك مع البشير - وهو السائب أحد بنى عابد من مخزوم -
فقدم على أبى بكر بالفتح ، وقدم شخرية بعده بالأخماس ، وقال فى
ذلك علجوم المحاربى :

جزى الله شخريتا وأفناء هيميم
جزاء مسمى أم يراقب الذمة^(٣)
ولم ير جها فيما يرجو الخراب^(٤)
وفرضم إذ سارت إلينا الحلاب^(٥)
لضقت عليك بالفضاء المذاب

(١) الفجج : الفوز والنصر .

(٢) ط : « رياضة » ، ورياض الروضة : موضع ذكره ياقوت وقال : إنه بأرض مهرة من

أقصى اليمن ، له ذكر فى الردة . وانظر ص ٣٣٢ من ٤ ، ١٤ (٣) الحلاب : الجماعات .

(٤) ط « ذمة » ، وما أثبتته من ز ، وفى ابن كثير : « لديته » .

وَكُنَّا كَمَنْ إِقْتَادَ كَفًّا بِأَخْتَبَا وَحَلَّتْ عَلَيْنَا فِي الدُّهُورِ النُّوَابُ

ذكر خبر المرتدين باليمن

قال أبو جعفر : كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن عكرمة وسهل ، عن القاسم بن محمد ، قال : توفّي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى مكة وأرضها عتّاب بن أسيد والطاهر بن أبي هالة ؛ عتّاب على بني كنانة ، والطاهر على عك ؛ وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : اجعلوا عمالة عك في بني أبيها معدّ بن عدنان ، وعلى الطائف وأرضها عثمان بن أبي العاص ومالك بن عوف النصرى ، عثمان على أهل المدّر ومالك على أهل الوبر أعجاز هوازن ، وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم وأبو سفيان ابن حرب ؛ عمرو بن حزم على الصلّة وأبو سفيان بن حرب على الصدقات ، وعلى ما بين رمع وزبيد إلى حدّ نَجْرَان خالد بن سعيد بن العاص ، وعلى همدان كلّها عامر بن شهر ، وعلى صنعاء فيروز الديلمي يسانده ^(١) داؤد بنه وقيس بن المكشوح ، وعلى الجند يعلّى بن أميّة ، وعلى مأرب أبو موسى الأشعري ، وعلى الأشعرين مع عك الطاهر بن أبي هالة ، وسعد بن جبل يعلم القوم ، ينتقل ^(٢) في عمّال كلّ عامل ، فنزاهم ^(٣) الأسود في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، فحاربته النبي عليه السلام بالرّسل والكتب حتى قتله الله ، وعاد أمر النبي عليه السلام كما كان قبل وفاة النبي عليه السلام بليلة ؛ إلا أن مجيئهم لم يحرك النّاس ، والنّاس مستعدّون ^(٤) له .

فلما بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم انتقضت اليمن والبلدان ؛ وقد كانت تذبذبّت خيول العنسيّ - فيما بين نَجْرَان إلى صنعاء في

(١) ح : « مساندة » مؤثبت ما في ز .

(٢) ب : « ينتقل » .

(٣) نزاهم . أي وثب .

(٤) س : « مستعدون » .

عرض ذلك البحر - لا تأوى إلى أحد ، ولا يأوى إليها أحد ؛ فعمر بن
معد يكرب بحيال فتروة بن مُستيك ، ومعاوية بن أنس في قتالة العنسي
يتردد ، ولم يرجع من عمان النبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاة النبي صلى الله
عليه وسلم إلا عمرو بن حزم وخالد بن سعيد ، ولجأ سائر العمال إلى
المسلمين ؛ واعترض عمرو بن معديكرب خالد بن سعيد ؛ فسلبه الصمصامة .
ورجعت الرُّسل مع من رجع بالخبر ، فرجع جرير بن عبد الله والأقرع بن
عبد الله ووبر بن يُحَنَس ، فحارب أبو بكر المرتدة جميعاً بالرسول
والكتب ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاربهم ؛ إل أن رجع
أسامة بن زيد من الشام ، وحزر ذلك ثلاثة أشهر ، إلا ما كان من أهل
ذي حُمَي وذى القصة . ثم كان أول مصادم عند رجوع أسامة هم ^(١) . فخرج إلى
الأبرق فلم يصمد لقوم فيفلتهم ^(٢) إلا استنفر من لم يرتد منهم إلى آخرين ،
فيفل بطائفة من المهاجرين والأنصار والمستنفر من لم يرتد إلى التي تليهم ؛
حتى فرغ من آخر أمور الناس ، ولا يستعين بالمرتدين .

فكان أول من كتبت إليه عتاب بن أسيد ، كتب إليه بركوب من
ارتد من أهل عمله بمن ^(٣) ثبت على الإسلام . وعثمان بن أبي العاص بركوب من
ارتد من أهل عمله بمن ثبت على الإسلام ، فأما عتاب فإنه بعث خالد
ابن أسيد إلى أهل تهامة ، وقد جمعت بها جماع من مدلج ، وتأشب
إليهم شذاذ من خزاعة وأقناء كنانة ، عليهم جندب بن سلمى ،
أحد بني شنوق ^(٤) ، من بني مدلج ، ولم يكن في عمل عتاب جمع غيرد ،
فالتقوا بالأبارق ، ففرقهم وقتلهم ، واستحرق القتل في بني شنوق ، فما زالوا
أذلاء قليلاً ، وبرزت عمالة عتاب ، وأفلت جندب ، فقال جندب
في ذلك :

ندمت وأيقنت الغداة بأنني أتيتُ التي يَبقى على المرء عارُها
شهدتُ بأن الله لا شيء غيره بني مدلج فأنه ربي وجارُها

(١) كذا في ز ، وفي ط : « هو » (٢) س : « نحن » (٣) من : « شون »

وبعث عثمان بن أبي العاص بعثا إلى شَنْوَة ، وقد تجمعت بها جُمَاع من الأزد وبَجِيلَة وخَضَعَم ؛ عليهم حُمَيْضَة بن النُّعْمَان ، وعلى أهل الطَّائِف عثمان بن ربيعة ، فالتقوا بشَنْوَة ، فهزموا تلك الجُمَاع ، وتفرقوا عن حُمَيْضَة وهرب حُمَيْضَة في البلاد ، فقال في ذلك عثمان بن ربيعة :

فَضَضْنَا جَمْعَهُم وَالنَّقْعُ كَابٍ وَقَدْ تُعَدِّي عَلَى الْقَدْرِ الْفُتُوقُ
وَأَبْرَقَ بَارِقٌ لَمَّا التَقِينَا فَعَادَتْ خَلْبًا تِلْكَ الْبُرُوقُ

خبر الأخابث من عك

قال أبو جعفر : وكان أول منتقض بعد النبي صلى الله عليه وسلم بتهمامة عك والأشعرُونَ ، وذلك أَنَّهُمْ حِينَ ^(١) بَلَغَهُمْ مَوْتُ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم تَجَمَّعَ مِنْهُمْ طَخَارِيرُ ^(٢) ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِمْ طَخَارِيرُ مِنَ الْأَشْعَرِينَ وَخَضَعَمَ فَاَنْضَمُوا إِلَيْهِمْ ، فَأَقَامُوا عَلَى الْأَعْلَابِ طَرِيقَ السَّاحِلِ ، وَتَأَشَّبَ إِلَيْهِمْ أَوْزَاعٌ عَلَى غَيْرِ رَئِيسٍ ؛ فَكَتَبَ بِذَلِكَ الطَّاهِرُ بْنُ أَبِي هَالَةَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ؛ وَسَارَ إِلَيْهِمْ ، وَكَتَبَ أَيْضًا بِمَسِيرِهِ إِلَيْهِمْ ، وَمَعَهُ مَسْرُوقٌ الْعَكِّيُّ حَتَّى انْتَهَى ^(٣) إِلَى تِلْكَ الْأَوْزَاعِ ، عَلَى الْأَعْلَابِ ، فَالتَقُوا فَاقْتَلَوْا ، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ ، وَقَتَلُوهُمْ كُلَّ قَتْلَةٍ ؛ وَأَنْتَسَبَتِ السُّبُلُ لِقَتْلِهِمْ ؛ وَكَانَ مَقْتُلُهُمْ فَتْحًا عَظِيمًا . وَأَجَابَ أَبُو بَكْرٍ الطَّاهِرَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ كِتَابُهُ بِالْفَتْحِ :

بلغني كتابك تخبرني فيه مسيرك واستنفارك مسروقًا وقومته إلى الأخابث بالأعْلَابِ ، فقد أصببت ، فعاجلوا هذا الضرب ولا ترقبها عنهم ، وأقيموا بالأعْلَابِ حتى يأمن طريق الأخابث ، ويأتيكم أمرى . فسميت تلك

(١) من : « حين مات » .

(٢) يقال : جاء في طخارير ؛ أى في أشابة من الناس متفرقين .

(٣) ز : « انتهى » .

الجموع من عكّ ومنّ تأشّب إليهم إلى اليوم الأخابيث ، وسمّي ذلك الطريق طريق الأخابيث ؛ وقال في ذلك الطاهر بن أبي هالة :

والله لو لا الله لاشيء غيره لما فُضَّ بالأجرع جَمْعُ العُثَاثِ (١)
فلم ترَ عيني مثلَ يومِ رأيتهُ بِجَنبِ صُحَّارٍ فِي جَمُوعِ الْأَخَابِيثِ (٢)
قَتَلْنَاهُمْ ما بين قُنَّةٍ خَامِرٍ إلى القِيَمَةِ الْحَمَاءِ ذَاتِ النَبَائِثِ (٣) ١٩٨٧/١
وَفِئْنَا بِأَمْوَالِ الْأَخَابِيثِ عَنَوَةً جِهَارًا وَلَمْ نَحْفِلْ بِتِلْكَ الْهَنَاهِثِ (٤)

وعسكر طاهر على طريق الأخابيث ، ومعه مسروق في عكّ ينتظر أمر أبي بكر رحمه الله .

• • •

قال أبو جعفر : ولما بلغ أهل نَجْرَانَ وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يومئذ أربعون ألف مقاتل ، من بني الأفعى ؛ الأُمّة التي كانوا بها قبل بني الحارث ؛ بعثوا وفدًا ليجدّوا عهدًا ، فقدموا إليه (٥) فكتب لهم كتابًا :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نَجْرَانَ ، أجارهم من جُنْدِهِ ونَفْسِهِ ، وأجاز لهم ذمّة محمد صلى الله عليه وسلم إلّا ما رجع عنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله عز وجل في أرضهم وأرض العرب ؛ ألا يسكن بها دينان ؛ أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم (٦) وعاديتهم ، وغائبهم وشاهدهم ، وأسقفتهم ورهبانهم وبيعهم (٧) حيشما وقعت ؛ وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير ؛ عليهم ما عليهم ، فإذا أدّوه فلا

(١) ياقوت ١ : ١٤٦ .

(٢) ياقوت : « بجمع مجاز » .

(٣) ياقوت : « إلى القِيَمَةِ البيضاء » .

(٤) الهبة : التخليط في الأمر .

(٥) س : « عليه » .

(٦) س : « وحاشيتهم » .

(٧) ب : « وبيعهم » .

يُحْشَرُونَ وَلَا يُعَشَّرُونَ^(١) . وَلَا يَغَيِّرُ أَسْقَفٌ مِنْ أَسْقَفِيَّتِهِ ، وَلَا رَاهِبٌ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِ ؛ وَوَفَّى لَهُمْ بِكُلِّ مَا كَتَبَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَى مَا فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ ذِمَّةِ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَوَارِ الْمُسْلِمِينَ . وَعَلَيْهِمُ النَّصْحُ وَالْإِصْلَاحُ فِيمَا عَلَيْهِمْ مِنَ الْحَقِّ . شَهِدَ الْمِسُورُ بْنُ عَمْرٍو ، وَعَمْرٍو مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ .

ورد أبو بكر جرير بن عبد الله ، وأمره أن يدعو من قومه من ثبت على أمر الله ، ثم يستنفر مقييهم^(٢) ، فيقاتل بهم من ولّى عن أمر الله . وأمره أن يأتي خشعهم ؛ فيقاتل من خرج غضباً لذي الخلاصة ؛ ومن أراد إعادته^(٣) حتى يقتلهم الله ، ويقتل من شاركهم فيه ؛ ثم يكون وجهه إلى نجران ، فيقيم بها^(٤) حتى يأتيه أمره .

فخرج جرير فنفذ^(٥) لما أمره به أبو بكر ، فلم يقر له أحد إلا رجالاً في عدّة قليلة ، فقتلهم وتبعهم ؛ ثم كان وجهه إلى نجران ، فأقام بها انتظاراً أمر أبي بكر رحمه الله .

وكتب إلى عثمان بن أبي العاص أن يضرب بعضاً على أهل الطائف على كلٍ مخالف بقدره ، ويولّي عليهم رجلاً يأمنه ويتيق بناحيته ؛ فضرب على كلٍ مخالف عشرين رجلاً ، وأمر عليهم أخاه .

وكتب إلى عتاب بن أسيد ؛ أن اضرب على أهل مكة وعملها خمسمائة مقييهم^(٦) ؛ وأبعث عليهم رجلاً تأمنه ، فسمّى من يبعث ، وأمر عليهم خالد بن أسيد ؛ وأقام أمير كل قوم ، وقاموا على رجل^(٦) ليأتيهم أمر أبي بكر ، وليمر عليهم المهاجر .

(١) ز : « يعشرون » .

(٢) ز : « مقييهم » ومقويهم : القوى بنفسه ودابته .

(٣) ز : « إعادتهم » .

(٤) ب : « به » .

(٥) ز : « فنفر » .

(٦) قاموا على رجل كما يقال : قاموا على قدم وساق .

ردّة أهل اليمن ثانية

قال أبو جعفر: فممن ارتدّ ثانية منهم، قيس بن عبد يغوث المكشوح^(١)؛ كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، قال: كان من حديث قيس في ردّته الثانية، أنه حين وقع إليهم الخبر بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم انتكث، وعمل في قتل فيروز وداذويه وجشيش، وكتب أبو بكر إلى عُمير ذى مُرّان وإلى سعيد ذى زود وإلى سَمِيفَع ذى الكَلّاع، وإلى حَوْشَب ذى ظُلَيْم، وإلى شَهْر ذى يَناف، يأمرهم بالتمسك بالذي هم عليه، والقيام بأمر الله والناس، ويعدّهم الجنود:

من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عُمير بن أَفْلَح ذى مُرّان، وسعيد بن العاقب ذى زود؛ وسَمِيفَع بن ناكُور ذى الكَلّاع وحَوْشَب ذى ظُلَيْم، وشهر ذى يَناف. أمّا بعد، فأعينوا الأبناء على مَنْ نَاوَاهُمْ وحَوَّطُوهُمْ واسمعوا سِنَ فيروز، وجِدُوا معه، فإنّي قد وليتُهُ.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد، عن عُرْوَة بن غزِيّة الدَّشِينِيّ، قال: لَمَّا وَلِيَ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ فيروز؛ ١٩٩٠/١ وهم قبل ذلك متساندون؛ هو وداذويه وجشيش وقيس؛ وكتب إلى وجوه من وجوه أهل اليمن؛ ولما سمع بذلك قيس أرسل إلى ذى الكَلّاع وأصحابه: إنّ الأبناء نَزَّاع في بلادكم، ونُقَلَاء فيكم^(٢)؛ وإن تركوهم لن يزلوا عليكم؛ وقد أَرَى من الرأى أن أقتل رؤسهم، وأخرجهم من بلادنا. ففترعوا، فلم يمالئوه ولم ينصروا الأبناء، واعتزلوا وقالوا: لسنا ممّا ها هنا في شيء، أنت صاحبهم وهم أصحابك.

فتربّص لهم قيس، واستعدّ لقتل رؤسائهم وتسيير عامتهم؛ فكتب قيس تلك القالة السيّارة اللَّحْجِيّة؛ وهم يصعدون في البلاد ويصوبون،

(١) المكشوح لقب عبد يغوث بن هيرة بن الحارث بن عمرو بن عامر المرادي. وانظر التاج (كش).

(٢) النزاع: جمع نازع؛ وهو الغريب. والنقلاء: جمع نقيل؛ وهو الغريب أيضاً.

محاربين لجميع من خالفهم ؛ فكاتبهم قيس في السر ، وأمرهم أن يتعجلوا إليه ؛ وليكون أمره وأمرهم واحداً ؛ وليجتمعوا^(١) على نفي الأبناء من بلاد اليمن . فكتبوا^(٢) إليه بالاستجابة له . وأخبروه أنهم إليه سراع ؛ فام يفتجأ أهل صنعاء إلا الخبر بدنوهم منها ، فأتى قيس فيروز في ذلك كالفرق من هذا الخبر وأتى داذويه ؛ فاستشارهما ليلبس عليهما ، ولئلا يتتهما ، فنظروا في ذلك واطمأنوا إليه .

ثم إن قيساً دعاهم من الغد إلى طعام ، فبدأ داذويه ، وثنى بفيزوز ، وثالث بجشيش ؛ فخرج داذويه حتى دخل عليه ؛ فلماً دخل عليه عاجله فقتله ، ١٩٩١/١
وخرج فيروز يسير حتى إذا دننا سمع امرأتين على سطحين يتحدثان ، فقالت إحداهما : هذا مقتول كما قتل داذويه ؛ فلقبهما ، فعاج حتى يرى أوى القوم الذي أربشوا^(٣) ، فأخبر برجع فيروز ؛ فخرجوا يركضون ، وركض فيروز ، وتلقاه جشيش ، فخرج معه متوجهاً نحو جبل خولان - وهم أخوال فيروز - فسبقا الخيول إلى الجبل ، ثم نزلا ، فتوقلا وعليهما خفاف ساذجة ، فما وصلا حتى تقطعت أقدامهما ، فانتهيا إلى خولان وامتنع فيروز بأخواله ، وآلى ألا ينتعل ساذجاً ، ورجعت الخيول إلى قيس ؛ فنار بصنعاء فأخذها ، وجبى ما حولها ، مقدماً رجلاً ومؤخراً أخرى ، وأنته خيول الأسود . ولمّا أوى فيروز إلى أخواله خولان فنعوه وتأسب إليه الناس ، كتب إلى أبي بكر بالخبر . فقال قيس : وما خولان ! وما فيروز ! وما قرار أوا إليه ! وطابق على قيس عوام قبائل من كتب أبو بكر إلى رؤسائهم ، وبقى الرؤساء معتزلين ، وعمد قيس إلى الأبناء ففرقهم ثلاث فرق : أقر من أقام وأقر عياله ، وفرق عيال الذين هربوا إلى فيروز فرقتين ؛ فوجه إحداهما إلى عدن ؛ ليحملوا في البحر ، وحمل الأخرى في البر ، وقال لهم جميعاً : الحقوا بأرضكم ؛ وبعث معهم من يسيرهم ؛ فكان عيال الديلمي ممن سير في البر

(٢) ز : « فقاموا » .

(١) س : « وأن يجمعوا » .

(٣) أربشوا : أشرفوا علوا .

وعيال داذويه ممن سِيرَ في البحر ؛ فلمّا رأى فيروز أن قد اجتمع عوامُ أهل اليمن على قيس ؛ وأنّ العيال قد سَـيَروا وعَرَضَهم للنَّهب ، ولم يجد إلى فراق عسكره في تنقذِهم سبيلا ؛ وبلغه ما قال قيس في استصغاره الأخوال والأبناء ، فقال فيروز منتمياً ومفاخرّاً وذكر الظُّعن :

ألا ناديا ظُمنّا إلى الرَّمْلِ ذى النَّخلِ وقولا لها ألا يُقالَ ولا عَذْلِي
وما ضَرَّهم قولُ العُدّةِ لو أنّه^(١) أتى قومه عن غير فحش ولا بخلِ
فَدَعُ عَنْكَ ظُمنّا بالطريقِ التى هَوَتْ لَطِيئَتِها صَمَدَ الرَّمالِ إلى الرَّمْلِ^(٢)
وإنّا وإن كانت بصنعا دارُنا^(٣) لنا نسلُ قومٍ مِن عَرانينهم نَسْلِي
وللديلم الرّزامُ من بعد باسلِ^(٤) أبى الخَفْضِ واختارَ الحرور على الظّلِّ
وكانت مَنابِتُ العراقِ جسامُها لرَهْطِي إذا كسرى مرّاجِلُهُ تَغْلِي
وباسلِ أَصْلِي إن نَمَيْتُ وَمَنْصَبِي كما كلُّ عودٍ مُنتَهاهِ إلى الأَصْلِ
هُمُ تَرَكَوا مَجْرايَ سَهْلا وَحَصَنُوا فباجى بِحَسَنِ القَوْلِ وَالْحَسْبِ الْجَزْلِ^{١٩٩٣/١}
فما عَزّنا فى الجَهْلِ من ذى عَدَاوَةٍ أبى الله إلا أنْ يَعْزّى على الجَهْلِ
ولا عاقبا فى السَّلمِ عن آلِ أَحْمَدِ ولا خَسَّ فى الإسلامِ إِذْ اسْلَمُوا قَبْلِي
وإنْ كان سَجَلٌ من قَبيلِ أَرَشَنِي فإني لَرّاجٍ أنْ يُغَرِّقَهُمْ سَجْلِي

وقام فيروز في حربه ، وتجرّد لها ، وأرسل إلى بنى عُقَيْلِ بن ربيعة بن عامر بن صعصعة رسولاً بأنّه متخفّر بهم ، يستمدّهم ويستنصرهم في ثَقَلَه على اللّذين يزعمون أثقال الأبناء ، وأرسل إلى عك رسولا يستمدّهم ويستنصرهم على اللّذين يزعمون أثقال الأبناء . فركبت عُقَيْلِ وعليهم رجل من الحلفاء يقال له معاوية ، فاعترضوا خيل قيس فنقذوا أولئك العيال . وقتلوا الذين سَـيَروهم ، وقصروا عليهم القرى ؛ إلى أن رجع فيروز إلى

(١) ط : « أئرى » ، وأثبت ما فى ب . (٢) س : « صم الرمال » .

(٣) ط : « فإن كانت بصنعا » وما أثبتته من س . (٤) ب ، س : « والديلم » .

صَنَعَاءَ ، وَوُثِبَتْ عَكَ ؛ وَعَلَيْهِمْ مَسْرُوقٌ ، فَسَارُوا حَتَّى تَنَقَّدُوا عِيَالَاتِ
الْأَبْنَاءِ ، وَقَصُرُوا عَلَيْهِمُ الْقُرَى ، إِلَى أَنْ رَجَعَ فَيَرْوِرَ إِلَى صَنَعَاءَ . وَأَمَدَّتْ
عُقَيْلٌ وَعَكَ فَيَرْوِرَ بِالرَّجَالِ ، فَلَمَّا أَتَتْهُ أَمْدَادُهُمْ - فِيمَنْ كَانَ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ -
خَرَجَ فِيمَنْ كَانَ تَأَشَّبَ إِلَيْهِ وَمِنْ أَمَدَةٍ مِنْ عَكَ وَعُقَيْلٍ ، فَتَاهَدَ ١٩٩٤/١
قَيْسًا فَالْتَقَوْا دُونَ صَنَعَاءَ ، فَاقْتَتَلُوا فَهَزَمَ اللَّهُ قَيْسًا فِي قَوْمِهِ وَمَنْ أَنَهَضُوا ،
فَخَرَجَ هَارِبًا فِي جَنْدِهِ حَتَّى عَادَ مَعَهُمْ ، وَعَادُوا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانُوا بِهِ (١)
مِبَادِرِينَ حِينَ هَرَبُوا بَعْدَ مَقْتَلِ الْعَنْسَى . وَعَلَيْهِمْ قَيْسٌ ، وَتَدَبَّدَّتْ (٢)
رَافِضَةُ الْعَنْسَى وَقَيْسٌ مَعَهُمْ فِيمَا بَيْنَ صَنَعَاءَ وَنَجْرَانَ . وَكَانَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ
بِلِزَاءِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ فِي طَاعَةِ الْعَنْسَى .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ عَطِيَّةَ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ
سَلَمَةَ . قَالَ : وَكَانَ مِنْ أَمْرِ فَرْوَةَ بْنِ مُسَيْكٍ أَنَّهُ كَانَ قَدِمَ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمًا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ :

لَمَّا رَأَيْتُ مَلُوكَ حِمَيْرٍ أَعْرَضَتْ كَالرَّجُلِ خَانَ الرَّجُلَ عِرْقُ نَسَائِهَا
يَمْتُ رَاحِلَتِي . أَمَامَ مُحَمَّدٍ أَرْجُو فَوَاضِلَهَا وَحُسْنَ ثَنَائِهَا
وَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ لَهُ : هَلْ سَاءَ كَمَا لَقِيََ
قَوْمُكَ يَوْمَ الرِّزْمِ يَا فَرْوَةُ أَوْ سَرَّكَ ؟ قَالَ : وَمَنْ يُصَبُّ فِي قَوْمِهِ بِمِثْلِ
الَّذِي أَصَبْتُ بِهِ فِي قَوْمِي يَوْمَ الرِّزْمِ إِلَّا سَاءَهُ ذَلِكَ (٣) !

وَكَانَ يَوْمَ الرِّزْمِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ هَمْدَانَ عَلَى يَغُوثٍ ؛ وَثَنٌ كَانَ
يَكُونُ فِي هَؤُلَاءِ مَرَّةً وَفِي هَؤُلَاءِ مَرَّةً . فَأَرَادَتْ مُرَادَ أَنْ تَغْلِبَهُمْ عَلَيْهِ فِي
مَرَّتِهِمْ . فَفَقَتَلْتَهُمْ هَمْدَانَ . وَرَأَيْتُهُمُ الْأَجْدَعُ أَبُو مَسْرُوقٍ ؛ فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَّا إِنْ ذَلِكَ لَمْ يَزِدْهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِلَّا
خَيْرًا ؛ فَقَالَ : قَدْ سَرَّتْنِي إِذْ كَانَ ذَلِكَ . فَاسْتَعْمَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ صَدَقَاتٍ مُرَادَ وَمَنْ نَازِلُهُمْ أَوْ نَزَلَ دَارَهُمْ . وَكَانَ
عَمْرُو بْنُ مَعْدِيكَرِبَ قَدْ فَارَقَ قَوْمَهُ سَعْدَ الْعَشِيرَةِ فِي بَنِي زُبَيْدٍ وَأَخْلَافِهَا ، وَانْحَازَ ١٩٩٥/١

(١) ب : « فيه » . (٢) ز : « وتذبذب » .

(٣) انظر ص ١٣٥ ، ١٣٦ من هذا الجزء .

إليهم ، وأسلم معهم ؛ فكان فيهم ، فلمَّا ارتدَّ العنسيّ وتَّبِعَهُ عوامٌ مذحِجٌ ،
اعتزل فرّوةَ فيمَن أقام معه على الإسلام ، وارتدَّ عمرو فيمَن ارتدَّ ، فخلّفه
العنسيّ ، فجعله بلذاء فرّوة . فكان بحيله ، ويمتنع كلُّ واحد منهما ليتمكن
صاحبه من البِرّاح ، فكانا يتهاديان الشعر ، فقال عمرو يذكر إمارة
فرّوة ويعيها :

وَجَدْنَا مُلْكَ فَرَّوَةٍ شَرَّ مُلْكٍ حِمَارًا سَافَ مَنَحِرُهُ بِقَدَرٍ
وَكُنْتَ إِذَا رَأَيْتَ أَبَا عَمِيرٍ تَرَى الْخَوْلَاءَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدَرٍ
فَأَجَابَهُ فَرَّوَةُ :

أَتَمَنَى عَنْ أَبِي ثَوْرٍ كَلَامٌ وَقَدِمًا كَانَ فِي الْأَبْنَاءِ يَجْرَى
وَكَانَ اللَّهُ يُبْفِضُهُ قَدِيمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ خُبْتٍ وَغَدَرٍ
فبيناهم كذلك قدم عكرمة أبيين .

وكتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم
وموسى بن الغصن ، عن ابن مُحَيَّرِيز ، قال : فخرَجَ عكرمة من مَهْرَةَ
سائرًا نحو اليمن حتى وَرَدَ أَبْيَيْنَ . ومعه بشرٌ كثير من مَهْرَةَ ، وسعد بن
زيد ، والأزد ، وناجية ، وعبد القيس ، وحُدْبَان من بني مالك بن كنانة ،
وعمر بن جندب من العنسيّ . فجمع النَخَع بعد من أصاب ^(١) من مدبّرهم ١٩٩٦/١
فقال لهم : كيف كنتم في هذا الأمر ؟ فقالوا له : كنّا في الجاهليّة أهل
دين ، لا نتعاطى ما تتعاطى العرب بعضها من بعض ، فكيف بنا إذا
صرنا إلى دين عرفنا فضله ، ودخلنا حبّه ! فسأل عنهم فإذا الأمر كما قالوا ،
ثبت عوامهم وهرب من كان فارق من خاصتهم ، واستبرأ النَخَع وحميّير .
وأقام لاجتماعهم ، وأرَزَّ قيس بن عبد يغوث لهبوط عكرمة إلى اليمن إلى
عمرو بن معديكرب ، فلمّا ضامّه ^(٢) وقع بينهما تَسَاوُزٌ ، فتعايرّا ، فقال

(١) ز : « ما أصاب » .

(٢) ضامه ، بمعنى ضمه ، يقال : نهض للقتال وضامه قومه .

عمرو بن معد يكرب يُعَيَّر قيساً غَدْرَهُ بالأبناء وقتله داذويه ، ويذكر
فراره من فيروز :

غَدَرْتُ وَلَمْ تُخْسِنْ وَفَاءٌ وَلَمْ يَكُنْ لِيَحْتَمِلِ الْأَسْبَابَ إِلَّا الْمَعْوَدُ
وَكَيْفَ لَقَيْسٍ أَنْ يُنَوِّطَ نَفْسَهُ إِذَا مَا جَرَى وَالْمَضْرِحِيُّ الْمَسْوَدُ^(١) !
وقال قيس :

وَفَيْتُ لِقَوْمِي وَأَحْتَشَدْتُ لِمَعَشَرٍ أَصَابُوا عَلَى الْأَحْيَاءِ عَمْرًا وَمَرْتَدًا
وَكُنْتُ لَدَى الْأَبْنَاءِ لَمَّا لَقِيَتْهُمْ كَأَصِيدَةٍ يَسْمُو بِالْعَزَازَةِ أَصِيدًا
وقال عمرو بن معد يكرب :

فَمَا إِنْ دَاذَوْنِي لَكُمْ بِفَخْرٍ وَلَكِنْ دَاذَوْنِي فَضَحَ الذَّمَّارَا
وَفَيْرُوزُ غَدَاةٍ أَصَابَ فِيكُمْ وَأَضْرَبَ فِي جُمُوعِكُمْ اسْتِجَارَا^(٢)

• • •

ذكر خبر طاهر حين شخص مددًا لفيروز

١٩٩٧/١

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : قد كان أبو بكر رحمه الله كتب إلى
طاهر بن أبي هالة بالنزول إلى صنعاء وإعانة^(٣) الأبناء ، وإلى
مسروق ، فخرجا حتى أتيا صنعاء ، وكتب إلى عبد الله بن ثور بن أصغر ،
بأن يجمع إليه العرب ومن استجاب له من أهل تهامة ، ثم يقيم بمكانه حتى
يأتيه أمره .

وكان أول ردة عمرو بن معد يكرب أنه كان مع خالد بن سعيد
فخالفه ، واستجاب للأسود ، فسار إليه خالد بن سعيد حتى لقيه ، فاختلعا
ضربتين ، فضربه خالد على عاتقه فقطع حِمالة سيفه فوق ، ووصلت
الضربة إلى عاتقه ، وضربه عمرو فلم يصنع شيئاً ، فلما أراد خالد أن
يُثْنِيَ عليه نزل فتوقل^(٤) في الجبل ، وسلبه فرسه وسيفه الصمصامة ،

(١) ينوط نفسه : يكرمها . والمضرحي : السيد الكريم . (٢) ب ، س : « وأصوب » .

(٣) س : « في إعانة » . (٤) توقل في الجبل : صعد في أعلاه .

ولحق عمرو فيمن لحج^(١). وصارت إلى سعيد بن العاص الأصغر مواريث آل سعيد بن العاص الأكبر. فلما ولي الكوفة عرض عليه عمرو ابنته، فلم يقبلها، وأتاه في داره بعدة سيوف كان خالد أصابها باليمن، فقال: أيتها الصمصامة؟ قال: هذا، قال: خذه فهو لك، فأخذه، ثم آكف بغلاً له، فضرب الإكاف فقطعه والبزذعة؛ وأسرع في البغل، ثم رده على سعيد، وقال: لو زرتني في بيتي وهولي لوهبته لك، فما كنت لأقبله إذ وقع.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن المستنير بن يزيد ١٩٩٨/١ عن عروة بن غزيرة وموسى، عن أبي زرعة السيباني، قال: ولما فصل المهاجر بن أبي أمية من عند أبي بكر - وكان في آخر من فصل - اتخذ مكة طريقاً، فرتبها فاتبعه خالد بن أسيد، ومر بالطائف فاتبعه عبد الرحمن بن أبي العاص، ثم مضى حتى إذا حاذى جرير بن عبد الله ضمه إليه، وانضم إليه عبد الله بن ثور حين حازاه، ثم قدم على أهل نجران؛ فانضم إليه فروة بن مسيك، وفارق عمرو بن معديكرب قيساً، وأقبل مستجيباً؛ حتى دخل على المهاجر على غير أمان؛ فأوثقه المهاجر؛ وأوثق قيساً، وكتب بحالهما إلى أبي بكر رحمه الله، وبعث بهما إليه. فلما سار المهاجر من نجران إلى الحجية، والتفت الخيول على تلك القالة استأمنوا، فأبى أن يؤمنهم، فافترقوا فرقتين؛ فلقى المهاجر إحداهما بعجيب، فأبى عليهم، ولقيت خيوله الأخرى بطريق الأخابث، فأتوا عليهم - وعلى الخيول عبد الله - وقتل الشرداء بكل سبيل، فقدم بقيس وعمرو على أبي بكر، فقال: يا قيس، أعدوت على عباد الله تقتلهم وتتخذ المرتدين والمشركين وليجة من دون المؤمنين! وهم يقتله لو وجد أمراً جليلاً. وانتفى قيس من أن يكون قارف من أمر داذويه شيئاً، وكان ١٩٩٩/١ ذلك عملاً عُمِل في سيرة لم يكن به بيشة، فتجافى له عن دمه، وقال لعمرو ابن معديكرب: أما تخزى أنك كل يوم مهزوم أو مأسور! لو نصرت هذا

(١) لحج، أي ذهب إلى لحج مع المرتدين الذين ذهبوا إليها، وهم للحجبة.

الدين لرفعك الله . ثم خشي سبيله ، وردّهما إلى عشائريهما ، وقال عمرو : لا جرّم ! لأقبلنّ ولا أعود .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير وموسى قالا : سار المهاجر من عجب . حتى ينزل^(١) صنّعاء ، وأمر أن يتبعوا شدّاذ^(٢) القبائل الذين هربوا ؛ فقتلوا منّ قدروا^(٣) عليه منهم كلّ قتيلة . ولم يُعفّ متمرّدًا ، وقبل توبة من أناب من غير المتمرّدة ؛ وعملوا في ذلك على قدر ما رأوا من آثارهم ، ورجّوا عندهم . وكتب إلى أبي بكر بدخوله صنّعاء وبالذي يتبع من ذلك .

• • •

ذكر خبر حضرموت في ردّهم

قال أبو جعفر : كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ابن يوسف ، عن الصلّت ، عن كثير بن الصلّت ، قال : مات رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعمّاله على بلاد حضرموت : زياد بن أسيد البياضيّ على حضرموت ، وعكاشة بن مِحْصَن على السكاسك والسكون ، والمهاجر على كيندة - وكان بالمدينة لم يكن خرج حتى توفّي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . فبعثه أبو بكر بعد إلى قتال من باليمن والمضيّ بعد إلى عمله . ٢٠٠٠/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي السائب ، عطاء ابن فلان المخزوميّ . عن أبيه ، عن أمّ سلّمة والمهاجرين أبي أمية ، أنّه كان تخلف عن تبوك . فرجع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وهو عليه عاتب . فبينما أمّ سلّمة تغسل رأس رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . قالت : كيف ينفعني شيء وأنت عاتب على أخي ! فرأت منه رقّة ؛ فأومأت إلى خادمها ؛ فدعته ، فلم يزل برسول الله صلّى الله عليه وسلّم ينشُر عُذْرَه حتى

(١) س : « نزل » . (٢) س : « شراد » . (٣) ز : « عليهم »

عندَهِ ورضيَ عنه وأمره على كِنْدَةَ . فاشتكى ولم يطق الذَّهاب ؛ فكتب إلى زياد ليقوم له على عمله . وبرَّأ بعد . فأَتَمَّ له أبو بكر إمْرَتَهُ ، وأمره بقتال مَنْ بين نَجْرَان إلى أقصى اليمن ؛ ولذلك أَبْطَأَ زياد وعُكَّاشَةُ عن مناجزة كِنْدَةَ انتظاراً له .

كتب إلى السريِّ : عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ؛ قال : كان سبب رِدَّةِ كِنْدَةَ إْحَابَتَهُمُ الأسود العنسيَّ حتى لعن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الملوك الأربعة ، وأنَّهم قبل رِدَّتِهِمْ حين أسلموا وأسلم أهل بلاد حَضْرَمَوْتَ كلَّهم أمر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بما يوضع من الصَّدَقَاتِ أن يوضع صدقة بعض حَضْرَمَوْتَ في كِنْدَةَ . وتوضع^(١) صدقة كِنْدَةَ في بعض حَضْرَمَوْتَ ، وبعض حَضْرَمَوْتَ في السَّكُونِ والسَّكُونِ في بعض حَضْرَمَوْتَ . فقال نفرٌ من بني وَلَيْعَةَ : يا رسولَ الله ، إنَّا لسنا بأصحاب إِبِل ؛ فإن رأيت أن يبعثوا إلينا بذلك على ظَهْرٍ ! فقال : إن رأيتم قالوا : فَإِنَّنا ننظر . فإن لم يكن لهم ظَهْرٌ فعلنا . فلمَّا توفى رسول الله صَلَّى ٢٠٠١/١ الله عليه وسلَّم . وجاء ذلك الإِبَان . دعا زياد الناس إلى ذلك ، فحضره ، فقالت بنو وَلَيْعَةَ : أبلغونا كما وعدتم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فقالوا : إنَّ لكم ظهراً . فهلموا فاحتملوا ، ولاحتوهم ؛ حتى لاحوا زيادا ؛ وقالوا له : أنت معهم علينا . فأبى الحضرميُّون . ولجَّ الحنِديُّون . فرجعوا إلى دارهم ، وقدَّموا رِجْلاً وأخروا أخرى . وأمسك عنهم زياد انتظاراً للمُهاجر ؛ فلمَّا قدم المُهاجر صنعاء . كتب إلى أبي بكر بكلِّ الذي صنع . وأقام حتى قدم عليه جواب كتابه من قِبَلِ أبي بكر ؛ فكتب إليه أبو بكر وإلى عكرمة ، أن يسيرا حتى يقدما حضرموت . وأقبر زياداً على عَمَلِهِ . وأذنَ لمن معك من بين مكَّةَ واليمن في القَتْلِ ؛ إلا أن يؤثر قوم الجهاد . وأمِدَّهُ بُعْبَيْدَةَ ابن سعد . ففعل . فسار المُهاجر من صنعاء يريد حضرموت ، وسار عكرمة من أبْيَسَ يريد حضرموت ، فالتقيا بمأرب ؛ ثم فَوَزَا^(٢) من صَهِيد ؛ حتى اقتحما حَضْرَمَوْتَ . فترل أحدهما على الأشعث والآخر على وائل .

(١) ط : « و يوضع » . وانظر التصويبات . (٢) فوزا : سلكا المنارة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن أبيه ، عن كثير بن الصلت ، قال : وكان زياد بن لبید حين رجع الكنديون ولجؤا ولج الحضرميون ، ولي صدقات بني عمرو بن معاوية بنفسه ، فقدم عليهم وهم بالرياض ، فصدق أول من انتهى إليه منهم ؛ وهو غلام ، يقال له شيطان بن حُجْر ؛ فأعجبه بـكـرة من الصدقة ، فدعا بنار فوضع عليها الميمم ، وإذا الناقة لأخي الشيطان العداء بن حُجْر ، وليست عليه (١) صدقة ، وكان أخوه قد أوهم حين أخرجها وظنّها غيرها ؛ فقال العداء : هذه شدرة باسمها ؛ فقال الشيطان : صدق أخي ؛ فإني لم أعطكموها إلا وأنا أراها غيرها ؛ فأطلق شدرة وخذ غيرها . فإنّها غير متروكة . فرأى زياد أن ذلك منه اعتلال ، واتّهمه بالكفر ومباعدة الإسلام وتحرى الشر . فحسبى وحسبى الرجلان ، فقال زياد : لا ولا تنعم ؛ ولا هي لك ؛ لقد وقع عليها ميسم الصدقة وصارت في حق الله . ولا سبيل إلى ردّها . فلا تكون شدرة عليكم كالبسوس ؛ فتأدى العداء : يا آل عمرو ، بالرياض أضام وأضطهد ! إن الدليل من أكل في داره ! ونادى : يا أبا السميّط ، فأقبل أبو السميّط حارثة بن سراقبة بن معد يكرب ؛ فقص لزياد بن لبيد وهو واقف ، فقال : أطلق لهذا الفتى بكبرته . وخذ بعيراً مكانها . فإنما بعير مكان بعير ، فقال : ما إلى ذلك سبيل ! فقال : ذاك إذا كنت يهودياً ! وعاج إليها ، فأطلق عقابها ، ثم ضرب على جنبها ؛ فبعثها وقام دونها ، وهو يقول :

يَمْنَعُهَا شَيْخٌ بِخُدَيْهِ الشَّيْبُ مَلَمَعٌ كَمَا يُلَمَعُ الثَّوْبُ

فأمر به زياد شاباً من حضرموت والسكون ، فغثوه (٢) وتوطئوه ، وكتفوه (٣) وكتفوا أصحابه ، وارتهنوهم ، وأخذوا البكرة فعلقوها كما كانت ؛ وقال زياد ابن لبيد في ذلك :

(١) س : « وليس عليه » .

(٢) مغلثوه : نالوه بالأيدي ، وفي ابن الأثير : « فغثوه » .

(٣) كتفوه : أصابوا كتفه ، أو ضربوه عليها .

لَمْ يَمْنَعْ الشَّذْرَةَ أَرْكَوبُ وَالشَّيْخُ قَدْ يَتْنِيهِ أَرْجُوبُ

وتصايح أهل الرِّيَاض وتنادوا ، وغَضِبَتْ بنو معاوية لحارثة ، وأظهروا أمرهم ، وغضبت السَّكُونُ لزياد ، وغضبت له حَضْرَمُوت ، وقاموا جميعاً دونه . وتوافى عسكران عظيمان من هؤلاء وهؤلاء ؛ لا تُحَدِّث بنو معاوية لمكان أسرارهم شيئاً ، ولا يجذ^(١) أصحاب زياد على بنى معاوية سبيلاً يتعلَّقون به عليهم ؛ فأرسل إليهم زياد : إمّا أَنْ تَضَعُوا السِّلَاحَ ، وإمّا أَنْ تُؤْذِنُوا بِحَرْبٍ ؛ فقالوا : لا نضع السِّلَاحَ أبداً حتى ترسلوا أصحابنا ، فقال زياد : لا يُرْسَلُونَ أبداً حتى ترفضوا وأنتم صَغِيرَةٌ قَمَاطَةٌ . يا أخابث النَّاسِ ، أَلَسْتُمْ سَكَّانَ حَضْرَمُوت وجيران السَّكُونِ ! فما عَسَيْتُمْ أَنْ تَكُونُوا وتصنعوا في دار حَضْرَمُوت ؛ وفي جنوب مواليكم ! وقالت له السَّكُونُ : ناهِدِ القوم ، فإنه لا يَفْطِمُهُمْ إِلَّا ذلك ، فنَهَدَ إليهم ليلاً ، فقتل منهم ، وطاروا عِبَادِيْدَ ، وتعثَّلَ زياد حين أصبح في عسكرهم :

وَكُنْتُ امْرَأً لَا أَبْثُ الْحَرْبَ ظَالِماً فَلَمَّا أَبَوْا سَامَحْتُ فِي حَرْبٍ حَاطِبٍ

ولمّا هرب القوم خَلَّتْ عن النفر الثلاثة ؛ ورجع زياد إلى منزله على الظَّفَر . ولما رجع الأسراء إلى أصحابهم ذَمَرُوهُمْ فَنَذَامَرُوا ، وقالوا : ٢٠٠٤/١ لا تصلح البلدة علينا وعلى هؤلاء حتى تَخْلُوَ لأحد الفريقين . فأجمعوا وعسكروا جميعاً ، ونادوا بمنع الصدقة ، فتركهم زياد لم يخرج إليهم ، وتركوا المسير إليه . وأرسل إليهم الحُصَيْنُ بن نَمِير ، فما زال يُسْفِرُ فيما بينهم وبين زياد وحَضْرَمُوت والسَّكُونُ حتى سكن بعضهم عن بعض ؛ وهذه النَفْرَةُ الثانية ، وقال السَّكُونُ في ذلك :

لَعَمْرِي وَمَا عَمِرَى بِعُرْضَةٍ جَانِبٍ لِيَجْتَلِبُنَّ مِنْهَا الْمَرَارَ بَنُو عَمْرِو
كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ لَا تَمْنَعُونَهَا زِياداً ، وَقَدْ جَنَسَ زِياداً عَلَى قَدَرٍ

(١) كذا في ب ، وفي ط : « تجذ »

فأقاموا بعد ذلك يسيراً . ثم إن بنى عمرو بن معاوية خصوصاً خرجوا إلى
 المهاجر ، إلى أحماء حَمَوَهَا ، فنزل جَمَدَ مَحْجَرًا ، ومِخْوَصَ مَحْجَرًا ،
 ومِشْرَحَ مَحْجَرًا ، وأبْضَعَةَ مَحْجَرًا ، وأختهم العَمْرَدَةُ مَحْجَرًا - وكانت بنو عمرو
 ابن معاوية على هؤلاء الرؤساء - ونزلت بنو الحارث بن معاوية مهاجرة ، فنزل
 الأشعث بن قيس مَحْجَرًا ، والسَّمْطُ بن الأسود مَحْجَرًا ، وطابقت معاوية
 كلها على منع الصدقة . وأجمعوا على الرَّدَّةِ إلا ما كان من شُرَحْبِيلَ بن السَّمْطِ
 وابنه ، فإنهما قاما في بنى معاوية ، فقالا : والله إنَّ هذا لَتَقْبِيحٌ بأقوامٍ أحرار التَّنْقُلِ ؛
 إنَّ الكرام ليكونون على الشَّبهة فيتكرمون أن يتنقلوا منها إلى أوضح منها مخافة
 العار ؛ فكيف بالرجوع عن الجميل ، وعن الحقِّ إلى الباطل والتَّقْبِيحِ ! اللهم
 إِنَّا لَا نَعْلَى قَوْمًا عَلَى هَذَا ، وَإِنَّا لَنَادِيُونَ عَلَى مجامعتهم إلى يومنا هذا - يعنى يوم
 البكرة ويوم النَّفْرة - وخرج شُرَحْبِيلُ بن السَّمْطِ وابنه السَّمْطُ ؛ حتى أتيا
 زياد بنَ لَبِيدٍ ، فانضمَّا إليه ، وخرج ابن صالح ^(١) وامرؤ القيس بن
 عابس ؛ حتى أتيا زيادًا ، فقالا له : بَيَّتِ الْقَوْمُ ، فَإِنَّ أَقْوَامًا مِنَ السَّكَّاسِكِ
 قَدْ انْضَمُّوا ^(٢) إِلَيْهِمْ ، وَقَدْ تَسَرَّعَ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ مِنَ السَّكُونِ وَشَدَّاذٌ مِنْ
 حَضْرَمُوتَ ، لَعَلَّنَا نَوْقِعَ بِهِمْ وَقَعَةً تُورِثُ بَيْنَنَا عداوةً ، وَتَفَرِّقُ بَيْنَنَا ؛ وَإِنْ
 أَيْتَ خَشِينَا أَنْ يَرْفُضَ ^(٣) النَّاسُ عَنَّا إِلَيْهِمْ ؛ وَالْقَوْمُ غَارُونَ ^(٤) لِمَكَانٍ مِنْ
 أَثَاهُمْ ، رَاجُونَ لِمَنْ بَقِيَ . فَقَالَ : شَأْنُكُمْ . فَجَمَعُوا جَمْعَهُمْ ، فَطَرَقُوهُمْ فِي
 مَحَاجِرِهِمْ . فَجَدُّوهُمْ حَوْلَ نيرانهم جُلُوسًا ، فَعَرَفُوا مَنْ يَرِيدُونَ ، فَأَكْبَسُوا عَلَى
 بَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَهُمْ عِدَدُ الْقَوْمِ وَشَوْكَتُهُمْ ، مِنْ خَمْسَةِ أَوْجِهٍ فِي خَمْسٍ ^(٥)
 فِرْقٍ ، فَأَصَابُوا مِشْرَحًا وَمَخْوصًا وَجَمَدًا وَأَبْضَعَةَ وَأَخْتَهُمُ الْعَمْرَدَةَ ، أَدْرَكْتَهُمْ
 اللَّعْنَةُ ، وَقَتَلُوا فَأَكْثَرُوا ، وَهَرَبَ مَنْ أَطَاقَ الْهَرَبَ ، وَوَهَّتْ ^(٦) بَنُو عَمْرِو بْنِ
 مُعَاوِيَةَ ، فَلَمْ يَأْتُوا بِخَيْرٍ بَعْدَهَا ، وَانْكَفَى زِيَادُ السَّبَبِيُّ وَالْأُمَوِيُّ ، وَأَخَذُوا طَرِيقًا

(١) ز : « قيس » . (٢) ب : « انضموا » .

(٣) س : « ترفض » . (٤) ز : « عازون » .

(٥) س : « خمس » . (٦) ز : « وهت » .

يُفَضِّي بِهِمْ إِلَى عَسْكَرِ الْأَشْعَثِ وَبَنِي الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَلَمَّا مَرُّوا بِهِمْ فِيهِ اسْتَغَاثَ نِسْوَةُ بْنُ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ بَنِي الْحَارِثِ وَنَادِيَنَّهُ : يَا أَشْعَثُ ، يَا أَشْعَثُ ! خَالَاتُكَ خَالَاتُكَ ! فَثَارَ فِي بَنِي الْحَارِثِ فَتَنَقَّذَهُمْ - وَهَذِهِ الثَّالِثَةُ - وَقَالَ الْأَشْعَثُ :

مَنْعْتُ بَنِي عَمْرٍو وَقَدْ جَاءَ جَمْعُهُمْ بِأَمْعَزَ مِنْ يَوْمِ الْبُضِيضِ وَأَصْبَرَ

وَعَلِمَ الْأَشْعَثُ أَنَّ زِيَادًا وَجُنْدَهُ إِذَا بَلَغَهُمْ ذَلِكَ لَمْ يَقْلَعُوا عَنْهُ وَلَا عَنْ بَنِي ٢٠٠٦/١ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَبَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ ، فَجَمَعَ إِلَيْهِ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ وَبَنِي عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ ، وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ السَّكَّاسِكِ وَالْخَصَائِصِ مِنَ الْقِبَائِلِ مَا حَوْلَهُمْ ، وَتَبَايَنَ لِهَذِهِ الْوَقْعَةِ مَنْ بِحَضْرَمَوْتَ مِنَ الْقِبَائِلِ ، فَنَبَتْ أَصْحَابُ زِيَادٍ عَلَى طَاعَةِ زِيَادٍ ، وَلَجَّتْ كِنْدَةُ ، فَلَمَّا تَبَايَنَتِ الْقِبَائِلُ كَتَبَ زِيَادٌ إِلَى الْمُهَاجِرِ ؛ وَكَاتَبَهُ النَّاسُ فَتَلَقَّاهُ بِالْكِتَابِ ، وَقَدْ قَطَعَ صَهِيدٌ - مِفَازَةٌ مَا بَيْنَ مَأْرَبٍ وَحَضْرَمَوْتَ - وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْجَيْشِ عِكْرَمَةَ ، وَتَعَجَّلَ فِي سَرْعَانِ ^(١) النَّاسُ ، ثُمَّ سَمَارَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى زِيَادٍ ؛ فَتَنَهَّدَ إِلَى كِنْدَةَ وَعَلَيْهِمُ الْأَشْعَثُ ، فَالْتَقَوْا بِمَحْجَرِ الزُّرْقَانِ فَاقْتَتَلُوا بِهِ فَهَزِمَتْ كِنْدَةُ ، وَقُتِلَتْ وَخَرَجُوا هُرَابًا ، فَالْتَجَأَتْ إِلَى الشُّجَيْرِ وَقَدْ رَمَوْهُ وَحَصَّنُوهُ ، وَقَالَ فِي يَوْمٍ مَحْجَرُ ^(٢) الزُّرْقَانِ الْمُهَاجِرِ :

كُنَّا بِزُرْقَانَ إِذْ يُسَرِّدُكُمْ بِحَرْزِجِي فِي مَوْجِهِ الْخَطْبَا ^(٣)
نَحْنُ قَتَلْنَاكُمْ بِمَحْجَرِكُمْ حَتَّى رَكِبْتُمْ مِنْ خَوْفِنَا السَّبَبَا
إِلَى حِصَارٍ يَكُونُ أَهْوَنَهُ سَبِيُّ الذَّرَارِي وَسَوْفَهَا خَبَبَا

وَسَارَ الْمُهَاجِرُ فِي النَّاسِ مِنْ مَحْجَرِ الزُّرْقَانِ حَتَّى نَزَلَ ^(٤) عَلَى الشُّجَيْرِ ،

(١) سرعان الناس : أوائلهم المستبقون إلى الأمر .

(٢) قال ياقوت : زرقان بأرض حضرموت . والمحجر ، كالناحية للقوم .

(٣) ياقوت ٤ : ٣٨٤ .

(٤) ب : « ينزل » .

٢٠٠٧/١ وقد اجتمعت إليه كنده ، فتحصنوا فيه ، ومعهم من استغفروا من السكاسك وشدّ أذ من السكون وحضر موت والنّجير ، على ثلاثة^(١) سُبُل ، فنزل زياد على أحدها ، ونزل المهاجر على الآخر ، وكان الثالث لهم يؤتون فيه ويذهبون فيه ، إلى أن قدم عيكرمة في الجيش^(٢) ، فأنزله على ذلك الطريق ، فقطع عليهم المواد وردّهم ، وفرّق في كِنْدَةَ الخيول ، وأمرهم أن يُوطِئُوهم . وفيمن بعث يزيد بن قَتَنان من بني مالك بن سعد ، فقتل من بقرى بني هند إلى برّهوت ، وبعث فيمن بعث إلى السّاحل خالد بن فلان المخزومي وربيعة الحضرمي ، فقتلوا أهل مَحَا^(٣) وأحياء آخر ؛ وبلغ كِنْدَةَ وهم في الحصار مالتى سائر قومهم ، فقالوا : الموت خير ممّا أنتم فيه ؛ جزّوا نواصيهم حتى كأنكم قوم قد وهبتم لله أنفسكم ، فأنعم عليكم فبؤتم بنعمه ؛ لعلّه أن ينصركم على هؤلاء الظّالمة . فجزّوا نواصيهم ، وتعاقدوا وتوافقوا ألا يفتر بعضهم عن بعض^(٤) ، وجعل راجزهم يرتجز في جوف الليل فوق حصنهم :

صَبَّاحُ سَوْءِ ابْنِي قَتِيرَةٍ^(٥) وللأُمير من بني المَغِيرَةِ

وجعل راجزُ المسلمين زياد بن دينار يردّ عليهم :

لا توعِدُونَا واضْبُرُوا حَصِيرَهُ^(٦) نحنُ خيولٌ وَلَدِ المَغِيرَةِ

• وفي الصَّبَّاحِ تَطْفَرُ العَشِيرَةُ^(٧) •

٢٠٠٨/١ فلمّا أصبحوا خرجوا على النّاس ، فاقتتلوا بأفنية النّجير ، حتى كثرت القتلى بحيال كلّ طريق من الطرق الثلاثة ، وجعل عيكرمة يرتجز يومئذ ، ويقول :

أَطْعُمُهُمْ وَأَنَا عَلَى أَوْفَارٍ^(٨) طَمَنَّا أَبُوهُ بِهِ عَلَى مَجَازٍ^(٩)

(١) س : « ثلاث » ، والسبيل تذكر وتؤنث . (٢) ز : « وفرق الجيش » .

(٣) ز : « محنا » .

(٤) ز : « من بعض » . (٥) س : « قنيره » .

(٦) س : « حصيره » . (٧) ب : « تطهر العشيرة » .

(٨) ز : « أطعمهم » . (٩) أبو به : أرجع به .

ويقول :
 أَنْفِذْ قَوْلِي وَلَهُ نَقَاذُ وَكُلُّ مَنْ جَاوَرَنِي مُعَاذُ
 فَهَزِمَتْ كِنْدَةَ ، وَقَدْ أَكْثَرُوا فِيهِمَ الْقَتْلَ .

وقال هشام بن محمد : قدِمَ عِكْرِمَةُ بن أبي جهل بعد ما فرغ المهاجر من أمرِ القَوْمِ مددًا له ، فقال زياد والمهاجر لمن معهما : إن إخوانكم قدِمُوا مددًا لكم ، وقد سبقتموهم بالفتح فأشركوهم في الغنيمة . ففعلوا وأشركوا من لحق بهم ، وتواصوا بذلك ، وبعثوا بالأحماس والأسرى ، وسار البشير فسبقهم ؛ وكانوا يبشرون القبائل ويقرءون عليهم الفتح .

وكتب إلى السري ، قال : كتب أبو بكر رحمه الله إلى المهاجر مع المغيرة بن شعبة : إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا ؛ فإن ظفرتم بالقوم فاقتلوا المقاتلة ، واسبوا الذرية إن أخذتموهم عتوة ، أو يتركوا على حكمي ، فإن جرّي بينكم صلح قبل ذلك فعلى أن تخرجوهم من ديارهم ؛ فإنني أكره أن أقر أقوامًا فعلوا فعلهم في منازلهم ، ليعلموا أن قد أساءوا ، وليذوقوا وبال بعض الذي أتوا .

قال أبو جعفر : ولما رأى أهل النُجَير المواد لا تنقطع عن المسلمين ، ٢٠٠٩/١ وأيقنوا أنهم غير منصرفين عنهم ، خشعت أنفسهم ، ثم خافوا القتل ، وخاف الرؤساء على أنفسهم ؛ ولو صبروا حتى يجيء المغيرة لكانت لهم في الثالثة الصلح على الجلاء نَجاة . فعجل الأشعث ، فخرج إلى عِكْرِمَةَ بأمان ، وكان لا يأمن غيره ؛ وذلك أنه كانت تحته أسماء ابنة النعمان بن الجون^(١) ، خطبها وهو يومئذ بالحنس ينتظر المهاجر ، فأهداها إليه أبوها قبل أن يبادوا ، فأبلغه عكرمة المهاجر ، واستأمنه له على نفسه ، ونفّر معه تسعة ؛ على أن يؤمّتهم وأهليهم وأن يفتحوا لهم الباب ؛ فأجابه إلى ذلك ، وقال : انطلق فاستوثق لنفسك ، ثم هلم كتابك أختمه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق

(١) النعمان بن الجون ، كذا أورده الطبري هنا وفي ص ٣٤٠ ، وفي ص ١٦٧ «النعمان بن الأسود ابن شراحيل بن الجون بن حجر» . وفي كتابه المنتخب من ذيل المذيل ص ٢٤٥٦ : «النعمان بن أبي الجون الأسود بن الحارث بن شراحيل بن الجون آكل المرار» . وانظر الإصابة ٤ : ٢٢٧ ، والاستيعاب ٧٠٣ .

الشَّيْبَانِي، عن سعيد بن أبي بُرْدَةَ، عن عامر، أنه دخل عليه فاستأمنه على أهله وماله، وتسعة مَمَّنْ أَحَبَّ، وعلى أن يفتح لهم الباب فيدخلوا على قومه. فقال له المهاجر: اكتب ما شئت واعجل، فكتب أمانته وأمانهم، وفيهم أخوه وبنو عمته وأهلؤهم، ونسى نفسه؛ عَجِلَ ودَهِشَ. ثم جاء بالكتاب فحتمه^(١)؛ ورجع فسرّب اللّذين في الكتاب.

وقال الأجلح والمجالد: لمّا لم يبق إلّا أن يكتب نفسه وثب عليه جَحَدَمَ بشقْرة، وقال: نفسك أو تكتبني! فكتبه وترك نفسه.

قال أبو إسحاق: فلمّا فتح الباب اقتحمه المسلمون فلم يَدْعُوا فيه مقاتلا إلّا قتلوه؛ ضَرَبُوا^(٢) أعناقهم صِيراً، وأحصى ألف امرأة مَمَّنْ في النُّجَيْر والخَسَدوق؛ ووضع على السَّبْيِ والْفَتَى الأحراس، وشاركهم كثير.

وقال كثير بن الصلت: لمّا فُتِحَ الباب وفُرِغَ مَمَّنْ في النُّجَيْر، وأحصى ما أفاء الله عليهم، دعا الأشعث بأولئك النَّفَر، ودعا بكتابه فعرّضهم، فأجاز^(٣) مَمَّنْ في الكتاب، فلماذا الأشعث ليس فيه، فقال المهاجر: الحمد لله الَّذِي أخطأك نوءُك^(٤) يا أشعث، يا عدو الله! قد كنت أستهي أن يخزيك^(٥) الله. فشده وثاقا، وهمّ بقتله، فقال له عكرمة: أخرّه، وأبلغه أبا بكر، فهو أعلمُ بالحكم في هذا. وإنه كان رجلا نسي اسمه أن يكتبه؛ وهو وليّ المخاطبة. أفذاك يطل ذاك^(٦)! فقال المهاجر: إن أمره ليسن^(٧)؛ ولكني أتبع المشورة وأوترها. وأخرّه وبعث به إلى أبي بكر مع السَّبْيِ، فكان معهم يلعنه المسلمون ويلعنه سبايا قومه، وسمّاه نساء قومه عُرْفَ النَّار - كلام يمان يسمون به الغادر - وقد كان المغيرة تحير ليله للَّذِي أراد الله، فجاء والقوم في دماهم^(٧) والسَّبْيِ على ظَهْر، وسارت السبايا والأسرى، فقدم القوم على أبي بكر رحمه الله بالفتح والسبايا والأسرى. فدعا بالأشعث، فقال:

(١) ز: «يختمه».

(٢) في ب: «وضربوا».

(٣) ابن الأثير: «فأجاز».

(٤) التو: النجم مال إلى الغروب، وهو كناية عن أنه لم يوفق إلى الصواب في الرأي لمجلته

وسوء ظالمه.

(٥) ز: «يجزيك».

(٦) س: «ذلك».

(٧) ز: «دماهم».

استزلك بنو وليعة، ولم تكن لتسترل لهم - ولا يروئك لذلك أهلاً - وهلكوا^(١) وأهلكوك ! أما تخشى أن تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وصل إليك منها طرف ! ما تراني صانعاً بك ؟ قال : إني لا علم لي برأيك ، وأنت أعلم برأيك ، قال : فإنني أرى قتلك . قال : فإنني أنا الذي راوضتُ القوم في عشرة ، فما يحل دمي ، قال : أفرؤضوا إليك ؟ قال : نعم ، قال : ثم أنيتهم بما فرؤضوا إليك فختموه لك ؟ قال : نعم ، قال : فإنما وجب الصلح بعد ختم الصحيفة على من في الصحيفة ، وإنما كنت قبل ذلك مرأوضاً . فلماً خشي أن يقع به قال : أو تحتسب في خيراً فتطلق إيساري وتقبلي عثري ، وتقبل إسلامي ، وتفعل بي مثل ما فعلته بأمثالي وترد علي زوجتي - وقد كان خطب أم فروة بنت أبي قحافة مقدّمةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فزوجها وأخبرها إلى أن يقدم الثانية ، فأت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفعل الأشعث ما فعل ، فخشى ألا تردّ عليه - تجدني خير أهل بلادى لدين الله ! فتجافى له عن دمه ، وقبيل منه ، وردّ عليه أهله ، وقال : انطلق فلبيغني عنك خير ، وخلي عن القوم فذهبوا ، وقسم أبو بكر في الناس الخمس ، واقتسم الجيش الأربعة الأخماس .

• • •

قال أبو جعفر : وأمّا ابن حميد ، فإنه قال : حدّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن الأشعث لمّا قدّم به على أبي بكر ، قال : ماذا تراني أصنع بك ؛ فإنّك قد فعلت ما علمت^(٢) ! قال : تمنّ عليّ^(٣) فتفككتي من الحديد وتزوجني أختك ؛ فإنني قد راجعتُ وأسلمتُ . فقال أبو بكر : قد فعلتُ . فزوجه أم فروة ابنة أبي قحافة ، فكان بالمدينة حتى فتح العراق .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف^(٤) . فلما وليّ عمر رحمه الله ، قال : إنّه

(١) ب : « وأهلكوا » . (٢) ب : « ما فعلت » .

(٣) انظر أول الحديث ص ٣٣٧ .

لَيَقْبُحَ بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً ، وقد وسَّع الله ، وفتح الأعاجم .
 واستشار في فداء سبائا العرب في الجاهلية والإسلام إلا امرأة ولدت لسيدها ،
 وجعل فداء كل إنسان سبعة أبعة ^(١) وستة أبعة إلا حنيفة كندة ؛ فإنه
 ختم عنهم ^(٢) لقتل رجالهم ، ومن لا يقدر على فداء لقيامهم ^(٣) وأهل دبا ،
 فتبعت رجالهم نساءهم بكل مكان . فوجد الأشعث في بني نهد وبني
 غطفان امرأتين ؛ وذلك أنه وقف فيها يسأل عن غراب وعقاب ، فقيل :
 ما تريد إلى ذلك ؟ قال : إن نساءنا يوم النجبر خطفن العقبان والغربان
 والذئاب والكلاب . فقال بنو غطفان : هذا غراب ، قال : فما موضعه
 فيكم ؟ قالوا : في الصيانة ^(٤) ، قال : فتعم . وانصرف . وقال عمر : لا ملك
 على عربي ، للذي أجمع عليه المسلمون معه .

قالوا : ونظر المهاجر في أمر المرأة التي كان أبوها النعمان بن الجؤن
 أهداها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فوصفها أنها لم تشتك قط .
 ٢٠١٣/١ فردها ، وقال : لا حاجة لنا بها ، بعد أن أجلسها بين يديه وقال له ^(٥) :
 لو كان لها عند الله خير لاشتكت . فقال المهاجر لعكرمة : متى تزوجتها ؟
 قال : وأنا بعدن ، فأهديت إلى بالجند ، فسافرت بها إلى مأرب ، ثم
 أوردتها العسكر . فقال بعضهم : دعها فإنها ليست بأهل أن يرغب
 فيها . وقال بعضهم : لا تدعها . فكتب المهاجر إلى أبي بكر رحمه الله
 يسأله عن ذلك ، فكتب إليه أبو بكر : إن أباه النعمان بن الجؤن أتى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزینها له حتى أمره أن يجيئه بها ، فلما
 جاءها قال : أزيدك أنها لم تيجع ^(٦) شيئا قط ، فقال : لو كان لها عند الله
 خير لاشتكت ، ورغب عنها ؛ فارغبوا عنها . فأرسلها وبقي في قريش بعد
 ما أمر عمر في السبي بالفداء عدة ، منهم بشرى بنت قيس بن أبي الكيسم ،

(١) ز : « أبكر » . (٢) ابن الأثير : « عليهم » .

(٣) كذا في ط ، وفي التصويبات : « لغناهم » ، أي جماعهم .

(٤) ز : « الضيافة » . (٥) ب : « وقال لها » .

(٦) لم تيجع شيئا ، أي أنها لم تشك ألما قط .

عند سعد بن مالك ، فولدت له عمر ، وزُرْعَة بنت مِشْرَح عند عبد الله بن العباس ولدت له علياً .

وكتب أبو بكر إلى المهاجر يخيِّره اليمَن أو حضرموت ؛ فاختار اليمَن ، فكانت اليمن على أميرين : فيروز والمهاجر ، وكانت حضرموت على أميرين : عُبَيْدَة بن سعد على كندة والسَّكَّاسك ، وزِيَاد بن لَيْبِد على حضرموت .

وكتب أبو بكر إلى عمَّال الرِّدَّة : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ أَحَبَّ مَنْ أَدخَلْتُمْ ٢٠١٤/١ في أموركم إلى مَنْ لَمْ يَرْتَدَّ وَمَنْ كَانَ مِمَّنْ لَمْ يَرْتَدَّ ، فَأَجْمِعُوا عَلَى ذَلِكَ ، فَاتَّخِذُوا مِنْهَا صَنَائِعَ ، وَائْذَنُوا لِمَنْ شَاءَ فِي الْإِنْصَافِ ، وَلَا تَسْتَعِينُوا بِمَرْتَدٍ فِي جِهَادِ عَدُوِّ .

وقال الأشعث بن مثناس ^(١) السَّكُونِي يَبْكِي أَهْلَ التَّجْيِيزِ :

لَعَمْرِي وَمَا عَمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ لَقَدْ كُنْتُ بِالْقَتْلِ لِحَقٍّ ضَنِينِ
فَلَا غَرَوَ إِلَّا يَوْمَ أَفْرِغَ بَيْنَهُمْ وَمَا الدَّهْرُ عِنْدِي بَعْدَهُمْ بِأَمِينِ
فَلَيْتَ جُنُوبَ النَّاسِ تَحْتَ جُنُوبِهِمْ وَلَمْ تَمْشِ أَنْتَى بَعْدَهُمْ لِجَنِينِ
وَكُنْتُ كَذَاتِ الْبُورِ رِبْعَتٌ فَأَقْبِلْتُ عَلَى بَوَّاهَا إِذْ طَرَبْتُ بِجَنِينِ

كتب إلى السري ، عن شُعَيْب ، عن سيف ، عن موسى بن عُقْبَةَ ، عن الضَّحَّاك بن خليفة ، قال : وقع إلى المهاجر امرأتان مُغْنِيَتَانِ ؛ غَنَّتْ إحداهما بِشْتَمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَطَعَ يَدَهَا ، وَنَزَعَ ثَنِيَّتَهَا ^(٢) ؛ فكتب إليه أبو بكر رحمه الله : بَلَّغْنِي الَّذِي سِرَّتْ بِهِ فِي الْمَرْأَةِ الَّتِي تَغَنَّتْ وَزَمَرَتْ بِشْتِمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَلَوْ لَا مَا قَدْ سَبَقْتَنِي فِيهَا لَأَمْرُكَ بِقَتْلِهَا ؛ لِأَنَّ حَدَّ الْأَنْبِيَاءِ لَيْسَ يَشْبَهُ الْحُدُودَ ، فَهَنْ تَعَاطَى ذَلِكَ مِنْ ٢٠١٥/١ مُسْلِمٍ فَهُوَ مَرْتَدٌ ، أَوْ مُعَاهِدٌ فَهُوَ مُحَارِبٌ غَادِرٌ .

وكتب إليه أبو بكر في الَّتِي تَغَنَّتْ ^(٣) بهجاء المسلمين : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّهُ

(١) الإصاية ١ : ١١٥ : « ابن مينا » .

(٢) ب : « ثنيتها » . (٣) ب : « ثننى » .

بلغنى أنك قطعت يدا امرأة فى أن تغتت بهجاء المسلمين ، ونزعت ثنيتها (١) ؛
 فإن كانت ممن تدعى الإسلام فأدب وتقدمة دون المثلة ، وإن كانت ذميمة
 فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم ؛ ولو كنت تقدمت إليك فى مثل
 هذا لبلغت مكروها ؛ فاقبل الدعة وإياك والمثلة فى الناس ؛ فإنها مأثم
 ومنقرة إلا فى قصاص .

* * *

وفى هذه السنة — أعنى سنة إحدى عشرة — انصرف معاذ بن جبل من
 اليمن .
 وستقضى أبو بكر فيها عمر بن الخطاب ، فكان على القضاء أيام خلافته
 كلها .

وفىها أمر أبو بكر رحمه الله على الموسم عتاب بن أسيد — فيما ذكره
 الذين أسند إليهم خبره على بن محمد الذين ذكرت قبل فى كتابى هذا أسماءهم .
 وقال على بن محمد : وقال قوم : بل حج بالناس فى سنة إحدى عشرة
 عبد الرحمن بن عوف عن تأمير أبى بكر إياه بذلك (٢) .

(١) ب : « ثنيتها » .

(٢) س : « ذلك » .

ثم كانت سنة اثنتى عشرة من الهجرة

[مسير خالد إلى العراق وصلاح الحيرة]

قال أبو جعفر ، ولما فرغ خالد من أمر اليمامة ، كتب إليه أبو بكر الصديق رحمه الله ، وخالد مقيم باليمامة - فيما حدثنا عبيد الله بن سعد الزهرى ، قال : أخبرنا عمى ، قال : أخبرنا سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي : أن سير إلى العراق حتى تدخلها ، وابدأ بفرج الهند . وهى الأبله ، ونألف أهل فارس ، وسن كان في ملكهم من الأمم .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا علي بن محمد بالإسناد الذى قد تقدم ذكره ، عن القوم الذين ذكرتهم فيه ، أن أبا بكر رحمه الله وجه خالد بن الوليد إلى أرض الكوفة ، وفيها المنى بن حارثة الشيباني ، فسار في الحرم سنة اثنتى عشرة ، فجعل طريقه البصرة^(١) ، وفيها قطبة بن قتادة السدوسي .

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه قال : اختلف في أمر خالد بن الوليد ، فقائل يقول : مضى من وجهه ذلك من اليمامة إلى العراق . وقائل يقول : رجع من اليمامة ، فقدم المدينة ، ثم سار إلى العراق من المدينة على طريق الكوفة : حتى انتهى إلى الحيرة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صالح بن كيسان ، أن^(٢) أبا بكر رحمه الله كتب إلى خالد بن الوليد يأمره أن يسير إلى العراق ، فضى خالد بريد العراق ، حتى نزل بقرىات^(٣) من السواد ، يقال لها : بانقيما وباروسما وأليس : فصالح أهلها ، وكان الذى صالحه عليها ابن صلوبا ، وذلك في سنة اثنتى عشرة ، فقبل منهم خالد الجزية

(١) ب : « فر على طريق البصرة » . (٢) ب : « نعم أن أبا بكر » .

(٣) كذا في ب وابن حبيب .

وكتب لهم كتاباً فيه : بسم الله الرحمن الرحيم . من خالد بن الوليد لابن صلوبا السّوادي - ومنزله بشاطئ الفرات - إنَّكَ آمِنٌ بأمان الله - إذْ حَقَّقَ دمه بإعطاء الجزية - وقد أعطيت عن نفسك وعن أهل خَرْجِكَ وجزيرتك ومَنْ كَانَ في قريبتك - بانقيا وباروسما - ألف درهم ، فقبلتها منك ، ورضيَ مَنْ معي من المسلمين بها منك ، ولك ذمّة الله وذمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم ، وذمّة المسلمين على ذلك . وشهد هشام بن الوليد .

ثم أقبل خالد بن الوليد بمن معه حتّى نزل الحيرة ، فخرج إليه أشrafهم مع قبيصة بن إياس بن حيّة الطائي - وكان أمره عليها كسرى بعد النعمان ابن المنذر - فقال له خالد ولأصحابه : أدعوكم إلى الله وإلى الإسلام ، فإن أجبتُم إليه فأنتُم من المسلمين ، لكم ما لهم وعليكم ما عليهم ؛ فإن أبيتم فالجزية ، فإن أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرصُ على الموت منكم على الحياة ؛ جاهدناكم حتّى يحكم الله بيننا وبينكم .

فقال له قبيصة بن إياس : ما لنا بمُجربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ، ونعطيك الجزية . فصالحهم على تسعين ألف درهم ، فكانت أوّل جزية وقعت بالعراق ، هي القرّيات التي صالح عليها ابن صلوبا .

* * *

قال أبو جعفر : وأمّا هشام بن الكلبي ؛ فإنه قال : لمّا كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد وهو باليمامة أن يسير إلى الشام ، أمره أن يبدأ بالعراق فيمرّها ؛ فأقبل خالد منها يسير حتّى نزل النّباج .

قال هشام : قال أبو مخنف : فحدثني أبو الخطّاب حمزة بن عليّ ، عن رجل من بكر بن وائل ، أن المثنى بن حارثة الشّيبانيّ ، سار حتّى قدّم على أبي بكر رحمه الله ، فقال : أمرتني على مَنْ قِبَلِي من قومي ، أقاتل مَنْ يليّني من أهل فارس ، وأكفيك ناحيتي ، ففعل ذلك ؛ فأقبل فجمع قومه وأخذ يُغيّر بناحية كَسْكَرَ مرّة ، وفي أسفل الفرات مرّة ، ونزل خالد بن الوليد النّباج والمثنى بن حارثة بخفّان معسكر^(١) ؛ فكتب إليه خالد بن الوليد

ليأتيه ، وبعث إليه بكتاب من أبي بكر يأمره فيه بطاعته ؛ فانقض^(١) إليه جواداً حتى لحق به ، وقد زعمت بنو عجل أنَّهُ كان خرج مع المنثى بن حارثة رجل منهم يقال له مذعور بن عدى ، نازع المنثى بن حارثة ، فتكاتبا إلى أبي بكر ؛ فكتب أبو بكر إلى العجلى يأمره بالمسير مع خالد إلى الشام ، وأقر المنثى على حاله ، فبلغ العجلى مصر ، فشرّف بها وعظم شأنه^(٢) ، فداره اليوم بها معروفة ؛ وأقبل خالد بن الوليد يسير ، فعرض له جابان صاحب أليس ، فبعث إليه المنثى بن حارثة ، فقاتله فهزمه ، وقتل جُل^(٣) ٢٠١٩/١ أصحابه ، إلى جانب نهر ثمّ يدعى نهر دم لتلك الوقعة ؛ وصالح أهل أليس ، وأقبل حتى دنا من الحيرة ، فخرجت إليه خيول آذاذه صاحب خيل كسرى التي كانت في مسالح ما بينه وبين العرب ، فلقوهم بمجتماع الأنهار ، فتوجه إليهم المنثى بن حارثة ، فهزمهم الله .

ولمّا رأى ذلك أهل الحيرة خرجوا يستقبلونه ؛ فيهم عبد المسيح بن عمرو بن بَقِيلَة وهاني بن قَبِيصَة ، فقال خالد لعبد المسيح : من أين أتراك ؟ قال : من ظَهْر أبي ، قال : من أين خرجت ؟ قال : من بطن أمي ، قال : ويحك ! على أي شيء أنت ؟ قال : على الأرض ، قال : ويلك ! في أي شيء أنت ؟ قال : في ثيابي ، قال : ويحك ! تعقل ؟ قال : نعم وأقيد ، قال : إنّما أسألك ، قال : وأنا أجيبك ، قال : أسلم أنت أم حرب ؟ قال : بل سلّم ، قال : فما هذه الحصون التي أرى^(٤) ؟ قال : بنيناها للسّقيّ نحبسه^(٥) حتى يجيء الحليم فينهاه . ثم قال لهم خالد : إنّني أدعوكم إلى الله وإلى عبادته وإلى الإسلام ؛ فإن قبلتم فلکم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أبيتم فالجزية ، وإن أبيتم فقد جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون أنتم شرب الخمر . فقالوا : لا حاجة لنا في حرّيك ، فصالحهم على تسعين ومائة ألف درهم ، ؛ فكانت أوّل جزية حملت إلى المدينة من العراق . ثم نزل

(٢) ز : « وعظم شأنه وقدره » .

(١) ز : « فانقض » .

(٣) ب : « التي بيننا »

(٤) ابن حيش : « تحبسه » .

٢٠٢٠/١

على بانيقيا ، فصالحه بَصْبُيْرِي بن صلوبا على ألف درهم وطيلسان ؛ وكتب لهم كتاباً ، وكان صالح (١) خالد أهل الحيرة على أن يكونوا له عيوناً ، ففعلوا . قال هشام ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني المجالد بن سعيد ، عن الشعبي ، قال : أقرأني بنو بَقِيلَةَ كتابَ خالد بن الوليد إلى أهل المدائن : من خالد بن الوليد إلى مرزبة أهل فارس : سلام على من اتبع الهدى . أمّا بعدُ ، فالحمد لله الذي فضَّ خدمتكم (٢) ، وسلب ملككم ، ووهن كيدكم . وإنَّه من صلَّى صلاتنا ، واستقبل قبلتنا ، وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم الذي له ما لنا ، وعليه ما علينا . أمّا بعد ، فإذا جاءكم كتابي فابعثوا إلى بالرُّهْن ، واعتقدوا منِّي الذَّمة ، وإلاَّ فواللَّدي لا إله غيره لأبعثن إليكم قوماً يجربون الموت كما تحبون الحياة . فلما قرءوا الكتاب ، أخذوا يتعجبون ، وذلك سنة اثني عشرة .

* * *

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابن إسحاق وغير هشام ومن ذكرت قولَه من قبَل : فإنَّه قال في أمر خالد ومسيره إلى العراق ما حدثنا عبَّيد الله بن سعد الزُّهري ، قال : حدثني عمِّي ، عن سيف بن عمر ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : لمّا فرغ خالد بن الوليد من اليمامة . كتب إليه أبو بكر رحمه الله : إن الله فتح عليك فعارق حتى تلقى عياضاً . وكتب إلى عياض بن غنم وهو بين النَّبَسَاج والحِجَاز : أن سير حتى تأتي المصْبِغَ فابدأ بها ، ثم ادخل العراق من أعلاها ، وعارق حتى تلقى خالدًا . وأذنَّا لمن شاء بالرجوع ، ولا تستفتحا بمتكاريه .

٢٠٢١/١

ولما قدم الكتاب على خالد وعياض ، وأذنَّا في الفُضْل عن أمر أبي بكر قتل أهل المدينة وما حولها وأعروهما (٣) ، فاستمداً أبا بكر : فأمدَّ أبو بكر خالدًا بالقعقاع بن عمرو التميمي ، فقبل له : أتمدَّ رجلاً قد أرفض عنه

(١) ب : « صلح » .

(٢) في اللسان : « وفي حديث خالد بن الوليد إلى مرزبة فارس : الحمد لله الذي فضَّ خدمتكم . قال : فضَّ الله خدمتهم ، أي ثرق جماعتهم » .

(٣) يقال : أعمرى القوم صاحبهم ، أي تركوه في مكانه وذهبوا عنه

جنوده برجل ! فقال : لا يُهْزَم جيشٌ فيهم مثل هذا . وأمدَّ عِياضاً بعبد بن عوف الحميري ، وكتب إليهما أن استنفرامَن قاتل أهل الردَّة ، ومَن ثبت على الإسلام بعد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، ولا يغزونَ معكم أحدٌ ارتدَّ حتى أَرَى رأيي . فلم يشهد الأيّام مرتدَّ .

فلَمَّا قَدِمَ الكتاب على خائِد بتأمير العراق ، كتب إلى حَرَمَلَةَ وسُلَمَى والمثنى ومذعور بالتحاق به ، وأمرهم أن يواعدوا جنودهم الأبلَّة ، وذلك أن أبا بكرٍ أمر خالدًا في كتابه : إذا دخلَ العراق أن يبدأ بفرج أهل السُّنْد والهنْد — وهو يومئذ الأبلَّة — ليوم قد سمَّاه ، ثم حشر مَن بينه وبين العراق ، فحشر ثمانية آلاف من ربيعة ومُضَرَ إلى ألفين كانا معه ، فقدم في عشرة آلاف على ثمانية آلاف ممَّن كان مع الأمراء الأربعة — يعني بالأمراء الأربعة : المثنى ، ومذعورًا ، وسُلَمَى ، وحرملة — فلقى هُرمُزَقي ثمانية عشر ألفًا .

حدثنا عُبَيْد الله ، قال : حدثني عمِّي ، عن سيف ، عن المهلب الأسدي عن عبد الرحمن بن سِيَّاه ، وطلحة بن الأعلم ، عن المغيرة بن عُتَيْبَةَ ، قالوا : كتب أبو بكر إلى خالد بن الوليد ، إذ أمره على حرب العراق ؛ ٢٠٢٢/١ أن يدخلها من أسفلها . وإلى عِياض إذ أمره على حرب العراق ؛ أن يدخلها من أعلاها ؛ ثم يستبقا إلى الحيرة ، فأتيهما سبق إلى الحيرة فهو أميرٌ على صاحبه ، وقال : إذا اجتمعتما بالحيرة ، وقد فضضتما مسالح فارس وأمنئتما أن يؤتَي المسلمون من خلفهم ، فليكن أحدكما رِدْءًا للمسلمين ولصاحبه بالحيرة ؛ وليقتحم الآخر على عدوِّ الله وعدوِّكم من أهل فارس دارهم ومستقرَّ عِزِّهم ؛ المدائن .

حدثنا عُبَيْد الله ، قال : حدثني عمِّي ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : كتب خالد إلى هُرمُز قبل خروجه مع آزاذبه — أي الزيادة الدِّين باليمامة — وهرمز صاحب الثَّغَر يومئذ : أمَّا بعدُ ، فأسَلِمَ تَسَلَّمَ ، أو اعتقد (١) لنفسك وقومك

(١) اعتقد لنفسك الذمة ؛ أي أقرَّ بها .

الذمة، وأقرّر بالجزية؛ وإلا فلا تلومن إلا نفسك، فقد جئتكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة .

قال سيف، عن طلحة بن الأعمى، عن المغيرة بن عتيبة - وكان قاضي أهل الكوفة - قال: فرق خالد مخرجه من اليمامة إلى العراق جندة ثلاث فرق، ولم يحملهم على طريق واحدة. فسرّح المثنى قبله بيومين ودليله ظفّر، وسرّح عدى بن حاتم وعاصم بن عمرو ودليلاهما مالك بن عباد وسالم بن نصر، أحدهما قبل صاحبه بيوم؛ وخرج خالد ودليله رافع؛ فواعدهم جميعاً الحفير ليجتمعوا به وليصادموها به عدوهم؛ وكان فرج الهند أعظم فروج فارس شأناً، وأشدّها شوكة^(١)، وكان صاحبه يحارب العرب في البر والهند في البحر.

قال - وشاركه المهلب بن عقيب وعبد الرحمن بن سياه الأحمرى، الذى تنسب إليه الحمراء؛ فيقال: حمراء سياه - قال: لمّا قدم كتاب خالد على هرمز كتب بالخبر إلى شيرى بن كسرى وإلى أردشير بن شيرى وجمع جموعه، ثم تعجّل إلى الكواظم في سرعان أصحابه ليتلقّى خالدًا، وسبق حليته فلم يجدها طريق خالد، وبلغه أنّهم تواعدوا الحفير، فعاج يادره^(١) إلى الحفير فتره، فتعبنى به، وجعل على مجنبته^(٢) أخوين يلاقيان أردشير وشيرى إلى أردشير الأكبر، يقال لهما: قبّاذ وأنوشجان، واقتنوا في السلاسل، فقال من لم يرد ذلك لمن رآه: قيّدتم أنفسكم لعدوكم، فلا تفعلوا؛ فإن هذا طائر سوء، فأجابوهم وقالوا: أمّا أنتم فحدّثونا أنّكم تريدون الهرب. فلما أتى الخبر خالدًا بأنّ هرمز في الحفير أمال الناس إلى كاظمة، وبلغ هرمز ذلك. فبادره إلى كاظمة فترها وهو حسير؛ وكان من أسوأ أمراء ذلك الفرّج جواراً للعرب، شكل العرب عليه مخيظ؛ وقد كانوا ضربوه مثلاً في الخبث حتى قالوا: أخبث من هرمز، وأكفر من هرمز. وتعبى هرمز وأصحابه واقتنوا في السلاسل، والماء في أيديهم. وقدم خالد عليهم فترل على غير ماء، فقالوا له في ذلك،

(١) س: «يادهم».

(٢) ابن كثير: «مجنبته».

فأمر مناديه ، فنأدى : ألا انزِلُوا وُحُطُوا أَثْقَالَكُمْ ، ثم جالِدوهم على الماء ، فلَسَعَمَرِي ليصيرَنَّ الماءُ لأَصْبَرَ الفريقين ، وأكرم الجنديين ؛ فحُطَّت الأثقال والخيل وقُوف ، وتقدّم الرَّجُل ، ثم زحف إليهم حتى لا قامهم ؛ فاقتتلوا ، وأرسل الله سحابةً فأغزرت ما وراءَ صَفِّ المسلمين ^(١) ، فقوَّاهم بها ؛ وما ارتفع النهار وفي الغائط مقترن .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمِّي ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عطاء البَكَّائِي ؛ عن المقطِّع بن الهيثم البَكَّائِي بمثله ، وقالوا : وأرسل هُرْمَز أصحابه بالغد ليغدروا بخالد ، فواطئوه على ذلك ، ثم خرج هُرْمَز ، فنأدى رجلٌ ورجلٌ : أين خالد ؟ وقد عهد إلى فرسانه عهده ، فلَمَّا نزل ^(٢) خالد نزل هُرْمَز ، ودعاه إلى النزال ^(٣) فنزل خالد فشقَّ إليه ، فالتقيا فاختلفا ضربتين ، واحتضنه خالدٌ ، وحملت حامية هُرْمَز وغدرت ، فاستلحموا ^(٤) خالدًا ، فما شغله ذلك عن قتله . وحمل القَعْقَاع بن عمرو واستلحم حُماة هُرْمَز فأناموهم ؛ وإذا خالد يَمَاصِعهم ^(٥) ، وإنهزم أهل فارس ، وركب المسلمون أكتافهم إلى الليل ، وجمع خالد الرِّثَاء ^(٦) وفيها السِّلَاسِل ، فكانت وقْرَ بعيرٍ ؛ ألف رطل ، فسمَّيت ذات السلاسل ، وأقلت ٢٠٢٥/١ قُبَاز وأُنوشجان .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدثني عمِّي ، عن سيف ، عن عمرو بن حمَّد ؛ عن الشعبي ، قال : كان أهلُ فارس يجعلون قلائسهم على قَدَر أحسابهم في عشائهم ، فَمَنْ تَمَّ شرفه فقيمة قلائسوته مائة ألف . فكان هُرْمَز مِمَّن تَمَّ شرفه ، فكانت قيمتها مائة ألف ؛ فنفلها أبو بكر خالدًا ، وكانت مفصَّصة بالجوهر ، وتما شرف أحدهم أن يكون من بيوتات ^(٧)

(١) ابن كثير : « فأمطرتهم حتى صار لهم غدران من ماء » .

(٢) ابن حبيش : « برز » . (٣) س : « النزول » ، ابن حبيش « البراز »

(٤) استلحموا خالدًا : تبعوه . (٥) يماصعهم : يجالدهم .

(٦) الرِّثَاء : المتاع . (٧) ز : « من بيوتاتهم السبع »

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن نوية ، عن حنظلة بن زياد بن حنظلة ، قال : لما تراجع الطلب من ذلك اليوم ، نادى منادى خالد بالرحيل ، وسار بالناس ، واتبعته الأتقال ؛ حتى ينزل بموضع الجسر الأعظم من البصرة اليوم ، وقد أفلت قباد وأنوشجان ، وبعث خالد بالفتح وما بقي من الأخماس وبالفيل ، وقرأ الفتح على الناس . ولما قدم زير بن كليب بالفيل مع الأخماس ، فطيف به في المدينة ليراه الناس ، جعل ضعيفاء النساء يقرن : أمين خلق الله ما نرى ! ورأيت مصنوفاً ، فردّه أبو بكر معي . قال : ولما نزل خالد موضع الجسر الأعظم اليوم بالبصرة ؛ بعث المنثني بن حارثة في آثار القوم ؛ وأرسل معقل بن مقرن المُرقي إلى الأبلّة ليجمع له مالها والسبي ، فخرج معقل حتى نزل الأبلّة فجمع الأموال^(١) والسبايا .

* * *

قال أبو جعفر : وهذه القصة في أمر الأبلّة وفتحها خلاف ما يعرفه أهل السيرة ، وخلاف ما جاءت به الآثار الصحاح ، وإنما كان فتح الأبلّة أيام عُمَرُ رحمه الله ، وعلى يد عتبة بن غزوان في سنة أربع عشرة من الهجرة ؛ وسنذكر أمرها وقصة فتحها إذا انتهينا إلى ذلك إن شاء الله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث سيف ، عن محمد بن نوية ، عن حنظلة بن زياد ، قال : وخرج المنثني حتى انتهى إلى نهر المرأة ، فأنتهى إلى الحصن الذي فيه المرأة ، فخلّف المعنّي بن حارثة عليه ، فحاصرها في قصرها ، ومضى المنثني إلى الرجل فحاصره ثم استنزله عشوة ؛ فقتلهم واستفاء^(٢) أموالهم ؛ ولما بلغ ذلك المرأة صالحت المنثني وأسلمت ، فتزوجها المعنّي ، ولم يحرك خالد وأماؤه الفلاحين في شيء من فتوحهم لتقدم أبي بكر إليه فيهم ، وسبى أولاد المقاتلة الذين كانوا يقومون بأمر الأعاجم ، وأقر من لم ينهض من الفلاحين ؛ وجعل لهم الذمة ؛ وبلغ سهم الفارس في يوم ذات السلاسل والثمن ألف درهم ، والراجل على الثلث من ذلك .

(١) س : « المال » . (٢) ز ، س : « واستبق » .

[ذكر وقعة المذار]

قال : وكانت وقعة المذار في صفر سنة اثنى عشرة ، ويومئذ قال الناس :
صفر الأصفار ، فيه يقتل كل جبار ، على مجمع الأنهار . حدثنا عبيد الله ،
قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن زياد والمهلب ، عن عبد الرحمن
ابن سياه الأحمرى .

وأما فيما كتب به إلى المرمى ، عن شعيب ، عن سيف ،
فإنه عن سيف ، عن المهلب بن عقيب وزياد بن سرجس الأحمرى
وعبد الرحمن بن سياه الأحمرى وسفيان الأحمرى ، قالوا : وقد كان
هرمز كتب إلى أردشير وشيرى ^(١) بالخبر بكتاب خالد إليه بمسيره من اليمامة
نحوه ، فأمدّه بقارن بن قريانس ، فخرج قارن من المدائن مُمدّاً لهرمز ؛
حتى إذا انتهى إلى المذار بلغته الهزيمة ؛ وانتهت إليه الفلّال فتدامروا ، وقال
فلّال الأهواز وفارس لفلّال السواد واجلس : إن افترقم لم تجتمعوا بعدها
أبدًا ؛ فاجتمعوا على العود مرة واحدة ، فهذا مدد الملك وهذا قارن ،
لعلّ الله يديّلنا ويشفيّننا من عدونا ونُدرك بعض ما أصابوا منّا . ففعلوا وعسكروا
بالمذار ، واستعمل قارن على مجنّبه قُبَاذ وأنوشجان . وأرَزَ ^(٢) المثنى والمعنى
إلى خالد بالخبر ؛ وأما انتهى الخبر إلى خالد عن قارن قسم القىء على من
أفاءه الله عليه ، ونفّل من الخمس ما شاء الله ، وبعث بقيّته وبالفتح إلى أبي
بكر وبالحبَر عن القوم وباجتماعهم إلى المثنى المغيث والمغاث ، مع الوليد
ابن عُقْبَة - والعرب تسمى كلّ نهر المثنى - وخرج خالد سائرًا حتى ينزل
المذار على قارن في جموعه ، فالتقوا وخالد على تعبته ، فاقتتلوا على حَسَنَى
وحفيظة ، وخرج قارن يدعو للبراز ، فبرز له خالد وأبيض الركبان معقل بن
الأعشى بن النُبَّاش ، فابتدراه ، فسبّقه إليه معقل ، فقتله وقتل عاصم
الأنوشجان ، وقتل عدى قُبَاذ . وكان شرف قارن قد انتهى ؛ ثم لم يقاتل

(١) ابن حبش : « شيرين » .

(٢) أرز هنا : أسرع .

٢٠٢٨/١ المسلمون بعده أحداً انتهى شرفه في الأعاجم ، وقُتلت فارس مقتلة عظيمة ؛ فضمُّوا السفنَ ، ومنعت المياہ المسلمين مِن طلبهم ، وأقام خالد بالمدار ، وسلَّم الأسلاب لمن سلبها بالغَةَ ما بلغتْ ، وقسمَ النِّيءَ ونفَّل من الأخماس أهل البلاء ، وبعث ببقيةَ الأخماس ، ووفدَ وفدًا مع سعيد بن النعمان أخى بنى عدى بن كعب .

حدثنا عبید الله ، قال : حدثني عمِّي ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان ، قال : قتل ليلة المدار ثلاثون ألفاً سوى من غرق ، ولولا المياہ لأتيت على آخرهم ؛ ولم يفلت منهم من أفلت إلا عرأة وأشباه العرأة .

قال سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبي ، قال : كان أول من لقي خالد مَهَبَطُهُ العراقَ هرمزَ بالكواظم ، ثم نزل الفرات بشاطئ دجلة ؛ فلم يلقَ كيداً ، وتبجح بشاطئ دجلة ، ثم الثني ، ولم يلقَ بعد هرمز أحداً إلا كانت الوقعة الآخرة أعظم من التي قبلها ، حتى أتى دومة الجندل ، وزاد سهمُ الفارس في يوم الثني على سهمه في ذات السلاسل . فأقام خالد بالثني يسبي عيالات المقاتلة ومن أعانهم ، وأقرَّ الفلاحين ومن أجاب إلى الخراج من جميع الناس بعد ما دُعوا ، وكلَّ ذلك أخذ عنوةً ولكن دُعوا إلى الجزاء^(١) ، فأجابوا وتراجعوا ، وصاروا ذمةً ، وصارت أرضهم لهم ؛ كذلك جرى ما لم يُقسم ، فإذا اقتسم فلا .

٢٠٢٩/١ وكان في السبتي حبيب أبو الحسن — يعني أبا الحسن البصري — وكان نصرانياً ، ومافنة مولى عثمان ، وأبو زياد مولى المغيرة بن شعبة .

وأمر على الجند سعيد بن النعمان ، وعلى الجزاء سويد بن مقرن المزني ، وأمره بتزول الحفير ، وأمره ببث عماله ووضع يده في الجباية ، وأقام لعدوه يتحسس الأخبار .

• • •

[ذكر وقعة الولجة]

ثم كان أمر الولجة في صفر من سنة اثنتي عشرة؛ والولجة مما يلي كسكر من البر.

حدثنا عبيد الله، قال : حدثني عمي، قال : حدثني سيف، عن عمرو والمجالد، عن الشعبي قال لما فرغ خالد من الثني وأقى الخبر أردشير، بعث الأندر زغر^(١)؛ وكان فارسياً من مولدى السواد.

حدثنا عبيد الله، قال : حدثني عمي، قال : حدثني سيف، عن زياد بن سرجس، عن عبد الرحمن بن سياه، قال - وفيما كتب به إلى السري، قال : حدثنا شعيب، قال : حدثنا سيف، عن المهلب بن عتبة وزياد بن سرجس وعبد الرحمن بن سياه قالوا : لمّا وقع الخبر بأردشير بمصّاب قارن وأهل المدّار، أرسل الأندر زغر؛ - وكان فارسياً من مولدى السواد وتناشهم^(٢)؛ ولم يكن ممّن وُلد في المدائن ولا نشأ بها - وأرسل بهمّز جاذويه في أثره في جيش، وأمره أن يعبر طريق الأندر زغر؛ ٢٠٣٠/١ وكان الأندر زغر قبل ذلك على فرج خراسان؛ فخرج الأندر زغر سائراً من المدائن حتى أتى كسكر، ثم جازها إلى الولجة، وخرج بهمّز جاذويه في أثره، وأخذ غير طريقه، فسلك وسط السواد، وقد حشر إلى الأندر زغر من بين الحيرة وكسكر من عرب الضاحية والدّهاقين فمسكروا إلى جنبّ عسكره بالولجة؛ فلمّا اجتمع له ما أراد واستمّ أعجبه ما هو فيه، وأجمع السير إلى خالد؛ ولما بلغ خالداً وهو بالثني خبر الأندر زغر ونزوله الولجة، نادى بالرحيل، وخلف سويد بن مقرن، وأمره بلزوم الحفير، وتقدّم إلى من خلف في أسفل دجلة، وأمرهم بالحدّر وقلة الغفلة، وترك الاغترار، وخرج سائراً في الجنود نحو الولجة، حتى ينزل على الأندر زغر وجنوده ومن تأشبّ إليه^(٣)، فاقتتلوا قتالاً شديداً؛ هو أعظم من قتال الثني.

(١) كذا ضبط في ط. (٢) التناء : جمع تاني، وهو الطاريء الغريب.

(٣) ز : « مع ».

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمتي ، عن سيف ، عن محمد بن أبي عثمان ، قال : نزل خالدٌ على الأندلس زَعَرًا بالولجة في صَفَر ، فاقتلوا بها قتالا شديدًا ، حتى ظنَّ الفريقان أنَّ الصبر قد فرغ ، واستبطأ خالد كمينه ؛ وكان قد وضع لهم كمينًا في ناحيتين ، عليهما بُسُر بن أبي رُهْم وسعيد بن مُرَّة العجلي ، فخرج الكمين في وجهين ، فانهزمت صفوف الأعاجم وولَّوا ، فأخذهم خالد من بين أيديهم والكمين من خلفهم ، فلم يَر رجلٌ منهم مقتلَ صاحبه ؛ ومضى الأندلس زَعَرًا في هزيمته ، فمات عطشًا . وقام خالد في الناس خطيبًا يرغبهم في بلاد العجم ، ويזהدهم في بلاد العرب ، وقال : ألا ترون إلى الطعام كرفغ^(١) التراب وبالله لو لم يلزمنا^(٢) الجهادُ في الله والدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ ولم يكن إلَّا المعاش ؛ لكان الرأي أن نقارعَ على هذا الرِّيف حتَّى نكونَ أولى به ، ونولِّي الجوعَ والإفلال مَنْ تولاه ممَّن اثَّاقَل عَمَّا أنتم عليه . وسار خالد في الفلاحين بسيرته فلم يقتلهم ، وسبى ذراريَّ المقاتلة ومَنْ أعانهم ، ودعا أهلَ الأرض إلى الجزاء^(٣) والذمة ، فراجعوا :

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف - وحدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمتي ، عن سيف - عن عمرو ، عن الشَّعبي ، قال : بارز خالد يوم الولجة رجالًا من أهل فارس يُعدِّل بألف رجل فقتله ، فلمَّا فرغ اتَّكأ عليه ، ودعا بغدآته . وأصاب في أناس من بكر بن وائل ابنًا لحابر بن بُجَيْر وابنًا لعبد الأسود .

• • •

(٢) ز : « لو لم يكن منا » بن كثير « يكن بنا » .

(١) الرفغ : مجتمع التراب .

(٣) س : « الجزية » .

خبر أليس ، وهى على صُلب الفرات

قال أبو جعفر ، حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثنا سيف ، عن محمد بن طلحة ، عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة . وأما السري فإنه قال فيما كتب إلى : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة ، قالوا : ولما أصاب خالد يوم الراكجة من أصاب من بكر بن وائل من نصارهم الذين أعانوا أهل فارس غضب لهم نصارى قومهم ؛ فكتبوا الأعاجم وكتبتهم الأعاجم ؛ فاجتمعوا إلى أليس ، وعليهم عبد الأسود العجلى ، وكان أشد الناس على أولئك النصارى مسلمو بني عجل ؛ عتيبة بن النّهاس وسعيد بن مرة وقرات بن حبيّان والمثنى بن لاحق ومذعور ابن عدى . وكتب أردشير إلى بهمن جاذويه ، وهو بقسّيانا - وكان رافد فارس في يوم من أيام شهرهم وبنوا شهرهم كل شهر على ثلاثين يوماً ؛ وكان لأهل فارس في كل يوم رافد قد نصّب لذلك يرفدُهم عند الملك ؛ فكان رافدهم بهمن روز - أن سير حتى تقدّم أليس بجيشك إلى من اجتمع بها من فارس ونصارى العرب . فقدّم بهمن جاذويه جابان وأمره بالحث ، وقال : كفّك نفسك وجندك من قتال القوم حتى ألحق بك إلا أن يُعجلوك . فسار جابان نحو أليس ؛ وانطلق بهمن جاذويه إلى أردشير ليُحدّث به عهداً ، وليستأمره فيما يريد أن يشير به ، فوجده مريضاً ؛ فعرج عليه ، وأخلى جابان بذلك الوجه ، ومضى حتى أتى أليس ، فنزل بها في صفّر ، واجتمعت إليه المسالحي التي كانت بلزاء العرب ^(١) ؛ وعبد الأسود في نصارى العرب من بني عجل ^(٢) وتيمّ اللات وضبيعة وعرب الضاحية من أهل الحيرة ؛ وكان جابر بن بجير نصرانيا ، فساند عبد الأسود ؛ وقد كان خالد بلغه تجمع عبد الأسود وجابر وزهير فيمنّ تأشّب إليهم ، فنهدهم ولا يشعر بدنوّ جابان . وليست لخالد همة إلا من تجمع له من عرب الضاحية

(٢) ز : « بكر » .

(١) ز : « الفرات » .

ونصاراهم ؛ فأقبل فلماً طلع على جابان باليس ، قالت الأعاجم لجابان :
 أنعاجلهم أم نغذّي الناس ولا نريهم أنا نحفل بهم ، ثم نقاتلهم بعد الفراغ ؟
 فقال جابان : إن تركوكم والتّهّاون بكم^(١) فتهاونوا ، ولكن ظنّتي بهم أن سيعجلونكم
 ويعجلونكم عن الطعام . فعصوه وبسطوا البسط ووضعوا الأطعمة ، وتداعوا
 إليها ، وتوافوا عليها . فلماً انتهى خالد إليهم ، وقف وأمر بحطّ الأثقال ، فلماً
 وُضعت توجه إليهم . ووكل خالد بنفسه حوامي يحمون ظهره ، ثم بدّر
 أمام الصف ، فنادى : أين أبجر ؟ أين عبد الأسود ؟ أين مالك بن قيس ؟
 رجل من جذرة ؛ فنكلوا عنه جميعاً إلا مالكا ، فبرز له ، فقال له خالد :
 يا ابن الحبيثة ، ما جرّأك على من بينهم ، وليس فيك وفاء ! فضربه فقتله ،
 وأجهض^(٢) الأعاجم عن طعامهم قبل أن يأكلوا ؛ فقال جابان : ألم أقل لكم
 يا قوم ! أما والله ما دخلتني من رئيس وحشة قط حتى كان اليوم ؛ فقالوا
 حيث لم يقدروا على الأكل تجلداً : ندعها حتى نفرغ منهم ؛ ونعود إليها .
 فقال جابان : وأيضاً أظنّكم والله لهم وضعتموها وأنتم^(٣) لا تشعرون ؛ فالآن
 فأطيعوني ؛ سمّوها ؛ فإن كانت لكم فأهون هالك ، وإن كانت عليكم
 كنتم قد صنعتم شيئاً ؛ وأبليتم عنداً . فقالوا : لا ، اقتداراً عليهم . فجعل
 جابان على مجنّتيه عبد الأسود وأبجر ؛ وخالد على تعبته في الأيام التي قبلها ،
 فاقتلوا قتالا شديداً ، والمشركون يزيدهم كلباً وشدة ما يتوقعون من قدوم
 بهمن جاذويه ، فصابروا المسلمين للذي كان في علم الله أن يصيرهم إليه ،
 وحرب المسلمون عليهم . وقال خالد : اللهم إن لك على إن منحتنا
 أكتافهم ألا أستبقني منهم أحداً قدرنا عليه حتى أجرى نهرهم بدمائهم !
 ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين ، ومنحهم أكتافهم ، فأمر خالد
 مناديه ، فنادى في الناس : الأسر الأسر ! لا تقتلوا إلا من امتنع ؛ فأقبلت
 الخيول بهم أفواجا مستأسرين يساقون سوقاً ، وقد وكل بهم رجالاً يضربون
 أعناقهم في النهر ، ففعل ذلك بهم يوماً وليلة ، وطلبوهم^(٤) الغد وبعد الغد ؛

٢٠٣٤/١

(١) ط : « بهم » ، وأثبت ما في س .

(٢) أجهضم : نحاهم . (٣) ز : « وأنكم »

(٤) ز : « وطلبوا إثرهم من الغد » .

حتى انتهوا إلى النهرين ، ومقدار ذلك من كل جوانب ألتيس . فضرب أعناقهم ، وقال له القعقاع وأشباهه له : لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر دماؤهم ؛ إن الدماء لا تزيد على أن تفرق منذ نُهِيتَ عن السيّلان ، ونُهِيت الأرض عن نشف الدماء ؛ فأرسل عليها الماء تَبَرَّ يمينك . وقد كان صدّ الماء عن النهر فأعاده ، فجرى دمًا عبيطاً^(١) فسمي نهر الدم لذلك الشأن إلى اليوم .

وقال آخرون منهم بشير بن الخصاصيّة ، قال : وبلغنا أن الأرض لما نشفت^(٢) دم ابن آدم نُهِيتَ عن نشف الدماء ، ونُهِيتَ الدم عن السيّلان إلا مقدار بَرْدِهِ .

ولا هُزِمَ القوم وأجلُّوا عن عسكرهم ، ورجع المسلمون مِن طلبهم ودخلوه ؛ وقف خالد على الطعام ، فقال : قد نَقَلْتُكُمْوه فهو لكم . وقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى على طعام مصنوع نَفَلَهُ . فقعد عليه المسلمون لعشائهم بالليل ، وجعل مَنْ لم ير الأرياف ولا يعرف الرقاق يقول : ما هذه الرقاق البيض ! وجعل مَنْ قد عرفها يجيبهم ، ويقول لهم مازحاً : هل سمعتم بريق العيش ؟ فيقولون : نعم ، فيقول : هو هذا ؛ فسمي الرقاق ، وكانت العرب تسميه القرى .

* * *

حدَّثنا عبيدُ الله ، قال : حدَّثني عمِّي ، قال : حدَّثنا سيف ، عن عمرو بن محمد . عن الشَّعْبِيِّ ، عَمَّنْ حَدَّثَ ، عن خالد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نقل الناس يوم خَيْبَرَ الخبز والطَّبِيعَ والشَّوَاءَ ، وما أكلوا غير ذلك في بطونهم غير متأثليه .

كتب إلى السري ، عن شُعَيْب ، عن سيف . عن طلحة ، عن المغيرة ، قال : كانت على النهر أرحاء ، فطحنت بالماء وهو أحمر قوت العسكر ؛ ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون ثلاثة أيام . وبعث خالد بالخبز مع رجل يدعى

(١) دمًا عبيطاً ، أى طرياً . (٢) نشفت الأرض الدم : شربه .

٢٠٣٦/١

جَسَدُ لَا مِنْ بَنِي عَجَلٍ ، وَكَانَ دَلِيلًا صَارِمًا ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ بِالْخَبَرِ ،
وَبَفَتَحَ الْيَسَّ ، وَبَقَدَّرَ الْيَاءَ وَبَعْدَةَ السَّبْيِ ، وَبِمَا حَصَلَ مِنَ الْأَخْمَاسِ ؛
وَبَأَهْلَ الْبَلَاءِ مِنَ النَّاسِ ؛ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ ، فَرَأَى صِرَامَتَهُ وَثَبَاتَ خَبْرَهُ ،
قَالَ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : جَسَدُكَ ، قَالَ : وَبِئِهْمَا جَنْدَلُ !

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَّتْ عِصَامًا وَعَوَّدَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِفْدَامَا

وَأَمْرُهُ بِجَارِيَةٍ مِنْ ذَلِكَ السَّبْيِ ، فَوَلَدَتْ لَهُ .

قَالَ : وَبَنَتْ قَتْلَاهُمْ مِنَ الْيَسِّ سَبْعِينَ أَلْفًا جَلَّتْهُمْ مِنْ أَمْغِشِيَا .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : قَالَ لَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدٍ : قَالَ عَمِّي : سَأَلْتُ عَنْ
أَمْغِشِيَا بِالْحَيْرَةِ فَقِيلَ لِي : مَنِيْشِيَا ، فَقُلْتُ لِسَيْفٍ ، فَقَالَ : هَذَا إِسْمَانُ ^(١) .

» « «

حديث أمغيشيا

فِي صَفَرٍ ، وَأَفَاءَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَغِيرَ خَيْلٍ .

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ . قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ ، عَنْ
أَبِي عَثْمَانَ وَطَلْحَةَ . عَنْ الْمَغِيرَةِ : قَالَ : لَمَّا فَرَّغَ خَالِدٌ مِنْ وَقْعَةِ الْيَسِّ ،
نَهَضَ فَأَتَى أَمْغِشِيَا ، وَقَدْ أَعَجَلَهُمْ عَمَّا فِيهَا ، وَقَدْ جَلَا أَهْلُهَا ؛ وَتَفَرَّقُوا فِي
السَّوَادِ ، وَمِنْ يَوْمَئِذٍ صَارَتِ السَّكَرَاتُ ^(٢) فِي السَّوَادِ ؛ فَأَمْرُ خَالِدٍ بِهِدْمِ أَمْغِشِيَا
وَكُلِّ شَيْءٍ كَانَ فِي حَيْزِهَا . وَكَانَتْ مِصْرًا كَالْحَيْرَةِ ؛ وَكَانَ فِرَاتٌ بَادَ قَلْبِي
يَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَكَانَتِ الْيَسُّ مِنْ مَسَاحِلِهَا ، فَأَصَابُوا فِيهَا مَا لَمْ يَصِيبُوا مِثْلَهُ
قَطً .

٢٠٣٧/١

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ . عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ بَحْرِ بْنِ الْفُرَاتِ
الْعَجَلِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمْ يَصِيبِ الْمُسْلِمُونَ فِيهَا بَيْنَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ وَأَمْغِشِيَا
مِثْلَ شَيْءٍ أَصَابُوهُ فِي أَمْغِشِيَا ، بَلَغَ سَهْمُ الْفَارِسِ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةَ ، سِوَى
النَّفَقَلِ الَّذِي نَفَقَلَهُ أَهْلُ الْبَلَاءِ . وَقَالُوا جَمِيعًا : قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ حِينَ

(١) س : « هَكَذَا سَمِعْتُ » . (٢) يَأْقُوت ٤ : ٣٢٧ : « السَّكَرَةُ : انْفَعْلَةُ » .

بلغه ذلك : يا معشر قريش - يخبرهم بالذي أتاه : عدا أسدكم على الأسد
فغلبه على خراذيله ^(١) ، أعجزت النساء أن ينسلن ^(٢) مثل خالد !

• • •

حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى

قال أبو جعفر : كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن
أبي عثمان وطلحة ، عن المغيرة : أن الآزابه كان مرزبان الحيرة أزمان كسرى
إلى ذلك اليوم ، فكانوا لا يمدُّ بعضهم بعضاً إلاّ بإذن الملك ، وكان قد بلغ
نصف الشرف ، وكان قيمة قلنسوته خمسين ألفاً ، فلما أخرب خالد
أمنيسيا ، وعاد أهلها سكرات لدهاقين القرى علم الآزابه أنّه غير
متروك ، فأخذ في أمره وبيئاً لحرب خالد ، وقدّم ابنه ثم خرج في أثره حتى
عسكر خارجاً من الحيرة ، وأمر ابنه بسدّ الفرات ، ولما استقلّ خالد من
أمنيسيا وحمل الرّجل ^(٣) في السفن مع الأنفال والأثقال ، لم يفجأ خالد إلاّ
والسفن جوانح ^(٤) ، فارتاعوا لذلك ، فقال الملاحون : إن أهل فارس فجّروا الأنهار ،
فسلك الماء غير طريقه ، فلا يأتينا الماء إلاّ بسدّ الأنهار ، فتعجّل خالد في
خيل نحو ابن الآزابه ، فتلقاه على فم العتيق خيل من خيله ، فجأهم
وهم آمنون لغارة خالد في تلك الساعة ، فأناهم بالمقر ، ثم سارهن فوره
وسبق الأخبار إلى ابن الآزابه حتى يلقاه وجنده على فم فرات بادقلى ،
فاقتتلوا فأناهم ، وفجّر الفرات وسدّ الأنهار وسلك الماء سبيله .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن أبي عثمان
وطلحة عن المغيرة ، وبجر عن أبيه ، قالوا . وحدّثنا عبيد الله ، قال :
حدّثني عمي . قال : حدّثنا سيف ، عن محمد عن أبي عثمان ، وطلحة
عن المغيرة ، قالوا : لما أصاب خالد ابن الآزابه على فم فرات بادقلى ، قصد

(١) الخراذيل : قطع المعى ، واحدة خردولة .

(٢) كذا في ز . وفي ط : « أن ينسلوا » ، وفي التصويبات : « ينسلن » .

(٣) س : « الرجال » .

(٤) جبت السفينة جرحاً : انتهت إلى الماء انثليل ، ففرقت بالأرض فلم تمر .

الحيرة ، واستلحق أصحابه ، وصار حتى ينزل بين الخورنق والنَجَف ،
فقدم خالد الخورنق ، وقد قطع الآزابه الفُرات هارباً من غير قتال ؛ وإنما
حداه على الهَرَب أنّ الخبر وقع إليه بموت أردشير ومصاب ابنه ، وكان
عسكره بين الغريّين والقصر الأبيض . ولمّا تنام أصحابُ خالد إليه
بالخورنق خرج من العسكر حتى يعسكر بموضع عسكر الآزابه بين الغريّين
والقصر الأبيض ، وأهلُ الحيرة متحصّنون ، فأدخل خالد الحيرة الخيل من
عسكره ، وأمر بكلّ قصر رجلاً من قوّاده يحاصر أهله ويقاثلهم ، فكان
ضرار بن الأزور محاصراً القصر الأبيض ، وفيه إياس بن قبيصة الطائي ،
وكان ضرار بن الخطاب محاصراً قصر العدسيّين وفيه عدى بن عدى
المقتول ، وكان ضرار بن مقرن المزيّ عاشر عشرة إخوة له محاصراً قصر بني
مازن ، وفيه ابن أكتال ؛ وكان المثنى محاصراً قصر ابن بُقيلة وفيه عمرو
ابن عبد المسيح ؛ فدعاهم جميعاً ، وأجلّوهم يوماً ، فأبى أهل الحيرة ولجّوا ،
فتأوشهم المسلمون .

٢٠٣٩/١

حدثني عبيدُ الله بن سعد ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف ، عن
الغُصْن بن القاسم ، رجل من بني كنانة — قال أبو جعفر : هكذا
قال عبيد الله . وقال السريّ فيما كتب به إلى : حدثنا شعيب ،
عن سيف ، عن الغصن بن القاسم ، عن رجل من بني كنانة — قال : عهد
خالد إلى أمرائه أن يبدءوا بالدّعاء ، فإن قبِلُوا قبلوا منهم وإن أبوا أن
يؤجلوهم يوماً ، وقال : لا تمكّنوا عدوكم من آذانكم ، فيرتبصوا بكم الدوائر ؛
ولكن ناجزوهم ولا تُردّدوا^(١) المسلمين عن قتال عدوهم . فكان أول القُوداد
أنشب القتال بعد يوم أجّلّوهم فيه ضرار بن الأزور ، وكان على قتال أهل
القَصْرِ الأبيض ، فأصبحوا وهم مشرفون ؛ فدعاهم إلى إحدى ثلاث : الإسلام ،
أو الجزاء ، أو المنابذة ، فاخترأوا المنابذة وتنادوا : عليكم الخرازيف ، فقال
ضرار : تنحّوا لا ينالكُم الرمي ؛ حتى ننظر في الذي هتفوا به . فلم يلبث أن امتلأ رأسُ

٢٠٤٠/١

القصر من رجال متعلقي الخالي، يرمون المسلمين بالخزازيف - وهي المداحي من الخزف - فقال ضرار: ارشقوهم، فدنوا منهم فرشقوهم بالنبل، فأعروا رموس الحيطان، ثم بشوا غارتهم فيمن يليهم، وصبح أمير كل قوم أصحابه بمثل ذلك، فافتتحوا الدور والديرات، وأكثروا القتل، فنادى القسيون والرهبان: يا أهل القصور، ما يقتلنا غيركم. فنادى أهل القصور: يآ معشر العرب، قد قبلنا واحدة من ثلاث؛ فادعوا بنا وكفوا عنا حتى تبلغونا خالدًا. فخرج إياس بن قبيصة وأخوه إلى ضرار بن الأزور، وخرج عدى بن عدى وزيد بن عدى إلى ضرار بن الخطاب - وعدى الأوسط الذي رثته أمه وقتل يوم ذي قار - وخرج عمرو بن عبد المسيح وابن أكلال، هذا إلى ضرار بن مقرن، وهذا إلى المنثى بن حارثة، فأرسلوهم إلى خالد وهم على مواقفهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد عن أبي عثمان، وظلحة عن المغيرة، قالوا: كان أول من طلب الصلح عمرو بن عبد المسيح ابن قيس بن حيّان بن الحارث وهو بَقِيلَة - وإنما سُمي بِقِيلَة لأنه خرج على قومه في بردتين أخضرين، فقالوا: يا حار^(١) ما أنت إلا بِقِيلَة خضراء - وتتابعوا^(٢) على ذلك، فأرسلهم الرؤساء إلى خالد، مع كل رجل منهم ثقة؛ ليصالح عليه أهل الحصن، فخلا خالد بأهل كل قصر منهم دون الآخرين، وبدأ بأصحاب عدى، وقال: ويحكم! ما أنتم! أعرب؟ فما تنقمون من العرب! أو عجم؟ فما تنقمون من الإنصاف والعدل! فقال له عدى: بل عرب عاربة وأخرى متعربة، فقال: لو كنتم كما تقولون لم تحادونا وتكرهوا أمرنا، فقال له عدى: لبيد لك على ما نقول أنه ليس لنا لسان إلا بالعربية، فقال: صدقت. وقال: اختاروا واحدة من ثلاث: أن تلخلوا في ديننا فلکم مالنا وعليکم ما علينا إن نهضتم وهاجرتم

(١) ز: «يا جار».

(٢) ابن حيش: «وتتابعوا».

وإن أقمتم في دياركم ، أو الجزية ، أو المنابذة والمناجزة ؛ فقد والله أتيتكم بقوم هم على الموت أحرص منكم على الحياة . فقال : بل نعطيك الجزية ، فقال خالد : تباً لكم ، ويحكم ! إن الكُفْر فلاة مَضَلَّة ، فأحق العرب من سلكها فلقية ديلان : أحدهما عربي فتركه واستدل الأعجمي . فصالحوه على مائة ألف وتسعين ألفاً ؛ وتابعوا على ذلك ، وأهدوا له هدايا ، وبعث بالفتح والهدايا إلى أبي بكر رحمه الله مع الهذيل الكاهلي ، فقبلها أبو بكر من الجزاء ، وكتب إلى خالد أن احسب لهم هديتهم من الجزاء ، إلا أن تكون من الجزاء ، وخذ بقية ما عليهم فتقو بها أصحابك : وقال ابن بُقَيْلَة :

٢٠٤٢/١

أَبَدَ الْمُنْذِرِينَ أَرَى سَوَامًا تَرَوُّحُ بِالْخَوَرَنَقِ وَالسَّيْرِ !
وَبَعْدَ فَوَارِسِ الْعُمَانِ أَرَعَى قَلَوَصًا بَيْنَ مَرَّةٍ وَالْخَفِيرِ
فَصِرْنَا بَعْدَ هَذَا أَبِي قُبَيْسٍ كَجُرْبِ الْمَعْرِ فِي الْيَوْمِ الْمَطِيرِ
تَقَسَّمْنَا الْقِبَالُ مِنْ مَعَدٍّ عَلَانِيَةً كَأَيْسَارِ الْجُرُورِ
وَكُنَّا لَا يَرَامُ لَنَا حَرِيمٌ فَتَحْنُ كَضْرَةَ الضَّرْعِ الْفَخُورِ
نُودَى الْخَرْجِ بَعْدَ خَرَجِ كِسْرَى وَخَرَجٍ مِنْ قُرَيْظَةَ وَالنَّصِيرِ
كَذَاكَ الدَّهْرُ دَوْلَتَهُ سِجَالٌ فَيَوْمٌ مِنْ مَسَاءٍ أَوْ سُورٍ

* * *

كتب إلى المري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن بن القاسم عن رجل من بني كنانة ، ويونس بن أبي إسحاق بنحو منه ، وقالوا : فكانوا يختلفون إليه ويقدمون في حوائجهم عمرو بن عبد المسيح ، فقال له خالد : كم أتت عليك [من السنين] قال : مئو سنين ، قال : فما أعجب ما رأيت ؟ قال : رأيت القرى منظومة ما بين دمشق والحيرة ، تخرج المرأة من الحيرة فلا تزود إلا رغيفاً . فتبسم خالد ، وقال :

٢٠٤٣/١

« هل لك من شيخك إلا عملُهُ » (١) .

(١) ط : « عقله » تصحيف . وهو يضرب للرجل حين يكبر ، وبقيته :

« إلا رسيمه وإلا رملُهُ » .

وانظر مجمع الأمثال ٢ : ٢٨٩ .

خَرِفْتَ والله يا عمرو! ثم أقبل على أهل الحيرة فقال: ألم يبلغني أنكم خبِثَته خَدَعَةَ مَكْرَةٍ^(١)! فإلکم تتناولون حوائجکم بخرف لا يدري من أين جاء! فتجاهل له عمرو، وأحب أن يريته من نفسه ما يعترف به عقله، ويستدل به على صحته ما حدثته به، فقال: وحقك أيها الأمير، إنني لأعرف من أين جئت؟ قال: فمن أين جئت؟ قال: أقرب أم أبعد؟ قال: ما شئت، قال: من بطن أمي، قال: فأين تريد؟ قال: أمامي، قال: وما هو؟ قال: الآخرة. قال: فمن أين أقصى أثرك؟ قال: من صلب أبي، قال: ففيم أنت؟ قال: في ثيابي، قال: أتعقل؟ قال: إني والله وأقيد. قال: فوجده حين فتره عيصاً^(٢)، وكان أهل قريته أعلم به - فقال خالد: قتل أرضاً جاهلها، وقسّم أرضاً عالمها؛ والقوم أعلم بما فيهم. فقال عمرو: أيها الأمير، النملة أعلم بما في بيتها من الجمل بما في بيت النملة. وشاركهم في هذا الحديث من هذا المكان محمد بن أبي السّمر، عن ذى الجوشن الضّبابي، وأما الزهري فإنه حدثنا به، فقال: شاركهم في هذا الحديث رجل من الضّباب. قالوا: وكان مع ابن بقليلة منصف^(٣) له فعلق كيساً في حقوه، فتناول خالد الكيس، ونثر ما فيه في راحته، فقال: ما هذا يا عمرو؟ قال: هذا وأمانة الله سم ساعة، قال: لِمَ تحتقب السم؟ قال: خشيت أن تكونوا على غير ما رأيتم. وقد أتيت على أجلي، والموت أحب إلي من مكروه أدخله على قومي وأهل قريتي. فقال خالد: إنّها لن تموت نفس حتى تأتّي على أجليها، وقال: بسم الله خير الأسماء، ربّ الأرض وربّ السماء، الذي ليس يضرّ مع اسمه داء، الرحمن الرحيم. فأهتوا إليه ليمنعوه منه، وبأدبرهم فابتلعه، فقال عمرو: والله يا معشر العرب لتملكن ما أردتم ما دام منكم أحد أيّتها القرن^(٤). وأقبل على أهل الحيرة، فقال: لم أر كالיום أمراً أوضح إقبالاً!

(١) خلة: جمع حيث، قال في اللسان: «ويس في الكلام» فيعمل «يجمع على فعلة غيره» .
وخدعة مكررة: جمع خادع وما كثر.

(٢) عيص: اختبر، واللّص بالكسر: الدّابة.

(٣) المنصف كمنه ومبني: الخادم. (٤) القرن هنا: أهل الزمان الواحد.

وأبى خالد أن يكتبهم إلا على إسلام كرامة بنت عبد المسيح إلى شُويل ؛
فثقل ذلك عليهم ، فقالت : هونوا عليكم وأسلموني ، فإنني سأفتدي .
ففعلوا ؛ وكتب خالد بينه وبينهم كتاباً :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عاهد عليه خالد بن الوليد عدياً وعمراً
ابنَيْ عدي ، وعمرو بن عبد المسيح وإياس بن قبيصة وحيرى بن أكتال -
وقال عبيد الله : جبرئ - وهم نقباء أهل الحيرة ؛ ورضى بذلك أهل
الحيرة ، وأمرهم^(١) به - عاهدهم على تسعين ومائة ألف درهم ، تُقبل في كل
سنة جزاءً عن أيديهم في الدنيا ؛ رهبانهم وقسيسهم ؛ إلا من كان منهم على
غير ذى يد ، حبساً عن الدنيا ، تاركاً لها - وقال عبيدُ الله : إلا من
كان غير ذى يد حبساً عن الدنيا ، تاركاً لها - أسائِحاً^(٢) تاركاً للدنيا ، وعلى
المنعة ، فإن لم يمنعهم فلا شيء عليهم حتى يمنعهم ، وإن غدروا بفعل
أو بقول فالذمة منهم بريئة . وكتب في شهر ربيع الأول من سنة اثني عشرة ،
ودفع الكتاب إليهم .

٢٠٤٥/١

فلما كفر أهل السَّواد بعد موت أبي بكر استخفوا بالكتاب ، وضيعوه ،
وكفروا فيمن كفر ، وغلب عليهم أهل فارس ؛ فلما افتتح المثنى ثانية ؛
أدّلوأ بذلك ، فلم يجبههم إليه ، وعاد بشرط^(٣) آخر ؛ فلما غلب المثنى
على البلاد كَفَرُوا وأَعَانُوا^(٤) واستخفوا وأضاعوا الكتاب . فلما افتتحها سعد ،
وأدّلوأ بذلك سألهم واحداً من الشرطين ، فلم يجيبوا بهما ؛ فوضع عليهم
وتحرى ما يرى أنهم مُطِيقون^(٥) ، فوضع عليهم أربع مائة ألف سوى الحرزة -
قال عبيدُ الله : سوى الحرزة^(٦) .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف - والسري ، عن

(١) س : « وأمرهم » . (٢) كذا في ز ، وفي ط : « وسائِحاً » .

(٣) س : « ودعا لشرط » .

(٤) س : « وأَعَانُوا » .

(٥) ابن حبش : « يطيقون » .

(٦) الحرزة : نوع من جزيرة الروس . كانت معروفة في زمن الأكاسرة يؤذيها ، كل من لم
يدخل في جند الحكومة . الوثائق السياسية : ٤٢٢ .

شُعَيْب ، عن سيف — عن الغُصْن بن القاسم الكِنَافِي ، عن رجل من بني كِرْنَانَة ويونس بن أبي إسحاق ، قالاً : كان جرير بن عبد الله ممن خرج مع خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام ، فاستأذن خالدًا إلى أبي بكر ليكلّمه في قومه وليجمّعهم له ؛ وكانوا أوزاعًا في العرب ، وليتخلّصهم ؛ فأذن له ، فقدم على أبي بكر ، فذكر له عدّة من النّبي صلى الله عليه وسلم وأتاه على العدّة بشهود ، وسأله لإنجاز ذلك ، فغضب أبو بكر ، وقال له : ترى شغلنا وتما نحن فيه بغوث ^(١) المسلمين ممن يلزأهم من الأسديّين فارس والروم ؛ ثم أنتَ تكلفني التّشاعُل بما لا يغني عمّا هو أَرْضَى لله ولرسوله ! دعني وسيرَ نحو خالد بن الوليد حتى أنظر ما يحكم الله في هذين الوجهين .

فسار حتى قدِم على خالد وهو بالحيرة ، ولم يشهد شيئًا ممّا كان بالعراق إلاّ ما كان بعد الحيرة ؛ ولا شيئًا ممّا كان خالد فيه من أهل الردّة . وقال القعقاع بن عمرو في أيام الحيرة ^(٢) :

سَقَى اللهُ قَتْلَى بِالْفُرَاتِ مُقِيمَةً وَأُخْرَى بِأُبْجَاجِ النَّجَافِ الْكُوفِ
فَنَحْنُ وَطَنُنَا بِالْكَوَاظِمِ هُرْمُزًا وَبِالنُّثَى قَرْنِي بِالْجُورِافِ
وَيَوْمَ أَحَطْنَا بِالْقُصُورِ تَتَابَعَتْ عَلَى الْحَيْرَةِ الرُّوحَاءُ إِحْدَى الْمَصَارِفِ
حَطَطْنَاهُمْ مِنْهَا وَقَدْ كَادَ عَرْشُهُمْ يَمِيلُ بِهِمْ ، ففعلَ الْجَبَانِ الْخَالِفِ ^(٣)
رَمَيْنَا عَلَيْهِم بِالْقَبُولِ وَقَدْ رَأَوْا غَبُوقَ الْمَنَافِ حَوْلَ تِلْكَ الْمَحَارِفِ
صَبِيحَةً قَالُوا نَحْنُ قَوْمٌ تَنَزَّلُوا إِلَى الرَّيْفِ مِنْ أَرْضِ الْعُرَيْبِ الْمَقَافِ

خبر ما بعد الحيرة

حدثنا عبيد الله بن سعد الزهري ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف ، عن جميل الطائي ، عن أبيه ، قال : لما أعطى شُوَيْل كرامة بنت عبد المسيح

(١) ز : « نفوث » . (٢) ابن كثير : « الردّة » .

(٣) كذا في ابن كثير ، وفي ط : « يحيل به » .

قلت لعدى بن حاتم : ألا تعجب من مسألة شويل كرامة بنت عبد المسيح على ضَعْفِهِ ! قال : كان يَهْرُفُ بها دَهْرَهُ ، قال : وذلك أننى لما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما رُفِعَ له من البلدان ، فذكر الحيرة فيما رُفِعَ له ، وكان شَرُفَ قصورها أضراسُ الكلاب ؛ عرفت أن قد أريتها ، وأنها ستفتح ، فلقينته ^(١) مسائلها .

وحدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمى ، عن سيف ، قال : قال لى عمرو والمجالد ، عن الشعبي - والسري - ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي - قال : لما قدم شُوَيْلٌ إلى خالد ، قال : إني سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يذكر فتحَ الحيرة ، فسألته كرامة - ، فقال : « هي لك إذا فتحت عنوةً » . وشهد له بذلك ، وعلى ذلك صالحهم ؛ فدفعها إليه ، فاشتد ذلك على أهل بيتها وأهل قربتها ما وقعت فيه ، وأعظموا الخطر ، فقالت : لا تُخطروه ، ولكن اصبروا ؛ ما تخافون على امرأة بلغت ثمانين سنة ! فإنما هذا رجلٌ أحمرٌ رآنى فى شببى فظن أن الشباب يدوم . فدفعوها إلى خالد ؛ فدفعها خالد إليه ، فقالت : ما أربك إلى عجوز كما ترى ! فآدني ، قال : لا ، إلا على حُكْمى ، قالت : فلك حكمك مُرسلاً . فقال : لستُ لأَمَّ شويل إن نقصتُك من ألف درهم ! فاستكثرتُ ذلك لتخدعه ، ثم آتته بها . فرجعتُ إلى أهلها ، فتسامع الناس بذلك ، فعنفوه ، فقال : ما كنت أرى أن عدداً يزيد على ألف ! فأبوا عليه إلا أن يخاصمهم [فخاصمهم] ^(٢) ، فقال : كانت نيتي غاية العدد ، وقد ذكروا أن العدد يزيد على ألف ، فقال خالد : أردتُ أمراً وأراد الله غيره ؛ نأخذ بما يظهر ونَدَعُكَ ونيَّتكَ ، كادباً كنت أو صادقاً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : لما فتح خالد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمانى ركعات لا يسلم فيهن ، ثم انصرف ، وقال : لقد قاتلت يوم مؤتة فانقطع فى يدي تسعة

(١) ابن حيش : « فلقنته » ، وهما فى المعنى سواء

(٢) من ابن حيش .

أسياف ، وما لقيت قومًا كقوم لقيتُهم من أهل فارس ؛ وما لقيت من أهل فارس قومًا كأهل أُلَيْس !

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبي ، قال : صَلَّى خالد صلاة الفتح ^(١) ، ثم انصرف . ثم ذكر مثل حديث المري .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف - والسري ، عن شعيب ، عن سيف - عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي جازم - وكان قدِم مع جرير على خالد - قال : أتينا خالدًا بالحيرة وهو متوشح قد شدَّ ثوبه في عنقه يصلّي فيه وحده ، ثم انصرف ، فقال : اندق في يدي تسعة أسياف يوم مؤتة ، ثم صبرت في يدي صفيحة ^(٢) يمانية ، فما زالت معي .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان وطلحة بن الأعلم عن المغيرة بن عتيبة والغصن ابن القاسم ، عن رجل من بني كنانة وسفيان الأحمر عن ماهان ، قال : ولمّا صالح أهل الحيرة خالدًا خرج صلبوبًا بن نسطونا صاحب قسّ النّاطف ، حتّى دخل على خالد عسكره ؛ فصالحه على بانيقيا وبسما ، وضمن له ما عليهما وعلى أرضيهما من شاطئ الفرات جميعًا ، واعتقد لنفسه وأهليه وقومه على عشرة آلاف دينار سري الخرزة . خرزة كسرى ؛ وكانت على كلّ رأس أربعة دراهم ، وكتب لهم ^(٣) كتابًا فتمّوا وتمّ ، ولم يتعلّق عليه في حال غلبة فارس بغدير ، وشاركهم المجالد في الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوباب بن نسطونا وقومه ؛ إنّي عاهدتكم على الجزية والمنعة ؛ على كلّ ذى يد ؛ بانيقيا وبسما جميعًا ، على عشرة آلاف دينار سوى الخرزة ، القوى على

(١) س : « الصبح » . (٢) الصفيحة : السيف العريض .

(٣) ابن حيش : « وكتب له خالد . »

قدر قوته . والمقلّ على قدر إقلاله ، في كلّ سنة . وإنّك قد نُقِبتَ على قومك ، وإنّ قومك قد رضوا بك . وقد قبلتُ ومنّ معي من المسلمين ، ورضيتُ ورضيَ قومك ؛ فلك الذمّة والمنّعة ؛ فإن منعناكم فلنا الجزية ؛ وإلا فلا حتّى نمنعكم . شهد هشام بن الوليد ، والققعاق بن عمرو ، وجريز بن عبد الله الحميري ، وحظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتي عشرة في صفر .

كتب إلى السريّ . عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله ، عن أبي عثمان ، عن ابن أبي مُكَيْفٍ ، وطلحة عن المغيرة . وسفيان عن ماهان . وحدثنا عبيدُ الله ، قال : حدثني عمّي ، عن سيف . عن محمد ، عن أبي عثمان . وطلحة عن المغيرة ، قال : كان الدّهاقين يتربصون بخالد وينظرون ما يصنع أهلُ الحيرة . فلمّا استقام ما بين أهل الحيرة وبين خالد ، واستقاموا له أتته دهاقين المِلطاطين^(١) ، وأتاه زاذن بُهَيْش دِهقان فُرات سريّنا ، وصلوبا بن نسطونا بن بصبهرى - هكذا في حديث السريّ . وقال عبيد الله : صلوبا بن بصبهرى ونسطونا - فصالحوه على ما بين الفلاليح إلى هُرْمُزْ جِرْدَ على أَلْفَى أَلْف - وقال عبيد الله في حديثه : على ألف ألف ثقل - وأنّ للمسلمين ما كان لآل كسرى ، ومنّ مالَ معهم عن المقام في داره فلم يدخل في الصلح . وضرب خالد رواقه في عسكره . وكتب لهم كتابا :

٢٠٥١/١

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد بن الوليد لزاذ بن بُهَيْش وصلوبا بن نسطونا ؛ لكم الذمّة وعليكم الجزية ، وأنتم ضامنون لمن نُقِبتُم عليه من أهل البِهَقْبَادِ الأسفل والأوسط - وقال عبيد الله : وأنتم ضامنون جزية^(٢) من نُقِبتُم عليه - على أَلْفَى أَلْف ثقل^(٣) في كلّ سنة ؛ عن^(٤) كلّ ذى يد سوى ما على بانيقيا وبسما وإنّكم قد أرضيتُموني والمسلمين ؛ وإنّا قد أرضيناكم وأهل البِهَقْبَادِ

(١) كذا ورد الاسم في ط على النشئة ، وفي ياقوت : « كان يقال لظهر الكوفة اللسان ، وما ولي الفرات منه المِلطاط . وفي فتوح البلدان لبلادري ٣٤١ : « ما بين الكوفة والحيرة يسمى المِلطاط » .
(٢) ط : « حرب » وانظر التصويبات . (٣) كذا في ابن حبيش . وفي ط : « تقبل » .
(٤) كذا في ابن حبيش ؛ وفي ط : « ثم » .

الأسفل ؛ ومن دخل معكم من أهل البيهقُباذ الأوسط على أموالكم ؛ ليس فيها ما كان لآل كسرى ومن مال ميلتهم . شهد هشام بن الوليد ، والققعاق بن عمرو ، وجريز بن عبد الله الحيميرى ، وبشير بن عبيد الله بن الحصاصية ، وحنظلة بن الربيع . وكتب سنة اثنتى عشرة فى صَفَر .

وبعث خالد بن الوليد عمّاله ومسالحه ؛ فبعث فى العمالة عبد الله بن وثيمة النَّصْرَى ، فنزل فى أعلى العمل بالفالايح على المَنعة وقبض الجزية ، ٢٠٥٢/١ . وجريز بن عبد الله على باقيا وبَسْما ، وبشير بن الحصاصية على النَّهْرَيْن فنزل الكُوَيْفَة بباينورا ، وسُوَيْد بن مقرن المزنى إلى نِسْتَر ، فنزل العَقَر — فهى تسمى عَقَر سُوَيْد إلى اليوم ، وليست بسويد المِنْقَرى سميت — وأط بن أبى أط إلى رودمستان ، فنزل منزلاً على نهر سُمى ذلك النهر به — ويقال له : نهر أط إلى اليوم ؛ وهو رجل من بنى سعد بن زيد مناة ؛ فهؤلاء كانوا عمال الخراج زمن خالد بن الوليد .

وكانت الثُّغُور ^(١) فى زمن خالد بالسَّيْب . بعث ضرار بن الأزور وضرار ابن الخطاب والمثنى بن حارثة وضرار بن مقرن والققعاق بن عمرو وبُسر بن أبى رُهم وعُتَيْبَة بن النَّهَّاس ؛ فنزلوا على السَّيْب فى عَرْض سلطانه . فهؤلاء أمراء ثُغُور خالد . وأمرهم خالد بالغارة والإلحاح ، فمخروا ما وراء ذلك إلى شاطئ دِجْلَة .

قالوا : ولمّا غلب خالد على أحد جانبي السواد . دعا من أهل الخيرة ٢٠٥٣/١ برجل ، وكتب معه إلى أهل فارس وهم بالمدائن مختلفون متساندون ^(٢) لموت أردشير ؛ إلا أنهم قد أنزلوا بهم جاذويه ببَهْرَسِير ؛ وكأنّه على المقدّمة . ومع بهم جاذويه الآزاذبه فى أشباه له . ودعا صلوا برجل ، وكتب معهما كتابين ؛ فأما أحدهما فى الخاصة وأما الآخر فى العامة ؛ أحدهما حيرى والآخر نَبَطَى .

ولما قال خالد لرسول أهل الخيرة : ما اسمك ؟ قال : مُرّة . قال : خذ

(١) ز : « البعوث » .

(٢) س : « متسانرون » .

الكتاب فأت به أهل فارس، لعل الله أن يُمِرَّ عليهم عيشتهم، أو يُسلموا، أو ينيبوا. وقال لرسول صلوبا: ما اسمك؟ قال: هِرَاقِيل، قال: فخذ الكتاب. وقال^(١): اللهم أزهِق نفوسهم.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن مجالد وغيره، بمثله. والكتابان:

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى ملوك فارس؛ أمّا بعد، فالحمد لله الذي حلّ نظامكم، وهنّ كيدكم، وفرّق كلمتكم، ولو لم يفعل ذلك بكم كان شراً لكم؛ فادخلوا في أمرنا ندعكم وأرضكم، ونجوزكم إلى غيركم، وإلا كان ذلك وأنتم كارهون على غلب، على أيدي قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة.

بسم الله الرحمن الرحيم. من خالد بن الوليد إلى مرازية فارس؛ أمّا بعد فأسلموا تسلموا؛ وإلا فاعتقدوا مني الذمّة، وأدّوا الجزية، وإلا فقد جنتكم بقوم يحبون الموت، كما تحبون شرب الخمر. ٢٠٥٤/١

حدثني عبيد الله، قال: حدثني عمّي، عن سيف، عن محمد بن نويرة، عن أبي عثمان. والسري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله، عن أبي عثمان والمهلب بن عقبة وزياد بن سرجيس، عن سياه وسفيان الأحمر، عن مآهان: أن الخراج جُبي إلى خالد في خمسين ليلة، وكان الذين ضمنوه والذين هم رؤوس الرساتيق رُحُناً في يده، فأعطى ذلك كلّه للمسلمين، ففقروا به على أسورهم. وكان أهل فارس يموت أردشير مختلفين في الملوك، مجتمعين على قتال خالد، متساندين؛ وكانوا بذلك سنة، والمسلمون يمحرون ما دون دجلة. وليس لأهل فارس فيما بين الحيرة ودجلة أدبر؛ وليس لأحد منهم ذمّة إلا الذين كاتبوا واكتبوا منه، وسائر أهل السواد جلاء، ومتهصّنون، ومحاربون. واكتب عمّال الخراج، وكتبوا البراءات لأهل الخراج، من نسخة واحدة:

بسم الله الرحمن الرحيم . براءة لمن كان من كذا وكذا من الجزية التي صالحهم عليها الأمير خالد بن الوليد ، وقد قبضت الذي صالحهم عليه خالد ، وخالد والمسلمون لكم يد على من بدل صلح خالد ؛ ما أقرتم بالجزية وكفتم . أمانكم أمان ، وصلاحكم صلح ؛ نحن لكم على الوفاء . ٢٠٥٥/١

وأشهدوا لهم النفر من الصحابة الذين كان خالد أشهدهم : هشام ، والقعقاع ، جابر بن طارق ، وجريراً ، وبشيراً ، وحنظلة ، وأزداذ ، والحجاج بن ذى العنق ، ومالك بن زيد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، قال : وخرج خالد وقد كتب أهل الحيرة عنه كتاباً : إننا قد أدبنا الجزية التي عاهدنا عليها خالد العبد الصالح والمسلمون عباد الله الصالحون ، على أن يمنعوننا وأميرهم البغي من المسلمين وغيرهم .

وأما السري ؛ فإنه قال في كتابه إلى : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، عن عبد خير ، عن هشام بن الوليد ، قال : فرغ خالد . . ثم سائر الحديث مثل حديث عبيد الله بن سعد .

حدثنا عبيد الله ، قال : حدثني عمي ، عن سيف -- والسري ، عن شعيب عن سيف -- عن عبد العزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن ابن الهذيل الكاهلي نحوه منه ، قالوا : وأمر الرسولين اللذين بعثهما أن يدعييهما بالخبر ، وأقام خالد في عَمَلِهِ سنة ، ومثله الحيرة ، يصعد ويصوب قبل ٢٠٥٦/١ خروجه إلى الشام ، وأهل فارس يخلعون ويملكون ، ليس إلا الدافع عن بهر سير ؛ وذلك أن شيرى بن كسرى قتل كل من كان يناسبه^(١) إلى كسرى بن قباد ، ووثب أهل فارس بعده وبعد أردشير ابنه ، فقتلوا كل من بين كسرى بن قباد وبين بهرام جور ، فبقوا لا يقدرون على أن يملكونه ممن يجتمعون عليه .

(١) ز : « إخرته ومن كان يناسبه » .

حدثنا عبيدُ الله ، قال : حدثني عمِّي ، قال : حدثني سيف ، عن عمرو والمجالد ، عن الشعبي ، قال : أقام خالدُ بن الوليد فيما بين فتح الحيرة إلى خروجه إلى الشام أكثرَ من سنة ، يعالج عملَ عياض الذي سُمِّيَ له ، وقال خالد للمسلمين : لولا ما عهد إلى الخليفة لم أتصدق^(١) عياضاً ، وكان قد شجى وأشجى بدومة ، وما كان دون فتح فارس شيء ؛ إنها لسنة كأنها سنة نساء . وكان عهد إليه ألا يقتحم عليهم وخلفه نظام لهم . وكان بالعين عسكر لفارس وبالأنبار آخر وبالفراض آخر . ولما وقعت كتب خالد إلى أهل المدائن تكلم نساء آل كمرى ، فولى الفَرخزاذ بن البندوان إلى أن يجتمع^(٢) آل كمرى على رجل إن وجدوه .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن عبد الله عن أبي عثمان ، وطلحة عن المغيرة ، والمهلب عن سياه ، وسفيان عن ماهان ، قالوا : كان أبو بكر رحمه الله قد عهد إلى خالد أن يأتي العراق من أسفل منها ، وإلى عياض أن يأتي العراق من فوقها ، وأبكما ما سبق إلى الحيرة فهو أمير على الحيرة ؛ فإذا اجتمعتما بالحيرة إن شاء الله وقد فضضتما مسالح ما بين العرب وفارس وأمينتم أن يؤتى المسلمون من خلفهم فليقيم بالحيرة أحداً ، وليقتحم الآخر على القوم ، وجالدوهم عما في أيديهم ، واستعينوا بالله واتقوه ، وآثروا أمر الآخرة على الدنيا يجتمعا لكم ؛ ولا تؤثرا الدنيا فتسلبوهما . واحذروا ما حذركم الله بترك المعاصي ومعالجة التوبة ؛ وإياكم والإصرار وتأخير التوبة .

فأتى خالد على ما كان أمر به ، ونزل الحيرة ، واستقام له ما بين الفلاليج إلى أسفل السواد ، وفرق سواد الحيرة يومئذ على جرير بن عبد الله الحميري ، وبشير بن الخصاصية ، وخالد بن الواشمة ، وابن ذى العلق ، وأط ، وسويد ٢٠٥٨/١ وضرار ؛ وفرق سواد الأبلّة على سويد بن مقرن ، وحسكة الحبطي ، والحصين بن أبي الحر ، وربيعه بن عسل ، وأقر المسالح على ثغورهم ،

(١) يقال : تنقذ ، إذا نجاه وخلص .

(٢) ز : « اجتمع » .

واستخلف على الحيرة القعقاع بن عمرو . وخرج خالد في عمل عياض ليقضي ما بينه وبينه ، وإغاثنه ، فسلك الفلوجة حتى نزل بكرّ بلاء ، وعلى مسلتحتها عاصم بن عمرو ، وعلى مقدمة خالد الأقرع بن حابس ؛ لأنّ المشي كان على ثغر من الثغور التي تلى ^(١) المدائن ؛ فكانوا يغاورون أهل فارس ، وينتهون إلى شاطئ دجلة قبل خروج خالد من الحيرة وبعد خروجه في إغاثة عياض .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي روق ، عن عمّ شهم بمثله ، إلى أن قال : وأقام خالد على كركبلاء أياماً ، وشكاً إليه عبد الله بن وثيمة الذّباب ، فقال له خالد : اصبر فإنّي إنّما أريد أن أستفرغ المسالحيّ أمير بها عياض فنسكنها العرب ؛ فتأمن جنود المسلمين أن يؤثروا من خلفهم ، وتجيئنا العرب أمينةً وغير متعسّعة ؛ وبذلك أمرنا الخليفة ، ورأيه يعدل نسجدة الأمة . وقال رجل من أشجع فيما حكى ابن وثيمة :

لقد حبست في كركبلاء مطيتي وفي المين حتى عاد غثاً سمينها ^(٢)

إذا زحلت من مبرك رجعت له لعمرو أيها إنني لأهينها ٢٠٥٩/١

ويمنعها من ماء كل شريعة رفاق من الذّبان زرق عيونها

• • •

حديث الأنبار — وهي ذات العيون — وذكر كلواذي

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأصحابهما ، قالوا : خرج خالد بن الوليد في تعبيته التي خرج فيها من الحيرة ، وعلى مقدمته الأقرع بن حابس . فلما نزل الأقرع المنزل الذي يسلمه إلى الأنبار أنتج قوم من المسلمين إبلهم ، فلم يستطيعوا العرجة ^(٣) ،

(١) ط : « على » ، وأثبت ما في ابن حبيش .

(٢) ياقوت ٧ : ٢٢٩ .

(٣) العرجة : المقام .

ففقثوا فيهم وفي أهل الأرض ألف عين ، فعرفتُ أن المسألة أسلم . ولما ٢٠٦١/١
اطمأن خالد بالأنبار والمسلمون ، وأمن أهل الأنبار وظهروا ، رآهم يكتبون
بالعربية ويتعلمونها ، فسألهم : ما أنتم ؟ فقالوا : قوم من العرب ، نزلنا إلى قوم
من العرب قبلنا - فكانت أوائلهم نزلها أيام يخنصر حين أباح العرب ؛
ثم لم نزل عنها - فقال : بمن تعلمم الكتاب ؟ فقالوا : تعلمنا الخط من إياد ،
وأنشدوه قول الشاعر :

قَوَى إِيَادُ لَوْ أَنَّهُمْ أُمُّ أَوْ لَوْ أَتَانَا فُهِزَلِ النَّعْمُ^(١)
قَوْمٌ لَمْ بَاحَةَ الْعِرَاقَ إِذَا سَارُوا جَمِيعًا وَالْخَطَّ وَالْقَلَمَ^(٢)

وصالح خالد من حولهم ، وبدأ بأهل البَوَازِيج ، وبعث إليه أهل كَلَوَاذَى
ليعقد لهم ، فكانت بهم فكانوا عيبته من وراء دجلة . ثم إن أهل الأنبار وما
حولها نقضوا فيما كان يكون بين المسلمين والمشركون من الدُّوَل ما خلا أهل
البَوَازِيج ، فلمَّهم ثبتوا كما ثبت أهل بَانِقِيَا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد العزيز - يعني
ابن سياء - عن حبيب بن أبي ثابت ، قال : ليس لأحد من أهل السَّوَادِ
عَقْدٌ قبل الواقعة إلاّ بنى صلوبا - وهم أهل الحيرة - وكلواذى ، وقرى من قرى
الفرات^(٣) ، ثم غدروا حتى دُعوا إلى الذمّة بعد ما غدروا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، ٢٠٦٢/١
قال : قلت للشعبي : أئخذ السواد عنوة ؟ قال : نعم ، وكلّ أرض إلا بعض
التلاع والحصون ، فإنّ بعضهم صالح به ، وبعضهم غلب^(٤) . فقلت : فهل
لأهل السَّوَادِ ذمّة اعتقدوها قبل الهرب^(٥) ؟ قال : لا ، ولكنهم لما دُعوا
ورضوا بالخراج وأخذ منهم صاروا ذمّة .

(١) سيرة ابن هشام ٤٣ ، ونسبها إلى أمية بن أبي الصلت .

(٢) ابن كثير : « واللوح والقلم » . ابن هشام : « والقط والقلم » .

(٣) ز وابن كثير . « من قرى فرات » .

(٤) ز : « غالب » .

(٥) ابن كثير : « الحرب » .

خبر عين التمر

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وزباد ، قالوا : ولما فرغ خالد من الأنبار ، واستحسنت له ، استخلف على الأنبار الزبير بن بدر ، وقصد لعين التمر ، وبها يومئذ مهبران بن بهرام جويين في جمع عظيم من العجم ، وعقّة بن أبي عقّة في جمع عظيم من العرب من التمر وتغلب وإياد ومن لاقهم ^(١) . فلما سمعوا بخالد قال عقّة لمهران : إن العرب أعلم بقتال العرب ، فدعنا ^(٢) وخالدًا ، قال : صدقت ، لعمرى لأنتم أعلم بقتال العرب ، وإنكم لمثلنا في قتال العجم . فخدعه واتق به ، وقال : دونكموهم وإن احتجتم إلينا أعناكم . فلما مضى نحو خالد قالت له الأعاجم : ما حملك على أن تقول هذا القول لهذا الكلب ! فقال : دعوني فإنني لم أرد إلا ما هو خير لكم وشرّ لهم ؛ إنّه قد جاءكم من قتل ملوككم ، وفلّ حدّكم ، فاتقيته بهم ؛ فإن كانت لهم على خالد فهي لكم ؛ وإن كانت الأخرى لم تبلغوا منهم حتى يهينوا ، فنقاتلهم ونحن أقوياء وهم مضطعون . فاعترفوا له بفضل الرأى ، فلزم مهبران العين ، ونزل عقّة لخالد على الطريق ، وعلى ميمته بجير بن فلان أحد بني عتبة بن سعد بن زهير ، وعلى مسيرته الهذيل ابن عمران ، وبين عقّة وبين مهبران ^(٣) رَوْحَة أو غَدَوَة ، ومِهْران في الحصن ^(٤) في رابطة فارس ، وعقّة على طريق الكرخ كالحفير . فقدم عليه خالد وهو في تعبته جنده ، فعبيّ خالد جنده وقال لمجنّبيه ^(٥) : اكفونا ما عنده ، فإنني حامل ؛ ووكلّ بنفسه حواشي ، ثمّ حمل وعقّة يقيم صفوفه ؛ فاحتضنه فأخذه أسيراً ، وانهمز صفه من غير قتال ، فأكثروا فيهم الأسر ، وهرب بجير والهذيل ، واتبعهم المسلمون . ولما جاء الخبر لمِهْران هرب في جنده ، وتركوا الحصن . ولما انتهت فُلّال عقّة من العرب والعجم إلى الحصن اقتحموه واعتصموا به ؛ وأقبل خالد في الناس حتّى ينزل على الحصن معه عقّة أسير وعمر بن الصّعيق ، وهم يرجون أن يكون خالد كمن كان

(١) ب وابن كثير : « لاقاهم » . (٢) س : « فدعها » (٣) ز ، س : « بين عقّة ومِهْران » .

(٤) س : « في حصن » . (٥) المجنبتان : ميمنة الجيش وميسرة .

يَغِير من العرب ، فلما رأوه يحاولون سألوه الأمان . فأبى إلا على حكمه فسلكوا له ^(١) به . فلما فتحوا دفعهم إلى المسلمين فصاروا ميساكاً ^(٢) ، وأمر خالد بعقته وكان خفير القوم فضربت عنقه ليؤتس الأسراء من الحياة ، ولما رآه الأسراء مطروحاً على الجسر يسوا من الحياة ، ثم دعا بعمر بن الصعق فضرب عنقه ، وضرب أعناق أهل الحصن أجمعين . وسبى كل من حوى ^{٢٠٦٤/١} حصنهم ، وغنم ما فيه ، ووجد في بيعتهم أربعين غلاماً يتعلمون الإنجيل ، عليهم باب مغلقة ؛ فكسره عنهم ^(٣) ، وقال : ما أنتم ؟ قالوا : رهن ، فمسمهم في أهل البلاء ؛ منهم أبو زياد مولى ثقيف ، ومنهم نصير أبو موسى بن نصير ، ومنهم أبو عمرة جد عبد الله بن عبد الأعلى الشاعر ، وسير بن أبو محمد بن سيرين ، وحريث ، وعلائة . فصار أبو عمرة لشرحبيل ابن حسنة ، وحريث لرجل من بني عباد ، وعلائة للمعنى ، وحرمان لعثمان . ومنهم عمير وأبو قيس ؛ فثبت على نسبه من موالى أهل الشام القدماء ، وكان نصير ينسب إلى بني يشكر ، وأبو عمرة إلى بني مرة . ومنهم ابن أخت النمر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وأبي سفيان طلحة بن عبد الرحمن والمهلب بن عقبة ، قالوا : ولما قدم الوليد بن عقبة من عند خالد على أبي بكر رحمه الله بما بعث به إليه من الأخماس وجهه إلى عياض ، وأمدّه به ، فقدم عليه الوليد ، وعياض محاصروهم وهم محاصروه ، وقد أخذوا عليه بالطريق ، فقال له : الرأي في بعض الحالات خير من جند كثيف ؛ ابعث إلى خالد فاستمدّه . ففعل ؛ فقدم عليه رسوله غيباً وقعة العين مستغيثاً ، فعجل إلى عياض بكتابه : من خالد إلى عياض إيتاك أريد .

لَبِثَ قَلِيلًا تَأْتِكَ الْخِلَابُ ^(٤) يَحْمِلُنَ آسَادًا عَلَيْهَا الْقَاشِبُ
• كَتَائِبٌ يَتَّبَعُهَا كَتَائِبُ •

(١) سلوا له : لانوا . (٢) ابن كثير : « جعلوا في السلاسل » ، وفي ابن الأثير والنويري : « فأخذهم أسرى » . (٣) س : « عليهم » . (٤) الخلاب : الجماعات ؛ يقال : أحلب القوم ، إذا اجتمعوا للنصرة .

خبر دومة الجندل

قالوا: ولما فرغ خالد من عَيْنِ التَّمْرِ خَلَّفَ فِيهَا عَوْيَمَ^(١) بن الكاهل^(٢) الأسلمي، وخرج في تعبته الَّتِي دَخَلَ فِيهَا الْعَيْنَ، وَلَمَّا بَلَغَ أَهْلَ دُومَةِ مَسِيرُ خَالِدٍ إِلَيْهِمْ بَعَثُوا إِلَى أَحْزَابِهِمْ مِنْ بَهْرَاءَ وَكَلْبَ وَغَسَّانَ وَنَشُوحَ وَالضُّجَاعِمَ، وَقَبْلُ مَا قَدِ اتَّاهَمُوا وَدِيعَةَ فِي كَلْبَ وَبَهْرَاءَ، وَمَسَانْدُهُ ابْنَ وَبَرَةَ بْنِ رُومَانِسَ، وَآتَاهُمُ ابْنُ الْحَدْرِجَانِ فِي الضُّجَاعِمِ، وَابْنُ الْأَيْتَمِ فِي طَوَائِفَ مِنْ غَسَّانَ وَنَشُوحَ، فَأَشْجَعُوا عِيَاضًا وَشَجُّوا بِهِ.

فلما بلغهم دنو خالد، وهم على رئيسين: أكيندر بن عبد الملك والجودي ابن ربيعة، اختلفوا فقال أكيندر: أنا أعلم الناس بخالد؛ لا أحد أيمان طائراً منه، ولا أحد في حرب، ولا يرى وجد خالد قوم أبداً قتلوا أو كثروا إلا انهزموا عنه؛ فأطيعوني وصالحوا القوم. فأبوا عليه، فقال: لن أمالككم على حرب خالد، فشأنكم.

فخرج لطيفته، وبلغ ذلك خالداً؛ فبعث عاصم بن عمرو معارضاً له، فأخذه فقال: إنما تلقيت الأمير خالداً؛ فلمأ أتى به خالداً أمر به فضربت عنقه، وأخذ ما كان معه من شيء، ومضى خالد حتى ينزل على أهل دومة، وعليهم الجودي بن ربيعة، ووديعه الكلبي، وابن رومانس الكلبي، وابن الأيمم وابن الحديرجان؛ فجعل خالد دومة بين عسكره وعسكر عياض. وكان النصارى الذين أمدوا أهل دومة من العرب محيطين بحصن دومة، لم يحملهم الحصن، فلما اطمأن خالد خرج الجودي، فنهض بوديعه

٢٠٦٦/١

فزعوا لخالد، وخرج ابن الحديرجان وابن الأيتهم إلى عياض؛ فاقتتلوا، فهزم الله الجودي ووديعه على يدي خالد، وهزم عياض من يليه، وركبهم المسلمون؛ فأما خالد فإنه أخذ الجودي أخذاً، وأخذ الأقرع بن حابس وديعه. وأرر بقيّة الناس إلى الحصن؛ فلم يحملهم؛ فلما امتلأ الحصن، أغلق من في الحصن الحصن دون أصحابهم؛ فبقوا حولته حرداء؛ وقال عاصم بن عمرو: يا بني تميم، حلفاً وكم كلب، آسوه^(٣) ونجبروهم،

(١) ابن كثير وسويري: «عويم».

(٢) ز وابن كثير: «الكاهل»؛ س: «الظاهر». (٣) كذا في «ن حيش»، وفي ط: «آسروهم».

فإنكم لا تقدرون لهم على مثلها ، ففعلوا . وكان سبب نجاتهم يومئذ وصية عاصم بن تميم بهم ، وأقبل خالد على الذين أُرزوا إلى الحصن فقتلهم حتى سد بهم باب الحصن ، ودعا خالد بالجوذي ففُصِّرَ عنقه ؛ ودعا بالأسرى فضرب أعناقهم إلا أسارى كلب ؛ فإن عاصم والأقرع وبنى تميم قالوا : قد آمنّاهم ؛ فأطلقهم لهم خالد ، وقال : مالي ولكم ! أتخفظون^(١) أمر الجاهلية وتضيّعون أمر الإسلام ! فقال له عاصم : لا تحسدكم العافية ؛ ولا يحوزهم الشيطان^(٢) . ثم أطاف خالد بالباب ، فلم يزل عنه حتى اقتلعه ؛ واقتحموا عليهم ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الشرخ^(٣) ؛ فأقاموهم فيمن يزيد ؛ فاشترى خالد ابنة الجودي وكانت موصوفة ، وأقام خالد بدومة ورد الأقرع إلى الأنبار . ٢٠٦٧/١

ولما رجع خالد إلى الحيرة - وكان منها قريباً حيث يصبّحها - أخذ القعقاع أهل الحيرة بالتقليس^(٤) ، فخرجوا يتلقّونه وهم يُقلّسون ؛ وجعل بعضهم يقول لبعض : مُرّوا بنا فهذا فرج^(٥) الشر !

كتب إلى السري ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : وقد كان خالد أقام بدومة ، فظن الأعاجم به ؛ وكاتبهم عرب الجزيرة غضباً لعقّة ؛ فخرج ، زرمهر من بغداد ومعه روزبه يريدان الأنبار ؛ واتّعدا حُصيداً والخنافس ، فكتب الزبرقان وهو على الأنبار إلى القعقاع بن عمرو وهو يومئذ خليفة خالد على الحيرة ؛ فبعث القعقاع أعبد بن فدك السعدي وأمره بالحُصيد ، وبعث عروة بن الجعد البارق وأمره بالخنافس ، وقال لهما : إن رأيتما مقدماً فأقدما . فخرجوا

فحالاً بينهما وبين الريف ، وأغلقاهما ، وانتظر روزبه وزرمهر بالمسلمين ٢٠٦٨/١ اجتماع من كاتبهما من ربيعة ؛ وقد كانوا تكتبوا واتّعدوا ؛ فلما رجع خالد من دومة إلى الحيرة على الظّهر وبلغه ذلك وقد عزم على مصادمة أهل المدائن ، كره خلاف أبي بكر ، وأن يتعلّق عليه بشيء ، فعجّل القعقاع

(١) ابن حيش : « أتخفظون » . (٢) يحوزهم الشيطان : يحاطهم .

(٣) الشرخ : الشاء الشابات . (٤) التقليس : استقبال القوم عند قدومهم بأصناف اللّهو .

(٥) س وابن كثير : « فرج » .

ابن عمرو وأبوليلي بن فندكيّ إلى رُوْزبه وزرمهر ، فسبقاه إلى عين التمر ،
وقدم على خالد كتاب امرئ القيس الكلبي ، أن الهذيل بن عمران قد عسكر
بالمُصَيَّخ ، ونزل ربيعة بن بُجَيْر بالشَّيْب وبالبشر في عسكر غضباً لعقّة ،
يريدان زرمهر ورُوْزبه . فخرج خالد وعلى مقدّمته الأقرع بن حابس ،
واستخلف على الحيرة عياض بن غنم ، وأخذ طريق القعقاع وأبى ليلي إلى
الحنافس حتى قدم عليهما بالعين ، فبعث القعقاع إلى حُصَيْد ، وأمره
على الناس ، وبعث أبا ليلي إلى الحنّافس ، وقال : زجيتاهم ليجتمعوا ومن
استشارهم ؛ وإلا فواقعاهم . فأبيا إلاّ المقام

• • •

خبر حُصَيْد

فلما رأى القعقاع أن زرمهر ورُوْزبه لا يتحرّكان سار نحو حُصَيْد ،
٢٠٦٩/١ وعلى من مرّ به من العرب والعجم رُوْزبه . ولما رأى رُوْزبه أن القعقاع قد
قصد له استمدّ زرمهر ، فأمدّه بنفسه ، واستخلف على عسكره المهَبُودان ،
فالتقوا بحُصَيْد ، فاقتلوا ، فقتل الله العجم مَقتلة عظيمة ، وقتل القعقاعُ
زرمهر ، وقتل رُوْزبه ؛ قتله عصمة بن عبد الله أحد بني الحارث بن طريف ،
من بني ضَبّة ، وكان عصمة من البرّة - وكلّ فخّذ هاجرت بأسرها
تُدعى البرّة ، وكلّ قوم هاجروا من بطن يُدعون الخيرة - فكان المسلمون
خيرة وبرّة . وغنم المسلمون يوم حُصَيْد غنائم كثيرة وأرّز فلان^(١) حُصَيْد
إلى الحنّافس فاجتمعوا بها .

• • •

الحنّافس

وسار أبو ليلي بن فندكيّ بيمين معه ومن قدم عليه نحو الحنّافس ؛
وقد أرّزت فلان حُصَيْد إلى المهَبُودان ، فلما أحسّ المهَبُودان [بقدومهم]^(٢)
هرب ومن معه وأرّزوا إلى المُصَيَّخ ، وبه الهذيل بن عمران ، ولم يلق بالحنّافس
كيداً ، وبعثوا إلى خالد بالخبر جميعاً .

(٢) من ز .

(١) الفلان : جمع فل ؛ وهم القوم المنهزمون .

مُصَيِّخُ بَنِي الْبَرِّ شَاءَ

قالوا : ولمّا انتهى الخبرُ إلى خالد بمصاب أهلِ الحُصَيْدِ وهرب أهلُ الخَنَافِسِ كتب إليهم . ووعد القعقاعَ وأبا ليلي وأعبد وعُروَةَ ليلة وساعة يجتمعون فيها إلى المصَيِّخِ - وهو بين حَوْرانَ والقَلَتِ - وخرج خالد من العين قاصداً للمصَيِّخِ على الإبلِ يجنّب الخيلَ ، فنزل الجَنَابُ فالبَرْدانَ ٢٠٧٠/١ فالحِجْنِي . واستقلّ من الحِجْنِي ؛ فلمّا كان تلك الساعة من ليلة الموعِدِ اتفقوا جميعاً بالمصَيِّخِ ، فأغاروا على الهُدَيلِ ومَن معه ومن أوى إليه ؛ وهم نائمون من ثلاثة أوجه ، فقتلوه . وأفلت الهُدَيلُ في أناسٍ قليلٍ ؛ وامتلأ الفضاءُ قَتْلَى ، فما شَبَّهوا بهم إلا غنماً مصرّعة ؛ وقد كان حُرْقُوصُ بن النعمان قد محضهم النَّصْحَ ، وأجاد الرأى ، فلم ينتفعوا بتحذيره ، وقال حرقوص بن النعمان قبل الغارة :

« أَلَا سَقَيْنِي قَبْلَ خَيْلِ أَبِي بَكْرٍ »^(١)

الآيات . وكان حرقوص معرّساً بامرأة من بني هلال تُدعى أُمُ تَغْلِبَ ، فقتلت تلك الليلة ، وعُبادَةُ بن البشرَ وامرؤ القيس بن بشر وقيس بن بشر ؛ وهؤلاء بنو الثَّوْرِيَّةِ من بني هِلَالٍ . وأصاب جرير بن عبد الله يوم المصَيِّخِ من النَّمِيرِ عبدَ العَزْزَى بن أبي رُهْمٍ بن قِرٍّ واش أخا أوس مائة ، من النَّمِيرِ . وكان معه ومع لبيد بن جرير كتاب من أبي بكر بإسلامهما ، وبلغ أبا بكر قول عبد العَزْزَى . وقد سماه « عبد الله » ليلة الغارة . وقال :

« سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ »

فوداه وودى لبيداً - وكانا أصيبا في المعركة - وقال : أما إن ذلك ليس علىّ إذ نازلا أهل الحرب ؛ وأوصى بأولادهما ، وكان عمر يعتدّ على خالد يقتلهما إلى قتل مالك - يعنى ابن نُوَيْرَةَ - فيقول أبو بكر : كذلك يلتقى مَن ٢٠٧١/١ ساكنَ أهل الحرب في ديارهم . وقال عبد العَزْزَى :

أَقُولُ إِذْ طَرَّقَ الصَّبَاحُ بِغَارَةٍ : سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّ مُحَمَّدٍ

سبحان رَبِّي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ رَبُّ الْبِلَادِ وَرَبُّ مَنْ يَتَوَرَّدُ^(١)

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عدي بن حاتم ، قال : أغرنا على أهل المصيص ، وإذا رجلٌ يدعى باسمه حرقوص ابن النعمان ، من النمر^(٢) ، وإذا حوله بنوه وامراته ، وبينهم جفنة من خمر ؛ وهم عليها عكوف يقولون له : ومن يشرب هذه الساعة وفي أعجاز الليل ! فقال : اشربوا شرب وداع ، فما أرى أن تشربوا خمرًا بعدها ، هذا خالد بالعين وجنوده بحصيد . وقد بلغه جمعنا وليس بباركنا ؛ ثم قال :

ألا فاشربوا من قبل قاصمة الظهر بعيد انتفاخ القوم بالعكر الدثر
وقبل مناياتنا المصيبة بأقدر لحين لعمري لا يزيد ولا ينحري^(٣) ٢٠٧٢/١

فسبق إليه وهو في ذلك في بعض الخيل ، فضرب رأسه ، فإذا هو في جفنته ، وأخذنا بناتيه وقتلنا بنيه .

الثني والرَّمِيل

وقد نزل ربيعة بن بَجِير التغلبي الثني والبشر غضباً لعقّة ، وواعد رُوْزبه وزرْمِهْر والهذيل . فلما أصاب خالد أهل المصيص بما أصابهم به ، تقدم إلى القعقاع وإلى أبي ليلى ، بأن يرتحلا أمامه ، وواعدهما الليلة ليفترقا فيها للغارة عليهم من ثلاثة أوجه ؛ كما فعل بأهل المصيص . ثم خرج خالد من المصيص ، فنزل حوران ، ثم الرثق ، ثم الحماسة - وهي اليوم لبني جنادة بن زهير من كلب - ثم الرَّمِيل ؛ وهو البشر والثني معه - وهما اليوم شرق الرصافة - فبدأ بالثني ، واجتمع هو وأصحابه ، فبيته من ثلاثة أوجه بيئاتاً ومن اجتمع له وإليه ، ومن تأشب لذلك من الشبان ؛ فجرّدوا فيهم السيوف ، فلم يُفْلِتْ من ذلك الجيش مخبر ، واستبى الشرخ ، وبعث بخمسة أسرى إلى أبي بكر مع النعمان بن عوف بن النعمان الشيباني ، وقسم النهب والسبأيا ، فاشترى على بن أبي طالب عليه السلام بنت ربيعة

(١) س وابن حيش : « يتوادم » ، ب : « يتمرد » ، وفي البيت إقواء .

(٢) ابن كثير : « النمرى » ، وفي ص ٤٠٧ ش ٣ من هذا الجزء : « البهراني » .

(٣) بحري : ينقص .

ابن بُجَيْرِ التَّغْلِبِيِّ ، فَاتَّخَذَهَا ؛ فَوُلِدَتْ لَهُ عُمَرُ وَرُقِيَّةٌ ، وَكَانَ الْهَذِيلُ حِينَ نَجَا ٢٠٧٣/١
أَوَى إِلَى الزُّمَيْلِ ، إِلَى عَتَّابِ بْنِ فُلَانٍ ؛ وَهُوَ بِالْبِشْرِ فِي عَسْكَرِ ضَخْمٍ ؛
فَبَيَّتَهُمْ بِمِثْلِهَا غَارَةً شَعَوَاءَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجِهٍ سَبَقَتْ إِلَيْهِمُ الْخَبْرَ عَنْ رُبَيْعَةٍ ،
فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً لَمْ يُقْتَلُوا قَبْلَهَا مِثْلَهَا ؛ وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا ، وَكَانَتْ
عَلَى خَالِدِ يَمِينَ : « لِيَبْغَيْنَ تَغْلِبَ فِي دَارِهَا » ؛ وَقَسَمَ خَالِدٌ فِيهِمْ فِي النَّاسِ ،
وَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ مَعَ الصَّبَاحِ بْنِ فُلَانِ الْمُرْتِي ، وَكَانَتْ فِي الْأَخْمَاسِ
ابْنَةُ مُؤَذِّنِ النَّمَرِيِّ ؛ وَلِئْلِ بِنْتُ خَالِدٍ ، وَرِيحَانَةُ بِنْتُ الْهَذِيلِ بْنِ هَبِيرَةَ . ثُمَّ عَظَفَ
خَالِدٌ مِنَ الْبِشْرِ إِلَى الرُّضَابِ ؛ وَبِهَا هَلَالُ بْنُ عَقَّةَ ، وَقَدْ أَرَفَضَ عَنْهُ أَصْحَابُهُ
حِينَ سَمِعُوا بِدَنُو خَالِدٍ ؛ وَانْقَشَعَ عَنْهَا هَلَالٌ فَلَمْ يَأْتِ كَيْدًا بِهَا .

• • •

حديث الفِرَاضِ

ثم قصد خالدٌ بعد الرُّضَابِ وَبَغْتِيَةَ تَغْلِبَ إِلَى الْفِرَاضِ - وَالْفِرَاضُ : تَحُومُ
الشَّامِ وَالْعِرَاقِ وَالْحَزِيرَةِ - فَأَفْطَرَهَا رَمَضَانَ فِي تِلْكَ السَّفَرَةِ الَّتِي اتَّصَلَتْ لَهُ
فِيهَا الْغَزَاوَاتُ وَالْأَيَّامُ ، وَنُظْمَنَ نَظْمًا ، أَكْثَرَ فِيهِنَّ الرُّجَازُ إِلَى مَا كَانَ قَبْلَ
ذَلِكَ مِنْهُنَّ .

٢٠٧٤/١

كتب إلى النُسَيْرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَجَلْحَةٍ - وَشَارِكُهُمَا
عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ ؛ عَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، عَنْ ظَفَرِ بْنِ دَهْيٍ - وَالْمُهَلَّبِ بْنِ
عُقْبَةَ ، قَالُوا : فَلَمَّا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْفِرَاضِ ، حَمَيْتِ الرُّومُ وَاغْتَاظَتْ ،
وَاسْتَعَانُوا بِيَمَنِ يَلِيهِمْ مِنْ مَسَالِحِ أَهْلِ فَارَسَ ، وَقَدْ حَمَّوْا وَاغْتَاظُوا وَاسْتَمَدُّوا
تَغْلِبَ وَإِيَادَ النَّمِيرِ ؛ فَأَمَدُّوهُمْ ؛ ثُمَّ نَاهَدُوا خَالِدًا ، حَتَّى إِذَا صَارَ الْفَرَاتُ
بَيْنَهُمْ ، قَالُوا : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ . قَالَ : خَالِدٌ :
يَلْ اعْبُرُوا إِلَيْنَا ، قَالُوا : فَتَنَحَّوْا حَتَّى نَعْبُرَ . فَقَالَ خَالِدٌ : لَا نَفْعَلُ ؛ وَلَكِنْ
اعْبُرُوا أَسْفَلَ مِنَّا . وَذَلِكَ لِلنَّصْفِ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ اثْنَيْ عَشْرَةَ . فَقَالَتْ
الرُّومُ وَفَارَسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : احْتَسِبُوا مَلِكَكُمْ ؛ هَذَا رَجُلٌ يَقَاتِلُ عَلَى
دِينٍ ، وَلَهُ عَقْلٌ وَعِلْمٌ ، وَوَاللَّهِ لَيُنْصَرَّنَّ وَلَيُنْخَذَلَنَّ . ثُمَّ لَمْ يَنْتَفِعُوا بِذَلِكَ ؛
فَعَبَرُوا أَسْفَلَ مِنْ خَالِدٍ ؛ فَلَمَّا تَنَامُوا قَالَتْ الرُّومُ : امْتَازُوا حَتَّى نَعْرِفَ
الْيَوْمَ مَا كَانَ مِنْ حَسَنٍ أَوْ قَبِيحٍ ؛ مِنْ أَيُّنَا يَجِيءُ ! فَفَعَلُوا ، فَاقْتُلُوا قِتَالًا

شديدًا طويلاً. ثم إن الله عز وجل هزمهم ، وقال خالد للمسلمين : ألحقوا عليهم ولا تُرَفِّمِها^(١) عنهم ؛ فجعل صاحب الخيل يحشر منهم الزُمرة برماح أصحابه ، فإذا جمعهم قتلهم ، فقتل يوم الفِراض في المعركة وفي الطلب مائة ألف ، وأقام خالد على الفِراض بعد الوقعة عشرة ، ثم أذن في القفل إلى الحيرة لخمس بقين من ذى القعدة ؛ وأمر عاصم بن عمرو أن يسير بهم ؛ وأمر شجرة بن الأعز أن يسوقهم . وأظهر خالد أنه في الساقة .

• • •

حجة خالد

قال أبو جعفر : وخرج خالدٌ حاجًا من الفِراض لخمس بقين من ذى القعدة ، مكتتمًا بحجته ، ومعه عدةٌ من أصحابه ؛ يعتسف^(٢) البلاد حتى أتى مكة بالسمت^(٣) ، فتأتى له من ذلك ما لم يتأتَّ لدليل ولا رُئبال ، فسار طريقًا من طُرُق أهل الجزيرة ، لم يُرَ طريقٌ أعجبُ منه ؛ ولا أشدَّ على صعوبته منه ، فكانت غيبته عن الجند سيرة ؛ فما تَوَافَى إلى الحيرة آخِرم حتى وافاهم^(٤) مع صاحب الساقة الذي وضعه . فقدمًا معًا ؛ وخالد وأصحابه محلِّقون ؛ لم يعلم بحجته إلا مَنْ أفضى إليه بذلك من الساقة ، ولم يعلم أبو بكر رحمه الله بذلك إلا بعد ؛ فغضب عليه . وكانت عقوبته إِيَّاه أن صرفه إلى الشام . وكان مسيرُ خالد من الفِراض أن استعرض البلاد متعسفًا متسمتًا ، ٢٠٧٦/١ فقطع طريقُ الفِراض ماء العنبري ، ثم مِثْقَبًا ، ثم انتهى إلى ذات عِرْقٍ ، فشرَّق منها ، فأسلمه إلى عَرَقات من الفِراض . وسُمِّيَ ذلك الطريق الصدِّ ؛ ووافاه كتاب من أبي بكر^(٥) منصرفه من حجته بالحيرة بأمره بالشام ؛ يقاربه ويباعده .

قال أبو جعفر : قالوا : فوافى خالدًا كتابُ أبي بكر بالحيرة . منصرفه من حجته : أن سيرَ حتى تأتى جموع المسلمين باليرموك ، فإنهم قد شجُّوا

(١) ز : « ترفموا » . (٢) اعتسف الطريق ؛ إذا قطعه دون صوب توخاه فأصابه

(٣) سمت : السير على الطريق بالظن . (٤) س : « توافاهم » .

(٥) ز : « كتاب أبي بكر » .

وأشجوا ؛ وإيّاك أن تعودَ لمثل ما فعلت ؛ فإنه لم يُشجِرِ الجموعَ من الناس بعون الله شجّاك ، ولم ينزع ^(١) الشجى من الناس نزعَكَ ؛ فليهنئك أباسليمان النية ^(٢) والحظوة ؛ فأتَمِّمْ يتمم الله لك ^(٣) ، ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل ، وإيّاك أن تُدِلَ بعمل ، فإن الله له المنّ ، وهو وليّ الجزاء .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ؛ عن عبد الملك بن عطاء بن البكائي ، عن المقطع بن الهيثم البكائي ، عن أبيه ، قال : كان أهل الأيّام من أهل الكوفة يُوعدون معاوية عند بعض الذى يبلغهم ، ويقولون : ما شاء معاوية ! نحن أصحاب ذات السلاسل . ويُسمّون ما بينها وبين القراض ما يدكرون ما كان بعدُ احتقاراً لما كان بعد فيما كان قبل .

وحدثني عمر بن شبة ، قال : حدثنا عليّ بن محمد بالإسناد الذى قد مضى ذكره ، أن خالد بن الوليد ألقى الأنبارَ فصالحوه على الجلاء ، ثم ^{٢٠٧٧/١} أعطوه شيئاً رضى به ، وأنه أغار على سوق بغداد من رُستاق العال ، وأنه وجهَ المثني فأغار على سوق فيها جَمَعَ لقضاء وبكر ، فأصاب ما فى السوق ، ثم سار ^(٤) إلى عين التمر ، ففتحها عتوة ، فقتل وسبى ، وبعث بالسبى إلى أبى بكر ، فكان أولَ سبى قديم المدينة من العجم ؛ وسار إلى دومة الجندل ، فقتل أكيدر ، وسبى ابنة الجودى ، ورجع فأقام بالخيرة . هذا كله سنة اثنتى عشرة .

• • •

وفيهما تزوج عمر رحمه الله عاتكة بنت زيد .

وفيهما مات أبو مرثد الغنوى .

وفيهما مات أبو العاصى بن الربيع فى ذى الحجة ؛ وأوصى إلى الزبير ، وتزوج علىّ عليه السلام ابنته

وفيهما اشترى عمر أسلم مولاة .

(١) س : « ولن نزع » . (٢) ابن حبش : « النعمة » .

(٣) ز : « فأتَمِّمْ يتمم الله » (٤) ص : « صار » .

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال بعضهم : حج بهم فيها أبو بكر رحمة الله .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب ، مولى الحرقة ، عن رجل من بني سَهْم ، عن ابن ماجدة السهمي ، أنه قال : حج أبو بكر في خلافته سنة اثنتي عشرة ، وقد عارمت^(١) غلاماً من أهلي ، فعرض بأذني فقطع منها - أو عضضت بأذنه فقطعت منها - فرفع شأننا إلى أبي بكر ، فقال : اذهبوا بهما إلى عمر فلينظر ، فإن كان الجارح قد بلغ فليُقيد منه . فلما انتهى بنا إلى عمر رضي الله عنه ، قال : لعمري لقد بلغ هذا ! ادعوا لي حججاً . قال : فلما ذكر الحجام . قال : أما إني قد سمعتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول : قد أعطيت خالتي غلاماً ، وأنا أرجو أن يبارك الله لها فيه . وقد نهيتها أن تجعله حججاً أو قصاباً أو صائغاً ، فاقتص منه .

وذكر الواقدي ، عن عثمان بن محمد بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، عن أبي وجزة يزيد بن عبيد ، عن أبيه ، أن أبا بكر حج في سنة اثنتي عشرة ، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان رحمه الله .

• • •

وقال بعضهم : حج بالناس سنة اثنتي عشرة عمر بن الخطاب .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد . قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بعضُ النَّاسِ يقول : لم يحجَّ أبو بكر في خلافته ، وإنه بعث سنة اثنتي عشرة على المويم عمر بن الخطاب ، أو عبد الرحمن بن عوف .

(١) عارمت : قال صاحب اللسان : « أي خاصمت وفانتت » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففيها وجّه أبو بكر رحمه الله الجيوشَ إلى الشام بعد منصرفه من مكة إلى المدينة

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال لما قفل أبو بكر من الحج سنة اثني عشرة جهز الجيوش إلى الشام ، فبعث عمرو بن العاص قبيلَ فلسطين ، فأخذ طريق المُعَرِّقَةِ على أَيْلَةَ ، ٢٠٧٩/١ وبعث يزيد بن أبي سفيان وأبا عبيدة بن الجراح وشُرَّحِيل بن حَسَنَةَ — وهو أحد الغوث — وأمرهم أن يسلكوا التَّبُوكِيَّةَ على البلقاء من عُلَيَّاء الشام .

وحدثني عُمر بن شُبَّة ، عن علي بن محمد بالإسناد الذي ذكرت قبلُ : عن شيوخه الذين مضى ذكرهم ، قال : ثم وجّه أبو بكر الجنودَ إلى الشام أول سنة ثلاث عشرة ، فأول لواء عقده لواءُ خالد بن سعيد بن العاصي ، ثم عزله قبل أن يسير ، وولّي يزيد بن أبي سفيان ، فكان أول الأمراء الذين خرجوا إلى الشام ، وخرجوا في سبعة آلاف .

قال أبو جعفر : وكان سببُ عزل أبي بكر خالد بن سعيد — فيما ذُكِرَ — ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله ابن أبي بكر ؛ أن خالد بن سعيد لما قدِم من اليمن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تربّص ببيعته شهرين ، يقول : قد أمرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم لم يعزلني حتى قبضه الله . وقد لقي علي بن أبي طالب وعثمان ابن عفان ؛ فقال : يا بني عبد مناف ؛ لقد طيستم أنفساً عن أمركم بليه غيركم ! فأما أبو بكر فلم يحفلها^(١) عليه ، وأما عمر فاضطغنها عليه . ثم بعث أبو بكر

(١) ابن الأثير : « لم يحفلها » .

الجنود إلى الشام ، وكان أول من استعمل على رُبْعٍ منها خالد بن سعيد ، فأخذ عمر يقول : أتؤمّره وقد صنع ما صنع وقال ما قال ! فلم يزل بأبي بكر حتى عزّله ، وأمر يزيد بن أبي سفيان . ٢٠٨٠/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن فضّيل ، عن جبّير بن صخر حارس النبيّ صلّى الله عليه وسلم ؛ عن أبيه ، قال : كان خالد بن سعيد بن العاصي باليمن زمن النبيّ صلّى الله عليه وسلم ، وتوفّي النبيّ صلّى الله عليه وسلم وهو بها ، وقدم بعد وفاته بشهر ، وعليه جبّة ديباج فلقبيّ عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب ، فصاح عمر بمن يليه : مرّوا عليه جبّته ! ألبس الحرير وهو في رجالنا في السلم مهجور ! فرزقوا جبّته ، فقال خالد : يا أبا الحسن ، يا بني عبد مناف ، أغلّبتكم عليها ! فقال عليّ عليه السلام : أمغالبة ترى أم خلافة ؟ قال : لا يغالب على هذا الأمر أولي منكم يا بني عبد مناف . وقال عمر لخالد : فضّ الله فاك والله لا يزال كاذب يخوض فيما قلت ثم لا يضرّ إلا نفسه . فأبلغ عمر أبا بكر مقالته ؛ فلمّا عقد أبو بكر الألوية لقتال أهل الردّة عقد له فيمن عقد ، فنهاه عنه عمر وقال : إنه لمخذول ، وإنه لضعيف التروّة ؛ ولقد كذب كذبة لا يفارق الأرض مدلّ بها وخائض فيها ، فلا تستنصر به ^(١) . فلم يَحْتَمِلْ أبو بكر عليه ، وجعله رداءً بتّيماء ؛ أطاع عمر في بعض أمره ^(٢) وعصاه في بعض .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن أبي صفية التّيميّ ؛ تيّم بن شيان ، وطلحة عن المغيرة ؛ ومحمد عن أبي عثمان ، قالوا : أمر أبو بكر خالدًا بأن ينزل تّيماء ، ففصل رداءً حتّى ينزل بتّيماء ؛ وقد أمره أبو بكر ألاّ يبرّحها ، وأن يدعو من حوّله بالانضمام إليه ، وألاّ يقبل إلاّ ممن لم يرتدّ ، ولا يقاتل إلاّ من قاتله ؛ حتّى يأتيه أمره . فأقام فاجتمع إليه جموع كثيرة ؛ وبلغ الروم عِظَمُ ذلك العسكر ، فضربوا على العرب الضّاحية البعوث بالشّام إليهم ؛ فكتب خالد بن

(١) ز : « تستنصره » .

(٢) ز : « الأمر » .

سعيد إلى أبي بكر بذلك ، وبنزول من استغفرت الروم ؛ ونشر إليهم من بَهْرَاء
وكلْب وسليح وتَسُوخ ولَحْخُم وجُدَام وغَسَّان من دون زِيَاء بثلاث ؛
فكتب إليه أبو بكر : أن أقدم ولا تُحْجِم واستنصر الله ؛ فسار إليهم
خالد ، فلمَّا دنا منهم تفرقوا وأعرّوا منزلهم ؛ فنزله ودخل عامة من كان
تجمّع له في الإسلام ؛ وكتب خالد إلى أبي بكر بذلك ؛ فكتب إليه أبو بكر :
أقدم ولا تقتحم حتى لا تُؤتَى مِن خلفك . فسار فيمن كان خرج معه
من تيماء وفيمن لحق به من طَرَف الرمل ؛ حتّى نزلوا فيما بين آبل وزِيَاء
والقسطل ؛ فسار إليه بِطريق من بطارقة الروم ، يُدعى بَاهان ؛ فهزمه وقتل ٢٠٨٢/١
جندَه ، وكتب بذلك إلى أبي بكر واستمده . وقد قدم على أبي بكر
أوائلُ مستنفرى اليمن ومن بين مكّة واليمن ؛ وفيهم ذو الكلاع ، وقدم
عليه عِكْرمة قافلا وغازيا فيمن كان معه من تِهامة وعُمان والبحرين والسرّو .
فكتب لهم أبو بكر إلى أمراء الصدقات أن يبدّلوا من استبدل ؛ فكلّهم
استبدل ؛ فسُمّيَ ذلك الجيش جيش البِدال . فقدموا على خالد بن سعيد ؛
وعند ذلك احتاج أبو بكر للشّام ، وعناه أمرُه . وقد كان أبو بكر ردّ عمرو بن
العاص على عمالة كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاّها إيّاه من
صدقات سعد هُدَيْم ، وعُدْرَة ومن لَقَّها من جُدَام ، وحدّس قبل
ذهابه إلى عُمان . فخرج إلى عُمان وهو على عِدّة من عمله ؛ إذا هو
رجع . فأنجز له ذلك أبو بكر .

فكتب أبو بكر عند احتياجه للشّام إلى عمرو : إني كنت قد رددتُك على
العمل الذي كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ولاّكه مرّة ، وسمّاه لك أخرى ؛
مبعثُك إلى عُمان لإنجازِ المواعيد رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ فقد وليته ثم
وليته ؛ وقد أحببتُ — أبا عبد الله — أن أفرّغَكَ لما هو خير لك في حياتك
ومعادك منه ؛ إلّا أن يكون الذي أنت فيه أحبّ إليك . فكتب إليه عمرو : إني
سهم من سهام الإسلام ، وأنت بعد الله الرامي بها ، والجامع لها ، فانظر أشدّها
وأخشاها وأفضلها فارم به شيئا إن جاعك من ناحية من النواحي . وكتب إلى ٢٠٨٣/١
الوليد بن عقبة بنحو ذلك ، فأجابه بإيثار الجهاد .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : كتب أبو بكر إلى عمرو ، وإلى الوليد بن عتبة - وكان على النصف من صدقات قضاة - وقد كان أبو بكر شيعةً مبعثهما على الصدقة ، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة : اتق الله في السر والعلانية ؛ فإنه من يتق الله يجعل له مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ؛ ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً . فإن تقوى الله خير ما تَوَاصَى به عباد الله ؛ إنك في سبيل من سبيل الله ؛ لا يسعك فيه الإذهان^(١) والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم ، وعصمة أمركم ، فلا تن ولا تفتّر . وكتب إليهما : استخلفا على أعمالكما ، واندبا من يايكما .

فولّى عمرو على عليا قضاة عمرو بن فلان العذريّ ، وولّى الوليد على ضاحية قضاة مما يلي دومة أمراً القيس ، وندبا الناس ، فتنام إليهما بشر كثير ، وانتظرا أمر أبي بكر .

وقام أبو بكر في الناس خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال : ألا إن لكل أمر جوامع ، فمن بلغها فهي حسبه ؛ ومن عمل لله كفاه الله . عليكم بالجد والقصد ؛ فإن القصد أبلغ ؛ ألا إنه لا دين لأحد لا إيمان له ، ولا أجر لمن لا حسبة له ، ولا عمل لمن لا نية له . ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله لئما ينبغي للمسلم أن يحب أن يخص به ؛ هي التجارة التي دل الله عليها . ونجى بها من الخزي ؛ وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة .

فأمّد عمرًا ببعض من انتدب إلى من اجتمع إليه ، وأمّره على فلسطين ، وأمّره بطريق سمّاها له ؛ وكتب إلى الوليد وأمّره بالأردن ، وأمّده ببعضهم . ودعا يزيد بن أبي سفيان ، فأمّره على جند عظيم ، هم جمهور من انتدب له ، وفي جنده سهيل بن عمرو وأشباهه من أهل مكة ، وشيعة ماشياً . واستعمل أبا عبيدة بن الجراح على من اجتمع [إليه] . وأمّره على حمص وخرج معه وهما ماشيان والناس معهما وخلفهما ، وأوصى كل واحد منهما .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل ، عن القاسم ،

(١) يقال : ذمن عن الشيء ؛ أنساه إياه وألهاه عنه ، ومثله آه .

ومبشّر عن سالم، ويزيد بن أسيد الغساني عن خالد، وعبادة، قالوا : ولمّا قدّم الوليد على خالد بن سعيد فسانده^(١)، وقدمت جنود المسلمين الذين كان أبو بكر أمده بهم وسُمّوا جيش البِدال، وبلغه عن الأمراء وتوجّههم إليه، اقتحم على الروم طلب الحظوة، وأعرى ظهره، وبادر الأمراء بقتال^(٢) الروم، واستطرد له باهان فأرّز هو ومن معه إلى دمشق؛ واقتحم خالد في ٢٠٨٥/١ الجيش ومعه ذو الكلاع وعيكرمة والوليد حتى ينزل مَرَج الصُّفَر؛ من بين الواقصة ودمشق؛ فانطوت مسانج باهان عليه، وأخذوا عليه الطرق^(٣) ولا يشعر، وزحف له باهان فوجد ابنه سعيد بن خالد يستمطر في الناس، فقتلوهم. وأتى الخبرُ خالدًا، فخرج هاربًا في جريدة، فأفالت من أفالت من أصحابه على ظهور الخيل والإبل، وقد أجهضوا عن عسكرهم؛ ولم تنته بخالد بن سعيد الهزيمة عن ذى المروة، وأقام عيكرمة في الناس ردءًا لهم، فردّ عنهم باهان وجنوده أن يطلبوه، وأقام من الشام على قريب، وقد قدم شرحبيل بن حسنة وافدًا من عند خالد بن الوليد، فندب معه أنشاس، ثم استعمله أبو بكر على عمل الوليد، وخرج معه يوصيه. فأتى شرحبيل على خالد، ففصل بأصحابه إلا القليل، واجتمع إلى أبي بكر أناس، فأمر عليهم معاوية؛ وأمره باللاحق بيزيد، فخرج معاوية حتى لحق بيزيد؛ فلما مرّ بخالد فصل ببقية أصحابه.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن هشام بن عروة، عن أبيه : أن عمر بن الخطاب لم يزل يكلم أبا بكر في خالد بن الوليد وفي خالد ابن سعيد؛ فأبى أن يعطيه في خالد بن الوليد، وقال : لا أشيم^(٤) ميسقًا سنّه الله على الكفّار، وأطاعه في خالد بن سعيد بعد ما فعل فعَلته. فأخذ عمرو طريق المُعَرِّقة، وسلك أبو عبيدة طريقه، وأخذ يزيد طريق التبوكية : ٢٠٨٦/١ وسلك شرحبيل طريقه، وسمى لهم أمصار الشام، وعرف أن الروم ستشغلهم؛ فأحب أن يصعد المصوب ويصوب المصحّد؛ لئلا يتواكلوا، فكان كما ظنّ وصاروا إلى ما أحب.

(١) س : «سانده» . (٢) ز وابن الأثير : «لقتال» .

(٣) ب وابن حبيب : «بالطرق» . (٤) لا أشيم : لا أغدّه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : لما قدم خالد بن سعيد ذا المروة ، وأتى أبا بكر الخبِرُ كتب إلى خالد : أقم مكانك^(١) ، فلعمري إنَّك مقدام محجام ، نجاءٌ من الغمرات ، لا تخوضها إلّا إلى حقّ ، ولا تصبر عليه . ولما كان بعد ؛ وأذن له في دخوله المدينة قال خالد : اعذرني ، قال : أخطط ! أنت امرؤ جُبْنُ لدى الحرب . فلما خرج من عنده قال : كان عمر وعلى أعلم بخالد ؛ ولو أطعتهما فيه اختشيته واتَّقِيته !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر وسهل وأبي عثمان ، عن خالد وعبادة وأبي حارثة ، قالوا : وأوعب القوَاد بالنّاس نحو الشّام وعكرمة ردة للنّاس . وبلغ الرُّوم ذلك ؛ فكتبوا إلى هِرَقْل ؛ وخرج هرقل حتى نزل بِحِمَص ، فاعد لهم الجنود . وعبى لهم العساكر ؛ وأراد اشتغال^(٢) بعضهم عن بعض لكثرة جنده . وفضول رجاله ؛ وأرسل إلى عمرو أخاه تَدَارِق لأبيه وأمه ، فخرج نحوهم في تسعين ألفاً ، وبعث من يسوقهم ، حتّى نزل صاحب السّاقة ثنية جِلَق بأعلى فلسطين ، وبعث جرّجة بن توذرا نحو يزيد بن أبي سفيان ، فعسكر بإزائه ، وبعث الدّراقص فاستقبل شرحبيل بن حسنّة ، وبعث الفيّقار بن نَسْطُوس في ستين ألفاً نحو أبي عبيدة ؛ فهاهم المسلمون وجميع فيرق المسلمين واحد وعشرون ألفاً ؛ سوى عكرمة في ستّة آلاف ؛ ففزعوا جميعاً بالكتّيب وبالرّسل إلى عمرو : أن ما الرّأى ؟ فكتبهم وراسلهم : إن الرّأى الاجتماع ، وذلك أن مثلنا إذا اجتمع لم يغلب من قلّة ؛ وإذا نحن تفرّقنا لم يبق الرّجل منا في عدد يُقَرّن^(٣) فيه لأحد ممّن استقبلنا وأعدّ لنا لكلّ طائفة منا . فاتّعدوا اليرموك ليجمعوا به ، وقد كتب إلى أبي بكر بمثل ما كاتبوا به عمرا ؛ فطلع عليهم كتابه بمثل رأى عمرو ، بأن اجتمعوا فتكونوا عسكرياً واحداً ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين ،

(١) س : « مكانك » .

(٢) ابن حيش وابن الأثير : « اشتغال » .

(٣) يقال : قرّن له ؛ إذا غلب عليه .

فإنكم أعوان الله ؛ والله ناصرٌ مَنْ نصره ، وخاذلٌ مَنْ كَفَره ، ولن يُؤْتى مثلُكم من قلةٍ ؛ وإنما يُؤْتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا ٢٠٨٨/١ أتوا مِنْ تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليُصِلْ كلَّ رجلٍ منكم بأصحابه .

وبلغ ذلك هرقل ، فكتب إلى بطارقه : أن اجتمعوا لهم ، وانزلوا بالروم منزلا واسع العِطَطن ، واسع المطرَد ، ضيق المهرب ؛ وعلى الناس التذارق وعلى المقدمة جرّجة ، وعلى مجنّبيته باهان والدُّراقص ، وعلى الحرب الفيقار ؛ وأبشروا فإن باهان في الأثر مددٌ لكم . ففعلوا فنزلوا الواقعة وهي على ضفة اليرموك ، وصار الوادي خندقاً لهم ؛ وهو ليهب^(١) لا يدرك ؛ وإنما أراد باهان وأصحابه أن تستفيق^(٢) الروم ويأنسوا بالمسلمين ؛ وترجع إليهم أفئدتهم عن طيرتها .

وانتقل المسلمون عن عسكرهم الذي اجتمعوا به ؛ فنزل عليهم بحذائهم على طريقهم ؛ وليس للروم طريق إلاّ عليهم . فقال عمرو : أيّها الناس ، أبشروا ، حُصِرَت والله الروم ، وقُلِّمًا جاء محصور بخير ! فأقاموا بإزائهم وعلى طريقهم ؛ ومخرجهم صفر من سنة ثلاث عشرة وشهر ربيع ، لا يقدر من الروم على شيء ؛ ولا يخلصون إليهم ؛ اللهم - وهو الواقعة - من ورأهم ، والخندق من أمامهم ، ولا يخرجون خرجة إلاّ أدبيل المسلمون منهم^(٣) ؛ حتى إذا سلخوا شهر ربيع الأول ؛ وقد استمدوا أبا بكر وأعلموه الشأن في ٢٠٨٩/١ صفر ؛ فكتب إلى خالد ليلحق بهم ، وأمره أن يختلف على العراق المثني ؛ فوافاهم في ربيع .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو والمهلب ، قالوا : ولما نزل المسلمون اليرموك ، واستمدوا أبا بكر ، قال : خالد لها . فبعث إليه وهو بالعراق ، وعزّم عليه واستحثّه في السير ، فنفذ خالد لذلك ؛ فطلع عليهم خالد ؛ وطلع باهان على الروم ، وقد قدّم قدّامه الشمامسة والرهبان والقسيسين ؛ يُغروّضهم ويحضّضونهم على القتال ؛ ووافق قدوم خالد

(١) الهب ، بالكسر : الفرجة بين الجبلين . (٢) ز : « يستبث » .

(٣) في اللسان : « يقال : أدبيل لنا على أعدائنا ، أى نصرنا عليهم ، وكانت الدولة لنا » .

قدوم باهان ، فخرج بهم باهان كالمقتدر ؛ فولّى خالد قتالَه ، وقاتل الأمراء مَنْ يَلازمهم ؛ فهزم باهان ، وتتابع الروم على الهزيمة ، فاقتحموا خندقَهم ؛ وتيمّنت الروم بباهان ؛ وفرح المسلمون بخالد وحرّده^(١) المسلمون . وحرّبه^(٢) المشركون وهم أربعون ومائتا ألف ؛ منهم ثمانون ألف مقيّد ، وأربعون ألفاً منهم مسلسل للموت ، وأربعون ألفاً مربطون بالعمائم ، وثمانون ألف فارس وثمانون ألف راجل ، والمسلمون سبعة وعشرون ألفاً ممّن كان مقيماً ؛ إلى أن قدم عليهم خالد في تسعة آلاف ؛ فصاروا ستة وثلاثين ألفاً .
ومرض أبو بكر رحمه الله في جمادى الأولى ، وتوفّي للنصف من جمادى الآخرة ، قبل الفتح بعشر ليال .

خبر اليرموك

٢٠٩٠/١

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قد سمي لكلّ أمير من أمراء الشام كُورة ؛ فسمّي لأبي عُبَيْدة بن عبد الله بن الجراح حِمص ، وليزيد بن أبي سفيان دمشق ؛ ولشُرْحِبِيل بن حَسَنَة الأردن ، ولعمرو بن العاص ولعلقمة بن مَجْزَز فلسطين ، فلما فرغوا منها نزل علقمة وسار إلى مِصر . فلما شافوا الشام ، دهم كلّ أمير منهم قومٌ كثير ، فأجمع رأيهم أن يجتمعوا بمكان واحد ، وأن يلقوا جمعَ المشركين بجمع المسلمين .

ولما رأى خالد أن المسلمين يقاتلون متساندين قال لهم : هل لكم يا معشر الرؤساء في أمرٍ يُعزّ الله به الدّين . ولا يدخل عليكم معه ولا منه نقيصة ولا مكروه !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب . عن سيّف . عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغسانی ، عن خالد وعبادة . قالوا : توافى إليها مع الأمراء والجنود الأربعة سبعة وعشرون ألفاً وثلاثة آلاف من فُلال خالد بن سعيد ، أمّر عليهم أبو بكر معاوية وشُرْحِبِيل ، وعشرة آلاف من أمداد أهل العراق مع خالد

(١) الحرد : أخذ والتصد إلى الأمر . (٢) حرب المشركون : اشتد غضبهم .

ابن الوليد سوى ستة آلاف ثبتوا مع عكرمة رداً بعد خالد بن سعيد ؛ ٢٠٩١/١
فكانوا ستة وأربعين ألفاً ، وكلّ قتالهم^(١) كان على تساند ، كلّ جند وأميره^(٢) ؛
لا يجمعهم أحد ؛ حتّى قدم عليهم خالد من العراق . وكان عسكر أبي عبيدة
باليرموك مجاوراً لعسكر عمرو بن العاص ، وعسكر شُرَحْبِيل مجاوراً لعسكر
يزيد بن أبي سفيان ؛ فكان أبو عبيدة ربّما صلّى مع عمرو ، وشرحبيل مع يزيد .
فأما عمرو ويزيد فإنّهما كانا لا يصلّيان مع أبي عبيدة وشرحبيل ، وقدم
خالد بن الوليد وهم على حالهم تلك ؛ فعسكر على حدة ؛ فصلّى بأهل العراق ،
ووافق خالد بن الوليد المسلمين وهم متضايقون بمدد الروم ؛ عليهم باهان ،
ووافق الروم وهم نشاط بمددهم^(٣) ، فالتقوا ، فهزّمهم الله حتّى ألبأهم وأمدادهم إلى
الحنادق - والواقصة أحد حدوده - فلزموا خندقهم عامّة شهر ، يحضّضهم
القسيسون والشمامسة والرهبان وينعّون لهم النصرائيّة ؛ حتّى استبصروا .
فخرجوا للقتال الذي لم يكن بعده قتال مثله ، في جمادى الآخرة .

فلساً أحسن المسلمون خروجهم ؛ وأرادوا الخروج متساندين ، سار فيهم
خالد بن الوليد ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن هذا يومٌ من أيام الله ؛
لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي . أخلصوا جهادكم ، وأريدوا الله بعملكم ؛
فإن هذا يومٌ له ما بعده ؛ ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعبية ؛ على تساند^(٤) ٢٠٩٢/١
وانتشار . فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي . وإن من وراءكم لو يعلم علمكم
حال بينكم وبين هذا ؛ فاعملوا فيما لم تؤثروا به بالذي ترون أنّه الرأى
من واليكم ومحبتّه ، قالوا : فما الرأى ؟ قال : إن أبا بكر لم يبعثنا
إلاّ وهو يرى أنا سننأسر . ولو علم بالذي كان ويكون ؛ لقد جمعكم^(٥) . إن الذي
أنتم فيه أشدّ على المسلمين ممّا قد غشيهم ، وأنفع للمشرّكين من أمدادهم ؛
ولقد علمت أنّ الدنيا فرقت بينكم ، فالله الله ، فقد أفرد كلّ رجل منكم بلد
من البلدان لا ينتقصه منه أن دان لأحد من أمراء الجنود ، ولا يزيده عليه أن

(١) ز : « قتال » . (٢) ز : « وأميرهم » . (٣) ب ، س : « لمددهم » .

(٤) في النسخ « يقال : خرج القوم متساندين ، أى على رأيات شتى ؛ إذا خرج كلّ بى أب

على رأية ولم يجمعوا على رأية واحدة تحت رأية أمير واحد » . وفي ابن الأثير : « وأنتم متساندون » .

(٥) ابن الأثير : « لما جمعكم » .

دانوا له . إن^(١) تأمير بعضكم لا ينتقصكم^(٢) عند الله ولا عند خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم . هلموا فإن هؤلاء تهيبوا ، وهذا يوم له ما بعده ، إن رددناهم إلى خندقهم اليوم لم نزل نردّهم ، وإن هزمونا لم نفلح بعدها . فهلتموا فلستعاور الإمارة ، فليكن عليها بعضنا اليوم ، والآخر غداً ، والآخر بعد غد ؛ حتى يتأمر كلكم ، ودعوني أليكم اليوم^(٣) .

فأمروه ، وهم يرون أنها كخرجاتهم ، وأن الأمر أطول ممّا صاروا إليه ؛ فخرجت الروم في تعبئة لم يرَ الرّاءون مثلها قط . وخرج خالد في تعبئة لم تُعبّها العرب قبل ذلك ؛ فخرج في ستّة وثلاثين كُردوساً^(٤) إلى الأربعين ، وقال : إنّ عدوكم قد كثر وطغى ، وليس من^(٥) التعبئة تعبئة أكثر في رأى العين من الكراديس . فجعل القلب كراديس . وأقام فيه^(٦) أبا عبيدة ، وجعل الميمنة كراديس وعليها عمرو بن العاص وفيها شُرْحُبِيل بن حَسَنَة . وجعل الميسرة كراديس وعليها يزيد بن أبي سفيان . وكان على كُردوس من كراديس أهل العراق القَعْقَاع بن عمرو ، وعلى كُردوس مذعور بن عدى ، وعياض بن غنم على كُردوس ، وهاشم بن عتبة على كُردوس ، وزباد بن حنظلة على كُردوس ، وخالد في^(٧) كُردوس ؛ وعلى قالة خالد بن سعيد^(٨) دحيّة بن خليفة على كُردوس . وامرؤ القيس على كُردوس ، ويزيد بن يحنس على كُردوس ، وأبو عبيدة على كُردوس ، وعكرمة على كُردوس ، وسهيل على كُردوس . وعبد الرحمن بن خالد على كُردوس - وهو يومئذ ابن ثمانى عشرة سنة - وحبيب بن مسلمة على كُردوس ، وصفوان بن أمية على كُردوس ، وسعيد بن خالد على كُردوس . وأبو الأعور بن سفيان على كُردوس ، وابن ذى الخمار على كُردوس ؛ وفي الميمنة عُمارة بن مُخَشَّى ابن خُوَيْلِد على كُردوس ؛ وشُرْحُبِيل على كُردوس^(٩) ومعه خالد بن

(١) ب وابن حبيش : « وإن » . (٢) ز وابن الأثير : « لا ينتقصكم » .

(٣) ب ، وابن حبيش : « ألكم » ؛ وهما في العربية سواء .

(٤) الكردوس ؛ القلعة العظيمة من الخيل ، ويقال : كردس القائد خيله ، أى جعلها كتيبة منه .

(٥) س : « في التعبئة » . (٦) ب : « عليه » .

(٧) ب : « على كردوس » . (٨) س : « سعيد بن خالد » .

(٩) ز : « على كردوس آخر » .

سعيد ، وعبد الله بن قيس على كُردُوس ؛ وعمرو بن عَبَسَةَ على كُردُوس ،
والسَّمْط بن الأسود على كُردُوس ، وذو الكَلَّاع على كُردُوس ، ومعاوية بن
حُدَّيْج على آخر ؛ وجُنْدُب بن عمرو بن حُمَمَةَ على كُردُوس ، وعمرو بن
فلان على كُردُوس ؛ وَلَقِيط بن عبد القيس بن بجرة حليف لبني ظَفَر من
بني فزارة على كُردُوس . وفي المَيْسَرَة يزيد بن أبي سفيان على كُردُوس ،
والزَّيْبَر على كُردُوس ، وَحَوْشَب ذو ظُلَيْم على كُردُوس ، وقيس بن
عمرو بن زيد بن عوف بن مَبْذُول بن مازن بن صعصعة من هوازن - حليف
لبني النَّجَّار - على كُردُوس ، وَعِصْمَة بن عبد الله - حليف لبني النجار من
بني أَسَد - على كُردُوس ، وَضِرَار بن الأزور على كُردُوس ، ومسروق بن فلان
على كُردُوس ، وَعُثْبَة بن ربيعة بن بَهْز - حليف لبني عِصْمَة - على كُردُوس ،
وجارية بن عبد الله الأشجعي - حليف لبني سَلِمة - على كُردُوس ، وَقَبَات
على كُردُوس .

وكان القاضي أَبُو الدرداء ، وكان القاصّ أَبُو سفيان بن حرب ، وكان
على الطَّبَّائِع قَبَات بن أَشِيَم ؛ وكان على الأقباض ^(١) عبد الله بن مسعود .
كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة نحوًا من
حديث أبي عثمان ؛ وقالوا جميعًا : وكان القاريّ المَقْدَاد . ومن السُّنَّة التي
سنَّ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعد بدر أن تقرأ سورة الجِهَاد عند
اللِّقَاء ؛ وهي الأنفال ، ولم يزلِ النَّاس بعد ذلك على ذلك .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن
أَسِيد الغَسَّانِي ، عن عبادة وخالِد ؛ قالوا : شهد اليَرْموك ألفٌ من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم نحو من مائة من أهل بدر . قالوا :
وكان أبو سفيان يسيرُ فيقِف على الكراديس ، فيقول : اللهَ اللهُ ! إنكم
ذَادَةُ العرب ، وأنصارُ الإسلام ، وإنهم ذَادَةُ الرُّوم وأنصارُ الشُّرك !
اللهم ! إن هذا يومٌ من أيَّامك ؛ اللهم أنزلْ نصرك على عبادك !
قالوا : وقال رجل لخالد : ما أَكْثَرَ الرُّومَ وأَقْلَ المسلمين ! فقال خالد :

(١) الأقباض : جمع قبض ، بفتحين ؛ وهو ما جمع من الفنائم .

ما أقلّ الروم وأكثر المسلمين ! إنما تكثر الجنود بالنصر وتقلّ بالخذلان ؛
لا بعدد^(١) الرّجال ؛ والله لوددت أنّ الأشقر^(٢) براءً من توجيّه^(٣) ؛ وأنهم
٢٠٩٦/١ أضعفوا في العدد - وكان فرسه قد حفيّ في مسيره - قالوا : فأمر خالد عكرمة
والقَعْقَاع ، وكانا على محبّتي القلب ، فأنشبا القتال ، وارتجز القعقاع
وقال :

ياليتني ألقاك في الطرّادِ قبلَ اعتِرامِ الجَحْفَلِ الوَرَادِ
• وأنت في حَلْبَتِكَ الوِرَادِ •

وقال عكرمة :

قد عَلِمْتَ بِهَكْنَةِ الجَوَارِي^(٤) أنّي على مَكْرُمَةٍ أَحَامِي^(٥)

فنشِب القتال ، والتحمّ النَّاس ، وتطارَد الفرسان ؛ فإنّهم على ذلك إذ
قدم البريد من المدينة ؛ فأخذته الخيول ؛ وسألوه الخبر ؛ فلم يخبرهم إلّا
بسلامة ؛ وأخبرهم عن أمداد ؛ وإنما جاء بموت أبي بكر رحمه الله وتأمير
أبي عبيدة ؛ فأبلغوه خالدًا ، فأخبره خبر أبي بكر ؛ أمره إليه^(٦) ، وأخبره بالذّي
٢٠٩٧/١ أخبر به الجند . قال : أحسنت فقفّ ، وأخذ الكتاب وجعله في كنانته ؛
وخاف إن هو أظهر ذلك أن ينتشر له أمر الجند ؛ فوقف محمية بن زُتَيْم مع
خالد ؛ وهو الرسول ؛ وخرج جَرَجَة^(٧) ؛ حتّى كان بين الصّفيّين ، ونادى : ليخرج
إلى خالد ، فخرج إليه خالد وأقام أبا عبيدة مكانه ، فوافقهم بين الصّفيّين ؛ حتّى
اختلفت أعناق دابّتيهما^(٨) ، وقد أمّن أحدهما صاحبه ، فقال جَرَجَة :
يا خالد أصدّقني ولا تكذبني فإنّ الحرّ لا يكذب ولا تخادعني فإنّ الكريم
لا يخادع المسترسل بالله ؛ هل أنزل الله على نبيكم سيفاً من السماء فأعطاكمه .

(١) ز : « تعدد » . (٢) الأشقر من الخيل : الأحمر في فرة حمرة ؛ يحرمها السيب ؛

ويطلق على عدة أفراس لأصحابها (٣) وجى الفرس وتوجى ؛ أى أصيب بالوجأ ؛ وهو أن يشتكى
الفرس باطن حافره . (٤) الهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الخلوة .

(٥) ز : « أمارى » . (٦) ز : « فأمره وأخبره » .

(٧) جرجة ، بفتح ج ، كذا ضبطه صاحب القاموس ، وقال : « اسم مقدم عسكر الروم

يوم اليرموك » . (٨) س والنويرى : « دوابّهما » .

فلا تسلّهُ على قوم^(١) إلاّ هزمتهم؟ قال : لا ، قال : فبِمَ سُميت سيف الله؟ قال : إن الله عزّ وجلّ بعث فينا نبيّه صلّى الله عليه وسلّم ، فدعانا فنفرنا عنه^(٢) ونأينا عنه جميعاً . ثمّ إنّ بعضنا صدّقه وتابعه ، وبعضنا باعده وكذّبه ؛ فكنت فيمن كذّبه وباعده وقاتله . ثمّ إن الله أخذ بقلوبنا ونواصينا ؛ فهدانا به ، فتابعناه . فقال : أنت سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين ! ودعا لي بالنصر ؛ فسُميت سيف الله بذلك ؛ فأنا من أشدّ المسلمين^(٣) على المشركين . قال صدقتني ، ثمّ أعاد عليه جرّجة : يا خالد ، أخبرني إلّا ما تدعوني؟ قال : إلى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، قال : فَمَنْ لم يُجيبكم؟ قال : فالجزيّة ونعنعهم ، قال : فإن لم يعطيها ، قال : تؤذنه بحرب ، ثمّ نقاتله . قال : فما منزلة الذي يدخل فيكم ويجيبكم إلى هذا الأمر اليوم؟ ٢٠٩٨/١ قال : منزلتنا واحدة فيما افترض الله علينا ، شريفنا ووضعنا ، وأولنا وآخرنا . ثمّ أعاد عليه جرّجة : هل لمن دخل فيكم اليوم يا خالد مثل مالكم من الأجر والدُّخْر؟ قال : نعم ، وأفضل ؛ قال : وكيف يساويكم وقد سبقتموه؟ قال : إنّنا دخلنا في هذا الأمر ، وبايعنا^(٤) نبينا صلّى الله عليه وسلّم وهو حيّ بين أظهرنا . تأتيه أخبار السماء^(٥) ويخبرنا بالكتب ، ويرينا الآيات ، وحتىّ لمن رأى ما رأينا^(٦) ، وسمع ما سمعنا ، أن يُسلم ويباع^(٧) ؛ وإنكم أنتم لم تروا ما رأينا ، ولم تسمعوا ما سمعنا من العجائب والحجج ؛ فَمَنْ دخل في هذا الأمر منكم بحقيقة ونيّة كان أفضل منّا . قال جرّجة : بالله لقد صدقتني ولم تخادعتني ولم تألّفتني ! قال : بالله ؛ لقد صدقتك وما بي إليك ولا إلى أحد منكم وحشة^(٨) ؛ وإنّ الله لكوّلي ما سألت عنه . فقال : صدقتني ؛ وقلب الترس ومال مع خالد . وقال : علّمني الإسلام ، فقال به خالد إلى فسْطاطه ، فشنّ عليه قربة من ماء ، ثمّ صلّى ركعتين ؛ وحملت الرُّوم سع

(١) س : « وابن حبيش وابن كثير : « أحد » . (٢) ابن حبيش : « منه » .

(٣) ز : « الناس » . (٤) ابن الأثير : « اتبعنا » ، وابن حبيش : « تابعنا » .

(٥) ز : « يأتيها بأخبار السماء » . (٦) س : « مثل ما رأينا » .

(٧) س وابن حبيش : « ويباع » . (٨) ابن حبيش : « حاجة » .

انقلابه إلى خالد ، وهم يرون أنها منه حملة ، فأزالوا المسلمين عن مواقفهم إلا الحمامية ، عليهم عكرمة والحارث بن هشام . وركب خالد ومعه جرّجة والروم خلال المسلمين ؛ فتنادى الناس ، فثابوا ، وتراجعت الروم إلى مواقفهم ، فزحف بهم خالد حتى تصافحوا بالسيوف ، فضرب فيهم خالد وجرّجة من لدن ارتفاع^(١) النهار إلى جنوح الشمس للغروب ، ثم أصيب جرّجة ولم يصل صلاة سجد فيها إلا الركعتين اللتين أسلم عليهما ، وصلى الناس الأولى والعصر إيماءً ، وتضعض الروم ، ونهّد خالد بالقلب حتى كان بين خيلهم ورجلهم ، وكان مقاتلهم واسع المطرد ، ضيق المهرب ؛ فلمّا وجدت خيلهم مذهباً ذهبت وتركوا^(٢) رجلهم في مصافهم ؛ وخرجت خيلهم تشتدّ بهم في الصحراء ، وأخّر الناس الصلاة حتى صلّوا بعد الفتح . ولما رأى المسلمون خيل الروم توجّهت للهرب ، أفرجوا لها ، ولم يجرّجوها ؛ فذهبت فتنفّرت في البلاد ، وأقبل خالد والمسلمون على الرجل ففضّوهم ؛ فكأنما هُدِمَ بهم حائط ؛ فاقتحموا في خندقهم ، فاقتحمه عليهم فعمدوا إلى الواقوصة ، حتى هوى فيها المقترنون وغيرهم ، فمن صبر من المقترنين للقتال هوى به من خشعت^(٣) نفسه ، فيهورى^(٤) الواحد بالعشرة لا يطيقونه^(٥) ؛ كلّما هوى اثنان كانت البقية أضعف^(٦) ، فتهاوت^(٧) في الواقوصة عشرون ومائة ألف ؛ ثمانون ألف مقترن^(٨) وأربعون ألف مطلق ؛ سوى من قُتل في المعركة من الخيل والرجل ؛ فكان سهم الفارس يومئذ ألفاً وخمسمائة ، وتجلّلت الفيقار وأشرف من أشرف الروم برانسهم ، ثم جلسوا وقالوا : لا نجب أن نرى يوم السوء إذ لم نستطع أن نرى يوم السرور ؛ وإذ لم نستطع أن نمنع النصرانية ؛ فأصيبوا في ترمّلتهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان ، عن خالد

(١) ز : « طلوع » .

(٢) ز : « وتركت » .

(٣) ط : « جشمت » ، وما أثبتته من م .

(٤) س : « فهورى » .

(٥) س : « ولا يطيقونه » .

(٦) س : « أضعف منها » .

(٧) التويرى : « فتهاوت » .

(٨) ز ، س : « مقترنين » .

وعبادة ؛ قالوا : أصبح خالد من تلك اللّيثة ، وهو في رِواقٍ تَدَارِقُ . لمّا دخل الخندق نزله وأحاطت به خيله ، وقاتل الناسُ حتى أصبحوا .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان الغسّانيّ ، عن أبيه ، قال : قال عكرمة بن أبي جهل يومئذ : قاتلت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم في كلّ موطن ، وأفِرُّ منكم اليوم ! ثم نادى : من يبيع على الموت ؟ فباعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمئة من وجوه المسلمين وفرسانهم ؛ فقاتلوا قدام فُسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتلوا إلاّ من برأ ، ومنهم ضرار بن الأزور . قال : وأتى خالد بعدما أصبحوا بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فوضع رأسه على ساقه ، وجعل يمسح عن وجوههما ، ويقطّر في حلوقهما الماء ، ويقول : كلا ، زعم ابن الحنّمة ^(١) أنّنا لا نُسْتشهَد !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عُميس ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أُمّة — وكان شهد اليرموك هو وعبادة بن الصامت — أنّ النساء قاتلن يوم اليرموك في جولة ، فخرجت جويرية ابنة أبي سفيان في جولة ، وكانت مع زوجها [وأصببت] ^(٢) بعد قتال شلبيد ، ٢١٠/١ وأصببت يومئذ عين أبي سفيان ، فأخرج السهم من عينه أبو حثمة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المُستَنير بن يزيد بن أُرطاة ابن جُهَيْش ، قال : كان الأشتر قد شهد اليرموك ولم يشهد القادسية ؛ فخرج يومئذ رجلٌ من الروم ، فقال : من يبارز ؟ فخرج إليه الأشتر ؛ فاختلفا ضربتين ، فقال للرومي : خذها وأنا الغلام الإيادي ^(٣) ، فقال : الرومي : أكثر الله في قومي مثلك ! أمّا والله لو ^(٤) أنّك من قومي لآ زرت ^(٥) الروم ، فأما الآن فلا أعينهم !

(١) حنّمة ، بنت ذى الرّحمن هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية ، أم عمر ابن الخطاب . (٢) من ز . (٣) كذا في ط ؛ والمعروف أن الأشتر نخمى من مذبح (٤) ط : « بولا » ، ولا يستقيم به النص . (٥) ط : « لزرت » ، وانظر التعليقات .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان وخالد :
 وكان ممن أصيب في الثلاثة الآلاف الذين أصيبوا يوم اليرموك عكرمة ،
 وعمر بن عكرمة ، وسلمة بن هشام ، وعمر بن سعيد ، وأبان بن سعيد -
 وأثبت^(١) خالد بن سعيد فلا يُدرى أين مات بعد - وجند بن عمرو
 ابن حُمّة الدؤميّ ، والطفيل بن عمرو ، وضرار بن الأزور أثبت في
 وطليب بن عمير بن وهب من بني عبد بن قصي ، وهبار بن سفيان ،
 وهشام بن العاصي .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن ميمون ،
 عن أبيه ، قال : لقى خالداً مقدمه الشام مغنياً لأهل اليرموك رجل من ٢١٠٢/١
 روم العرب ، فقال : يا خالد ، إن الروم في جمع كثير ؛ مائتي ألف أو
 يزيدون ؛ فإن رأيت أن ترجع علكي حاميتك فافعل ؛ فقال خالد :
 أبا الروم تخوفني ! والله لوددت أن الأشقر براء من توجيّه ، وأنهم
 أضعفوا ضعفهم ، وهزمهم الله على يديّه !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ،
 عن أرتاة بن جهيش ، قال : قال خالد يومئذ : الحمد لله الذي قضى على
 أبي بكر بالموت وكان أحبّ إليّ من عمر ، والحمد لله الذي ولّى عمر ، وكان
 أبعضَ إليّ من أبي بكر ثم ألزمني حُبّه !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمر
 ابن ميمون ، قالوا : وقد كان هرقل حجّ قبل مهزم خالد بن سعيد ،
 فحجّ بيت المقدس ، فيينا هو مقيم به أتاه الخبر بقرب الجنود منه ، فجمع
 الروم ، وقال : أرى من الرأي ألاّ تقاتلوا هؤلاء القوم ، وأن نصلحهم ؛
 فوالله لأنّ تعطوهم نصف ما أخرجت الشام ؛ وتأخذوا نصفاً وتقرّ لكم
 جبال الروم ؛ خير لكم من أن يبلغوكم على الشام ، ويشاركوكم في جبال
 الروم ؛ ففخر أخوه ونخر ختمته . وتصدّخ عنه سنّ كان حوله ؛ فلمّا
 رأهم يعصونه ويردّون عليه بعث أخاه ، وأمر الأمراء ووجهه إلى كلّ جند

(١) أثبت ، أي جرحاً عميقاً .

جنداً . فلما اجتمع المسلمون ، أمرهم بمنزل واحد واسع جامع حصين ،
فنزّلوا بالواقصة ، وخرج فنزل حمص ، فلمّا بلغه أن خالدًا قد طلع على سؤى
وانتسف أهله وأموالهم ، وعمد إلى بضري وافتتحها وأباح عدّاء ، قال
بجلسائه : ألم أقل لكم لا تقاتلوهم ! فإنّه لا قيامَ لكم مع هؤلاء القوم ؛ إن
دينهم دينٌ جديدٌ يجدّد لهم ثيابهم^(١) ، فلا يقوم لهم أحد حتى يبلى .
فقالوا : قاتل عن دينك ولا تُجبتِ الناس ، واقض الذى عليك ؛ قال :
وأى شيء أطلب إلاّ توفيرَ دينكم !

• • •

ولما نزلت جنود المسلمين اليرموك ، بعث إليهم المسلمون : إنّنا نريد
كلامَ أميركم وملاقاته ؛ فدعونا نأنيه ونكلّمه ، فأبلغوه فأذن لهم . فأناه
أبو عبيدة ويزيد بن أبى سفيان كالرسول ، والحارث بن هشام وضرار بن
الأزور وأبو جندل بن سهيل ؛ ومع أخى الملك يومئذ ثلاثون رواقاً فى عسكره
وثلاثون سرادقاً . كلُّها من دياج ؛ فلمّا انتهوا إليها أبرأ أن يدخلوا عليه
فيها . وقالوا : لا نستحلّ الحرير فابرز لنا . فبرز إلى فرس مهنّدة ؛
وبلغ ذلك هرقل ، فقال : ألم أقل لكم ! هذا أولُ الدّل ، أما الشام فلا شام ؛
وويل للروم من المولود المشنوم ! ولم يأت بينهم وبين المسلمين صلح ، فرجع
أبو عبيدة وأصحابه واتّعدوا ، فكان القتال حتى جاء الفتح .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مطّرح ، عن القاسم ،
عن أبى أمامة وأبى عثمان ، عن يزيد بن سنان ، عن رجال من أهل الشام
ومن أشياخهم ؛ قالوا : لمّا كان اليوم التّدى تأمّر فيه خالد . هزم الله الروم
مع الليل ، وصعد^(٢) المسلمون العقبة . وأصابوا ما فى العسكر . وقتل الله
صناديدهم ورءوسهم وفرسانهم ، وقتل الله أخا هيرقل . وأخذ التّدارق .
وانتهت الهزيمة إلى هرقل وهو دون مدينة حمص ، فارتحل فجعل حمص
بينه وبينهم ، وأمّر عليها أميراً وخلّقه فيها ، كما كان أمّر على دمشق ؛
وأُتبع المسلمون الروم حين هزمهم خيولاً يشقّونهم^(٣) . ولمّا صار إلى

(١) الثّياب على الأمر المواطعة عليه . (٢) كذا فى ز والنويرى . (٣) يشقّونهم : يطردونهم .

أبى عبيدة الأمرُ بعد الهزيمة ؛ نادى بالرحيل ، وارتحل المسلمون بزحفهم حتى وضعوا عساكرهم بمرج الصُّفَر . قال أبو أمامة : فبعثت طليعةً من مرج الصُّفَر ، معي فارسان ؛ حتى دخلت الغوطة فجسستها بين أبياتها وشجراتها ، فقال أحد صاحبي : قد بلغت حيث أمرت فانصرف لانهلكنا ، فقلت : قِفْ مكانك حتى تصبح أو آتيك . فسيرتُ حتى دفعتُ إلى باب المدينة ؛ وليس في الأرض أحدٌ ظاهر ، فنزعت لحام فرسي وعلقت عليها مخلاتها ، وركزت ^(١) رمحي ، ثم وضعت رأسي فلم أشعر إلا بالمفتاح يحرك عند الباب ليُفتح ؛ فقممت فصليت الغداة ، ثم ركبت فرسي ، فحملت عليه ، فطعنت البواب ^(٢) فقتلته ، ثم انكناأت راجعاً ؛ وخرجوا يطالبوني ، فجعلوا يكفون عني مخافة أن يكون لي كمين ، فدفعت إلى صاحبي الأدني الذي أمرته أن يقف ، فلما رأوه قالوا : هذا كمين انتهى إلى كمينه . فانصرفوا وسرت أنا وصاحبي ، حتى دفعنا إلى صاحبنا الثاني ، فسرنا حتى انتهينا إلى المسلمين ؛ وقد عزم أبو عبيدة ألا يبرح حتى يأتيه رأي عمر وأمره ؛ فأتاه فرحلوا حتى نزلوا على دِمَشْق ، وخلف باليرموك بشير بن كعب بن أبي الحميري في خيبل .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف عن عبد الله بن سعيد عن أبي سعيد ، قال : قال قباث : كنت في الوفد بفتح اليرموك ، وقد أصبنا خيراً ونفعلاً كثيراً ، فرأى بنا الدليل على ماء رجل قد كنت اتبعته في الجاهلية حين أدركتُ وأنستُ من نفسي لأصيب منه ؛ كنت دُلِلْتُ عليه ، فأتيته فأخبرته ، فقال : قد أصبت ، فإذا ريبال من ريبالة العرب قد كان يأكل في اليوم عَجْزَ جزور بأدمها ونقدار ذلك من غير العَجْز ما يفضل عنه إلا ما يقوتني . وكان يُغيرُ على الحَيّ ويسد عُنِي قريباً ، ويقول : إذا مرّ بك راجز يرتجز بكذا وكذا ، فأنا ذلك ؛ فسئل معي . فكنت بذلك حتى أقطعتني قطعاً من مال ، وأتيت به أهلي ؛ فهو أولُ مال أصبته . ثم إنني رأيتُ قومي ؛ وبلغت مبلغ رجال العرب ، فلما مرّ بنا على ذلك الماء

(٢) س : « فطعنته وطعنت » .

(١) ابن حبيش : « وتركت » .

عرفته ، فسألت عن بيته فلم يعرفوه ، وقالوا : هو حى ، فأتييت ببنين استفادهم بعدى ، فأخبرتهم خبرى ، فقالوا : اغدُ علينا غدًا ، فإنه أقربُ ما يكون إلى ما تحبُّ بالغداة ، فغاديتهم فأدخلت عليه ، فأخرج من خيدره ؛ فأجلس لى ، فلم أزل أذكره حتى ذكر ، وتسمّع وجعل يطرب للحديث ويستطعمنيه ، وطال مجلسنا وثقلنا على صبيانهم ؛ ففرقوه ببعض ما كان يفرق منه ليدخل خيدره ، فوافق ذلك عقله ، فقال : قد كنت وما أفزع ! فقلت : أجل ، فأعطيته ولم أدعُ أحدًا من أهله إلا أصبته بمعروف ثم ارتحلت .

كتب إلى السرى ، عن سيف ، عن أبى سعيد المقبرى . قال : قال مروان بن الحكم لتقبات : أأنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله أكبر منى ، وأنا أقدم منه ، قال : فما أبعدُ ذكرك ؟ قال : خيى^(١) القيل لسنة . قال : وما أعجب ما رأيت ؟ قال : رجل من ٢١٠٧/١ قضاة ؛ إني لما أدركتُ وآنسْتُ من نفسى سألتُ عن رجل أكونُ معه وأصيب منه ، فدللتُ عليه . . . واقتص هذا الحديث .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن صالح بن كيسان . أن أبا بكر رحمه الله حين سار القوم خرج مع يزيد ابن أبى سفيان يوصيه ؛ وأبو بكر يمشى ويزيد راكب ، فلمّا فرغ من وصيته قال : أقرئك السلام ، وأستودعك الله . ثم انصرف ومضى يزيد ، فأخذ التَّبوكيةَ ثم تبعه شُرَحْبِيل بن حسنة ثم أبو عبيدة بن الجراح مددًا لهما على رُبع ، فسلكوا ذلك الطريق ، وخرج عمرو بن العاص حتى نزل بغمر العربات ، ونزلت الرُّوم بتنيّة جلق بأعلى فلسطين في سبعين ألفًا ، عليهم تذاريق أخو هيرقل لأبيه وأمه . فكتب عمرو بن العاص إلى أبى بكر ، يذكر له أمر الرُّوم ويستمدّه . وخرج خالد بن سعيد بن العاصى ؛ وهو بمرج الصَّفَر من أرض الشام في يوم مطير يستمطر فيه ؛ فتعاوى عليه

(١) الخيى : ما يرميه القيل من ذى بطنه .

أعلاجُ الروم ، فقتلوه ، وقد كان عمرو بن العاص كتب إلى أبي بكر يذكر له أمر الروم ويستمدّه .

• • •

قال أبو جعفر : وأمّا أبو زيد ، فحدثني عن عليّ بن محمد بالإسناد الذي قد ذكرت قبل ؛ أنّ أبا بكر رحمه الله وجهه بعد خروج يزيد بن أبي سفيان موجّهاً إلى الشام بأيام ، شُرْحِيلَ بن حَسَنَةَ - قال : وهو شُرْحِيل ابن عبد الله بن المطاع بن عمرو ، من كِنْدَةَ ، ويقال من الأزد - فسار في سبعة آلاف ، ثم أبا عبيدة بن الجراح في سبعة آلاف . فنزل يزيد بالسلقاء ، ونزل شُرْحِيل الأزد - ويقال بَصْرَى - ونزل أبو عبيدة الجابية ، ثم أمدهم بعمر بن العاص ، فنزل بغمر العربات ، ثم رغب الناس في الجهاد ؛ فكانوا يأتون المدينة فيوجههم أبو بكر إلى الشام فنهض من بصير مع أبي عبيدة ، ومنهم من بصير مع يزيد ، بصير كل قوم مع من أحبوا .

٢١٠٨/١

قالوا : فأول صلح كان بالشام صلح مَآبَ ؛ وهي فسطاط ليست بمدينة ، مرّ أبو عبيدة بهم في طريقه ، وهي قرية من السلقاء ، فقاتلوه ، ثم سأله الصلح فصالحهم . واجتمع الروم جمعاً بالعربة من أرض فلسطين ؛ فوجه إليهم يزيد بن أبي سفيان أبا أمانة الباهلي ؛ ففضّ ذلك الجمع .

قالوا : فأول حرب كانت بالشام بعد سرية أسامة بالعربة . ثم أتوا الدائنة - ويقال الدائن - فهزمهم أبو أمانة الباهلي . وقتل بطريقاً منهم . ثم كانت مَرَج الصَّفَر . استشهد فيها خالد بن سعيد بن العاصي ، أتاهم أدْرُنْجَار في أربعة آلاف وهم غارون ، فاستشهد خالد وعدة من المسلمين . قال أبو جعفر : وقيل إنّ المقتول في هذه الغزوة كان ابناً لخالد بن

٢١٠٩/١

سعيد ، وإنّ خالداً انحاز حين قُتل ابنه ، فوجه أبو بكر خالد بن الوليد أميراً على الأمراء الذين بالشام ؛ ضمتهم إليه ؛ فشخص خالد من الحيرة في ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة في ثمانمائة - ويقال في حَمْسَمائة - واستخلف على عَمَلِهِ المثنى بن حارثة ، فلقبته عدوّ بَصَنْدَوْدَاء ، فظفر بهم ، وخلف بها ابن حَرَام الأنصاري ؛ ولقي جمعاً بالمُصَيِّخ والحَصِيد ، عليهم

ربيعة بن بُجَيْرِ التَّغْلِبِيِّ ، فهزَمَهُمْ وَسَبَى وَغَنِمَ ، وسارَ ففَوَزَ^(١) من قَرَايِرَ إلى سُوَى ، فأغارَ على أهلِ سُوَى ، واكتسَحَ أموالَهُمْ ، وقتلَ حَرْقُوصَ ابنِ النُّعْمانِ البَهرانيِّ ، ثم أتى أَرَكَ فصالحوه ، وأتى تَدْمُراً فتحصنوا ، ثم صالحوه ، ثم أتى القريتين ، فقاتلهم فظفِرَ بهم وَغَنِمَ ، وأتى حِوَارِينَ ، فقاتلهم فهزَمَهُمْ وقتلَ سَبَى ، وأتى قُصَمَ فصالحه بنو مَشْجَعَةَ من قُضَاعَةَ ، وأتى مَرَجَ راهِطَ ، فأغارَ على غَسَّانَ في يومِ فِصْحَهُمْ ، فقتلَ سَبَى ، ووجهَ بُسْرَ بنِ أَبِي أُرْطَاةَ وحبيبَ بنِ مَسْلَمَةَ إلى الغوطة ، فأَتَوْا كَنِيمَةَ فسَبُّوا الرِّجالَ والنِّساءَ ، وساقُوا العِيالَ إلى خالِدَ .

قال : فوافى خالداً كتابُ أَبِي بكرٍ بالخيرةَ منصرفته من حجته : أن ٢١١٠/١ سِرٌّ حَتَّى تَأْتِيَ جَمُوعَ المُسلمينَ بِالْيَمْرِ مَوْكَ ، فإنهم قد شَجُّوا وأشجَّوْا^(٢) ، وإيَّاكَ أن تعودَ لمثلَ ما فعلتَ ، فإنه لم يُشْجَعْ^(٣) الجُمُوعَ من الناسِ بعونِ اللَّهِ شِجَاكَ ، ولم يترعَ الشَّجَى من الناسِ نَزْعَكَ . فليهنِّثَكَ أبا سُلَيْمانَ النِّبَةَ والحِظْلَةَ^(٤) ، فَأَتِمِّمْ يَتِمِّمَ اللَّهُ لَكَ ، ولا يَدْخُلَنَّكَ عَجَبٌ فَتُخَسَّرَ وتُخَذَلَ ، وإيَّاكَ أن تُدِلَّ بِعَمَلٍ ، فإنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ له المَنَ ، وهو وليُّ الجَزَاءِ .

كتب إلى المَرِيِّ ، عن شُعَيْبَ ، عن سَيْفَ ، عن عبدِ المَلِكِ بنِ عَطَاءَ ، عن الهَيْثَمِ البَكَّائِيِّ ، قال : كانَ أَهْلُ الأَيَّامِ من أَهْلِ الكُوفَةِ يُوعَدُونَ معاويةَ عندَ بعضِ الذي يبلُغُهُمْ ، ويقولون : ما شاءَ معاويةَ ! نحنُ أَصْحَابُ ذاتِ السَّلاسلِ ، ويسمَّونَ ما بينها وبينَ الفِراضِ ؛ ما يذكرونَ ما كانَ بعدَ احتقاراً لما كانَ بعدَ فيما كانَ قبلَ .

كتب إلى السَّرِيِّ ، عن شُعَيْبَ ، عن سَيْفَ ، عن عمرو بنِ مُحَمَّدٍ ، عن إِسْحاقَ بنِ إِبْراهيمَ ، عن ظَفَرِ بنِ دُحْيٍ ، ومُحمَّدَ بنِ عبدِ اللَّهِ عن أَبِي عُثْمانَ ،

(١) في اللسان : « يقال : فوز الرجل بإبله ؛ إذا ركب المفارة » .

(٢) ساقطة من ط ، وانظر التصويبات .

(٣) أشجاء قرند : قهره حتى شجى به .

(٤) أي لم يقهر الجمع قهره .

(٥) الحظوة : المكانة .

٢١١١/١

وطلحة عن المغيرة ، والمهلب بن عقبة عن عبد الرحمن بن سياه الأحمري ، قالوا : كان أبو بكر قد وجه خالد بن سعيد بن العاصي إلى الشام حيث وجه خالد بن الوليد إلى العراق ، وأوصاه بمثل الذي أوصى به خالداً . وإن خالد ابن سعيد سار حتى نزل على الشام ولم يقتحم ؛ واستجلب الناس فعز^(١) ، فهابته الروم ، فأحجموا عنه ، فلم يصبر على أمر أبي بكر ولكن توردها فاستطردت له الروم ، حتى أوردوه الصُفَر ، ثم تعطفوا عليه بعد ما أمن ؛ فوافقوا ابنه سعيد بن خالد مستمطراً ؛ فقتلوه هو ومن معه ، وأتى الخبر خالداً ، فخرج هارباً ؛ حتى يأتى البر ، فينزل منزلاً ، واجتمعت الروم إلى اليرموك ؛ فزلوا به ، وقالوا : والله لنشغلن أبا بكر في نفسه^(٢) عن تورده بلادنا بخيوله .

وكتب خالد بن سعيد إلى أبي بكر بالذي كان ، فكتب أبو بكر إلى عمرو ابن العاص - وكان في بلاد قضاة - بالسَّير إلى اليرموك ، ففعل . وبعث أبا عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان ، وأمر كل واحد منهما بالغارة ، وألا توغلا حتى لا يكون وراءكم أحد من عدوكم .

وقدم عليه شُرَحْبِيل بن حَسَنَة بفتح من فتوح خالد ، فمرّحه نحو الشام في جُند ، وسمي لكل رجل من أمراء الأجناد كورة من كور الشام ؛ فتوافوا باليرموك ، فلما رأت الروم توافيهم ، ندموا على الذي ظهر منهم ، ونسوا الذي كانوا يتوعدون به أبا بكر ، واهتموا وهمتهم أنفسهم ، وأشجّوهم وشجوا بهم ، ثم نزلوا الواقعة . وقال أبو بكر : والله لأنسيين الروم وسوس الشيطان بخالد بن الوليد ، فكتب إليه بهذا الكتاب الذي فوق هذا الحديث ، وأمره أن يستخلف المثنى بن حارثة على العراق في نصف الناس ، فإذا فتح الله على المسلمين الشام ، فارجع إلى عملك بالعراق . وبعث خالد بالأخماس إلا ما نقل منها مع عُمَيْر بن سعد الأنصاري وبمسيره إلى الشام . ودعا خالد الأدلة ، فارتحل من الحيرة سائراً إلى دومة ، ثم طعن في البر إلى قراقر ، ثم قال : كيف لي بطريق أخرج فيه^(٣) من وراء جموع الروم !

٢١١٢/١

(١) ز : « عز » . (٢) ز : « بنفسه على » . (٣) ز : « منه » .

فإني إن استقبلتها حبستني عن غياث المسلمين ، فكلّهم قال ^(١) : لا نعرف إلا طريقاً لا يحمل الحيوش ، يأخذه الفذ ^(٢) الراكب ، فليأكل أن تغرر بالمسلمين . فعزم عليهم ولم يُجِبْهُ إلى ذلك إلا رافع بن عُميرة على تهيب شديد ، فقام فيهم ، فقال : لا يختلفن هديكن ، ولا يضعفن يقينكن ، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النية ، والأجر على قدر الحسبة ^(٣) ؛ وإن المسلم لا ينبغي له أن يكثر بشيء يقع فيه ^(٤) مع معونة الله له ، فقالوا له : أنت رجل قد جمع الله لك الخير ، فشأنك . فطابقوه ونووا واحتسبوا واشتهوا مثل الذي انتهى خالد ، فأمرهم خالد ، فترؤوا للشفة لحمس ، وأمر صاحب كل خيل بقدر ما يسقيها ، فظمأ كل قائد من الإبل الشرف الجلال ^(٥) ما يكتفي به ، ثم سقوها العلكل بعد النهل ^(٦) ؛ ثم صرؤا آذان الإبل وكعموها ، وخلوا أديارها ، ثم ركبوها من قراقرم فتوزين إلى سؤى - وهي على جانبها الآخر ممّا يلي الشام - فلما ساروا يوماً افتظوا ^(٧) لكل عدة من الخيل عشرة من تلك الإبل فزجوا ما في كروشها بما كان من الألبان ، ثم سقوا الخيل ، وشربوا للشفة جرّعاً ، ففعلوا ذلك أربعة أيام .

٢١١٣/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَفَّر ابن ثعلبة ؛ عن حدثه من بكر بن وائل ، أن مُحَرَّر بن حَرِيش المحاربي قال لخالد : اجعل كوكب الصبح على حاجبك الأيمن ، ثم أمّه تفض إلى سؤى ؛ فكان أدلّهم .

قال أبو جعفر الطبري : وشاركهم محمد وطلحة ، قالوا : لما نزل بسؤى وخشي أن يفضحهم حرّ الشمس ، نادى خالد رافعاً : ما عندك ؟ قال :

(١) س : « قالوا » .

(٢) الفذ : الفرد .

(٣) ز ، س : « الحسنة » .

(٤) ز : « وقع فيه » .

(٥) الظم : حبس الإبل عن الماء إلى غاية الإرد ، والشارف : الناقة التي قد أسنت ، وجمعه

شرف . وجلة الإبل : مساتها .

(٦) قال الأصمعي : إذا وردت الإبل الماء فالسقية الأولى النهل والثانية العلكل .

(٧) يقال : افتظ رجل كرش بعيره إذا فحره فاعتصر مائه وصفاه .

خير، أدركتم الرئي^(١)، وأنتم على الماء ! وشجعهم وهو متحير أرمداً، وقال :
أيها الناس، انظروا علمتين كأنهما ثديان . فأتوا عليهما وقالوا : علمان ،
فقام عليهما فقال : اضربوا بمئة ويسرة^(٢) - لعوسجة^(٣) كقعدة الرجل -
فوجدوا جذعها ، فقالوا : جذم ولا نرى شجرة ، فقال : احتفروا حيث
شتم ، فاستثاروا أوشالاً وأحساء رواء^(٤) . فقال رافع : أيها الأمير ، والله
ما وردت هذا الماء منذ ثلاثين سنة ، وما وردته إلا مرة وأنا غلام مع أبي .
فاستعدوا ثم أغاروا والقوم لا يرون أن جيشاً يقطع إليهم . ٢١١٤/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن
إسحاق بن إبراهيم ، عن ظفر بن دهي ، قال : فأغار بنا خالد من سوى على
مصيخ بهراء بالقصوانى - ماء من المياه - فصبح المصيخ والنمر ، وإنهم
لغارون ، وإن رفقة لتشرب في وجه الصبح ، وساقبهم يغنيهم ، ويقول :
« أأصبحتني قبل جيش أبي بكر :

فضربت عنقه . فاختلط دمه بخمره .

كتب إلى السرى . عن شعيب . عن سيف ، عن عمرو بن محمد بإسناده
الذي تقدم ذكره ، قال : ولما بلغ غسان خروج خالد على سوى وانتسافها ،
وغارته على مصيخ بهراء وانتسافها . فاجتمعوا بمرج زاهط ، وبلغ ذلك
خالدًا ، وقد خالف تغور الروم وجنودها ممًا إلى العراق ، فصار بينهم
وبين اليرموك ، صمد ثم : فخرج من سوى بعد ما رجع إليها بسبب بهراء ،
فتزل الرمانتين - عاصمين على الطريق - ثم نزل الكشب : حتى صار إلى
دمشق ، ثم مرج الصفر . فلقى عليه غسان وعليهم الحارث بن الأيهم .
فانتسف عسكرهم وعياليتهم . ونزل بالمرج أيامًا ، وبعث إلى أبي بكر
بالأخماس مع بلال بن الحارث المزني ، ثم خرج من المرج حتى ينزل
قناة بصرى : فكانت أول مدينة افتتحت بالشام على يدى خاند ٢١١٥/١

(١) : أدركتم الرئي .

(٢) : العرج : ضرب من الشجر كثير الشوك ، وله ثمر أحمر مدور كأنه المقيق .

فيمن معه من جنود العراق ، وخرج منها ، فوافى المسلمين بالواقوسة ، فنازلهم بها في تسعة آلاف .

كتب إلى السري . عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب ، قالوا : ولما رجع خالد من حجه وافاه كتاب أبي بكر بالخروج في شطر الناس ، وأن يخلف على الشطر الباقي المثنى بن حارثة ، وقال : لا تأخذن نجداً إلا خلقت له نجداً ، فإذا فتح الله عليكم فاردوهم إلى العراق ، وأنت معهم ، ثم أنت على عمالك ؛ وأحضر خالد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واستأثر بهم على المثنى ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القنعة ممن لم يكن له صحبة ، ثم نظر فيمن بقي ، فاختلف^(١) من كان قد قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وافداً أو غير وافد ، وترك للمثنى أعدادهم من أهل القنعة ؛ ثم قسم الجند نصفين ، فقال المثنى : والله لا أقيم إلا على إنفاذ أمر أبي بكر كله في استصحاب نصف الصحابة أو بعض النصف ؛ وبالله ما أرجو النصر إلا بهم ، فأنى تعريني منهم ! فلما رأى ذلك خالد بعد ما تلكأ عليه أعاضه منهم حتى رضى ، وكان فيمن أعاضه^(٢) منهم فرات بن حيّان العجلي ، وبشير بن الخصاصة والحارث بن حسان الدهليان ، ومعبد بن أمّ معبد الأسلمي ، وعبد الله بن أبي أوفى الأسلمي ؛ والحارث بن بلال المزني ، وعاصم بن عمرو التميمي ؛ حتى إذا رضى المثنى وأخذ حاجته ، انجذب خالد فضى لوجهه وشيعه المثنى إلى قراقر ، ثم رجع إلى الحيرة في المحرم ، فأقام في سلطانه ، ووضع في المسلحة التي كان فيها على السيب أخاه ، ومكان ضرار بن الخطاب عتية بن النّهاس ، ومكان ضرار بن الأزور مسعوداً أخاه الآخر ، وسدّ أماكن كل من خرج من الأمراء برجال أمثالهم من أهل الغناء ، ووضع مذعور بن عدى في بعض تلك الأماكن . واستقام أهل فارس - على رأس سنة من مقدم خالد الحيرة ؛ بعد خروج خالد بقليل ؛ وذلك في سنة ثلاث عشرة - على شهر برّاز بن أردشير بن شهریار ممن يناسب^(٣) إلى كسرى ، ثم إلى سابور . فوجه إلى المثنى جنداً عظيماً عليهم هرْمُز جاذويّه

(١) اختلجهم: طوح بهم وأطارهم . (٢) من: أعانته به . (٣) ز: تنسب .

في عشرة آلاف ، ومعه فيل ، وكتبت المسالحي إلى المثنى بإقباله ، فخرج المثنى من الحيرة نحوه ، وضم إليه المسالحي ، وجعل على مجنبتيه المعننى ومسعوداً ابنتى حارثة ، وأقام^(١) له ببابل ، وأقبل هُرمز جاذويه ، وعلى مجنبتيه الكوكب والحر كُبد . وكتب إلى المثنى : من شهر براز إلى المثنى ؛ إني قد بعثت إليك جنداً من وخش أهل فارس^(٢) ، إنما هم رعاة الدجاج والخنازير ؛ ولست أقاتلك إلا بهم . فأجابه المثنى : من المثنى إلى شهر براز ؛ إنما أنت أحد رجلين : إما باغٍ فلذلك شرٌّ لك وخيرٌ لنا ، وإما كاذب فأعظم الكذابين عقوبةً وفضيحة عند الله في الناس الملوك . وأما الذى يدلنا عليه رأى ؛ فإنكم إنما اضطرتهم إليهم ؛ فالحمد لله الذى ردّ كيدهم إلى رعاة الدجاج والخنازير . فجزع أهل فارس من كتابه ، وقالوا : إنما أتى شهر براز من شؤم مولده ولؤم منشئه — وكان يسكن ميسان — وبعض البلدان شينٌ على مَنْ يسكنه . وقالوا له : جرأت علينا عدونا بالذى كتبت به إليهم ؛ فإذا كاتبته أحدنا فاستشر . فالتقوا ببابل . فاقتلوا بعدوة الصرة الدنيا على الطريق الأول قتالا شديداً .

٢١١٧/١

ثم إن المثنى وناساً من المسلمين اعتوروا الفيل — وقد كان يفرق بين الصفوف والكراديس — فأصابوا مقتله ، فقتلوه وهزموا أهل فارس ، واتبعهم المسلمون يقتلونهم ، حتى جازوا بهم مسالحتهم ، فأقاموا فيها ، وتبع الطالب الفالّة ؛ حتى انتهوا إلى المدائن ؛ وفي ذلك يقول عبدة بن الطبيب السعدى ، وكان عبدة قد هاجر لهاجرة حليلة له حتى شهد وقعة بابل ؛ فلما آيسته رجع إلى البادية . فقال :

٢١١٨/١

هَلْ حَبْلٌ خَوْلَهُ بَعْدَ الْبَيْنِ مَوْصُولٌ أَمْ أَنْتَ عَنْهَا بَعِيدُ الدَّارِ مَشْغُولٌ^(٣)
وَلِلْأَجْبَسَةِ أَيَّامٌ تَذْكُرُهَا وَلِلنَّوَى قَبْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ تَأْوِيلٌ^(٤)

(١) س : « وأقام » .

(٢) الوحش : رذال الناس .

(٣) من قصيدة مفضلية ؛ المفضليات ١٣٥ - ١٤٥ .

(٤) تذكرها : تذكرها أنت . تأويل : علامات تبين لك أن البين سيقع .

حَلَّتْ خُوَيْلَةَ فِي حَيٍّ عَهْدَتْهُمْ دُونَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدِّيْكُ وَالْفِيلُ
يُقَارِعُونَ رُمُوسَ الْعُجَمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسٌ، لَا عَزْلٌ وَلَا مِيلٌ^(١)

القصيدة . وقال الفرزدق يعدد بيوتات بكر بن وائل وذكر المثنى وقتلته

٢١١٩/١

الفيل :

وَيَتُّ الْمُتَى قَاتِلِ الْفِيلِ عَنُوةً بِيَابِلَ إِذْ فِي فَارِسٍ مُلْكُ بَابِلِ^(٢)

ومات شهر براز منهزمَ هرمز جاذويه .

واختلف أهل فارس ، وبقي ما دون دِجْلَةَ وَبُرْسَ من السَّوَادِ فِي يَدِي
المُتَى والمسلمين .

* * *

ثم إنَّ أهل فارس اجتمعوا بعد شهر براز على دُخْتُ زَنَانِ ابنة كسرى ؛
فلم ينفذ لها أمرٌ فخلعت .

ومُلْكُ سابور بن شهر براز . قالوا : ولما ملك سابور بن شهر براز قام
بأمره الفَرَّخَزَادَ بن الِيسَنْدَوَانَ ، فسأله أن يزوجه آزرَ مِيدُخْتِ ابنة
كِسْرَى ، ففعل ، فغضبت من ذلك ، وقالت : يا بن عَمِّ ، أَتَزَوَّجُنِي
عَبْدِي ! قال : استحيي من هذا الكلام ولا تعيده علي ، فإنه زوجك ،
فبعثت إلى سِياوْخَشِ الرَّازِيَّ -- وكان من فِتَّاكِ الأعاجم -- فشكَّت إليه
الَّذِي تخاف ، فقال لها : إن كنتِ كارهة لهذا فلا تعاوديه قيه ، وأرسلني
إليه وقول له : فليقل له فليأتك ؛ فأنا أكفيكه . ففعلت وفعل ؛ واستعدَّ
سِياوْخَشُ ، فلما كان ليلة العُرْسِ أَقْبَلَ الفَرَّخَزَادَ حَتَّى دَخَلَ ، فثار به
سِياوْخَشُ فقتله ومَنَّ معه ، ثم نهَّدَ بها معه إلى سابور ، فحضرته ثم دخلوا عليه
فقتلوه . ومُلْكُ آزرَ مِيدُخْتِ بنت كسرى ، وتشاغوا بذلك ؛ وأبطأ خبر
أبي بكر على المسلمين فخلَّفت المثنى على المسلمين بشير بن الحِصَاصِيَّةِ ،
ووضع مكانه في المسالح سعيدَ بن مُرَّةَ العِجْلِيَّ ؛ وخرج المثنى نحو أبي بكر
ليخبره خبر المسلمين والمُشْرِكِينَ ، وليستأذنه في الاستعانة بِمَنْ قد ظهرت

٢١٢٠/١

(١) العزل : جمع أعزل ؛ وهو الذي لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ؛ وهو السيئ الركوب .

(٢) ديوانه ٦٦٩

توبته وندمه من أهل الردة ممن يستطعمه الغزو^(١) ، وليخبره أنه لم يخلف أحداً أنشط إلى قتال فارس وحربها ومعونة المهاجرين منهم . فقدم المدينة وأبو بكر مريض ، وقد كان مرض أبو بكر بعد مخرج خالد إلى الشام — مَرَضَتَهُ التي مات فيها — بأشهر ؛ فقدم المثنى وقد أشفى ، وعقد لعمر ، فأخبره الخبر ، فقال : عليّ بعمر ، فجاء فقال له : اسمع يا عمر ما أقول لك ، ثم اعمل به ؛ إنني لأرجو أن أموت من يومى هذا — وذلك يوم الاثنين — فإن أناميت فلا تمسين حتى تندب الناس مع المثنى ، وإن تأخرت إلى الليل فلا تُصْبِحَنَّ حتى تندب الناس مع المثنى ، ولا تشغلنكم مصيبة وإن عَظُمَتْ عن أمر دينكم ، ووصية ربكم ؛ وقد رأيتني^(٢) متوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما صنعت ، ولم يصب الخلق بمثله ؛ وبالله لو أنني أنبي عن أمر رسوله لخذلنا ولعاقبنا ، فاضطربت المدينة ناراً . وإن فتح الله على أمراء الشام فاردُّ أصحاب خالد إلى العراق . فإنهم أهلُه وولاء أمره وحدَه^(٣) وأهل الضراوة منهم^(٤) والجراءة عليهم .

ومات أبو بكر رحمه الله مع الليل ، فدفنه عمرُ ليلاً ، وصلى عليه في المسجد ، وندب الناس مع المثنى بعد ما سوَّى على أبي بكر ، وقال عمر : كان أبو بكر قد علم أنه يسوءني أن أؤمر خالدًا على حرب العراق ؛ حين أمرني بصرف أصحابي ، وترك ذكره .

٢١٢١/١

قال أبو جعفر : وإلى آزر ميدخت انتهى شأن أبي بكر ، وأحدُ شِقَيقِي السَّوَادِ في سلطانه . ثم مات وتشاغل أهلُ فارس فيما بينهم عن إزالة المسلمين عن السَّوَادِ ، فيما بين ملك أبي بكر إلى قيام عمر ورجوع المثنى مع أبي عبيد إلى العراق . والجمهور من جُنْدِ أهل العراق بالحيرة ، والمسالخ بالسَّيْبِ ، والغارات تنتهي بهم إلى شاطئ دِجْلَةٍ ، ودجلة حجاز بين العرب والعجم . فهذا حديث العراق في إمارة أبي بكر من مبتدئه إلى منتهاه .

* * *

(٢) س : « رأيتني » .

(١) ز : « استطعمه العدو » .

(٤) كذا في ز ، وفي ط : « بهم » .

(٣) ز : « وجده » .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق^(١). وكتب أبو بكر إلى خالد وهو بالحيرة ، يأمره أن يمدّ أهل الشام بمن معه من أهل القوة ، ويخرج فيهم ، ويستخلف على ضعفة الناس رجلا منهم ؛ فلما أتى خالد كتاب أبي بكر بذلك ، قال خالد : هذا عمل الأعبس بن أمّ شملة - يعنى عمر ابن الخطاب - حسدنى أن يكون فتح العراق على يديّ. فسار خالد بأهل القوة من الناس وردّ الضعفاء والنساء إلى المدينة ؛ مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر عليهم عمير بن سعد الأنصارى ، واستخلف خالد على من أسلم بالعراق من ربيعة وغيرهم المثني بن حارثة الشيباني . ثم سار حتى نزل على عيين التمر ، فأغار على أهلها ، فأصاب منهم ، ورابط حصنًا بها فيه مقاتلة كان كسرى وضعهم فيه حتى استنزهم ، فضرب أعناقهم ، وسبى من عيين التمر ومن أبناء تلك المربطة سبايا كثيرة ، فبعث بها إلى أبي بكر ؛ فكان من تلك السبايا أبو عمرة مولى شبان ؛ وهو أبو عبد الأعلى بن أبي عمرة ، وأبو عبيدة مولى الملقى . من الأنصار من بنى ذريق ، وأبو عبد الله مولى زهرة ، وخير مولى أبي داود الأنصارى ثم أحد بنى مازن بن النجار ، ويسار وهو جدّ محمد بن إسحاق مولى قيس بن مسحرة بن المطلب بن عبد مناف ، وأفلح مولى أنى أيوب الأنصارى ثم أحد بنى مالك بن النجار ، وحمران ابن أبان مولى عثمان بن عفان . وقتل خالد بن الوليد هلال بن عقة ابن بشر التميمى وصاحبه بعين التمر ، ثم أراد السير نحوًا من قنبر - وهو ماء لكلب إلى سوى ، وهو ماء لبهاء بينهما خمس ليال - فلم يبتدِ خالد الطريق ، فالتمس دليلا ، فدلّ على رافع بن عميرة الطائي ؛ فقال له خالد : انطلق بالناس ، فقال له رافع : إنك لن تطيق ذلك بالليل والآنقال ؛ والله إن راكب المفرد ليخافها على نفسه وما يسلكها إلا مغرّرا ؛ إنها الخمس ليال جياذ لا يُصاب فيها ماء مع مصلتها . فقال له خالد : ويحك ! إنه والله إن لى بدّ من ذلك ، إنه قد أتني من الأمير عزيمة بذلك ، فمر بأمرك^(٢). قال : استكروا من الماء ؛ من استطاع منكم أن يصير أذن ناقته على ماء فليفعل ؛

(١) انظر أول الحديث ص ٤١٥ .

(٢) من : « فمر بأمرك » .

فإنها المهالك إلا ما دفع الله ؛ ابغني عشرين جزوراً عظاماً سماناً مساناً^(١) .
فأتاه بهن خالد ، فعمد إليهن رافع فظماً هن ، حتى إذا أجهدهن عطشاً
أوردهن فشرين حتى إذا تملأن^(٢) عمد إليهن ، فقطع مشافهن^(٣) ، ثم
كعمهن لئلا يجترن ، ثم أخلى أديارهن .

ثم قال لخالد : سر ؛ فسار خالد معه مُغِذاً بالخيول والأثقال ؛ فكُلِّمًا
نزل منزلاً افتظ^(٤) (٣) أربعاً من تلك الشوارف ؛ فأخذ ما في أكراشها ، فسقاه
الخليل ؛ ثم شرب الناس مما حملوا معهم من الماء ؛ فلما خشي خالد على
أصحابه في آخر يوم من المفازة قال لرافع بن عمية وهو أرمد : ويحك يا رافع !
ما عندك ؟ قال أدركت الرى إن شاء الله ؛ فلمّا دنا من العلميين ، قال
للناس : انظروا هل ترون شُجيرة من عَوْسج كقِعدة الرجل ؟ قالوا : ما نراها .
قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! هل كنتم والله إذاً وهلكت ؛ لأبألكم ! انظروا ،
فطلبوا فوجدوها قد قطعت وبقيت منها بقية ، فلمّا رآها المسلمون كبروا وكبّر
رافع بن عمية ؛ ثم قال : احفروا في أصلها ، فحفروا فاستخرجوا عيناً ،
فشربوا حتى روى الناس ، فاتصلت بعد ذلك لخالد المنازل ، فقال رافع :
والله ما وردت هذا الماء قط إلا مرة واحدة ، وردته مع أبى وأنا غلام ، فقال
شاعر من المسلمين :

لله عينا رافع أنى اهتدى^(٤) فوز من قراقر إلى سوى !
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى^(٥) ما سارها قبلك إنسى يرى^(٦)

فلما انتهى خالد إلى سوى ، أغار على أهله - وهم بهراء - قبيل
الصبح ، وناس منهم يشربون خمراً لهم في جفنة قد اجتمعوا عليها ،
ومغنيهم يقول :

ألا علاني قبل جيش أبى بكر
اعل مثايانا قريب وما ندرى

(١) ز : « مشارف » .

(٢) ز : « تملأن » .

(٣) اقتضاها : عصماء كروثها .

(٤) ياقوت ٥ : ١٥٧ ، وروايته : « لله در رافع » .

(٥) ياقوت : « سارها الجيش » .

(٦) ياقوت : « من قبها إنسى يرى » .

أَلَا عَلَّلَانِي بِالزُّجَاجِ وَكَرَّرَا عَلَى كُمَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةً تَجْرِي
 أَلَا عَلَّلَانِي مِنْ سُلاَفةِ قَهْوَةٍ تَسْلَى هُمُومَ النَّفْسِ مِنْ جَيْدِ الْخَمْرِ
 أَظُنُّ خِيْلَ الْمُسْلِمِينَ وَخَالِدًا سَطَرُكُمْ قَبْلَ الصَّبَاحِ مِنَ الْبِشْرِ^(١)
 فَهَلْ لَكُمْ فِي السَّيْرِ قَبْلَ قِتَالِهِمْ وَقَبْلَ خُرُوجِ الْمَعْرَاتِ مِنَ الْخِذْرِ^(٢)!

فيزعمون أن مغنيهم ذلك قتل تحت الغارة ، فسأل دمه في تلك الحفنة .
 ثم سار خالد على وجهه ذلك ، حتى أغار على غسان بمرج راهط ، ثم ٢١٢٥/١
 سار حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيط بن
 حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، فاجتمعوا عليها ، فربطوها حتى صالحت
 بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين ، فكانت أول مدينة من
 مدائن الشام فتحت في خلافة أبي بكر . ثم ساروا جميعاً إلى فلسطين
 مدداً لعمر بن العاص ، وعمر بن مقيم بالعربات من غور فلسطين ،
 وسمعت الروم بهم ، فأنكشفوا عن جبلت إلى أجنادين ، وعليهم تذارق
 أخو هيرقل لأبيه وأمه - وأجنادين بلد بين الرملة وبيت جبرين من أرض
 فلسطين - وسار عمرو بن العاص حين سمع بأبي عبيدة بن الجراح وشرحبيط
 ابن حسنة ويزيد بن أبي سفيان حتى لقيهم ، فاجتمعوا بأجنادين ، حتى
 عسكروا عليهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، أنه قال : كان على
 الروم رجل منهم يقال له القبطلار ، وكان هيرقل استخلفه على أمراء الشام
 حين سار إلى القسطنطينية ، وإليه انصرف تذارق بمن معه من الروم .
 فأما علماء الشام فيزعمون أنما كان على الروم تذارق . والله أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : لما تدانى العسكران بعث

(١) النويري وابن الأثير : « مع النسر » . (٢) المعصر : الجارية التي راقت العشرين .

٢١٢٦/١ القُبُقْلَارُ رَجُلًا عَرَبِيًّا - قال : فحدثت أن ذلك الرجل رجلٌ من قضاة ، من يزيد بن حنيد أن ، يقال له ابن هزارف - فقال : ادخل في هؤلاء القوم فأقم فيهم يوماً وليلة ، ثم اثنى بخبرهم . قال : فدخل في الناس رجلٌ عربى لا ينكر ؛ فأقام فيهم يوماً وليلة ، ثم أتاه فقال له : ما وراءك ؟ قال : بالليل رهبان ، وبالنهار فرسان ، ولو سرق ابنُ ملكهم قطعوا^(١) يده ، ولو زنى رُجم ؛ لإقامة الحق فيهم . فقال له القُبُقْلَارُ : لئن كنت صدقتنى لبطنُ الأرض خيرٌ من لقاء هؤلاء على ظهرها^(٢) ، ولوددتُ أن حظى من الله أن يخلتنى بينى وبينهم ، فلا ينصرون عليهم ، ولا ينصرهم على . قال : ثم تراحف الناس ، فاقتتلوا ، فلما رأى القُبُقْلَارُ ما رأى من قتال المسلمين ؛ قال للروم : لفقوا رأسي بثوب ، قالوا له : لِمَ ؟ قال : يوم البئس ، لا أحب أن أراه ! ما رأيت في الدنيا يوماً أشدَّ من هذا ! قال : فاحترَّ المسلمون رأسه ، وإنه لملقف .

وكانت [وقعة] ^(٣) أجنادين في سنة ثلاث عشرة للبتين بقيستاً من جمادى الأولى . وقتل يومئذ من المسلمين جماعة ؛ منهم سلمة بن هشام ابن المغيرة ، وهبار بن الأسود بن عبد الأسد ، ونعيم بن عبد الله النحام ، وهشام بن العاصي بن وائل ، وجماعة أخر من قريش . قال : ولم يسم لنا من الأنصار أحدٌ أصيب بها .

٢١٢٧/١ وفيها توفى أبو بكر لثمان ليالٍ بقين - أوسبع بقين - من جمادى الآخرة .

• • •

رجع الحديث إلى حديث أبي زيد ، عن علي بن محمد بإسناده الذي قد مضى^(١) ذكره . قال : وأتى خالدٌ دمشق فجمع له صاحب بصرى ، فسار إليه هو وأبو عبيدة ، فلقيتهم أدرجاً ، فظفّر بهم . وهرمهم ؛ فدخلوا حصنهم ؛ يطلبوا الصلح ، فصالحهم على كل رأس دينار في كل عام وجرب حظرة . ثم رجع العدو للمسلمين ، فتوافست جنود المسلمين والروم

(١) ل : « قطعت » . (٢) ل : « ظهورها » .

(٣) س : وابن كثير . (٤) انظر أول خبر أبي زيد ص ٤٠٦ .

بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ؛ فظهر المسلمون ، وهزم الله المشركين ، وقتل خليفة هيرقل ، واستشهد رجال من المسلمين ؛ ثم رجع هيرقل للمسلمين ، فالتقوا بالواقصة فقاتلهم ؛ وقتلهم العدو ، وجاعتهم وفاة أبى بكر وهم مصافون وولاية أبى عبيدة ، وكانت هذه الواقعة فى رجب .

[ذكر مرض أبى بكر ووفاته]

حدثني أبو زيد ؛ عن علي بن محمد ، بإسناده الذى قد مضى ذكره ؛ قالوا : توفى أبى بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة فى جمادى الآخرة يوم الاثنين لثمان بقين منه . قالوا : وكان سبب وفاته أن اليهود سمته فى أرزة ، ويقال فى جذيدة ، وتناول معه الحارث بن كلدة منها ، ثم كفى وقال لأبى بكر : أكلت طعاماً مسموماً سم سنة . فأتت بعد سنة ، ومرض خمسة عشر يوماً ، فقل له : لو أرسلت إلى الطبيب ! فقال : قد رآنى ، قالوا : فما قال لك ؟ قال : إننى أفعل ما أشاء .

قال أبو جعفر : ومات عتاب بن أسيد بمكة فى اليوم الذى مات فيه أبو بكر - وكانا سماً جميعاً - ثم مات عتاب بمكة .

وقال غير من ذكرت فى سبب مرض أبى بكر الذى توفى فيه ، ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أسامة بن زيد الليثي ، عن محمد بن حمزة ، عن عمرو ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال . وأخبرنا عمر بن عمران بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق ، عن عمر بن الحسين مولى آل مظعون ، عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر ، قالوا : كان أول ما بدأ مرض أبى بكر به أنه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً فحم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى الصلاة ؛ وكان يأمر عمر بن الخطاب أن يصلى بالناس ؛ ويدخل الناس يعودونه ؛ وهو يشغل كل يوم ، وهو نازل فى داره

التي قطع له رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وجّاه^(١) دار عثمان بن عفان اليوم ، وكان عثمان ألزمهم له في مرضه ؛ وتوفى أبو بكر مُسْنًى ليلة الثلاثاء ؛ لثمان ليال بقين من جُمَا دى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة . وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال . قال : وكان أبو معشر يقول : كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، فتوفى ، وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ مجتمّع على ذلك في الروايات كلّها ، استوفى سنّ النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكر وُلِدَ بعد الفيل بثلاث سنين^(٢) .

٢١٢٩/١ حدثنا ابنُ حميد ، قال حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، قال : قال سعيد بن المسيّب : استكمل أبو بكر بخلافته سنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فتوفى وهو بسنّ النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو نُعَيْم ، عن يونس بن إسحاق ، عن أبي السَّقر ، عن عامر ، عن جرير ، قال : كنت عند معاوية فقال : توفى النَّبِيّ صَلَّى الله عليه وسلّم وهو ابنُ ثلاث وستين سنة ، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة .

وحدثنا أبو الأحوص ، عن أبي إسحاق ، عن عامر بن سعد^(٣) ، عن جرير ، قال : قال معاوية : قبض رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو ابن ثلاث وستين ، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين ، وتوفى أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين .

وقال عليّ بن محمد في خبره الذي ذكرت عنه : كانت ولاية أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ويقال : عشرة أيام .

==

(١) وجّاه ، أى تجاه . (٢) طبقات ابن سعد . ٣ : ٢٠٢

(٣) ط : « سعيد » ، وانظر التصويبات .

ذكر الخبر عن غسله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر ومن صلى عليه
والوقت الذي صلى عليه فيه والوقت الذي توفي فيه

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال :
حدثني مالك بن أبي الرَّحَال^(١) ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : توفي
أبو بكر رحمه الله بين المغرب والعشاء .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، عن محمد بن
عبد الله ، عن عطاء وابن أبي مُسَيْكَةَ ، أَنَّ أَسْمَاءَ بنتَ عُمَيْسٍ ، قالت :
قال لي أبو بكر : غَسِّلْنِي ، قلت : لا أطيق ذلك ، قال : يعينك عبد الرحمن
ابن أبي بكر ، يصب الماء .

حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، قال : أخبرنا مُعَاذُ بن مُعَاذٍ
ومحمد بن عبد الله الأنصاري ، قالا : حدثنا الأشعث ، عن عبد الواحد بن
صَبْرَةَ ، عن القاسم بن محمد ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصَّدِيقَ أَوْصَى أَنْ تَغْسِلَهُ امْرَأَتُهُ
أَسْمَاءُ ؛ فَإِنْ عَجَزَتْ أَعَانَهَا ابْنَتُهُ مُحَمَّدٌ . قال ابن سعد : قال محمد بن عمر :
وهذا الحديث وهيل ؛ وإنما كان لمحمد يوم تُوُفِّيَ أبو بكر ثلاث سنين^(٢) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا ابن عُسَيْمَةَ ، عن عمرو بن دينار ،
عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، سألتها أبو بكر ؛ في كم كُفِّنَ النَّبِيُّ صَلَّى
الله عليه وسلَّم ؟ قالت : في ثلاثة أثواب ، قال : اغسلوا ثوبَيَّ هذين -
وكانا ممشَقَيْنِ^(٣) - وابتاعوا لي ثوبًا آخر . قلت : يا أبتَه ، إِنَّا
موسرون ، قال : أَيُّ بُنْيَةٍ ، الحَيُّ أَحَقُّ بِالْجَدِيدِ مِنَ الْمَيِّتِ ، وَإِنَّمَا هُمَا
لِلْمُهْلَةِ^(٤) وَالصَّدِيدِ .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرنا أبي قال : حدثنا الأوزاعي ؛

(١) ط : « عن أبي الرجال » ، والصواب ما أثبتته من طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣ : ٢٠٣ . (٣) الثوب الممشق : المصبوغ بالمغرة .

(٤) المهلة : مثلثة الميم : اتقيح والصديد الذي ينوب من الجسد . وانظر نهاية ابن الأثير .

قال : حدثني عبد الرحمن بن القاسم ؛ أن أبا بكر توفّيَ عشاءً بعد ما غابت الشمس ليلةَ الثلاثاء ، ودفن ليلاً ليلة الثلاثاء .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا غَسَّام ، عن هشام ، عن أبيه ، أن أبا بكر مات ليلة الثلاثاء ودفن ليلاً .

حدثني أبو زيد ، عن عليّ بن محمد بإسناده الذي قد مضى ذكره ، أن أبا بكر حُمِلَ على السرير الذي حُمِلَ عليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وصلى عليه عمر في مسجد رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، ودخل قبره عمر ، وعثمان ؛ وطلحة ؛ وعبد الرحمن بن أبي بكر ؛ وأراد عبد الله أن يدخل قبره . فقال له عمر : كُفَيْت .

قال أبو جعفر : وكان أوصى — فيما حدثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبيرة ، عن عمر بن عبد الله — يعني ابن عروة — أنه سمع عروة والقاسم بن محمد يقولان : أوصى أبو بكر عائشة أن يُدفن إلى جنب النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، فلما توفّيَ حُفِرَ له ، وجعل رأسه عند كتيفتي رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، وألصقوا اللحدَ يلحدُ النبي صَلَّى الله عليه وسلم فقبره هناك ^(١) .

٢١٣١/١

قال الحارث : حدثني ابنُ سعد ، قال : وأخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني ابنُ عثمان ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، قال : جعل رأس أبي بكر عند كتفي رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، ورأس عمر عند حَقْوِي أبي بكر ^(٢) .

حدثني عليّ بن مسلم الطوسي ، قال : حدثنا ابنُ أبي فُدَيْك ، قال : أخبرني عمرو بن عثمان بن هانئ ، عن القاسم بن محمد ، قال : دخلتُ على عائشة رضي الله تعالى عنها ، فقلت : يا أمّه ، اكشفي لي عن قبر النبي صَلَّى الله عليه وسلم وصاحبيه ؛ فكشفت لي عن ثلاثة قبور ، لا مُشْرِفَة ولا لاطئة ، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء ؛ قال : فرأيتُ قبرَ النبي صَلَّى

الله عليه وسلم مقدّمًا وقبر أبي بكر عند رأسه ، وعمر رأسه عند رجله النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن عمرو بن أبي عمرو ، عن المطّلب بن عبد الله بن حنطلب ، قال : جعل قبر أبي بكر مثل قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسطّحًا ، ورش عليه الماء ، وأقامت عليه عائشة النّوح^(١) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب : قال : حدثني سعيد بن المسيّب ، قال : لما تُوفّي أبو بكر رحمه الله أقامت عليه عائشة النّوح ، فأقبل عمر بن الخطّاب حتى قام ببابها ، فهاهنا عن البكاء على أبي بكر ، فأبى أن يتهم ، فقال عمر ٢١٣٢/١ هشام بن الوليد : ادخل فأخرج إلى ابنة أبي قحافة : أخت أبي بكر ، فقالت عائشة هشام حين سمعت ذلك من عمر : إني أخرج^(٢) عليك بيتي . فقال عمر هشام : ادخل فقد أذنت لك ، فدخل هشام فأخرج أمّ فروة أخت أبي بكر إلى عمر ، فعلاها بالدرة ، فضربها ضربات ، فتمزق النّوح حين سمعوا ذلك .

وتمثّل في مرضه — فيما حدثني أبو زيد ، عن عليّ ابن محمد بإسناده — الذي توفّي فيه :

وَأَكَلْتُ ذِي إِبِلٍ مَّوْرُوثُ كُلُّ ذِي سَلَبٍ مَسْلُوبُ^(٣)

وَكُلُّ ذِي غِيَةِ يَكُوبُ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَثُوبُ

وكان آخر ما تكلم به ، رَبِّ تَوَقَّيْ مُسْلِمًا وَالْحَقِّيْ بِالْصَّالِحِينَ .

(١) طريقات ابن سعد ٣ : ٢٠٩ . (٢) أخرج عليك : أي أمدك من دخول بيتي .

(٣) نسخة من الأبيات : ديوانه ١٣ .

ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله

حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا شعيب بن ^(١) طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، عن أبيه ، عن عائشة ، رضى الله تعالى عنها ، أنها نظرت إلى رجل من العرب مرّوهى في هودجها ، فقالت : ما رأيت رجلاً أشبه بأبي بكر من هذا ، فقلنا لها : صني أبا بكر ، فقالت : رجل أبيض نحيف خفيف العارضين ، أجشاً ^(٢) لا يستمسك إزاره ، يسترخى عن حَقْوَيْهِ ^(٣) ، معروق ^(٤) الوجه ، غائر العينين ، ناثئ الجبهة ، عارى الأشاجع ^(٥) .

وأما عليّ بن محمد ؛ فإنه قال في حديثه الذى ذكرت إسناده قَبْلُ : ٢١٣٣/١ إنه كان أبيضَ يخالطه صُفْرَةٌ ، حسنَ القامة ، نحيفاً أجشاً ، رقيقاً عتيقاً ، أفنى ، معروق الوجه ، غائر العينين ، حَمَشٌ ^(٦) الساقين ، محوص الفخذين ، يخضب بالحناء والكتّم . وكان أبو قحافة حين تُوُفِّيَ حياً بمكة ، فلما نُعِيَ إليه قال : رُزءٌ جليل !

• • •

ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يُعرف به

حدثني أبو زيد ، قال : حدثنا عليّ بن محمد بإسناده الذى قد مضى ذكره ، أنهم أجمعوا على أن اسم أبي بكر عبد الله ، وأنه إنما قيل له عتيق عن عتقه ^(٧) . قال : وقال بعضهم : قيل له ذلك ؛ لأنّ النبیّ صلّى الله عليه وسلّم ، قال له : أنت عتيق من النار .

(١) ط - « عن طلحة » ، وانظر ص ٢٧٣ س ٦ (لیدن) .

(٢) الأجش : الأحذب ؛ وفي ط : « أحنى » ، وما أثبتته من النويرى وطبقات ابن سعد .

(٣) الحقو : الخصر . (٤) المعروق : القليل اللحم .

(٥) الأشاجع : أصول الأصابع التى تتصل بعصب ظاهر الكف . والخبر في طبقات ابن سعد

٢ : ١٨٨ . (٦) حمش الساقين : دقيقهما . (٧) عن هنا ؛ بمعنى اللام ، أى لعتقه .

حدثني الحارثُ ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا إسحاق بن يحيى بن طلحة ، عن معاوية بن إسحاق ، عن أبيه ، عن عائشة ، أنها سألت : لِمَ سُمِّيَ أبو بكر عتيقاً ؟ فقالت : نظر إليه النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم يوماً ، فقال : هذا عتيق الله من النار^(١) .

واسم أبيه عثمان ، وكنيته أبو قُحافة ، قال : فأبو بكر عبد الله بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي ابن غالب بن فهر بن مالك ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة .

وقال الواقدي : اسمه عبد الله بن أبي قُحافة - واسمه عثمان - بن عامر . وأمه أم الخير ، واسمها سَلَمَى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مُرَّة .

وأما هشام ، فإنه قال - فيما حدثت عنه - إن اسم أبي بكر عتيق ابن عثمان بن عامر .

٢١٣٤/١

وحدثني يونس ، قال أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن لهيعة ، عن عُمارة بن غزيرة ، قال : سألتُ عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق ، فقال : عتيق ؛ وكانوا إخوة ثلاثة بنى أبي قُحافة : عتيق ومعتق وعُتَيْق .

* * *

ذكر أسماء نساء أبي بكر الصديق رحمه الله

حدث علي بن محمد ، عن حدثه ومن ذكرت من شيوخه ، قال : تزوج أبو بكر في الجاهلية قُتَيْلَةَ - ووافقه على ذلك الواقدي والكلبي - قالوا : وهي قُتَيْلَةُ ابنة عبد العزى بن عبد بن أسعد بن جابر بن مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي ، فولدت له عبد الله وأسماء . وتزوج أيضاً في الجاهلية أم رومان

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

بنت عامر بن عَمِيرَة بن ذُهَل بن دُهْمَان بن الحارث بن غَنَم بن مالك
ابن كنانة - وقال بعضهم : هي أم رُومان بنت عامر بن عَوَيْمِر بن عبد
شمس بن عَتَّاب بن أذينة بن سُبَيْع بن دُهْمَان بن الحارث بن غَنَم بن
مالك بن كنانة - فولدت له عبد الرحمن وعائشة .

فكل هؤلاء الأربعة من أولاده ، ولدوا من زوجتيه اللتين سمّيناهما في
الجاهلية .

وتزوج في الإسلام أسماء بنت عُمَيْس ؛ وكانت قبله عند جعفر بن
أبي طالب ؛ وهي أسماء بنت عيمس بن معد بن تميم بن الحارث بن كعب
ابن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك بن نَسْر بن وهب
الله بن شَهْرَان بن عِفْرَس بن حَلَف بن أفتل - وهو خَشْعَم - فولدت
له محمد بن أبي بكر .

وتزوج أيضاً في الإسلام حَبِيبَة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير ؛ من
بني الحارث بن الخزرج ؛ وكانت نَسَاء ^(١) حين تُوُفِّيَ أبو بكر ؛ فولدت له
بعد وفاته جارية سَمِيَتْ أم كلثوم .

• • •

ذكر أسماء قضاته وكتابه وعَمَّاله على الصدقات

حدثنا محمد بن عبد الله المُخَرَّمِي . قال : حدثنا أبو الفتح نَصْر بن
المنيرة . قال : قال سفيان - وذكره عن مِسْعَر : لمَّا ولي أبو بكر ،
قال له أبو عبيدة : أنا أكفيك المال - يعني الجزاء - وقال عمر : أنا أكفيك
القضاء : فكث عمر سنة لا يأتيه رجلان .

وقال علي بن محمد عن الذين سميت : قال بعضهم : جعل أبو بكر
عمرَ قاضياً في خلافته . فكث سنة لم يخاصم إليه أحد .
قال : وقالوا : كان يكتب له زيد بن ثابت ، ويكتب له الأخبار عثمان
ابن عفان رضي الله عنه . وكان يكتب له مَنْ حضر .

(١) النس : المرأة التي يظن بها الحمل ، وقيل : التي ظهر حملها .

الخطبة سنة أربع عشرة بحكمة : وهو ابن سبع وتسعين سنة .

قالوا : لم يمش أبو قحافة بعد أني بكر أمية أشهر وأياماً ، وتوفي في

أنى بكر الله : « نسلم الله » .

١٢٧/١ : قال : حدثنا الربيع عن حبان الصائغ ، قال : كان يمشي خالماً

الشمع ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي هريرة ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

وقان : فيها ذكر الخارث ، عن ابن سعد ، عن ابن عمر ، عن أبي

[ذكر استخلافه عمر بن الخطاب]

وعقد أبو بكر في مَرَضَتِهِ الَّتِي تُوَفِّيَ فِيهَا لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ عَقْدُ الْخِلَافَةِ مِنْ بَعْدِهِ .

وذكر أنه لما أراد العَقْدُ له دَعَا عبد الرحمن بن عَوْفٍ ؛ فيما ذكر ابن سعد ، عن الواقدي ، عن ابن أبي سَبْرَةَ ، عن عبد الحميد بن سُهَيْل ، عن أبي سَلَمَةَ بن عبد الرحمن ؛ قال : لَمَّا نَزَلَ بِأَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ الْوَفَاةُ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ ، فَقَالَ : أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ ، فَقَالَ : يَا خَلِيفَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، هُوَ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ رَأْيِكَ فِيهِ مِنْ رَجُلٍ ؛ وَلَكِنْ فِيهِ غِلْظَةٌ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَرَانِي رَقِيقًا ، وَلَوْ أَفْضَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ لَتَرَكْتُ كَثِيرًا مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ . وَيَا أَبَا مُحَمَّدٍ قَدْ رَمَقْتُهُ ، فَرَأَيْتُنِي إِذَا غَضِبْتُ عَلَى الرَّجُلِ فِي الشَّيْءِ أَرَانِي الرِّضَا عَنْهُ ، وَإِذَا لَيْتُ لَهُ أَرَانِي الشَّدَّةَ عَلَيْهِ ؛ لَا تَذْكُرُ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا قُلْتُ لَكَ شَيْئًا ، قَالَ : نَعَمْ . ثُمَّ دَعَا عُمَانَ بْنَ عَفَّانٍ ، قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ ، قَالَ : أَنْتَ أَخْبِرْ بِهِ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى ذَاكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! قَالَ : اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي بِهِ أَنْ سَرِيرَتُهُ خَيْرٌ مِنْ عِلَانِيَتِهِ ؛ وَأَنْ لَيْسَ فِيْنَا مِثْلُهُ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَا تَذْكُرْ مِمَّا ذَكَرْتُ لَكَ شَيْئًا ، قَالَ : أَفْعَلْ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : لَوْ تَرَكْتُهُ مَا عَدَوْتُكَ ، وَمَا أَدْرَى لَعَلَّهُ تَنَارَكَه ، وَالْخَيْرُ لَهُ أَلَّا يَلِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْئًا ، وَلَوْ دِدْتُ أَنِّي كُنْتُ خَلَوًا مِنْ أُمُورِكُمْ ؛ وَأَنْتَى كُنْتُ فَيَمَنْ مَضَى مِنْ سَلَفِكُمْ ؛ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، لَا تَذْكُرَنَّ مِمَّا قُلْتُ لَكَ مِنْ أَمْرِ عُمَرَ ، وَلَا مِمَّا دَعَوْتُكَ لَهُ شَيْئًا ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس بن عمرو ، عن أبي السَّفَرِ ، قال : أشرف أبو بكر على النَّاسِ مِنْ كَيْفِهِ وَأَسْمَاءُ ابْنَةُ عُمَيْسٍ مَمْسُكْتُهُ ، مَوْشُومَةُ الْيَدَيْنِ ، وَهُوَ يَقُولُ : أَتَرْضَوْنَ بَيْنَ اسْتَخْلَفَ عَلَيْكُمْ ؟ فَلَمَّا نَظَرْتُ إِلَى اللَّهِ مَا أَلَوْتُ مِنْ جَهْدِ الرَّأْيِ ، وَلَا وَلَّيْتُ ذَا قَرَابَةٍ ، وَإِنِّي قَدْ اسْتَخْلَفْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا ، فَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا .

(١) طبقات ابن سعد ٣ : ١٩٩ ، مع اختلاف في الرواية .

حدثني عثمان بن يحيى ، عن عثمان القرقساني ، قال : حدثنا سفيان ابن عيينة ، عن إسماعيل ، عن قيس ، قال : رأيتُ عمرَ بن الخطاب وهو يجلس والناس معه ، ويديه جترّيدة ، وهو يقول : أيُّها الناس ، اسمعوا وأطيعوا قولَ خليفةِ رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم ؛ إنّه يقول : إنّي لم آلكم نصْحاً . قال : ومعه مولّي لأبي بكرٍ يقال له : شديد ، معه الصحيفة التي فيها استخلاف عمر .

قال أبو جعفر : وقال الواقدي : حدثني إبراهيم بن أبي النضر ، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث ، قال : دعا أبو بكر عثمان خالياً ، فقال : اكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما عهد أبو بكر بن أبي قحافة إلى المسلمين ؛ أمّا بعد . قال : ثمّ أغمى عليه ، فذهب عنه ، فكتب عثمان : أمّا بعد ؛ فإني قد استخلفتُ عليكم عمرَ بن الخطاب ، ولم آلكم خيراً منه ، ثمّ أفاق ٢١٣٩/١ أبو بكر ، فقال : اقرأ عليّ ، فقرأ عليه ، فكبر أبو بكر ^(١) ، وقال : أراك خِفْتَ أن يختلف الناس إن افتُلتَ نفسي في غشيتي ! قال : نعم ، قال : جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله ، وأقرّها أبو بكر رضى الله عنه من هذا الموضع .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، قال : حدثنا علوان ، عن صالح بن كيسان ، عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبيه ، أنّه دخل على أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه في مَرَضِهِ الذي تُوُفِيَ فيه ؛ فأصابه مهتماً ، فقال له عبد الرحمن : أصبحت والحمد لله بارئاً ! فقال أبو بكر رضى الله عنه : أترأه ؟ قال : نعم ، قال : إنّي وليتُ أمركم خيراًكم في نفسي ؛ فكلّكم ورم أنفهُ من ذلك ، يريد أن يكون الأمر له دونه ؛ ورأيتُم الدنيا قد أقبلتُ ولما تقبل ، وهى مقبلة حتى تتخذوا ستور

الحرير ونضائد^(١) الديباج، وتألّموا^(٢) الاضطجاع على الصوف الأذري^(٣)؛ كما يألّم أحدكم أن ينام على حسك^(٤)؛ والله لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا وأنتم أول ضال بالناس غداً، فتصدونهم عن الطريق يميناً وشمالاً. يا هادى الطريق، إنتما هو الفجر أو البجر^(٥)، فقلت له: خففص عليك رحمك الله؛ فإن هذا يتهيضك^(٦) في أمرك. إنتما الناس في أمرك بين رجلين: إمّا رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإمّا رجل خالفك فهو مشير عليك وصاحبك كما تحب؛ ولانعلمك أردت لإخيراً، ولم تزل صالحاً مصلحاً، وأنتك لاتأسى على شيء من الدنيا^(٧).

قال أبو بكر رضى الله عنه: أجل، إني لا آسى على شيء من الدنيا إلا على ثلاث فعلتھن ووددت أنى تركتھن، وثلاث تركتھن ووددت أنى فعلتھن؛ وثلاث ووددت أنى سألت عنھن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأمّا الثلاث اللاتى ووددت أنى تركتھن؛ فوددت أنى لم أكشف بيت فاطمة عن شيء. وإن كانوا قد غلقوه على الحرب، ووددت أنى لم أكن حرّقت النجاءة السلمى، وأنى كنت قتلتة سريحاً أو خلتية نجيحاً. ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة كنت قذفت الأمر فى عنق أحد الرجلين - يريد عمر وأبا عبيدة - فكان أحدهما أميراً؛ وكنت وزيراً. وأمّا اللاتى تركتھن؛ فوددت أنى يوم أتيت بالأشعث بن قيس أميراً كنت

(١) قال أبو العباس المعري: «نضائد الديباج» واحدتها نضيدة؛ وهى الوسادة، وما ينضد من المتاع». (٢) الكامل: «ولتألّم». (٣) كذا وردت الرواية فى الطبرى، منسوب إلى أذربيجان؛ جرياً على القياس؛ وفى رواية الكامل: «الأذري»؛ وقال فى شرحه: «فهذا منسوب إلى أذربيجان وكذلك تقبل العرب». (٤) فى الكامل: «على حسك السعدان»؛ والسعدان: نبت كثير الحسك تأكله الإبل فتسمن عليه. (٥) ط: «البحر»؛ والرواية الجيدة ما أتت بها من الكامل، والبجر: الأمر العظيم، قال أبو العباس: «يقول: إن انتظرت حتى يضى لك الفجر الطريق أبصرت قصدك»، وإن حبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه، وضرب ذلك مثلاً لغمرات الدنيا وتحير أهلها». (٦) قال أبو العباس: «وقوله: يهيضك؛ مأخوذ من قرحم. هيض العظم؛ إذا جبه ثم أصابه شيء فآذاه فكسره ثانية».

(٧) الخبر إلى هنا فى الكامل ١: ٥٤، ٥٥ - شرح المصنوع فى رواية مخالفة.

ضربت عنقه ، فإنه تخيّل إلى أنه لا يرى شرّاً إلّا أعان عليه . ووددت أنى حين سيّرتُ خالد بن الوليد إلى أهل الردّة ؛ كنت أقمت بذي القصة ؛ فإن ظفّر المسلمون ظفّروا ، وإن هُزموا كنت بصدد لقاء أو مدداً . ووددت أنى كنت إذ وجهت خالد بن الوليد إلى الشام كنت وجهت عمر بن الخطاب إلى العراق ؛ فكنت قد بسطت يديّ كليهما في سبيل الله - ومدّ يديه - ووددت أنى كنت سألتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم : لمن هذا الأمر؟ فلا ينازعه أحد ؛ ووددت أنى كنت سألته : هل للأنصار في هذا الأمر نصيب ؟ ووددت أنى كنت سألته عن ميراث ابنة الأخ والعمة ؛ فإن في نفسي منهما شيئاً .

قال لى يونس : قال لنا يحيى : ثم قدّم علينا علوان بعد وفاة الليث ، فسألته عن هذا الحديث ، فحدثني به كما حدثني الليث بن سعد حرّفاً حرّفاً ؛ وأخبرني أنه هو حدث به الليث بن سعد ، وسألته عن اسم أبيه ، فأخبرني أنه علوان بن داود .

وحدثني محمد بن إسماعيل المرادي ، قال : حدّثنا عبد الله بن صالح المصرى ، قال حدثني الليث ، عن علوان بن صالح ، عن صالح بن كيسان ، عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، قال - ثم ذكر نحوه ، ولم يقل فيه : « عن أبيه » .

قال أبو جعفر : وكان أبو بكر قبل أن يشتغل بأمر المسلمين تاجراً ، وكان منزله بالسُّنح ، ثم تحوّل إلى المدينة . فحدثني الحارث ، قال : حدّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدّثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن مروان بن أبي سعيد بن المعلّى ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب . قال : وأخبرنا موسى بن محمد بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن ٢١٤٢/١ عبد الرحمن بن صبيحة التميمي ، عن أبيه ، قال . وأخبرنا عبيد الله بن عمر ، عن نافع عن ابن عمر ، قال : وأخبرنا محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : وأخبرنا أبو قدامة عثمان بن محمد ، عن

أَبِي وَجْزَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ . وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ أَيْضًا قَدْ حَدَّثَنِي بَعْضُهُ ^(١) ، فَدَخَلَ حَدِيثُ بَعْضِهِمْ فِي حَدِيثِ بَعْضٍ ، قَالُوا : قَالَتْ عَائِشَةُ : كَانَ مَنَزَلُ أَبِي بِالسُّنْحِ عِنْدَ زَوْجَتِهِ حَبِيبَةَ ابْنَةِ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْرٍ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ ابْنِ الْخَزْرَجِ ، وَكَانَ قَدْ حَجَّرَ عَلَيْهِ حُجْرَةً مِنْ سَعَفٍ ؛ فَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى تَحَوَّلَ إِلَى مَنَزَلِهِ بِالْمَدِينَةِ ؛ فَأَقَامَ هُنَاكَ بِالسُّنْحِ بَعْدَ مَا بُويعَ لَهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، يَغْدُو عَلَى رَجُلَيْهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَرَبَّمَا رَكِبَ عَلَى فَرَسٍ لَهُ ، وَعَلَيْهِ إِزَارُ وَرِدَاءٌ مَمَشَقٌ ، فَيُؤْفِقِي الْمَدِينَةَ فَيُصَلِّي الصَّلَاةَ بِالنَّاسِ ، فَلِذَا صَلَّيَ الْعِشَاءَ ؛ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ بِالسُّنْحِ ؛ فَكَانَ إِذَا حَضَرَ صَلَّيَ بِالنَّاسِ وَإِذَا لَمْ يَحْضُرْ صَلَّيَ بِهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ . قَالَ : فَكَانَ يُقِيمُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَدْرَ النَّهَارِ بِالسُّنْحِ يَصْبِغُ رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ ثُمَّ يَرْوِحُ لِقَدَرِ ^(٢) الْجُمُعَةِ ، فَيُجْمَعُ بِالنَّاسِ . وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا ، فَكَانَ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى السُّوقِ ، فَيَبِيعُ وَيَبْتَاعُ ؛ وَكَانَتْ لَهُ قِطْعَةٌ غَنَمٍ تَرْوِحُ عَلَيْهِ ؛ وَرَبَّمَا خَرَجَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِيهَا ؛ وَرَبَّمَا كَفَّيْهَا فَرُغَتْ لَهُ ، وَكَانَ يَحْلُبُ الْحَيَّ أَغْنَامَهُمْ ، فَلَمَّا بُويعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ قَالَتْ جَارِيَةٌ مِنْ الْحَيِّ : الْآنَ لَا تُحْلَبُ لَنَا مَنَائِحُ دَارِنَا ، فَسَمِعَهَا أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : بَلَى لِعُمَرَى لِأَحْلَبْنَهَا لَكُمْ ؛ وَإِنِّي لِأَرْجُو إِلَّا يَغْيِرُنِي مَا دَخَلَتْ فِيهِ عَنْ خُلُقٍ كُنْتُ عَلَيْهِ . فَكَانَ يَحْلُبُ لَهُمْ ، فَرَبَّمَا قَالَ لِلْجَارِيَةِ مِنَ الْحَيِّ : يَا جَارِيَةُ أَتُحِبِّينَ أَنْ أُرْعَى لَكَ ، أَوْ أَصْرَحَ ؟ فَرَبَّمَا قَالَتْ : أَرْعَ ، وَرَبَّمَا قَالَتْ : صَرَحَ ؛ فَأَيَّ ذَلِكَ قَالَتْهُ فَعَلَ ؛ فَكَثُرَ كَذَلِكَ بِالسُّنْحِ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ؛ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَأَقَامَ بِهَا ، وَنَظَرَ فِي أَمْرِهِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ ، مَا تَصْلِحُ أُمُورُ النَّاسِ التَّجَارَةَ ، وَمَا يَصْلِحُهُمْ إِلَّا التَّفَرُّغُ لَهُمْ وَالنَّظَرُ فِي شَأْنِهِمْ ، وَلَا بَدَأَ لِعَالِيٍّ مِمَّا يَصْلِحُهُمْ . فَتَرَكَ التَّجَارَةَ وَاسْتَنْفَقَ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ مَا يَصْلِحُهُ وَيُصْلِحُ عِيَالَهُ يَوْمًا بِيَوْمٍ ، وَيَحْجُجُ وَيَعْتَمِرُ . وَكَانَ الَّذِي فَرَضُوا لَهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتَّةَ آلَافٍ دِرْهَمٍ ؛ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ ، قَالَ : رُدُّوْا مَا عِنْدَنَا مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ ؛ فَلَمَّا لَا أَصِيبُ مِنْ هَذَا الْمَالِ شَيْئًا ، وَإِنْ أَرْضَى النَّبِيُّ بِمَكَانٍ كَذَا وَكَذَا لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا أَصِيبَتْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ ؛ فَدَفَعَ ذَلِكَ إِلَى عُمَرَ ، وَلَقَوْحًا وَعَبْدًا

(١) ز : « بَعْضُهُ » . (٢) س : « يَقْدَرُ » .

صَيْقِلًا^(١)، وقطيفة ما تُساوي خمسة دراهم ؛ فقال عمر : لقد أتعب من بعده .

وقال عليّ بن محمد - فيما حدثني أبو زيد عنه في حديثه عن القوم الذين ذكرت روايته عنهم - قال أبو بكر : انظروا كم أنفقت منذ ولّيت من بيت المال فاقضوه عني . فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم في ولايته .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن القاسم بن محمد ، عن أسماء ابنة عُميس . قالت : دخل طلحة بن عبيد الله على أبي بكر ، فقال : استخلفت على الناس عمر ، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه ؛ فكيف به إذا خلا بهم ! وأنت لاق ربك فسائلك عن رعيّتك . فقال أبو بكر - وكان مضطجعا : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال لطلحة : أبالله تفرّقتي^(٢) - أو أبالله تخوفني - إذا لقيت الله ربّي فساءلني قالت : استخلفت على أهلك خيرا أهلك .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن عبد الرحمن بن الحصين بمثل ذلك .

قال أبو جعفر : قد تقدّم ذكرنا وقت عقد أبي بكر لعمر بن الخطاب الخلافة ، ووقت وفاة أبي بكر ، وأنّ عمر صلّى عليه ، وأنه دفن ليلة وفاته قبل أن يُصْبِح الناس . فأصبح عمر صبيحة تلك الليلة ، فكان أوّل ما عمل وقال - فيما ذكر - ما حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيّاش ، عن الأعمش ، عن جامع بن شدّاد . عن أبيه ؛ قال : لمّا استُخْلِف عمر صعيد المنبر ، فقال : إني قاتل كلمات فأمنوا عليهن ، فكان أوّل منطلق نطق به حين استُخْلِف - فيما حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن ضرار^(٣) . عن حصّين المُرّي . قال : قال عمر : إنّما مثّلُ العربِ مثلُ جمل أنف اتّبع قائده ، فليُنظر قائده حيث يقود ؛ وأمّا أنا فوَرَب الكعبة لأحملنّهم على الطريق .

(١) الصيقل : شحذ السيوف وجلادها . (٢) تفرّقتي : تخوفني .

(٣) كذا في ز .

حدثنا عمر ، قال : حدثني عليّ ، عن عيمى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان ، قال : كان أول كتاب كتبه عمر حين وُلّي إلى أبي عبيدة يولّيه على جند خالد : ٢١٤٥/١ أوصيك بتقوى الله الذي يبقّى ويفنّي ما سواه ؛ الذي هدانا من الضلالة ، وأخرجنا من الظلمات إلى النور . وقد استعملتك على جُند خالد ابن الوليد ، فقم بأمرهم الذي يحقّ عليك ، لا تُقدّم^(١) المسلمين إلى هلكة رجاء غنيمة ؛ ولا تُترلّم^(٢) متزلاً قبل أن تستريده لهم ؛ وتعلم كيف مأتاه ؛ ولا تبعث سرّية إلا في كشف^(٣) من الناس ؛ وإيّاك وإلقاء المسلمين في الهلكة ، وقد أهلك الله بنى وأبلاني بك ؛ فغمّضْ بصرَكَ عن الدنيا ؛ وآله قلبك عنها ؛ وإيّاك أن تهلكك كما أهلكت من كان قبلك ؛ فقد رأيت مصارعهم .

• • •

[ذكر غزوة فيحْل وفتح دمشق]

حدثني عمر ، عن عليّ بن محمد ، بإسناده ؛ عن النّفر الذين ذكرت روايتهم عنهم في أول ذكرى أمر أبي بكر ؛ أنّهم قالوا : قدِم بوفاة أبي بكر إلى الشام شدّاد بن أوس بن ثابت الأنصاريّ ومحمّية بن جرّء ، ويرفأ ؛ فحكموا الخبرَ الناس حتى ظفروا المسلمون — وكانوا بالياقوسة يقاتلون عدوهم من الروم ؛ وذلك في رجب — فأخبروا أبا عبيدة بوفاة أبي بكر وولايته حرب الشام . وضمّ عمر إليه الأمراء ، وعزل خالد بن الوليد .

فحدثنا ابنُ حنبلٍ ، قال : حدثنا سلّمة . عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ المسلمون من أجنادين ساروا إلى فيحْل من أرض الأردن . وقد اجتمعت فيها رافضة الروم . والمسلمون على أسرائهم وخالد على مقدّمة الناس . فلما نزلت الروم ببيسان بثقوا أنهارها ؛ وهى أرض سبخة ؛ فكانت وحلاً ، ونزلوا فيحلاً — وبيسان بين فلسطين وبين الأردن — فلما غشيها المسلمون ولم

(٢) س : « ولا تزلّمهم » .

(١) ز : « تلمن » .

(٣) الكتب : الجماعة من الناس .

يعلموا بما صنعت الروم ، وحلت خيولهم ، ولقوا فيها عسَاءً ، ثم سلمهم الله — وسميت بَيْسَان ذات الرَّدْغَةِ^(١) لما لقي المسلمون فيها — ثم نهضوا إلى الروم وهم بِفِحْلٍ ؛ فاقتتلوا فهزمت الروم ، ودخل المسلمون فيحلاً ولحقت رافضة الروم بدمشق ؛ فكانت فيحْل في ذى القعدة سنة ثلاث عشرة ، على ستة أشهر من خلافة عمر . وأقام تلك الحجَّة للناس عبد الرحمن بن عوف . ثم ساروا إلى دمشق وخالد على مقدمة الناس ؛ وقد اجتمعت الروم إلى رجل منهم يقال له باهان بدمشق — وقد كان عمر عزل خالد بن الوليد واستعمل أبا عبيدة على جميع الناس — فالتقى المسلمون والروم فيما حول دمشق ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، ثم هزم الله الروم . وأصاب منهم المسلمون ، ودخلت الروم دمشق ؛ فغلَّقوا أبوابها وجسَّم^(٢) المسلمون عليها فربطوها حتى فُتحت دمشق ، وأعطوا الجزية ، وقد قدم الكتاب على أبي عبيدة بإمارته وعزل خالد ، فاستحيا أبو عبيدة أن يقرئ خالد الكتاب حتى فتحت دمشق ؛ وجرى الصلح على يدى خالد ؛ وكتب الكتاب باسمه . فلما صالحت دمشق لحق باهان — صاحب الروم الذى قاتل المسلمين — بهرقل . وكان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب ، وأظهر أبو عبيدة إمارته وعزل خالد ؛ وقد كان المسلمون ، التقوا هم والروم ببلد يقال له عَيْن فيحْل بين فلسطين والأردن ، فاقتتلوا به قتالا شديداً ، ثم لحقت الروم بدمشق .

٢١٤٧/١

وأما سيف — فيما ذكر السرى ، عن شعيب ، عنه . عن أبي عثمان ، عن خالد وعبادة — فإنه ذكر في خبره أن البريد قدم على المسلمين من المدينة بموت أبي بكر وتأمير أبي عبيدة ؛ وهم باليرموك ؛ وقد التحم القتال بينهم وبين الروم . وقص من خبر اليرموك وخبر دمشق غير الذى اقتضه ابن إسحاق ؛ وأنا ذاكر بعض الذى اقتضى من ذلك :

كتب إلى السرى ، عن شعيب . عن سيف . عن محمد ، عن أبي عثمان ، عن أبي سعيد ، قال : لما قام عمر رضى عن خالد بن سعيد والوليد بن عقيقة فأذن لهما بدخول المدينة ؛ وكان أبو بكر قد منعهما لفرسهما التى فرأها وردهما

إلى الشام . وقال : ليلبغني عنكما غناء ^(١) أبليكما بلاءً ؛ فانضمّا إلى أى أمرائنا أحببتهما ؛ فلحقا بالناس فأبليا وأغنيا .

خبر دمشق من رواية سيف :

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان ، عن خالد وعبادة : قالا : لما هزم الله جيشد اليرموك ، وتهاقت أهل الراقصة وفرغ من المقاسم والأنفال ^(٢) ، وبُعِثَ بالأخماس وسُرّحت الوفود ، استخلف أبو عبيدة على اليرموك بشير بن كعب بن أبى الحيمى كَيْسَلًا يُغْتَال بِرَدَّةٍ . ولا تقطع الروم على مواده ، وخرج أبو عبيدة حتى ينزل بالصنقر ؛ وهو يريد إتباع الفاتّة . ولا يدرى يجتمعون أو يفترون ^(٣) ؛ فأناه الخبر بأنهم أُرْزَوْا إلى فِحْلٍ . وأناه الخبر بأن المدد قد أتى أهل دمشق من حِمص . فهو لا يدرى أبدمشق يبدأ أم بفِحْلٍ من بلاد الأردن . فكتب في ذلك إلى عمر ، وانتظر الجواب ، وأقام بالصنقر ، فلما جاء عمر فتح اليرموك أقرّ الأمراء على ما كان استعملهم عليه أبو بكر إلا ما كان من عمرو بن العاص وخالد بن الوليد ، فإنه ضمّ خالدًا إلى أبى عبيدة ، وأمر عمرًا بمعونة الناس ؛ حتى يصير الحرب إلى فلسطين ، ثم يتولّى حربها .

وأما ابن إسحاق : فإنه قال في أمر خالد وعزل عمر إياه ما حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه . قال : إنّما نزع عمر خالدًا في كلام كان خالد تكلم به — فيما يزعمون — ولم يزل عمر عليه ساخطًا ولأمره كارهاً في زمان أبى بكر كَلَّمَهُ ، لوقعته بابن نُؤَيْرَةَ ، وما كان يعمل به في حربه ؛ فلما استخلف عمر كان أوّل ما تكلم به عزله ، فقال : لا يلبى لى عملاً أبدًا ؛ فكتب عمر إلى أبى عبيدة : إنّ خالد أكذب نفسه فهو أمير على ما هو عليه ؛ وإن هو لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ما هو عليه ؛ ثم انزع عمامته عن

(٢) ز : « والأنفال » .

(١) ط : « غناء » .

(٣) ابن حبيش « يجتمعون » .

رأسه ، وقاسمه ماله نصفين . فلما ذكر أبو عبيدة ذلك لخالد ، قال : أنظرنى ٢١٤٩/١
أستشر^(١) أختى فى أمرى ، ففعل أبو عبيدة ؛ فدخل خالد على أخته فاطمة
بنت الوليد - وكانت عند الحارث بن هشام - فذكر لها ذلك ، فقالت :
والله لا يحبك عمر أبداً ، وما يريد إلا أن تُكذب نفسك ثم ينزعك . فقبل
رأسها وقال : صدقت والله ! فتم على أمره ، وأبى أن يُكذب نفسه . فقام
بلال مولى أبى بكر إلى أبى عبيدة ، فقال : ما أمرت به فى خالد ؟ قال :
أمرت أن أنزع عمامته ، وأقاسمه ماله . فقاسمه ماله حتى بقيت نعلاه ،
فقال أبو عبيدة : إن هذا لا يصلح إلا بهذا ، فقال خالد : أجل ، ما أنا
بالذى أعصى أمير المؤمنين ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأخذ نعلًا وأعطاه نعلًا .
ثم قدم خالد على عمر المدينة حين عزله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
عن محمد بن عمر بن عطاء ، عن سليمان بن يسار ، قال : كان عمر
كلما مرّ بخالد قال : يا خالد ، أخرج مال الله من تحت استك ، فيقول :
والله ما عندى من مال ؛ فلما أكثر عليه عمر قال له خالد : يا أمير المؤمنين ،
ما قيمة ما أصبت فى سلطانكم ! أربعين ألف درهم ! فقال عمر : قد أخذتُ
ذلك منك بأربعين ألف درهم ، قال : هو لك ، قال : قد أخذته . ولم يكن
لخالد مال إلا عُدّة ورقى ، فحسب ذلك ، فبلغت قيمته ثمانين ألف درهم
فناصفه عمر ذلك ، فأعطاه أربعين ألف درهم ، وأخذ المال . ف قيل له :
يا أمير المؤمنين ، لوردت على خالد ماله ! فقال : إنما أنا تاجر للمسلمين ، ٢١٥٠/١
والله لا أردّه عليه أبداً . فكان عمر يرى أنه قد اشتفى من خالد حين صنع
به ذلك .

• • •

رجع الحديث إلى حديث سيف^(٢) ، عن أبى عثمان ، عن خالد وعبادة ،
قالا : ولما جاء عمر الكتاب عن أبى عبيدة بالذى ينبغى أن يبدأ به كتب إليه :
أما بعد ؛ فابدعوا بدمشق ، فانهّدوا لها ؛ فإنّها حصن الشام وبيت

مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهلَ فِحْلٍ بخيلٍ تكون بإزائهم في نحورهم وأهلَ فلسطين وأهلَ حِمَصٍ ؛ فإن فتحها الله قبل دمشق فذلك الذي نحب ، وإن تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق فليَنزلْ بدمشق من يمسك^(١) بها ، ودعوها ، وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تُغيروا على فِحْلٍ ؛ فإن فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد إلى حِمَصٍ ، ودعْ شُرَحْبِيلَ وعمراً وأخْلِيهما بالأردن وفلسطين ، وأديرْ كلَّ بلد وجُنْدٍ على الناس حتى يخرجوا من إمارته . فسرَّح أبو عبيدة إلى فِحْلٍ عشرة قوَّاد : أبا الأعور السُلَمي ، وعبدَ عمرو بن يزيد بن عامر الجُرَشِي ، وعامر بن حِشْمَة ، وعمرو بن كُليب من يَحْضُب ، وعُمارة بن الصَّعِق بن كعب ، وصَيْفِيَّ بن عُلْبَة بن شامل ، وعمرو بن الحبيب بن عمرو ، وليدة بن عامر بن خِشْمَة ، ويشْرَ بن عِصْمَة ، وعُمارة بن مُعْشَرٍ قائد الناس ؛ ومع كلِّ رجل خمسة قوَّاد ؛ وكانت الرؤساء تكون من الصحابة حتى لا يجدوا من يتحمل ذلك منهم ، فساروا من الصُّفَرِ حتى نزلوا قريباً من فِحْلٍ ، فلما رأت الروم أن الجنود تريد لهم بشقوا المياه حولَ فِحْلٍ ، فأردِغَتْ^(٢) الأرض ، ثم وحيات ، واغتمَّ المسلمون من ذلك ، فحبسوا عن المسلمين بها ثمانين ألف فارس . وكان أولُ محصور بالشَّام أهلَ فِحْلٍ ، ثم أهل دِمَشق . وبعث أبو عبيدة ذا الكِلاع حتى كان بين دمشق وحِمَصٍ رداءً . وبعث علقمة بن حكيم ومَسْرُوقاً فكانا بين دمشق وفلسطين ، والأمير يزيد . وفصل ، وفصل بأبي عبيدة من المَرَج ؛ وقدَّم خالد بن الوليد ، وعلى مجنبتيه عمرو وأبو عبيدة وعلى الخليل عياض ، وعلى الرَّجُلِ شُرَحْبِيل ، فقدِموا على دمشق ، وعليهم نِسْطَاس بن نُسْطُورس^(٣) ؛ فحَصَرُوا أهلَ دمشق ، ونزلوا حوليَّها . فكان أبو عبيدة على ناحية ، وعمرو على ناحية ، ويزيد على ناحية ، وهِرَقل يومئذ بِحِمَصٍ ، ومدينة حِمَصٍ بينه وبينهم . فحاصروا أهلَ دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزُّحُوفِ والتَّرامِي والمجانيق ؛ وهم معتصمون

٢١٥١/١

٢١٥٢/١

(١) س وابن حيش : « تمسك » .

(٢) أردغت الأرض - كثر رداؤها ، والرداغ : الوحل الشديد .

(٣) كذلك في س ، وانظر ص ٤٤٣ س ٥ من هذا الجزء .

بالمدينة يرجون الغياث ، وهيرقل منهم قريب وقد استمدّوه . وذو الكلالع بين المسلمين وبين حِمَص على رأس ليلة من دمشق ، كأنه يريد حِمَص ، وجاءت خيولُ هيرقل مغيبةً لأهل دمشق ، فأشجتها الخيول التي مع ذي الكلالع ، وشغلتها عن الناس ، فأرزوا ونزّلوا بإزائه ، وأهلُ دمشق على حالهم . فلما أيقن أهلُ دمشق أنَّ الأمداد لا تصلُ إليهم فشيّلوا وهنّوا وأبلسوا^(١) وازداد المسلمون طمعاً فيهم ؛ وقد كانوا يرون أنّها كالعارات قبل ذلك ؛ إذا هجم البرد فقلّ الناس ، فسقط النّجم والقوم مقيمون ؛ فعند ذلك انقطع رجائهم ، ونَدِموا على دخول دمشق ، وولّد للبيطريق^(٢) الذي دخل على أهل دمشق مولودٌ ؛ فصنع^(٣) عليه ، فأكل القوم وشربوا ، وغفلوا عن مواقفهم ؛ ولا يشعر بذلك أحدٌ من المسلمين إلا ما كان من خالد ؛ فإنه كان لا ينام ولا يَنِيْم ، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء ؛ عيونه ذاكية وهو معنى بما يليه ، قد اتخذ حبّالا كهيفة السلايم وأوهاقاً^(٤) فلماً أمسى من ذلك اليوم نهّد^(٥) ومن معه من جنده الذين قدم بهم عليهم ، وتقدرتهم هو والقعقاع بن عمرو ، ومذعور بن عدي ، وأمّثاله من أصحابه في أول يومه ، وقالوا : إذا سمعتم تكبيرنا على السور فارقوا إلينا ، وانهدوا للباب . فلما انتهى إلى الباب الذي يليه هو وأصحابه المتقدمون رمّوا بالحبال الشرف وعلى ظهدهم القرب التي قطعوا بها خندقهم . فلما ثبت لهم وهقان تسلّق فيهما القعقاع ومذعور ، ثم لم يدعأ أحبولةً إلا أثبتاها — والأوهاق بالشرف — وكان المكان الذي اقتحموا منه أحصن مكان يحيط بدمشق ، أكثره ماء ، وأشدّه مدخلا ، وتوافوا لذلك ، فلم يبقَ مَن دخل معه أحدٌ إلا رقى أو دنا من الباب ؛ حتى إذا استووا على السور حدّرَ عامّةُ أصحابه ، وانحدَر معهم ؛ وخلف

(١) أبلسوا : تحيروا .

(٢) البطريق : بكسر الباء ؛ قال صاحب القاموس : « هو القائد من قواد الروم » ، وفي المغرب : « ولما سمعت العرب أن البطارقة أهل ربيعة صاروا يصفون الرئيس بالبطريق » .

(٣) صنع ، يريد أولم .

(٤) الأوهاق : جمع وهق ، بالتحريك : الحبل في طريقه أنشوطه يطرح في عتق الدابة أو الإنسان

حتى يؤخذ .

(٥) نهّد الرجل : نهض ومضى على كل حال ؛ بخلاف النهوض فإنه يكون عن قعود .

مَنْ يَحْمِي^(١) ذلك المكان لمن يرتقى، وأمرهم بالتكبير، فكبر الذين على رأس السور، فنهّد المسلمون إلى الباب، ومال إلى الحبال بشر كثير، فوثبوا فيها، وانتهى خالد إلى أول مَنْ يليه فأناهمهم، وانحدر إلى الباب، فقتل البوابين، وثار أهل المدينة، وفزع سائر الناس؛ فأخذوا مواقيفهم، ولا يدرون ما الشأن! وتشاغل أهل كل ناحية بما يليهم، وقطع خالد بن الوليد ومن معه أغلاق الباب بالسيوف، وفتحوا للمسلمين، فأقبلوا عليهم من داخل، حتى ما بقي ممّا يلي باب خالد مقاتل إلا أنيس. ولما شدّ خالد على مَنْ يليه؛ وبلغ منهم الذي أراد عتوة أرز من أفلت إلى أهل الأبواب التي تلي غيرَه؛ وقد كان المسلمون دَعَوْهم إلى المشاطرة^(٢) فأبوا وأبعدوا^(٣)، فلم يفجأهم إلاّ وهم يَبْجُحون لهم بالصّلح، فأجابوهم وقبلوا منهم، وفتحوا لهم الأبواب، وقالوا: ادخلوا وامنعونا من أهل ذلك الباب. فدخل أهل كل باب بصلح ممّا يليهم، ودخل خالد مما يليه عتوة، فالتقى خالد والقوّاد في وسطها؛ هذا استعراضاً وانتهاباً، وهذا صلحاً وتسكيناً؛ فأجروا ناحية خالد مُجَرّى الصّلح، فصار صلحاً، وكان صلح دمشق على المقاسمة، الدينار والعقار، ودينار عن كل رأس، فاقسموا الأسلاب؛ فكان أصحاب خالد فيها كأصحاب سائر القوّاد، وجرّى على الديار ومَنْ بقي في الصّلح جَرِيب^(٤) من كل جَرِيب أرض؛ ووقف ما كان للملوك ومَنْ صوّب معهم فيئاً، وقسموا لذي الكلاع ومَنْ معه، ولأبى الأعور ومَنْ معه، ولبشير ومَنْ معه، وبعثوا بالبشارة إلى عمر، وقدم على أبي عبيدة كتاب عمر؛ بأن اصْرِفْ جند العراق إلى العراق، وأمرهم بالحثّ إلى سعد بن مالك، فأمر على جُند العراق هاشم بن عتبة. وعلى مقدّمته القعقاع بن عمرو. وعلى مجسّبيّته عمرو بن مالك الزُّهري وربيعي بن عامر، وضربوا بعد دمشق نحو سعد، فخرج هاشم نحو العراق في جُند العراق؛ وخرج القوّاد نحو فيحلّ

(٢) ز: «المناطرة».

(١) س: «حمى».

(٣) ز: «واتدوا».

(٤) الجريب: مقدار من الأرض؛ ونقل عن قدامة: إنه ثلاثة آلاف وسبعمائة ذراع.

وأصحاب هاشم عشرة آلاف إلاّ مَنْ أصيب منهم ، فأتمّوهم بأناس مِمَّنْ لم يكن منهم ؛ ومنهم قيس والأشتر ، وخرج علقمة وسروق إلى إيلياء ، فنزلا على طريقها ، وبقي يلمشَق مع يزيد بن أبي سفيان من قوَاد أهل اليمن عددٌ ؛ منهم عمرو بن شِعْمَر بن غزِيّة ، وسَهْم بن المسافر بن هَزْمَة ، ومشافِع ابن عبد الله بن شافع . وبعث يزيد دَحِيّة بن خليفة الكلبيّ في خيل بعد ما فتح دمشق إلى تَمَدُّ مُر ، وأبا الزهراء القُشَيْرِيّ إلى البَشَنِيَّة وحرّوران ، فصالحوهما على صلح دمشق ؛ ووليّا القيام على فَتْح ما بُعِثا إليه .

٢١٥٥/١

وقال محمد بن إسحاق : كان فتح دمشق في سنة أربع عشرة في رجب .

وقال أيضًا : كانت وقعة فِجَل قبل دمشق ؛ وإنما صار إلى دمشق رافضة فِجَل ، واتَّبَعهم المسلمون إليها . وزعم أن وقعة فِجَل كانت سنة ثلاث عشرة في ذِي القَعْدَة منها ؛ حدثنا بذلك ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَكَمَة ، عنه .

وأما الواقديّ : فإنه زعم أن فتح دمشق كان في سنة أربع عشرة ؛ كما قال ابنُ إسحاق . وزعم أن حِصار المسلمين لها كان ستّة أشهر . وزعم أن وقعة اليرموك كانت في سنة خمس عشرة . وزعم أن هرقل جَلَا في هذه السنة بعد وقعة اليرموك في شعبان من أنطَاكِية إلى قُسْطَنْطِينِيَّة ، وأنه لم يكن بعد اليرموك وقعة .

قال أبو جعفر : وقد مضى ذكرى مارُوي عن سيف ، عَمَّن رَوَى عنه ؛ أن وقعة اليرموك كانت في سنة ثلاث عشرة ؛ وأن المسلمين ورَد عليهم البريد بوفاة أبي بكر باليرموك ، في اليوم الذي هُزِمَت الروم في آخره ، وأن عمر أمرهم بعد فراغهم من اليرموك بالمسير إلى دمشق ، وزعم أن فِجَلًا كانت بعد دمشق ؛ وأن حروبًا بعد ذلك كانت بين المسلمين والروم سوى ذلك ، قبل شخص هِرَقْل إلى قسطنطينية ؛ سأذكرها إن شاء الله في مواضعها .

وفي هذه السنة — أعني سنة ثلاث عشرة — وجّه عمر بن الخطاب أبا عُبَيْد ابن مسعود الثقفيّ نحو العراق . وفيها استشهد في قول الواقديّ .

٢١٥٦/١

وأما ابن إسحاق؛ فإنه قال : كان يوم الجِسر، جِسر أبي عبيد بن مسعود الثَّقَفِيّ في سنة أربع عشرة .

• • •

• ذكر أمر فيحّل من رواية سيف :

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر فيحّل^(١) إذ كان في الخبر^(٢) الذي فيه من الاختلاف ما ذكرت من فتوح جُند الشام . ومن الأمور التي تستنكر وقوع مثل الاختلاف الذي ذكرته في وقته ؛ لقرب بعض ذلك من بعض . فأما ما قال ابن إسحاق من ذلك وقص من قصته ، فقد تقدّم ذكره قبل .

وأما السريّ فإنه فيما كتب به إلى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عثمان يزيد بن أسيد الغساني وأبي حارثة العبشمي^(٣) ، قالوا : خلف الناس بعد فتح دمشق يزيد بن أبي سفيان في خيبله في دمشق ، وساروا نحو فيحّل ، وعلى الناس شرّحبيل بن حسّنة ، فبعث خالدًا على المقدّمة وأبا عبيدة وعمرًا على مجنّبيه ، وعلى الخيل ضرار بن الأزور ، وعلى الرّجل عياض ، وكرهوا أن يصمّدوا لحرار ، وحلّفهم ثمانون ألفًا ، وعلموا أن سنّ يلازم فيحّل جُنة الروم وإليهم ينظرون ، وأن الشام بعدهم سلّم . فلما انتهوا إلى أبي الأعور ، قدّموه إلى طبريّة ، فحاصروهم ونزلوا على فيحّل من الأردن ، — وقد كان أهل فيحّل حين نزل بهم أبو الأعور تركوه وأرّزوا إلى بيسان — فنزل شرّحبيل بالناس فيحلاً ، والروم بيسان ، وبينهم وبين المسلمين تلك المياه والأحوال ، وكتبوا إلى عمر بالخبر ، وهم يحدّثون أنفسهم بالمقام ، ولا يريدون أن يترعوا فيحلاً حتّى يرجع جواب كتابهم من عند عمر ، ولا يستطيعون الإقدام على عدوّهم في مكانهم لما دونهم من الأحوال ؛ وكانت العرب تسمّى تلك الغزاة فيحلاً وذات الرّدة وبيسان . وأصاب المسلمون من ريف الأردن أفضل ممّا فيه المشركون ؛ مادّتهم متواصلة ، وخصيتهم رعد ؛ فاغترتهم القوم ، وعلى القوم سقلاّ بن ميخراق ؛ ورجوا أن يكرهوا

٢١٥٧/١

(١ - ١) : كما في ز ، وفي ط : « إذ كان وإن كان في الخبر » .

(٢) : ص « العتي » . ونظر التصويبات .

على غيرِهِ ، فَأَتَوْهُمَ وَالْمُسْلِمُونَ لَا يَأْمَنُونَ مَجِئَهُمْ ، فَهَمَّ عَلَى حَذَرٍ . وَكَانَ شُرَحْبِيلُ لَا يَبِيتُ وَلَا يَصْبِحُ إِلَّا عَلَى تَعْبَةٍ . فَلَمَّا هَجَمُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ غَافَصُوهُمْ ^(١) ، فَلَمْ يَنْظُرُوهُمْ ، وَاقْتُلُوا بِفِجْلٍ كَأَشَدِّ قِتَالٍ اقْتُلُوهُ قَطْعَ لَيْلَتِهِمْ وَيَوْمِهِمْ ^(٢) إِلَى اللَّيْلِ ، فَأَظْلَمَ اللَّيْلُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ حَارُوا ، فَانْهَزُوا وَهُمْ حَيَارَى . وَقَدْ أَصِيبَ رُئُسُهُمْ سَقْلَارَ بْنَ مَخْرَاقٍ ؛ وَالَّذِي يَلِيهِ فِيهِمْ نَسْطُورَسُ ، وَظَفِيرُ الْمُسْلِمُونَ أَحْسَنَ ظَفَرٍ وَأَهْنَأَ ، وَرَكِبُوهُمْ وَهُمْ يَرَوْنَهُمْ عَلَى قَتَصَدٍّ وَجَدَدٍ . فَوَجَدُوهُمْ حَيَارَى لَا يَعْرِفُونَ مَا أَخَذَهُمْ ، فَأَسْلَمَتَهُمْ هَزِيمَتُهُمْ وَحَيَّرَتَهُمْ إِلَى الْوَحْلِ ، فَرَكَبُوهُ ، وَلِحِقَ أَوَائِلُ الْمُسْلِمِينَ بِهِمْ ؛ وَقَدْ وَحِلُوا فَرَكَبُوهُمْ ؛ وَمَا يَمْنَعُونَ يَدَ لَامَسٍ ؛ فَوُخِزُوا بِالرَّمَاكِ ، فَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ فِي فِجْلٍ ؛ وَكَانَ مَقْتَلُهُمْ فِي الرِّدَاغِ ، فَأَصِيبَ الثَّمَانُونَ أَلْفًا ، لَمْ يُفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَكَانَ اللَّهُ يَصْنَعُ لِلْمُسْلِمِينَ وَهُمْ كَارِهُونَ ، كَرِهُوا الْبُشُوقَ فَكَانَتْ عَوْنًا لَّهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، وَأَنَاءَةً مِنَ اللَّهِ لِيُزَادُوا بِصِرَةٍ وَجِدَاءٍ ، وَاقْتَسَمُوا مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ . وَانْصَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِخَالِدٍ مِنْ فِجْلٍ إِلَى حِمَصٍ ، وَصَرَفُوا سُمَيْسَرَ بْنَ كَعْبٍ مَعَهُمْ ، وَمَضَوْا بِذِي الْكَلَّاعِ وَمَنْ مَعَهُ ، وَخَلَفُوا شُرَحْبِيلَ وَمَنْ مَعَهُ .

* * *

ذِكْرُ بَيْسَانَ

وَلَمَّا فَرَغَ شُرَحْبِيلُ مِنْ وَقْعَةِ فِجْلٍ نَهَدَ فِي النَّاسِ وَمَعَهُ عَمْرُو إِلَى أَهْلِ بَيْسَانَ ، فَتَزَلُّوا عَلَيْهِمْ ، وَأَبُو الْأَعْوَرِ وَالْقَوَادُ مَعَهُ عَلَى طَبَرِيَّةٍ ، وَقَدْ بَلَغَ أَفْنَاءَ أَهْلِ الْأُرْدَنِ مَا لَقِيَتْ دِمَشْقُ ، وَمَا لَقِيَ سَقْلَارُ وَالرُّومُ بِفِجْلٍ وَفِي الرِّدَاغَةِ ، وَمُسِيرُ شُرَحْبِيلَ إِلَيْهِمْ ، وَمَعَهُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَالْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ؛ يَرِيدُ بَيْسَانَ ؛ وَتَحَصَّنُوا ^(٣) بِكُلِّ مَكَانٍ ، فَسَارَ شُرَحْبِيلُ بِالنَّاسِ إِلَى أَهْلِ بَيْسَانَ ، فَحَصَرَهُمْ أَيَّامًا . ثُمَّ إِنَّهُمْ خَرَجُوا عَلَيْهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ ، فَأَنَامُوا مَنْ خَرَجَ إِلَيْهِمْ ، وَصَالَحُوا بَقِيَّةَ أَهْلِهَا ، فَقَبِلَ ذَلِكَ عَلَى صَلَاحِ دِمَشْقٍ .

* * *

(١) غَافَصُوهُمْ : فَاجْتَوْهُمْ وَأَخَذُوهُمْ عَلَى غَرَةٍ .

(٢) ز : « فحاصروهم » .

(٣) ز : « قبل يومهم وليلتهم » .

طَبَرِيَّة

٢١٥٩/١

وبلغ أهل طَبَرِيَّة الخبر ، فصالحوا أبا الأعور ، على أن يبلغهم شُرْحِيل ، ففعل ؛ فصالحوهم وأهل بَيْسَانَ على صلح دمشق ؛ على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن ، وما أحاط بها مما يصلُّها ، فيدعون لهم نصفاً ، ويجمعون في النصف الآخر ، وعن كل رأس دينار كل سنة ، وعن كل جريب أرض جريب بُرٍّ أو شعير ؛ أى ذلك حُرِّث ؛ وأشياء في ذلك صالحوهم عليها ، ونزلت القوَّاد وخيولُهم فيها ، وتمَّ صلح الأردن ، وتفرقت الأمداد في مدائن الأردن وقرائها ، وكُتِبَ إلى عمر بالفتح .

* * *

ذكر خبر المثني بن حارثة وأبي عبيد بن مسعود

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن عبد الله بن سَوَّاد وطلحة بن الأعلم وزياد بن سَرْجِس الأحمريّ بإسنادهم ، قالوا : أوَّل ما عمِلَ به عمر أن ندَّب النَّاسَ مع المثني بن حارثة الشيبانيّ إلى أهل فارس قبْلَ صلاة الفجر ، من اللَّيْلَةِ التي مات فيها أبو بكر رضى الله عنه ، ثم أصبح فباع الناس ، وعاد فنَدَّب النَّاسَ إلى فارس ، وتتابع النَّاسُ على البَيْعَةِ ففرغوا في ثلاث ، كلَّ يوم ينلُّهم فلا ينتدب أحد إلى فارس ؛ وكان وجه فارس من أكره الوجوه إليهم وأثقلها عليهم . لشدة سلطانهم وشوكتهم وعزِّهم وقهرهم الأئم . قالوا : فلمَّا كان اليوم الرابع ؛ عاد فنَدَّب النَّاسَ إلى العراق ؛ فكان أوَّلَ متدب أبو عبيد بن مسعود وسعد بن عبيد الأنصاريّ حليف بني فزارة ؛ هرب يوم الجسر ، فكانت الوجوه تُعرَّضُ عليه بعد ذلك ، فيأبى إلا العراق ، ويقول : إنَّ الله جلَّ وعزَّ اعتدَّ علىَّ فيها بفترة ؛ فلعلته أن يردَّ علىَّ فيها كرامة . وتتابع الناس .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : وتكلَّم المثني بن حارثة ، فقال :

يأبها الناس ، لا يَعْظُمَنَّ عليكم هذا الوجه ؛ فإننا قد تبجحنا ريف فارس ، وغلبناهم على خير شِقَى السَّوَادِ وشاطرناهم ونلنا منهم ؛ واجترأ مَنْ قَبْلَنَا عليهم ؛ ولما إن شاء الله ما بعدها . وقام عمر رحمه الله في الناس ؛ فقال : إنَّ الحِجَازَ ليس لكم بدارٍ إلَّا على النُّجعة ، ولا يَقْوَى عليه أهله إلَّا بذلك ؛ أين الطُّرَّاء المهاجرون عن موعود الله ! سيرُوا في الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها ؛ فإنه قال : ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ، والله مظهر دينه ، ومعرز ناصره ، ومولى أهله مواريث الأمم . أين عباد الله الصالحون ! فكان أولَ منتدب أبو عُبَيْد بن مسعود ، ثم ثنى سعد بن عبيد — أو سَلِيط ابن قيس — فلمَّا اجتمع ذلك البعث ، قيل لعمر : أُمِرُّ عليهم رجلا من السابقين من المهاجرين والأنصار . قال : لا والله لا أفعل ؛ إنَّ الله إنَّمَا رفعكم بسبقكم وسرعتكم إلى العدو ؛ فإذا جِئْتُمْ وكرهتُم اللقاء ؛ فأولى بالرياسة منكم مَنْ سبق إلى الدفع ، وأجاب إلى الدعاء ! والله لا أُمِرُّ عليهم إلَّا أولَهم انتدابًا . ثم دعا أبا عُبَيْد ، وسَلِيطا وسعدًا ؛ فقال : أما إنَّكما لو سبقتما لوليتكما ولأدرَكْتُكما بها إلى مالِكِما من القُدُمة . فأمر أبا عُبَيْد على الجيش . وقال لأبي عبيد : اسمع من أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وأشرِكْهُمْ في الأمر ، ولا تجتهد^(١) مسرعًا حتى تتبين ؛ فإنها الحرب ، والحرب لا يصلحها إلَّا الرِّجل المكيث^(٢) الذي يعرف الفرصة والكف .

وقال رجل من الأنصار : قال عمر رضي الله عنه لأبي عبيد : إنه لم يمنعني أن أُمِرَّ سَلِيطًا إلَّا سرعته إلى الحرب ، وفي التسرع إلى الحرب ضياع إلَّا عن بيان ، والله لولا سرعته لأمرته ؛ ولكن الحرب لا يصلحها إلَّا المكيث . كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سَيْف بن عمر ، عن المجالد ، عن الشعبي ، قال : قدِمَ المثنى بن حارثة على أبي بكر سنة ثلاث عشرة ؛ فبعث معه بَعَثًا قد كان نلهم ثلاثًا ؛ فلم ينتدب له أحد حتَّى انتدب^(٣) له أبو عُبَيْد ثم سعد بن عبيد ، وقال أبو عبيد حين انتدب :

(١) من . « تجتهد » ، ابن حبيش : « لا تجين » .

(٢) المكيث : الرزين لا يعجل .

(٣) انتدب : خف وأسرع .

أَنَا لَهُمَا ، وَقَالَ سَعْدُ : أَنَا لَهُمَا ؛ لَفَعَلَةٌ فَعَلَهَا . وَقَالَ سَلَيْطُ : فَقِيلَ لِعُمَرَ : أَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَهُ صَحْبَةٌ . فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّمَا فَتَضَلَّ الصَّحَابَةُ بِسَرْعَتِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ وَكَفَايَتِهِمْ مَنْ أُنِيَ ^(١) ؛ فَإِذَا فَعَلَ فَعَلَهُمْ قَوْمٌ وَانْقَلَبُوا ^(٢) . كَانَ الَّذِينَ يَنْفِرُونَ خِفَافًا وَثِقَالًا أَوْلَىٰ بِهَا مِنْهُمْ ؛ وَاللَّهُ لَا أُبْعَثُ عَلَيْهِمْ إِلَّا أَوْلِيَهُمْ انْتِدَابًا . فَأَمَرَ أَبَا عُبَيْدٍ ، وَأَوْصَاهُ بِجَنْدِهِ .

٢١٦٢/١

كُتِبَ إِلَى الْمُرَيِّ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ ، عَنْ سَهْلِ ، عَنْ الْقَاسِمِ وَمُشَيْرٍ ، عَنْ سَالِمٍ ، قَالَ : كَانَ أَوَّلَ بَعَثَ بَعَثَ عُمَرُ بَعَثُ أَبِي عُبَيْدٍ ، ثُمَّ بَعَثَ يَعْزَبِيَّ بْنَ أُمَيَّةَ إِلَى الْيَمَنِ وَأَمَرَهُ بِإِجْلَاءِ أَهْلِ نَجْرَانَ ، لَوْصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرْضِهِ بِذَلِكَ ، وَلَوْصِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ فِي مَرْضِهِ . وَقَالَ : اثْنَيْهِمْ وَلَا تَفْتَنْتَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ . ثُمَّ أَجْلَاهُمْ ؛ مَنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى دِينِهِ ، وَأَقَرَّ الْمُسْلِمَ ، وَأَمْسَحَ أَرْضَ كُلِّ مَنْ تَجَلَّى مِنْهُمْ ، ثُمَّ خَيْرَهُمُ الْبُلْدَانَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّا نَجْلِيهِمْ بِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ إِلَّا يَتْرُكْ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ دِينَانَ ؛ فَلْيُخْرِجُوا ؛ مَنْ أَقَامَ عَلَى دِينِهِ مِنْهُمْ ؛ ثُمَّ نَعْطِيهِمْ ^(٣) أَرْضًا كَأَرْضِهِمْ ، إِقْرَارًا لِمَ بِالْحَقِّ عَلَى أَنْفُسِنَا ، وَوَفَاءَ بِدَعْوَتِهِمْ فِيمَا أَمَرَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ ؛ بَدَلًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ جِيرَانِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ وَغَيْرِهِمْ فِيمَا صَارَ لِجِيرَانِهِمْ بِالرَّيْفِ .

خبر التمارق

كُتِبَ إِلَى الْمُرَيِّ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ شُعَيْبِ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ سَهْلِ وَمُبَشَّرٍ بِإِسْنَادِهِمَا ، وَمُجَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالُوا : فَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدٍ ، وَسَلَيْطُ بْنُ قَيْسٍ ؛ أَخُو بَنِي عَدِيٍّ بْنِ النَّجَارِ ، وَالْمُثَنَّى بْنُ حَارِثَةَ أَخُو بَنِي شَيْبَانَ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي هَنْدٍ .

كُتِبَ إِلَى الْمُرَيِّ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ شُعَيْبِ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُجَالِدٍ ، وَعُمَرُو عَنْ الشَّعْبِيِّ ، وَأَبَى رَوْحٍ ، قَالُوا : كَانَتْ بُورَانُ بِنْتُ كَسْرَى — كُلَّمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ بِالْمَدَائِنِ — عَدْلًا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى يَصْطَلِحُوا ، فَلَمَّا قُتِلَ الْفَرُّخَزَادُ بْنُ

٢١٦٣/١

(١) ز : « أُنِيَ » . (٢) ز : « وَانْقَلَبُوا » . (٣) ز : « نَعْطِيهِمْ » .

البُندُوانَ وقدم رستم فقتل آزرَ مِدُخت ، كانت عَدَلًا إلى أن استخرجوا
يَزْدَجِرْدَ ، فقدم أبو عبيد والعَدَلُ بُورانَ ، وصاحب الحرب رستم ؛
وقد كانت بُورانَ أهدت للنبي صَلَّى الله عليه وسلّم . فقبل [هديتها]^(١) ،
وكانت ضداً على شيرى سنة ، ثم إنَّها تابعته ، واجتمعا على أن رأس وجعلها
عدلاً .

كتب إلى المَرِيّ بن يحيى . عن شعيب ، عن سيف . عن محمد وطلحة
وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما قتل سِيَاوَحْشَ فَرخَزَاذَ بن البُندُوانَ ،
وملكت آرميدخت ، اختلف أهلُ فارس ، وتشاغلوها عن المسلمين غيبةَ
المنثى كُلِّها إلى أن رجع من المدينة . فبعثت بُورانَ إلى رستم بالخبر ، واستحثته
بالسير ؛ وكان على فَرخَزَ خُرَّاسانَ ، فأقبل في النَّاسِ حتى نزل المدائن ؛
لا يلقى جيشاً لآرميدخت إلا هزمه ، فاقتتلوا بالمدائن ، فهزم سِيَاوَحْشَ
وحُصِرَ وحُصِرَتِ آرميدخت ؛ ثم افتتحها فقتل سِيَاوَحْشَ ، وفقاً عين
آرميدخت ، ونصبَ بُورانَ ودعته إلى القيام بأمرِ أهل فارس ؛ وشككت
إليه تضععتهم وإدبار أمرهم ؛ على أن تملكه عَشْرَ حجج ؛ ثم يكون
المُلْكُ في آل كمرى ، إن وجدوا من غلمانهم^(٢) أحداً ؛ وإلا ففى نسائهم .
فقال رستم : أمّا أنا فسامع مطيع ، غير طالب عيوضاً ولا ثواباً ، وإن
شرقتُموني وصنعتُم إلى شَيْئاً فأنتم أولياء ما صنعتُم ؛ إنما أنا سهبكم وطوعُ
أيديكم . فقالت بُورانَ : اغدُ على ، فغدا عليها ودعتُ مرازيةَ فارس ، وكتبت
له بأنك على حرب فارس ؛ ليس عليك إلا الله عز وجل ، عن رضا منّا وتسلم
لحكمك ، وحكمك جائز فيهم ما كان حكمك في منع أرضهم وجمعهم
عن فُرقتهم . وتوجّهت وأمرت أهلَ فارس أن يسمعوا له ويطيعوا . فدانت له
فارس بعد قدوم أبى عبيد ؛ وكان أوّلُ شَيْءٍ أحدثه عمر بعد موتِ أبى بكر
من اللّيل ؛ أن نادى : الصلاة جامعة ! ثم ندبهم فتنفروا على غير إجابة
من أحد ، ثم نلّجهم في اليوم الرابع ، فأجاب أبو عبيد في اليوم الرابع أوّل
الناس ، وتتابع النَّاسُ ، وانتخب عمر من أهل المدينة ومن حولها ألف رجل ،

٢١٦٥/١

أمر عليهم أبا عبيد ، فقيل له : استعمل عليهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا ها الله ذا يا أصحاب النبي ، لا أندبكم فتتكلون^(١) ، وينتدب غيركم فأوتركم عليهم ! إنكم إنما فضلتكم بتسرعكم^(٢) إلى مثلها ؛ فإن نكلتم فضلوكم ؛ بل أوتر عليكم أولكم انتداباً . وعجل المثني ، وقال : النجاء حتى يقدم عليك أصحابك ! فكان أول شيء أحدثه عمر في خلافته ٢١٦٥/١ مع بيعته بعثه أبا عبيد ، ثم بعث أهل نجران ، ثم ندب أهل الردة ، فأقبلوا سراعاً من كل أوب ؛ فرمى بهم الشام والعراق ؛ وكتب إلى أهل اليرموك ؛ بأن عليكم^(٣) أبا عبيدة بن الجراح ؛ وكتب إليه : إنك على الناس ؛ فإن أظفرك الله فاصرف أهل العراق إلى العراق ؛ ومن أحب من أمدادكم إذا هم قد موا عليكم . فكان أول فتح أناه اليرموك على عشرين ليلة من متوفى أبي بكر ؛ وكان في الأمداد إلى اليرموك في زمن عمر قيس بن هبيرة ، ورجع مع أهل العراق ولم يكن منهم ، وإنما غزا حين أذن عمر لأهل الردة في الغزو . وقد كانت فارس تشاغل بموت شهز برارز عن المسلمين ؛ فلكت شاه زنان ؛ حتى اصطلحوا على سابور بن شهز برارز بن أردشير بن شهريار : فثارت به آرميدخت ، فقتلته والفرخزاد ، وملك - ورستم بن الفرخزاد بخراسان على فرجها - فأناه الخبر عن بوران . وقدم المثني الحيرة من المدينة في عشرين ، ولحقه أبو عبيد بعد شهر ، فأقام المثني بالحيرة خمس عشرة ليلة ؛ وكتب رستم إلى دهاقين السواد أن يثوروا بالمسلمين ، ودس في كل رستاق رجلاً ليثور بأهله ، فبعث جابان إلى البهقباد الأسفل ؛ وبعث نرسي إلى كسكر ، ووعدهم يوماً ؛ وبعث جنداً لمصادمة المثني ؛ وبلغ المثني ذلك ؛ فضم إليه مسالحة وحذر ، وعجل جابان ، فثار ونزل النمارق . ٢١٦٦/١ وتوالوا^(٤) على الخروج ؛ فخرج نرسي ، فنزل زئد ورد ، وثار أهل الرساتيق من أعلى الفرات إلى أسفله ؛ وخرج المثني في جماعة حتى ينزل

(١) ابن حبيش : « فتبشون » .

(٢) ز : « بتسرعكم » . ابن حبيش : « بتسرعتكم » .

(٣) س : « عليهم » . (٤) ز : « ودعاهم » .

خَفَّان ؛ لثَلَاثَةِ يَوْمٍ مِنْ خَلْفِهِ بِشَىءٍ يَكْرَهُهُ ، وَأَقَامَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدَةَ ؛ فَكَانَ أَبُو عُبَيْدٍ عَلَى النَّاسِ ، فَأَقَامَ بِخَفَّانَ أَيَّامًا لَيْسَتْ جَمَّةً^(١) أَصْحَابُهُ ؛ وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَى جَابَانَ بَشَرٌ كَثِيرٌ ، وَخَرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ بَعْدَ مَا جَمَّ النَّاسُ وَظَهَرُوهُمْ ، وَتَعَبَى ، فَجَعَلَ الْمُنْتَنَى عَلَى الْحَيْلِ ، وَعَلَى مِيمَتِهِ وَالْيَقِ بْنِ جِيدَارَةَ ، وَعَلَى مِيسِرَتِهِ عَمْرُو بْنُ الْهَيْثَمِ بْنِ الصَّلْتِ بْنِ حَبِيبِ السَّلْمَى . وَعَلَى مَجْنَبَيْ جَابَانَ جُسْنَسُ مَاهٍ وَمَرْدَانِشَاهُ . فَتَزَلُّوا عَلَى جَابَانَ بِالنَّمَارِقِ ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا . فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارَسَ ، وَأَسِيرَ جَابَانَ ، أَسْرَهُ مَطَرُ بْنُ فَضَّةِ التِّيمِي ، وَأَسِيرَ مَرْدَانِشَاهُ ، أَسْرَهُ أَكْثَلُ بْنُ شَمَّاحِ الْعُكْلِي ، فَأَمَّا أَكْثَلُ فَإِنَّهُ ضَرَبَ عُنُقَ مَرْدَانِشَاهُ ، وَأَمَّا مَطَرُ بْنُ فَضَّةٍ فَإِنَّ جَابَانَ خَدَعَهُ ، حَتَّى تَفَلَّتْ مِنْهُ بِشَىءٍ فَخَلَّتْ عَنْهُ ؛ فَأَخَذَهُ الْمُسْلِمُونَ ، فَأَتَوْا بِهِ أَبَا عُبَيْدٍ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ الْمَلِكُ ، وَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ ، فَقَالَ : إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ أَنْ أَقْتَلَهُ ؛ وَقَدْ آمَنَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ ، وَالْمُسْلِمُونَ^(٢) فِي التَّوَادِّ وَالتَّنَاصُرِ كَالْجَسَدِ ؛ مَا لَزِمَ بَعْضُهُمْ فَقَدْ لَزِمَهُمْ كُلُّهُمْ . فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ الْمَلِكُ ، قَالَ : وَإِنْ كَانَ لَا أَغْدَرَ ، فَفَرَكِهِ .

كُتِبَ إِلَى الْمَرْيَ بْنِ يَحْيَى ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الصَّلْتِ بْنِ بَهْرَامَ ، عَنْ أَبِي عَمْرَانَ الْجُعْفِيِّ ، قَالَ : وَلَّتْ حَرْبُهَا فَارَسَ رُسْتَمَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَلَكَوهُ ، وَكَانَ مِنْجَمًا عَالِمًا بِالنُّجُومِ ، فَقَالَ لَهُ قَاتِلْ : مَا دَعَاكَ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْتَ تَرَى مَا تَرَى ! قَالَ : الطَّمَعُ وَحُبُّ الشَّرَفِ . فَكَاتَبَ أَهْلَ السَّوَادِ ، وَدَسَّ إِلَيْهِمُ الرُّؤْسَاءَ ، فَثَارُوا بِالْمُسْلِمِينَ ؛ وَقَدْ كَانَ عَهْدٌ إِلَى الْقَوْمِ أَنَّ الْأَمِيرَ عَلَيْكُمْ أَوَّلَ مَنْ ثَارَ ، فَثَارَ جَابَانَ فِي فُرَاتٍ بَادَقَلَى ، وَثَارَ النَّاسُ بَعْدَهُ ، وَأَرَزَّ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْمُنْتَنَى بِالْحَيْرَةِ ، فَصَمَدٌ لِيَخَفَّانَ ، وَنَزَلَ خَفَّانَ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ وَهُوَ الْأَمِيرُ عَلَى الْمُنْتَنَى وَغَيْرِهِ ، وَنَزَلَ جَابَانَ النَّمَارِقَ ، فَسَارَ إِلَيْهِ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ خَفَّانَ ، فَالْتَقَوْا بِالنَّمَارِقِ ؛ فَهَزَمَ اللَّهُ أَهْلَ فَارَسَ ، وَأَصَابُوا مِنْهُمْ مَا شَاءُوا وَبَصُرَ مَطَرُ بْنُ فَضَّةٍ - وَكَانَ يَنْسَبُ إِلَى أُمِّهِ - وَأَبَى بِرَجُلٍ عَلَيْهِ حُلِيٌّ ؛ فَشَدَّ عَلَيْهِ فَأَخَذَاهُ أَسِيرًا ، فَوَجَدَاهُ شَيْخًا كَبِيرًا

(١) س : « ليسحمر » .

(٢) كذا في ز وابن الأثير والتويري ؛ وفي ط بحذف الواو والتون .

فرهد فيه أبى ورغب مطر في فدائه ، فاصطلحا على أن سلبه لأبى ، وأن يساره لمطر ، فلما خلاص مطر به ، قال : إنكم معاشر العرب أهل وفاء ، فهل لك أن تؤمنني وأعطيتك غلامين أمريين خفيفين في عملك وكذا وكذا ! ٢١٦٨/١
قال : نعم ، قال : فأدخلني على مليككم ؛ حتى يكون ذلك بمشهد منه ، ففعل فأدخله على أبى عبيد ، فتم له على ذلك ؛ فأجاز أبو عبيد ، فقام أبى وأناس من ربيعة ؛ فأما أبى فقال : أسرته أنا وهو على غير أمان ؛ وأما الآخرون فعرفوه ، وقالوا : هذا الملك جابان ؛ وهو الذى لقينا بهذا الجمع ، فقال : ما تروني فاعلا معاشر ربيعة ؟ أيؤمنه صاحبكم وأقتله أنا ! معاذ الله من ذلك ! وقسم أبو عبيد الغنائم ، وكان فيها عطر كثير ونفقل ، وبعث بالأخماس مع القاسم .

السقراطية بكسكر

كتب إلى المرى بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال أبو عبيد حين انهزموا وأخذوا نحو كسكر ليلجثوا إلى نرسي - وكان نرسي ابن خالة كسرى ؛ وكانت كسكر قطعة له ؛ وكان النرسيان له ، يحمية لا يأكله بشر ، ولا يغرسه غيرهم أو ملك^(١) فارس إلا من أكرموه بشيء منه ، وكان ذلك مذكوراً من فعلهم في الناس ، وأن نمرهم هذا حيمي ، فقال له رستم وبوران : اشخص إلى قطيعتك فاحمها من عدوك وعدونا وكن رجلاً ، فلمّا انهزم الناس يوم النمارق ، ووجهت الفلاة نحو نرسي - ونرسي في عسكره - نادى أبو عبيد بالرحيل ، وقال للمجرّة : أتبعوهم حتى تدخلوهم عسكر نرسي ، ٢١٦٩/١ أو تبيدوهم فيما بين النمارق إلى بارق إلى درنا . وقال عاصم بن عمرو في ذلك :

لعمري وما عمري على بهين لقد صبحت بالخزي أهل النمارق

(١) كذا في ط ، وربما كان اللفظ : « أى ملوك فارس » .

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم يجوسونهم ما بين دُرَّتَا وبارقِ
 قتلناهم ما بين مَرْجِ مُسْلِحٍ وبين الهَوَافِ من طريق البَذَارِقِ
 ومضى أبو عُبَيْدٍ حين ارتحلَ من النَّمَارِقِ حتى ينزل على نَرْسِي
 بكسسكر - ونَرْسِي يومئذ بأسفل كَسْكَر - والمثنَّى في تعبته التي قاتل
 فيها جابانَ ، ونَرْسِي على مجنَّبَتِهِ ابنا خاله - وهما ابنا خال كسرى بِنْدَوِيَّةَ
 وتيرَوِيَّةَ ابنا بَسْطَام - وأهل بارُوسْمَا ونهر جَوْبَرِ والزَّوَابِي معه إلى جندِه ،
 وقد أتى الخبر بُوْران ورستَمَ بهزيمة جابانَ ؛ فبعثوا إلى الجالينوس ، وبلغ ذلك
 نَرْسِي وأهل كَسْكَرَ وبارُوسْمَا ونهر جَوْبَرِ والزَّابِ ، فرجوا أن يلحق قبل
 الوقعة ، وعاجلهم أبو عُبَيْدٍ فالتقوا أسفل من كَسْكَرِ بمكان يدعى السَّقَاطِيَّةَ
 فاقتتلوا في صحارى مُلْسٍ قتالا شديداً . ثم إنَّ الله هزم فارس ، وهرب
 نَرْسِي ، وغلب على عسكره وأرضه ، وأخرب أبو عبيد ما كان حول معسكرهم
 من كسكر ، وجمع الغنائم ، فرأى من الأطمعة شيئاً عظيماً ، فبعث ٢١٧٠/١
 فيمن يليه من العرب فانتقلوا ما شاءوا ، وأخذت خزائن نَرْسِي ؛
 فلم يكونوا بشيء مما خزن أفرح منهم بالنَرْسِيَانِ ؛ لأنَّه كان يحميهِ ويمالته
 عليه ملوكهم ؛ فاقتسموه فجعلوا يُطعمونه الفلاحين ؛ وبعثوا بخُمسه إلى عمر
 وكتبوا إليه : إنَّ الله أطعمنا مطاعم كانت الأكاسرة يحومنها ، وأحببنا أن تروها ؛
 ولتذكروا إنعام الله وإفضاله .

وأقام أبو عبيد وسرح المثنَّى إلى بارُوسْمَا ، وبعث والقا إلى الزَّوَابِي وعاصمًا
 إلى نهر جَوْبَرِ ؛ فهزموا من كان تجمّع وأخربوا وسبوا ، وكان ممَّا أخرب
 المثنَّى وسبى أهل زَنْدَوَرْدَ وبسوسيا ^(١) ، وكان أبو زَعْبَلٍ من سبى
 زَنْدَوَرْدَ ؛ وهرب ذلك الجند إلى الجالينوس ؛ فكان ممن أسر عاصم أهل
 بيتيق من نهر جَوْبَرِ ، وممن أسر والقي أبو الصَّلْتِ . وخرج فروخ وفرَّ ونداذ إلى
 المثنَّى ، يطلبان الجزاء والذمة ، دفعًا عن أرضهم ؛ فأبلغهما أبا عبيد ؛
 أحدهما بارُوسْمَا والآخر نهر جَوْبَرِ ، فأعطياه عن كلِّ رأس أربعة ، فروخ عن
 باروسما وفرَّ ونداذ عن نهر جَوْبَرِ ، ومثل ذلك الزَّوَابِي وكَسْكَرِ ،
 وضممتا لهم الرجال عن التعجيل ، ففعلوا وصاروا صلحاء . وجاء فروخ

(١) ط : « بريمي » ؛ وانظر ص ٤٦١ س ١٥ من هذا الجزء .

٢١٧١/١ وفرونداذ إلى أبي عبيد بآية فيها أنواع أطعمة فارس من الألوان والأخبيصة وغيرها ؛ فقالوا : هذه كرامة أكرمناك بها ، وقرى لك . قال : أأكرمتم الجند وقريتسؤهم مثله ؟ قالوا : لم يتيسر ونحن فاعلون ؛ وإنما يتربصون بهم قدوم الجالينوس وما يصنع ؛ فقال أبو عبيد : فلا حاجة لنا فيما لا يسع الجند ، فردّه ، وخرج أبو عبيد حتى ينزل بباروسما فبلغه مسير الجالينوس .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى الضبى . قال : فأتاه الأندرزغرب بن الحركبذ^(١) بمثل ما جاء به فروخ وفرونداذ . فقال لهم : أأكرمتم الجند بمثله وقريتمهم ؟ قالوا : لا ، فردّه ، وقال : لا حاجة لنا فيه . بشئ المرء أبو عبيد : إن صحب قوماً من بلادهم أهرأوا دماءهم دونّه ، أو لم يهريقوا فاستأثر عليهم بشئ يصيبه ! لا والله لا يأكل ممّا أفاء الله عليهم إلا مثل ما يأكل أوساطهم .

قال أبو جعفر : وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق بنحو من حديث سيف هذا . عن رجاله في توجيه عمر المثنى وأبا عبيد ابن مسعود إلى العراق في حرب من بها من الكفّار وحروهم . ومن حاربهم بها : غير أنه قال : لما هزم جالينوس وأصحابه ، ودخل أبو عبيد باروسما . نزل هو وأصحابه قرية من قراها ؛ فاشتملت عليهم ، فصنع لأبي عبيد طعام^{٢١٧٢/١} فأتى به ؛ فلمّا رآه قال : ما أنا بالذى آكل هذا دون المسلمين ! فقالوا له : كلّ فإنّه ليس من أصحابك أحد إلا وهو يؤتى في منزله بمثل هذا أو أفضل ؛ فأكل . فلمّا رجعوا إليه سألم عن طعامهم . فأخبروه بما جاءهم من الطعام .

كتب إلى السرى بن يحيى . عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر . عن محمد وطلحة وزيادة بإسنادهم . قالوا : وقد كان جابان وترمسي استمدّا بوران . فأمدتهما بالجالينوس في جسد جابان . وأمير أن يبدأ بترمسي ؛ ثم يقاتل أبا عبيد بعد ، فبادره أبو عبيد . فنهض في جنده قبل أن يدنو . فلمّا دنا

استقبله أبو عبيد ، فنزل الجالنوس بياقُسيانا من بارُوسما ، فنَهَد إليه أبو عبيد في المسلمين ؛ وهو على تعبته ؛ فالتقوا على باقُسيانا ، فهزَمهم المسلمون وهرب الجالنوس ، وأقام أبو عبيد ، قد غلب على تلك البلاد .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السريّ والمجالد بنحو من وقعة باقُسيانا .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ومجالد وزِيَاد والنَّضْر بإسنادهم ، قالوا : أتاه أولئك الدّهاقين المتربّصون جميعاً بما وسع الجند ، وهابوا وخافوا على أنفسهم . وأمّا النَّضْر ومجالد فإنهما قالا : قال أبو عبيد : ألم أعلمكم أنّي لستُ آكل إلا ما يسع منى معي ممن أصبتم بهم ! قالوا : لم يبقَ أحدٌ إلا وقد أتى بشبّعه من هذا في رحالم وأفضل . فلمّا راح النَّاس عليه سلّم عن قري أهل الأرض فأخبروه ، وإنما كانوا قصّروا أولاً تربّصاً وخافة عقوبة أهل فارس . وأمّا محمد وطلحة وزِيَاد فإنهم قالوا : فلمّا علم قبيل منهم ، وأكل وأرسل إلى قوم كانوا يأكلون معه أضيافاً عليه يدعوهم إلى الطعام ، وقد أصابوا من نزل فارس ولم يروا أنّهم أتوا بأبائهم بشيء فظنّوا أنّهم يدعون إلى مثل ما كانوا يدعون إليه من غليظ عيش أبي عبيد ؛ وكرهوا ترك ما أتوا به من ذلك ؛ فقالوا له : قل للأمير ؛ إنّنا لا نشتهي شيئاً مع شيء أنتنابه الدّهاقين ؛ فأرسل إليهم : إنّهم طعام كثير من أطعمة الأعاجم ؛ لتنظروا أين هو مما أنتم به ! إنه قرّو ونجم وجوزل^(١) وشواء وخردل ، فقال في ذلك عاصم بن عمرو وأضيافه عنده :

إِنْ تَكُ ذَا قَرَوٍ وَنَجْمٍ وَجَوَزَلٍ فَعِنْدَ ابْنِ قَرَوٍ شَوَاءٌ وَخَرْدَلُ
وَقَرَوٌ رَقَاقٌ كَالصَّحَائِفِ طَوِيَتْ عَلَى مَرْعٍ فِيهَا بَقُولٌ وَجَوَزَلُ
وقال أيضاً :

صَبَحْنَا بِالْبَقَائِسِ رَهْطَ كِسْرَى صَبُوحًا أَيْسَ مِنْ خَمْرِ السَّوَادِ
صَبَحْنَاهُمْ بِكُلِّ فِتْيٍ كَمِيٍّ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ مِنْ خَيْلِ عَادِ^{٢١٧٤/١}

(١) القرو : الإناث الصغير . والجوزل فرخ الحمام .

ثم ارتحل أبو عبيد ، وقدم المثنى ، وسار في تعبته حتى قدم الحيرة .
وقال النضر ومجالد ومحمد وأصحابه : تقدم عمر إلى أبي عبيد ، فقال : إنك
تقدم على أرض المكر والخديعة والخيانة والجبرية ، تقدم على قوم قد جروا
على الشر فعلموه ، وتناسوا الخير فجعلوه ، فانظر كيف تكون ! واخزن
لسانك ، ولا تفشين سرك ؛ فإن صاحب المر ما ضبطه ، متحصن لا يؤتى
من وجهه يكرهه ؛ وإذا ضيعه كان بمضيعة .

• • •

وقعة القرقس

ويقال لها القُسّ قَسّ النّاطيف ، ويقال لها الجسر ، ويقال لها المروحة .

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب ،
عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ولما رجع الجالينوس إلى
رستم ومن أفلت من جنوده ، قال رستم : أيّ العجم أشدّ على العرب فيما ترون ؟
قالوا : بهمن جاذويه ؛ فوجهه ومعه فيلة ^(١) وردّ الجالينوس معه ، وقال
له : قدّم الجالينوس ، فإن عاد لمثلها فاضرب عنقه ، فأقبل بهمن جاذويه ومعه
« درفش كايان » راية كسرى — وكانت من جلود الثمير ، عرض ثمانية
أذرع في طول اثني عشر ذراعاً — وأقبل أبو عبيد ، فترل المروحة ، موضع
البرج والعاقول ، فبعث إليه بهمن جاذويه : إمّا أن تعبروا إلينا ونمدّ عكم والعبور
وإمّا أن تدعونا نعبّر إليكم ! فقال الناس : لا تعبر يا أبا عبيد ، ننهاك عن
العبور . وقالوا له : قل لهم : فليعبروا — وكان من أشدّ الناس عليه في ذلك
سليط — فليج أبو عبيد ، وترك الرأي ، وقال : لا يكونون أجراً على الموت منّا ؛
بل نعبر إليهم . فعبروا إليهم وهم في منزل ضيق المطرد والمذهب ، فاقتلوا
يوماً — وأبو عبيد فيما بين الستة والعشرة — حتى إذا كان من آخر النهار ،
واستبطأ رجل من ثقيف الفتح ، ألف بين الناس ، فتصافحوا بالسيوف وضرب
أبو عبيد الفيل ، وخبط الفيل أبا عبيد ، وقد أسرعت السيوف في أهل فارس ،

٢١٧٥/١

(١) ابن حيش : « الفيلة » .

ثم إن أبا عبيد ندم حين نزلوا به وقالوا : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ ، فحلف ليقطعن الفرات إليهم ، ولیمحصن ما صنع ، فناشده سَلِيط بن قيس ووجوه النَّاس ، وقالوا : إنَّ العرب لم تلق مثل جنود فارس منذ كانوا ، وإيهم قد حفلوا لنا واستقبلونا من الزُّهَاء والعُدَّة بما لم يلقنَّا به أحد منهم ؛ وقد نزلت منزلا لنا فيه مجال وملجأ ومرجع ؛ من فَرَّة إلى كَرَّة . فقال : لا أفعل ؛ جبئت والله ! وكان الرُّسول فيما بين ذى الحجاب وأبى عبيد مردائشاه الحصى ؛ فأخبرهم أنَّ أهل فارس قد عيَّروهم ؛ فازداد أبو عبيد مَحْكَا^(١) ، وردَّ على أصحابه الرأى ، وجبئن سَلِيطا ، فقال : سَلِيط : أنا والله أجرا منك نفسا ؛ وقد أشرنا عليك الرأى فستعلم !

كتب إلى المَرِي بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْر بن السرى ، عن الأغرِّ العجلي ، قال : أقبل ذو الحجاب حتى وقف على شاطئ الفُرات بقُص النَّاطف ، وأبو عبيد معسكرٌ على شاطئ الفُرات بالمَرْوَحَة فقال : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ . فقال أبو عبيد : بل نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ . فعقد ابن صلوبا الجسر للفريقين جميعا ؛ وقبل ذلك ما قد رأت دَوْمَة امرأة أبى عبيد رُؤيا وهى بالمَرْوَحَة ؛ أنَّ رجلا نزل من السماء بإزاء فيه شراب ، فشرب أبو عبيد وجبئن فى أناس من أهله ؛ فأخبرت بها أبا عبيد ، فقال : هذه الشهادة ؛ وعهد أبو عبيد إلى الناس ، فقال : إِنْ قَتِلْتُ فَعَلَى النَّاسِ جَبَرٌ ، فَإِنْ قَتِلْتُ فَعَلَيْكُمْ فَلان ، حتى أمَرَ الذين شربوا من الإِنَاء على الولاء من كلامه . ثم قال : إِنْ قَتِلْتُ أَبُو الْقَاسِمِ فَعَلَيْكُمْ الْمُثَنَّى ، ثُمَّ نَهَدَ بِالنَّاسِ فَعَبَّرَ وَعَبَّرُوا إِلَيْهِمْ ، وَعَضَلْتُ^(٢) الْأَرْضَ بِأَهْلِهَا ، وَأَلْهَمَ النَّاسَ الْحَرْبَ . فَلَمَّا نَظَرْتُ الْخِيُولَ إِلَى الْفَيْلَةِ عَلَيْهَا النَّخْل ؛ وَالْخَيْلُ عَلَيْهَا التَّجَافِيفُ^(٣) وَالْفَرَسَانُ عَلَيْهِمُ الشُّعْرُ^(٤) رَأَيْتُ شَيْئًا مُنْكَرًا لَمْ تَكُنْ تَرَى مِثْلَهُ ، فَجَعَلَ الْمُسْلِمُونَ إِذَا حَمَلُوا عَلَيْهِمْ لَمْ تَقْدَمْ خِيُولُهُمْ ، وَإِذَا حَمَلُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِالْفَيْلَةِ وَالْجَلْجَلِ فَرَقَتْ بَيْنَ كِرَادِيْسِهِمْ ؛ لَا تَقُومُ لَهَا الْخَيْلُ إِلَّا عَلَى نِفَارٍ . وَخَرَقَهُمْ^(٥) الْفَرَسُ

(١) محكا ، أى لجأ . (٢) عضلت الأرض بأهلها : ضاقت بهم لكثرتهم .

(٣) التجفاف ؛ من آلات الحرب ، يوضع على الفرس يتقى بها كالدرع للإنسان .

(٤) الشعر : جمع شعار ، وهو جل الفرس . (٥) خرَقوهم بالشاب : طعنوهم .

بالنشاب، وعضّ المسلمين الألف ؛ وجعلوا لا يصلون إليهم ؛ فترجّل أبو عبيد وترجّل الناس ، ثم مشوا إليهم فصافحهم بالسيوف ؛ فجعلت الفيلة لا تحمل على جماعة إلاّ دفعتهم ؛ فنادى أبو عبيد : احتوشوا^(١) الفيلة ؛ وقطّعوا بطنها^(٢) وأقلبوا عنها أهلها ؛ وواثب هو الفيل الأبيض ، فتعلّق ببطانه فقطعه ؛ ووقع الذين عليه ، وفعل القوم مثل ذلك ؛ فما تركوا فيلا إلا حطّوا رحله ؛ وقتلوا أصحابه ، وأهوى الفيل لأبى عبيد ، فنفع مِشْفَرَه بالسيف ، فاتّقاء الفيل بيده ؛ وأبو عبيد يتجرّمه^(٣) ؛ فأصابه بيده فوق فخبطه الفيل ، وقام عليه ؛ فلما بصّر الناس بأبى عبيد تحت الفيل ، خشعت أنفُس بعضهم ، وأخذ اللواء الذى كان أمره بعده ، فقاتل الفيل حتى تنحّى عن أبى عبيد ، فاجترّه إلى المسلمين ، وأحزروا شلوه^(٤) ؛ وتجرّم الفيل فاتّقاء الفيل بيده ، دأب^(٥) أبى عبيد وخبطه الفيل . وقام عليه وتتابع سبعة من ثقيف ؛ كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت . ثم أخذ اللواء المثنى ، وهرب الناس ، فلما رأى عبد الله بن مرثد الثقفى ما لقيّ أبو عبيد وخلفاؤه وما يصنع الناس ، بادروا إلى الجسر فقطعه ، وقال : يأيّها الناس ، موتوا على ما مات عليه أمراؤكم أوتظفروا . وحاز المشركون المسلمين إلى الجسر ؛ وخشع ناس فتوانوا فى القُرّات ؛ ففرق من لم يصبر وأسرعوا فيمن صبر ، وحتمّى المثنى وفرسان من المسلمين الناس ، ونادى : يأيّها الناس ، إنّا دونكم فاعبروا على هيتكم^(٦) ولا تدهشوا ؛ فلما لن نزایل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرّقوا أنفسكم . فوجدوا الجسر وعبد الله بن مرثد قائم عليه يمنع الناس من العبور ، فأخذوه فأتوا به المثنى ، فضربه وقال : ما حملك على الذى صنعت ؟ قال : ليقاتلوا ، ونادى منّ عبر فجاءوا بعلوج ، فضمّوا إلى السفينة التى قطّعت سفائنهما ، وعبر الناس ، وكان آخر من قتل عند الجسر سكيّط بن قيس ، وعبّر المثنى وحمل جانبه ؛ فاضطرب عسكره ، ورامهم ذو الحاجب فلم يقدر عليهم ؛

٢١٧٩/١

٢١٨٠/١

(١) فى اللسان : « يقال : احتوش القوم الصيد ؛ إذا نفره بعضهم على بعض » .

(٢) البطن : جمع بطن ؛ وهو حزام القتب .

(٣) يتجرّمه : يمسك بمعظمه (٤) شلوه : جمده .

(٥) ز : « ذات » . (٦) هيتكم : أى متمهين ، وفى ابن حبيش : « هيتكم » .

فلما عبر المثنى [وحمل بجانبه] (١) ارفض عنه أهل المدينة حتى لحقوا بالمدينة وتركها بعضهم ونزلوا البوادي وبقي المثنى في قلعة .

كتب إلى السري عن شعيب ، عن سيف ، عن رجل ، عن أبي عثمان التَّهْدِي ، قال : هلك يومئذ أربعة آلاف بين قتيل وغريق ؛ وهرب ألفان ، وبقي ثلاثة آلاف ، وأتى ذا الحجاب الخبر باختلاف فارس ؛ فرجع بجنده ؛ وكان ذلك سبباً لارفضاضهم عنه ، وجرح المثنى ، وأثبت فيه حلق من درعه هتكتهن الرمح .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعطية نحواً منه .

كتب إلى السري ، عن شعيب عن سيف ، عن مجالد وعطية والنضر ، أن أهل المدينة لما لحقوا بالمدينة وأخبروا عمن سار في البلاد استحياء من الهزيمة ، اشتد على عمر ذلك ورحمهم . قال الشعبي : قال عمر : اللهم كل مسلم في حل مني ، أنا فئة كل مسلم ، من لقي العدو ففطع بشيء من أمره فأنا له فئة ؛ يرحم الله أبا عبيد لو كان انحاز إلى لكنت له فئة ! وبعث المثنى بالخبر إلى عمر مع عبد الله بن زيد ، وكان أول من قدم على عمر .

وحدثنا ابن حبيد ؛ قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق بنحو خير سيف هذا في أمر أبي عبيد وذو الحجاب ، وقصة حربهما ، إلا أنه قال : وقد كانت رأت دومة أم المختار بن أبي عبيد ، أن رجلاً نزل من السماء معه إناء فيه شراب من الجنة فيما يرى النائم ، فشرب منه أبو عبيد وجبر بن أبي عبيد وأناس من أهله . وقال أيضاً : فلما رأى أبو عبيد ما يصنع الفيل ، قال : هل لهذه الدابة من مقتل ؟ قالوا : نعم ؛ إذا قطع مشفرها ماتت ، فشد على الفيل فضرب مشفره فقطعه ؛ وبرك عليه الفيل فقتله . وقال أيضاً : فرجعت الفرس ونزل المثنى بن حارثة الئيس ، وتفرق الناس ، فلحقوا بالمدينة ، فكان أول من قدم المدينة بخبر الناس عبد الله بن زيد بن الحُصَيْن الحَنَمِي ، فأخبر الناس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة ابنة عبد الرحمن ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعتُ عمر بن الخطاب حين قدم عبد الله بن زيد ، فنادى : الخبر يا عبد الله بن زيد ! وهو داخل المسجد ، وهو يمر على باب حُجرتي ، فقال : ما عندك يا عبد الله بن زيد ؟ قال : أتاك الخبرُ يا أمير المؤمنين ؛ فلمّا انتهى إليه أخبره خبرَ الناس ، فما سمعتُ برجل حضر أمراً فحدث عنه كان أثبتَ خبراً منه . فلما قدم فلّ الناس ، ورأى عمر جنزَع المسلمين من المهاجرين والأنصار من الفِرار ، قال : لا تجزعوا يا معشر المسلمين ، أنا فئتكم . إنما انحزتم إلى .

٢١٨٢/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ؛ عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن عبد الرحمن بن الحصين وغيره ؛ أن معاذاً القاري أخا بني النجار ؛ كان ممن شهدها ففرّ يومئذ ، فكان إذا قرأ هذه الآية : ﴿ وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِّئَلَّا أُتِيَ فِتْنَةٌ فَفَقْدَ بَاءٍ بِفَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّسُ الْمَصِيرُ ﴾^(١) ، بكى ، فيقول له عمر : لا تبك يا معاذ ، أنا فئتُك ، وإنما انحزت إلى .

* * *

خبر أليس الصُّغرى

قال أبو جعفر : كتب إلى المرى بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن محمد بن نؤيرة وطلحة وزياد وعطية ، قالوا : وخرج جبابان ومردان شاه حتى أخذوا بالطريق ، وهم يرون أنهم سيرفضون ولا يشعرون بما جاء ذا الحاجب من فرقة أهل فارس^(٢) ، فلما ارفض أهل فارس . وخرج ذو الحاجب في آثارهم ، وبلغ المثنى فعلة جبابان ومردان شاه ؛ استخلف على الناس عاصم بن عمرو ، وخرج في جريدة خيل يريد هما ، فظننا أنه هارب ،

(٢) ز : « من الخبر عن فرقة أهل فارس » .

(١) سورة الأنفال ١٦ .

فاعترضاه فأخذهما أسيرين ، وخرج أهل أليس على أصحابهما ، فأتوه بهما أسراء ؛ وعقد لهم بها ذمّة وقدّمهما ، وقال : أنتما غررتما أميرنا ، وكذبتماه واستفزتماه . فغضب أعناقهما ، وضرب أعناق الأسراء ؛ ثم رجع إلى عسكره وهرب أبو مِحْجَن من أليس ؛ ولم يرجع مع المثنى ؛ وكان جرير بن عبد الله وحنظلة بن الربيع ونفر استأذنوا خالدًا من سِوَى ، فأذن لهم ، فقدموا على أبي بكر ، فذكر له جرير حاجته ، فقال : أعلّ حالنا وأخبره بها^(١) ، فلما ولّى عمر دعاه بالبيّنة ؛ فأقامها ، فكتب له عمر إلى عمّاله السعاة في العرب كلّهم : مَنْ كان فيه أحدٌ يُنسب إلى بَسْجِيلة في الجاهليّة ، وثبت عليه في الإسلام يُعرَف ذلك فأخرجوه إلى جرير . ووعدهم^(٢) جرير مكانًا بين العراق والمدينة . ولما أعطى جرير حاجته في استخراج بَسْجِيلة من الناس فجمعهم فأخرجوا له ، وأمرهم بالموعد ما بين مكة والمدينة والعراق ، فتناموا ، قال لجرير : اخرج حتى تلتحق بالمثنى ، فقال : بل الشام ، قال : بل العراق ، فإن أهل الشام قد قوّوا على عدوّهم ، فأبى حتى أكرهه ؛ فلمّا خرجوا له وأمرهم بالموعد عوّضه لإكراهه واستصلاحًا له ، فجعل له ربع خُمس ما أفاء الله عليهم في غزاتهم هذه له ولن اجتماع إليه ، ولن أخرج له إليه من القبائل ، وقال : اتخذونا طريقًا ، فقدموا المدينة ، ثم فصلوا منها إلى العراق ممدّين للمثنى ، وبعث عصمة بن عبد الله من بني عبد بن الحارث الضبّي فيمن تبعه من بني ضبّة ؛ وقد كان كتب إلى أهل الرّدة ، فلم يواف شعبان أحدٌ إلا رى به المثنى .

البُويّب

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم ، قالوا : وبعث المثنى بعد الجسر فيمن يليه من الممّدين ،

(٢) ابن حبيش : « وواعدهم » .

(١) ز : « فيها » .

فتوافوا إليه في جمع عظيم ، اوبلغ رستم والفَيْرُزَان ذلك ، وأتهم العيون به وبما ينتظرون من الأمداد ، واجتمعا على أن يبعثا مِهْرَان الهَمْدَانِي ؛ حتى يريا مِنْ رَأْيِهِمَا ، فخرج مِهْرَان في الخيول وأمرَاه بالحيرة ، وبلغ المثنى الخبر وهو معسكر بمرْج السَّبَاح بين القادسيّة وخَفَّان في الدين أمدوه من العرب عن خبر بشير وكِنَانَة^(١) — وبشير يومئذ بالحيرة — فاستبطن فُرَات باد قُلي . وأرسل إلى جرير ومَنْ معه : إِنَّا جَاءَنَا أَمْرٌ لَمْ نَسْتَطِعْ مَعَهُ الْمَقَامَ حَتَّى تَقْدَمُوا عَلَيْنَا ، فَعَجَّلُوا اللَّحَاقَ بِنَا ، وَمَوْعِدُكُمْ الْبُؤْيُوبُ .

وكان جرير مُمِدًّا لَهُ ، وكتب إلى عِصْمَة ومَنْ مَعَهُ ، وكان مِمْدًّا لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ ، وَإِلَى كُلِّ قَائِدٍ أَظْلَمَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وقال : خذوا على الْجَوْف . فساكوا القادسيّة والجَوْف . وسلك المثنى وسط السَّوَاد ، فطلع على التَّهْرِيذِ ثُمَّ عَلَى الْخَوْرَنَقِ ، وطلع عصمة على النَّجَفِ ، ومَنْ سَلَكَ مَعَهُ طَرِيقَهُ ، وطلع جرير على الْجَوْف ومَنْ سَلَكَ مَعَهُ طَرِيقَهُ ، فانتَهَوْا إِلَى الْمَثْنَى ، وهو على الْبُؤْيُوبِ ، ومِهْرَان من وراء الفرات بإزائه . فاجتمع عسكر المسلمين على الْبُؤْيُوبِ مِمَّا يَلِي مَوْضِعَ الْكُوفَةِ الْيَوْمَ ؛ وَعَلَيْهِمُ الْمَثْنَى وَهُمْ بِإِزَاءِ مِهْرَان وَعَسْكَرِهِ . فقال المثنى لرجل من أهل السواد : مَا يَقَالُ لِلرُّقْعَةِ الَّتِي فِيهَا مِهْرَان وَعَسْكَرُهُ ؟ قَالَ : بَسْسُوسِيَا . ٢١٨٥/١ فقال : أَكْذَبَى مِهْرَان وَهَلَكَ ! نَزَلَ مِنْزَلًا هُوَ الْبَسُّوسُ ؛ وَأَقَامَ بِمَكَانِهِ حَتَّى كَاتَبَهُ مِهْرَان : إِمَّا أَنْ تَعْبُرُوا إِلَيْنَا ، وَإِمَّا أَنْ نَعْبُرَ إِلَيْكُمْ ؛ فَقَالَ الْمَثْنَى : اعْبُرُوا ؛ فَعَبَرَ مِهْرَان ، فَتَزَلَّ عَلَى شَاطِئِ الْفُرَاتِ مَعَهُمْ فِي الْمَلْطَاطِ ، فَقَالَ الْمَثْنَى لِذَلِكَ الرَّجُلِ : مَا يَقَالُ لِهَذِهِ الرُّقْعَةِ الَّتِي نَزَلْنَا مِهْرَان وَعَسْكَرُهُ ؟ قَالَ : شُومِيَا — وَذَلِكَ فِي رَمَضَانَ — فَنَادَى فِي النَّاسِ : ائْهَدُوا لَعَدْوِكُمْ ، فَتَنَاهَدُوا ، وَقَدْ كَانَ الْمَثْنَى عَبَسَ جَيْشَهُ ، فَجَعَلَ عَلَى مَجَنَّبِيهِ مَذْعُورًا وَالنُّسَيْرَ ، وَعَلَى الْمَجْرَدَةِ عَاصِمًا . وَعَلَى الطَّلَائِعِ عِصْمَة ، وَاصْطَفَى الْفَرِيقَانِ ؛ وَقَامَ الْمَثْنَى فِيهِمْ خَطِيبًا ؛ فَقَالَ : إِنَّكُمْ صَوَامٌ ؛ وَالصَّوْمُ مَرْقَّةٌ وَمَضْعَنَةٌ ؛ وَإِنِّي أَرَى مِنَ الرَّأْيِ أَنْ تُفْطِرُوا ثُمَّ تَقْوُوا بِالطَّعَامِ عَلَى قِتَالِ عَدْوِكُمْ . قَالُوا : نَعَمْ ، فَأَفْطَرُوا ؛ فَأَبْصَرَ رَجُلًا يَسْتَوْفِرُ وَيَسْتَنْتِلُ^(٢) مِنَ الصَّفِّ ، فَقَالَ : مَا بَالُ هَذَا ؟ قَالُوا : هُوَ مِمَّنْ فَرَّ مِنْ

(١) ابن جيش : « وكتبه » . (٢) استوفز : تها . واستنتل : تقدم .

الزحف يوم الجسر؛ وهو يريد أن يستقتل، فقرعه بالرمح، وقال: لا أبالك! الزم موقفتك، فإذا أذاك قيرنك فأغنيه عن صاحبك ولا تستقتل، قال: لاني بذلك لجدير، فاستقر ولزم الصف.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن أبي إسحاق الشيباني بمثله.

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عطية. وعن

سفيان الأحمرى، عن المحالد، عن الشعبي، قال: قال عمر حين

٢١٨٦/١

استجم^(١) جمع بجيلة: اتخذونا طريقاً، فخرج سراً وبجيلة وفداهم

نحوه، وخلّفوا الجمهور، فقال: أيّ الوجه أحب إليكم؟ قالوا: الشام فإن

أسلافنا بها، فقال: بل العراق؛ فإن الشام^(٢) في كفاية؛ فلم يزل بهم،

ويأبون عليه حتى عزم على ذلك؛ وجعل لهم ربع خمسمائة ألفاً الله على

المسلمين إلى نصيبهم من النية، فاستعمل عرفة على من كان مقيماً

على جديلة من بجيلة، وجريراً على من كان من بني عامر

وغيرهم؛ وقد كان أبو بكر ولّاه قتال أهل عمان في نفر، وأقبله حين

غزا في البحر، فولّاه عمر عظم بجيلة، وقال: اسمعوا لهذا، وقال للآخرين:

اسمعوا لجريراً، فقال جريراً لبجيلة: تقررّون بهذا - وقد كانت بجيلة غضبت

على عرفة في امرأة منهم - وقد أدخل علينا ما أدخل! فاجتمعوا فأتوا عمر،

فقالوا: أعفنا من عرفة، فقال: لا أعفيكم من أقدمكم هجرة وإسلاماً،

وأعظمكم بلاء وإحساناً، قالوا: استعمل علينا رجلاً منا، ولا تستعمل

علينا نزيحاً فينا، فظن عمر أنهم ينفون من نسيبه، فقال: انظروا ما تقولون!

قالوا: نقول ما نسمع؛ فأرسل إلى عرفة، فقال: إن هؤلاء استغفوني منك،

وزعموا أنك لست منهم، فما عندك؟ قال: صدقوا، وما يسرني أني منهم.

أنا امرؤ من الأزد، ثم من بارق، في كنهف لا يحصى عدده، وحسب

غير مؤتسب^(٣). فقال عمر: نعم الحى الأزد! يأخذون نصيبهم من الخير

والشر. قال عرفة: إنه كان من شأني أن الشر تفاقم فينا، ودارنا واحدة؛

(٢) ز: «أهل الشام».

(١) ابن حبيش: «استجم».

(٣) غير مؤتسب: أي مخلوط غير صريح في نسيبه.

فأصبنا الدماء ، ووتر بعضنا بعضا ، فاعتزلتهم لما خفتهم ، فكنت في ٢١٨٧/١
هؤلاء أسودهم وأقودهم ، فحفظوا على لأمر دار بني وبين دهاقينهم ،
فحسدوني وكفروني . فقال : لا يضرك فاعتزلهم إذ كرهوك . واستعمل
جريرا مكانه ، وجمع له بـجيلة ، وأرى جريرا وبـجيلة أنه يبعث عـرفجة
إلى الشام ، فحبب ذلك إلى جرير العراق ، وخرج جرير في قومه ممدداً للمثنى
ابن حارثة ، حتى نزل ذا قار ، ثم ارتفع حتى إذا كان بالجلل والمثنى
بمرج السباخ ، أتى المثنى الخبر عن حديث بشير وهو بالحيرة ؛ أن الأعاجم
قد بعثوا مهران ، ونهض من المدائن شاخصاً نحو الحيرة . فأرسل المثنى إلى
جرير وإلى عصمة بالحث ، وقد كان عهد إليهم عمر ألا يعبروا بحرا
ولا جسرا إلا بعد ظفر ، فاجتمعوا بالبويب ، فاجتمع العسكران على شاطئ
البويب الشرق ، وكان البويب مغيضاً للقرات أيام المدود ، أزمان فارس ،
يصب في الجوف ، والمشركون بموضع دار الرزق ، والمسلمون بموضع السكون .

كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ،
عن عطية والمجالد بإسنادهما ، قالوا : وقدما على عمر غزاة بني كنانة والأزد في
سبعمائة جميعاً ، فقال : أي الوجوه أحب إليكم ؟ قالوا : الشام ، أسلافنا
أسلافنا ! فقال : ذلك قد كفيتموه ؛ العراق العراق ! ذروا بلدة قد قلل الله
شوكتها وعددها ، واستقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش ، لعل الله أن
يورثكم بـقيسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس . فقال
غالب بن عبد الله الليثي وعرفجة البارق ، كل واحد منهما لقومه ، وقاما فيهم :
يا عـشـيرتاه ! أجبوا أمير المؤمنين إلى ما يرى ، وأمضوا له ما يسكنكم . قالوا :
إننا قد أطلعناك وأجبنا أمير المؤمنين إلى ما رأى وأراد . فدعا لهم عمر بخير
وقاله لهم ، وأمر على بني كنانة غالب بن عبد الله وسرحه ، وأمر على الأزد
عـرفـجة بن عـرـمـة وعامتـهم من بارق ، وفرحوا برجوع عـرفـجة إليهم .
فخرج هذا في قومه ، وهذا في قومه ، حتى قدما على المثنى .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو

بإسنادهما ، قالوا : وخرج هلال بن عُلقمة التيميّ فيمن اجتمع إليه من الرّباب حتى أتى عمر ، فأمره عليهم وسرّحه ، فقدم على المثنّى وخرج ابن المثنّى الجُشميّ ؛ جُشم سعد ، حتى قدم عليه ، فوجّهه وأمره على بني سعد ، فقدم على المثنّى .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبيّ وعطية بإسنادهما ، قالوا : وجاء عبد الله بن ذى السّهْمَيْنِ في أناس من خُشم ، فأمره عليهم ووجّهه إلى المثنّى ، فخرج نحوه حتى قدم عليه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وعمرو بإسنادهما ، قالوا : وجاء رُبْعِيّ في أناس من بني حنظلة ، فأمره عليهم وسرّحهم ، وخرجوا حتى قدم بهم على المثنّى ، فرأس بعده ابنه شَبَث بن رُبْعِيّ ، وقدم عليه أناس من بني عمرو ، فأمر عليهم رُبْعِيّ بن عامر بن خالد العنود ،

٢١٨٩/١

وألحقه بالمثنّى ، وقدم عليه قوم من بني ضَبّة ، فجعلهم فرقتين ، فجعل على إحدى الفرقتين ابن الهَوْبَر ، وعلى الأخرى المنذر بن حسان ، وقدم عليه قُرْط بن جَمّاح في عبد القيس ، فوجّهه . وقالوا جميعاً : اجتمع الفيرزان ورستّم على أن يبعثا مِهْران لقتال المثنّى واستأذنا بُوران - وكانا إذا أرادَا شيئاً دنّوا من حجابها حتى يكلّماها به - فقالا بالذي رأيا وأخبراها بعدد الجيش - وكانت فارس لا تُكثّر^(١) البعوث ؛ حتى كان من أمر العرب ما كان - فلما أخبراها بكثرة عدد الجيش ، قالت : ما بال أهل فارس لا يخرجون إلى العرب كما كانوا يخرجون قبل اليوم ؟ وما لكما لا تبعثان كما كانت الملوك تبعث قبل اليوم ! قالوا : إنّ الهيبة كانت مع عدوّنا يومئذ ،

ولإنها فينا اليوم ؛ فالأنتهما وعرفت ما جاءها به ، فضى مِهْران في جنده حتى

٢١٩٠/١

نزل من دون الفرات والمثنّى وجنده على شاطئ الفرات ؛ والفرات بينهما ؛ وقدم أنس بن هلال النّمريّ ممدّاً للمثنّى في أناس من النّمير نصارى وجلاب جلبوا خيلاً ، وقدم ابن مِرْدَى الفِهريّ التغلبيّ في أناس من بني تغلب نصارى وجلاب جلبوا خيلاً - وهو عبد الله بن كُليب بن خالد - وقالوا حين رأوا نزول العرب بالعجم : نقاتل مع قومنا . وقال مِهْران : إمّا أن تعبروا

(١) كذا في س ، وفي ط : « لا يكثرون » .

إلينا ، وإمّا أن نعبرُ إليكم ، فقال المسلمون : اعبروا إلينا ، فارتحلوا من بسُسُوسيا إلى شُوميا ، وهى موضع دار الرّزق .

كتب إلى المَرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن مُحَقِّز ، عن أبيه ، أن العَجَمَ لما أذن لهم فى العبور نزلوا شوميا موضع دار الرّزق ، فتعبوا هنالك ؛ فأقبلوا إلى المسلمين فى صفوف ثلاثة مع كلِّ صفِّ فيل ، ورجلُهم أمام فيلهم ، وجاءوا ولم زجل . فقال المثنى للمسلمين : إن الذى تسمعون فَشَلٌ ، فالزموا الصَّمْتَ واتمروا هَمَسًا . فدنوا من المسلمين وجاءهم من قِبَل نهر بنى سليم نحو موضع نهر بنى سليم ، فلما دنوا زحفوا ، وصَفَّ المسلمون ٢١٩١/١ فيما بين نهر بنى سليم اليوم وما وراءها .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، قالا : وكان على مجنبتى المثنى بشير وبُسْرين أبى رُهم ، وعلى مجردته المُعْنَى ، وعلى الرَّجُل مسعود ، وعلى الطلائع قبل ذلك اليوم النُّسَيْر ، وعلى الردء مدعور ، وكان على مجنبتى مِهران ابنُ الآزابه مرزبان الحيرة ومرّدانشاه . ولما خرج المثنى طاف فى صفوفه يعهد إليهم عهدَه ، وهو على فرسه الشَّمُوس — وكان يُدعى الشَّمُوس من لين عريكته وطهارته ، فكان إذا ركبهُ قاتل ، وكان لا يركبه إلا لقتال ويدعُه مالم يكن قتال — فوقف على الرايات رايةً رايةً يحضّضهم ، ويأمرهم بأمره ، ويهزم بأحسن ما فيهم ، تحضيضًا لهم ، ولكلهم يقول : إئتى لأرجو ألا تُوْتى العرب اليوم من قبلكم ؛ والله ما يسرّنى اليوم لنفدى شىء إلا وهو يسرّنى لعامتكم ؛ فيجيبونه بمثل ذلك . وأنصفهم المثنى فى القول والفعل ، وخلط النَّاس فى المكروه والحبيب ؛ فلم يستطع أحدٌ منهم أن يعيب له قولًا ولا عملًا . ثم قال : إئتى مكبّر ثلاثًا فتهيئوا ؛ ثم احمِلوا مع الرابعة ، فلما كبّر أوّل تكبيرة أعجلهم أهل فارس وعاجلوهم فخالطوهم مع أوّل تكبيرة ؛ وركدت حرّبتُهم مَلِيًّا ، فرأى المثنى خللاً فى بعض صفوفه ، فأرسل إليهم رجلا ، وقال : إن الأمير يقرّ عليكم السلام ، ويقول : لا تفضحوا المسامحين اليوم ، فقالوا : نعم ، واعتدلوا ، وجعلوا قبل ذلك يروّنه وهو يمدّ لحيته لما يرى منهم ؛ فاعتنوا بأمر لم يجى به

أحد من المسلمين يومئذ فرمقوه ، فرأوه يضحك فَرَحًا والقوم بنو عِجَلٍ^(١) .
 فلما طال القتال واشتد ، عمد المثنى إلى أنس بن هلال ، فقال : يا أنس ،
 إنك امرؤ عرى ، وإن لم تكن على ديننا ؛ فإذا رأيتنى قد حملت على مِهران
 فاحمل معى ، وقال لابن مِرْدَى الفِهر مثل ذلك فأجابه . فحمل المثنى
 على مِهران ؛ فأزاله حتى دخل فى ميمته ، ثم خالطوهم ، واجتمع القلبان
 وارتفع الغبار والمجنّبات تقتتل^(٢) ، لا يستطيعون أن يفرغوا لنصر أميرهم ،
 لا المشركون ولا المسلمون ، وارتث مسعود يومئذ وقواد من قواد المسلمين ؛
 وقد كان قال لهم : إن رأيتمونا أصبنا فلا تدعوا ما أنتم فيه ؛ فإن الجيش
 ينكشف ثم ينصرف ؛ الزموا مصافكم ، وأغنوا غناء من يليكم . وأوجع
 قلب المسلمين فى قلب المشركين ، وقتل غلام من التغلبيين نصراني مِهران
 واستوى على فرسه ، فجعل المثنى سلبه لصاحب خيئه ؛ وكذلك إذا كان
 المشرك فى خيل رجل فقتل وسلب فهو للذى هو أمير على من قتل ؛ وكان له
 قائدان : أحدهما جرير والآخر ابن الحوير ؛ فاقسما سلاحه .

٢١٩٣/١

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفز ،
 عن أبيه محفز بن ثعلبة ؛ قال : جلب فتية من بنى تغلب أفراسا ، فلما التقى
 الزحفان يوم البويب ، قالوا : نقاتل العجم مع العرب ، فأصاب أحدهم
 مِهران يومئذ ، ومِهران على فرس له ورد مجفف بتجفاف أصفر ، بين عينيه
 هلال ، وعلى ذنبه أهيلة من شبة ، فاستوى على فرسه ، ثم انتمى :
 أنا الغلام التغلبى ، أنا قتل المرزبان ! فأتاه جرير وابن الحوير فى قومهما
 فأخذا برجله فأنزلاه .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
 أن جريرا والمنذر اشركا فيه فاقتصما فى سلاحه ، فتقاضيا إلى المثنى ،
 فجعل سلاحه بينهما والمنطقة والسوارين بينهما ، وأفتنوا قلب المشركين .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى روق ، قال :

(١) ز : « بين عجل وما وراءها » . (٢) ز وابن الأثير : « تقتل » .

والله إن كنّا لنأتى البُوب ، فترى فيما بين موضع السكون وبني سُلَيْم عظاماً بيضاً تلوح من هاميهم وأوصالهم ؛ يُعتبر بها . قال : وحدّثني بعض مَنْ شهدها أنّهم كانوا يحزّرونها مائة ألف ، وما عُنِيَ عليها حتى دفنها أدّ فان البيوت .

كتب إلى العَمْرِي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ؛ قالوا : وقف المثنى عند ارتفاع الغبار ؛ حتى أسفر الغبار ، وقد فني قلب المشركين ، والمجنّبات قد هزّ بعضها بعضاً ، فلمّا رأوه وقد أزال القلب ، وأفنى أهله ، قويت المجنّبات — مجنّبات المسلمين — على المشركين ، وجعلوا يردّون الأعاجم على أدبارهم ، وجعل المثنى والمسلمون في القلب يدعون لهم بالنصر ، ويرسل عليهم مَنْ يذمّهم ، ويقول : إنّ المثنى يقول : عاداتكم في أمثالهم ؛ انصروا الله ينصركم ؛ حتى هزموا القوم ، فسابقهم المثنى إلى الجسر فسبقهم وأخذ الأعاجم ، فافترقوا بشاطئ الفرات مصعدين ومصوّبين ، واعتورتهم خيول المسلمين حتى قتلوهم ، ثمّ جعلوهم جُشّاً^(١) ؛ فما كانت بين العرب والعجم وقعة كانت أبى رِمّة منها . ولما ارتث مسعود بن حارثة يومئذ — وكان صرّيع قبل الهزيمة ، فتضعض مَنْ معه ، فرأى ذلك وهو دَئِف — قال : يا معشر بكر بن وائل ، ارفعوا رايّتكم ، ورفعكم الله ! لا يولنّكم مَصْرَعِي . وقاتل أنس بن هلال النمرى يومئذ حتى ارتث ، ارتثه للمثنى ، وضمه وضمّ مسعوداً إليه . وقاتل قُرط بن جَمّاح العبدى يومئذ حتى دقّ قنّاً^(٢) ، وقطع أسيفاً . وقُتِل شَهْرَبَاز من دهاقين فارس وصاحب مجرّدة مِهْران . قال : ولما فرغوا جلس المثنى للناس من بعد الفراغ يحدّثهم ويحدّثونه ، وكلّما جاء رجل فتحدّث قال له : أخبرني عنك ؛ فقال له قُرط بن جَمّاح : قُتِلْتُ رجلاً فوجدتُ منه رائحة المسك ، فقلتُ : مِهْران ، ورجوت أن يكون إِيّاه ، فإذا هو صاحب الخيل شَهْرَبَاز ، فوالله ما رأيته إذ لم يكن مِهْران شيئاً . فقال المثنى : قد قاتلت العرب والعجم في الجاهليّة والإسلام ؛ والله لمائة من العجم في الجاهليّة كانوا أشدّ على من ألف من العرب ، ولمائة اليوم من العرب

(١) جُشّاً : أكروماً .

(٢) القنا : الرماح ، ودقّها : كسرها .

أشدَّ علىّ من ألف من العجم ؛ إن الله أذهب مصدوقتهم ، ووهن كيدهم ؛ فلا يروعنكم زهاء^(١) تروئنه ، ولا سواد ولا قسيّ فُجج^(٢) ، ولا نبال طوال ، فإنهم إذا أعجلوا عنها أو فقدوها ، كالبهايم أينما وجهتموها اتجهت .

وقال رِبْعِيّ وهو يحدث المثنى : لما رأيت ركود الحرب واحتدامها ، قلت : تترسوا^(٣) بالهجان ، فإنهم شادون عليكم ؛ فاصبروا لشدّتين وأنا زعيم لكم بالظفر في الثالثة ؛ فأجابوني والله ؛ فوفّي الله كفالي .

وقال ابن ذي السَّهْمين محدثاً : قلت لأصحابي : إني سمعت الأمير يقرأ ويذكر في قراءته الرُّعب^(٤) ؛ فما ذكره إلا لفضل عنده ؛ أقدوا برايتكم ، وليسحتم راجلكم خيلكم ، ثم احمِلوا ، فما لقول الله من خُلف ؛ فأنجز الله لهم وعده ، وكان كما رجوت .

وقال عَرْفَجَة محدثاً : حُرُّنا كتيبةً منهم إلى الفرات ، ورجوت أن يكون الله تعالى قد أذن في غَرْفِهِمْ وسلّى عنا بها مصيبة الجسر ؛ فلما دخلوا في حدّ الإحراج ، كرّوا علينا ، فقاتلناهم قتالاً شديداً حتى قال بعض قومي : لو أخرت رايبتك ! فقلت : على إقدامها ، وحملت بها على حاميتهم فقتلتها ، فولّوا نحو الفُرات ، فما بلغه منهم أحد فيه الروح .

٢١٩٦/١

وقال رِبْعِيّ بن عامر بن خالد : كنت مع أبي يوم البُويب - قال وسُمّي البُويب يوم الأعشار - أحصى مائة رجل ، قتل كل رجل منهم عشرة في المعركة يومئذ ، وكان عُرْوَة بن زيد الخيل من أصحاب التسعة ، وغالب في بني كنانة من أصحاب التسعة ، وعرفجة في الأزْد من أصحاب التسعة .

وقتل المشركون فيما بين السكون اليوم إلى شاطئ الفرات ، ضفة البُويب الشرقية ؛ وذلك أن المثنى بادروهم عند الهزيمة بالجمر ، فأخذهم عليهم ، فأخذوا يَمْنَةً ويسرة . وتبعهم المسلمون إلى الليل . ومن الغد إلى الليل ، وندم المثنى على أخذه بالجسر ، وقال : لقد عجزت عجرة وفتى الله شرّها بمسابقتي إياهم إلى الجسر وقطّعه . حتى أخرجتهم ؛ فإني غير عائد ؛ فلا تعودوا

(١) الزهاء : العدد .

(٢) يقال : قوس فجاء ومنفجة : بان وترها عن كيدها .

(٣) ترس : تتر بالرس . (٤) ابن حيش : « الزحف »

ولا تقتدوا بى آيتها الناس ، فإنها كانت منى زلة لا ينبغي إحراج أحد إلا من لا يقوى على امتناع . ومات أناس من الجرحى من أعلام المسلمين ، منهم خالد ابن هلال وسعود بن حارثة ، فصلّى عليهم المثنى ، وقدمهم على الأسنان والقرآن ؛ وقال : والله إنه ليُهوّن علىّ وجدى أن شهدها البُويب ، أقدموا وصبروا ، ولم يجزعوا ولم ينكّلوا ، وإن كان في الشهادة كفارة لتجوز الذنوب . ٢١٩٧/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقد كان المثنى وعصمة وجريز أصابوا في أيام البُويب على الظهر نُزل مهبران غنماً ودقيقاً وبقراً ، فبعثوا بها إلى عيالات من قدم من المدينة وقد خلفوهن بالقوادس ، وإلى عيالات أهل الأيام قبائهم ؛ وهم بالخير . وكان دليل الذين ذهبوا بنصيب العيالات الذين بالقوادس عمرو بن عبد المسيح بن بُقيلة ، فلماً رُفِعوا للنسوة فرأين الخيل ، تصايحن وحسبهن غارة ، فقمّن دون الصبيان بالحجارة والعُمد ، فقال عمرو : هكذا ينبغي لنساء هذا الجيش ! وبشروهن بالفتح ، وقالوا : هذا أوله ، وعلى الخيل التي أتتهم بالنزل التسيّر ؛ وأقام في خيله حامية لهم ، ورجع عمرو بن عبد المسيح فبات بالخير . وقال المثنى يومئذ : من يتبع الناس حتى ينتهى إلى السيب ؟ فقام جريز بن عبد الله في قومه ، فقال : يا معشر بَجيلة ، إنكم وجميع من شهد هذا اليوم في السابقة والفضيلة والبلاء سواء ، وليس لأحد منهم في هذا الخُمس غداً من التّقل مثل الذى لكم منه ؛ ولكم رُبُع خمسته نفلاً من أمير المؤمنين ؛ فلا يكوننّ أحدٌ أسرع إلى هذا العدو ولا أشدّ عليه منكم للذى لكم منه ، ونية إلى ما ترجون^(١) ؛ فإنما تنتظرون إحدى الحُسنيين : الشهادة والجنة أو الغنيمة والجنة .

ومال المثنى على الذين أرادوا أن يستقتلوا من مُنهزمة يوم الجسر ، ثم قال : أين المستبسل بالأمس وأصحابه ! انتدبوا في آثار هؤلاء القوم إلى السيب ، وابلغوا من عدوكم ما تغيظونهم به ، فهو خير لكم وأعظم أجراً ؛ واستغفروا الله إن الله غفورٌ رحيم .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حمزة بن علي بن محفّز ، عن رجل من بكّرك بن وائل ، قال : كان أول الناس انتدب يومئذ للمثنى واتّبع آثارهم المستبسل وأصحابه ؛ وقد كان أراد الخروج بالأمس إلى العدو من صفّ المسلمين واستوفز واستنل^(١) ، فأمر المثنى أن يُعقد لهم الجمر؛ ثم أخرجهم في آثار القوم ، واتّبعتهم بتجيلة وخيول من المسلمين تُغذ^(٢) من كلّ فارس ، فانطلقوا في طلبهم حتى بلغوا السيّب ، ولم يبق في العسكر جسر إلا خرج في الخيل ، فأصابوا من البقر والسّيّب وصائر الغنائم شيئاً كثيراً فقسّمه المثنى عليهم ، وفضّل أهل البلاء من جميع القبائل ، ونفّل بتجيلة يومئذ ربع الخمس بينهم بالسوية ، وبعث بثلاثة أرباعه مع عكرمة ؛ وألّى الله الرّعب في قلوب أهل فارس . وكتب القوّاد الذين قادوا النّاس في الطّلب إلى المثنى ، وكتب عاصم وعصمة وجريز : إن الله عزّ وجلّ قد سلّم وكفى ، ووجه لنا ما رأيت ، وليس دون القوم شيء ؛ فتأذن لنا في الإقدام ! فأذن لهم ، فأغاروا حتى بلغوا سباباط ، وتحصّن أهل سباباط منهم واستباحوا القرىّات دونها ؛ وراماهم أهل الحصن بساباط عن حصنهم ، وكان أول من دخل حصنهم ثلاثة قوّاد : عصمة ، وعاصم ، وجريز ؛ وقد تبعهم أوزاع من الناس كلهم . ثم انكفثوا^(٣) راجعين إلى المثنى .

٢١٩٩ / ١

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية بن الحارث ، قال : لما أهلك الله مِهْران استمكن المسلمون من الغارة على السّواد فيما بينهم وبين دجلة فسمّحروها ، لا يخافون كيداً ، ولا يلقون فيها مانعاً ، وانتقضت مسالح العجم ، فرجعت إليهم ؛ واعتصموا بساباط ، وسرّهم أن يتركوا ما وراء دجلة . وكانت وقعة البُويّ في رمضان سنة ثلاث عشرة ، قتل الله عليه مِهْران وجيشه ، وأفعموا جنبتي البُويّ عظاماً ، حتى استوى وما غنى عليها إلا التراب أزمان الفتنة ، وما يثار هنالك شيء إلا وقعوا منها على شيء ؛ وهو ما بين السّكون ومُرْهبة وبنى سلّيم ، وكان منغيضاً للغرات أزمان الأكاسرة بصب في الجوف . وقال الأعور العبديّ الشّتّي :

(١) استنل للأمر : استمع . (٢) ز : « تغذو » . (٣) ز : « انكفثوا » .

هَاجَتْ لِأَعْوَرَ دَارُ الْحَيِّ أَخْرَانَا وَاسْتَبَدَلَتْ بَعْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ خَفَانَا
وَقَدْ أَرَانَا بِهَا وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ إِذْ بِالتَّخِيلَةِ قَتَلَى جُنْدَ مِهْرَانَا
أَزْمَانَ سَارَ الْمُتَنَّى بِالْخَيْسُولِ لَهُمْ فَقَتَلَ الرَّحْفُ مِنْ فُرْسٍ وَجِيلَانَا
سَمَا لِمِهْرَانَ وَالْجَيْشِ الَّذِي مَعَهُ حَتَّى أَبَادَهُمْ مَتْنَى وَوُحْدَانَا

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في أمر جرير وعرفجة والمثنى وقتال المثنى مِهْرَانَ غير ما قصَّ سيف من أخبارهم ؛ والذي قال في أمرهم ما حدثنا محمد بن حمَّيد ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، عن ابن إسحاق ، قال : لما انتهت إلى عمر بن الخطاب مصيبةُ أصحاب الجمر ، وقدم عليه فلتهم ؛ قدم عليه جرير بن عبد الله البجليُّ من اليمن في ركب من بَسْجِيلَةَ ، وعَرْفَجَةَ بن هرثة - وكان عرفجة يومئذ سيدَ بَسْجِيلَةَ ، وكان حليفًا لهم من الأزد - فكلَّمهم عمر ، فقال لهم : إنَّكم قد علمتم ما كان من المصيبة في إخوانكم بالعراق ؛ فسيروا إليهم وأنا أخرج إليكم مَنْ كان منكم في قبائل العرب فأجمعهم إليكم . قالوا : نفعل يا أمير المؤمنين ، فأخرج لهم قَيْسَ كُبَّةَ وَسُحْمَةَ وَعُرَيْنَةَ ؛ وكانوا في قبائل بني عامر بن صعصعة ، وأمرَ عليهم عرفجة بن هرثة ، فغضب من ذلك جرير بن عبد الله البَسْجَلِيُّ ، فقال لبَسْجِيلَةَ : كلِّموا أمير المؤمنين ، فقالوا له : استعملت علينا رجلاً ليس منا ، فأرسل إلى عَرْفَجَةَ ، فقال : ما يقول هؤلاء ؟ قال : صدقوا يا أمير المؤمنين ، لستُ منهم . ولكنِّي رجل من الأزد ، كنَّا أصبنا في الجاهليَّة دماً في قومنا ، فاحتسنا بَسْجِيلَةَ^(١) ، فبلغنا فيهم من السُّود ما بلغنا . فقال له عمر : فاثبت على منزلتك ، ودافعهم كما يدافعونك . قال : لستُ فاعلاً ولا سائرًا معهم ؛ فسار عرفجة إلى البَصْرَةِ بعد أن نُزِلَتْ ، وترك بَسْجِيلَةَ ، وأمرَ عمر على بَسْجِيلَةَ جرير بن عبد الله ، فسار بهم مكانه إلى الكوفة ، وضمَّ إليه عمر قومه من بَسْجِيلَةَ ، فأقبل جرير حتى إذا سرَّ قريباً من المثنى بن حارثة ، كتب إليه المثنى أن أقبل إلى ، فلما أتت مددٌ لي . فكتب إليه جرير : إنني لست فاعلاً إلا أن يأمرني بذلك أمير المؤمنين ؛ أنت أمير وأنا أمير .

(١) ابن حيش : « بَسْجِيلَةَ » .

ثم سار جرير نحو الجسر ، فلقية مهران بن باذان - وكان من عظماء فارس - عند النخيلة ، قد قطع إليه الجسر ، فاقتلا قتالا شديداً ، وشد المنذر بن حسان بن ضرار الضبي على مهران فطعنه ، فوقع عن دابته ، فاقتحم عليه جرير فاحتز رأسه ، فاخترصا في سلبه ، ثم اصطلحا فيه ؛ فأخذ جرير السلاح ، وأخذ المنذر بن حسان منطقته .
قال : وحُدثُ أن مهران لما لقي جريراً قال :

إِنْ تَسْأَلُوا عَنِّي فَإِنِّي مِهْرَانُ أَنَا لِمَنْ أَنْكَرَنِي ابْنُ بَاذَانَ

قال : فانكرت ذلك حتى حدثني من لا أتهم من أهل العلم أنه كان عربياً نشأ مع أبيه باليمن إذ كان عاملاً^(١) لكسرى . قال : فلم أنكر ذلك حين بلغني . ٢٢٠٢ / ١

وكتب المثني إلى عمر يَمَحَل^(٢) بجرير . فكتب عمر إلى المثني : لئن لم أكن لأستعملك على رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم - يعني جريراً . وقد وجهه عمر سعد بن أبي وقاص إلى العراق في ستة آلاف ، أمره عليهم ؛ وكتب إلى المثني وجرير بن عبد الله أن يجتمعا إلى سعد بن أبي وقاص ، وأمر سعداً عليهما ؛ فسار سعد حتى نزل شراف ، وسار المثني وجرير حتى نزلا عليه ، فشتا بها سعد ، واجتمع إليه الناس ، ومات المثني بن حارثة رحمه الله .

• • •

خبر الخنافس

رجع الحديث إلى حديث سيف . كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وغر المثني السواد وخلّف بالحيرة بشير بن الحصاصية ، وأرسل جريراً إلى ميسان ، وهلال بن علفة التيمي إلى دسّ ميسان ، وأذكي المسالح بعصمة بن فلان الضبي

(١) ن : « غلاما » . (٢) يحمل به ، أي يعرض .

وبالكلج الضبي وبعرفجة البارقي ؛ وأمثالهم في قواد المسلمين ؛ فبدأ فترل
 أليس - قرية من قرى الأنبار - وهذه الغزاة تُدعى غزاة الأنبار الآخرة ؛
 وغزاة أليس الآخرة ، وألز^(١) رجلان بالمشني : أحدهما أنباري ، والآخر حيرى^(٢)
 يدلّه كل واحد منهما على سوق ، فأما الأنباري فدلّه على الخنافس ، وأمّا
 الحيرى فدلّه على بغداد . فقال المشني : أيتّهما قبل صاحبتهما ؟ فقالوا : بينهما
 أيام ، قال : أيتّهما أعجل ؟ قالوا : سوق الخنافس سوق يتوفى إليها الناس ،
 ويجتمع بها^(٣) ربيعة وقضاة يخفرونهم . فاستعدّ لها المشني ؛ حتى إذا ظنّ
 أنه موافقها يوم سوقها ركب نحوهم ، فأغار على الخنافس يوم سوقها ،
 وبها خيلان من ربيعة وقضاة ، وعلى قضاة رومانيس بن وبرّة ، وعلى
 ربيعة السليل بن قيس وهم الخفراء ، فانتسف السوّق وما فيها ، وسلب
 الخفراء ، ثم رجع عودّه على بدّته حتى يطرق دهاقين الأنبار طروقاً في
 أوّل النهار يومه ، فتحصّنوا منه ، فلمّا عرفوه نزلوا إليه فاتّوه بالأعلاف والزاد ؛
 وأتوه بالأدلاء على بغداد ؛ فكان وجهه إلى سوق بغداد ، فصبّحهم والمسلمون
 يمحرون السّواد والمشني بالأنبار ، ويشتّون الغارات فيما بين أسفل كسّكر
 وأسفل الفرات وجسور مشقّب إلى عين التّمر وما والاها من الأرض في أرض
 الفلاليج والعال .

كتب إلى المريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيد الله بن محفّز ،
 عن أبيه ، قال : قال رجل من أهل الحيرة للمشني : ألا ندلك على قرية يأتيها
 تجار مدائن كسرى والسّواد ، وتجتمع بها في كلّ سنة مرّة ومعهم فيها
 الأموال ؛ كبيت المال ؛ وهذه أيام سوقهم ، فإن أنت قدرت أن تُغيّر عليهم
 وهم لا يشعرون أصبت فيها مالا^(٤) يكون غناء للمسلمين ؛ وقوّوا به على عدوّهم
 دهرهم ؛ قال : وكم بين مدائن كسرى وبينها ؟ قال : بعض يوم أو عامّة
 يوم ، قال : فكيف لي بها ؟ قالوا : نأمرك إن أردتها أن تأخذ طريق البرّ ،

(١) ألزاه : لصفا .

(٢) ز : « جرى » .

(٣) ابن حيش : « إليها » .

(٤) ابن حيش : « بها أموالا » .

حتى تنتهي إلى الخنافس، فإن أهل الأنبار سيضربون إليها، ويخبرون عنك فيأمنون، ثم تعوج على أهل الأنبار فتأخذ الدهاقين بالأدلاء، فتسير سواد ليلتك من الأنبار حتى تأتيهم صبحاً فتصبتهم غارة.

فخرج من أليس حتى أتى الخنافس، ثم عاج حتى رجع على الأنبار، فلماً أحسنه صاحبها تحصن وهو لا يدرى من هو، وذلك ليلاً، فلماً عرفه نزل إليه فأطعمه المثنى، وخوفه واستكسبه، وقال: إننى أريد أن أغير فابعث معي الأدلاء إلى بغداد، حتى أغير منها إلى المدائن. قال: أنا أجيء معك، قال: لا أريد أن تجيء معي، ولكن ابعث معي من هو أدل منك، فزودهم الأطعمة والأعلاف، وبعث معهم الأدلاء، فساروا حتى إذا كانوا بالنصف، قال لهم المثنى: كم بيني وبين هذه القرية؟ قالوا: أربعة أو خمسة فراسخ. فقال لأصحابه: من ينتدب للحرّس؟ فانتدب له قوم فقال لهم: أذكؤا حرسكم، ونزل، وقال: أيها الناس، أقيموا واطعموا وتوضؤوا وتبئتوا. وبعث الطلائع فحبسوا الناس ليسبقوا الأخبار، فلماً فرغوا أسرى إليهم آخر الليل، فعبر إليهم، فصبتهم في أسواقهم،

٢٢٠٥/١

فوضع فيهم السيف فقتل، وأخذوا ما شاءوا، وقال المثنى: لا تأخذوا إلا الذهب والفضة، ولا تأخذوا من المتاع إلا ما بقدر الرجل منكم على حمله على دابته. وهرب أهل الأسواق، ومأأ المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والحرّ من كل شيء، ثم خرج كاراً حتى نزل بنهر السيلحين بالأنبار، فنزل وخطب الناس، وقال: أيها الناس، انزلوا وقصّوا أوطاركم، وتأهبوا للسّير، واحمدوا الله وسلّوه العافية، ثم انكشفوا قبيضاً^(١).

ففعّلوا، فسمع همساً فيما بينهم: ما أسرع القوم في طلبنا! فقال: تتناجوا بالبرّ والتقوى ولا تتناجوا بالإثم والعدوان، انظروا في الأمور وقدّروها ثم تكلموا، إنه لم يبلغ النذير مدينتهم بعد؛ ولو بلغهم لحال الرّعب بينهم وبين طلبكم. إن للغارات روعات تنتشر عليها يوماً إلى الليل، ولو طلبكم المحامون من رأى العين ما أدركوكم؛ وأنتم على العيراب^(٢) حتى تنتهوا إلى

(١) قبيضاً، أى سريعاً. (٢) العيراب، الخيل السليمة من الحجة.

عسكركم وجماعتكم ، ولو أدركوكم لقاتلتهم لاثنتين : التماس الأجر ورجاء النصر ؛ فثَقُّوا بالله وأحسنوا به الظَّنَّ ، فقد نصركم الله في مواطن كثيرة وهم أعدُّ منكم ؛ وسأخبركم عنِّي وعن انكماشى والذى أريد بذلك ؛ إن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أوصانا أن نَقْلِلَ العُرْجَةَ ^(١) ، ونسرع الكُرَّةَ في الغارات ، ونسرع في غير ذلك الأوبَةِ . وأقبل بهم ومعهم أدلاً وهم يقطعون بهم الصحارى والأنهار ؛ حتى انتهى بهم إلى الأنبار ؛ فاستقبلهم دهاقين الأنبار بالكرامة ، واستبشروا بسلامته ، وكان مواعده الإحسان إليهم إذا استقام لهم من أمرهم ما يحبُّون .

كتب إلى السرى ، عن شبيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد ، قالوا : لمَّا رجع المثنى من بغداد إلى الأنبار سرح المِضَارِبَ العجلىّ وزيدا إلى الكبّاث ، وعليه فارس العُتَابِ التغلبىّ ، ثمّ خرج في آثارهم ، فقدم الرّجلان الكبّاث ، وقد ارفضوا ، وأخلوا الكبّاث ، وكان أهله كلّهم من بنى تغلب ، فركبوا آثارهم يتبعونهم ، فأدركوا أخرياتهم وفارس العُتَابِ يحميهم ، فحماهم ساعة ثم هرب ، وقتلوا في أخرياتهم وأكثروا ، ورجع المثنى إلى عسكره بالأنبار ، والخليفة عليهم فُرات بن حيّان . فلما رجع المثنى إلى الأنبار سرح فُرات ابن حيّان وعُتْبَةَ بن النّهاس وأمرهما بالغارة على أحياء من تغلب والنّسِيرِ بيصفيّين ، ثم اتّبعهما وخلف على الناس عمرو بن أبى سُلَيمى الهُجَيمى ؛ فلَمَّا دنوا من صِيفَيْن ، افترق المثنى وفُرات وعُتْبَةُ ، وفرّ أهل صِيفَيْن وعبروا الفرات إلى الجزيرة ، وتحصّنوا ، وأرمل ^(٢) المثنى وأصحابه من الزاد ، حتى أقبلوا على رواحلهم إلّا مالا بدّ منه فأكادها حتى أخفافها وعظامها وجلودها . ثم أدركوا غيراً من أهل دِيَّافٍ وحَوْران ، فقتلوا العلوج وأصابوا ثلاثة نفر من بنى تغلب خفراء ، وأخذوا العير ، وكان ظهراً فاضلاً ، وقال لهم : دلّوني ، فقال أحدهم : آذنوني على أهليّ ومالى ، وأدلكم على حتّى من تغلب غدوت من عندهم اليوم ؛ فأمّته المثنى وسارّ معه يومه ، حتى إذا كان العشىّ دجج على القوم ، فإذا السّعم صادرة عن الماء ، وإذا القوم جلّوس بأفنية

(١) العرجة : المقام . (٢) أى قل زادهم ، أو افتقدوه .

البيوت ، فبث غارته ، فقتلوا المقاتلة ، وسبوا الذرية ؛ واستاقوا الأموال ، وإذا هم بنو ذى الرُّويْحلة ؛ فاشترى مَنْ كان بين المسلمين من ربيعة السَّبَّابَا بنصيبه من النِّع ، وأعتقوا سَبِيَّهِمْ ؛ وكانت ربيعة لَاتُسَبَّى إِذْ الْعَرَبُ يَتَسَابَوْنَ في جاهليَّتِهِمْ .

وأخبر المثنى أن جمهور مَنْ سلك البلاد قد انتجعوا الشَّطَّ (١) ؛ شاطىء دجلة ، فخرج المثنى ، وعلى مقدَّمته في غزواته هذه بعد البُوَيْب كلها حذيفة بن محصن الغلفاني ، وعلى مجنَّبِيهِ النُّعْمان بن عوف بن النُّعْمان ومَطَر الشَّيبانيان ، فسرح في أدبارهم حذيفة واتَّبعه ؛ فأدركوهم بَتَكْرِيت دُونَهَا من حيث طلبوهم يخوضون الماء ، فأصابوا ما شاءوا من النِّعَم . حتى أصاب الرجل خمساً من النِّعَم ، وخمساً من السَّبِي ، وخُمس المال ؛ وجاء به حتى ينزل على النَّاس بالأنبار ؛ وقد مضى فُرَات وعُتَيْبَةُ في وجوههما ؛ حتى أغاروا على صِفَتَيْن وبها النَّمِير وتَغْلِب متساندين ، فأغاروا عليهم (٢) حتى رموا بطائفة منهم في الماء ، فناشدوهم فلم يقلعوا عنهم ، وجعلوا ينادونهم : العرق العرق ! وجعل عُتَيْبَةُ وفُرَات يذمرُونَ النَّاس ، وينادونهم : تغريق بتحريق — يذكرونهم يوماً من أيَّامهم في الجاهليَّة أحرقوا فيه قومًا من بَكْر بن وائل في غِيَضَةٍ من الغياض — ثم انكفئوا راجعين إلى المثنى ، وقد غرقوهم .

٢٢٠٨/١

ولما تراجع الناس إلى عسكرهم بالأنبار وتوافى بها البعوث والمرايا ، انحدر بهم المثنى إلى الحيرة ، فنزل بها . وكانت تكون لعمر رحمه الله العيون في كلِّ جيش ، فكتب إلى عمر بما كان في تلك الغزاة ، وبلغه الذي قال عُتَيْبَةُ وفُرَات يوم بنى تغلب والماء ؛ فبعث إليهما فسألهما ، فأخبراه أنهما قالا ذلك على وجه أنه مَثَلٌ ، وأنهما لم يفعلا ذلك على وجه طلب ذَحْل الجاهليَّة ، فاستحلفهما ، فحلفا أنَّهما ما أرادا بذلك إلَّا المثل وإعزاز الإسلام ، فصدقهما وردَّهما حتى قدما على المثنى .

* * *

(١) ابن حيش : « للشاطى » .

(٢) بعدها في ابن حيش : « وبنوا بهم فمسيوهم » .

ذكر الخبر عما هيّج أمر القادسية

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن عبد الله بن سواد بن نُؤيرة، عن عزيز بن مِكنَاف التميمي ثم الأسديّ، وطلحة بن الأعمى الحنفيّ، عن المغيرة بن عتيبة بن النّهاس العجلّيّ، وزياد بن سرجس الأحمريّ، عن عبد الرحمن بن سابط الأحمريّ، قالوا جميعاً: قال أهل فارس لرُسُتم والفيروزان - وهما على أهل فارس: أين يُذهب بكما! لم يرح بكما الاختلاف حتى وهنتما أهل فارس، وأطمعتما فيهم عدوهم! وإنه لم يبلغ من خطركما أن يقرّكما فارس على هذا الرأي، وأن تعرّضاها للهلكة؛ ما بعد بغداد وسابط وتكرت إلا المدائن؛ والله لتجتمعان أو لنبدأن بكما قبل أن يشمت بنا شامت.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن عبيد الله بن محفّز، عن أبيه، قال: قال أهل فارس لرستم والمسلمون بمخرون السّواد: ما تنتظرون والله إلا أن يُنزل بنا ونهلك! والله ما جرّ هذا الوهن علينا غيركم يا معاشر القوّاد! لقد فرّقتم بين أهل فارس وثبّطتموهم عن عدوهم. والله أولاً أن في قتلكم هلاكنا لعجّلنا لكم القتل الساعة، ولئن لم تنتهوا لنهلكنكم ثم نهلك وقد اشتفينا منكم.

كتب إلى السريّ، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزياد، قالوا: فقال الفيروزان ورستم لبُوران ابنة كسرى: اكتبى لنا نساء كسرى وسراريّه ونساء آل كسرى وسراريّههم. ففعلت، ثم أخرجت ذلك إليهم في كتاب، فأرسلوا في طلبهن فلم يبق منهن امرأة إلا أتوا بها، فأخذوهن بالرجال ووضعوا عليهن العذاب يستدلوّنهن على ذكر من أبناء كسرى، فلم يوجد عندهن منهم أحد، وقلن - أو من قال منهن: لم يبق إلا غلام يدعى يزْدَجِرْد من ولد شهريار بن كسرى، وأمّه من أهل بادوريا. فأرسلوا إليها فأخذوها به، وكانت قد أنزلته في أيام شيرى حين جمعهن في القصر

الأبيض ، فقتل الذكور ، فواعدت أخواله ، ثم دلته إليهم في زبيل^(١) فسألوها عنه وأخذوها به ، فدلتهن عليه ، فأرسلوا إليه فجاءوا به فلكوه وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، واجتمعوا عليه ، واطمأننت فارس واستوثقوا وتبارى الرؤساء في طاعته ومعونته فسمي الجنود لكل مسلحة كانت لكسرى أو موضع ثغر ، فسمي جند الحيرة والأنبار والمسالخ والأبلّة . وبلغ ذلك من أمرهم واجتماعهم على يزدجرد المثنى والمسلمين ، فكتبوا إلى عمر بما ينتظرون ممن بين ظهرائهم ، فلم يصل الكتاب إلى عمر حتى كفر أهل السواد ؛ من كان له منهم عهد ومن لم يكن له منهم عهد . فخرج المثنى على حاميته حتى نزل بذي قار ، وتترّل الناس بالطف في عسكر واحد حتى جاءهم كتاب عمر :

أما بعد ؛ فاخرجوا من بين ظهرى الأعاجم ، وتفرّقوا في المياه التي تلي الأعاجم على حدود أرضكم وأرضهم ، ولا تدعوا في ربيعة أحداً ولا مضر ولا حلفائهم أحداً من أهل النجندات ولا فارساً إلا اجتلبتموه ؛ فإن جاء طائعا وإلا حشرتموه ، احملوا العرب على الجدل إذ جدّ العجم ؛ فلتلقوا جدّهم بجدكم .

٢٢١١/١

فنزل المثنى بذي قار ، ونزل الناس بالجلّ وشراف إلى غضيّ - وغضيّ حيال البصرة - فكان جرير بن عبد الله بغضيّ وسبيرة بن عمرو والعنبري ومن أخذ أخذهم فيمن معه إلى سلمان ، فكانوا في أمواه الطّف من أولها إلى آخرها مسالّح بعضهم ينظر إلى بعض ؛ ويغيث بعضهم بعضاً إن كان كون ، وذلك في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة .

حدثنا السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : كان أول ما عمل به عمر حين بلغه أن فارس قد ملكوا يزدجرد ، أن كتب إلى عمّال العرب على الكور والقبائل ، وذلك في ذي الحجة سنة ثلاث عشرة مخرجه إلى الحجّ ، وحجّ سنواته كلها : لاتدعأ

أحدًا له سلاح ، أو فرس ، أو نجدة ، أو رأى إلا انتخبتموه ، ثم وجهتموه إلى ، والعَجَل العَجَل !

ففضت الرُّسُل إلى مَنْ أرسلهم إليهم مخرجه إلى الحج ، ووافاه أهلُ هذا الضَرْب من القبائل التي طُرِفها على مكّة والمدينة ، فأما مَنْ كان من أهل المدينة على النّصف ما بينه وبين العراق ، فوافاه بالمدينة مرجعه من الحج ، وأما مَنْ كان أسفلَ من ذلك فانضمّوا إلى المثنى ، فأما مَنْ وافى عمر فإنّهم أخبروه عمّن وراءهم بالحث .

وقال أبو معشر ، فيما حدثني الحارث ، عن ابن سعد ، عنه . وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : الذي حجّ بالناس سنة ثلاث عشرة عبد الرحمن بن عوف .

وقد حدثني المقدسي^(١) ، عن إسحاق الفَرَوِيّ ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : استعمل عمرُ على الحجّ عبدَ الرحمن بن عَوْف في السنة التي وليَ فيها ، فحجّ بالناس ، ثم حجّ سنه كلَّها بعد ذلك بنفسه .

وكان عامل عمر في هذه السنة — على ما ذكر — على مكّة عتّاب بن أسيد ، وعلى الطائف عثمان بن أبي العاص ، وعلى اليمن يعلّى بن مُنْية ، وعلى عُمان واليمامة حذيفة بن مِحْصَن ، وعلى البحرين العلاء بن الحضرمي ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى فرَج الكوفة وما فتح من أرضها المثنى ابن حارثة .

وكان على القضاء فيما ذُكِر — على بن أبي طالب . وقيل : لم يكن لعمر في أيامه قاضٍ .

(١) ط : « المقدسي » ، وهو ابن المقدس أبو عثمان ، وانظر ص ١٨٠ س ٢ من هذا الجزء .

ثم دخلت سنة أربع عشرة

[ذكر ابتداء أمر القادسية]

٢٢١٣/١

ففي أول يوم من المحرم سنة أربع عشرة - فيما كتب إلى به السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم - خرج عمر حتى نزل على ماء يدعى صيراراً ، فمسكر به ولا يدري الناس ما يريد ؛ أيسرُ أم يقيم . وكانوا إذا أرادوا أن يسألوه عن شيء رموه بعثمان أو بعبد الرحمن بن عوف ؛ وكان عثمان يُدعى في إمارة عمر رديفاً - قالوا : والرديف بلسان العرب [الرجل] ^(١) الذي بعد الرجل ، والعرب تقول ذلك للرجل الذي يرجونه بعد رئيسهم ^(٢) - وكانوا إذا لم يقدر هذان على علم شيء مما يريدون ، نلثوا بالعبّاس ، فقال عثمان لعمر : ما بلغك ؟ ما الذي تريد ؟ فنادى : الصلاة جامعة . فاجتمع الناس إليه ، فأخبرهم الخبر . ثم نظر ما يقول الناس ، فقال العامة : سيرٌ وسيرٌ بنا معك ؛ فدخل معهم في رأيهم ، وكره أن يدعهم حتى يُخرجهم منه في رفق ، فقال : استعدوا وأعدوا فإنني سائرٌ إلا أن يجيء رأى هو أمثل من ذلك ^(٣) . ثم بعث إلى أهل الرأي ، فاجتمع إليه وجوه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأعلام العرب ، فقال : أحضروني الرأي فإنني سائر . فاجتمعوا جميعاً ، وأجمع مآلهم على أن يبعث رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم وقيم ، ويرمي بالخنود ، فإن كان الذي يشتهي من الفتح ، فهو الذي يريد ويريدون ؛ وإلا أعاد رجلاً وندب جنداً آخر ؛ وفي ذلك ما يغيظ العدو ، ويرعوى المسلمون ، ويجيء نصر الله بإنجاز موعود الله . فنادى عمر : الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس إليه ، وأرسل إلى علي عليه السلام ، وقد استخلفه على المدينة ، فأتاه ، وإلى طلحة وقد بعثه

(١) من ز . (٢) اللسان : « أرداف الملوك هم الذين يخلفونهم في القيام بأمر المملكة ؛ بمنزلة الوزراء في الإسلام ، واحدهم ردف ؛ والاسم الردافة » .
(٣) ز ، وابن الأثير : « هذا » .

على المقدمة ، فرجع إليه ، و [جعل] ^(١) على المجنبتين الزبير وعبد الرحمن بن عوف ،
فقام في الناس فقال : إن الله عز وجل قد جمع على الإسلام أهله ؛ فألف بين
القلوب ، وجعلهم فيه إخواناً ، والمسلمون فيما بينهم كالجسد لا يخلو منه
شيء من شيء أصاب غيره ؛ وكذلك يَحِقُّ على المسلمين أن يكونوا أمرهم
شورى بينهم وبين ^(٢) ذوى الرأي منهم ؛ فالناس تبع لمن قام بهذا الأمر ؛
ما اجتمعوا عليه ورضوا به لزم الناس وكانوا فيه تبعاً لهم ، ومن أقام بهذا
الأمر تبع لأولى رأيهم ما رأوا لهم ورضوا به لهم من مكيدة في حرب كانوا
فيه تبعاً لهم . يأتيها الناس ، إنى إنمّا كنت كرجل منكم حتى صرفنى ^(٣)
ذوو الرأي منكم عن الخروج ، فقد رأيت أن أقيم وأبعث رجلاً ، وقد أحضرتُ
هذا الأمر ؛ مَنْ قَدِّمْتُ وَمَنْ خَلَفْتُ . وكان على عليه السلام خليفته على
المدينة ، وطلحة على مقدمته بالأعوص ؛ فأحضرهما ذلك .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن إسحاق ، عن
صالح بن كيسان ، عن عمر بن عبد العزيز ، قال : لما انتهى قتل أبي عبيد
ابن مسعود إلى عمر ، واجتمع أهل فارس على رجل من آل كسرى ، نادى
في المهاجرين والأنصار ؛ وخرج حتى أتى صيراراً ، وقدّم طلحة بن عبيد الله
حتى يأتي الأعوص ، وسمي لميمته عبد الرحمن بن عوف ، وليسرته الزبير
ابن العوام ، واستخلف عليّاً رضى الله عنه على المدينة ، واستشار الناس ،
فكلّهم أشار عليه بالسّير إلى فارس ، ولم يكن استشار في الذي كان حتى نزل
بصيرار ورجع طلحة ، فاستشار ذوى الرأي ، فكان طلحة ممّن تابع الناس ،
وكان عبد الرحمن ممّن نهاه ، فقال عبد الرحمن : فما فديتُ أحداً بأبى وأمى
بعد النبي صلى الله عليه وسلّم قبل يومئذ ولا بعده ؛ فقلت : يا بأبى وأمى ،
اجعل عجزها بي ^(٤) وأقيم وأبعث جنداً ، فقد رأيت قضاء الله لك في جندك
قبل وبعد ، فإنه إن يهزم ^(٥) جيشك ليس كهزيمتك ؛ وإنك إن تقتل أو تهزم

(١) من س . (٢) كذا في س ، وفي ط بحذف الواو . (٣) ز : « صدقني » .

(٤) ز : « لي » . (٥) س : « انهزم » .

في أنف الأمر خشيتُ ألاَّ يكبرَ المسلمون وألاَّ يشهدوا أن لا إله إلا الله أبداً وهو في ارتيادٍ من رجل ؛ وأتى كتاب سعدٍ على حَقَفٍ^(١) مشورتهم ؛ وهو على بعض صدقات نجند ، فقال عمر : فأشيروا علىَّ برجل ، فقال عبد الرحمن : وجدته ، قال : مَنْ هو ؟ قال : الأسد في برائته ؛ سعد بن مالك ؛ وماله أولو الرأي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن خُلَيْد بن ذَفْرَةَ^(٢) ، عن أبيه ، قال : كتب المثنى إلى عُمرَ باجتماع فارس على يَزْدَجَرْد وبيعوتهم ، وبحال أهل الذمة . فكتب إليه عمر ؛ أن تَنَحَّ إلى البَرِّ ، وادعُ مَنْ يليك ، وأقم منهم قريباً على حدود أرضك وأرضهم ؛ حتى يأتِيكَ أمرى . وعاجلتهم الأعاجم فزاحفتهم الرُّحوف ، وثار بهم أهل الذمة ؛ فخرج المثنى بالناس حتى ينزلَ الطَّف ، ففرقهم فيه من أوله إلى آخره ، فأقام ما بين غُضَيَّ إلى القُطْقُطانة مسالحة ، وعادت مسالحة كسرى وثغوره ، واستقرَّ أمرُ فارس وهم في ذلك هائبون مُشْفِقُونَ ، والمسلمون متدققون^(٣) قد ضَرُّوا بهم كالأسد يَنَازِعُ فريسته^(٤) ، ثم يعاود الكرَّ^(٥) ؛ وأمرؤهم يكفكفونهم بكتاب^(٦) عمر وأمداد المسلمين .

٢٢١٦/١ كتب إلى السري بن يحيى ، عن شعيب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمر ، عن سهل بن يوسف ، عن القاسم بن محمد ، قال : قد كان أبو بكر استعمل سعداً على صدقات هوازن بنجند ، فأقره عمر ، وكتب إليه فيمن كتب إليه من العُمَال حين استنفر الناس أن ينتخب أهل الخيل والسلاح ممَّن له رأى ونجدة . فرجع إليه كتاب سعد بمن جمع الله^(٧) له من ذلك الضرب ؛ فوافق عمر وقد استشارهم في رجل ، فأشاروا عليه به عند ذكره .

(١) على حنف مشورتهم ، أى حين مشورتهم (٢) ط : « زفر » ، وانظر التصويبات .

(٣) ز ، س : « متدققون » ، ابن حبيش : « يتدققون » .

(٤) ز : « ضريبته » .

(٥) س : « الكرة » .

(٦) كذا في ز ، س ، وفي ط : « لكتاب » .

(٧) ابن حبيش : « بمن جمع إليه » .

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما،
 قالا : كان سعد بن أبي وقاص على صدقات هوازن ، فكتب إليه عمر
 فيمن كتب إليه بانتخاب ذوى الرأي والنجدة ممن كان له سلاح أو
 فرس ، فجاءه كتاب سعد : إني قد انتخبت لك ألف فارس مؤد^(١) كلهم
 له نجدة ورأى ، وصاحب حيلة يحوط حريم قومه ، ويمنع ذمارهم ، إليهم
 انتهت أحسابهم ورأيهم ، فشأنك بهم . ووافق كتابه مشورتهم ، فقالوا : قد
 وجدته ، قال : فمن ؟ قالوا : الأسد عاديًا ، قال : من ؟ قالوا : سعد ،
 فأنتهى إلى قولهم فأرسل إليه ، فقدم عليه ، فأمره على حرب العراق وأوصاه .
 فقال : يا سعد ، سعد بنى وهيب ؛ لا يغرنك من الله أن قبل خال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وصاحب رسول الله ؛ فإن الله عز وجل لا يحو
 السيى بالسيى ؛ ولكنه يحو السيى بالحسن ؛ فإن الله ليس بينه وبين
 أحد نسب^(٢) إلا طاعته^(٣) ؛ فالتأس شريفهم وضيعهم في ذات الله سواء ؛
 الله ربهم وهم عباده ، يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عنده بالطاعة . فانظر
 الأمر الذى رأيت النبى صلى الله عليه وسلم عليه منذ بعث إلى أن فارقتنا
 فالزمه فإنه الأمر . هذه عظمى إياك إن تركتها ورغبت عنها حبط
 عملك ؛ وكنت من الخاسرين .

ولمّا أراد أن يسرّحه دعاه ، فقال : إني قد وليتُك حرب العراق فاحفظ
 وصيتي فإنك تقدم على أمر شديد كرهه لا يخلص منه إلا الحق ، فعود
 نفسك ومن معك الخير ، واستفتح به . واعلم أن لكل عادة عتادًا ، فعتاد
 الخير الصبر ؛ فالصبر على ما أصابك أو نابك ؛ يجتمع لك خشية الله .
 واعلم أن خشية الله تجتمع في أمرين : في طاعته واجتناب معصيته ؛ وإنما
 أطاعه من أطاعه بيقض الدنيا وحب الآخرة ، وعصاه من عصاه بحب الدنيا

(١) يقال : رجل مؤد : ذو أداة ؛ أو كامل أداة السلاح .

(٢) ابن حبيش : « سبب » .

(٣) ابن كثير : « بطاعته » .

وبغض الآخرة ؛ وللقلوب حقائق ينشئها الله لإنشاء ؛ منها السر ، ومنها العلانية ؛ فأما العلانية فإن يكون حامدُه وذامه في الحق سواء ، وأما السر فيعرف بظهور الحكمة من قلبه على لسانه ، وبمحبة الناس ؛ فلا تزهد في التجبب فإن النبيين قد سألوا محبتهم ؛ وإن الله إذا أحب عبداً حببه ؛ وإذا أبغض عبداً بغضه . فاعتبر منزلتك عند الله تعالى بمنزلتك عند الناس ، ممن يشرع معك في أمرك . ثم سرّحه فيمن اجتمع إليه بالمدينة من نفير المسلمين . ٢٢١٨/١

فخرج سعد بن أبي وقاص من المدينة قاصداً العراق في أربعة آلاف ؛ ثلاثة ممن قدم عليه من اليمّين والسرّة ؛ وعلى أهل السرّوات حميضة بن النعمان بن حميضة البارقى ؛ وهم بارق والغامد وسائر إخوانهم ؛ في سبعمئة من أهل السرّة ، وأهل اليمن ألفان وثلاثمئة ؛ منهم النخع بن عمرو ، وجميعهم يومئذ أربعة آلاف ؛ مقاتلتهم وذرائعهم ونسائهم ؛ وأتاهم عمر في عسكرهم ؛ فأرادهم جميعاً على العراق ، فأبوا إلا الشام ، وأبى إلا العراق ، فسمح نصفهم فأمضاهم نحو العراق ، وأمضى النصف الآخر نحو الشام .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حنّس النخعي ، عن أبيه وغيره منهم ، أن عمر أتاهم في عسكرهم ؛ فقال : إن الشرف فيكم يا معشر النخع لمربع^(١) ، سيروا مع سعد . فنزعوا إلى الشام ، وأبى إلا العراق ، وأبوا إلا الشام ؛ فسرّح نصفهم إلى الشام ونصفهم إلى العراق .

كتب إلى المريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمستنير وحنّس ؛ قالوا : وكان فيهم من حضرموت والصدف ستمائة ؛ عليهم شدّاد بن ضمعج ، وكان فيهم ألف وثلاثمئة من مدحج ، على ثلاثة رؤساء : عمرو بن معد يكرب على بني منبّه ، وأبو سبرة بن ذؤيب على جعفي ومن في حلف جعفي من إخوة جزء وزبيد وأنس الله ومن لفهم ، ويزيد بن الحارث الصدائي على صداء وجنب ومسلية في ثلثمائة ؛ هؤلاء شهدوا من مدحج فيمن خرج من المدينة مخرّج سعد منها ، وخرج

٢٢١٩/١

معه من قيس عَيْلَانَ أَلْفٌ عَلَيْهِمْ بِشْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُبَيْدَة ، عن إِبْرَاهِيمَ ، قال : خرج أهل القادسيّة من المدينة ، وكانوا أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف منهم من أهل اليمن وألفٌ من سائر الناس .

كتب إلى السري ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وسهل ، عن القاسم ، قالوا : وشيّعهم عمر من صرار إلى الأعوص ، ثم قام في الناس خطيباً ، فقال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا ضَرَبَ لَكُمْ الْأَمْثَالَ ، وَصَرَّفَ لَكُمْ الْقَوْلَ ، لِيُحْيِيَ بِهِ ^(١) الْقُلُوبَ ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ مَيِّتَةٌ فِي صُدُورِهَا حَتَّى يُحْيِيهَا اللَّهُ ؛ مَنْ عَلِمَ شَيْئاً فَلْيَتَضَعْ بِهِ ؛ وَإِنْ لِلْعَدْلِ أَمَارَاتٌ وَتَبَاشِيرٌ ؛ فَأَمَّا الْأَمَارَاتُ فَالْحَيَاءُ وَالسَّخَاءُ وَالْهَيِّسُ وَاللَّيِّنُ ، وَأَمَّا التَّبَاشِيرُ فَالرَّحْمَةُ ؛ وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ أَمْرٍ بَاباً ، وَيَسِّرَ لِكُلِّ بَابٍ مَفْتاحاً ، فَبَابُ الْعَدْلِ الْإِعْتِبَارُ وَمِفْتَاحُهُ الزُّهْدُ . وَالْإِعْتِبَارُ ذِكْرُ الْمَوْتِ بِتَذَكُّرِ الْأَمْوَاتِ ، وَالْإِسْتِعْدَادُ لَهُ بِتَقْدِيمِ الْأَعْمَالِ ، وَالزُّهْدُ أَخْذُ الْحَقِّ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَهُ حَقٌّ ، وَتَأْدِيَةُ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ لَهُ حَقٌّ . وَلَا تَصَانِعْ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ ، وَاكْتَفِ بِمَا يَكْفِيكَ مِنَ الْكَفَافِ ؛ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكْفِهِ الْكَفَافُ لَمْ يُغْنِهِ شَيْءٌ . إِنَّا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ؛ وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ ؛ وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَلْزَمَنِي دَفْعَ الدَّعَاءِ عَنْهُ ، فَأَنْهَوْا شِكَاكُمْ إِلَيْنَا ؛ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِلَى مَنْ يَبْلُغُنَا نَأْخِذْ لَهُ الْحَقَّ غَيْرَ مُتَعَتِّعٍ . وَأَمْرٌ سَعْدٌ بِالسَّيْرِ ، وَقَالَ : إِذَا انْتَهَيْتَ إِلَى زُرُودٍ فَانْزِلْ بِهَا ؛ وَتَفَرَّقُوا فِيمَا حَوْلَهَا ، وَانْدَبْ مَنْ حَوْلَكَ مِنْهُمْ ، وَانْتَخِبْ أَهْلَ النُّجْدَةِ وَالرَّأْيِ وَالْقُوَّةِ وَالْعُدَّةِ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن سُوْقَةَ ، عن رجل ، قال : مَرَّتِ السَّكُونُ مَعَ أَوَّلِ كِنْدَةَ مَعَ حُصَيْنِ بْنِ نُسَيْرِ السَّكُونِيِّ وَمَعَاوِيَةَ بْنِ حُدَيْجٍ فِي أَرْبَعِمِائَةٍ ؛ فَاعْتَرَضَهُمْ ؛ فَإِذَا فِيهِمْ فِتْنَةٌ دُلِّمُ ^(٢) سِبَاطُ

(١) كَذَا فِي ابْنِ كَثِيرٍ ، وَفِي ط : « بِهَا » .

(٢) دَلِمٌ : جَمْعُ أَدْلَمٍ ، وَهُوَ الطَّوِيلُ .

مع معاوية بن حُذَيج ، فأعرض عنهم ، ثم أعرض ، ثم أعرض ؛ حتى قيل له : مالك وطلّاء ! قال : إني عنهم لمرتدّ ، وما مرّ بي قومٌ من العرب أكره إلىّ منهم . ثم أمضاهم ، فكان بعدُ يُكثر أن يتذكّرهم بالكراهية ، وتعجّب الناس من رأى عمر . وكان منهم رجل يقال له سودان بن حُمَران ، قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ؛ وإذا منهم حليف لهم يقال له خالد بن مُلجَم^(١) قتلَ علىّ بن أبى طالب رحمه الله ؛ وإذا منهم معاوية بن حُذَيج ؛ فنهض في قوم منهم يتبع قتلة عثمان يقتلهم ؛ وإذا منهم قوم يَقْرُون^(٢) قتلة عثمان .

٢٢٢١/١

كتب إلى السرى ، عن شُعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة ، عن ماهان ، وزباد بإسناده ، قالوا : وأمدّ عمر سعداً بعد خروجه بالفسي يمانى وألوى نجدى مؤدٍ من غطفان وسائر قيس ، فقدم سعد زُرُودَ في أوّل الشتاء ، فترطوا وتفرقت الجنود فيما حولها من أمواه بنى تميم وأسد ، وانتظر اجتماع الناس ، وأمر عمر ، وانتخب من بنى تميم والرباب أربعة آلاف ؛ ثلاثة آلاف تميمي وألف ربيّ ؛ وانتخب من بنى أسد ثلاثة آلاف ، وأمرهم أن يتزلوا على حدّ أرضهم بين الحزن والبسيطة ، فأقاموا هنالك بين سعد بن أبى وقاص وبين المثنى بن حارثة ، وكان المثنى في ثمانية آلاف ؛ من ربيعة ستة آلاف من بكر بن وائل ، وألفان من سائر ربيعة ؛ أربعة آلاف ممن كان انتخب بعد فصول خالد ، وأربعة آلاف كانوا معه ممن بقى يوم الجسر . وكان معه من أهل اليمن ألفان من بسجيلة ، وألفان من قضاة وطبيّ ممن انتخبوا إلى ما كان قبل ذلك ، على طيئى عدى بن حاتم ، وعلى قضاة عمرو بن وبرة ، وعلى بسجيلة جرير بن عبد الله ؛ فبينما الناس كذلك ؛ سعد يرجو أن يقدم عليه المثنى ، والمثنى يرجو أن يقدم عليه سعد ، مات المثنى من جراحته التى كان جرحها يوم الجسر ، انتفضت به ؛ فاستخلف المثنى على الناس بشير بن الخصاصية ، وسعد يومئذ بزُرُود ، ومع بشير يومئذ وجوه أهل العراق ، ومع سعد وفود أهل العراق الذين كانوا قدموا على عمر ، منهم فرات بن حيان

٢٢٢٢/١

(١) كذا في ط والمشهور في اسمه : « عبد الرحمن » ، وانظر ابن الأثير ٣ : ١٩٤ .

(٢) ز : « يَقْرُون قتل عُبَّان » .

العجلى وعتيبة ، فردّهم مع سعد .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بإسناده ، وزياد عن مآهان ، قالوا : فن أجل ذلك اختلف الناس في عدد أهل القادسيّة ، فمن قال : أربعة آلاف فلمخرجهم مع سعد من المدينة ، ومن قال : ثمانية آلاف فلاجتماعهم بزرد ، ومن قال : تسعة آلاف فللحاق القيسيين ، ومن قال : اثنا عشر ألفاً فلدفوف بني أسد من فروع الحزن بثلاثة آلاف . وأمر سعداً بالإقدام ، فأقدم ونهض إلى العراق وجموع الناس بشراف ، وقدم عليه مع قدمه شراف الأشعث بن قيس في ألف وسبعمائة من أهل اليمن ؛ فجميع من شهد القادسيّة بضعة وثلاثون ألفاً ، وجميع من قُسم عليه في القادسيّة نحو من ثلاثين ألفاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الملك بن عمير ، عن زياد ، عن جرير ، قال : كان أهل اليمن يتزعون إلى الشام ؛ وكانت مضر تترع إلى العراق ، فقال عمر : أرحامكم أرسخ من أرحامنا ! ما بال مضر لا تذكر أسلافها من أهل الشام !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي سعد بن المرزبان ، عن حدثه ، عن محمد بن حذيفة بن اليمان ، قال : لم يكن أحد من العرب أجراً على فارس من ربيعة ، فكان المسلمون يسمّونهم ربيعة الأسد إلى ربيعة الفرس ، وكانت العرب في جاهليتها تسمّى فارس الأسد ، والروم الأسد .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن مآهان ، قال : قال عمر : والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب ؛ فلم يدع رئيساً ، ولا ذا رأى ، ولا ذا شرف ، ولا ذا سطة ، ولا خطيباً ؛ ولا شاعراً ؛ إلا رماهم به ، فرماهم بوجوه الناس وغرّهم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، قال : كان عمر قد كتب إلى سعد مرتحلته من زرد ؛ أن ابعث إلى فرج الهند

رجلاً ترضاه يكون بجياله، ويكون رداءً لك من شيء إن أتاك من تلك التخوم؛ فبعث المغيرة بن شعبة في خمسمائة؛ فكان بجيال الأبلّة من أرض العرب؛ فأتى غُضَيًّا، ونزل على جرير؛ وهو فيما هنالك يومئذ. فلما نزل سعد بشِراف، كتب إلى عمر بمنزله وبمنازل الناس فيما بين غُضَيٍّ إلى الجبّانة، فكتب إليه عمر: إذا جاءك كتابي هذا فعشر النَّاس وعرف عليهم، وأمر على أجنادهم، وعبّتهم، ومُرّ رؤساء المسلمين فليشْهَدُوا، وقدّرهم وهم شهود^(١)؛ ثم وجههم إلى أصحابهم، وواعدهم القادسية؛ واضمم إليك^(٢) المغيرة بن شعبة في خيَله؛ واكتب إلى بالذي يستقرّ عليه أمرهم.

٢٢٢٤ / ١

فبعث سعد إلى المغيرة؛ فانضمّ إليه وإلى رؤساء القبائل، فأتوه، فقدّر الناس وعبّاهم بشِراف، وأمر أمراء الأجناد، وعرف العُرُفاء؛ فعرف على كل عشرة رجلاً، كما كانت العِرافات أزمانَ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك كانت إلى أن فُرضَ العطاء، وأمر على الرّايات رجلاً من أهل السابقة، وعشر النَّاس، وأمر على الأعشار رجلاً من النَّاس لهم وسائل في الإسلام، وولّى الحروب رجلاً، فولّى على مقدّماتها ومجّباتها وساققتها ومجّراتها وطلّاعها ورجلها ورُكبانها، فلم يفصل إلاّ على تعبّية، ولم يفصل منها إلاّ بكتاب عمر وإذنه؛ فأمر أمراء التّعبية، فاستعمل زُهرة بن عبد الله بن قنادة بن الحويّة بن مرثد بن معاوية بن معن بن مالك بن أرثم بن جُشَم بن الحارث الأعرج؛ وكان ملك هَجَرَ قد سَوَدَه في الجاهلية، ووقّده على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقدّمه، ففصل بالمقدّمات بعد الإذن من شِراف؛ حتى انتهى إلى العُذَيْب، واستعمل على المينة عبد الله بن المعتم، وكان من أصحاب النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وكان أحدَ التّسعة الذين قدّموا على النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتمّمهم طلحة بن عبيد الله عشرة؛ فكانوا عِرافة، واستعمل على الميسرة شُرَجيل بن السَّمْط بن شُرَجيل الكِنْدِيّ - وكان غلاماً شاباً، وكان قد قاتل أهل الرّدة، ووقّى الله، فعرف ذلك له، وكان قد غلب الأشعث على الشّرف فيما بين المدينة؛ إلى أن اختطّت الكوفة

٢٢٢٥ / ١

وكان أبوه ممن تقدم إلى الشام مع أبي عبيدة بن الجراح - وجعل خليفته خالد ابن عرفة ، وجعل عاصم بن عمرو التميمي ثم العمرى على الساقة ، وسواد ابن مالك التميمي على الطلائع ، وسلمان بن ربيعة الباهلي على المجردة ، وعلى الرجل حمّال بن مالك الأسدي ، وعلى الركبان عبد الله بن ذى السهمين الخثعمي ، فكان أمراء التبعية يكون الأمير ، والذين يكون أمراء الأعشار ، والذين يكون أمراء الأعشار أصحاب الرايات ، والذين يكون أصحاب الرايات والقواد رموس القبائل ، وقالوا جميعاً : لا يستعين أبو بكر في الردة ولا على الأعاجم بمرتدة ، واستنفرهم عمر ولم يول منهم أحداً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد وعمرو بإسنادهما ، وسعيد بن المرزبان ، قالوا : بعث عمر الأبطبة ، وجعل على قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ذا النور ، وجعل إليه الأقباض ^(١) وقسمة النوى ، وجعل داعيتهم ^(٢) ورائدهم سلمان الفارسي .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : والترجمان هلال الهجري والكاتب زياد بن أبي سفيان . فلماً فرغ سعد من تعيينه ، وعدّ لكل شيء من أمره جماعة ورأساً ، كتب بذلك إلى عمر ، وكان من ^(٣) أمر سعد فيما بين كتابه إلى عمر بالذي جمع عليه ^(٤) الناس وبين رجوع جوابه ورحله من شراف إلى القادسية قدوم المعنى بن حارثة وسلمى بنت خصة التيمية ؛ تيسم اللات ، إلى سعد بوصية المثنى ، وكان قد أوصى بها ، وأمرهم أن يعجلوها على سعد بزورود ، فلم يفرغوا لذلك وشغلهم عنه قابوس بن قابوس بن المنذر ؛ وذلك أن الآزمرود بن الآزابه بعثه إلى القادسية ، وقال له : ادع العرب ، فأنت على من أجابك ، وكن كما كان آباؤك . فترل القادسية ، وكاتب بكر بن

(١) الأقباض : جمع قبض ؛ وهو ما جمع من الغنائم .

(٢) ابن حبيش : « داعيهم » .

(٣) ابن حبيش : « بين » .

(٤) ابن حبيش : « إليه » .

واثل بمثل ما كان النعمان يكاتبهم به مقاربة ووعيداً^(١) . فلماً انتهى إلى المعنى خبره ، أسرى المعنى من ذى قار حتى بيته ، فأنامه ومن معه ، ثم رجع إلى ذى قار ، وخرج منها هو وسلمى إلى سعد بوصية المثنى بن حارثة ورأيه ، فقدموا عليه وهو بشراف ، يذكر فيها أن رأيه لسعد ألا يقاتل عدوه وعدوهم — يعنى المسلمين — من أهل فارس ؛ إذا استجمع^(٢) أمرهم وملؤهم فى عقر دارهم ، وأن يقاتلهم على حدود أرضهم على أدنى حاجر من أرض العرب وأدنى مدرة من أرض العجم ؛ فإن يظهر الله المسلمين عليهم فلهم ما وراءهم ؛ وإن تكن الأخرى فاءوا إلى فئة . ثم يكونوا أعلم بسيلهم ، وأجرأ على أرضهم ؛ إلى أن يرد الله الكرة عليهم .

٢٢٢٧ / ١

فلماً انتهى إلى سعد رأى المثنى ووصيته ترحم عليه ، وأمر المعنى على عمله ، وأوصى بأهل بيته خيراً ، وخطب سلمى فتزوجها وبنى بها ؛ وكان فى الأعشار كلها بضعة وسبعون بدريناً ، وثلاثمائة وبضعة عشر ممن كانت له صُحبة ، فيما بين بيعة الرضوان إلى ما فوق ذلك ، وثلاثمائة ممن شهد الفتح ، وسبعمائة من أبناء الصحابة ، فى جميع أحياء العرب . وقدم على سعد وهو بشراف كتاب عمر بمثل رأى المثنى ؛ وقد كتب إلى أبى عبيدة مع كتاب سعد ؛ ففصل كتاباهما إليهما ، فأمر أبا عبيدة فى كتابه بصرف أهل العراق وهم ستة آلاف ، ومن اشتبه أن يلحق بهم ؛ وكان كتابه إلى سعد :

أما بعد ، فسر من شراف نحو فارس بمن معك من المسلمين ؛ وتوكل على الله ، واستعين به على أمرك كله ؛ واعلم فيما لديك أنك تقدم على أمة عددهم كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد ، وعلى بلد منيع — وإن كان سهلاً — كثود لبحوره وفوضه ودآئه ؛ إلا أن توافقوا غيضاً من فيض .

٢٢٢٨ / ١

وإذا لقيتم القوم أو أحداً منهم فابدؤهم^(٣) الشدة والضرب ، ولأياكم والمناظرة لجموعهم^(٤) ولا يخذعنكم ؛ فإنهم خدعة مكرة ؛ أمرهم غير أمركم ؛ إلا

(١) ابن حيش : « ووعدا » .

(٢) ابن حيش : « اجتمع » .

(٣) ابن حيش : « فابدؤهم » .

(٤) ز : « بجموعكم » .

أن تجادوهم ، وإذا انتهيت إلى القادسيّة — والقادسيّة باب فارس في الجاهليّة ، وهى أجمع تلك الأبواب لمادتهم ، ولما يريدونه من تلك الأصل ؛ وهو منزل رغيب خصيب حصين دونه قناطر ، وأنهار ممتعة — فتكون مسالحك على أنقابها ، ويكون الناس بين الحَجَر والمَدَر على حافات الحجر وحافات المدر ، والجِراع بينهما ؛ ثم الزم مكانك فلا تبرحه ؛ فإنهم إذا أحسوك أنغضتكم ورموك بجمعهم الذى يأتي على خيلهم ورجلهم وحدثهم وجيدهم ؛ فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونوئتم الأمانة ؛ رجوت أن تُنصروا عليهم ؛ ثم لا يجتمع لكم مثلهم أبداً إلا أن يجتمعوا ؛ وليست معهم قلوبهم ، وإن تكن الأخرى كان الحجر فى أدياركم ؛ فانصرفتم من أدنى مدرة من أرضهم إلى أدنى حَجَر من أرضكم ؛ ثم كنتم عليها أجراً وبها أعلم ، وكانوا عنها أجبراً وبها أجهل ، حتى يأتي الله بالفتح عليهم ، ويرد لكم الكرة .

وكتب إليه أيضاً باليوم الذى يرتحل فيه من شَرَف : فإذا كان يوم كذا وكذا فارتحل بالناس حتى تنزل فيما بين عُدَيْب الهِجانات وعُدَيْب القوادس ، وشرق^(١) بالناس وغرب بهم .

ثم قدم عليه كتاب جواب عمر : أمّا بعد ، فتعاهد^(٢) قلبك ، وحادث جندك بالموعظة والنّية والحِسبة ، ومن غفل فليُحذِثْهُما ؛ والصبر الصبر ؛ فإنّ المعونة تأتي من الله على قدر النّية ؛ والأجر على قدر الحِسبة . والحذر الحذر على مَنْ أنت عليه وما أنت بسيله ، واسألوا الله العافية ، وأكثرُوا من قول : « لا حول ولا قوّة إلا بالله »^(٣) ، واكتب إلى أين بلغك جمعهم ، ومن رأسهم الذى يلبي مصادمتكم^(٤) ؛ فإنه قد منعنى من بعض ما أردت الكتاب به قلّة عِلْمى بما هجمتم عليه ، والذى استقرّ عليه أمرُ عدوكم ؛ فصيف لنا منازل المسلمين ، والبلد الذى بينكم وبين المدائن صفة كأتى أنظر إليها ، واجعلنى من أمركم على الجليّة ، وخف الله وارجه ، ولا تُدِلْ بشئ . واعلم

(١) ر : « وشرق » .

(٢) ابن حبيش : « فتعاهد » .

(٣) بعدها فى ابن حبيش : « العلى العظيم » .

(٤) ز : « الذى يريد مصادمتكم » .

أَنَّ اللَّهَ قَدْ وَعَدَكُمْ . وَتَوَكَّلْ لِهَذَا الْأَمْرِ بِمَا لَا خُلْفَ لَهُ ؛ فَاحْذَرُوا أَنْ تَصْرِفَهُ عَنْكُمْ ، وَيَسْتَبْدِلَ بِكُمْ غَيْرَكُمْ .

٢٢٣٠/١

فَكُتِبَ إِلَيْهِ سَعْدُ بِصِفَةِ الْبُلْدَانِ : إِنَّ الْقَادِسيَّةَ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَالْعَتِيقِ ، وَإِنْ مَاعِنْ يَسَارِ الْقَادِسيَّةِ بَحْرٌ أَخْضَرٌ فِي جَوْفٍ لَاحٍ إِلَى الْحَيْرَةِ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ ؛ فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَعَلَى الظَّهْرِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ يُدْعَى الْحَضُوضُ ؛ يَطْلُعُ بِمَنْ سَلَكَهُ عَلَى مَا ^(١) بَيْنَ الْخَنْزَوْرَتَيْنِ وَالْحَيْرَةِ ؛ وَمَا عَنْ يَمِينِ الْقَادِسيَّةِ إِلَى الْوَلَجَةِ فَيُضُّ مِنْ فَيُوضُ مِيَاهُهُمْ . وَإِنْ جَمِيعٌ مِنْ صَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ قَبْلِي أَلْبُ لَأَهْلِ فَارَسٍ قَدْ خَفَقُوا لَهُمْ ، وَاسْتَعَدُّوا لَنَا . وَإِنَّ الَّذِي أَعَدَّوْا لِمَصَادِمَتِنَا رُسْتَمٌ فِي أَمْثَالٍ لَهُ مِنْهُمْ ؛ فَهُمْ يَحَاوِلُونَ إِنْغَاضَنَا وَإِقْحَامَنَا ؛ وَنَحْنُ نَحَاوِلُ إِنْغَاضَهُمْ وَإِبْرَازَهُمْ ؛ وَأَمْرُ اللَّهِ بَعْدُ مَاضٍ ؛ وَقَضَاؤُهُ مُسَلَّمٌ إِلَى مَا قَدَّرْنَا لَنَا وَعَلَيْنَا ؛ فَسَأَلَ اللَّهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ ، وَخَيْرَ الْقَدَرِ فِي عَاقِبَةٍ .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عُمَرُ : قَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ وَفَهِمْتُهُ ، فَأَقِيمْ بِمَكَانِكَ حَتَّى يُنْغِضَ اللَّهُ لَكَ عَدُوَّكَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ لَهَا مَا بَعْدَهَا ، فَإِنْ مَنَحَكَ اللَّهُ أَدْبَارَهُمْ فَلَا تَنْزِعْ عَنْهُمْ حَتَّى تَقْتَحِمَ عَلَيْهِمُ الْمَدَائِنَ ؛ فَإِنَّهُ خَرَابُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَجَعَلَ عُمَرُ يَدْعُو لِسَعْدٍ خَاصَّةً ، وَيَدْعُونَ لَهُ مَعَهُ ، وَلِلْمُسْلِمِينَ عَامَةً ، فَقَدِمَ زُهْرَةُ سَعْدٍ حَتَّى عَسَكَرَ بِعُذَيْبِ الْمُهْجَانَاتِ ، ثُمَّ خَرَجَ فِي أَثَرِهِ حَتَّى يَنْزِلَ عَلَى زُهْرَةَ بِعُذَيْبِ الْمُهْجَانَاتِ ، وَقَدِمَهُ ، فَتَزَلَ زُهْرَةُ الْقَادِسيَّةَ بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالْخَنْدَقِ بِجِيَالِ الْقَنْطَرَةِ ؛ وَقَدْ يَسُ يَوْمئِذٍ أَسْفَلَ مِنْهَا بِجِيلٍ .

٢٢٣١/١

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْقَعْقَاعِ بِإِسْنَادِهِ ، قَالَ : وَكُتِبَ عُمَرُ إِلَى سَعْدٍ : إِنِّي قَدْ أَلْقَيْتُ فِي رُوعِي أَنَّكُمْ إِذَا لَقِيتُمُ الْعَدُوَّ هَزَمْتُمُوهُمْ ، فَاطْرَحُوا الشُّكَّ ، وَآثَرُوا التَّقِيَّةَ ^(٢) عَلَيْهِ ؛ فَإِنْ ^(٣) لَاعَبَ أَحَدُكُمْ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنَ الْعَجَمِ بِأَمَانٍ أَوْ قَرْفَةٍ ^(٤) بِإِشَارَةٍ أَوْ بِلِسَانٍ ، فَكَانَ لَا يَدْرِي الْأَعْجَمِيُّ مَا كَلَّمَهُ بِهِ ، وَكَانَ عَنْدهُمْ أَمَانًا ؛ فَأَجْرُوا ذَلِكَ لَهُ بِمَجْرَى الْأَمَانِ . وَإِيَّاكُمْ وَالضَّحْكَ ؛ وَالْوَفَاءَ الْوَفَاءَ ! فَإِنَّ الْخَطَأَ بِالْوَفَاءِ بَقِيَّةٌ ^(٥) وَإِنَّ الْخَطَأَ بِالْغَدْرِ الْهَلَكَةُ ، وَفِيهَا وَهْنُكُمْ .

(٢) ابن حبيش : « اليقين » .

(٤) قرقة ، أى رماه وأتته .

(١) ز : « على ماء » .

(٣) ابن حبيش : « فن لاعب » .

(٥) ز : « تقية » .

وقوة عدوكم ، وذهب ربحكم ، وإقبال ربحهم . واعلموا أنى أخذ ركم أن تكونوا شيناً على المسلمين وسبباً لتوهمهم .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن مسلم العُكْلِيّ والمقدام بن أبي المقدام ، عن أبيه ، عن كَرَب بن أبي كَرَب العُكْلِيّ - وكان في المقدمات أيام القادسية - قال : قد مناسعد من شراف ، فنزلنا بعُذَيْب الهِجَاجَات ثم ارتحل ؛ فلما نزل علينا بعُذَيْب الهِجَاجَات وذلك في وجه الصُّبْح خرج زُهْرَة بن الحَوِيَّة في المقدمات ، فلما رُفِع لنا العُذَيْب - وكان من مسالحهم - استنأى على بروج ناساً ، فما نشأ أن نرى على برج من بروج رجلاً أو بين شُرُفَتَيْنِ إلّا رأيناه ، وكنا في سرّعان الخيل ^(١) ، فأمسكنا حتى تلاحق بنا كَشَف ^(٢) ونحن نرى أن فيها خيلاً ، ثم أقدمنا على العُذَيْب ، فلماً دنونا منه ، خرج رجل يركض نحو القادسية ، فأنهينا إليه ، فدخلناه فإذا ليس فيه أحد ؛ وإذا ذلك الرجل هو الذي كان يراءى ^(٣) لنا على البروج وهو بين الشُّرَفِ مكيدة ، ثم انطلق بخبرنا ، فطلبناه فأعجزنا ، وسمع بذلك زُهْرَة فاتبعنا ، فلحق بنا وخطفنا واتبعه . وقال : إن أفلت الرّبي ^(٤) أتاها الخبر . فلحقه بالخذق قطعنه فجذّله فيه ، وكان أهل القادسية يتعجبون من شجاعة ذلك الرّجل ، ومن علمه بالحرب ، لم ير عين قوم قطّ أثبت ولا أربط جأشاً من ذلك الفارسي ، لولا بُعد غايته لم يلحق به ، ولم يُصبه زُهْرَة ، ووجد المسلمون في العُذَيْب رماحاً ونُشَاباً وأسفاطاً من جلود وغيرها ، انتفع بها المسلمون . ثم بث الغارات ، وسرحهم في جوف الليل ، وأمرهم بالغارة على الحيرة ، وأمر عليهم بكبير بن عبد الله الليثي - وكان فيها الشَّمَاخ الشاعر القيسي في ثلاثين معروفين بالنجدة والبأس - فسروا حتى جازوا السيلحين ، وقطعوا جسرهما يريدون الحيرة ، فسمعوا جلبة وأزفلة ، فأحجموا عن الإقدام ، وأقاموا كميناً حتى يتبينوا ، فما زالوا كذلك حتى جازوا بهم ، فإذا خيول تقدّم تلك الغوغاء ، فركوها فنفذت الطريق إلى الصنّين ، وإذا هم

(٢) الكشف : الجماعة .

(٤) الرب : المشرف على القوم

(١) سرعان الخيل : أوائلها .

(٣) ابن حبيش : « تراءى » .

لم يشعروا بهم ؛ وإنما ينتظرون ذلك العَيْن لا يريدونهم ، ولا يأبهون لهم ، إنما همَّتْهم الصَّنَيْن ؛ وإذا أخت آزاد مَرَد بن آزاد به مَرزُبان الحيرة تَزَفُّ إلى صاحب الصَّنَيْن - وكان من أشرف العجم - فسار معها من يبلغها مخافة ما هو دون الذي لقوا ؛ فلما انقطعت الخيل عن الزواف ، والمسلمون كَين في النخل ، وجازت بهم الأتقال ، حمل بُكَيْر على شيراز بن آزاد به ، وهو بينها وبين الخيل ، فقَصَمَ صُلْبَهُ ، وطار الخيل على وجوهها ، وأخذوا الأتقال وابنة آزاد به في ثلاثين امرأة من الدَّهَاقين ومائة من التوابع ، ومعهم مالا يُدْرَى قيمته ، ثم عاج واستاق ذلك ، فصَبَّحَ سعدٌ بعدُ بَهِجَانات بما أفاء الله على المسلمين ، فكَبَّرُوا تكبيرة شديدة . فقال سعد : أقسم بالله لقد كَبَّرْتُم تكبيرة قوم عرفتُ فيهم العز ، فقسم ذلك سعد على المسلمين فالتحمس نفعه ، وأعطى المجاهدين بَقِيَّتَهُ ، فوقع منهم موقعاً ، ووضع سعد بالعُدْبِ خيلاً تَحْوَطُ الحريم ، وانضمَّ إليها حَاطَةُ^(١) كلِّ حريم ، وأمر عليهم غالب بن عبد الله الليثي ، ونزل سعد القادسيَّة ، فنزل بقُدَيْس ، ونزل زهرة بحيال قطرة العتيق في موضع القادسيَّة اليوم ؛ وبعث بخبر سرِّية بُكَيْر ، وبنزوله قُدَيْساً ، فأقام بها شهراً ، ثم كتب إلى عمر : لم يوجَّه القوم إلينا أحداً ، ولم يُسْتَدُوا^(٢) حرباً إلى أحد علمناه ، ومَتَى ما يبلغنا ذلك نكتب به ؛ واستنصر الله ، فإنَّا بمنحاة دينا عريضة ؛ دونها بأس شديد ؛ قد تقدَّم إلينا في الدعاء إليهم ، فقال : ﴿ سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بِأَسٍ شَدِيدٍ ﴾^(٣) .

وبعث سعد في مقامه ذلك إلى أسفل الفُرات عاصم بن عمرو فسارحتي أني مَيْسَان ، فطلب غنماً أو بقرًا فلم يقدر عليها ، وتحصن منه مَنْ في الأفدان ، ووَعَلُوا في الآجام ، ووَعَلَ حَتَّى أَصَاب رجلاً على طَفِّ أَجَمَةٍ ، فسأله واستد لَّه على البقر والغنم ، فحلف له وقال : لا أعلم ؛ وإذا هو راعى ما في تلك الأَجَمَةِ ، فصاح منها ثور كذب والله وها نحن أولاء ؛ فدخل فاستاق الثَّيْرَان وأتى بها العسكر ، فقسم ذلك سعد على الناس فأخصبوا أياماً^(٤) ؛ وبلغ ذلك الحِجَّاج في زمانه ، فأرسل إلى نفر ممن شهدها أحدهم نذير بن عمرو والوليد بن عبد شمس وزاهر ،

(١) الحاطة : المحافظين .

(٢) ز : « يشديا » .

(٣) سورة الفتح : ١٦ .

(٤) ز : « فأخصبوا أياماً أخصبوا فيها » .

فسألهم فقالوا : نعم ، نحن سمعنا ذلك ، ورأيناه واستقناها ، فقال : كذبتُم ! فقالوا : كذلك ؛ إن كنت شهادتها وغيبتنا عنها ، فقال : صدقتم ، فما كان الناس يقولون في ذلك ؟ قالوا : آية تبشير يُستدل بها على رضا الله ، وفتح عدونا ؛ فقال : والله ما يكون هذا إلا بالجمع أبرار أتقياء ، قالوا : والله ما ندرى ما أجنّت قلوبهم ؛ فأما ما رأينا فإننا لم نرَ قوماً قطُّ أزهّدَ في دنيا منهم ، ولا أشدَّ لها بُغضاً ؛ ما اعتدَّ على رجل منهم في ذلك اليوم بواحدة من ثلاث ؛ لا بجُبن ولا بغدر ولا بغُلُول ؛ وكان هذا اليوم يوم الأباقيِر ؛ وبث الغارات بين كَسَكِر والأنبار ، فحوّوا من الأطعمة ما كانوا يستكفون^(١) به زماناً ، وبعث سعد عيوناً إلى أهل الحيرة وإلى صلُوبا ، ليعلموا له خبر أهل فارس ؛ فرجعوا إليه بالخبر ؛ بأن الملك قد ولّى رُستم بن الفَرّ خِزاذ الأَرَمَنِي حربيّه ، وأمره بالعسكرة . فكتب بذلك إلى عمر ، فكتب إليه عمر : لا يكرُبَنَّك^(٢) ما يأتيك عنهم ، ولا ما يأتونك به ؛ واستعن بالله وتوكّل عليه ، وابعث إليه رجلاً من أهل المنظرة^(٣) والرأى والجلد يدعونه ، فإنّ الله جاعل دعاءهم توهيناً لهم ، وفلتجاً عليهم ؛ واكتب إلىّ في كلّ يوم . ولمّا عسكر رُستم بساباط كتبوا بذلك إلى عمر .

كتب إلىّ الممرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضَمْرَة ، عن ابن سيرين ، وإسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم ، قال : لمّا بلغ سعداً فصول رُستم إلى ساباط ، أقام في عسكره لاجتماع الناس ؛ فأما إسماعيل فإنه قال : كتب إليه سعد أن رُستم قد ضرب عسكره بساباط دون المدائن وزحف إلينا ؛ وأما أبو ضَمْرَة فإنه قال : كتب إليه أن رُستم قد عسكر بساباط ، وزحف إلينا بالخيول والقيول وزُهاء فارس ، وليس شيء أهمّ إلىّ ولا أنا له أكثر ذكراً منّي لما أحببت أن أكون عليه ؛ ونستعين بالله ، وتوكلّ عليه ، وقد بعثت فلاناً وفلاناً وهم ما وصفت .

(١) ابن حبيش : « يكتفون » . (٢) ابن حبيش : « لا يكرُ ثنك » .

(٣) ز وابن الأثير والنويري : « المنظرة » .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والمجالد بإسنادهما ، وسعيد بن المرزبان ، أن سعد بن أبي وقاص حين جاءه أمرٌ عمر فيهم ، جمع نفرًا عليهم نِجار ، ولهم آراء ، ونفرًا لهم منظر ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فأما الذين عليهم نِجار ولهم آراء ولهم اجتهاد فالنعمان بن مقرن وبُسُر بن أبي رُهْم وحَمَلَة بن جُوَيَّة الكِنَانِي وحَنْظَلَة بن الربيع التميمي وفُرات بن حَيَّان العِجْلِيّ وعدى بن سُهَيْل والمغيرة بن زُرارة بن النَّبَّاش بن حبيب ؛ وأما مَنْ لَهم منظر لأجسامهم ؛ وعليهم مهابة ولهم آراء ؛ فَعُطَارْد بن حاجب والأشعث بن قيس والحارث بن حسان وعاصم بن عمرو وعمرو ابن معديكرب والمغيرة بن شعبة والمعنى بن حارثة ؛ فبعثهم دُعاةً إلى الملك .

حدثني محمد بن عبد الله بن صفوان الثقفي ، قال : حدثنا أمية بن خالد ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن حُصَيْن بن عبد الرحمن ، قال : قال أبو وائل : جاء سعد حتى نزل القادسية ، ومعه الناس ، قال : لا أدرى لعلنا لا نزيد على سبعة آلاف أو نحو من ذلك ، والمشركين ثلاثون ألفًا أو نحو ذلك . فقالوا لنا : لا يدي لكم ^(١) ولا قوة ولا سلاح ، ما جاء بكم ؟ ارجعوا ، قال : قلنا : لا نرجع ؛ وما نحن براجعين ، فكانوا يضحكون من نَبَلنا ، ويقولون : «دُوك دُوك» ^(٢) ، ويشبهونها بالمغازل . قال : فلما أبيتنا عليهم أن نرجع ، قالوا : ابعثوا إلينا رجلاً منكم ، عاقلاً يبين لنا ما جاء بكم ؛ فقال المغيرة بن شعبة : أنا ، فَعَبَّرَ إليهم ، فقعده مع رستم على السرير ، فنخروا وصاحوا ، فقال : إن هذا لم يزدني رفعة ، ولم ينقص صاحبكم ، قال رستم : صدقت ، ما جاء بكم ؟ قال : إننا كنا قومًا في شرٍّ وضلالة ؛ فبعث الله فينا نبيًّا ، فهدانا الله به ورزقنا على يديه ؛ فكان ممَّا رزقنا حَبَّة زُعمت تنبت بهذا البلد ؛ فلما أكلناها وأطعمناها أهلينا قالوا : لا صبر لنا عن هذه ، أنزلونا هذه الأرض حتى نأكل من هذه الحَبَّة ، فقال رستم : إذا قتلُكم ، فقال : إن قتلتمونا

(١) لا يدي لكم ، أي لا حول لكم ولا قوة .

(٢) دُوك ، كلمة فارسية بمعنى « منزل » .

دَخَلْنَا الْجَنَّةَ ، وَإِنْ قَتَلْنَاكُمْ دَخَلْتُمُ النَّارَ ، أَوْ أَدَيْتُمُ الْجِزْيَةَ . قَالَ : فَلَمَّا قَالَ : أَدَيْتُمُ الْجِزْيَةَ ، نَخَرُوا وَصَاحُوا ، وَقَالُوا : لَا صَلَاحَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ، فَقَالَ الْمَغِيرَةُ : تَعْبُرُونَ إِلَيْنَا أَوْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ ؟ فَقَالَ رَسَمٌ : بَلْ نَعْبُرُ إِلَيْكُمْ ، فَاسْتَأْخَرَ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى عَبَّرَ مِنْهُمْ مَنْ عَبَرَ ، فَحَمَلُوا عَلَيْهِمْ فَهَزَمُوهُمْ .

قَالَ حَصِينٌ : فَحَدَّثَنِي رَجُلٌ مَنَّا يَقَالُ لَهُ عُيَيْدُ بْنُ جَحْشٍ السُّلَمِيُّ ، قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِنَّا لَنَطَّأُ عَلَى ظُهُورِ الرِّجَالِ ، مَا مَسَّهُمْ سِلَاحٌ ، قَتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَصَبْنَا جِرَابًا مِنْ كَافُورٍ ، فَحَسِبْنَاهُ مَلْحًا لَا نَشْكُ أَنَّهُ مِلْحٌ ؛ فَطَبَخْنَا لَحْمًا ، فَجَعَلْنَا نُطْلِقِيهِ فِي الْقَدْرِ فَلَا نَجِدُ لَهُ طَعْمًا ، فَمَرَّ بِنَا عِبَادِي مَعَهُ قَمِيصٌ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْمُعَرَّبِينَ ، لَا تَفْسِدُوا طَعَامَكُمْ ؛ فَإِنَّ مِلْحَ هَذِهِ الْأَرْضِ لَا خَيْرَ فِيهِ ، هَلْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا هَذَا الْقَمِيصَ بِهِ ؟ فَأَخَذْنَاهُ مِنْهُ ، وَأَعْطَيْنَاهُ مَنَّا رَجُلًا يَلْبِسُهُ ، فَجَعَلْنَا نُطِيفُ بِهِ وَنَعْجِبُ مِنْهُ ، فَلَمَّا عَرَفْنَا الثِّيَابَ ، إِذَا ثَمَنُ ذَلِكَ الْقَمِيصِ دَرَاهِمَانِ . قَالَ : وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَقْرَبُ إِلَى رَجُلٍ عَلَيْهِ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ ، وَسِلَاحُهُ ، فَجَاءَ فَمَا كَلَّمْتُهُ حَتَّى ضَرَبْتُ عُنُقَهُ .

قَالَ : فَانْهَزَمُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الصَّرَاةِ ؛ فَطَلَبْنَاهُمْ فَانْهَزَمُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى الْمَدَائِنِ ؛ فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بِكُوثَى وَكَانَ مُسْلِحَةُ الْمُشْرِكِينَ بِدَيْرِ الْمَسْلَاحِ ، ٢٢٣٨/١ فَأَتَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَالْتَقَوْا ، فَهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ حَتَّى نَزَلُوا بِشَاطِئِ دِجْلَةٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ عَبَرَ مِنْ كَلْتَوَادِي ، وَمِنْهُمْ مَنْ عَبَرَ مِنْ أَسْفَلِ الْمَدَائِنِ ، فَحَصَرُوهُمْ حَتَّى مَا يَجِدُونَ طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ ، إِلَّا كَلَابَهُمْ وَبَسَانِيرَهُمْ . فَخَرَجُوا لَيْلًا ، فَلَحِقُوا بِجَلُولَاءِ ، فَأَتَاهُمُ الْمُسْلِمُونَ ؛ وَعَلَى مَقْدَمَةِ سَعْدِ هَاشِمِ بْنِ عُتْبَةَ ، وَمَوْضِعِ الْوُقْعَةِ الَّتِي أَلْحَقَهُمْ مِنْهَا فَرِيدٌ . قَالَ أَبُو وَائِلٍ : فَبَعَثَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَذِيفَةَ ابْنَ الْيَمَانِ عَلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَمُجَاشِعَ بْنَ مَسْعُودٍ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ عُمَرُو بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، وَطَلْحَةَ عَنِ الْمَغِيرَةِ ، قَالُوا : فَخَرَجُوا مِنَ الْعَسْكَرِ حَتَّى قَدَمُوا الْمَدَائِنَ احْتِجَاجًا وَدُعَاءً لِيَزْدَجِرْدَ ، فَطَوَّأُوا رَسْمَهُ ، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى بَابِ يَزْدَجِرْدَ ، فَوَقَفُوا عَلَى خِيُولِ عُرُواتٍ ، مَعَهُمْ جَنَائِبُ ، وَكُلُّهَا صَهَّالٌ ، فَاسْتَأْذَنُوا فَجَبَسُوا ، وَبَعَثَ يَزْدَجِرْدُ إِلَى وَزَرَاتِهِ وَوُجُوهِ أَرْضِهِ يَسْتَشِيرُهُمْ فِيمَا

يصنع بهم ، ويقول له ، وسمع بهم الناس فَحَضَرُوهم ينظرون إليهم ، وعليهم المقطعات والبُرود ، وفي أيديهم سيّاط دقاق ، وفي أرجلهم النعال . فلما اجتمع رأيهم أذن لهم فأدخلوا عليه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة ، عن بنت كيسان الضبيّة ، عن بعض سبايا القادسيّة ممّن حسن إسلامه ، وحضر هذا اليوم الذى قدم فيه وفود العرب . قال : وثاب إليهم النَّاس ينظرون إليهم ؛ فلم أرَ عشرة قطّ يعدلون في الهيئة بألف غيرهم ، وخيلهم تخبط ويوعدها بعضها بعضا . وجعل أهل فارس يسوءهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ؛ فلما دخلوا على يزْدَجِرْد أمرهم بالجلوس ؛ وكان سيّء الأدب ، فكان أوّل شيء داربينه وبينهم أن أمر المترجمان بينه وبينهم فقال : سلّهم ما يسمّون هذه الأردية ؟ فسأل النعمان — وكان على الوفد : ما تسمّى رداءك ؟ قال : البرْد ، فتطيّر وقال : « برْدجهان » ، وتغيّرت ألوان فارس وشقّ ذلك عليهم . ثم قال : سلّهم عن أحذيتهم ، فقال : ما تسمّون هذه الأحذية ؟ فقال : النعال ، فعاد لمثلها ، فقال : « ناله ناله » في أرضنا ، ثم سأله عن اللّذى في يده فقال : سوط ، والسوط بالفارسيّة الحريق ، فقال : أحرقوا فارس أحرقهم الله ! وكان تطيُّره^(١) على أهل فارس ، وكانوا يجدون من كلامه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، بمثله وزاد : ثم قال الملك : سلّهم ما جاء بكم ؟ وما دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا ؟ أمينٌ أجّل أنا أجممناكم ، وتشاغلنا عنكم ، اجترأتم علينا ! فقال لهم النعمان ابن مقرن : إن شئتم أجبت عنكم ؛ ومن شاء آثرته . فقالوا : بل تكلم ، وقالوا للملك : كلام هذا الرجل كلامنا . فتكلّم النعمان ، فقال : إن الله رحيمنا فأرسل إلينا رسولا يدلّنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشرّ وينهانا عنه ، ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة ؛ فلم يدعُ إلى ذلك قبيلةٌ إلّا صاروا فرقتين ؛ فرقة تُقاربه ، وفرقة تباعده ، ولا يدخل معه في دينه إلّا الخواص . فمكث

(١) كذا في ز ، وفي ط : « نظيره » .

بذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم أمر أن ينبيذ إلى من خالفه من العرب ؛ وبدأ بهم وفعل ؛ فدخلوا معه جميعاً على وجهين : مكره عليه فاغبتبط ؛ وطائع أناه فازداد ؛ فعرفنا جميعاً فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق ؛ ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعهم إلى الإنصاف ، فنحن ندعوكم إلى ديننا ، وهو دين حسن الحسن وقبح القبيح كله ، فإن أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه الجزاء ؛ فإن أبيتم فالمناجزة ، فإن أجبتم إلى ديننا خلتنا فيكم كتاب الله ، وأقمناكم عليه ، على أن تحكموا بأحكامه ، وفرج عنكم وشأنكم وبلادكم ؛ وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ؛ وإلا قاتلناكم .

قال : فتكلم يزيد جرد ، فقال : إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عدداً ولا أسوأ ذات بين منكم ؛ قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفونناكم ^(١) . لا تغزون فارس ولا تطمعون أن تتقوموا لهم ، فإن كان عدد لحق ^(٢) فلا يغرتكم منا ، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتاً إلى خصبكم ؛ وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم ، وملكنا عليكم ملكاً يرفق بكم .

فأسكت القوم . فقام المغيرة بن زرارة بن النباش الأسدي ، فقال : أيها الملك ، إن هؤلاء رموس العرب وجوههم ؛ وهم أشرف يستحيون من الأشراف ؛ وإنما يكرم الأشراف الأشراف ، ويعظم حقوق الأشراف الأشراف ، ويفخم الأشراف الأشراف ؛ وليس كل ما أرسلوا به جمعه لك ، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه ، وقد أحسنوا ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك ؛ فجاءني لأكون الذي أبلغك ، ويشهدون على ذلك ؛ إنك قد وصفتنا صفة لم تكن بها عالماً ، فأما ما ذكرت من سوء الحال ، فما كان أسوأ حالاً منا ، وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع ، كنا نأكل الخنافس والجعلان والعقارب والحيات ؛ فزرى ذلك طعمانا . وأما المنازل فإنا هي ظهر الأرض ، ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم ؛

(١) ابن الأثير والنويري : « فيكفونا أمرهم » .

(٢) ابن الأثير والنويري : « غرر » ، وابن كثير : « عددكم كثر » .

ديننا أن يقتل بعضنا بعضاً، ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن
ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا ؛ فكانت حالتنا قبل اليوم
على ما ذكرت لك ؛ فبعث الله إلينا رجلاً معروفاً ، نعرف نسبه ، ونعرف
وجهه ومولده ؛ فأرضه خير أرضنا، وحسبه خير أحسابنا ، وبيته أعظم بيوتنا ؛
وقبيلته خير قبائلنا ^(١) ؛ وهو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا
وأحلمنا ^(٢) ؛ فدعانا إلى أمر فلم يُجبه أحد قبل تربّ كان له وكان
الخليفة من بعده ، فقال وقتلنا ، وصدق وكذبنا ، وزاد ونقصنا ، فلم يقل شيئاً
إلاّ كان ، فخذف الله في قلوبنا التصديق له واتّباعه ؛ فصار فيما بيننا
وبين ربّ العالمين ؛ فما قال لنا فهو قول الله ، وما أمرنا فهو أمر الله ؛
فقال لنا : إن ربكم يقول : إني أنا الله وحدي لا شريك لي ، كنت إذ
لم يكن شيء وكل شيء هالك إلاّ وجهي ، وأنا خلقت كل شيء ، وإلى
يصير كل شيء ، وإن رحمتي أدرتكم فبعث إليكم هذا الرجل لأدلكم
على السبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي ، ولأحليكم
داري ؛ دار السلام ، فتشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق ، وقال :
من تابعكم على هذا فله ما لكم وعليه ما عليكم ، ومن أبى فاعرضوا عليه
الجزية ، ثم امنعوه ممّا تمنعون منه أنفسكم ، ومن أبى فقاتلوه ، فأنا
الحكم بينكم . فمن قُتل منكم أذخاته جنّتي ، ومن بقي منكم أعقبته النصر
على من ناواه ؛ فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر ؛ وإن شئت فالسيف ،
أو تسلم فتُنجي نفسك . فقال : أتستقبلني بمثل هذا !

فقال : ما استقبلت إلاّ من كلمني ، ولو كلمني غيرك لم أستقبلك به .
فقال : لولا أن الرسل لا تُقتل لقتلتكم ؛ لا شيء لكم عندي ، وقال ^(٣) :
اثثوني بوقر من تراب ، فقال : احمलो على أشرف هؤلاء ، ثم سوقوه حتى
يخرج من باب المدائن ؛ ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أنّي مرسل إليكم رستم

(١) ط : « قبيلتنا » .

(٢) ابن حبيش : « أجملنا » .

(٣) كذا في س ، وفي ط : « فقال » .

حتى يُدفنكم ويدفنه^(١) في خندق القادسيّة، وينكّل به وبكم من بعد ،
ثم أوردّه بلادكم ، حتى أشغلكم في أنفسكم بأشدّ ممّا نالكم من سابور .
ثم قال : مَنْ أَشْرَفُكُمْ؟ فسكت القوم ، فقال عاصم بن عمرو - واثنتان^(٢)
ليأخذ التراب : أنا أشرفهم ، أنا سيّد هؤلاء فحملّنيّه ، فقال^(٣) : أكذاك ؟
قالوا : نعم ، فحملّه على عنقه ، فخرج به من الإيوان والدار حتى أتى راحلته
فحمله عليها ؛ ثم انجذب^(٤) في السّير ، فأثوّا به سعداً^(٥) وسبقهم عاصم
فمرّ بباب قُدَيْس فطواه ، فقال : بَشِّرُوا الأَمِيرَ بِالظَّفَرِ ، ظفّرنا إن شاء الله .
ثم مضى حتّى جعل التراب في الحِجَر ، ثم رجع فدخل على سعد ، فأخبره الخبر
فقال : أبشروا فقد والله أعطانا الله أقلّ يد ملكهم .

وجاء أصحابه وجعلوا يزدادون في كلّ يوم قوّة ، ويزداد عدوّهم في كلّ
يوم وهناً ، واشتدّ ما صنع المسلمون ، وصنع الملك من قبول التراب على جلساء
الملك ، وراح رسم من ساباط إلى الملك يسأله عمّاً كان من أمره وأمرهم ، وكيف
رآهم ، فقال الملك : ما كنتُ أرى أن في العرب مثل رجال رأيتم دخلوا على
وما أنتم^(٦) بأعقل منهم ، ولا أحسن جواباً منهم ؛ وأخبره بكلام متكلّمهم ،
وقال : لقد صدّقني القوم ، لقد وعد القوم أمراً ليُدركنّه أوليموتنّ عليه ،
على أني قد وجدت أفضلاهم أحققهم ، لمّا ذكروا الجزية أعطيتّه تراباً
فحملّه على رأسه ، فخرج به ، ولو شاء اتّقى بغيره ؛ وأنا لا أعلم .

قال : أيّها الملك ، إنه لأعقلهم ، وتطيّر إلى ذلك ، وأبصرها دون
أصحابه . ٢٢٤٤/١

وخرج رسم من عنده كثيباً غضباناً - وكان منجّماً كاهناً - فبعث في
أثر الوفد ، وقال لثقتّه^(٧) : إن أدركتهم الرّسول^(٨) تلافينا أرضنا ، وإن أعجزوه^(٩)

(١) التويرى : « يدفنكم ويدفنه » . وأدنى الجريح : أجهز عليه .

(٢) ابن حبيش : « واقتاف » . (٣) ابن حبيش : « قال » .

(٤) ابن حبيش : « انحدر » . (٥) ابن حبيش : « فباتوا بسعد » .

(٦) ابن حبيش : « والله ما أنتم » .

(٧) ابن حبيش : « لبعثه » . (٨) ز : « إن أدركتهم » .

(٩) ر : « أعجزوك » . ابن الأثير : « أعجزه » ، التويرى : « أعجزوا » .

سلبكم الله أرضكم وأبناءكم . فرجع الرسول من الحيرة بفواتهم ، فقال : ذهب القوم بأرضكم غير ذي شك ، ما كان من شأن ابن الحجامة المُلْك ! ذهب القوم بمفاتيح أرضنا ! فكان ذلك مما زاد الله به فارس غيظًا . وأغاروا بعد ما خرج الوفد إلى يترّد جرد ، إلى أن جاءوا إلى صيادين قد اصطادوا سمكًا ، وسار سواد بن مالك التميمي إلى التجاف والفيراض إلى جنبها ، فاستاق ثلثمائة دابة من بين بغل وحمار وثور ، فأوقروها سمكًا ، واستاقوها ، فصبّحوا العسكر ، فقسم السمك بين الناس سعد ، وقسم الدواب ، ونقلّ اللحم إلا ما رُدَّ على المجاهدين منه ، وأسهم على السبئي ؛ وهذا يوم الحيتان ، وقد كان الآزاد مرّد ابن الآزاد به خرج في الطلب ، فعمّط عليه سواد وفوارس معه ، فقاتلهم على قنطرة السيلّحين ؛ حتى عرفوا أن الغنيمة قد نجت ، ثم اتبعوها فأبلغوها المسلمين ، وكانوا إنما يقرّمون إلى اللحم ؛ فأما الحنطة والشعير والتمر والحبوب ؛ فكانوا قد اكتسبوا منها ما اكتفوا به لو أقاموا زمانًا ؛ فكانت السرايا إنما تسرى للحوم ؛ ويسمّون أيامها بها ، ومن أيام اللحم يوم الأباقر ويوم الحيتان . وبُعِثَ مالك بن ربيعة بن خالد التيمي ؛ تيمّم الرباب ، ثم الواثلي ومعه المساور بن النعمان التيمي ثم الربيعي في سرية أخرى ؛ فأغاروا على الفيوم ؛ فأصابا إبلاً لبني تغليب والنمير فشلاها^(١) ومن فيها ، فغدوا بها على سعد ، فنحرت الإبل في الناس . وأخصبوا ، وأغار على النهريّين عمرو ابن الحارث ، فوجدوا على باب ثوراء مواشي كثيرة ، فسلكوا أرض شيلي - وهي اليوم نهر زياد - حتى أتوا بها العسكر .

وقال عمرو : ليس بها يومئذ إلا نهران . وكان بين قدوم خالد العراق ونزول سعد القادسية ستان وشيء . وكان مقام سعد بها شهرين وشيئًا حتى ظفر . قال - والإسناد الأول - : وكان من حديث فارس والعرب بعد البويب أن الأنوشجان بن الهيربند خرج من سواد البصرة يريد أهل غصّى ، فاعترضه أربعة نفر على أفناء تميم ؛ وهم بليزاهم : المستورد وهو على الرباب ،

(١) فشلاها ، أي انزعها .

وعبد الله بن زيد يسانده ؛ الرباب بينهما ، وجزء بن معاوية وابن النابغة يسانده ؛ سعد بينهما ، والحصين ^(١) بن نيار والأعور بن بشامة يسانده على عمرو ، والحصين بن معبد والشب على حنظلة ، فقتلوه دونهم . وقدم سعد فانضموا إليه هم وأهل غُضَيٍّ وجميع تلك الفرق .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو ٢٢٤٧/١ بإسنادهم ، قالوا : وعجَّ أهلُ السَّوَادِ إلى يَزْدَجَرْدَ بن شهریار ، وأرسلوا إليه أن العرب قد نزلوا القادسية بأمر ليس يشبه إلا الحرب ، وإن فعل العرب منذ نزلوا القادسية لا يبقى عليه شيء ؛ وقد أخرجوا ما بينهم وبين الفرات ؛ وليس فيما ^(٢) هنالك أنيس إلا في الحصون ، وقد ذهب الدواب وكل شيء لم تحتمله الحصون من الأطعمة ، ولم يبق إلا أن يستنزلونا ^(٣) ، فإن أبطأ عنا الغياث أعطيناهم بأيدينا . وكتب إليه بذلك الملوك الذين لهم الضياع بالطف ، وأعانوهم عليه ، وهيجوه على بعثه رستم .

ولما بدا ليزدجرد أن يرسل رستم أرسل إليه ، فدخل عليه ، فقال له : إنني أريد أن أوجهك في هذا الوجه ؛ وإنما بعد ^(٤) للأمر على قدرها ، وأنت رجل أهل فارس اليوم ^(٥) ، وقد ترى ما جاء أهل فارس من أمر لم يأتهم مثله منذ ولي آل أردشير . فأراه أن قد قبل منه ، وأثنى عليه . فقال له الملك : قد أحب أن أنظر فيما لديك لأعرف ما عندك ، فصفت لي العرب وفعلهم منذ نزلوا القادسية ، وصف لي العجم وما يلقون منهم .

فقال رستم : صفه ذئاب صادفت غيرة من رعاء فأفسدت . فقال : ليس كذلك ؛ إنني إنما سألتك رجاء أن تعرب صفتهم فأقولك لتعمل على قدر ذلك فلم تُصِبْ ، فافهم عني ؛ إنما مثلهم ومثل أهل فارس كممثل ٢٢٤٨/١ عقاب أوفى على جبل يأوى إليه الطير بالليل ، فتبيت في سفحه في أوكارها ،

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « الحسن » . (٢) ابن حبيش : « بها » .

(٣) بعدها في ابن حبيش : « يستنزلوا » . (٤) ز : « يعمد » .

(٥) بعدها في ابن حبيش : « وأنت لها » .

فلما أصبحت تجلّت الطير ، فأبصرته يرقبها ، فإن شذّ منها شيء اختطفه ،
فلما أبصرته الطير لم تنهض من مخافته ؛ وجعلت كلما شذّ منها طائر اختطفه ،
فلو نهضت نهضة واحدة ردّته ؛ وأشدّ شيء يكون في ذلك أن تنجو كلّها
إلا واحداً ؛ وإن اختلفت لم تنهض فرقة إلا هلكت ؛ فهذا مثلهم ومثل
الأعاجم ؛ فاعمل على قدر ذلك . فقال له رستم : أيها الملك ، دعني ؛
فإنّ العرب لا تزال تهاب العجم ما لم تُضَرَّهم بي ؛ ولعلّ الدولة أن تثبت بي
فيكون الله قد كتفّى ، ونكون قد أصبنا المكيدة ورأى الحرب ؛ فإنّ الرأى
فيها والمكيدة أنفع من بعض الظفر . فأبى عليه ، وقال : أيّ شيء بقي !
فقال رستم : إنّ الأناة في الحرب خير من العجلة ، وللأناة اليوم موضع ،
وقتل جيش بعد جيش أمثل من هزيمة بمرة وأشدّ على عدونا . فليج وأبى ،
فخرج حتى ضرب عسكره بساباط ، وجعلت تختلف إلى الملك الرسل ليرى
موضعاً لإعفائه وبعثه غيره ، ويجتمع إليه الناس . وجاء العيون إلى سعد بذلك
من قبل الحيرة وبني صلوبا ، وكتب إلى عمر بذلك . ولما كثرت الاستغاثة
على يزيد جرد من أهل السّواد على يدى الآزدمرد بن الآزاذبه جشعت
نفسه ، واتفق الحرب برستم ، وترك الرأى - وكان ضيقاً لجوجاً - فاستحثّ
رستم ، فأعاد عليه رستم القول ، وقال : أيّها الملك ؛ لقد اضطرني تضييع الرأى
إلى إعظام نفسي وتزكيتها ؛ ولو أجد من ذلك بدءاً لم أتكلّم به ، فأشدك
الله في نفسك وأهلك ومُلْكك ؛ دعني أقم بعسكري وأسرح الجالنوس ؛ فإن
تكن لنا فذلك ؛ وإلا فأنا على رجل وأبعث غيره ، حتى إذا لم نجد بدءاً ولا حيلة
صبرنا لهم ؛ وقد وهّناهم وحسّرناهم ونحن جامئون . فأبى إلا أن يسير .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى
الضبيّ ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : لما نزل رستم بساباط ، وجمع
آلة الحرب وأدّأها بعث على مقدّمته الجالنوس في أربعين ألفاً ، وقال :
ازحف زحفاً ، ولا تنجذب إلا بأمرى ؛ واستعمل على ميمته الهرمرزان ،
وعلى ميسرته مهران بن بهرام الرازيّ ، وعلى ساقته البيرزان ، وقال رستم

ليشجع الملك : إن فتح الله علينا القوم ^(١) فهو وجهنا ^(٢) إلى ملكهم في دارهم ^(٣) ٢٢٥٠/١ حتى نشغلهم في أصلهم وبلادهم ، إلى أن يقبلوا ^(٤) المسالمة أو يرضوا بما كانوا يرضون به . فلما قدمت وفود سعد على الملك ، ورجعوا من عنده رأى رسم فيما يرى النائم رؤيا فكرهها ، وأحس بالشر ، وكره لها الخروج ولقاء القوم ، واختلف عليه رأيه واضطرب . وسأل الملك أن يمضى الجالنوس ويقم حتى ينظر ما يصنعون ، وقال : إن غناء الجالنوس كغنائى ، وإن كان اسمى أشد عليهم من اسمه ، فإن ظفیر فهو الذى نريد ، وإن تكن الأخرى وجهت مثله ، ودفعنا هؤلاء القوم إلى يوم ما ؛ فإننى لا أزال مرجواً في أهل فارس ، ما لم أهرم ينشطون ، ولا أزال مهيباً في صدور العرب ؛ ولا يزالون يهابون الإقدام ما لم أباشرهم ؛ فإن أباشرهم اجترعوا آخر دهرهم ، وانكسر أهل فارس آخر دهرهم . فبعث مقدّمته أربعين ألفاً ؛ وخرج في ستين ألفاً ، وساقته في عشرين ألفاً .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ، قالوا : وخرج رسم في عشرين ومائة ألف ، كلهم متبوع ، وكانوا بأتباعهم أكثر من مائتى ألف ، وخرج من المدائن في ستين ألف متبوع .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، أن رسم زحف لسعد وهو بالقادسية في ستين ألف متبوع .

٢٢٥١/١ كتب إلى السرى ، عن شعيب عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد وعمرو بإسنادهم ، قالوا : لما أبى المليك إلا السير ، كتب رسم إلى أخيه وإلى رؤوس أهل بلادهم : من رسم إلى البندوان مرزبان الباب ، وسهم أهل فارس ، الذى كان لكل كون يكون ، فيفض الله به كل جند عظيم شديد ، ويفتح به

(١) ابن حيش : « هؤلاء القوم » .

(٢) ز : « فهو خلاصنا ثم وجهنا » .

(٣) ابن حيش : « في داره » .

(٤) ابن حيش : « إلا أن يقبلوا » .

كلّ حصن حصين ، ومن يليه ؛ فرمّوا حصونكم ، وأعدّوا واستعدّوا ،
فكأنكم بالعرب قد وردّوا بلادكم ، وقارعوكم عن أرضكم وأبنائكم ، وقد
كان من رأي مدافعهم ومطاولتهم حتى تعود سعدوهم نحوساً ؛ فأبى الملك .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الصلت بن بهرام ،
عن رجل ؛ أن يزدجرد لما أمر رستم بالخروج من ساباط ، كتب إلى أخيه
بنحو من الكتاب الأول ، وزاد فيه : فإن السمكة قد كدّرت الماء ، وإن
النعام قد حسنت ، وحسنت الزهرة ، واعتدل الميزان ، وذهب بهرام ؛
ولا أرى هؤلاء القوم إلا سيظهرون علينا ، ويستولون على مايلينا . وإن أشدّ
ما رأيت أن الملك قال : لتسيرن إليهم أو لأسيرن إليهم أنا بنفسى . فأنا
سائر إليهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السرى ،
عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : كان الذى جرّأ يزدجرد على إرسال رستم
غلام جابان منجم كسرى ، وكان من أهل قرّات بادقلى ، فأرسل إليه
فقال : ما ترى في مسير رستم وحرب العرب اليوم ؟ فخافه على الصدق
فكذبه ، وكان رستم يعلم نحواً من علمه ، فثقل عليه مسيره لعلمه ،
وخفّ على الملك لما غره منه ، وقال : إننى أحب أن تخبرنى بشيء
أراه أطمئن به إلى قولك ، فقال الغلام لزّونا الهندى : أخبره ، فقال :
سلكنى ، فسأله فقال : أيها الملك يقبل طائر فيقع على إيوانك
فيقع منه شيء في فيه ها هنا — وخطّ دائرة — فقال العبد : صدق ،
والطائر غراب ، والذى في فيه درهم . وبلغ جابان أن الملك طلبه ، فأقبل
حتى دخل عليه ، فسأله عما قال غلامه ، فحسب فقال : صدق
ولم يصب ؛ هو عقق ، والذى في فيه درهم ، فيقع منه على هذا المكان ، وكذب زونا .
يتزو الدرهم فيستقرّ ها هنا — ودور دائرة أخرى — فما قاموا حتى وقع على
الشرفات عقق ، فسقط منه الدرهم في الخط الأول ، فترا فاستقرّ في الخط

الآخر . ونافر الهندي جابان حيث خَطَّاه ؛ فأتيا ببقرة نَسُوج ؛ فقال الهندي :
سَخَّلْتُهَا غَرَاءَ سَوْدَاءَ ، فقال جابان : كَذَبْتَ ، بل سوداء صَبْغَاءُ ^(١) ،

فَنَحَرْتُ البقرة فَاسْتَخْرَجْتُ سَخْلَتَهَا ، فإذا هي ذَنْبُهَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا ، فقال جابان : ٢٢٥٣/١
من هاهنا أَتَيْ زَرْنَا ، وَشَجَعَاهُ عَلَى إِخْرَاجِ رَسْمٍ ، فَأَمَضَاهُ ، وَكُتِبَ جَابَانُ إِلَى
جُشْنَسْمَاهُ : إِنَّ أَهْلَ فَارِسٍ قَدْ زَالَ أَمْرُهُمْ ، وَأَدِيلَ عَدُوِّهِمْ عَلَيْهِمْ ، وَذَهَبَ
مُلْكُ الْحَوْسِيَّةِ ، وَأَقْبَلَ مُلْكُ الْعَرَبِ ، وَأَدِيلَ دِينِهِمْ ؛ فَاعْتَقَدَ مِنْهُمْ الذِّمَّةَ ،
وَلَا تَخْلُبُنَاكَ الْأُمُورُ ، وَالْعَجَلُ الْعَجَلُ قَبْلَ أَنْ تُتَّخَذَ ! فَلَمَّا وَقَعَ الْكِتَابُ إِلَيْهِ
خَرَجَ جُشْنَسْمَاهُ إِلَيْهِمْ حَتَّى أَتَى الْمَعْنَى ؛ وَهُوَ فِي خَيْلٍ بِالْعَتِيقِ ، وَأَرْسَلَهُ
إِلَى سَعْدٍ ، فَاعْتَقَدَ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَمَنْ اسْتَجَابَ لَهُ وَرَدَّه ، وَكَانَ
صَاحِبَ أَخْبَارِهِمْ . وَأَهْدَى لِلْمَعْنَى الْفُلُودَقَ ^(٢) ، فَقَالَ لَامْرَأَتِهِ : مَا هَذَا ؟ فَقَالَتْ :
أُظِنَ الْبَائِسَةُ أَمْرَاتُهُ أَرَاغَتْ الْعَصِيدَةَ فَأَخْطَأَتْهَا ، فَقَالَ الْمَعْنَى : بِؤْسًا لَهَا !

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادَ
وَعَمْرُو بِإِسْنَادِهِمْ ، قَالُوا : لَمَّا فَصَّلَ رَسْمٌ مِنْ سَابَاطٍ ، لَقِيَهُ جَابَانُ عَلَى
الْقَنْطَرَةِ ، فَشَكَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ : أَلَا تَرَى مَا أَرَى ؟ فَقَالَ لَهُ رَسْمٌ : أَمَّا أَنَا
فَأَقَادَ بِخَشَاشٍ وَزِمَامٍ ، وَلَا أَجِدُ بُدًّا مِنَ الْإِنْقِيَادِ . وَأَمْرُ الْجَالْنُوسِ حَتَّى قَدِمَ
الْحَيْرَةَ ؛ فَمَضَى وَاضْطَرَبَ فُسْطَاطُهُ بِالنَّجَفِ ، وَخَرَجَ رَسْمٌ حَتَّى يَنْزِلَ
بِكُوْنِي ، وَكُتِبَ إِلَى الْجَالْنُوسِ وَالْآزَادِ مُرَدٌ : أَصِيبًا لِي رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ مِنْ
جَنْدِ سَعْدٍ . فَرَكَبَا بِأَنْفُسِهِمَا طَلِيعَةً ، فَأَصَابَا رَجُلًا ، فَبَعَثَا بِهِ إِلَيْهِ وَهُوَ ٢٢٥٤/١
بِكُوْنِي فَاسْتَخْبَرَهُ ، ثُمَّ قَتَلَهُ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ النَّضْرِ بْنِ
السَّرِيِّ ، عَنْ ابْنِ الرُّقَيْلِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : لَمَّا فَصَّلَ رَسْمٌ ، وَأَمْرُ الْجَالْنُوسِ
بِالتَّقْدَمِ إِلَى الْحَيْرَةِ ، أَمْرُهُ أَنْ يَصِيبَ لَهُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ ، فَخَرَجَ هُوَ وَالْآزَادُ مُرَدٌ

(١) ز : « سَغَاء » . وفي اللسان عن أبي عبيدة : « إذا شابت ناصية الفرس فهو أسعف » ،
فإذا ابيضت كلها فهو أصبغ » .
(٢) الفالودق : حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل ، معربة عن « بالودة » . الألفاظ
الفارسية ١٢٠ .

سريّةً في مائة ؛ حتّى انتهيا إلى القادسيّة ، فأصابا رجلاً دون قنطرة القادسيّة فاخطفاه ، فنفر الناس فأعجزوهم إلّا ما أصاب المسلمون في آخريّاتهم . فلمّا انتهيا إلى النّجف سرّحا به إلى رسم ، وهو بكوثيّ ، فقال له رسم : ما جاء بك ؟ وماذا تطلبون ؟ قال : جئنا نطلب موعود الله ، قال : وما هو ؟ قال : أرضكم وأبنائكم ودماؤكم إن أبيتم أن تسلموا . قال رسم : فإن قُتلتم قبل ذلك ؟ قال : في موعود الله أن من قُتل منّا قبل ذلك أدخله الجنة ، وأنجز لمن بقي منّا ما قلت لك ، فنحن على يقين . فقال رسم : قد وُضِعنا إذّا في أيديكم ؛ قال : ويحك يا رسم ! إن أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ؛ فلا يغرنك ما ترى حولك ، فإنك لست تُحاول^(١) الإنس ؛ إنما تحاول القضاء والقدر ! فاستشاط غضباً ؛ فأمر به فضربت عنقه ، وخرج رسم من كوثيّ ؛ حتّى ينزل ببُرس ، فغضب أصحابه الناس أموالهم ووقعوا على النساء ، وشربوا الخمر . فضجّ العلّوج إلى رسم ، وشكّوا إليه ما يلقون في أموالهم وأبنائهم . فقال : يا معشر أهل فارس ، والله لقد صدّق العربي ؛ والله ما أسلمنا إلّا أعمالنا ، والله للعرب في هؤلاء وهم لهم ولنا حربٌ أحسنُ سيرةً منكم . إن الله كان ينصركم على العدو ، ويمكنكم لكم في البلاد بحسن السيرة وكفّ الظلم والوفاء بالعهود والإحسان ؛ فأما إذ تحوّلتم عن ذلك إلى هذه الأعمال ، فلا أرى الله إلّا مغيراً ما بكم ، وما أنا بآ من أن ينزع الله سلطانه منكم . وبعث الرجال ؛ فلقطوا له بعض من يُشكّي فأتي بنفر ، فضرب أعناقهم ، ثم ركب ونادى في الناس بالرحيل ، فخرج ونزل بجبال دبر الأعور ، ثم انصب إلى الملطاط ؛ فعسكر ممّا يلي الفرات بجبال أهل النّجف بجبال الخورنق إلى الغريّين ، ودعا بأهل الحيرة ، فأوعدهم وهم بهم ، فقال له ابن بُقَيْلَة : لا تجمع علينا اثنتين : أن تعجز عن نصرتنا ، وتلومنا على الدفع عن أنفسنا وبلادنا . فسكت .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبي ، والمقدام الحارثيّ عمّن ذكره ، قالوا : دعا رسم أهل الحيرة وسُرادقهُ إلى جانب الدّير ، فقال : يا أعداء الله ، فرحتم بدخول العرب علينا بلادنا ، وكنتم عيوناً لهم علينا ، وقويتموهم بالأموال ! فانتفوذوا بآبن بُقَيْلَة ،

(١) كذا في ابن حيش وفي ط : « تجلّول » .

وقالوا له : كن أنت الذى تكلّمه ، فتقدّم ، فقال : أمّا أنت وقولك : « إنا فرحنا بمجيئهم »^(١) . فماذا فعلوا ؟ وبأى ذلك من أمورهم^(٢) نفرح ! إنهم ليزعمون أنّا عبيد لهم ، وما هم على ديننا ؛ وإنّهم ليشهدون علينا أنّا من أهل النار . وأمّا قولك : « إنّنا كنا عيوناً لهم » ، فما الذى يُحوجهم إلى أن نكون عيوناً لهم ، وقد هرب أصحابكم منهم ، وخذلوا لهم القرى ! فليس يمنعهم أحد من وجه أرادوه ؛ إن شاءوا أخذوا يميناً أو شمالاً . وأمّا قولك : « إنا قويناهم بالأموال » ؛ فإنّا صانعناهم بالأموال عن أنفسنا ؛ وإذ لم تمنعونا مخافة أن نُسبى وأن نُحرب^(٣) ، وتُقتل مقاتلتنا—وقد عجز منهم من لقىهم منكم—فكنا نحن أعجز ؛ ولعمري لأنتم أحبُّ إلينا منهم ؛ وأحسن عندنا بلاءً ، فامنعونا منهم لكن لكم أعواناً ؛ فإنّما نحن بمنزلة علّوج السّود ، عبيد من غلب . فقال رسّم : صدقكم الرجل .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النّضر ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : رأى رسّم بالدير أنّ ملكاً جاء حتى دخل عسكر فارس ، فختّم السلاح أجمع .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وأصحابه ؛ وشاركهم النّضر بإسناده ، قالوا : ولمّا اطمأنّ رسّم أمر الرجال والنّوس أن يسير من النّجف ، فسار فى المقدّمات ، فتزل فيما بين النّجف والسّيلّحين ، وارتحل رسّم ، فتزل النّجف — وكان بين خروج رسّم من المدائن وعسكرته بساباط وزحفه منها إلى أن لقي سعداً أربعة أشهر ، لا يُقدّم ولا يقايل — رجاء أن يضجّروا بمكانهم ، وأن يجهدوا فيصرفوا ، وكره قتالهم مخافة أن يلقى ما لقي من قبله^(٤) ، وطاولتهم لولا ما جعل الملك يستعجله ويُنهضه ويُقدّمه ؛ حتى أقحمه ؛ فلما نزل رسّم النّجف عادت عليه الرؤيا ، فرأى ذلك الملك ومعه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وعمر ، فأخذ الملك سلاح أهل

(١-١) ابن حبيش : « فوالله ما فرحنا بمجيئهم » .

(٢) ابن حبيش : « من أمرهم » .

(٣) ز : « تسبى وأن تحرب » .

(٤) ز : « من قبلهم » .

فارس ، فحتمه ، ثم دفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فدفعه النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم إلى عمر . فأصبح رسم ، فازداد حزنا ، فلما رأى الرُّقيل ذلك رغب في الإسلام ؛ فكانت داعيته إلى الإسلام ، وعرف عمر أن القوم سيظاولوهم ، فعهد إلى سعد وإلى المسلمين أن ينزلوا حدود أراضيهم ، وأن يطاولوهم أبداً حتى يُنفضوهم ، فنزلوا القادسية ، وقد وطنوا أنفسهم على الصبر والمطاول ، وأبى الله إلا أن يتم نوره ، فأقاموا واطمأنوا ، فكانوا يُغيرون على السَّود ، فانتسفوا ما حولهم^(١) فحووه وأعدوا للمطاول ؛ وعلى ذلك جاءوا ، أوفتح الله عليهم^(٢) . وكان عمر يمدُّهم بالأسواق إلى ما يصيبون ؛ فلما رأى ذلك الملك ورسم وعرفوا حالهم ، وبلغهم عنهم فعلهم ؛ علم أن القوم غير متتهين ، وأتته إن أقام لم يتركوه ؛ فرأى أن يشخص رسم ، ورأى رسم أن ينزل بين العتيق والنَّجف ، ثم يطاولهم مع المنازلة ، ورأى أن ذلك أمثل ما هم فاعلون^(٣) ، حتى يصيبوا من الإحجام حاجتهم ، أو تدور لهم سعود .

٢٢٥٨/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : وجعلت السرايا تطوف ، ورستم بالنَّجف والجالينوس بين النَّجف والسيِّلحين وذو الحجاب بين رستم والجالينوس ، والهرمزان ومِهْران على مجتبيته ، والبيرزان على ساقته وزاذ بن بهيش صاحب فُرات سرياً على الرِّجالة ؛ وكناري على المجرِّدة ؛ وكان جنده مائة وعشرين ألفاً ، ستين ألفاً متبوع مع الرجل الشاكري ، ومن الستين ألفاً خمسة عشر ألفاً شريف متبوع ، وقد تسلسلوا وتقارنوا لتدور عليهم رَحَى الحرب .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال : قال النَّاس لسعد : لقد ضاق بنا المكان ؛ فأقدم ، فزبر مَنْ كلمه بذلك ، وقال : إذا كُفِّم الرأى ، فلا تكلَّفوا ؛ فإننا لن نقدم إلا على رأى ذوى الرأى ، فاسكوا ما سكتنا عنكم . وبعث

(١) ابن حبيش : « يليهم » .

(٢) ز : « لهم » .

(٣) ابن حبيش : « عاملون » .

طليحة وعمراً في غير خيل كالطليحة ، وخرج سواد وحُمَيْضَةُ في مائة مائة ؛ فأغاروا على النَّهْرَيْنِ ؛ وقد كان سعد نهاهما أن يُمِيعَا ، وبلغ رستم ، فأرسل إليهم خيلاً ، وبلغ سعداً أن خيلَه قد وَغَلَتْ ؛ فدعا عاصم بن عمرو وجابراً الأسدي ، فأرسلهما في آثارهم يقتصّانها ، وسلكا طريقهما ، وقال لعاصم : إن جَمَعَكُم قتال فأنت عليهم ، فلقِيهم بين النهرين وإصْطِيمِيَا ؛ وخيل أهل فارس محتوشَتُهُمْ ، يريدون تَخْلُصَ ما بين أيديهم ؛ وقد قال سواد لحُمَيْضَةُ : اختَرْ ؛ إمّا أن تقيم لهم وأستاق الغنَيمَةَ ، أو أقيم لهم وتستاق الغنَيمَةَ . قال : أقيم لهم ونَهْنِهْنَهُمْ عَنِّي ، وأنا أبلغ لك الغنَيمَةَ ؛ فأقام لهم سواد ، وانجذب حُمَيْضَةُ ، فلقية عاصم بن عمرو ، فظن حُمَيْضَةُ أَنَّهَا خيل للأعاجم أخرى ، فصَدَّ عنها منحرفاً ؛ فلمّا تعارفوا ساقَها ؛ ومضى عاصم إلى سواد — وقد كان أهل فارس تنقّذوا بعضها — فلمّا رأت الأعاجم عاصمًا هربوا ، وتنقّذ سواد ما كانوا ارتجعوا ؛ فأتوا سعداً بالفتح والغنائم والسلامة ؛ وقد خرج طليحة وعمرو ؛ فأما طليحة فأمره بعسكر رستم ، وأما عمرو فأمره بعسكر الجالانوس ؛ فخرج طليحة وحده ، وخرج عمرو في عدّة ، فبعث قيس بن هيرة في آثارهما ؛ فقال : إن لقيت قتالا فأنت عليهم — وأراد إذلال طليحة لمعصيته ، وأما عمرو فقد أطاعه — فخرج حتى تلقى عمراً ، فسأله عن طليحة ، فقال : لا علم لي به ، فلمّا انتهينا إلى النَّجَف من قبل الجَوْف ، قال له قيس : ما تريد ؟ قال : أريد أن أغير على أدنّى عسكرهم ؛ قال : في هؤلاء ! قال : نعم ، قال : لا أدعك والله وذاك ! أتعرّض المسلمين^(١) لِمَا لا يطيقون ! قال : وما أنت وذاك ! قال : إني أمرت عليك ؛ ولو لم أكن أميراً لم أدعك وذاك . وشهد له الأسود بن يزيد في نفر أن سعداً قد استعمله عليك ، وعلى طليحة إذا اجتمعتم ، فقال عمرو : والله يا قيس ؛ إن زماناً تكون على فيه أميراً لزمانٍ سوء ! لأن أرجع عن دينكم هذا إلى ديني الذي كنت عليه وأقاتل عليه حتى أموت أحبُّ إليّ من أن تتأمر على ثانية . وقال : لئن عاد صاحبك الذي بعثك لمثلها لنفارقنّه ؛ قال : ذاك إليك بعد مرّتك هذه ، فردّه ؛ فرجعا

(١) ابن حيش : « أيعرض المسلمون ؟ » .

إلى سعد بالخبر . وبأعلاج وأفراس ، وشكا كل واحدٍ منهما صاحبه ؛ أما قيسٌ فشكا عسيانَ عمرو ، وأما عمرو ، فشكا غِلظة قيس ، فقال سعد : يا عمرو ، الخبر والسلامة أحبّ إلى من مُصاب مائة بقتل ألف ، أنعمتَ إلى حليّة فارس فتصادمهم بمائة ! إن كنت لأراك أعلم بالحرب ممّا أرى . فقال : إن الأمر لكما قلت ؛ وخرج طليحة حتى دخل عسكرهم في ليلة مقمرة ، فتوسّم فيه ، فهتك أظناب بيت رجل عليه ، واقتاد فرسه ، ثم خرج حتى مرّ بعسكر ذى الحجاب ، فهتك على رجل آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم دخل على الجالنوس عسكره فهتك على آخر بيته ، وحلّ فرسه ، ثم خرج حتى أتى الحرّارة ؛ وخرج الذي كان بالنّجف ، والذي كان في عسكر ذى الحجاب فاتّبعه الذي كان في عسكر الجالنوس ، فكان أولّهم لحاقاً به الجالنوس ؛ ثم الحاجبي ، ثم النّجفي ؛ فأصاب الأولّين ، وأسّر الآخر . وأتى به سعداً فأخبره ، وأسلم ؛ فسمّاه سعد مسلماً ؛ ولزم طليحة ؛ فكان معه في تلك المغازي كلّها . ٢٢٦١/١

كتب إلى المروئي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي عمرو ، عن أبي عثمان النهدي ، قال : كان عمر قد عهد إلى سعد حين بعثه إلى فارس ؛ ألا يمرّ بماء من المياه بذى قوّة ونجدة ورياسة إلاّ أشخصه ؛ فإن أبى انتخبه ، فأمره عمر ، فقدم القادسيّة في اثني عشر ألفاً من أهل الأيّام ، وأناس من الحمراء استجابوا للمسلمين ، فأعانوهم ؛ أسلم بعضهم قبل القتال ، وأسلم بعضهم غيب القتال ، فأشركوا في الغنيمة ، وفرضت لهم فرائض أهل القادسيّة : ألفين ألفين ؛ وسألوا عن أمنع قبائل العرب ، فعادوا تميمياً ؛ فلمّا دنا رستم ، ونزل النّجف بعث سعد الطلائع ؛ وأمرهم أن يصيبوا رجلاً ليسأله عن أهل فارس ؛ فخرجت الطلائع بعد اختلاف ؛ فلما أجمع ملأ الناس أن الطليعة من الواحد إلى العشرة سمّحوا ، فأخرج سعد طليحة في خمسة ، وعمرو بن معد يكرب في خمسة ؛ وذلك صبيحة قدّم رستم الجالنوس وذا الحجاب ؛ ولا يشعرون بفصولهم من النّجف ؛ فلم يسروا إلاّ فرسخاً وبعض

آخر ؛ حتى رأوا مسالحتهم وسرحتهم على الطُفوف قد ملئوها ، فقال بعضهم : ارجعوا إلى أميركم فإنه سرّحكم ؛ وهو يرى أنّ القوم بالتَّجَفُّف ؛ فأخبروه الخبر ، وقال بعضهم : ارجعوا لا يَنْذِرُ بكم ^(١) عدوكم ! فقال عمرو لأصحابه : صدقتم ، وقال طليحة لأصحابه : كذبتم ؛ ما بُعِثتم لتُخبروا عن السَّرْح ، وما بُعِثتم إلا للخُبْر ^(٢) قالوا : فما تريد ؟ قال : أريد أن أخاطر القوم ٢٢٦٢/١ أو أهلك ، فقالوا : أنت رجل في نفسك غَدَرٌ ؛ ولن تغلح بعد قتل عَكَاشَةَ ابن مِخْصَنٍ ؛ فارجع بنا ، فأبى . وأتى سعدًا الخبرُ برحيلهم ؛ فبعث قيس بن هُبيرة الأسديّ ، وأمّره على مائة ، وعليهم إن هو لقيهم . فانتهى إليهم وقد افترقوا ، فلمّا رآه عمرو قال : تجلّدوا له ، أروّه أنّهم يريدون الغارة ؛ فردّهم ، ووجد طليحة قد فارّقتهم فرجع بهم . فأتوا سعدًا ، فأخبروه بقُرب القوم ، ومضى طليحة ، وعارض المياه على الطُفوف ؛ حتى دخلَ عسكر رستم ، وبات فيه يجوسه وينظر ويتوسّم ؛ فلمّا أدبر الليل ، خرج وقد أتى أفضل من توسّم في ناحية العسكر ؛ فإذا فرس له لم يُرَ في خيل القوم مثله ، وفسطاط أبيض لم يُرَ مثله ؛ فانضى سيفه ، ففقطِعَ مِقْوَدَ الفرس ، ثم ضمّه إلى مِقْوَدَ فرسه ، ثم حرّك فرسه ، فخرج يعدو به ، ونذِرَ به الناس والرَّجُل ، فتنادوا وركبوا الصَّعْبَةَ والدَّلُول ، وعجّل بعضهم أن يسرج ، فخرجوا في طلبه ، فأصبح وقد لحقه فارسٌ من الجُنْد ، فلمّا غشيّه وبوّأ له الرَّمح ليطعنه عدل طليحة فرسه ، فنذر الفارسيّ بين يديه ، فكّر عليه طليحة ، فقصم ظهره بالرَّمح ، ثم لحق به آخر . ففعل به مثل ذلك ، ثم لحق به آخر ؛ وقد رأى مصرع صاحبيه — وهما ابنا عمّه — فازداد حَنَقًا ، فلمّا لحق بطليحة ، وبوّأ له الرَّمح ، عدل طليحة فرسه ، فنذر الفارسيّ ٢٢٦٣/١ أمامه ، وكرّر عليه طليحة ؛ ودعاه إلى الإِسار ، فعرف الفارسيّ أنه قاتله فاستأسّر . وأمّره طليحة أن يركض بين يديه ؛ ففعل . ولحق الناس فرأوا فارسيّ الجند قد قتلًا وقد أسير الثالث ، وقد شارف طليحة عسكرهم ،

(١) ابن حبيش : « لا يبدركم » .

(٢) ابن حبيش : « للخبر » .

فأحجموا عنه ، ونكسوا ، وأقبل طليحة حتى غشي العسكر ، وهم على تعبية ، فأفرغ الناس ، وجوزوه إلى سعد ؛ فلماً انتهى إليه ، قال : ويحك ما وراءك ! قال : دخلت عساكرهم ^(١) وجسستها منذ الليلة ، وقد أخذت أفضلهم توسماً ، وما أدرى أصبت أم أخطأت ! وما هو ذا فاستخبره . فأقيم الترجمان بين سعد وبين الفارسي ، فقال له الفارسي : أتؤمنني على دمي إن صدقتك ؟ قال : نعم ، الصدق في الحرب أحب إلينا من الكذب ، قال : أخبركم عن صاحبكم هذا قبل أن أخبركم عن قبلي ؛ باشرت الحروب وغشيتها ، وسمعت بالأبطال ولقيتها ؛ منذ أنا غلام إلى أن بلغت ما تترى ، ولم أر ولم أسمع بمثل هذا ؛ أن رجلاً قطع عسكرين لا يجترى عليهما الأبطال إلى عسكر فيه سبعون ألفاً ، يخدم الرجل منهم الخمسة والعشرة إلى ما هو دون ؛ فلم يرض أن يخرج كما دخل حتى سلب فارس الجند ؛ وهتك أطناب بيته فأنذرته ، فأنذرنا به ، فطلبناه ، فأدركه الأول وهو فارس الناس ، يعدل ألف فارس فقتله ، فأدركه الثاني وهو نظيره فقتله ، ثم أدركته ، ولا أظن أنني خلقت بعدى من يعد لي وأنا النائر بالقتيلين ، وهما ابنا عمي ، فرأيت الموت فاستأسرت . ثم أخبره عن أهل فارس ؛ بأن الجند عشرون ومائة ألف ، وأن الأتباع مثلهم خدام لهم . وأسلم الرجل وسماه سعد مسلماً ، وعاد إلى طليحة ، وقال : لا والله ، لا تهزمون ما دتم على ما أرى من الوفاء والصدق والإصلاح والمؤاسة ؛ لا حاجة لي في ضجة فارس ؛ فكان من أهل البلاء يومئذ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ، قال : قال سعد لقيس بن هبيرة الأسدي : اخرج يا عاقل ، فإنه ليس وراءك من الدنيا شيء تحنو عليه حتى تأتيني بعلم القوم . فخرج وسرح عمرو بن معديكرب وطليحة ؛ فلماً حاذى القنطرة لم يسر إلا يسيراً حتى لحق ، فأنهى إلى خيل عظيمة منهم بجالها ترد عن عسكرهم ، فإذا رستم قد ارتحل من النجف ، فنزل منزل ذي الحاجب ،

فارتحل الجالينوس ، فنزل ذو الحاجب منزله ، والجالنوس يريد طيزناباذ ؛ فنزل بها ، وقدم تلك الخيل . وإنَّ ما حمل سعداً على إرسال عمرو وطليحة معه لَمقالة بلغته عن عمرو ، وكلمة قالها لقيس بن هبيرة قبل هذه المرة ، فقال : قاتلوا عدوكم يا معشر المسلمين . فأنشِب القتال ، وطاردهم ساعة . ثم إنَّ قيساً حَمَلَ عليهم ، فكانت هزيمتهم ، فأصاب منهم اثني عشر رجلاً ، وثلاثة أسراء ، وأصاب أسلاباً ، فأتوا بالغنيمة سعداً وأخبروه الخبر ؛ فقال : هذه بشرى إن شاء الله ؛ إذا لقيتم جمعهم الأعظم وحدَّهم ؛ فلهم أمثالها ، ودعا عمرا وطليحة ، فقال : كيف رأيتما قيساً ؟ فقال طليحة : رأيناه أكانا ^(١) ، وقال عمرو : الأمير أعلم بالرجال منَّا . قال سعد : إنَّ الله تعالى أحياناً بالإسلام وأحياناً به قلوباً كانت ميّنة ، وأمات به قلوباً كانت حيّة ، وإنِّي أحذركم أن تؤثِّراً أمر الجاهليّة على الإسلام ؛ فتموت قلوبكما وأنتما حيّان ؛ الزموا السمع والطاعة والاعتراف بالحقوق ؛ فإِ رأى النَّاس كَأقوام أعزَّهم الله بالإسلام .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمرو وزباد ؛ وشاركهم المجاليد وسعيد بن المرزبان ، قالوا : فلماً أصبح رسم من الغد من يوم نزل السَّيْلِحِينَ قدَّم الجالينوس وذو الحاجب ، فارتحل الجالينوس ، فنزل من دون القنطرة بحيال زهرة ، ونزل إلى صاحب المقدمة ، ونزل ذو الحاجب منزله بطيزناباذ ، ونزل رسم منزل ذى الحاجب بالخرّارة ، ثم قدَّم ذا الحاجب ؛ فلماً انتهى إلى العتيق تيّاسر حتى إذا كان بحيال قدَّيس خندق خندقاً ، وارتحل الجالينوس فنزل عليه وعلى مقدّمته — أعنى سعداً — زهرة بن الحويّة ، وعلى مجنّبتيه عبد الله بن المُعْتَمَم ، وشرحيل بن السَّمَط الكنديّ ، وعلى مجرّدته عاصم بن عمرو ، وعلى المُرّامية فلان ، وعلى الرجل فلان ، وعلى الطلائع سواد بن مالك ، وعلى مقدّمة رستم الجالينوس ، وعلى مجنّبتيه الهرمزان ومِهْران وعلى مجرّدته ذو الحاجب ، وعلى الطلائع البيرزان ، وعلى الرّجالة زاذ بن بُهَيْش . فلماً انتهى رسم إلى العتيق ، وقف عليه

بِحِيَالٍ عَسْكَرَ سَعْدٌ ؛ وَنَزَلَ النَّاسُ ؛ فَمَا زَالُوا يَتَلَا حَقُّونَ وَيُنْزِلُهُمْ فَيَنْزِلُونَ ؛
حَتَّى أَعْتَمَوْا مِنْ كَثَرَتِهِمْ ؛ فَبَاتَ بِهَا تِلْكَ اللَّيْلَةُ وَالْمُسْلِمُونَ مُمَسِّكُونَ
عَنْهُمْ .

قال سعيد بن المرزبان : فَلَمَّا أَصْبَحُوا مِنْ لَيْلَتِهِمْ بِشَاطِئِ الْعَتِيقِ غَدَا
مَنْجَسَمَ رَسَمٍ عَلَى رَسَمٍ بِرُؤْيَا أُرِيَهَا مِنَ اللَّيْلِ ، قَالَ : رَأَيْتُ الدَّلَوِ فِي السَّمَاءِ ؛
دَلَوًا أَفْرِغَ مَائُهُ ، وَرَأَيْتُ السَّمَكَةَ ؛ سَمَكَةً فِي ضَحَضَاحٍ مِنَ الْمَاءِ تَضْطَرِبُ ،
وَرَأَيْتُ النَّعَائِمَ وَالزُّهْرَةَ تَزْدَهَرُ ، قَالَ : وَيَحْكُ ! هَلْ أَخْبَرْتَ بِهَا أَحَدًا ؟ قَالَ :
لَا ، قَالَ : فَاتَكْمَهَا .

كتب إلى المروءي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ،
قال : كَانَ رَسَمٌ مَنْجَسَمًا ، فَكَانَ يَبْكِي مِمَّا يَرَى وَيَقْدُمُ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا كَانَ
بِظَهْرِ الْكَوْفَةِ رَأَى أَنَّ عَمَرَ دَخَلَ عَسْكَرَ فَارَسَ ، وَمَعَهُ مِلَّةٌ ، فَخَتَمَ عَلَى سِلَاحِهِمْ ،
ثُمَّ حَزَمَهُ وَدَفَعَهُ إِلَى عَمَرَ .

كتب إلى المروءي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن قيس بن أبي حازم — وَكَانَ قَدْ شَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ — قَالَ : كَانَ مَعَ رَسَمٍ ثَمَانِيَةِ
عَشْرِ فِيلًا ، وَمَعَ الْجَالِنُوسِ خَمْسَةَ عَشْرِ فِيلًا .

كتب إلى المروءي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ؛
٢٢٦٧/١ قَالَ : كَانَ مَعَ رَسَمٍ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ ثَلَاثُونَ فِيلًا .

كتب إلى المروءي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
عن رجل ، قَالَ : كَانَ مَعَ رَسَمٍ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثُونَ فِيلًا ؛ مِنْهَا (١) فِيلٌ سَابُورُ
الْأَبْيَضِ ؛ وَكَانَتِ الْفِيلَةُ تَأْلُفُهُ ، وَكَانَ أَعْظَمُهَا وَأَقْدَمُهَا .

كتب إلى المروءي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النَّضْرِ ، عن ابن
الرُّفَيْلِ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ مَعَهُ ثَلَاثَةُ وَثَلَاثُونَ فِيلًا ، مَعَهُ فِي الْقَلْبِ ثَمَانِيَةِ
عَشْرِ فِيلًا ، وَمَعَهُ فِي الْمَجْنِبَتَيْنِ خَمْسَةَ عَشْرِ فِيلًا .

كتب إلى المروءي ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المجالد وسعيد وطلحة

وعمر وزياد ، قالوا : فلماً أصبح رسم من ليلته التي باتها بالعتيق ، أصبح راجباً في خيئله ، فنظر إلى المسلمين ، ثم صعد نحو القنطرة ، وقد حزر الناس ، فوقف بجيأهم دون القنطرة ؛ وأرسل إليهم رجلاً ؛ إنَّ رسم يقول لكم : أرسلوا إلينا رجلاً نكلّمه ويكلّمنا ، وانصرف فأرسل زهرة إلى سعد بذلك ؛ فأرسل إليه المغيرة بن شعبة ، فأخرجه زهرة إلى الجالينوس ؛ فأبلغه الجالينوس رسماً .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : لمّا نزل رسم على العتيق وبات به ، أصبح غادياً على التّصفّح والحزر^(١) ، فساير العتيق نحو خفّان ؛ حتى أتى على منقطع عسكر المسلمين ، ثم صعد حتى انتهى إلى القنطرة ؛ فتأمّل القوم ؛ حتى أتى على شيء يُشرف منه عليهم ؛ فلما وقف على القنطرة راسل زهرة ، فخرج إليه حتى واقفه ، فأراد أن يصالحهم ، ويجعل له جُعلاً على أن ينصرفوا عنه ، وجعل يقول فيما يقول : أنتم^(٢) جيراننا وقد كانت طائفة منكم في سلطاننا ؛ فكنتا نُحسن جيوارهم ، ونكفّ الأذى عنهم ، ونوليهم المرافق الكثيرة ، نحفظهم في أهل باديتهم^(٣) ؛ فنُرعيهم مراعيئنا ، ونميرهم من بلادنا ، ولا نمنعهم من التجارة في شيء من أرضنا ؛ وقد كان لهم في ذلك معاشٌ - يعرض لهم بالصلح ؛ وإنما يخبره بصنيعهم ، والصلح يريد ولا يصرح - فقال له زهرة : صدقت ، قد كان ما تذكر ؛ وليس أمرنا أمر أولئك ولا طلبيتنا . إننا لم نأتكم لطلب الدّنيا ؛ إنما طلبيتنا وهمّتنا الآخرة ؛ كنّا كما ذكرت ، يدين لكم من ورد عليكم منّا ، ويضرع إليكم يطلب ما في أيديكم . ثم بعث الله تبارك وتعالى إلينا رسولاً ، فدعانا إلى ربه ، فأجبناه ، فقال لنبيّه صلى الله عليه وسلم : إنّي قد سلّطت هذه الطائفة على من لم يدين بديني ، فأنا منتقم بهم منهم ؛ وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به ، وهو دين الحق ، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ ، ولا يعتصم به أحد إلا عزّ . فقال له رسم : وما هو ؟ قال : أمّا عموده النّدي

(١) التّصفّح : التأمل ، والحزر : التخمين .

(٢) ابن الأثير : « كنتم » ، وابن حيش : « إنكم » .

(٣) ز : « ناديم » .

لا يصلح منه شيء إلا به ، فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والإقرار بما جاء من عند الله تعالى . قال : ما أحسن هذا ! وأى شيء أيضاً ؟ قال : وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى . قال : حسن ، وأى شيء أيضاً ؟ قال : والناس بنو آدم وحواء ، إخوة لأب وأم ، قال : ما أحسن هذا ! ثم قال له رسم : أرايت لو أتيت رضىت بهذا الأمر وأجبتكم إليه ، ومعنى قوى كيف يكون أمركم ! أترجعون ؟ قال : إى والله ، ثم لا تقرب بلادكم أبداً إلا في تجارة أو حاجة . قال : صدقتنى والله ، أما إن أهل فارس منذ ولى أردشير لم يدعوا أحداً يخرج من عمله من السفلة ، كانوا يقولون إذا خرجوا من أعمالهم : تعدوا طورهم . وعادوا أشرافهم . فقال له زهرة : نحن خير الناس للناس ، فلا نستطيع أن نكون كما تقولون ؛ نطيع الله فى السفلة ، ولا يضرننا من عصى الله فينا . فانصرف عنه ، ودعا رجال فارس فذاكرهم هذا : فحسبوا^(١) من ذلك ، وأنفوا ، فقال : أبعدهم الله وأسحقكم ! أخزى الله أخرعنا وأجبتنا^(٢) ! فلما انصرف رسم ملت إلى زهرة ، فكان إسلامي ؛ وكنت له عديداً . وفرض لى فرائض أهل القادسية .

٢٢٦٩/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وعمر وزياد بإسنادهم مثله . قالوا : وأرسل سعد إلى المغيرة بن شعبه وبسر بن أبي رهم وعرفجة بن هرة وحذيفة بن محصن وربيع بن عامر وقرفة بن زاهر التيمي ثم الوائلى ومذعور بن عدي العجلي ، والمضارب ابن يزيد العجلي وسعبد بن مرة العجلي - وكان من دهاة العرب - فقال : إني مرسلكم إلى هؤلاء القوم ؛ فما عندكم ؟ قالوا جميعاً : نتبع ما تأمرنا به ، وننتهى إليه ؛ فإذا جاء أمر لم يكن منك فيه شيء نظرنّا أمثلاً ما ينبغي وأنفعه للناس ؛ فكلّمناهم به . فقال سعد : هذا فعل الحزيمة ، اذهبوا فتهيئوا ، فقال ربيع بن عامر : إن الأعاجم لهم آراء وآداب ، ومتى

٢٢٧٠/١

نأثم جميعاً يروا أننا قد احتفلنا بهم ! فلا تنزدهم على رجل ؛ فمالتوه جميعاً على ذلك ، فقال : فسرّحوني ، فسرّحه ، فخرج ربّعيّ ليدخل على رستم عسكره ، فاحتبسّه الذين على القنطرة ، وأرسل إلى رستم ليجيئه ، فاستشار عظماء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ أنبأهـي أم تنهاون ! فأجمع ملؤهم على التهاون ، فأظهروا الزبرج ، وبسطوا البُسْط والنّماز ، ولم يتركوا شيئاً ، ووضع لرستم سرير الذهب ، وألبس زينتته من الأنماط والوسائد المنسوجة بالذهب . وأقبل ربّعيّ يسير على فرس له زبّاء^(١) قصيرة ، معه سيف له مشّوف^(٢) ، وغمدته ليفافة ثوب خلّق ، ورمحه معلوب^(٣) بقيد ، معه حِجَافَة^(٤) من جلود البقر ؛ على وجهها أديم أحمر مثل الرغيف ، ومعه قوسه ونبّله . فلمّا غشى الملك ، وانتهى إليه وإلى أدنى البُسْط ، قيل له : انزل ، فحملها على البساط ، فلمّا استوت عليه ، نزل عنها وربطها بوسادتين فشقّتهما ، ثم أدخل الحبل فيهما ، فلم يستطيعوا أن ينهوه ؛ وإنما أروه التهاون وعرف ما أرادوا ، فأراد استخراجهم^(٥) ، وعليه درع له كأنها أضاءة^(٦) ويلمّقه^(٧) عباءة بعيره ، قد جابها^(٨) وتدرّعها ، وشدّها على وسطه بسلب^(٩) وقد شدّ رأسه بمعجرتة ؛ وكان أكثر العرب شعرةً ، ومعجرتة نيسة بعيره ؛ ولرأسه أربع ضفائر ؛ قد قمن قياماً ، كأنهنّ قرون الويلة . فقالوا : ضع سلاحك ، فقال : إنّي لم آتيكم فأضع سلاحى بأمركم ، أنتم دعوتوني ، فإن أبيتم أن آتيكم كما أريد رجعت . فأخبروا رستم ؛ فقال : ائذّنوا له ؛ هل هو إلاّ رجل واحد ! فأقبل يتوكأ على رمح ، وزجّه نصل يقارب

(١) زبّاء : طويلة الشعر كثيرته . (٢) المشوف : المجلو .

(٣) يقال : علب الرمح ، فهو معلوب ، أى حزم مقبضه بلباء البعير ، وهو عنقه .

(٤) الحِجَافَة : القوس .

(٥) ز : « استخرجهم » .

(٦) الأضاءة : القدير .

(٧) أنيلق : التباء .

(٨) قى اللسان : « جبت القميص . قورت جيبة » .

(٩) سلب : لبث الخقل .

الخطو ، ويزج النمارق والبسط ؛ فمما ترك لهم ثمرقة ولا بساطاً إلا أفسده وتركه منهتكاً مخرقاً^(١) ؛ فلماً دنا من رسم تعلّق به الحرس ، وجلس على الأرض ، وركز رمحه بالبسط ، فقالوا : ما حملك على هذا ؟ قال : إننا لا نستحب^(٢) القعود على زيتكم هذه . فكلّمه ، فقال : ما جاء بكم ؟ قال : الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنُخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لنُدعُوهم إليه ، فمن قبل منّا ذلك قبلنا ذلك منه ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دُوننا ، ومن أبى قاتلناه أبداً ؛ حتى نُفْضِيَ إلى موعود الله . قال : وما موعود الله ؟ قال : الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقى . فقال رسم : قد سمعت مقالتيكم ؛ فهل لكم أن تؤخّروا هذا الأمر حتى ننظر فيه وتنظّروا ! قال : نعم ، كم أحبّ إليكم ؟ أيوماً أو يومين ؟ قال : لا بل حتّى نكتب أهل رأينا ورؤساء قومنا . وأراد مقاربتهم ومدافعتهم ، فقال : إنّ مما سنّ لنا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم وعمل به أئمّتنا ، ألاّ نمكّن الأعداء من آذاننا ، ولا نؤجّلهم عند اللقاء أكثر من ثلاث ، فنحن متردّون عنكم ثلاثاً ، فانظر في أمرهم وأمرهم ، واختَر واحدة من ثلاث بعد الأجل ، اختر الإسلام ونَدّ عك وأرضك ، أو الجزاء ، فتقبل ونكفّ عنك ؛ وإن كنت عن نصرنا غنياً تركناك منه ، وإن كنت إليه محتاجاً منعناك ؛ أو المنابذة في اليوم الرابع ؛ ولنا نبدؤك فيما بيننا وبين اليوم الرابع إلا أن تبدّأنا ؛ أنا كفيل لك بذلك على أصحابي وعلى جميع من ترى . قال : أسيّدُهم أنت ؟ قال : لا ؛ ولكنّ المسلمين كالجسد بعضهم من بعض ؛ يجبر أديانهم على أعلاهم . فخلص رسم برؤساء أهل فارس ، فقال : ما ترون ؟ هل رأيتم كلاماً قطّ أوضح ولا أعزّ من كلام هذا الرجل ؟ قالوا : معاذ الله لك أن تميل إلى شيء من هذا وتدع دينك لهذا الكلب ! أما ترى إلى ثيابه ! فقال : ويحكّم

(١) ابن حيش : « وتركها منهكة منخرقة » .

(٢) النويرى : « نستحل » .

لا تنظروا إلى الثياب ؛ ولكن انظروا إلى الرأى والكلام والسيرة ؛ إن العرب تستخف باللباس والمأكل ويصونون الأحساب ، ليسوا مثلكم في اللباس ، ولا يرون فيه ما ترون . وأقبلوا إليه يتناولون سلاحه ، ويزهّدونه فيه ، فقال لهم : هل لكم إلى أن تُرونى فأريكهم ؟ فأخرج سيفه من خِرَقه كأنه شُعْلة نار . فقال القوم : اغمدّه ، فغمده ؛ ثم رى ثُرساً ورموا حَجَاقَتَه ، فحُثِرَق ثُرسهم ، وسلمت حَجَاقَتَه ، فقال : يا أهل فارس ؛ إنكم عظمتم الطعام واللباس والشراب ؛ وإنّا صغرناهن . ثم رجع إلى أن ينظروا إلى الأجل ، فلمّا كان من الغد بعثوا أن ابعث إلينا ذلك الرجل ؛ فبعث إليهم سعد حذيفة بن مِحصن ، فأقبل في نحو من ذلك الزمّ ، حتى إذا كان على أدنى البساط ، قيل له : انزل ، قال : ذلك لوجئتكم في حاجتى ؛ فقولوا للملككم : أله الحاجة أم لى ؟ فإن قال : لى ؛ فقد كذب ؛ ورجعت وتركتكم ؛ فإن قال : له ، لم آتكم إلا على ما أحب . فقال : دعوه ، فجاء حتى وقف عليه ورسم على سريره ، فقال : انزل ، قال : لا أفعل ، فلمّا أبى سأله : ما بالك جئت ولم يجرى صاحبنا بالأمس ؟ قال : إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدة والرخاء ؛ فهذه نوبتى . قال : ما جاء بكم ؟ قال : إن الله عزّ وجلّ منّ علينا بدينه ، وأرانا آياته ، حتى عرفناه وكنا له منكربين . ثم أمرنا بدُعَاء الناس إلى واحدة من ثلاث ؛ فأيتها أجابوا إليها قبلناها : الإسلام ونصرف عنكم ، أو الجزاء ونمنعكم إن احتجتم إلى ذلك ، أو المنابذة . فقال : أو المودة إلى يوم ما ؟ فقال : نعم ، ثلاثاً من أمس . فلمّا لم يجد عنده إلا ذلك ردّه وأقبل على أصحابه ، فقال : ويحكم ! ألا ترون إلى ما أرى ! جاءنا الأوّل بالأمس فغلبنا على أرضنا ، وحقرنا نعظّم ، وأقام فرسه على زَبْرَجنا وربطه به ؛ فهو فى يَمْن الطائر ، ذهب بأرضنا وما فيها إليهم ، مع فضل عقله . وجاءنا هذا اليوم فوقف علينا ؛ فهو فى يَمْن الطائر ، يقوم على أرضنا دوننا ؛ حتى أغضبهم وأغضبوه . فلمّا كان من الغد أرسل : ابعثوا إلينا رجلاً ، فبعثوا إليهم المغيرة بن شعبه . كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبى عثمان النهدى . قال : لمّا جاء المغيرة إلى القنطرة فعبرها إلى أهل فارس حبسوه واستأذنوا رسم

في إجازته ، ولم يغيروا شيئاً من شاربهم ، تقويةً لثناؤهم ؛ فأقبل المغيرة بن شعبة ، والقوم في زيتهم ، عليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب ، وبُسُطُهم على غلوة^(١) لا يصلُ إلى صاحبهم ؛ حتى يمشی عليهم غلوةٌ ؛ وأقبل المغيرة وله أربع صفائر يمشی ؛ حتى جلس معه على سريرهِ وسادته ؛ فوثبوا عليه فترروه^(٢) وأنزلوه ومغثوه^(٣) . فقال : كانت تبَلِّغنا عنكم الأحلام ؛ ولا أرى قوماً أسفَهَ منكم ! إنَّا معشر العرب سواءٌ ؛ لا يستعبد بعضنا بعضاً إلا أن يكون محارباً لصاحبه ؛ فظننت أنكم تُواسون قوامكم كما نتواسي ؛ وكان أحسن من الذي صنعتم أن تُخبروني أن بعضكم أربابُ بعض ، وأن هذا الأمر لا يستقيم فيكم فلا تصنعه ؛ ولم آتكم ؛ ولكن دعوتوني اليوم ؛ علمت أن أمركم مضمحلٌ ، وأنكم مغلوبون ؛ وأن مبلَكًا لا يقوم على هذه السيرة ، ولا على هذه العقول .

٢٢٧٥/١

فقال السفلة : صدق والله العربي . وقالت الداهقين : والله لقد رمى بكلام لا يزال عبيدنا ينزعون إليه ؛ قاتل الله أولينا ، ما كان أحققهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة ! فما زحه رستم ليمحو ما صنع ، وقال له : يا عربي . إن الحاشية قد تصنع ما لا يوافق الملك ، فيتراخى عنها مخافة أن يكسرهما عما ينبغي من ذلك ؛ فالأمر على ما تحب من الوفاء وقبول الحق ؛ ما هذه المغالز التي معك ؟ قال : ما ضرَّ الجمرة ألا تكون طويلة ! ثم رامهم . وقال : ما بال سيفك رثاً ! قال : رثُ الكسوة . حديد المضربة . ثم عاطاه سيفه ، ثم قال له رستم : تكلم أم أتكلَّم ؟ فقال المغيرة : أنت الذي بعثت إلينا ، فتكلَّم . فأقام الترجمان بينهما ، وتكلَّم رستم ، فحمد قومه ، وعظم أمرهم وطوله . وقال : لم نزل متمكنين في البلاد ، ظاهرين على الأعداء ، أشرافاً في الأمم ؛ فليس لأحد من الملوك مثل عزتنا وشرفنا وسلطاننا ، ننصر على الناس ولا ينصرون علينا إلا اليوم واليومين ، أو الشهر والشهرين ؛ للذنوب ؛ فإذا انتقم الله فرضي ردَّ إلينا عزتنا ، وجمعنا لعدونا شرَّ يوم هو آتٍ عليهم .

٢٢٧٦/١

(٢) تريره : حركه .

(١) الغلوة : قدر رجعة السهم .

(٣) مغثوه : ضربوا ضرباً ليس بالشديد .

ثم إنه لم يكن في الناس أمة أصغر عندنا أمراً منكم ؛ كنتم أهل قَشَف ومعيشة سيئة ، لا نراكم شيئاً ولا نعدُّكم ، وكنتم إذا قحطت أرضكم ، وأصابكم السنة استغثتم بناحية أرضنا فنأمر لكم بالشيء ^(١) من التَّمَر والشعير ثم نردكم ، وقد علمت أنه لم يحملكم على ما صنعتم إلا ما أصابكم من الجهد في بلادكم ، فأنا أمرُ أميركم بكسوة وبغُل وألف درهم ، وأمرُ لكل رجل منكم بوقر تمر وبشوبين ، وتنصرفون عنا ، فإنني لست أشتهي أن أقتلكم ولا أسركم .

فكنتم المغيرة بن شعبه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله خالق كل شيء عورازقه ، فمن صنع شيئاً فإنما ^(٢) هو الذي يصنعه هو له ^(٣) . وأمّا الذي ذكرت به نفسك وأهل بلادك ؛ من الظهور على الأعداء والتمكّن في البلاد وعُظُم السلطان في الدنيا ؛ فنحن نعرفه ، ولنا نُنكره ؛ فالله صنعه بكم ؛ ووضعه فيكم ؛ وهو له دونكم ؛ وأمّا الذي ذكرت فينا من سوء الحال ، وضيق المعيشة واختلاف التلّوب ؛ فنحن نعرفه ؛ ولنا ننكره ؛ والله ابتلانا بذلك ، وصيّرنا إليه ، والدنيا دُول ؛ ولم يزل أهل شدائدُها يتوقعون الرّخاء حتى يصيروا إليه ؛ ولم يزل أهل رخاها يتوقعون الشّدائد حتى تنزل بهم ، ويصيروا إليها ؛ ولو كنتم فيما آتاكم الله ذوى شُكر ، كان شكركم يقصّر عما أوتيتم ، وأسلمكم ضعف الشكر إلى تغيير الحال ؛ ولو كنّا فيما ابتلينا به أهل كفر ؛ كان عظيم ما نتابع علينا مستجبلاً من الله رحمة يرفّه بها عنا ، ولكنّ الشأن غير ما تذهبون إليه ؛ أو ^(٤) كنتم تعرفوننا به ؛ إن الله تبارك وتعالى بعث فينا رسلاً ... ثم ذكر مثل الكلام الأوّل ؛ حتى انتهى إلى قوله : وإن احتجت إلينا أن نمنعك فكن لنا عبداً تؤدّي الجزية عن يد وأنت صاغر ، وإلاّ فالسيف إن أبيت ! فنخر نخرة ، واستشاط غضباً ، ثم حلف بالشمس لا يرتفع لكم الصّبح غداً حتى أقتلكم أجمعين .

فانصرف المغيرة ؛ وخلص رسم تألقا بأهل ^(٥) فارس ، وقال : أين هؤلاء منكم ؟ ما بعد هذا ! ألم يأتكم الأولان فحسراًكم واستحرجاكم ، ثم جاءكم

(١) ابن الأثير والنويري : « بشي » .

(٢-٣) ط : « فإنما هو يصنعه والذي له » ، وانظر التصويبات .

(٣) ابن حبيش : « إذ » . (٤) ز : « لأهل »

هذا ، فلم يختلفوا ، وسلكوا طريقاً واحداً ، ولزموا أمراً واحداً ؛ هؤلاء والله الرجال ؛ صادقين كانوا أم كاذبين ! والله لئن كان بلغ من إربهم وصوتهم لسيرهم ألاّ يختلفوا ، فما قومٌ أبلغ فيما أرادوا منهم ؛ لئن كانوا صادقين ما يقوم هؤلاء شيء ! فلجئوا وتجلّدوا وقال : والله إنني لأعلم أنكم تصغون إلى ما أقول لكم ؛ وإنّ هذا منكم رثاء ؛ فازدادوا لسجاجة .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : فأرسل مع المغيرة رجلاً . وقال له : إذا قطع القنطرة ، ووصل إلى أصحابه : فناد : إن الملك كان منجماً قد حسب لك ونظر في أمرك ، فقال : إنك غداً تُفَقّأ عينك^(١) . ففعل الرسول ، فقال المغيرة : بشرتني^(٢) بخير وأجر ؛ ولولا أن أجاهد بعد اليوم أشباهكم من المشركين ، لتمنيت أن الأخرى ذهبت أيضاً . فرآهم يضحكون من مقالته ، ويتعجبون من بصيرته ؛ فرجع إلى الملك بذلك ، فقال : أطيعوني يا أهل فارس ؛ وإنني لأرى الله فيكم نعمة لا تستطيعون ردّها عن أنفسكم . وكانت خيولهم تلتقي على القنطرة لا تلتقي إلاّ عليها ، فلا يزالون يبدءون المسلمين ، والمسلمون كافون عنهم الثلاثة الأيام ؛ لا يبدءونهم ؛ فإذا كان ذلك منهم صدّوهم وردّعوهم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كان ترجمان رستم عن أهل الحيرة يُدعى عبّود .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ وسعيد بن المرزبان ، قالوا : دعا رستم بالمغيرة : فجاء حتى جلس على سريره ، ودعا رستم ترجمانه -- وكان عربياً من أهل الحيرة : يُدعى عبّود -- فقال له المغيرة : ويحك يا عبّود ! أنت رجل عربيّ ؛ فأبلغه عني إذا أنا تكلمت كما تُبلغني عنه . فقال له رستم مثل مقالته ، وقال له المغيرة مثل مقالته ، إلى إحدى

(١) ابن حبّيش : « إنا نفقأ عينك غداً » . (٢) : لبشرني .

ثلاث خلال : إلى الإسلام ولكم فيه مالنا وعليكم فيه ما علينا ؛ ليس فيه تفاضل بيننا ، أو الجزية عن يد وأنتم صاغرون^(١) . قال : ما « صاغرون » ؟ قال : أن يقوم الرجل منكم على رأس أحدنا بالجزية يحمده أن يقبلها منه ... إلى آخر الحديث ؛ والإسلام أحب إلينا منهما .

٢٢٧٩/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : شهدت القادسية غلاماً بعد ما احتلمت ؛ فقدم سعد القادسية في اثني عشر ألفاً ؛ وبها أهل الأيَّام ، فقدمت علينا مقدمات رستم ، ثم زحف إلينا في ستين ألفاً ، فلما أشرف رستم على العسكر قال : يا معشر العرب ، ابعثوا إلينا^(٢) رجلاً يكلمنا ونكلمه ؛ فبعث إليه المغيرة بن شعبه ونفرًا ، فلما أتوا رستم جلس المغيرة على السرير ، فنخر أخو رستم ، فقال المغيرة : لا تنخر ؛ فما زادني هذا شرفاً ولا نقص أخاك . فقال رستم : يا مغيرة ، كنتم أهل شقاء ، حتى بلغ ؛ وإن كان لكم أمر سيوى ذلك ، فأخبرونا . ثم أخذ رستم سهماً من كنانته ، وقال : لا تروا أن هذه المغازل تغني عنكم شيئاً ؛ فقال المغيرة مجيباً له ، فذكر النبي صلى الله عليه وسلم [قال] : فكان ممّا رزقنا الله على يديه حبة تنبت في أرضكم هذه ؛ فلما أدقناها عيالنا ، قالوا : لا صبر لنا عنها ، فجبثنا لنطعمهم أو نموت . فقال رستم : إذا تموتون أو تقتلون ، فقال المغيرة : إذا دخل من قتل منا الجنة ، ويدخل من قتلنا منكم النار ، ويظفر من بقي منّا بمن بقي منكم ؛ فنحن نخيرك بين ثلاث خلال ... إلى آخر الحديث فقال رستم : لا صلح بيننا وبينكم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : أرسل إليهم سعد بقیة ذوی الرأي جميعاً ، وجبس الثلاثة^(٣) ، فخرجوا حتى أتوه ليعظموا عليه استقباحاً ، فقالوا له : إن أميرنا يقول لك : إن الحوار يحفظ الولاة ، وإنني أدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل

٢٢٨٠/١

(٢) ز : « فحبس الثلاثة جميعاً » .

(١) ز : « لنا » .

ما دعاك الله إليه ، ونرجع إلى أرضنا ، وترجع إلى أرضك وبعضنا من بعض ؛
إلا أن داركم لكم ، وأمركم فيكم ؛ وما أصبتم ممّا وراءكم كان زيادة لكم
دوننا ؛ وكنتا لكم عوناً على أحد إن أرادكم أو قوى عليكم . واتق الله يا رستم ؛
ولا يكوننّ هلاك قومك على يديك ، فإنه ليس بينك وبين أن تُعَبِّطَ به إلا
أن تدخل فيه وتطرّد به الشيطان عنك ؛ فقال : إني قد كلّمت منكم نَفراً ،
ولو أنهم فهموا عني رجوت أن تكونوا قد فهمتم ، وإن الأمثال أوضح من
كثير من الكلام ، وسأضرب لكم مثلكم تبصّروا . إنكم كنتم أهل جهنم
في المعيشة ، وقسّس في الهيئة ، لا تمتنعون ولا تنتصفون ، فلم تُسَيِّجُوا ركم .
ولم ندع مواسانكم ، تُقَحِّمُونَ المَرَّةَ بعد المَرَّةَ ، فميركم ثم نردكم^(١) ، وتأتوننا
أجراً وتجاراً . فنحسّن إليكم ، فلما تطاعتم بطعامنا ، وشربتم شرابنا ،
وأظلمكم ظلمنا ، وصفتم لقومكم ؛ فدعوتهم ، ثم أتيتهم بهم ، وإنا مثلكم
في ذلك ومثلنا كمثل رجل كان له كَرَمٌ ، فرأى فيه ثعلباً ، فقال : وما ثعلب !
فانطلق الثعلب ، فدعا الثعلاب إلى ذلك الكرم ، فلما اجتمعوا عليه ساء
عليهنّ صاحب الكرم الجحر الذي كنّ يدخلن منه ، فقتلهنّ ؛ وقد علمت
أن الذي حَمَلَكُم على هذا الحرص والطمع والجهنم ؛ فارجعوا عنا عامتكم
هذا ، وامتاروا حاجتكم ، ولكم العود كلّما احتجتم ، فإني لا أشتهي أن
أقتلكم .

٢٢٨١/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عُمارة بن القعقاع
الضبيّ ، عن رجل من يربوع شهدّها ، قال : وقال وقد أصاب أناس كثير
منكم من أرضنا ما أرادوا ، ثم كان مصيرهم القتل والحرب ، ومن سنّ
هذا لكم خيراً منكم وأقوى ؛ وقد رأيتم أنتم كلّما أصابوا شيئاً أصيب
بعضهم ونجا بعضهم ؛ وخرج ممّا كان أصاب ، ومن أمثالكم فيما تصنعون
مثل جرّذان ألفت جرّة فيها حبّ ، وفي الجرّة ثقب ، فدخل الأول
فأقام فيها ، وجعل الآخر يتقلّب منها ويرجعن ويكلّمه في الرجوع ،
فيأبى فانتهى سمّ الذي في الجرّة ، فاشتاق إلى أهله ليُريهم حسن حاله ،

٢٢٨٢/١

فضاق عليه الجحر ، ولم يُطيق الخروج ، فشكا القلق إلى أصحابه ، وسألهم المخرج ، فقلن له : ما أنت بخارج منها حتى تعودَ كما كنت قبل أن تدخل ، فكفَّ وجوع نفسه ، وبقي في الخوف ، حتى إذا عاد كما كان قبل أن يدخلها أتى عليه صاحب الجرة فقتله . فاخرجوا ولا يكونن هذا لكم مثلاً .

كتب إلى العري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرقيل ، عن أبيه ، قال : وقال : لم يخلق الله خلقاً أولع من ذباب ولا أضرب ما ^(١) خلاكم يا معشر العرب ؛ ترون الملاك ويدليكم فيه الطمع ، وسأضرب لكم مثلكم : إن الدباب إذا رأى العسل طار ، وقال : من يوصلني إليه وله درهمان حتى يدخله ؟ لا ينهيه أحد إلا عصاه ، فإذا دخله غرق ونشب وقال : من يخرجني وله أربعة دراهم ؟ وقال أيضاً : إنما مثلكم مثل ثعلب دخل جحرًا وهو مهزول ضعيف إلى كرم ، فكان فيه يأكل ما شاء الله ، فرآه صاحب الكرم ، ورأى ما به ، فرحمه ، فلمّا طال مكثه في الكرم وسمن ، وصلحت حاله ، وذهب ما كان به من الهزال أشير ، فجعل يعث بالكرم ويُفسد أكثر ممّا يأكل ، فاشتد على صاحب الكرم ، فقال : لا أصبر على هذا من أمر هذا ، فأخذ له خشبة واستعان عليه غلماناه ، فطلبوه وجعل يراوهم في الكرم ، فلمّا رأى أنّهم غير مُقلعين عنه ، ذهب ليخرج من الجحر الذي دخل منه ، فنشب . اتسع عليه وهو مهزول وضاق عليه وهو سمين ؛ فجاءه وهو على تلك الحال صاحب الكرم ، فلم يزل يضربه حتى قتله ، وقد جثتم وأنتم مهازِيل ؛ وقد سِمْتُم شيئاً من سِمَن ؛ فانظروا كيف تخرجون ! وقال أيضاً : إن رجلاً وضع سلاً ، وجعل طعامه فيه ؛ فأتى الجردان ، فخرقوا سله ، فدخلوا فيه فأراد سده ، فقبل له : لا تفعل ، إذًا يخرقته ، ولكن انقب بجياله ؛ ثم اجعل فيها قصبة مجوفة ، فإذا جاءت الجرذان دخلن من القصبة وخرجن منها ، فكلّما طلع عليكم جرّد قتلتموه . وقد سدّدتُ عليكم ؛ فإيّاكم أن تقتحموا القصبة ، فلا يخرج منها أحدٌ إلا قُتل ، وما دعاكم إلى ما صنعتم ؛ ولا أرى عدداً ولا عدّة !

(١) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « أما » .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيّف ، عن محمد وطلحة
 بإسنادهما وزياّد معهما ، قالوا : فتكلّم القوم فقالوا : أمّا ما ذكرتم من
 سوء حالنا فيما مضى ، وانتشار أمرنا ، فلمّا تبلغ كُنْهَهُ ! يموت الميت منّا
 إلى النار ، ويبقى الباقي منّا في بؤس ؛ فبينما نحن في أسوأ ذلك ؛ بعث الله فينا
 رَسُولاً مِن أَنْفُسِنَا إلى الإنس والجنّ ، رحمةً رحم بها مَنْ أراد رَحْمَتَهُ ،
 ونقمةً ينتقم بها من ردّ كرامته ؛ فبدأ بنا قبيلةً قبيلةً ، فلم يكن أحدٌ أشدّ عليه ؛
 ولا أشدّ إنكاراً لما جاء به ، ولا أجهدُ على قتله وردّ الذي جاء به من قومه ،
 ثمّ اللّذين يلونهم ، حتّى طابقتنا على ذلك كلّنا . فنصّبنا له جميعاً ، وهو
 وحده فردٌ ليس معه إلّا الله تعالى ؛ فأعطى الظفّر علينا ، فدخل بعضنا
 طوعاً ، وبعضنا كرهاً ، ثمّ عرفنا جميعاً الحقّ والصدق لما أتانا به من الآيات
 المعجزة ؛ وكان ممّا أتانا به من عند ربّنا جهاد الأذى فالأذى ، فسيرنا بذلك
 فيما بيننا ، نرى أنّ الذي قال لنا ووعدنا لا يُخرم عنه ولا يُنقص ؛ حتّى
 اجتمعت العرب على هذا ، وكانوا من اختلاف الرأى فيما لا يطبق الخلاّق
 تأليفهم . ثمّ أتيناكم بأمر ربّنا ، نجاهد في سبيله ، وننفذ لأمره ، ونتجز
 موعودهُ ، وندعوكم إلى الإسلام وحكمه ؛ فإنّ أجبتُمونا تركناكم ورجعنا
 وخلّفتنا فيكم كتاب الله ؛ وإنّ أبيتم لم يحلّ لنا إلّا أن نعاطيكم القتال
 أو تقتلوا بالجزى ؛ فإن فعلتم وإلا فإنّ الله قد أوردنا أرضكم وأبناءكم وأموالكم .
 فاقبلوا نصيحتنا ؛ فوالله لإسلامكم أحبّ إلينا من غنائمكم ، ولقتالكم بعدُ
 أحبّ من صلحكم . وأمّا ما ذكرت من رثائنا وقلّتنا فإنّ أداتنا الطاعة ،
 وقتالنا الصبر ^(١) . وأمّا ما ضربتم لنا من الأمثال ، فإنكم ضربتم للرجال والأمور
 الجسام وللجدّ الهزل ؛ ولكنّا سنضرب مثلكم ، إنّا مثلكم مثل رجل
 غرس أرضاً ، واختار لها الشجرَ والحَبّ ، وأجرى إليها الأنهار ، وزيّنها
 بالقصور ، وأقام فيها فلاّحين يسكنون قصورها ، ويقومون على جنتاتها ،
 فخلاّ الفلاحون في القصور على ما لا يحبّ ، وفي الجنان بمثل ذلك ، فأطال
 نظرهم ؛ فلمّا لم يستحيوا ^(٢) من تلقاء أنفسهم ؛ استعَبَهم فكابروه ، فدعا

٢٢٨٤/١

٢٢٨٥/١

(١) ز : « بالنصر » .

(٢) ابن حبّيش والنويرى : « يستحيوا » .

إليها غيرهم ، وأخرجهم منها ؛ فإن ذهبوا عنها تخطفهم النَّاسُ ، وإن أقاموا فيها صاروا خِوَلًا هُؤُلَاءِ يملكونهم ؛ ولا يملكون عليهم ؛ فيسومونهم الخَسْفَ أبدًا ؛ والله أن لو لم يكن ما نقول لك حقًا ، ولم يكن إلاَّ الدنيا ، لما كان لنا عمّا ضربنا به من لذيد عيشكم ، ورأينا من زبرجكم من صبرٍ ، ولقارعناكم حتى نغلبكم عليه .

فقال رستم : أتعبرون إلينا أم نعبّر إليكم ؟ فقالوا : بل اعبروا إلينا ، فخرجوا من عنده عشيًّا ، وأرسل سعد إلى النَّاسِ أن يقفوا موافقتهم ، وأرسل إليهم : شأنكم والعبور ؛ فأرادوا القنطرة ، فأرسل إليهم : لا ولا كرامة ! أمّا شيء قد غلبناكم عليه فلن نردّه عليكم ؛ تكلّفوا معبرًا غير القناطر ، فباتوا يسكرون العتيق حتى الصباح بأمتعتهم .

• • •

يوم أرمات

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع وعن الحكم ، قالوا : لما أراد رستم العبور أمر بسكر^(١) العتيق يحيال قادس ، وهو يومئذ أسفل منها اليوم ممّا يلي عين الشمس ، فباتوا ليلتهم حتى الصباح يسكرون العتيق بالتراب والقصب والبراذع حتى جعلوه طريقًا ، واستنسم بعد ما ارتفع النهار من الغد .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : ورأى رستم من الليل أن ملكًا نزل من السماء ، فأخذ قمعيّ أصحابه ، فخنم عليها ، ثم صعد بها إلى السماء ؛ فاستيقظ مهمومًا محزونًا ، فدعا خاصته فقصّها عليهم ، وقال : إنَّ الله ليسعظنا ، لو أن فارس تركوني أتعظ ! أما ترون النصر قد رُفِعَ عنّا ، وترون الريح مع عدونا ، وأنّا لا نقوم لهم في فعل ولا منطلق ، ثم هم يريدون مغالبة بالجبرية ! فعبروا بأثقالهم حتى نزلوا على ضفة العتيق .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأعمش ، قال :

- (١) سكر النهر : سد فاه .

لَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّكْرِ ، لَبَسَ رِسْمَ دُرْعَيْنِ وَمِغْفَرًا وَأَخَذَ سِلَاحَهُ ، وَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأَسْرَجَ ، فَأَتَى بِهِ فَوْتَبَ ؛ فَإِذَا هُوَ عَلَيْهِ لَمْ يَمْسَهُ وَلَمْ يَضَعْ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ ، ثُمَّ قَالَ : غَدَا نَدْقُهُمْ دَقًّا ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، فَقَالَ : وَإِنْ لَمْ يَشَأْ !

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، بَنِي يَحْيَى ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَطَلْحَةَ وَزِيَادٍ بِإِسْنَادِهِمْ ، قَالُوا : قَالَ رِسْمٌ : إِنَّمَا ضَعَا الثَّعْلَبُ حِينَ مَاتَ الْأَسَدُ - يَذْكُرُهُمْ ^(١) مَوْتَ كَسْرَى - ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : قَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ سَنَةُ الْقُرُودِ . وَلَمَّا عَبَّرَ أَهْلُ فَارَسٍ أَخَذُوا مَصَافَهُمْ ، وَجَلَسَ رِسْمٌ عَلَى سَرِيرِهِ وَضُرِبَ عَلَيْهِ طِيَّارَةٌ ، وَعَبَّيَ فِي الْقَلْبِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ فِيلًا ، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرَّجَالُ ، وَفِي الْمَجْنَبَيْنِ ثَمَانِيَةَ وَسَبْعَةَ ، عَلَيْهَا الصَّنَادِيقُ وَالرَّجَالُ ، وَأَقَامَ الْجَالِينُوسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيمَتِهِ وَالْبِيرْزَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مِيمَتِهِ ، وَبَقِيَتِ الْقَنْظَرَةُ بَيْنَ خَيْلَيْنِ مِنْ خَيْلِ الْمُسْلِمِينَ وَخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ ؛ وَكَانَ يَزْدَجِرُّ دَاجِرًا وَضَعَ رَجُلًا عَلَى بَابِ إِيَوَانِهِ ، إِذْ سَرَحَ رِسْمٌ ، وَأَمَرَهُ بِلَزُومِهِ وَإِخْبَارِهِ ، وَآخَرَ حَيْثُ يَسْمَعُهُ مِنَ الدَّارِ ، وَآخَرَ خَارِجَ الدَّارِ ، وَكَذَلِكَ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رَجُلًا ؛ فَلَمَّا نَزَلَ رِسْمٌ ، قَالَ الَّذِي بِسَابَاطٍ : قَدْ نَزَلَ ، فَقَالَ الْآخَرُ... حَتَّى قَالَهُ الَّذِي عَلَى بَابِ الْإِيَوَانِ ؛ وَجَعَلَ بَيْنَ كُلِّ مَرَحَلَتَيْنِ عَلَى كُلِّ دَعْوَةِ رَجُلًا ؛ فَكَلَّمَا نَزَلَ وَارْتَحَلَ أَوْ حَدَّثَ أَمْرًا قَالَ ؛ فَقَالَ الَّذِي بِلَيْهِ ، حَتَّى يَقُولَهُ الَّذِي بِلَى بَابِ الْإِيَوَانِ ؛ فَنَظَّمْ مَا بَيْنَ الْعَتِيقِ وَالْمَدَائِنِ رَجَالًا ، وَتَرَكَ الْبُرْدَ ، وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الشَّانُ .

٢٢٨٧/١

وَأَخَذَ الْمُسْلِمُونَ مَصَافَهُمْ ، وَجَعَلَ زُهْرَةً وَعَاصِمَ بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَشُرْحَبِيلَ ، وَوَكَّلَ صَاحِبَ الطَّلَائِعِ بِالطَّرَادِ ، وَخَلَطَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْقَلْبِ وَالْمَجْنَبَاتِ ، وَنَادَى مُنَادِيهِ : أَلَا إِنَّ الْحَسَدَ لَا يَحِلُّ إِلَّا عَلَى الْجِهَادِ فِي أَمْرِ اللَّهِ يَأْتِيهَا النَّاسُ ؛ فَتَحَاسَدُوا وَتَغَابَرُوا عَلَى الْجِهَادِ . وَكَانَ سَعْدُ يَوْمُنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْكَبَ وَلَا يَجْلِسَ ، بِهِ حُبُونٌ ^(٢) ، فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى وَجْهِهِ فِي صَدْرِهِ وَسَادَةٌ ، هُوَ مُكَبٌّ عَلَيْهَا ، مُشْرِفٌ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْقَصْرِ ، يَرَى بِالرَّقَاعِ فِيهَا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ،

٢٢٨٨/١

(١) ابن حبيش : « يريده » .

(٢) الحبون : الدعاميل ، واحدها حبن .

إلى خالد بن عُرْفُطَة ، وهو أسفل منه ؛ وكان الصفّ إلى جنب ^(١) القَصْر ، وكان خالد كاخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهداً مُشْرِفاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن الوليد الهمدانيّ ، عن أبيه ، عن أبي نمران ، قال : لصاً عَبَّرَ رَسْمَ تحوّل زُهرة والجالنوس ، فجعل سعد زُهرة مكان ابن السَّمط ، وجعل رَسْمَ الجالينوس مكان الهرمزان ، وكان بسعد عِرْقُ النِّسَاءِ ودَمَامِيل ، وكان إنما هو مَكْبٌ ، واستخلف خالد بن عُرْفُطَة علىّ الناس ، فاختلف عليه الناس ، فقال : احملوني ، وأشرّفوا بي على النَّاسِ ، فارتقوا به ، فأكبّ مطلَعاً عليهم ، والصفّ في أصل حائط قُدَيْسٍ ؛ يأمر خالداً فيأمر خالد الناس ، وكان ممّن شغب عليه وجوهٌ من وجوه النَّاسِ ، ففهم بهم سعد وشتمهم ، وقال : أمّا والله لولا أنّ عدوّكم بحضرتكم لجعلتكم نكالاً لغيركم ! فحبسهم - ومنهم أبو مِحْجَنَ التَّنْقِصِيّ - وقيدهم في القصر ، وقال جرير : أمّا إني بايعت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم على أن أسمع وأطيع لمن ولّاه الله الأمر وإن كان عبداً حبشياً ، وقال سعد : والله لا يعود أحدٌ بعدها يحبس المسلمين عن عدوّهم ويشاغلهم وهم بإزارهم إلّا سُنَّتْ به ^(٢) سُنَّةٌ يؤخِّد بها من بعدى .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد بإسنادهم ، قالوا : إنّ سعداً خطب ممّن يليه يومئذ ؛ وذلك يوم الاثنين في المحرم سنة أربع عشرة ، بعد ما تهدّم على الذين اعترضوا على خالد بن عُرْفُطَة فحمد الله وأثنى عليه . وقال : إنّ الله هو الحقّ لا شريك له في المُلْك ؛ وليس لقوله خلف ، قال الله جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ ^(٣) ، إنّ هذا ميراثكم وموعد ربكم ، وقد أباحها لكم منذ ثلاث حجّج ؛ فأنتم تطعمون منها ، وتأكلون منها ، وتقتلون أهلها ، وتجبنونهم وتسبونهم إلى هذا اليوم

(٢) ابن حبيش : « سنتت فيه » .

(١) ابن حبيش : « جانب » .

(٣) سورة الأنبياء ١٠٥ .

بما نال منهم أصحاب الأيَّام منكم ، وقد جاءكم منهم هذا الجمع ؛ وأنتم وجوه العرب وأعيانهم ، وخيار كل قبيلة ، وعِزُّ مَنْ وراءكم ؛ فإن تَزَّهَدوا في الدنيا وترغبوا في الآخرة جَسَمَعَ اللهُ لكم الدنيا والآخرة ، ولا يقرب ذلك أحداً إلى أجله ، وإن تَفَشَّلُوا وتَهَنَّوْا وتضعفوا تذهب ربحكم ، وتؤيِّقوا آخرتكم .

وقام عاصم بن عمرو في المجردة ؛ فقال : إنَّ هذه بلاد قد أحلَّ اللهُ لكم أهلها ، وأنتم تنالون منهم منذ ثلاث سنين مالا ينالون منكم ، وأنتم الأعلىون والله معكم ؛ إن صبرتم وصدقتموهم الضرب والطعن فلکم أموالهم ونسأولهم وأبنائهم وبلادهم ؛ وإن خُرتُم وفشِلتم فالله لكم من ذلك جَارٍ وحافظ ، لم يبق هذا الجمع منكم باقية ؛ مخافة أن تعودوا عليهم بعائدة هلاك . اللهُ الله ! اذكروا الأيَّام وما منحكم اللهُ فيها ؛ أو لا ترون أن الأرض وراءكم بسابس قفاراً ليس فيها خَمَسَر ولا وَزَر يُعقل إليه ، ولا يُمْتَنَع به ! اجعلوا همكم الآخرة .

٢٢٩٠/١

وكتب سعد إلى الرايات : إني قد استخلفتُ عليكم خالد بن عَرْفُطَةَ ، وليس ينبغي أن أكون مكانه إلاَّ وجَّعِي الذي يعودُني وما بي من الحُيُون ، فإنِّي مُكَبٌّ على وجهي وشخصي لكم باد ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنه إنَّما يأمركم بأمرى ، ويعمل برأى . ففُتِرُ على النَّاس فزادهم خيراً ، وانتهوا إلى رأيه ، وقبلوا منه وتحاثوا على السمع والطاعة ، وأجمعوا على عُدْر سعد والرضا بما صنع .

كتب إلى السرى : عن شعيب ، عن سيف ، عن حلام ، عن مسعود ، قال : وخطب أمير كل قوم أصحابه ، وسير فيهم ، وتحاضوا على الطاعة والصبر تواصوا ؛ ورجع كل أمير إلى موقفه بمن والاه من أصحابه عند المواقف ؛ ونادى مُنادى سعد بالظُّهر ، ونادى رستم : «بادِشْتَهانِ مَرَنْدَر» ، أكل عمر كبدي أحرق اللهُ كبده ! علِّم هؤلاء حتى علموا .

٢٢٩١/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، قال : حدثنا سيف ، عن النَّضْر ، عن ابن الرُّقِيل ، قال : لَمَّا نزل رستم النَّجَف بعثَ منها عينا إلى عسكر المسلمين ، فانغمس فيهم بالقادسية كبعض مَنْ ندَّ منهم ، فرآهم يستاكون

عند كل صلاة ثم يصلون فيفترقون إلى مواقعهم ، فرجع إليه فأخبره بخبرهم ، وسيرتهم ، حتى سأله : ما طعامهم ؟ فقال : مكثتُ فيهم ليلةً ، لا والله ما رأيت أحداً منهم يأكل شيئاً إلا أن يمضوا عيداً أنا لهم حين يُمسُون ، وحين ينامون ، وقبيل أن يُصبحوا . فلما سار فنزل بين الحصن والعتيق وافقهم وقد أذن مؤذن سعد الغداة ، فرآهم يتحششون^(١) ، فنادى في أهل فارس أن يركبوا ، فقبل له : ولم ؟ قال : أما ترون إلى عدوكم قد نودى فيهم فتحششوا لكم ! قال عينه : ذلك إنما تحششهم هذا للصلاة ، فقال بالفارسية ، وهذا تفسيره بالعربية : أتانى صوت عند الغداة ، وإنما هو عُمَر الذى يكلم الكلاب فيعلمهم العقل ، فلما عبروا تواقفوا ، وأذن مؤذن سعد للصلاة ، فصلّى سعد ، وقال رستم : أكل عمر كَبْدِي !

كتب إلى السرى ، قال : حدثنا شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزيد بإسنادهم ، قالوا : وأرسل سعد الذين انتهى إليهم رأى الناس ، والذين انتهت إليهم نجدتهم وأصناف الفضل منهم إلى الناس ، فكان منهم من ذوى الرأى النفر الذين أتوا رستم المغيرة^(٢) ، وحذيفة ، وعاصم ؛ وأصحابهم ؛ ومن أهل النجدة^(٣) ، طليحة ، وقيس الأسدي ، وغالب ، وعمرو ابن معد يكرب وأمثالهم ؛ ومن الشعراء الشماخ والحطيشة ، وأوس بن مغيرة ، وعبد بن الطبيب ؛ ومن سائر الأصناف أمثالهم . وقال قبل أن يرسلهم : انطلقوا فقوموا في الناس بما يحق عليكم ويحق عليهم عند مواطن البأس ؛ فإنكم من العرب بالمكان الذى أنتم به ، وأنتم شعراء العرب وخُطباؤهم وذوو رأيهم ونجدتهم وسادتهم ، فسيروا في الناس ، فذكروهم وحرّضوهم على القتال ، فساروا فيهم . فقال قيس بن هُبيرة الأسدي : أيها الناس ، احمدوا الله على ما هداكم له وأبلاكم يزدكم ، واذكروا آلاء الله ، وارغبوا إليه في عاداته ؛ فإن الجنة أو الغنمة^(٣) أمامكم ؛ وإنه ليس وراء هذا القصر إلا العراء

(٢) ابن حبيش : « النجدة » .

(١) التحشش : التحرك للهوى .

(٣) ز : « والغنمة » .

والأرض الفَقر ، والظُّراب الخُشن ، والفَلوات الّتي لا تقطعها الأدِلّة .

وقال غالب : أيّها الناس ، احمّدوا الله على ما أبلاكُم ، وسلوه يزدكم ،
وادعوه يُجيبكم ؛ يا معاشر معدّ ؛ ما علّتُكم اليوم وأنتم في حصونكم -
يعنى الخيل - ومعكم من لا يعصيكم - يعنى السيوف ؟ اذكروا حديث الناس
في غدٍ ؛ فإنه بكم غداً يُبدأ عنده ، وبمن بعدكم يُشنى .

٢٢٩٣/١

وقال ابن الهذيل الأسديّ : يا معاشر معدّ ، اجعلوا حصونكم السيوف ،
وكونوا عليهم كآسود الأجسم ، وترَبّدوا ^(١) لهم ترَبّد الشُّمور ، وادّرَعوا العِصاج ،
وشقّوا بالله . وغَضِّبُوا الأبصار ، فإذا كَلَّت السيوف فإنها مأمورة ، فأرسلوا عليهم
الجنادل ؛ فإنها يؤذّن لها فيما لا يؤذّن للحديد فيه .

وقال بُسرّ بن أبي رُهم الجُهَنّيّ : احمّدوا الله ، وصدّقوا قواكم بنعل ،
فقد حسدتم الله على ما هداكم له ووحدتموه ولا إله غيره ، وكبرتُموه ، وآمنتم
بنيّة ورُسُلَه فلا تَمَوَّنْ إلا وأنتم مُسَلِّمُونَ ، ولا يكوننّ شيء بأهون عليكم
من الدُّنيا ؛ فإنها تأتي من تهاون بها . ولا تميلوا إليها فتَهْرُب منكم اتميل بكم .
انصروا الله ينصركم .

وقال عاصم بن عمرو : يا معاشر العرب ؛ إنكم أعيان العرب ، وقد
صمدتم ^(٢) الأعيان من العجم ؛ وإنما تخاطرون بالجنّة ، ويخاطرون بالدنيا ، فلا
يكوننّ على دنياهم أحوط منكم على آخرتكم . لا تحدّثوا اليوم أمراً تكونون
به شبيهاً على العرب غداً .

وقال ربع بن البلاد السعديّ : يا معاشر العرب ، قاتلوا للدّين والدُّنيا ؛
﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾
أَعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ^(٣) ، وإن عظم الشيطان عليكم الأمر ، فاذكروا الأخبار عنكم
بالمواسم ما دام للأخبار أهل .

٢٢٩٤/١

(١) تریلوا : تعیسوا واغضبوا .

(٢) صمدتم : قصدم .

(٣) سورة آل عمران ١٣٣ .

وقال ربّيعي بن عامر: إن الله قد هداكم للإسلام ، وجمعكم به ، وأراكم الزيادة ، وفي الصبر الراحة ، فعوّدوا أنفسكم الصبر تعتادوه ، ولا تعوّدوها الجزع فتعتادوه .

وقام كلّهم بنحوم هذا الكلام ، وتواتق الناس ، وتعاهدوا ، واهتاجوا لكلّ ما كان ينبغي لهم ، وفعل أهل فارس فيما بينهم مثل ذلك ، وتعاهدوا وتواصوا ، واقترنوا بالسلام ، وكان المقرنون ثلاثين ألفاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي: إن أهل فارس كانوا عشرين ومائة ألف ، معهم ثلاثون فيلاً ، مع كلّ فيل أربعة آلاف .

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن حاتم ، عن مسعود بن خراش ، قال : كان صفّ المشركين على شفير العتيق ، وكان صفّ المسلمين مع حائط قدّيس ، الخندق من ورائهم . فكان المسلمون والمشركون بين الخندق والعتيق . ومعهم ثلاثون ألف مسلسل ، وثلاثون فيلاً تُقاتل ، وفيكّة عليها الملوك وقوف لا تُقاتل . وأمر سعد النّاس أن يقرءوا على النّاس سورة الجهاد ، وكانوا يتعلّمونها .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : قال سعد : الزموا مواقفكم ، لا تحركوا شيئاً حتى تصلّوا الظهر ، فإذا صلّيتم الظهر فإنّي مكبرٌ تكبيرةً ، فكبروا واستعدّوا . واعلموا أن التكبير لم يُعطه أحدٌ قبلكم ، واعلموا أنّما أعطيتموه تأييداً لكم . ثم إذا سمعتم الثانية فكبروا ، ولتستتمّ عدتكم ، ثم إذا كبرت الثالثة فكبروا ، ولينشط فرسانكم الناس ليرزوا وليطاردوا ، فإذا كبرت الرابعة فازحفوا جميعاً حتى تخالطوا عدوكم ؛ وقولوا : لا حول ولا قوّة إلا بالله !

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرّيان ، عن مُصعب بن سعد ، مثله .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن زكرياء ، عن أبي إسحاق ، قال : أرسل سعد يوم القادسيّة في النّاس : إذا سمعتم التكبير

فشدوا شُسُوعَ نعالِكُمْ ، فإذا كَبُرَتْ الثانيةُ فتهيَّئُوا ، فإذا كَبُرَتْ الثالثةُ فشدوا النواجذَ على الأضراسِ واحملوا .

كتب إلى السريُّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما صَلَّى سعد الظهر أمر الغلام الذي كان ألزمه عمر إِيَّاهُ - وكان من القراء - أن يقرأ سورةَ الجهاد ، وكان المسلمون يتعلَّمونها كلَّهم ، فقرأ على الكتبية الذين يلُونه سورةَ الجهاد ، فقرئت في كلِّ كتبية ، فهشَّت قلوبُ الناسِ وعيونهم وعزَّنوا السكتينةَ مع قراءتها .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم ، قالوا : لما فرغ القراءُ كَبَّرَ سعد ، فكَبَّرَ الذين يلُونه تكبيرةً ، وكَبَّرَ بعضُ الناسِ بتكبيرِ بعضٍ ، فتحشَّش^(١) الناسُ ، ثم ثنَّى فاستتمَّ الناسُ ، ثم ثلَّثَ فبرز أهلُ التَّجِدَاتِ فأنشَبوا القتالَ ، وخرج من أهلِ فارس أمثالُهم ، فاعتوروا الطَّعْنَ والضَّرْبَ ، وخرج غالب بن عبد الله الأسدِيُّ وهو يقول :

٢٢٩٦/١

قَدْ عَلِمْتُ وَارِدَةَ الْمَسَاحِ ذَاتُ اللَّبَانِ وَالْبَنَانِ الْوَاضِحِ^(٢)

أَنْتَى سِمَامُ الْبَطَلِ الْمُشَايِحِ^(٣) وَفَارِجُ الْأَمْرِ الْمُهِمِّ الْفَاضِحِ

فخرج إليه هُرْمُزٌ - وكان من ملوكِ البابِ ، وكان متوجِّجًا - فأسره غالب أسيرًا ، فجاء سعدًا ، فأدخِلَ ، وانصرف غالب إلى المطاردة ، وخرج عاصم ابن عمرو وهو يقول :

قَدْ عَلِمْتُ بَيْضَاءَ صَفْرَاهُ اللَّبِّ^(٤) مِثْلُ اللَّجَيْنِ إِذْ تَفَشَّاهُ الذَّهَبُ

أَنْتَى أَمْرُو لَا مَنْ تَعْيِيهِ السُّبَبُ^(٥) مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ يُغْرِبِي الْعَتَبُ

(١) تحشش الناس : تحركوا .

(٢) اللبان : الصدر .

(٣) المشايح : المقاتل .

(٤) اللب ، بالتحريك : موضع الغلادة من الصدر .

(٥) ط : « يعينه السبب » ، وانظر التصويبات .

فطارد رجلا من أهل فارس ، فهرب منه واتبعه ، حتى إذا خالط صفّهم
التقى بفارس معه بغلة ، فترك الفارس البغل ، واعتصم بأصحابه فحموه ،
واستاق عاصم البغل والرحل ، حتى أفضى به إلى الصفّ ، فإذا هو خبّاز الملك
وإذا اللّذى معه لَطَفُ الملك الأخبضة والعسل المعقود ، فأتى به سعداً ، ورجع
إلى موقفه ، فلمّا نظر فيه سعد ، قال : انطلقوا به إلى أهل موقفه ، وقال :
٢٢٩٧/١ إنَّ الأمير قد نفلكم هذا فكلّوه ، فنفلهم إياه . قالوا : وبيننا الناس ينتظرون
التكبير الرابعة ، إذ قام صاحب رجالة بنى نهْمد قيس بن حذيم بن
جُرثومة ، فقال : يا بنى نهْمد انهّدوا ، إنّا سَمِئَم نهْمداً لتفعلوا . فبعث إليه
خالد بن عُرْفُطة : والله لتكفّنّ أولاً وليسنّ عملك غيرك . فكفّ .
ولما تطاردت الخيل والفُرسان خرج رجلٌ من القوم ينادى : مرّد ومرّد ،
فانتدب له عمرو بن معديكرب وهو بجياله ، فبارزه فاعتنقه ، ثمّ جلّد به
الأرض فذبّجه ، ثمّ النفّت إلى النَّاس ، فقال : إنَّ الفارسيّ إذا فقد قوسه
فلنّما هو تيسّس . ثمّ تكتّبت الكتاب من هؤلاء وهؤلاء .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،
عن قيس بن أبي حازم ، قال : مرّ بنا عمرو بن معديكرب وهو يحضّض
الناس بين الصّفين ، وهو يقول : إنَّ الرجل من هذه الأعاجم إذا أتى
مِزراقه ، فإنّما هو تيسّس ؛ فبينما هو كذلك يحرّضنا إذ خرج إليه
رجلٌ من الأعاجم ، فوقف بين الصّفين فرمى بنُشّابة ، فأخطأت سيّمة
قوسه وهو متنكبّها ، فالتفت إليه فحمل عليه ، فاعتنقه ، ثمّ أخذ بمنطقته ، فاحتمله
فوضعه بين يديه ، فجاء به حتى إذا دنا منّا كسر عنقه ، ثمّ وضع سيفه
على حلقه فذبّجه ؛ ثمّ ألقاه . ثمّ قال : هكذا فاصنعوا بهم ! فقلنا :
٢٢٩٨/١ يا أبا ثور ، منّ يستطيع أن يصنع كما تصنع !

وقال بعضهم غير إسماعيل : وأخذ سواريه ومنطقته وبله مق ديباج عليه .
كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ،

عن قيس بن أبي حازم ؛ أنَّ الأعاجم وَّجَّهَتْ إلى الوجه الَّذي فيه بَسْجِيلَةٌ ثلاثة عشر فيلاً^(١) .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، قال : كانت - يعنى وقعة القادسيَّة - في المحرم سنة أربع عشرة في أوله . وكان قد خرج من الناس إليهم ، فقال له أهل فارس : أحلِّنا ، فأحاطم على بَسْجِيلَةٍ ، فصرفوا إليهم ستَّة عشر فيلاً .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لمَّا تكتَبَتِ الكتائب بعد الطَّراد حمل أصحاب الفيلة عليهم ، ففرقت بين الكتائب ، فابذعرت^(٢) الخيل ؛ فكادت^(٣) بَسْجِيلَةٌ أن تُؤكل^(٤) ؛ فَرَّت عنها خيلُها نِفَارًا ، وعَمَّنَّ كان معهم في مواقفهم^(٥) ، وبقيت الرِّجَالُ من أهل المواقف ، فأرسل سعد إلى بني أسد : ذبُّوا^(٦) عن بَسْجِيلَةٍ ومن لافَّها من الناس ؛ فخرج طليحة بن خويلد وحمَّال بن مالك وغالب بن عبد الله والرَّبِيع بن عمرو في كتابهم ، فباشروا الفيلة حتى عدلها ركبانها ؛ وإنَّ على كلِّ فيل^(٧) عشرين رجلاً .

كتب إلى السريِّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ، عن موسى بن طريف ؛ أنَّ طليحة قام في قومه حين استصرخهم سعد ، فقال^(٨) : يا عشيرتاه ؛ إنَّ المنوَّه باسمه ، الموثوق به ، وإنَّ هذا لو علم أنَّ أحدًا أحقَّ بإغاثة هؤلاء منكم استغاثهم ؛ ابتدءوهم^(٩) الشَّدَّة ، وأقدِّموا عليهم

٢٢٩٩/١

(١) في ابن حبيش بعدها : « وصفوا على سائر الناس سبعة عشر » .

(٢) ابذعرت الخيل : تفرقت ؛ وفي ز : « فاندعرت » .

(٣) ابن حبيش : « وكادت » .

(٤) ابن الأثير والنويري : « تهلك » .

(٥) ابن حبيش : « موقفهم » .

(٦) ذبُّوا : دافوا .

(٧) ابن حبيش : « كلُّ فيل يومئذ » .

(٨) ابن حبيش : « فقال وهو يحرضهم » .

(٩) ابن حبيش : « ابتدءوهم » .

إقدام الليوث الحربية ؛ فلنّما سمّيت أسدًا لتفعلوا فعله^(١) ؛ شدّوا ولا تصدّوا، وكرّوا^(٢) ولا تفرّوا ، لله درّ ربيعة ! أى فرّى يفرّون ! وأيّ قرّن ينعنون^(٣) ! هل يوصل إلى مواقفهم^(٤) ! فأغنوا عن مواقفكم أعانكم الله ! شدّوا عليهم باسم الله ! فقال المعرور بن سويد وشقيق : فشدّوا والله عليهم فما زالوا يطعنونهم ويضربونهم حتى حبسنا الفيكة عنهم ؛ فأخّرت ، وخرج إلى طليحة عظيم منهم فبارزه ؛ فما لبّثه طليحة أن قتله .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ، قالوا : وقام الأشعث بن قيس فقال : يا معشر كيندة ؛ لله درّ بى أسد ! أى فرّى يفرّون^(٥) ! وأيّ هدّ يهدّون^(٦) عن موقفهم منذ اليوم ! أغنى كل قوم ما يليهم ؛ وأنتم تنتظرون من يكفيكم البأس^(٧) ! أشهد ما أحسنتم أسوة قومكم العرب^(٨) منذ اليوم ، وإنهم ليقتلون ويقاتلون ؛ وأنتم جثاة على الركب تنتظرون ! فوثب إليه عدد منهم عشرة ؛ فقالوا : عثر الله جدّك^(٩) ! إنك لتؤبّسنا^(١٠) جاهدًا ، ونحن أحسن الناس موقفًا ! فمن أين خذلنا قومنا العرب وأسأنا إسمهم ! فيها نحن معك . فنهّد ونهّدوا ، فأزالوا الذين بلزائهم ؛ فلمّا رأى أهل فارس ما تلقى الفيكة من كتيبة أسد رمّوهم بحدّهم وبدر المسلمين الشدّة عليهم ذو الحجاب والجالنوس ، والمسلمون ينتظرون التكيبة الرابعة من سعد ، فاجتمعت حلبة فارس على أسد ومعهم تلك الفيكة ، وقد ثبتوا لهم ؛ وقد كبر سعد الرابعة ، فزحف إليهم

(١) ز : « فعلة الأسد » .

(٢) ز : « وكبروا » .

(٣) ز : « يعنون » .

(٤) ز : « من واقفهم » .

(٥) القرى : الأمر العظيم ؛ ويقال . فلان يفرى انفرى ؛ إذا كان يأتي بالعجب في عمله .

(٦) الهذ : القلع السريع .

(٧) ز : « الناس » .

(٨) ابن حبيش : « إخوانكم من العرب » .

(٩) ابن خبيش : « فقال له : عثر جدك » .

(١٠) تؤبّسنا - أى تحقر أمرنا .

المسلمون ورحى الحرب تدور على أسد ، وحملت الفيول على الميمنة والميسرة على الخيول ؛ فكانت الخيول تُحجِم عنها وتَحيد ، وتلج فرسانهم على الرَّجُل يشتمسون بالخيول ؛ فأرسل سعد إلى عاصم بن عمرو ، فقال : يا معشر بني تميم ؛ أَلستم أصحاب الإبل والخيول ! أما عندكم لهذه الفَيْسَلَة من حيلة ! قالوا : بلى والله ؛ ثم نادى في رجال من قومه رماة وآخَرِينَ لَهُم ثَقَافَةٌ ^(١) ، فقال لهم : يا معشر الرماة ذبُّوا رُكبانَ الفَيْسَلَة عنهم بالنَّبَل ، وقال : يا معشر أهل الثقافة استدبروا الفَيْسَلَة فَفَقَطَّعُوا وَضْنُهَا ^(٢) ؛ وخرج يحميهم والرحى تدور على أسد ، وقد جالت الميمنة والميسرة غير بعيد ؛ وأقبل أصحاب عاصم على الفَيْسَلَة ، فأخذوا بأذنانها وذباذب ^(٣) توأبيتها ، ففقطعوا وضننها ، وارتفع عرواؤهم ؛ فما بقي لهم يومئذ فيل إلاّ أعرى ، وقتل أصحابها ، وتقابل الناس ونفُس عن أسد ، وردّوا فارسَ عنهم إلى مواقفهم ؛ فاقتتلوا حتى غربت الشمس . ثم حتى ذهب هداة من الليل ؛ ثم رجع هؤلاء وهؤلاء ؛ وأصيب من أسد تلك العشيّة خمسمائة ؛ وكانوا رداء للنّاس ؛ وكان عاصم عادية النّاس وحاميتهم ؛ وهذا يومها الأوّل وهو يوم أرمات .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن رجل من بني كنانة ، قال : جالت المجنّبات ودارت على أسد يوم أرمات فقتل تلك العشيّة منهم خمسمائة رجل ؛ فقال عمرو بن شّاس الأسديّ :

جَلَبَنَّا الْخَيْلَ مِنْ أَكْثَافِ نَيْقٍ إِلَى كِسْرَى فَوَاقَهَا رِعَالًا ^(٤) ٢٣٠٢/١

تَرَكَنَ لَهُمْ عَلَى الْأَقْصَامِ شَجَوًا وَبِالْحَقَوَيْنِ أَيَّامًا طَوَالًا ٢٣٠٣/١

وَدَاعِيَةً بِفَارِسٍ قَدْ تَرَكَنَا تُبَكِّى كُلَّمَا رَأَتْ الْهَلَالَ

قَتَلْنَا رُسْتَمًا وَبَنِيهِ قَسْرًا تُنِيرُ الْخَيْلُ فَوْقَهُمُ الْهَيْالَا

تَرَكَنَا مِنْهُمْ حَيْثُ التَّقِينَا فَثَمَامًا مَا يُرِيدُونَ ارْتِحَالًا ^(٥)

(١) ابن حبيش : « وأخرى أهل ثقاف » .

(٢) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر .

(٣) الذباذب : أشياء تعلق بالهودج للزينة . (٤) الرعاع : الجماعة من الخيل .

(٥) القتام : الجماعة من الناس ، وفي ط : « قياما » .

وَقَرَّ الْبِيرُزَانُ وَلَمْ يُحَامِي وَكَانَ عَلَى كَتِيبَتِهِ وَبَالَا
وَنَجَّى الْهَرْمُزَانَ حِذَارُ نَفْسٍ وَرَكُضُ الْخَلِيلِ مُوَصِّلَةٌ عِجَالًا^(١)

(١) وذكر ابن حبيش هذه الأبيات أيضاً : منسوبة إلى عمرو بن شاس :

لَقَدْ عَلِمْتُ بَنُو أَسَدٍ بَأَنَّا أُولُو الْأَحْلَامِ إِنْ ذَكَرُوا الْحُلُومَا
وَأَنَا النَّازِلُونَ بِكُلِّ ثَقَرٍ وَلَوْ لَمْ نُلْقِهِ إِلَّا هَشِيمَا
تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مُسَوَّمَاتٍ مَعَ الْأَبْطَالِ يَمْلِكُنَ الشَّكِيمَا
تَرَى فِينَا الْجِيَادَ مَجْلَحَاتٍ تُنْهِنُهُ عَنْ فَوَارِسِهَا الْخُصُومَا
بِمَجْمَعٍ مِثْلَ سَلَمٍ مَكْفُوهَةٍ تَشَبَّهُهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا قُرُومَا
بِمِثْلِهِمْ تُلَاقِي يَوْمَ هَيْجٍ إِذَا لَاقَيْتَ بَأْسًا أَوْ خُصُومَا
نَفَيْنَا فَارِسًا عَمَّا أَرَادَتْ وَكَانَتْ لَا تُحَاوِلُ أَنْ تَرِيَمَا

يوم أغواث

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالوا :
 ٢٣٠٤/١ وكان سعد قد تزوج سلمى بنت خصفه ؛ امرأة المثنى بن حارثة قبله ^(١)
 بشراف، فتزل بها القادسية، فلما كان يوم أرمات، وجال الناس، وكان
 لا يطيق جلسة إلا مستوفزاً أو على بطنه ؛ جعل سعد يتمكّل ويحول
 جزعاً فوق القصر ؛ فلما رأت ما يصنع أهل فارس، قالت : وامثنياه
 ولا مثنى للخيل اليوم ! - وهى عند رجل قد أضجره ما يرى من أصحابه وفى
 نفسه - فلطم وجهها، وقال : أين المثنى من هذه الكتيبة التى تدور عليها
 الرحى ! - يعنى أسداً وعاصماً وخيله - فقالت : أغيرة وجبناً ! قال : والله
 لا يعذرني اليوم أحد إذا أنت لم تعذريني وأنت ترين ما بى، والناس أحق
 ألا يعذروني ! فتعلّقها الناس ؛ فلما ظهر الناس لم يبق شاعر إلا اعتد بها
 عليه ؛ وكان غير جبان ولا ملوم . ولما أصبح القوم من الغد أصبحوا على
 تعبئة، وقد وكل سعد رجالاً بنقل الشهداء إلى العذيب ونقل الرثيث ^(٢)؛ فأما
 الرثيث فأسلم إلى النساء يقمن عليهم إلى قضاء الله عز وجل عليهم ؛ وأما
 الشهداء فدفنهم ^(٣) هنالك على مشرق - وهو واد بين العذيب وبين
 عين الشمس فى عدوتيه جميعاً ؛ الدنيا منهما إلى العذيب والقصوى
 منهما من العذيب - والناس ينتظرون بالقتال حمل الرثيث والأموات ؛
 ٢٣٠٥/١ فلما استقلت بهم الإبل وتوجّهت ^(٤) بهم نحو العذيب طلعت نواصى ^(٥)
 الخيل من ^(٦) الشام - وكان فتح دمشق قبل القادسية بشهر - فلما قدم على
 أبى عبيدة كتاب عمر بصرف أهل العراق أصحاب خالد ؛ ولم يذكر خالداً

(١) ابن الأثير : « بعده » .

(٢) الرثيث : الجريح وبه رقى .

(٣) ابن الأثير : « دفنوا » .

(٤) ابن حيش : « ووجهت » .

(٥) ابن حيش : « طلعت عليهم نواصى الخيل » .

(٦) ابن حيش : « من نحو الشام » .

ضنَّ بخالد فحبسه وسرَّح الجيش ؛ وهم ستة آلاف ؛ خمسة آلاف من
 وبيعة ومُضر وألف من أفناء اليمن من أهل الحجاز ؛ وأمر عليهم هاشم بن
 عتبة بن أبي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع بن عمرو ، فجعله ^(١) أمامه ؛
 وجعل على إحدى مجنبتيه ^(٢) قيس بن هُبيرة بن عبد يغوث المرادى - ولم يكن
 شهد الأيام ، أناهم وهم باليرموك حين صُرف أهل العراق وصُرف معهم - وعلى
 المجنبة الأخرى الهزهاز بن عمرو العجلي ، وعلى الساقة أنس بن عباس .
 فانجذب القعقاع وطوى وتعجَّل ، فقدم على الناس صبيحة يوم أغواث ، وقد
 عهد إلى أصحابه أن يتقطَّعوا أعشاراً ؛ وهم ألف ، فكلَّمَا بلغ عشرة مَدَى ^(٣)
 البَصَر سرَّحوا في آثارهم عشرة ، فقدم القعقاع أصحابه في عشرة ، فأتى
 النَّاس فسلم عليهم ، وبشَّروهم بالحنود ، فقال : يأتيا الناس ؛ إئتيا قد جئتكم
 في قوم ؛ والله أن لو كانوا بمكانكم ، ثم أحسَّوكم حسدوكم حُظُوتَها ، وحاولوا
 أن يطيروا بها دونكم ، فاصنعوا كما أصنع ، فتقدَّم ثم نادى : مَنْ يبارز ؟
 فقالوا فيه بقول أبي بكر : لا يُهْزَم جيشٌ فيهم مثل هذا ، وسكنوا إليه ،
 فخرج إليه ذو الحجاب ، فقال له القعقاع : مَنْ أنت ؟ قال : أنا بهمن
 جاذوَيْه ، فنادى : يا لثارات أبي عبيد وسليط وأصحاب يوم الجِسر !
 فاجتلدا ، فقتله القعقاع ، وجعلت خيله تَرِدُ قِطْعاً ، وما زالت تَرِدُ إلى الليل
 وتنشط الناس ؛ وكان لم يكن بالأمس مصيبة ؛ وكأنَّما استقبلوا قتالهم بقتل
 الحاجبي وللحاق القِطْع ، وانكسرت الأعاجم لذلك . ونادى القعقاع أيضاً :
 مَنْ يبارز ؟ فخرج إليه رجلان : أحدهما البيرزان والآخر البندوان ؛ فانضمَّ
 إلى القعقاع الحارث بن ظبَّيان بن الحارث أخو بني تميم اللَّات ، فبارز
 القعقاع البيرزان ، فضربه فأذرى رأسه ، وبارز ابن ظبَّيان البندوان ، فضربه
 فأذرى رأسه ، وتورَّدهم فرسان المسلمين ، وجعل القعقاع يقول : يا معاشرَ
 المسلمين ، باثروهم بالسيوف ، فإنَّما يُحْصَد الناس بها ! فتواصَّى النَّاس ،

(١) ط : « فجعله » ، وأثبت ما في ز .

(٢) ز : « مجنبتيه » .

(٣) ابن حبش : « مد » .

وتشايعوا إليهم ، فاجتلدوا بها حتى المساء . فلم ير أهل فارس في هذا اليوم شيئاً ممّا يعجبهم ، وأكثر المسلمون فيهم القتل ، ولم يقاتلوا في هذا اليوم على فيل ، كانت توابيتها تكسرت بالأمس ، فاستأنفوا علاجها حين أصبحوا فلم ترتفع حتى كان الغد .

٢٣٠٧/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة شهدوا القاديّة ؛ فقالت لبينها : إنكم أسلمتم فلم تبدّوا ، وهاجرتم فلم تثوبوا^(١) ، ولم تنبّ بكم البلاد ، ولم تحجّمكم السنّة ، ثم جثتم بأنكم عجزوا كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس ؛ والله إنكم لبثور رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما خنثت أباكم ، ولا فضحت خالكم ؛ انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره . فأقبلوا يشدون ، فلمّا غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء ، وهي تقول : اللهم ادفع^(٢) عن بني ! فرجعوا إليها ، وقد أحسنوا القتال ؛ ما كلّم منهم رجل كلمة ؛ فرأيتهم بعد ذلك يأخذون ألفين ألفين من العطاء ، ثم يأتون أمههم ، فيلقونه في حجرها ، فردّه عليهم وتقسّمه فيهم على ما يصلحهم ويرضيهم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ، قالوا : فأزّر القعقاع يومئذ ثلاثة نفر من بني يربوع رياحيين ، وجعل القعقاع كلّما طلعت قطعة كبّر وكبّر المسلمون ، ويحمل ويحملون ، واليربوعيون : نعيم بن عمرو بن عتّاب ، وعتّاب بن نعيم بن عتّاب بن الحارث ابن عمرو بن ههّام ، وعمرو بن شبيب بن زبّاع بن الحارث بن ربيعة ؛ أحد بني زيد . وقدم ذلك اليوم رسول لعمر بأربعة أسياف وأربعة أفراس يقسمها فيمن انتهى إليه البلاء ، إن كنت لقيت حرباً . فدعا حمّال بن مالك والربّيل بن عمرو بن ربيعة الواليين وطلحة بن خويلد الفقّعيّ - وكلّهم من بني أسد - وعاصم بن عمرو التميميّ ؛ فأعطاهم الأسياف ، ودعا القعقاع ابن عمرو واليربوعيين فحمّاهم على الأفراس ؛ فأصاب ثلاثة من بني يربوع

٢٣٠٨/١

ثلاثة أرباعها ، وأصاب ثلاثة من بني أسد ثلاثة أرباع السيوف ، فقال في ذلك الربيل بن عمرو :

لقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَا أَحَقُّهُمْ إِذَا حَصَلُوا بِالْمَرْهَقَاتِ الْبَوَاتِرِ
وَمَا فَتِنَتْ خَيْلِي عَشِيَّةَ أَرْمَتُوا يَذُودُونَ رَهْوَاً عَنِ جُوعِ الْعَشَائِرِ
لَدُنْ غَدْوَةٍ حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُمْ وَقَدْ أَفْلَحَتْ أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
وَقَالَ الْقَعْقَاعُ فِي شَأْنِ الْخَيْلِ :

لم تعرف الخيل العرابُ سِوَانَا عَشِيَّةَ أَغَوَاثٍ بِجَنْبِ الْقَوَادِسِ
عَشِيَّةَ رُحْنًا بِالرَّمَاكِ كَأَنَّهَا عَلَى الْقَوْمِ أَلْوَانُ الطُّيُورِ الرَّسَارِسِ (١)

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن القاسم بن سليم بن عبد الرحمن السعدي ، عن أبيه ، قال : كان يكون أوَّل القتال في كلِّ أيامها المطاردة ، فلمَّا قدم القعقاع قال : بأيِّها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، ونادى (٢) : مَنْ يَبَارِزُ ؟ فبرز له ذو الحاجب فقتله ، ثمَّ البيرزان فقتله ، ثمَّ خرج الناس من كلِّ ناحية ، وبدأ الحرب والطَّعان ، وحمل بنو عمِّ القعقاع يومئذ ؛ عشرة عشرة من الرِّجالة ، على إبلٍ قد ألبسوها فِهِيَّ مَجْلَلَةً مَبْرَقَةً ، وأطافت بهم خيولُهم ، تحميهم (٣) ، وأمرهم أن يحملوا على خيلهم بين الصَّقِينِ يَتَشَبَّهُونَ (٤) بالفيئلة ، ففعلوا بهم يومَ أَغَوَاثٍ كما فعلت فارس يومَ أَرْمَاثٍ ، فجعلت تلك الإبل لا تصمد لقليل ولا لكثير إلَّا نفرت بهم خيلهم ، وركبتهم خيول المسلمين . فلمَّا رأى ذلك الناس استنُّوا بهم ، فلقى فارس من الإبل يومَ أَغَوَاثٍ أعظمَ ممَّا لقي المسلمون من الفيئلة يومَ أَرْمَاثٍ .

وحمل رجلٌ من بني تميم ممَّن كان يحمي العشيرة يقال له سواد ، وجعل يتعرَّض للشهادة ، فقتل بعد ما حمل ، وأبطأت عليه الشهادة ؛ حتَّى تعرَّض لرسم يريده ، فأصيب دونه .

(١) ابن حبيش : « أمثال الطيور » .

(٢) كذا في ز ، وفي ط : « فنادى » .

(٣) كذا في ابن الأثير وابن حبيش وفي ط : « يحمهم » .

(٤) ابن حبيش : « يشبهون » .

٢٣١٠/١

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء
ابن زياد، والقاسم بن سليم عن أبيه، قال: خرج رجل من أهل فارس،
ينادي: مَنْ يبارز؟ فبرز له علباء بن جحش العجلي، فنفضحه علباء،
فأسحره^(١)، ونفضحه الآخر فأمعاه، وخرأ؛ فأما الفارسي فمات من ساعته،
وأما الآخر فانتثرت أمعاؤه، فلم يستطع القيام، فعالج إدخالها فلم يأت له
حتى مر به رجل من المسلمين، فقال: يا هذا، أعنى على بطني، فأدخله
له، فأخذ بصفاقية^(٢)، ثم زحف نحو صف فارس ما يلتفت إلى المسلمين،
فأدركه الموت على رأس ثلاثين ذراعاً من مَصْرَعه، إلى صف فارس،
وقال:

أَرْجُو بِهَا مِنْ رَبَّنَا ثَوَاباً قَدْ كُنْتُ مِمَّنْ أَحْسَنَ الضَّرَابِ

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء،
والقاسم عن أبيه، قال: وخرج رجل من أهل فارس فنادي: مَنْ يبارز؟
فبرز له الأعرف بن الأعلم العقيلي فقتله، ثم برز له آخر فقتله، وأحاطت
به فوارس منهم فصرعوه، وتَدَرَّ سلاحه عنه فأخذه، فغَبَّرَ في وجوههم
بالتراب حتى رجع إلى أصحابه؛ وقال في ذلك:

وإن يأخذوا بَرِي فَأَنِي مُجَرَّبٌ خَرُوجٌ مِنَ الْعَمَاءِ مُحْتَضِرُ النَّصْرِ
وإني لحامٍ من وراء عشيرتي رَكُوبٌ لَأَنَارِ الْهَوَى مُحْفِلُ الْأَمْرِ

٢٣١١/١

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن الغصن عن العلاء،
والقاسم عن أبيه، قال: فحمل القعقاع يومئذ ثلاثين حملة؛ كلَّما طاعت
قطعة حمل حملة، وأصاب فيها، وجعل يرتجز ويقول:

أَرْعِجُهُمْ عَمْدًا بِهَا إِزْعَاجَا أَطْعُنُ طَعْنًا صَائِبًا ثَجَّاجَا
• أَرْجُو بِهِ مِنْ جَنَّةٍ أَفْوَاجَا •

(١) أسحره: أصاب سحره؛ والسحر: الرثة.

(٢) الصفاق: جلد البطن.

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ، قالوا : قتل القعقاع يوم أغواث ثلاثين في ثلاثين حملة ؛ كلما حمل حملة قتل فيها ، فكان آخرهم بُزُرْجُمِهَرُ الهمداني ، وقال في ذلك القعقاع :

حَبَوْنُهُ جَيْلَاشَةً بِالنَّفْسِ هَدَّارَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ
فِي يَوْمِ أَغَوَاثٍ قَلِيلِ الْفُرْسِ أَنْخُسُ بِالْقَوْمِ أَشَدَّ النَّخْسِ
• حَتَّى تَفِيضَ مَعْشَرِي وَنَفْسِي ^(١) •

وبارز الأعور بن قطبة شهرَ بَرَّازَ سِجِسْتَانِ ، فقتل كل واحد منهما صاحبه ، فقال أخوه في ذلك :

لَمْ أَرْ يَوْمًا كَانَ أَحْلَى وَأَمَرٌ مِنْ يَوْمِ أَغَوَاثٍ إِذِ افْتَرَّ الثَّغَرُ
• مِنْ غَيْرِ ضَحْكٍ كَانَ أَسْوَأَ وَأَبْرُ •

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ؛ وشاركهم ابن مِخْرَاقٍ عن رجل من طَيْبِيٍّ ، قالوا : وقاتلت الفرسان يوم الكتاب فيما بين أن أصبحوا إلى انتصاف النهار ؛ فلما عدل ^(٢) النهار تراحف الناس ؛ فاقتلوا بها صَتِيماً ^(٣) حتى انتصف الليل ؛ فكانت ليلة أرواث تُدعى الهمدانة ، وليلة أغواث تُدعى السَّوَادَ ، والنَّصَفُ الأول يدعى السَّوَادَ . ثم لم يزل المسلمون يرون في يوم أغواث في القادسية الظَّفَر ، وقتلوا فيه عامة أعلامهم ؛ وجالت فيه خيل القلب ، وثبت رَجُلُهُمْ ؛ فلولا أن خيلهم كَرَّتْ أَخِذَ رِسْمٍ أَخْذًا ، فلما ذهب السواد بات الناس على مثل ما بات عليه القوم ليلة أرواث ؛ ولم يزل المسلمون يتمون لَدُنْ ^(٤) أمسوا حتى تفأثوا . فلما أمسى سعد وسمع ذلك نام ، وقال لبعض من عنده : إن تم الناس على الانتماء فلا تُوقِظُنِي ، فإنهم أقوياء على عدوهم ؛ وإن سكثوا ولم ينتم الآخرون فلا توقظني ، فإنَّهم على السَّوَاءِ

(١) ابن حبيش : « حَتَّى تَفِيضَ » .

(٢) ابن الأثير : « اعتدل » .

(٣) الصيت : الجلبة والصوت .

(٤) الأغاني : « منذ لدن » .

فإن سمعتمهم يتمون فأيقظني ؛ فإن انتماءهم عن السوء .

فقالوا: ولما اشتد القتال بالسواد، وكان أبو محجن قد حبس وقيد، فهو في القصر، فصعد حين أمسى إلى سعد يستعفيه ويستقبله، فزبره وردّه، فنزل، فأنى سلمى بنت خصفة، فقال: يا سلمى يا بنت آل خصفة؛ هل لك إلى خير؟ قالت: وما ذاك؟ قال: تخليّني عنى وتُعيريني البلقاء؛ فله علىّ إن سلمني الله أن أرجع إليك حتى أضع رجلى في قيدي، فقالت: وما أنا وذاك! فرجع يرسف في قيوده، ويقول:

٢٣١٣/١

كفى حزناً أن تردى الخيل بالقنا^(١) وأترك مشدوداً على وثاقها
إذا قمت عنائي الحديد وأغلقت مصاريع دوني قد تصم المنايا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة فقد تركوني واحداً لا أخالياً^(٢)
ولله عهد لا أخيس بعده لن فرجت ألا أزور الحوانيا

فقال سلمى: إنني استخرت الله ورضيتُ بعهدك، فأطلقتَه. وقالت:
أمّا الفرس فلا أعيرها؛ ورجعتُ إلى بيتها، فاقتادها فأخرجها من باب
القصر الذي يلي الخندق فركبها؛ ثم دبّ عليها؛ حتى إذا كان بخيال الميمنة
كبّر، ثم حمل على ميسرة القوم يلعب برمحهِ وسلاحه بين الصّقيّين؛
فقالوا: بسرّجها، وقال سعيد والقاسم: عريباً؛ ثم رجع من خلف المسلمين
إلى الميمرة فكبّر وحمل على ميمنة القوم يلعب بين الصّقيّين برمحهِ وسلاحه،
ثم رجع من خلف المسلمين إلى القلب فنذر^(٣) أمام النَّاس، فحمل على القوم
يلعب بين الصّقيّين برمحهِ وسلاحه: وكان يقصيف الناس ليلتذّ قصفاً منكراً

٢٣١٤/١

(١) القنا: الرماح .

(٢) بعده في الأغاني :

وقد شفّ جسمي أننى كلّ شارق أعالج كبّلاً مصمتاً قد برانياً
فله درى يوم أترك موثقاً وتذهل عنى أسرقى ورجالياً
حيساً عن الحرب العوان وقد بدت وإعمال غيرى يوم ذاك العواليأ

(٣) الأغاني: « فذر » .

وتعجب^(١) الناس منه وهم لا يعرفونه ولم يرووه من النهار ، فقال بعضهم :
 أوائل أصحاب هاشم أو هاشم نفسه. وجعل سعد يقول وهو مُشْرِف على النَّاسِ
 مُكِبٌّ من فوق القصر : والله لولا مَحْبِسُ أَبِي مِحْجَنٍ لقلتُ : هذا
 أبو مِحْجَنٍ وهذه البلقاء ! وقال بعض الناس : إن كان الخَضِرُ يشهد الحروب
 فنظنَّ صاحب البلقاء الخَضِرُ ، وقال بعضهم : لولا أنَّ الملائكة لا تُبَاشِرُ
 القتال لقلنا : مَلَكٌ يَشُبُّنا^(٢) ؛ ولا يذكره الناس ولا يَبهون له ؛ لأنَّه بات في
 محبسه ، فلما انتصف الليل حَاجَزَ أهل فارس ، وتراجع المسلمون ، وأقبل
 أبو مِحْجَنٍ حتَّى دخل من حيث خرج ؛ ووضع عن نفسه وعن دابته ، وأعاد
 رجليه في قيدينه ، وقال :

لقد علمت ثقيفٌ غيرَ فخرٍ بأنّا نحن أكرمهم سُيُوفًا
 وأكثرهم دُرُوعًا سابغاتٍ وأصبرهم إذا كَرِهوا الوقُوفًا
 وأنا وفدهم في كلِّ يومٍ^(٣) فإن عَمِيُوا فسل بهم عَرِيفًا^(٤)
 وليلة قاديس لم يشعروا بي ولم أشعر بمُخْرَجِي الزُّحُوفَا
 فإن أحبسن فذلكمُ بلائي^(٥) وإن أترك أذيقهمُ الخُتُوفَا^(٦)

فقلت له سلمى : يا أبا مِحْجَنٍ ، في أي شيء حبسك هذا الرجل ؟
 قال : أمّا والله ما حبسني بحرام أكلته ولا شربته ؛ ولكنني كنت صاحب
 شراب في الجاهليّة ، وأنا امرؤ شاعر يدبّ الشعر على لساني ، يبعثه على شفتي
 أحيانًا ، فإساء لذلك ثنائي ؛ ولذلك حبسني ، قلت :

إذا مت فادفني إلى أصل كرمَةٍ تروى عظامي بعد موتي عُروَقها
 ولا تدفني بالفلاة فإنني أخافُ إذا مامتُ ألا أذوقها
 وتروى بخر الحَصِّ لحدي فإني^(٧) أسيرُ لها من بعد ما قد أسوقها

(١) الأغاني : « تعجب الناس منه » .

(٢) الأغاني : « وأنا رفدهم » .

(٣) الأغاني : « فقد عرفوا بلائي » .

(٤) الأغاني : « فإن جعلوا » .

(٥) الأغاني : « وإن أطلق » .

(٦) الأغاني : « ليروى بخر الحَصِّ لحمي » .

(٧) الأغاني : « ليروى بخر الحَصِّ لحمي » .

ولم تزل سلّمي مغاضبة لسعد عشية أرمات ، وليلة الهدأة ، وليلة السواد ؛ حتى إذا أصبحت أخته وصالحته وأخبرته خبرها وخبر أبي محجن ، فدعا به فأطلقه ، وقال : اذهب فما أنا مؤاخذك بشيء تقول به حتى تفعله ، قال : لا جرم ، والله لا أجيّب لسانی إلى صفة قبيح أبدًا ^(١) .

يوم عماس

كتب إلى السريّ بن يحيى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزیاد بإسنادهم ، وابن مخراق عن رجل من طيّئ ، قالوا : فأصبحوا من اليوم الثالث ؛ وهم على مواقفهم ؛ وأصبحت الأعاجم على مواقفهم ^(٢) ، وأصبح ما بين الناس كالرجلة الحمراء — یعنی الحرّة — میلٌ في عرض ما بين الصّفين ، وقد قتل من المسلمين ألفان من رثيث ^(٣) وميت ، ومن المشركين عشرة آلاف من رثيث وميت . وقال سعد : من شاء غسّل الشهداء ، ومن شاء فليدفنهم بدمائهم ، وأقبل المسلمون على قتلاهم فأحرزوهم ، فجعلوهم من وراء ظهورهم ، وأقبل الذين يجمعون القتلى يحملونهم إلى المقابر ، ويبلغون الرثيث إلى النساء ، وحاجب بن زيد على الشهداء ، وكان النساء والصبيان يحفرون القبور في اليومين : يوم أغواث ، ويوم أرمات ، بعدد وتي مشرق ، فدفن ألفان وخمسمائة من أهل القادسية وأهل الأيام ، فمرّ حاجب وبعض أهل الشهادة وولاة الشهداء في أصل نخلة بين القادسية والعُدَيْب ، وليس بينهما يومئذ نخلة غيرها ، فكان الرثيث إذا حُمِلوا فانتَهى بهم إليها وأحدهم يعقل سألهم أن يقفوا به تحتها يستريح إلى ظلّها ، ورجل من الجرحى يدعى بجريّا ، يقول وهو مستظلّ بظلّها :

ألا يا اسلّمي يا نخلّة بين قاديّس وبين العُدَيْب لا يُجاوِرُكَ النّخلُ

(١) الخبر في الأغاني ، بروايته عن الطبري في ٢١ : ١٣٩ ، ١٤٠ (سأسي) .

(٢) ز : « مواقفها » .

(٣) الرثيث هنا : الجريح وبه رفق .

ورجل من بنى ضبّة، أو من بنى ثور يدعى غيّلان، يقول :

ألا يا أسلمى يا نخلة بين جرعة يجاورك الجمان دونك والرغل^(١)

٢٣١٨/١

ورجل من بنى تيم الله، يقال له : ربّعى يقول :

أيا نخلة الجرعاء يا جرعة العدى سقتك القوادى والغيوث الهواطل
وقال الأعرور بن قطبة :

أيا نخلة الركبان لازلت فانصرى ولا زال فى أكناف جرعاتك النخل
وقال عوف بن مالك التميمى - ويقال التيمى تيم الرباب :

أيا نخلة دون العذيب بتلعة سقيت القوادى المذجات من النخل

كتب إلى السرى، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وزباد، قالوا : وبات القعقاع ليلته كلّمها يسرّب أصحابه إلى المكان الذى فارقه فيه من الأمس، ثم قال : إذا طلعت لكم الشمس، فأقبلوا مائة مائة، كلّمنا توارى^(٢) عنكم مائة فليتبعها مائة ؛ فإن جاء هاشم فذاك وإلا جدّدتم للناس رجاء

٢٣١٩/١

وجدّا، ففعلوا، ولا يشعر بذلك أحدٌ، وأصبح الناس على مواقفهم قد أحرزوا قتلاهم ؛ وخلّوا بينهم وبين حاجب بن زيد وقتلى المشركين بين الصقيين قد أضيّعوا، وكانوا لا يعرضون لأموالهم^(٣)، وكان مكانهم مما صنع الله للمسلمين مكيدة فتحها ليشد^(٤) بها أعضاد المسلمين ؛ فلمّا ذرّ قرن الشمس والقعقاع يلاحظ الخيل، وطلعت نواصيها كبر وكبر الناس . وقالوا : جاء المدد، وقد كان عاصم بن عمرو أمر أن يصنع مثلها، فجاءوا من قبل خفّان، فتقدّم الفرسان وتكتّبت الكتائب، فاختلفوا الضرب والطعن، وسدّدهم متابع ؛ فما جاء آخر أصحاب القعقاع حتى انتهى إليهم هاشم ؛ وقد طلّعوا فى سبعمائة، فأخبروه برأى القعقاع وما صنع فى يوميه، فعبّى

(١) الجمان والرغل : نباتان .

(٢) ابن حبيش : « توارت » .

(٣) ابن حبيش : « لمواتهم » .

(٤) ز : « ليشد » .

أصحابه سبعين سبعين ، فلما جاء آخر أصحاب القعقاع خرج هاشم في سبعين معه ، فيهم قيس بن هبيرة بن عبد يغوث - ولم يكن من أهل الأيَّام ؛ إنما أتى من اليمن اليرموك - فانتدب مع هاشم ، فأقبل هاشم حتى إذا خالط القلب ؛ كبر وكبر المسلمون ؛ وقد أخذوا مصافهم ، وقال هاشم : أول القتال المطاردة ثم المراماة ؛ فأخذ قوسه ، فوضع سهماً على كبدها ، ثم نزع فيها ، فرفعت فرسه رأسها ، فخل^(١) أذنها ، فضحك وقال : واسوأناه من رمية رجل ! كل من رأى ينتظره ! أين ترون سهمي كان بالغاً ؟ فقيل : العتيق ، فترقها وقد نزع السهم ، ثم ضربها حتى بلغت العتيق ، ثم ضربها فأقبلت به تخرقهم ، حتى عاد إلى موقفه ، وما زالت متعانة تطلع إلى الأولى ، وقد بات المشركون في علاج نوابيتهم ، حتى أعادوها ، وأصبحوا على مواقعهم ، وأقبلت الفيكة معها الرجال يحمونها أن تقطع وضنها ، ومع الرجال فرسان يحمونها ، إذا أرادوا كتيبة دلفوا لها بفيل وأتباعه ، ليُسفروا بهم خيلهم فلم يكن ذلك منهم كما كان بالأمس ، لأن الفيل إذا كان وحده ليس معه أحد كان أوحش ، وإذا أطافوا به كان آنس ، فكان القتال كذلك ، حتى عدل النهار ، وكان يوم عِمَّاس من أوله إلى آخره شديداً ؛ العرب والعجم فيه على السواء ، ولا يكون بينهم نقطة إلا تعاورها الرجال^(٢) بالأصوات حتى تبلغ يزدجرد ، فيبعث إليهم أهل النجيدات ممن بقي عنده ، فيقتلون بهم ، وأصبحت عنده للذي لقى بالأمس الأمداد على البرد ، فلولا الذي صنع الله للمسلمين بالذي ألهم القعقاع في اليومين وأتاح لهم بهاشم ، كسر ذلك المسلمين .

٢٣٢٠/١

٢٣٢١/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قدم هاشم بن عتبة من قبيل الشام ، معه قيس بن المكشوح المرادي في سبعمئة بعد فتش اليرموك ودمشق ؛ فتعجل في سبعين ، فيهم^(٣) سعيد بن نمران

(١) يقال : خل الشيء ، أي ثقبه ونفذه .

(٢) ز : « تعاورا لها » .

(٣) ابن حبيش : « مهم » .

الهمداني. قال مجالد : وكان قيس بن أبي حازم مع القعقاع في مقدمة هاشم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن جـَـخْدَب بن جـَـرْعَب ، عن عصمة الوابلي - وكان قد شهد القادسية - قال : قدم هاشم في أهل العراق من الشام ، فتعجّل أناس ليس معه أحد من غيرهم إلا نفير ، منهم ابن المكشوح ؛ فلما دنا تعجّل في ثلثمائة ، فوافق الناس وهم على مواقفهم ، فدخلوا مع الناس في صفوفهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كان اليوم الثالث يوم عِمَاس ؛ ولم يكن في أيام القادسية مثله ؛ خرج الناس منه على السواء ، كلهم على ما أصابه كان صابراً ، وكلما بلغ منهم المسلمون بلغ الكافرون من المسلمين مثله ، وكلما بلغ الكافرون من المسلمين بلغ الكافرين مثله .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرّيان ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد ، قال : قدم هاشم بن عتبة القادسية يوم عِمَاس ، فكان لا يقاتل إلا على فرس أنثى ، لا يقاتل على ذكر ؛ فلما وقف في الناس رمى بسهم ، فأصاب أذن فرسه ، فقال : واسوأناه من هذه ! أين ترون سهمي كان بالغاً لو لم يُصِبْ أذن الفرس ! قالوا : كذا وكذا ، فأجال فتزل وترك فرسه ، ثم خرج بضربهم^(١) حتى بلغ حيث قالوا .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وكان في الميمنة .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرّيان ، عن إسماعيل بن محمد ، قال : كنت نرى أنه كان على الميمنة ، وما كان عامة جُنن الناس إلا البراذع ؛ براذع الرجال ، قد أعرضوا فيها الجريد ، وعصّب من لم يكن له وقاية رؤسهم بالأنساع^(٢) .

(١) ز : « يصرفهم » . (٢) الأنساع : جمع نسع (بكسر فسكون) ، وهو سير وقيل : حبل من آدم يكون عريفاً تشد به الرجال .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي كَبْران الحسن ابن عُبَبة ، أن قيس بن المكشوح ، قال مقدّمته من الشام مع هاشم ، وقام فيمن يليه ، فقال لهم : يا معشر العرب ، إن الله قد منّ عليكم بالإسلام ، وأكرمكم بمحمّد صلى الله عليه وسلّم ، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً. دَعَوْتُكُمْ واحدة ، وأمركم واحد ، بعد إذ أنتم يعدّو بعضكم على بعض عدوّ الأسد ، ويختطف بعضكم بعضاً اختطاف الذئب ، فانصروا الله ينصركم ، وتنجّزوا من الله فتح فارس ؛ فإنّ إخوانكم من أهل الشام قد أنجز الله لهم فتح الشام ، وانتال القصور الحمر والحصون الحمر

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المقدام الحارثي ، عن الشعبي ، قال : قال عمرو بن معديكرب : إنني حاملٌ على الفيل ومنّ حوله — لفيل بلزائهم — فلا تدعوني أكثر من جزر جزور ؛ فإن تأخّرتم عنّي فقدتم أبا ثور ؛ فأنّي لكم مثل أبي ثور ! فإن أدركتموني وجدتموني وفي يدي السيف . فحمل فما انثنى حتى ضرب فيهم ، وسره الغبار ، فقال أصحابه : ما تنتظرون ! ما أنتم بخلقاء أن تدركوه ، وإن فقدتموه فقد المسلمون فارسهم ، فحملوا حملة ، فأفرج المشركون عنه بعد ما صرعوه وطعنوه ، وإن سيفه لفي يده يضاربهم ، وقد طعن فرسه ، فلمّا رأى أصحابه ، وانفزع عنه أهل فارس أخذ برجل فرس رجل من أهل فارس ، فحرّكه الفارسيّ ، فاضطرب الفرس ، فالتفت الفارسيّ إلى عمرو ؛ فهمّ به وأبصره المسلمون ، فغشّوه ، فنزل عنه الفارسيّ ، وحاضر إلى أصحابه ، فقال عمرو : أمكنوني من لجأه ، فأمكنوه منه فركبه .

٢٣٢٣/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن المغيرة العبديّ ، عن الأسود بن قيس ، عن أشياخ لهم شهدوا القادسيّة ، قالوا : لما كان يوم عِمّاس خرج رجل من العجم حتى إذا كان بين الصّفين هدر وشقشق ونادى : من يبارز ؟ فخرج رجل منّا يقال له شَبْر بن علقسة — وكان قصيراً قليلاً دميماً — فقال : يا معشر المسلمين قد أنصفكم الرجل ، فلم يُجبه أحدٌ ؛ ولم يخرج إليه أحد ، فقال : أما والله لولا أن تردوني لخرجت

إليه . فلمّا رأى أنه لا يُمنع أخذ سيفه وحجّفته ^(١) ، وتقدّم . فلمّا رآه
 الفارسيّ هدّر ، ثم نزل إليه فاحتمله ، فجلس على صدره ، ثم أخذ سيفه
 ليدبجه وميقودُ فرسه مشدود بمِنْطَقته ، فلما استلّ السيف حاص الفرس
 حيصة ^(٢) فجذبه المقود ، فقلبه عنه ، فأقبل عليه وهو يُسحب ، فافترسه ^(٣) ،
 فجعل أصحابه يصيحون به ، فقال : صيحوا ما بدا لكم ؛ فوالله لا أفارقه
 حتى أقتله وأسلمه . فذبحه وسلبه ، ثم أتى به سعداً ، فقال : إذا كان حين
 الظُّهْرِ فأتني ، فوافاه بالسَّلب ، فحمد الله سعد وأثنى عليه ، ثم قال : إنني
 قد رأيتُ أن أنحلّه إِيَّاه ، وكلّ مَنْ سلب سلباً فهو له ، فباعه بائني عشر
 ألفاً .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف عن محمد وطلحة وزباد ،
 قالوا : ولمّا رأى سعد الفيلة تُفرّق بين الكتائب وعادت لفعلها يوم أرمات ،
 أرسل إلى أولئك المُسلمة : ضَحّم ، ومُسْلِم ، ورافع ، وعَشَنق ؛
 وأصحابهم من الفرس الذين أسلموا ، فدخلوا عليه ، فسألهم عن الفيلة : هل
 لها مقاتيل ؟ فقالوا : نعم ، المشافرو والعيون لا يُستفَع بها بعدها . فأرسل إلى القعقاع
 وعاصم ابني عمرو : اكفياني الأبيض - وكانت كلّها آلفة له ، وكان يلزأهما -
 وأرسل إلى حمّال والربّيل : اكفياني الفيل الأجر ، وكانت آلفة له كلّها ،
 وكان يلزأهما ، فأخذ القعقاع وعاصم ربحين أصمّين ليتين ودبّا في خيل ورجل
 فقالا : اكنفوه لتحيّروه ، وهما مع القوم ، ففعل حمّال والربّيل مثل ذلك ،
 فلما خالطوهما اكنفوهما ، فنظر كلّ واحد منهما يَمَنَة ويسمرة ، وهما يريدان
 أن يتخبّطا ، فحمل القعقاع وعاصم ، والفيل متشاغل بمن حوله ، فوضعا
 رمحيهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، وقبع ونفض رأسه ، فطرح سائسه ودلّى
 مشفره ، فنفذه القعقاع ، فرمى به ووقع بجنبه ، فقتلوا مَنْ كان عليه ، وحمل
 حمّال ، وقال للربّيل : اختَر ، إمّا أن تضرب المشفر وأطعن في عينه ،
 أو تطعن في عينه وأضرب مشفره ؛ فاختار الضرب ، فحمل عليه حمّال وهو

(١) الحجة : الرأس من جلد بلا خشب ولا عقب .

(٢) يقال : حاص النرس يجيئ حيصاً : إذا عدّ وحاد .

(٣) ابن حيش . « ففترسه » .

متشاغل بملاحظة من اكتنفه ؛ لا يخاف سائسه إلاّ على بطانه ، فانفرد به أولئك ، قطعنه في عينه ، فألقى ؛ ثم استوى ونفحه الرّبيّيل ، فأبان مشفره وبصر به سائسه ، فبقر^(١) أنفه وجبينه بفأسه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبيّ ، قال : قال رجلان من بني أسد ؛ يقال لهما الرّبيّيل وحمّال : يا معشر المسلمين أيّ الموت أشدّ ؟ قالوا : أن يُشدّ على هذا الفيل ، فترقا^(٢) فرسيهما حتى إذا قاما على السّنايك ضرباهما على الفيل الذي يلزأهما ، فطعن أحدهما في عين الفيل ، فوطى الفيل من خلفه ، وضرب الآخر مشفره ، فضر به سائس الفيل ضربة شائنة بالطّبرزّين في وجهه ؛ فأفلت بها هو والرّبيّيل ، وحمل القعقاع وأخوه على الفيل الذي يلزأهما ، ففقا عينيه ، وقطعا مشفره ، فبقى متلدّداً^(٣) بين الصّقيّين ؛ كلّما أتى صفّ المسلمين وخزوه ، وإذا أتى صفّ المشركين نخسّوه .

٢٣٢٦/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الشعبيّ ، قال : كان في الفيلة فيلان يعلّمان الفيلة ، فلما كان يوم القادسيّة حملوهما على القلب ؛ فأمر بهما سعد القعقاع وعاصم التميميّين وحمّالاً والرّبيّيل الأسديّين ؛ فذكر مثل الأوّل إلاّ أن فيه : وعاش بعد ، وصاح الفيّلان صياح الخنزير ، ثم ولّى الأجرّب^(٤) الذي عورّ ، فوثب في العتيق ، فاتّبعته الفيلة ؛ فخرقت صفّ الأعاجم فعبرت العتيق في أثره ، فأنت^(٥) المدائن في توابيتها ، وهلك منّ فيها .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ؛ قالوا : فلما ذهب الفيلة ، وخلّص المسلمون بأهل فارس ، ومال الظّلّ تراحف المسلمون ، وحماهم فرسانهم الذين قاتلوا أوّل النهار ، فاجتلدوا بها^(٦) حتى أمسوا

(١) بقر أنفه : شقه . (٢) نزع الفرس ، بالتشديد : ضرب به حتى ينزوي وينزق

(٣) ابن حبيش : « يتلدّد » . (٤) ز : « الآخر » .

(٥) ابن حبيش : « فيئت » . (٦) بها ، أي بالسيف .

على حَرَدٍ ؛ وهم في ذلك على السَّوَاءِ ، لأنَّ المسلمين حين فعلوا
بالقبول ما فعلوا ، تكتسبت كتائب الإبل المجفَّفة^(١) ، فغرقوا فيها ؛ وكفكفوا عنها .
وقال في ذلك القعقاع بن عمرو :

حَضَضَ قَوْمِي مَضْرَجِيُّ بْنُ يَعْمَرٍ فَاللهُ قَوْمِي حِينَ هَزُّوا الْعَوَالِيَا
وَمَا خَامَ عَنْهَا يَوْمَ سَارَتْ جَمُوعُنَا لِأَهْلِ قُدَيْسٍ يَمْنَعُونَ الْمَوَالِيَا^(٢)
فَإِنْ كُنْتُ قَاتِلْتُ الْعَدُوَّ فَلَمْتُهُ فَإِنِّي لَأَلْقَى فِي الْحُرُوبِ الدَّوَاهِيَا
فَيُؤَلَّا أَرَاهَا كَالْيَبُوتِ مُغِيرَةً^(٣) أَسْمَلُ أَعْيَانًا لَهَا وَمَآقِيَا

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ،
قالوا : لمَّا أَمْسَى النَّاسُ مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ ، وَطَعَنُوا فِي اللَّيْلِ ؛ اشْتَدَّ الْقِتَالُ وَصَبَرَ
الْفَرِيقَانِ ، فَخَرَجَا عَلَى السَّوَاءِ إِلَّا الْغَمَاغِمُ مِنْ هَوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ ، فَسُمِّيتْ لَيْلَةُ
الْهَرِيرِ ؛ لَمْ يَكُنْ قِتَالٌ بَلِيلَ بَعْدَهَا بِالْقَادِسِيَّةِ .

قال أبو جعفر : كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو
ابن محمد بن قيس ، عن عبد الرحمن بن جيش ؛ أَنَّ سَعْدًا بَعَثَ لَيْلَةَ الْهَرِيرِ
طَلِيحَةً وَعَمَرًا إِلَى مَخَاضَةِ أَسْفَلَ مِنَ الْعَسْكَرِ لِيَقُومَا عَلَيْهَا خَشِيَّةً أَنْ
يَأْتِيَهُ الْقَوْمُ مِنْهَا ؛ وَقَالَ لَهَا : إِنْ وَجَدْتُمَا الْقَوْمَ قَدْ سَبَقُواكَ إِلَيْهَا فَانْزِلَا بِجَاهِلِهِمْ ؛
وإِنْ لَمْ تَجِدَاهُمَا عِلَمُوا بِهِمَا ، فَأَقِيمَا حَتَّى يَأْتِيَكُمَا أَمْرِي — وَكَانَ عَمْرٌ قَدْ عَهِدَ
إِلَى سَعْدٍ أَلَّا يُولِّيَ رُؤُسَاءَ أَهْلِ الرَّدَّةِ عَلَى مَائَةٍ — فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَى الْمَخَاضَةِ
فَلَمْ يَرِيا فِيهَا أَحَدًا ، قَالَ طَلِيحَةُ : لَوْ خَضُنَا فَأَتَيْنَا الْأَعَاجِمَ مِنْ خَلْفِهِمْ !
فَقَالَ عَمْرٌو : لَا ، بَلْ نَعْبُرُ أَسْفَلَ ؛ فَقَالَ طَلِيحَةُ : إِنَّ الَّذِي أَقُولُهُ أَنْفَعُ لِلنَّاسِ ،
فَقَالَ عَمْرٌو : إِنَّكَ تَدْعُونِي إِلَى مَا لَا أُطِيقُ^(٤) ، فَافْتَرَقَا ، فَأَخَذَ طَلِيحَةُ نَحْوَ
الْعَسْكَرِ مِنْ وَرَاءِ الْعَتِيقِ وَحْدَهُ ، وَسَفَلَ عَمْرٌو بِأَصْحَابِهِمَا جَمِيعًا ، فَأَغَارُوا ،

(١) مجففة ، أى عليها التجفيف ، جمع تجفاف ؛ وهو ما يوضع على ظهر الفرس
أو الجمل في الحرب يصنع من الحديد أو غيره .

(٢) خام : نكص وجبن .

(٣) ابن حبش : « كالليوث مغيرة » .

(٤) ابن حبش : « نطيق » .

٢٣٢٨/١

وَأُثِرَتْ بِهِمْ^(١) الْأَعَاجِمُ ، وَخَشِيَ سَعْدُ مِنْهُمَا الَّذِي كَانَ ، فَبَعَثَ قَيْسُ بْنُ
الْمَكْشُوحِ فِي آثَارِهِمَا فِي سَبْعِينَ رَجُلًا ، وَكَانَ مِنْ أَوْلَئِكَ الرُّسَاءُ الَّذِينَ نَهَى
عَنْهُمْ أَنْ يُولِّيَهُمُ الْمَانَةَ ، وَقَالَ : إِنْ لَحِقْتَهُمْ فَأَنْتَ عَلَيْهِمْ . فَخَرَجَ نَحْوَهُمْ ،
فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْمَخَاضَةِ وَجَدَ الْقَوْمَ يَكْرُدُونَ عَمْرًا وَأَصْحَابَهُ ، فَهَنَهُ النَّاسُ عَنْهُ ،
وَأَقْبَلَ قَيْسٌ عَلَى عَمْرٍو يَلُومُهُ ، فَتَلَا حَيًّا ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ : إِنَّهُ قَدْ أَمَرَ عَلَيْكَ ؛
فَسَكَتَ ، وَقَالَ : يَتَأَمَّرُ عَلَى رَجُلٍ قَدْ قَاتَلْتَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عُمَرُ رَجُلٍ !
فَرَجَعَ إِلَى الْعَسْكَرِ ، وَأَقْبَلَ طَلِيحَةَ حَتَّى إِذَا كَانَ بِحِيَالِ السُّكَّرِ ، كَبَّرَ ثَلَاثَ
تَكْبِيرَاتٍ ؛ ثُمَّ ذَهَبَ ، فَطَلَبَهُ الْقَوْمُ فَلَمْ يَدْرُوا أَيْنَ سَلَكَ ! وَسَفَلَ حَتَّى خَاضَ ؛ ثُمَّ
أَقْبَلَ إِلَى الْعَسْكَرِ ، فَأَتَى سَعْدًا فَأَخْبَرَهُ ؛ فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، وَفَرِحَ
الْمُسْلِمُونَ وَمَا يَدْرُونَ مَا هُوَ !

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ قُدَامَةَ الْكَاهِلِيِّ ،
عَمَّنْ حَدَّثَهُ ، أَنَّ عَشْرَةَ إِخْوَةٍ مِنْ بَنِي كَاهِلٍ بَنِ أَسَدٍ ، يُقَالُ لَهُمْ بَنُو
حَرْبٍ ؛ جَعَلَ أَحَدُهُمْ يَرْتَجِزُ لَيْلَتَهُ ، وَيَقُولُ :

أَنَا بِنُ حَرْبٍ وَمَعِيَ مِخْرَاقِي أَضْرِبُهُمْ بِصَارِمٍ رَقْرَاقِي
إِذْ كَرِهَ الْمَوْتَ أَبُو إِسْحَاقٍ وَجَاسَتْ النَّفْسُ عَلَى التَّرَاقِي
• صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهُ الْفِرَاقُ •

٢٣٢٩/١

وَكَانَ عِفَاقُ أَحَدِ الْعَشْرَةِ ، فَأَصِيبَ فَخَذَ صَاحِبِ هَذَا الشَّعْرِ يَوْمئِذٍ ،
فَأَنشَأَ يَقُولُ :

صَبْرًا عِفَاقُ إِنَّهَا الْأَسَاوِرَةُ صَبْرًا وَلَا تَغْرُرُكَ رِجْلُ نَادِرَةٍ
فَمَاتَ مِنْ ضَرْبَتِهِ يَوْمئِذٍ .

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ النَّضْرِ ، عَنْ ابْنِ
الرُّفَيْلِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ أَبِي شَجَّارٍ ، قَالَ : بَعَثَ سَعْدُ طَلِيحَةَ
فِي حَاجَةِ فَتْرِكِهَا ، وَعَبَرَ الْعَتِيقَ ؛ فَدَارَ إِلَى عَسْكَرِ الْقَوْمِ ، حَتَّى إِذَا وَقَفَ عَلَى
رَدَمِ النَّهْرِ كَبَّرَ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ، فَرَأَى أَهْلَ فَارِسَ ، وَتَعَجَّبَ الْمُسْلِمُونَ ،

(١) ابْنُ حَبِيشٍ : « فَأَغَارَ فَثَارَتْ بِهِ » .

فكف بعضهم عن بعض للنظر في ذلك ، فأرسلت الأعاجم في ذلك ،
وسأل المسلمون عن ذلك . ثم إنهم عادوا وجدّوا تعبئة ، وأخذوا في أمر لم يكونوا
عليه في الأيام الثلاثة ، والمسلمون على تعبيتهم ، وجعل طليحة يقول :
لا تعدّوا امرأ ضعضعكم . وخرج مسعود بن مالك الأسديّ وعاصم بن
عمرو التميمي وابن ذى البردين الهلاليّ وابن ذى السهّمين وقيس بن هبيرة
الأسديّ ؛ وأشباههم ، فطاردوا القوم ، وانبعثوا ^(١) للقتال ، فإذا القوم لئمة
لا يشدون ، ولا يريدون غير الزحف ^(٢) : فقدّموا صفّاً له أذنان ، وأتبعوا آخر
مثله : وآخر وآخر . حتّى تمت صفوفهم ثلاثة عشر صفّاً في القلب
والجنبّتين كذلك ؛ فلما أقدم ^(٣) عليهم فرسان العسكر راموهم فلم يعطفهم
ذلك عن ركوبهم ؛ ثم لحقت بالفرسان الكتائب ، فأصيب ليلثنه خالد بن
يعمّر التميمي . ثم العمريّ : فحمل القعقاع على ناحيته التي رمى بها
مزدلفاً ، فقاموا على ساق ، فقال القعقاع ^(٤) :

سقى الله يا أخو صاه قبر ابن يعمر إذا ارتحل السقار لم يترحل
سقى الله أرضاً حلّها قبر خالد ذهاب غوايد مدجنات تجلجل ^(٥)
فأقسمت لا ينفك سيفي يحشهم فإن زحل الأقوام لم أنزحل
فراحنهم والناس على رايانهم بغير إذن سعد ؛ فقال سعد : اللهم اغفرها
له ، وانصره قد أذنت له إذ لم يستأذني ، والمسلمون على مواقفهم ، إلا
من نكّتب أو طاردهم وهم ثلاثة صفوف ، فصفّ فيه الرّجالة أصحاب
الرواح والسيوف ، وصفّ فيه المرامية ، وصفّ فيه الخيول ، وهم أمام الرّجالة ^(٦) ،
وكذلك الميمنة ، وكذلك الميسرة . وقال سعد : إن الأمر الذي صنع القعقاع ،
فإذا كبرت ثلاثاً فازحفوا ، فكبر تكبيرة فتهيّأوا ، ورأى الناس كلهم مثل الذي

(١) ابن حبيش : « وابتعثوا » .

(٢) ابن حبيش : « إلا الزحف » .

(٣) ز : « قدم » .

(٤) ابن حبيش : « وفي ذلك من انشأن يقول القعقاع بن عمرو » .

(٥) في البيت إقواء .

(٦) ابن حبيش : « الرّجال » .

رأى ، والرّحى تدور على القعقاع ومَن معه .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبّيد الله بن عبد الأعلى ، عن عمرو بن مرة ، قال : وقام قيس بن هبيرة المرادى فيمن يليه ، ولم يشهد شيئاً من لياليها إلاّ تلك الليلة ؛ فقال : إنّ عدوّكم قد أبى إلاّ المزاخفة ، والرّأى رأى أميركم ^(١) ، وليس بأنّ تحمل الخيل ليس معها الرّجالة ، فإنّ القوم إذا زحفوا وطاردتهم عدوّهم على الخيل لا رجال معهم عقروا بهم ؛ ولم يطبقوا أن يقدّموا عليهم ، فتيسّروا للحملة . فتيسّروا وانتظروا التّكبير ^(٢) وموافقة حمل الناس ؛ وإنّ نشأب الأعاجم لتجوزُ صفّ المسلمين .

٢٣٣١/١

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن المستنير بن يزيد ، عمّن حدّثه ، قال : وقال دُرَيْد بن كعب النّخعيّ ، وكان معه لواء النّخع : إنّ المسلمين تهبّوا للمزاخفة ، فاسبقوا المسلمين ^(٣) اللّيلة إلى الله والجهاد ، فإنّه لا يسبق اللّيلة أحدٌ إلاّ كان ثوابه على قدر سبّقه ؛ نافسوا في الشهادة ، وطيبوا بالموث نفساً ^(٤) ؛ فإنّه أنجى من الموت إن كنتم تريدون الحياة ، وإلاّ فالآخرة ما أردتم .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الأجلح ، قال : قال الأشعث بن قيس : يا معشر ^(٥) العرب ؛ إنّّه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجراً على الموت ، ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ، تنافسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزّعوا من القتل ، فإنّه أمان الكرام ، ومنايا الشهداء ، وترجّل .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، قال : قال حنظلة بن الربيع وأمرأه الأعشار : ترجّلوا ^(٦) أيّها الناس ، وافعلوا كما نفعل ، ولا تجزّعوا ممّا لا بدّ منه ، فالصّبر أنجى من الفرّج . وفعل طليحة وغالب وحمال وأهل النّجدات من جميع القبائل مثل ذلك .

(٢) ز : « التّكبير » .

(٤) ابن حبيش : « أنفسا » .

(٦) ز : « ترجّلوا » .

(١) ابن حبيش : « الأمير » .

(٣) ابن حبيش : « المؤمنين » .

(٥) ابن حبيش : « معاشر » .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو والنضر بن السريّ ، قالا : ونزل ضرار بن الخطّاب القرشيّ ، وتتابع على التمرّج إليهم الناس كلّهم فيها بين تكبيرات سعد حين ^(١) استبطئوه . فلما كبر الثانية ، حمل عاصم بن عمرو حتى انضمّ إلى القعقاع ، وحملت النخع ، وعصى الناس كلّهم سعداً ، فلم ينتظر ^(٢) الثالثة إلاّ الرؤساء ، فلما كبر الثالثة زحفوا فلحقوا بأصحابهم ، وخالطوا القوم ، فاستقبوا الليل استقبالا بعد ما صلّوا العشاء .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن الوليد بن عبد الله بن أبي طيبة ، عن أبيه ، قال : حمل الناس ليلة الحرير عامّة ؛ ولم ينتظروا بالحملة سعداً ، وكان أول من حمل القعقاع ، فقال : اللهم اغفرها له وانصره . وقال : وأعيماه سائر الليلة ! ثمّ قال : أرى الأمر ^(٣) ما فيه هذا ^(٤) ، فإذا كبرت ثلاثاً فاحملوا . فكبر واحدة فلحقهم ^(٥) أسد ، فقبل : قد حملت أسد ، فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ؛ وأسداه سائر الليلة ! ثمّ قبل : حملت النخع ، فقال : اللهم اغفرها لهم وانصرهم ؛ وانخعا سائر الليلة ! ثمّ قبل : حملت بجيلة ، فقال : اللهم اغفرها لهم ، وانصرهم ؛ وابجيلاته ! ثمّ حملت الكنود ، فقبل : حملت كندة ، فقال : واكنداته ! ثمّ زحف الرؤساء بمن انتظر التكبير ، فقامت حربهم على ساق حتى الصّباح ، فذلك ليلة ^(٦) الحرير .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن نوية ، عن عمّه أنس بن الحليّس ، قال : شهدت ليلة الحرير ، فكان صليل الحديد فيها كصوت القيون ليلة لهم حتى الصّباح ، أفرغ عليهم الصبر إفراغاً ، وبات سعد بليلة لم يبت بمثلها ، ورأى العرب والعجم أمراً لم يروا مثله قطّ ، وانقطعت الأصوات والأخبار عن رستم وسعد ، وأقبل سعد على الدّعاء ، حتى

(١) ز : « حتى » . (٢) ط : « فلم ينتظروا » .

(٣) ابن حبيش : « إن الأمر » . (٤) ز : « ما في هذا » .

(٥) كذا في ابن حبيش ، وفي ط : « فلحقهم » .

(٦) ابن حبيش : « فتلك الليلة » .

إذا كان وجهُ الصُّبحِ ، انتهى الناسُ فاستدلَّ بذلك على أنَّهم الأعلوُّن ، وأنَّ الغلبةَ لهم .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الأعور بن بنان ^(١) المنقري ، قال : أوَّلُ شيءٍ سمعته سعد ليلتذمَّ بما يستدلُّ به على الفتح في نصف الليل الباقي صوتُ القعقاعِ بنِ عمرو وهو يقول :

نحن قتلنا مَعْشَرًا وزئدا أربعةً وخمسةً وواحدا
نُحْسِبُ فوق اللَّبَدِ الأسودا حتَّى إذا ماتوا دعوتُ جَاهِدَا
«اللهُ ربِّي ، واحترزتُ عايدا» *

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو ، عن الأعور ومحمد عن عمه ، والنضر عن ابن الرُّفَيْل ، قالوا : اجتلدوا تلك الليلة من أولِّها حتَّى الصُّباح لا ينطقون ، كلامُهم الحرير ، فسُحِبَت ليلةُ الحرير . ٢٣٣٤/١

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عمرو بن الرِّيَّان ، عن مُصْعَبِ بن سعد ، قال : بعث سعد في تلك الليلة بجاداً وهو غلام إلى الصفِّ . إذ لم يجد رسولا ، فقال : انظر ما ترى من حالهم ؛ فرجع فقال : ما رأيت أَى بُنى ؟ قال : رأيتهم يلعبون ، فقال : أو يَجِدُون !

كتب إلى السريُّ . عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن جرير العَبْدِيُّ ، عن عابس الجُعْفِي ، عن أبيه ، قال : كانت بلازاء جُعْفَى يوم عماس كتيبةٌ من كتائب العجم ، عليهم السلاح التامُّ ، فازدلفوا لهم ، فجالدوهم بالسيوف ، فرأوا أنَّ السيوف لا تعمل في الحديد فارتدعوا ، فقال حمَيْضَةُ : ما لكم ؟ قالوا : لا يجوز فيهم السلاح ، قال : كما أنتم حتَّى أَرِيَكُمْ . انظروا . فحمل على رجل منهم ، فدقَّ ظهره بالرمح ، ثم التفت

إلى أصحابه، فقال : ما أراهم إلا يموتون دونكم . فحملوا عليهم فأزالوهم إلى صفتهم .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد ، عن الشعبي ،
قال : لا والله ما شهدها من كندة خاصة إلا سبعمائة ؛ وكان بإزائهم ترك
الطبري ، فقال الأشعث : يا قوم ازحفوا لهم ، فزحف لهم في سبعمائة ،
فأزالهم وقتل تركا ، فقال راجزهم :

نحن تركنا تركهم في المصطرة مختضباً من بهران الأبهرة

• • •

ليلة القادسية

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزباد ،
قالوا : وأصبحوا ليلة القادسية ؛ وهي صُبْحَة ليلة الهزير ، وهي تسمى ليلة
القادسية ، من بين تلك الأيام والناس حسري ، لم يغمضوا ليلتهم كلها ،
فسار القعقاع في الناس ، فقال : إن الدبيرة بعد ساعة لمن بدأ القوم ، فاصبروا
ساعة واحملوا ، فإن النصر مع الصبر . فأثروا الصبر على الجزع ؛ فاجتمع
إليه جماعة من الرؤساء ، وصددوا لرستم ، حتى خالطوا الذين دونه مع الصبح ؛
ولما رأت ذلك القبائل قام فيها رجال ، فقام قيس بن عبد يغوث والأشعث
ابن قيس وعمرو بن معد يكرب وابن ذى السهمين الخثعمي وابن ذى البردتين
الهلالي ، فقالوا : لا يكونن هؤلاء أجدة في أمر الله منكم ، ولا يكونن
هؤلاء - لأهل فارس (١) - أجراً على الموت منكم ؛ ولا أسخى أنفساً عن
الدنيا ، تنافسوها . فحملوا ممّا يليهم (٢) حتى خالطوا الذين بإزائهم ، وقام
في ربيعة رجال ، فقالوا : أنتم أعلم الناس بفارس وأجرؤهم عليهم فيما مضى ؛
فما يمنعكم اليوم أن تكونوا أجراً مما كنتم بالجرأة ! فكان أول من زال حين
قام قائم الظهيرة الهرمزان والبيرزان . فتأخروا وثبتا حيث (٣) انتها ، وانفرج

(١) ابن الأثير والتويري : « يعني الفرس »

(٢) ابن الأثير : « فيما يليهم » .

(٣) ز : « حين » .

القلب حين قام قائم الظهيرة ، وركد عليهم النّقع ، وهبّت ريحٌ عاصف ،
فقلعت طيّارة رستم عن سريره ، فهوت في العتيق ؛ وهي ذبُور ، ومال الغبار
عليهم ، وانتهى القعقاع ومَن معه إلى السرير فَعَثُوا به ، وقد قام رستم
عنه حين طارت الرّيح بالطيّارة إلى بغال قد قدمت عليه بمال يومئذ فهي واقفة ،
فاستظلّ في ظلّ بغل وحِمْلُه ، وضرب هلال بن عُلُقّة الحِمْل الذي رستم
تحتّه ؛ فقطع جباله ، ووقع عليه أحد العِدْلين ، ولا يراه هلال ولا يشعر
به ؛ فأزال من ظهره فقاراً ، ويضربه ضربة فنفتحت مِسْكاً ، ومضى رستم
نحو العتيق فرمى بنفسه فيه ، واقتحمه هلال عليه ؛ فتناوله وقد عام ؛ وهلال
قائم ، فأخذ برجله ، ثم خرج به إلى الجُدِّ (١) ، فضرب جبينه بالسيف حتى قتله ،
ثم جاء به حتى رى به بين أرجل البغال ، وصعد السرير ، ثم نادى : قتلْتُ
رستم وربّ الكعبة ؛ إلى ؛ فأطافوا به وما يُحسُّون السرير ولا يروّنه ؛ وكبّروا
وتنادوا ، وانبت قلب المشركين عندها وانهمزوا (٢) ، وقام الجالانوس على الرّدْم ،
ونادى أهل فارس إلى العبور ، وانسفر الغبار ؛ فأماً المقترنون فإنّهم جشعوا
فتهافتوا في العتيق ، فوخزهم المسلمون برماحهم فما أفلت منهم مخبرٌ ، وهم ثلاثون ألفاً ،
وأخذ ضرار بن الخطّاب « دِرْقَش كابيّان » ، فعوّض منها ثلاثين ألفاً ،
وكانت قيمتها ألف ألف ومائتي ألف ، وقتلوا في المعركة عشرة آلاف
سوى مَن قتلوا في الأيّام قبله .

٢٣٢٧/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن عمرو بن
سَلَمَة ، قال : قتل هلال بن عُلُقّة رستم يوم القادسية .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن ابن مخراق ، عن
أبي كعب الطائي ، عن أبيه ، قال : أصيب من الناس قبل ليلة الحرير ألفان
 وخمسمائة ، وقتل ليلة الحرير ويوم القادسية ستة آلاف من المسلمين ،
فدُفِنوا في الخندق بحيال مُشرّق .

٢٣٣٨/١

(١) الجُدّ : شاطئ البحر .

(٢) ز : « عنها وانهمزوا » .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : لما انكشف أهل فارس ؛ فلم يَبْقَ منهم بين الخنْدَق والعتيق أحد ، وطَبَّقَتْ (١) القتلى ما بين قُدَيْسٍ والعتيق أمر سعد زُهْرَة باتباعهم ، فنَادَى زُهْرَة في المَقْدَمَات ، وأمر القَعْقَاعَ بِمَنْ سَفَلَ ، وَشَرَحَّيْلَ بِمَنْ عَلَا ، وأمر خالدين عُرْفُطَةَ بِسَلْبِ القتلى وبدَفْنِ الشهداء ، فدَفَنَ الشهداء ، شهداء ليلة الحرير ويوم القادسية ، حول قُدَيْسِ أَلْفَانٍ وخمسمائة وراءَ العتيق بحِجَالٍ مُشْرِقٍ ، ودَفَنَ شهداء ما كان قبل ليلة الحرير على مُشْرِقٍ ، وَجُمِعَتِ الأسلاب والأموالُ فَجُمِعَ منها شيءٌ لم يَجْمَعْ قبله ولا بعده مثله ؛ وأرسل سعد إلى هلال ، فدَعَا له ، فقال : أين صاحبك ؟ قال : رميتُ به تحت أبغُلٍ ؛ قال : اذهب فجئْ به ، فذهب فجاء به ، فقال : جَرَدَهُ إِلَّا مَا شَتَّ ، فَأَخَذَ سَلْبَهُ فلم يَدَعْ عليه شيئاً ، ولما رجع القَعْقَاعُ وَشَرَحَّيْلُ قال لهذا : اغدُ فيما طلب هذا ، وقال لهذا : اغدُ فيما طلب هذا ؛ فعلا هذا ، وسَفَلَ هذا ، حتى بلغا مقدار الحرارة من القادسية ، وخرج زُهْرَة بن الحَوِيَّةِ في آثارهم ، وانتهى إلى الرَّدَمِ وقد بثقوه ليمنعوهم به من الطَّلَبِ ، فقال زُهْرَة : يا بُكَيْرُ ، أقْدِم ، فضرب فرسه ، وكان يقاتل على الإناث ، فقال : ثَبِي أطلالُ ، فتجمعت وقالت : وَتَبَّأَ سورة البَقَرَةِ ! وَوَبَّ زُهْرَة — وكان ٢٣٢٩/١

عن حصان — وسائرُ الخيلِ فاقتحمته ، وتتابع على ذلك ثلثمائة فارس ، ونَادَى زُهْرَة حيث كاعت (٤) الخيل : خذوا أيُّهَا النَّاسُ على القنطرة ، وعارضونا ، فمضى ومضى الناس إلى القنطرة يتَّبِعُونَهُ ، فلحق بالقوم والجالنوس في آخرهم (٥) يَحْمِيهِمْ ، فشاولة (٦) زُهْرَة ، فاختلفا ضربتين ، فقتله زُهْرَة ، وأخذ سلبه ، وقتلوا

(١) ابن حبيش : « وطبق القتلى » .

(٢) ز : « فاقتحمه » .

(٣) ثبي : أنهض وقوى .

(٤) كاعت الخيل : جبت .

(٥) ابن حبيش : « أخراهم » .

(٦) في اللسان عن أبي زيد : « تشاول القوم تشاولا ؛ إذا تناول بعضهم بعضاً عند القتال

بالمِزاج ، والمشاولة مثله » .

ما بين الحرارة إلى السيلّحين ، إلى النجف ، وأمّسوا فرجعوا فباتوا بالقادسية .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبد الله بن شبرمة ، عن شقيق ، قال : اقتحمنا القادسية صدر النهار ، فراجعنا وقد أتى الصلاة ؛ وقد أصيب المؤذن ، فتشاح الناس في الأذان حتى كادوا أن يجتلدوا بالسيوف ، فأقرع سعد بينهم ؛ فخرج سهم رجل فأذّن .

• • •

ثم رجع الحديث . وتراجع الطلب الذين طلبوا من علا على القادسية ومن سفل عنها ، وقد أتى الصلاة وقد قتل المؤذن فتشاحوا على الأذان ، فأقرع بينهم سعد ، وأقاموا بقيّة يومهم ذلك وليلتهم حتى رجع زهرة ، وأصبحوا وهم جميع لا ينتظرون أحداً من جندهم ؛ وكتب سعد بالفتح وبعده من قتلوا ومن أصيب من المسلمين ، وسمى لعمر من يعرف مع سعد بن عُمَيْلَةَ الفزاري .

٢٣٤٠ / ١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر ، عن ابن الرّفَيْل ، عن أبيه ، قال : دعاني سعد ، فأرسلني أنظر له في القتلى ، وأتمى له رؤوسهم ، فأتيته فأعلمته ، ولم أرَ رسم في مكانه ، فأرسل إلى رجل من التّيم يُدعى هلالاً ، فقال : ألم تُبلغني أنّك قتلت رسم ! قال : بلى ، قال : فما صنعت به ؟ قال : ألقيته تحت قوائم الأُبُغُل ، قال : فكيف قتلته ؟ فأخبره ، حتّى قال : ضربت جبينه وأنفّه . قال : فجننا به ، فأعطاه سلّبه ، وكان قد تخفّف حين وقع إلى الماء ، فباع النّدى عليه بسبعين ألفاً ، وكانت قيمة قلنسوته مائة ألف لو ظفر بها . وجاء نفر من العباد حتى دخلوا على سعد ، فقالوا : أيّها الأمير ؛ رأينا جسد رسم على باب قصرِكَ وعليه رأس غيره ؛ وكان الضرب قد شوّهه ؛ فضحك .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة وزياد ، قالوا : وقال الديّلم ورؤساء أهل المسالّح الذين استجابوا للمسلمين ، وقتلوا معهم على غير الإسلام : إخواننا الذين دخلوا في هذا الأمر من أوّل الشّأن أصوب منّا وخير ، ولا والله لا يُفْلَح أهلُ فارس بعد رسم إلا من دخل في

٢٣٤١ / ١

هذا الأمر منهم ؛ فأسلموا ؛ وخرج صبيان العسكر في القتلى ، ومعهم
الأدوى يسقون من به رَمَقٌ من المسلمين ، ويقتلون من به رَمَقٌ من
المشركين ، وانحدروا من العُدَيْب مع العشاء . قال : وخرج زهرة في طلب
الجالنوس ، وخرج القعقاع وأخوه وشرجيل في طلب من ارتفع وسفل ،
فقتلوه في كل قرية وأجامة وشاطيء نهر : ورجعوا فوافوا صلاة الظهر ،
وهنا الناس أميرهم ، وأنى على كل حتى خيراً . وذكره منهم .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ،
قال : خرج زهرة حتى أدرك الجالنوس ؛ ملكاً من ملوكهم ؛ بين الحرارة
والسليحين ، وعليه يارقان^(١) وقلبان^(٢) وقرطان على بيرذون له قد
خَصِدَ ، فحمل عليه ، فقتله . قال : والله إن زهرة يومئذ لعلى فرس له
ما عنانها إلا من حبيل مضفور كالميقود ، وكذلك حزامها شعراً منسوج ،
فجاء بسلبه إلى سعد ، فعرف الأسارى الذين عند سعد سلبه ، فقالوا : هذا
سلب الجالنوس ، فقال له سعد : هل أعانك عليه أحد ؟ قال : نعم ، قال :
من ؟ قال : الله ، فنقله سلبه .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم ،
قال : كان سعد استكثر له سلبه ، فكتب فيه إلى عمر ، فكتب إليه عمر : إننى
قد نزلت من قتل رجلاً سلبه ؛ فدفعه إليه فباعه بسبعين ألفاً .

وعن سيف ، عن البرمكان ، والجلد عن الشعبي ، قال : لحق به زهرة ،
فرفع له الكرة فما يخطئها بنشابة ، فالتقى فضر به زهرة فجذله — ولزهرة
يومئذ ذؤابه وقد سود في الجاهلية ، وحسن بلاؤه في الإسلام و [له] سابقة ،
وهو يومئذ شاب — فتدرع زهرة ما كان على الجالنوس ، فبلغ بضعة وسبعين

(١) في اللسان : « اليارق : ضرب من الأسورة : قال شبرمة بن الطفيل :

لعمرى لظي عند باب ابن محرز أغنّ عليه اليارقان مشوف
أحب إليكم من بيوت عمادها سيوف وأرماح هن حفيف

(٢) القلب ، بالضم : سوار للمرأة إذا كان مفتولا من طاق .

ألفاً . فلما رجع إلى سعد نزع سلبه ، وقال : ألا انتظرت إذ أتى ! وتكاتبا ، فكتب عمر إلى سعد : تَعَمِدْ إلى مثل زهرة - وقد صلبى بمثل ما صلبى به ، وقد بَقِيَ عليك من حربك ما بَقِيَ - تكسر قرْنَه ، وتُفْسِد قلبه ! أمض له سلبه ، وفضله على ^(١) أصحابه عند العطاء بخمسمائة .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن عصمة ، قال : كتب عمر إلى سعد : أنا أعلم بزُهرة منك ، وإن زهرة لم يكن ليغيَّب من سلب سلبه شيئاً ، فإن كان الذي سعى به إليك كاذباً فللقاه الله مثل زهرة ، في عضدَيْه يا رِقَان ؛ وإني قد نَقَلْتُ كلَّ مَنْ قَتَلَ رجلاً سلبه ؛ فدفعه إليه قباعة بسبعين ألفاً . ٢٣٤٣/١

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن إبراهيم وعامر ، أن أهل البلاء يوم القادسية فُضِّلُوا عند العطاء بخمسمائة خمسمائة في أعطياتهم ، خمسة وعشرين رجلاً ؛ منهم زهرة ، وعصمة الضبِّي ، والكلج . وأما أهل الأيَّام ، فإنه فَرِضَ لهم على ثلاثة آلاف فُضِّلُوا على أهل القادسية .

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن يزيد الضَّخَم ، قال : قُتِلَ لعمر : لو ألحقت بهم أهل القادسية ! فقال : لم أكن لألحقَ بهم من لم يدرَكم . وقيل له في أهل القادسية : لو فضلت مَنْ بَعُدَتْ دَارُه على مَنْ قَاتَلَهُم بفنائهم ! قال : وكيف أفضَّلُهُم عليهم على بعد دارهم ، وهم شَجَنَ العدو ، وما سوَّيت بينهم حتَّى استطبتهم ؛ فهلاًّ فعل المهاجرون بالانتصار إذ قاتلوا بفنائهم مثل هذا !

وعن سيف ، عن المجالد ، عن الشعبي ، وسعيد بن المرزبان عن رجل من بني عبس ، قال : لمَّا زال رسم عن مكانه ركب بغلاً ، فلمَّا دنا منه هلال نزع له نَشَابَةً ، فأصاب قدمه فشكَّها في الرُّكَّاب ، وقال : « بيايَه » ^(٢) ، فأقبل عليه هلال . فزَل ، فدخل تحت البغل ، فلمَّا لم يصل إليه قطع عليه المال ، ثم نزل إليه فقلق هامته . ٢٣٤٤/١

وعن سيف ، عن عبيدة ، عن شقيق ، قال : حملنا على الأعاجم يوم القادسية حملة رجل واحد ، فهزمهم الله ، فلقد رأيتني أشرتُ إلى أسوارٍ منهم

(١) ز : « عن » .

(٢) كلمة فارسية ، معناها « كما انت » ، وانظر ص ٥٧٧ من ١ من هذا الجزء .

فجاء إلى وعليه السلاح التام ، فضربت عنقه ، ثم أخذت ما كان عليه .

وعن سيف ، عن سعيد بن المرزبان ، عن رجل من بني عَبَس ، قال : أصاب أهل فارس يومئذ بعد ما انهزموا ما أصاب الناس قبلهم ؛ قتلوا حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقوم بين يديه ، فيضرب عنقه ، وحتى إنّه ليأخذ سلاحة فيقتله به ، وحتى إنّه ليأمر الرجلين أحدهما بصاحبه ؛ وكذلك في العدة .

وعن سيف ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن أبيه ، عن شهدائها ، قال : أبصر سلمان بن ربيعة الباهلي أناساً من الأعاجم تحت راية لهم قد حفروا لها ، وجلسوا تحتها ، وقالوا : لا نبرح حتى نموت ، فحمل عليهم فقتل من كان تحتها وصبهم . وكان سلمان فارس الناس يوم القادسية ، وكان أحد الذين مالوا بعد الهزيمة على من ثبت ، والآخر عبد الرحمن ابن ربيعة ذو النور ، ومال على آخرين قد تكتبوا ، ونصبوا للمسلمين فطحنهم بخيله .

٢٣٤٥/١ وعن سيف ، عن الغصن ، عن القاسم ، عن البهي ، أن الشعبي قال : كان يقال : لسلمان أبصر بالمفاصل من الجازر بمفاصل الجزور . فكان موضع المَجَسس اليوم دار عبد الرحمن بن ربيعة ، والتي بينها وبين دار المختار دار سلمان ؛ وإن الأشعث بن قيس استقطع فناء كان قد أمها ، هو اليوم في دار المختار ، فأقطعه فقال له : ما جرأك على يا أشعث ؟ والله لئن حُرِّتْهَا لأضربنك بالجُنْثِي — يعني سيفه — فانظر ما يبقى منك بعد ، فصدف عنها ولم يتعرض لها .

وعن سيف ، عن المهلب ومحمد وطلحة وأصحابه ، قالوا : وثبت بعد الهزيمة بضع وثلاثون كتيبة ، استقتلوا واستحيوا من الفرار ، فأبادهم الله ، فصمد لهم بضع وثلاثون من رؤساء المسلمين ، ولم يُتَبْعوا فالة القوم ، فصمد سلمان بن ربيعة لكتيبة وعبد الرحمن بن ربيعة ذو النور لأخرى ؛ وصمد لكل كتيبة منها رأس من رؤساء المسلمين . وكان قتال أهل هذه الكتائب ،

من أهل فارس على وجهين ، فمنهم من كَتَبَ فُهْرَب ، ومنهم مَنْ ثَبِتَ
 حَتَّى قَتَلَ ؛ فَكَانَ مَسْنً هَرَبَ مِنْ أَمْرَاءِ تِلْكَ الْكُتَاتِبِ الْمُرْمُزَانِ وَكَانَ بِلِزَاءِ
 عَطَارِدَ ، وَأَهْوَدَ وَكَانَ بِلِزَاءِ حَنْظَلَةَ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَهُوَ كَاتِبُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَزَادُ بْنُ بُهَيْشٍ وَكَانَ بِلِزَاءِ عَاصِمِ بْنِ عَمْرٍو ، وَقَارَنَ وَكَانَ بِلِزَاءِ
 الْقَعْقَاعِ بْنِ عَمْرٍو ؛ وَكَانَ مِمَّنْ اسْتَقْتَلَ شَهْرِيَارَ بْنَ كِنَارٍ وَكَانَ بِلِزَاءِ سُلَيْمَانَ .
 وَابْنُ الْهَرَبِيدِ وَكَانَ بِلِزَاءِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَالْفَرَّخَانُ الْأَهْوَازِيُّ وَكَانَ بِلِزَاءِ بُسْمَرَ بْنِ
 أَبِي رُحَيْمٍ الْجَهَنِيِّ ، وَخُسْرَوْنُشُومُ الْهَمْدَانِيُّ وَكَانَ بِحِيَالِ ابْنِ الْهَذِيلِ
 الْكَاهِلِيِّ .

ثم إن سعداً أتبع بعد ذلك القعقاع وشرحبيل من صوب في هزيمته أو
 صعد عن العسكر وأتبع زهرة بن الحوية الجالونوس .

...

• ذكر حديث ابن إسحاق :

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .
 قال : ومات المثنى بن حارثة ، وتزوج سعد بن أبي وقاص امرأته
 سلمى ابنة خَصَنَةَ وذلك في سنة أربع عشرة . وأقام تلك الحجة
 للنَّاسِ عمر بن الخطاب . ودخل أبو عبيدة بن الجراح تلك السنة دمشق ،
 فشتا بها ، فلما أصافت الروم سار هِرَقْلُ في الروم حتى نزل أنطاكية
 ومعه من المستعربة لَحْمٌ وَجَذَامٌ وَبَلَقِيْنٌ وَبَلَكِيْ وَغَامِلَةٌ ، وتلك القبائل من
 قُضَاعَةَ ، غَسَّانَ بِشَرِّ كَثِيرٍ ؛ ومعه من أهل أَرْمِينِيَّةِ مثل ذلك ، فلما
 نزلوا أقام بها ، وبعث الصَّقَلَارَ بِخَصِيٍّ لَهُ ، فسار بمائة ألف مُقَاتِلٍ ، معه من
 أهل أَرْمِينِيَّةِ اثنا عشر ألفاً ، عليهم جَرَجَةٌ ، ومعه من المستعربة من غَسَّانَ وتلك
 القبائل من قُضَاعَةَ اثنا عشر ألفاً عليهم جَبَلَةٌ بن الأيهم العسائي ، وسائرهم
 من الروم ؛ وعلى جماعة الناس الصَّقَلَارَ خَصِيَّ هِرَقْلَ ؛ وسار إليهم المسلمون

وهم أربعة وعشرون ألفاً عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، فالتقوا باليرموك في رجب سنة خمس عشرة ؛ فاقتتل الناس قتالا شديداً حتى دُخِلَ عسكر المسلمين ، وقاتل نساء من نساء قريش بالسيوف حين دُخِلَ العسكر — منهن أم حكيم بنت الحارث بن هشام — حتى ساقن^(١) الرجال ، وقد كان انضم إلى المسلمين حين ساروا إلى الروم ناس من لَحْمٍ وجُذَام ؛ فلمَّا رأوا جيد القتال فرَّوا ونجوا إلى ما كان قُرْبَهُمْ من القرى ، ونخلوا المسلمين .

٢٣٤٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : قال قاتل من المسلمين حين رأى من لحم وجذام ما رأى :

القَوْمُ لَحْمٌ وَجُذَامٌ فِي الْمَرْبِ وَنَحْنُ وَالرُّومُ بِمَرْجٍ نَضْطَرِبُ
فَإِنْ يَعُودُوا بَعْدَهَا لَا نَضْطَحِبُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب ابن كيسان ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : كنت مع أبي الزبير عام اليرموك ؛ فلمَّا تعبى المسلمون للقتال ، لبس الزبير لأمته ، ثم جلس على فرسه ، ثم قال لموليين له : احبسا عبد الله بن الزبير معكما في الرِّحْلِ ؛ فإنه غلام صغير . قال : ثم توجه فدخل في الناس ؛ فلمَّا اقتتل النَّاسُ والروم نظرت إلى ناس يقوف على تلٍّ لا يقاتون مع الناس . قال : فأخذت فرساً للزبير كان خلَّفه في الرِّحْلِ فركبته ، ثم ذهبت إلى أولئك الناس فوقفت معهم ؛ فقلت : أنظر ما يصنع الناس ؛ فإذا أبو سفيان بن حرب في مَشِيخة من قريش من مهاجرة النتح وقوفاً لا يقاتلون ؛ فلمَّا رأوني رأوا غلاماً حدثاً ، فلم يتقوني . قال : فجعلوا والله إذا مال المسلمون وركبتهم الحرب ، للروم يقولون : إيه إيه بلاصْفَر! فإذا مالت الروم وركبهم المسلمون ، قالوا : يا ويح بلاصْفَر! فجعلت أعجب من قولهم ، فلمَّا هزم الله الروم ورجع الزبير ، جعلت أحدثه

٢٣٤٩/١

خبرهم . قال : فجعل يضحك ويقول : قاتلهم الله ، أبواً إلاّ ضِغْتاً ! وماذا لهم إن يظهروا علينا الروم ! لنحن خير لهم منهم .

ثم إن الله تبارك وتعالى أنزل نصره ، فهزمت الروم وجموع هرقل التي جمع ، فأصيب من الروم أهل إرمينية والمستعربة سبعون ألفاً ، وقتل الله الصقلار وباهان ؛ وقد كان هرقل قدّمه مع الصقلار حين لحقه ، فلما هزمت الروم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم في طلبهم ، فسلك الأعماق حتى بلغ مَلَطِيَّة ، فصالحه أهلها على الجزية ، ثم انصرف ، ولما سمع هرقل بذلك بعث إلى مقاتلتها ومن فيها ، فساقهم إليه ، وأمر بمَلَطِيَّة فحُرِّقَتْ . وقتل من المسلمين يوم اليرموك من قريش من بني أمية بن عبد شمس عمرو بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد بن العاص ؛ ومن بني مخزوم عبد الله بن سفيان بن عبد الأسد ، ومن بني سهم سعيد بن الحارث بن قيس .

قال : وفي آخر سنة خمس عشرة ، قتل الله رسماً بالعراق ؛ وشهد أهل اليرموك حين فرغوا منه يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص ، وذلك أن سعداً حين حصر عنه الشتاء ، سار من شِراف يريد القادسية ، فسمع به رسماً ، فخرج إليه بنفسه ؛ فلما سمع بذلك سعد وقف ، وكتب إلى عمر يستمدّه ؛ فبعث إليه عمر المغيرة بن شعبه الثقفي في أربعمائة رجل مدداً من المدينة ، وأمدّه بقيس ابن مكشوح المرادي في سبعمائة ، فقدموا عليه من اليرموك . وكتب إلى أبي عبيدة : أن أمدّ سعد بن أبي وقاص أمير العراق ^(١) بألف رجل من عندك ؛ ففعل أبو عبيدة ، وأمر عليهم عياض بن غنم الفِهْرِيّ ؛ وأقام تلك الحِجَّة للناس عمر بن الخطاب سنة خمس عشرة .

٢٣٥٠/١

وقد كان لكسرى مُرابطة في قصر بني مقاتل ، عليها النُعمان بن قبيصة ؛ وهو ابن حية الطائي ابن عم قبيصة بن إلياس بن حية الطائي صاحب الحيرة ؛ فكان في منظرة له ، فلما سمع بسعد بن أبي وقاص سأل عنه عبد الله بن سنان ابن جرير الأسدي ؛ ثم الصَّيدَاوِيّ ، فقيل له : رجل من قريش ، فقال :

(١) ابن حبيش : « سعدا بالعراق » .

أَمَّا إِذْ كَانَ قُرَشِيًّا فَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَاللَّهِ لَأُجَاهِدَنَّهُ الْقِتَالَ ؛ إِنَّمَا قَرِيشُ عَيْبِدِ
مَنْ غَلَبَ ؛ وَاللَّهِ مَا يَمْنَعُونَ خَفِيرًا ، وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْ بِلَادِهِمْ إِلَّا بِخَفِيرٍ ^(١) ؛
فَغَضِبَ حِينَ قَالَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَنَانِ الْأَسَدِيِّ ، فَأَمْهَلَهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ
عَلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَوَضَعَ الرَّمْحَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ لَحِقَ بِسَعْدٍ فَأَسْلَمَ . وَقَالَ فِي
قَتْلِهِ النُّعْمَانُ بْنُ قَبِيصَةَ :

لَقَدْ غَادَرَ الْأَقْوَامُ لَيْلَةً أَذْجَلُوا بِقَصْرِ الْعِبَادِي ذَا الْفَعَالِ مُجَدَّلَا
دَلَقْتُ لَهُ تَحْتَ الْعَجَاجِ بَطْمَنَةً فَأَصْبَحَ مِنْهَا فِي النَّجِيعِ مُرْمَلًا ^(٢)
أَقُولُ لَهُ وَالرَّمْحَ فِي نَفْضِ كَتِفِهِ ^(٣) أَبَا عَامِرٍ عَنْكَ الْيَمِينُ تَحَلَّلَا
سَقَيْتُ بِهَا النُّعْمَانَ كَأَسَا رَوِيَّةً وَعَاطَيْتُهُ بِالرُّمَحِ سَمًّا مُثْمَلًا ^(٤)
تَرَكْتُ سَبَاعَ الْجَوِّ يَعْرِفُنْ حَوْلَهُ وَقَدْ كَانَ غِنَاهَا لِابْنِ حَيَّةٍ مَعَزِلَا
كَفَيْتُ قَرِيشًا إِذْ تَغَيَّبَ جَمْعُهَا وَهَدَمْتُ لِلنُّعْمَانِ عِزًّا مُؤَنَّلَا

وَلَمَّا لَحِقَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ الْمَغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ وَقَيْسُ بْنُ مَكْشُوحٍ فِيمَنْ
مَعَهُمَا ، سَارَ إِلَى رَسْتَمٍ حِينَ سَمِعَ بِهِ حَتَّى نَزَلَ قَادِسَ - قَرْيَةً إِلَى جَانِبِ الْعُدَيْبِ -
فَنَزَلَ النَّاسَ بِهَا ، وَنَزَلَ سَعْدُ فِي قَصْرِ الْعُدَيْبِ ، وَأَقْبَلَ رَسْتَمَ فِي جُمُوعِ فَارَسَ
سِتِينَ أَلْفًا مِمَّا أَحْصَى لَنَا فِي دِيْوَانِهِ ، سِوَى التَّبَاعِ وَالرَّقِيقِ ، حَتَّى نَزَلَ الْقَادِسِيَّةَ
وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ جَسْرٌ ^(٥) الْقَادِسِيَّةَ ، وَسَعْدُ فِي مَنَزَلِهِ وَجَيْعٌ ، قَدْ خَرَجَ
بِهِ قَرَحٌ شَدِيدٌ ، وَمَعَهُ أَبُو مِحْجَجَنَ بْنُ حَبِيبٍ التَّقْفِيُّ مُحْبُوسٌ فِي الْقَصْرِ ، حَبَسَهُ
فِي شَرْبِ الْخَمْرِ ، فَلَمَّا أَنْ نَزَلَ بِهِمْ رَسْتَمَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَنْ ابْعَثُوا إِلَيَّ رَجُلًا مِنْكُمْ
جَلِيدًا أَكَلَمَهُ ، فَبْعَثُوا إِلَيْهِ الْمَغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ ، فَجَاءَهُ وَفَدَّ فَرَّقَ رَأْسَهُ أَرْبَعَ
فَرَقَ : فَرَقَةً مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى قَفَاهُ ، وَفَرَقَةً إِلَى أَذْنِيهِ ، ثُمَّ عَقَصَ شَعْرَهُ ، وَلَبَسَ
بُرْدًا لَهُ ، ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسْتَمَ ، وَرَسْتَمُ مِنْ وَرَاءِ الْجَسْرِ الْعَتِيقِ مِمَّا يَلِي

(١) ابن الأثير : « بخفين » . (٢) مرملا ، أى ملطحا .

(٣) نفّض الكتف : أعلى منقطع الغضروف . (٤) المثل : السم النافع .

(٥) ط : « العتيق جسر القادسية » ، وكلمة « العتيق » مقحمة ، فيما يبدو ، للشرح .

العراق ، والمسلمون من ناحيته الأخرى ممّا بلى الحجاز فيما بين القادسيّة والعُدَيب ، فكلّمه رستم ، فقال : إنكم معشر العرب كنتم أهل شقاء وجهد ، وكنتم تأتوننا من بين تاجر وأجير ووافد ، فأكلتم من طعامنا ، وشربتم من شرابنا ، واستظللتم من ظِلّنا ؛ فذهبتُم فِدَعوتُم أصحابكم ، ثم أتيتُمونا بهم ، وإنما مثلكم مثَل رجل كان له حائط من عِنَب ، فرأى فيه ثعلباً واحداً ، فقال : ما ثعلب واحد ! فانطلق الثعلب ، فدعا الثعلاب إلى الحائط ؛ فلما اجتمعن فيه جاء الرجل فسدّ الجحر الذي دخلن منه ، ثم قتلهن جميعاً . وقد أعلم أن الذي حملكم على هذا معشر العرب الجَهْدُ الذي قد أصابكم ؛ فارجعوا عنّا عامكم هذا ، فإنكم قد شغلتمونا عن عمارة بلادنا ، وعن عدوتنا ، ونحن نُؤقِر لكم ركائبكم قمحاً وتمراً ، ونأمر لكم بكُسوة ، فارجعوا عنّا عافاكم الله !

فقال المغيرة بن شعبة : لا تذكُر لنا جهداً إلاّ وقد كنا في مثله أو أشدّ منه ؛ أفضلنا في أنفسنا عيشاً الذي يقتل ابنَ عمّه ، ويأخذ ماله فيأكله ، نأكل الميتة والدم والعضّام ، فلم نزل كذلك حتّى بعث الله فينا نبياً ، وأنزل عليه الكتاب ، فدعانا إلى الله وإلى ما بعث به ، فصدّقناه منّا مصدّق ، وكذّبناه منّا آخر ، فقاتل من صدّقناه من كذبه ، حتّى دخلنا في دينه ؛ من بين مؤيّن به ، وبين مقهور ؛ حتّى استبان لنا أنه صادق ، وأنه رسول من عند الله . فأمرنا أن نقاتل من خالفنا ، وأخبرنا أن من قُتل منّا على دينه فله الجنة ، ومن عاش ملك وظهير على من خالفه ؛ فنحن ندعوك إلى أن تؤمن بالله ورسوله ، وتدخل في ديننا ، فإن فعلت كانت لك بلادك ، لا يدخل عليك فيها إلاّ من أحببت ، وعليك الزكاة والخُمس ، وإن أبيتَ ذلك فالجزية ؛ وإن أبيتَ ذلك قاتلناك حتّى يحكم الله بيننا وبينك .

قال له رستم : ما كنت أظن أني أعيش حتّى أسمع منكم هذا معشر العرب . لا أمسى غداً حتّى أفرغ منكم وأقتلكم كلّكم . ثم أمر بالعتيق أن يسكّر ، فبات ليلته يسكر بالبراذع^(١) والتراب والقَصَب حتّى أصبح ، وقد تركه طريقاً مهتِئاً ، وتعبّى له المسلمون ، فجعل سعد على جماعة الناس خالد بن

(١) ط : « بالزرع » ، والصواب ما أثبتّه ، وانظر ص ٥٢٩ من ١٥ من هذا الجزء .

عُرْفُطَةَ حَلِيفِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيمَنَةِ النَّاسِ جَرِيرَ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيَّ ، وَجَعَلَ عَلَى مِيمَرَتِهِمْ قَيْسَ بْنَ الْمَكْشُوحِ الْمُرَادِيَّ .

ثُمَّ زَحَفَ إِلَيْهِمْ رِسْمٌ ، وَزَحَفَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ ، وَمَا عَامَّةُ جُنُودِهِمْ — فِيمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنِ أَبِي بَكْرٍ — غَيْرِ بَرَاذِعِ الرَّحَالِ ، قَدْ عَرَضُوا فِيهَا الْجَرِيدَ ، يَرْتَسُونَ بِهَا ٢٣٥٤/١

عَنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَمَا عَامَّةُ مَا وَضَعُوهُ عَلَى رِءُوسِهِمْ إِلَّا أَنْسَاعَ الرَّحَالِ ، يَطْوِي الرَّجُلُ نِسْعَ رَحْلِهِ عَلَى رَأْسِهِ يَتَّقِي بِهِ ، وَالْفُرسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ مِنَ الْحَدِيدِ وَالْيَلَامِقِ ؛

فَاقْتَتَلُوا قِتَالًا شَدِيدًا ، وَسَعِدَ فِي الْقَصْرِ يَنْظُرُ ، مَعَهُ سَلَمَةُ بِنْتُ خَصِصَةَ ؛ وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ الْمُثَنَّى بْنِ حَارِثَةَ ، فَجَالَتِ الْخَيْلُ ، فَرَعِبَتْ سَلَمَةُ حِينَ رَأَتْ الْخَيْلَ جَالَتِ ،

فَقَالَتْ : وَامْثَلِيَّاهُ وَلَا مِثْنِيَّ لِي الْيَوْمَ ! فَنَارَ سَعْدَ فَلْطَمَ وَجْهَهَا ، فَقَالَتْ : أَغْيِرَةً وَجُبْنًا ! فَلَمَّا رَأَى أَبُو مِخْجَنٍ مَا تَصْنَعُ الْخَيْلُ حِينَ جَالَتِ ، وَهُوَ

يَنْظُرُ مِنْ قَصْرِ الْعُدَيْبِ وَكَانَ مَعَ سَعْدٍ فِيهِ ، قَالَ :

كَفَى حَزَنًا أَنْ تَرْدِي الْخَيْلَ بِالْقَنَا وَأَتْرَكَ مَشْدُودًا عَلَى وَثَاقِيَا^(١)

إِذَا قُمْتُ عَنَّا فِي الْحَدِيدِ وَأَغْلَقْتُ مَصَارِيعُ دُونِي لَا تُجِيبُ الْمُنَادِيَا

وَقَدْ كُنْتُ ذَا مَالٍ كَثِيرٍ وَإِخْوَةٍ فَقَدْ تَرَكُونِي وَاحِدًا لَا أُخَالِيَا

فَكَلَّمْتُ زَبْرَاءَ أُمَّمَ وَلَدَ سَعْدٍ — وَكَانَ عِنْدَهَا مَجْبُورًا ، وَسَعِدَ فِي رَأْسِ الْحَصَنِ ٢٣٥٥/١

يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ — فَقَالَ : يَا زَبْرَاءُ ، أَطْلِقِينِي وَلَكِ عَلَى عَهْدِ اللَّهِ وَمِيثَاقِهِ ،

لَئِنْ لَمْ أَقْتُلْ لَأَرْجِعَنَّ إِلَيْكَ حَتَّى تَجْعَلَ الْحَدِيدَ فِي رِجْلِي ، فَأُطْلِقْتَهُ وَحَمَاتِهِ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ بَلَقَاءَ وَخَلَّتْ سَبِيلَهُ ، فَجَعَلَ يَشْدُو عَلَى الْعَدُوِّ وَسَعْدُ يَنْظُرُ . فَجَعَلَ سَعْدُ

يَعْرِفُ فَرَسَهُ وَيُنْكِرُهَا ، فَلَمَّا أَنْ فَرَّغُوا مِنَ الْقِتَالِ ؛ وَهَزَمَ اللَّهُ جُمُوعَ فَارِسَ ، رَجَعَ أَبُو مِخْجَنٍ إِلَى زَبْرَاءَ ، فَأَدْخَلَ رِجْلَهُ فِي قَيْدِهِ ، فَلَمَّا نَزَلَ سَعْدُ مِنْ رَأْسِ

الْحَصَنِ رَأَى فَرَسَهُ تَعْرِقُ ، فَعَرَفَ أَنَّهَا قَدْ رُكِبَتْ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ زَبْرَاءَ ، فَأَخْبَرَتْهُ خَبَرَ أَبِي مِخْجَنٍ فَخَلَّى سَبِيلَهُ .

(١) ردى الشرس يردى ، إذا عدا نرجم الأرض رجما .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : وقد كان عمرو بن معديكرب شهيد القادسية مع المسلمين .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود النخعي ، عن أبيه ، قال : شهدت القادسية ؛ فلقد رأيت غلاماً منّا من النخع يسوق ستين أو ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار . فقلت : لقد أذلّ الله أبناء الأحرار !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، مولى بجيلة ، عن قيس بن أبي حازم البجليّ - وكان ممن شهد القادسية مع المسلمين - قال : كان معنا يوم القادسية رجل من ثقيف ، فلقى بالفرس مرتداً ، فأخبرهم أنّ بأس الناس في الجانب الذي به بجيلة . قال : وكُنّا رُبع النَّاس ؛ فوجّهوا إلينا ستة عشر فيلاً وإلى سائر الناس فيليّن ، وجعلوا يُلْقون تحت أرجل خيولنا حسك الحديد ، ويرشقوننا بالنشّاب ، فكأنّه المطر علينا ، وقرنوا خيلهم بعضها إلى بعض لئلا يفروا . قال : وكان عمرو بن معديكرب يمرّ بنا فيقول : يا معشر المهاجرين ، كونوا أسوداً ، فإنّما الأسد من أغنى شأنه ؛ فإنّما الفارسيّ تيمس إذا ألقي نيزكه .

قال : وكان أسوار منهم لا يكاد تسقط له نشّابة ، فقلنا له : يا أبا ثور ، اتق ذلك الفارسيّ فإنه لا تقع له نشّابة ؛ فتوجّه إليه ورماه الفارسيّ بنشّابة فأصاب قوسه ، وحمل عليه عمرو فاعتنقه فذبحه ، واستلبه سوارين من ذهب ومنطقة من ذهب ويكتمقاً^(١) من ديباج ، وقتل الله رسماً ، وأفاء على المسلمين عسكره وما فيه ، وإنّا المسلمون ستة آلاف أو سبعة آلاف ، وكان الذي قتل رسم هلال بن علفه التيميّ رآه فتوجّه إليه ، فرماه رسماً بنشّابة فأصاب قدمه وهو يتبعه ، فشكّها إلى ركاب سرّجه ، ورسماً يقول بالفارسية :

(١) اليلق : القباء المخشوش .

« بيايه » ، أَيْ « كما أنت » ؛ وحمل عليه هلال بن علفقة فضربه فقتله ، ثم احتزَّ رأسه فعلقه ، وولَّت الفرَس فأتبعهم المسلمون ^(١) يقتلونهم ^(٢) ؛ فلما بلغت الفرَس الحرَّارة نزلوا فشربوا من الخمر ، وطعموا من الطعام ، ثم خرجوا يتعجبون من رميهم ، وأنَّه لم يعمل في العرب . وخرج جالنوس فرفعوا له كُرَّةً فهو يرميها ويشكها بالنشاب ، ولحق بهم فرسان من المسلمين وهم هنالك ، فشَدَّ على جالنوس زُهرة بن حَوَيَّْة التميمي فقتله ، وانهزمت الفرَس ، فلحقوا بدِير قُرَّة وما وراءه ، ونهض سعد بالمسلمين حتى نزل بدِير قُرَّة على من هنالك من الفرَس ؛ وقد قدم عليهم وهم بدِير قُرَّة عياض بن غنم في مدده من أهل الشام ، وهم ألف رجل ، فأَسْهَمَ له سعد ولأصحابه مع المسلمين فيما أصابوا بالقادسية ، وسعد وجَّع من قَرَحته تلك ، وقال جرير ابن عبد الله :

أنا جريرٌ كُنيتي أبو عمرو قد نصرَ اللهُ وسعدٌ في القَصْرِ
وقال رجل من المسلمين أيضاً :

نُقاتِلُ حتى أنزلَ اللهُ نصرَه وسعدٌ يباب القادسية مُنْصَمُ
فأبنا وقد آمت نساء كثيرة ونسوة سعدٍ ليسَ فيهنَّ أيمٌ

قال : ولما بلغ ذلك من قولهما سعداً ، خرج إلى الناس فاعتذر إليهم ، وأراهم ما به من القَرَح في فَخْدَيْهِ وأَلْيَتَيْهِ ، فعذره الناس ، ولم يكن سعد لَعَمْرَى يُجِبْنَ ؛ فقال سعد يجيب جريراً فيما قال :

وما أَرْجُو بِجَمَلَةٍ غَيْرِ أَنِّي أوَمِّلُ أَجْرَهُمَ يومَ الحِسابِ
فقد لَقِيتُ خِيُولَهُمُ خِيولاً وقد وَقَعَ القَوَارِسُ في ضرابِ
وقد دَلَقْتُ بَعَرَضَتَهُمَ فيولٌ كأنَّ زُهَاءَها إِبِلٌ جِرَابٌ ^(٣)

(١) ز : « وأتبعهم » .

(٢) ابن حيش : « فقتلهم » .

(٣) في البيت إقواء .

ثم إنَّ الفرس هربت من دير قُرة إلى المدائن يريدون نِهاوند ، واحتملوا معهم الذهب والفضة والديباج والفريرند والحريير والسلاح وثياب كسرى وبناته ، وخلّوا ما سوى ذلك ، وأتبعهم سعد الطلب من المسلمين ، فبعث خالد بن عُرْفُطة حليف بني أمية ، ووجهه معه عياض بن غنم في أصحابه ، وجعل على مقدّمة النَّاس هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ، وعلى ميمتهم جرير بن عبد الله البجلي ، وعلى ميسرتهم ^(١) زهرة بن حَبِيبَةَ التميمي ، وتخلّف سعد لما به من الوجع ؛ فلَمَّا أفاق سعد من وجعه ذلك اتّبع النَّاسَ بمن بقي معه من المسلمين ؛ حتى أدركهم دون دجلة على بَهْرَسِير ، فلَمَّا وضعوا على دجلة العسكر والأنقال طلبوا المخاضة ، فلم يتهدوا لها ؛ حتى أتى سعداً عليّج من أهل المدائن ، فقال : أدلّكم على طريق تُدركونهم قبل أن يُمّعنوا في السير ! فخرج بهم على مخاضة بقطر بُلّ ، فكان أول من خاض المخاضة هاشم ابن عتبة في رجله ، فلَمَّا جاز اتّبعته خيله ، ثم أجاز خالد بن عُرْفُطة بخيله ، ثم أجاز عياض بن غنم بخيله ، ثم تتابع النَّاس فخاضوا حتى أجازوا ؛ فرعوا أنه لم يهتد لتلك المخاضة بعد . ثم ساروا حتى انتهوا إلى مُظَلِّم سَابَاط ، فأشفق النَّاس أن يكون به كمين للعدوّ ، فتردّد النَّاس ، وجبنوا عنه ؛ فكان أول من دخله بجيشه هاشم بن عتبة ، فلَمَّا أجاز ألاح للنَّاس بسيفه ، فعرف النَّاس أن ليس به شيء يخافونه ^(٢) ، فأجاز بهم خالد بن عُرْفُطة ، ثم لحق سعد بالنَّاس ؛ حتى انتهوا إلى جَلولاء وبها جماعة من الفرس ، فكانت وقعة جلولاء بها ، فهزم الله الفرس ، وأصاب المسلمون بها من النّبيء أفضل مما أصابوا بالقادسيّة ، وأصيب ابنة لكسرى ، يقال لها منجانة ؛ ويقال : بل ابنة ابنه . وقال شاعر من المسلمين :

يَارُبُّ مُرِّ حَسَنِ مُطَهَّمٍ يَحْمِلُ أَثْقَالَ الْغَلَامِ الْمُسْلِمِ
يَنْجُو إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ جَهَنَّمَ يَوْمَ جَلُولَاءَ وَيَوْمَ رُسْتَمِ
وَيَوْمَ زَحْفِ الْكُوفَةِ الْمُقَدَّمِ وَيَوْمَ لَأَقَى ضَيْقَةَ مُهَزَّمِ
وَخَرَّ دِينَ الْكَافِرِينَ لِلْفَمِّ °

(١) ز : « ميسرته » . (٢) كذا في ز وفي ط : « تخافونه » .

٢٣٦٠/١

ثم كتب سعد إلى عمر بما فتح الله على المسلمين^(١)؛ فكتب إليه عمر: أن قِفْ ولا تطلبوا غير ذلك. فكتب إليه سعد أيضاً: إنما هي سرُبة^(٢) أدركناها والأرض بين أيدينا، فكتب إليه عمر: أن قف مكانك ولا تتبعهم، واتخذ للمسلمين دار هجرة ومنزل جهاد، ولا تجعل بيني وبين المسلمين بحرًا. فتنزل سعد بالناس الأنبار، فاجتووها وأصابتهم بها الحمى، فلم توافقهم، فكتب سعد إلى عمر يخبره بذلك، فكتب إلى سعد أنه لا تصلح العرب إلا حيث يصلح البعير والشاة في منابت العُشب؛ فانظر فلاة في جنب البحر فارتد للمسلمين بها منزلاً.

قال: فسار سعد حتى نزل كُوَيْفَة عمرو بن سعد، فلم توافق الناس مع الذباب والحدثى. فبعث سعد رجلاً من الأنصار يقال له الحارث بن سَلَمَة - ويقال: بل عثمان بن حُنَيْف، أخا بني عمرو بن عوف - فارتاد لهم موضع الكوفة اليوم، فترطها سعد بالناس، وخط مسجدها، وخط فيها الخطط للناس.

وقد كان عمر بن الخطاب خرج في تلك السنة إلى الشام فنزل الجابية، وفتحت عليه إبلية؛ مدينة بيت المقدس. وبعث فيها أبو عبيدة بن الجراح حنظلة بن الطئيل السلمي إلى حِمَص، ففتحها الله على يديه، واستعدل سعد بن أبي وقاص على المدائن رجلاً من كِنْدَة، يقال له شُرْحَبِيل بن السَّمَط؛ وهو الذي يقول فيه الشاعر:

ألا كَيْتَنِي وَالْعَرءُ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ وَرَبْرَاءُ وَابْنُ السَّمَطِ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ

ذكر أحوال أهل السَّوَاد

كتب إلى السري، عن شعيب، عن سيف، عن عبد الملك بن عُمَيْر، عن قَبِيصَة بن جابر، قال: قال ربتل منّا يوم القادسية مع الفتح:

(١) ابن حيش: «للمسلمين».

(٢) السربة: جماعة يتسللون من العسكر فيغيرون ويرجعون.

٢٣٦١/١

فَنَاقِلْ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ نَصْرَهُ وَسَعَدَ بِيَابِ الْقَادِسِيَّةِ مَعْصِمُ
فَأَبْنَا وَقَدْ آمَتْ نِسَاءٌ كَثِيرَةٌ وَنِسْوَةٌ سَعَدٍ لَيْسَ فِيهِنَّ أَيْمٌ

فَبَعَثَ بِهَا فِي النَّاسِ ، فَبَلَغَتْ سَعْدًا ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا ،
أَوْ قَالَ الَّذِي قَالَ رِيَاءً وَسُوءَةً وَكَذِبًا ، فَاقْطَعْ عَنِّي لِسَانَهُ وَيَدَهُ .
وَقَالَ قَبِيصَةُ : فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَوَاقِفٌ بَيْنَ الصَّفَيْنِ يَوْمَئِذٍ ؛ إِذَا أَقْبَلْتَ نُشَابَةَ
لِدَعْوَةِ سَعْدٍ ، حَتَّى وَقَعَتْ فِي لِسَانِهِ فَيَبْسُ شِقُّهُ ؛ فَمَا تَكَلَّمُ بِكَلِمَةٍ حَتَّى لَحِقَ
بِاللَّهِ .

كُتِبَ إِلَى الْمَرْيُ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْمَقْدَامِ بْنِ شُرَيْحٍ
الْحَارِثِيِّ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : قَالَ جَرِيرٌ يَوْمَئِذٍ :

أَنَا جَرِيرٌ كُنَيْتِي أَبُو عَمْرٍو قَدْ نَصَرَ اللَّهُ وَسَعَدَ فِي الْقَصْرِ

فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ سَعْدٌ ، فَقَالَ :

٢٣٦٢/١

وَمَا أَرْجُو بِجَمِيلَةٍ غَيْرِ أُنَى أَوْمَلُ أَجْرَهَا يَوْمَ الْحِسَابِ
وَقَدْ لَقِيتُ خِيُولَهُمْ خِيُولًا وَقَدْ وَقَعَ الْقَوَارِيسُ فِي الضَّرَابِ
فَلَوْلَا جَمْعُ قَعَقَاعِ بْنِ عَمْرِو وَحَمَالٍ لِلْجَوَا فِي الْكَذَابِ
هُمْ مَنْعُوا جُمُوعَكُمْ بَطْنِمْ وَضَرْبِ مِثْلِ تَشْقِيقِ الْإِهَابِ
وَلَوْلَا ذَاكَ الْفَيْسَمُ رَعَاعًا تُشَلُّ جُمُوعُكُمْ مِثْلَ الذُّبَابِ^(١)

كُتِبَ إِلَى الْمَرْيُ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ الْقَاسِمِ بْنِ سُلَيْمِ بْنِ
عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيِّ ، عَنْ عُمَانَ بْنِ رَجَاءِ السَّعْدِيِّ ، قَالَ : كَانَ سَعْدُ بْنُ
مَالِكٍ أَجْرَ النَّاسِ وَأَشْجَعَهُمْ ؛ إِنَّهُ^(٢) نَزَلَ قَصْرًا غَيْرَ حَصِينٍ بَيْنَ الصَّفَيْنِ ،
فَأَشْرَفَ مِنْهُ عَلَى النَّاسِ ، وَلَوْ أَعْرَاهُ الصَّفُ فُوقَ نَاقَةٍ أَخَذَ بِرُمْتِهِ ؛ فَوَاللَّهِ
مَا أَكْرَهُهُ هَوْلَ تِلْكَ الْأَيَّامِ وَلَا أَقْلَقَهُ .

(١) ز : « الذَّنَاب » .

(٢) ز : « وَإِنَّهُ » .

كتب إلى المرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن سليمان بن بشير ،
عن أمّ كثير ؛ امرأة همام بن الحارث النخعي ، قالت : شهدنا القادسية مع
سعد مع أزواجنا ، فلمّا أتانا أن قد فرغ من الناس شددنا علينا ثيابنا ،
وأخذنا الهراوى ، ثم أتينا القتلى ؛ فما كان من المسلمين سقناه ورفعناه ؛
وما كان من المشركين أجهزنا عليه ، وتبعنا الصبيان نوليهم ذلك ، ونصرفهم به .

٢٣٦٣/١

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية - وهو ابن
الحارث - عمن أدرك ذلك ؛ قال : لم يكن من قبائل العرب أحد أكثر
امراً يوم القادسية من بجيلة والنخع ، وكان في النخع سبعمائة امرأة
فارغة ، وفي بجيلة ألف ، فصاهر هؤلاء ألف من أحياء العرب ، وهؤلاء
سبعمائة ، وكانت النخع تسمى أصهار المهاجرين ، وبجيلة ، وإنما
جرأهم على الانتقال بأثقالهم توطئة خالد ، والمثنى بعد خالد ، وأبى عبيد
بعد المثنى ، وأهل الأيَّام ، فلاقوا بأساً بعد ذلك شديداً .

كتب إلى السرى ؛ عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب
وطلحة ، قالوا : وكان بكثير بن عبد الله الليثي وعتبة بن فرقد السلمى
وسماك بن خرشة الأنصاري - وليس بأبى دجاجة - قد خطبوا امرأة يوم
القادسية ، وكان مع الناس نساؤهم ؛ وكانت مع النخع سبعمائة امرأة
فارغة ؛ وكانوا يسمون أختان المهاجرين حتى كان قريباً ؛ فتزوجهن المهاجرون
قبل الفتح وبعد الفتح ؛ حتى استعجبوهن ، فصار إليهن سبعمائة رجل من
الأفناء ؛ فلمّا فرغ الناس خطب هؤلاء النفر هذه المرأة - وهى أروى ابنة
عامر الهلالية - هلال النخع ؛ وكانت أختها هنيئة تحت القعقاع بن
عمرو التميمي ، فقالت لأختها : استشري زوجك أيّهم يراه لنا ! ففعلت ؛
وذلك بعد الوقعة وهم بالقادسية ؛ فقال القعقاع : سأصفهم في الشعر فانظري
لأختك ، وقال :

٢٣٦٤/١

إن كنت حاولت الدّراهم فأنكحني سيمّا كأخا الأنصار أو ابن قرقد
وإن كنت حاولت الطّعان فيمي بكبيراً إذا ما الخيل جالت عن الردي
وكلهم في ذروة المجد نازل فتأنكحكم إن البيان عن الغد

وقالوا : وكانت العرب تَوَقَّعُ^(١) وقعة العرب وأهل فارس في القادسية فيما بين العذيب إلى عَدَنَ أَبْيَنَ ، وفيما بين الأُبَلَةِ وأَيْلَةَ ؛ يروْنَ أنْ ثَبَاتَ مَلِكُهُمْ وزواله بها ، وكانت في كلِّ بلدٍ^(٢) مُصَيِّخَةٌ إليها ، تنظُرُ ما يكون من أمرها ؛ حتَّى إن كان الرجل ليريد الأمر فيقول : لا أنظرفيه حتَّى أنظر ما يكون من أمر القادسية . فلما كانت وقعة القادسية سارت بها الجن ، فأنت بها ناساً من الإنس ، فسبقت أخبار الإنس إليهم ؛ قالوا : فبدت امرأة ليلاً على جبل بصنْعَاء ، لا يُدْرَى مَنْ هِيَ ؟ وهى تقول :

حُبِّتِ عَنَّا عِكرِمَ ابنة خَالِدٍ وما خَيْرُ زَادٍ بِالْقَلِيلِ الْمُصَرِّدِ ٢٣٦٥/١
وَحَيْتِكَ عَنِّي الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ نَاجٍ مُفَرِّدِ
وَحَيْتِكَ عَنِّي عُصْبَةُ نَخَعِيَّةٍ حِسانُ الوجوهِ آمَنُوا بِمُحَمَّدِ
أَقَامُوا لِكِسْرَى يَضْرِبُونَ جُنُودَهُ بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنَّدِ
إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي أَنَاخُوا بِكُلِّكَلٍ مِنَ الْمَوْتِ تَنَوَّدُ الْغَيَاطِلُ مُجَرَّدِ

وسمع أهل اليمامة مجتازاً يغنى بهذه الأبيات :

وَجَدْنَا الْأَكْثَرِينَ بَنِي تَمِيمٍ غَدَاةَ الرُّوْعِ أَصْبَرَهُمْ رِجَالَا
هُمْ سَارُوا بَارِعًا عَنْ مُكْفَهَرٍ إِلَى لَجَبٍ فَزَرَّتْهُمْ رِغَالَا
بُحُورٌ لِلْأَكَاسِرِ مِنْ رِجَالٍ كَأَنَّ الدَّغَابَ تَحَسَّبُهُمْ جِبَالَا
تَرَكَنَ لَهُمْ بِقَادِسَ عِزٍّ فَخَرٍ وَبِالْخَيْفَيْنِ أَيَّامًا طَوَالَا
مُقَطَّعةً أَكْفَهُمْ وَسُوقٌ يَمْرَدَى حَيْثُ قَابَلَتِ الرَّجَالَا ٢٣٦٦/١

(١) ابن الأثير : « تتوقع » .

(٢) ابن حبيش : « بلدة » .

قال : وَسَمِعَ بِنَحْوِ ذَلِكَ فِي عَامَّةِ بِلَادِ الْعَرَبِ .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة ، قالوا : وكتب سعد بالفتح وبعده مَنْ قَتَلُوا وَبَعْدَهُ مَنْ أَصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَسَمِعَ لِعَمْرِ مَنْ يَعْرِفُ مَعَ سَعْدِ بْنِ عُمَيْلَةَ الْفَزَارِيِّ ، وَشَارَكَهُمُ النَّضْرُ بْنُ السَّرِيِّ عَنْ ابْنِ الرَّفِيعِ بْنِ مَيْسُورٍ ؛ وَكَانَ كِتَابُهُ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ نَصَرَنَا عَلَى أَهْلِ فَارَسَ ، وَمَنْحَهُمْ سُنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ دِينِهِمْ ، بَعْدَ قِتَالِ طَوِيلٍ وَزَلْزَالٍ شَدِيدٍ ، وَقَدْ لَقُوا الْمُسْلِمِينَ بَعْدَهُ لَمْ يَرِ الرَّاءُونَ مِثْلَ زُهَامِهَا ^(١) فَلَمْ يَنْقُصْهُمْ اللَّهُ بِذَلِكَ ، بَلْ سَلَبَهُمُوهُ وَنَقَلَ عَنْهُمْ إِلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَاتَّبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ عَلَى الْأَنْهَارِ وَعَلَى طُغُوفِ الْأَجَامِ فِي الْفَجَاجِ ؛ وَأَصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَعْدُ بْنُ عُبَيْدِ الْقَارِيِّ ، وَفُلَانٌ ، وَفُلَانٌ ، وَرِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا نَعْلَمُهُمْ ، اللَّهُ بِهِمْ عَالِمٌ ، كَانُوا يُدَوِّنُونَ بِالْقُرْآنِ إِذَا جَنَّ عَلَيْهِمُ اللَّيْلُ دَوِيَّ النَّحْلِ ، وَهُمْ آسَادُ النَّاسِ ؛ لَا يَشْبِهُهُمْ ^(٢) الْأَسُودُ ، وَلَمْ يَفْضُلْ مَنْ مَضَى مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ ^(٣) إِلَّا بِفَضْلِ الشَّهَادَةِ إِذْ لَمْ تُكْتَبْ لِمَنْ .

٢٣٦٧/١

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مجالد بن سعيد ، قال : لَمَّا ^(٤) أَتَى عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ^(٥) نَزُولُ رِسْمِ الْقَادِسِيَّةِ ، كَانَ يَسْتَخِيرُ الرُّكَبَانَ عَنْ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ مِنْ حِينَ يُصْبِحُ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ وَمَنْزِلِهِ . قَالَ : فَلَمَّا لَقِيَ ^(٦) الْبَشِيرَ سَأَلَهُ مِنْ أَيْنَ ^(٧) ؟ فَأَخْبَرَهُ ، قَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ حَدَّثَنِي ، قَالَ : هَزَمَ اللَّهُ الْعَدُوَّ ^(٨) ، وَعَمَرَ يَخُوبَ مَعَهُ وَيَسْتَخِيرُهُ ^(٩) وَالْآخِرُ يَسِيرُ عَلَى نَاقَتِهِ وَلَا يَعْرِفُهُ ^(١٠) ؛ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ ، فَإِذَا النَّاسُ يَسْلُمُونَ عَلَيْهِ بِأَمْرَةِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : فَهَلَا أَنْخَبَرْتَنِي رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَنْتَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! وَجَعَلَ عَمْرُ يَقُولُ : لَا عَلَيْكَ يَا أَخِي !

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب

(١) الزهاء : العدد أو المقدار .	(٢) ابن حبيش : « لا تشبههم » .
(٣) ابن حبيش : « على من بقي » .	(٤) ابن حبيش : « ولما » .
(٥) ابن حبيش : « الخبر بنزول » .	(٦) ابن حبيش : « لقيه » .
(٧) ابن حبيش : « من أين جاء » .	(٨) ابن الأثير : « المشركين » .
(٩) ابن الأثير : « يسأله » .	(١٠) ابن حبيش : « وهو لا يعرفه » .

وزياد ، قالوا : وأقام المسلمون في انتظار بلوغ البشير وأمر عمر ، يقومون أقباضهم ، ويحزرون جندهم ، ويرمئون أمورهم . قالوا : وتتابع أهل العراق من أصحاب الأيَّام الذين شهدوا اليرموك ودمشق ، ورجعوا مُمِدِّين لأهل القادسيَّة ؛ فتوافوا بالقادسيَّة من الغد ومن بعد الغد ، وحاء أولهم يوم أغواث ، وآخرهم من بعد الغد من يوم الفتح ، وقدمت أمداد فيها مراد وهَمْدان ، ومن أفناء الناس ، فكتبوا فيهم إلى عمر يسألونه عمَّا ينبغي أن يُسار^(١) به فيهم - وهذا الكتاب الثاني بعد الفتح - مع نذير بن عمرو . ولمَّا أتى عمر الفتح قام في النَّاس فقرأ عليهم الفتح ، وقال : إني حريص على ألاَّ أدع حاجة إلاَّ سدَّتها ما اتَّسع بعضنا لبعض ، فإذا عجز ذلك عنَّا تأسينا في عيشنا حتَّى نستوي في الكفاف ، ولوددت أنكم علمتم من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم ، ولستُ معلِّمكم^(٢) إلاَّ بالعمل^(٣) ؛ إني والله ما أنا بملك فاستعبدكم ، وإنَّمَا أنا عبدُ الله عَرَّضَ على الأمانة ، فإنَّ أبيتُها وردَّتها عليكم واتَّبعتم حتى تشبعوا في بيوتكم ، وترووا سعدتُ ، وإنَّ أنا حملتها واستتبعْتُها^(٤) إلى بيتي شقيتُ ؛ ففرحتُ قليلا ، وحزنتُ طويلا ، وبقيت لا أقال ولا أرَدُّ فاستعيب .

٢٣٦٨/١

قالوا : وكتبوا إلى عمر مع أنس بن الحُلَيْس : إنَّ أقوامًا من أهل السَّواد ادَّعوا عهودًا ، ولم يُقِمَّ على عهد أهل الأيَّام لنا ، ولم يفِ به أحد علمناه إلاَّ أهل بانيقيا وبسْمَا وأهل أَلَيْس الآخرة وادَّعى أهل السَّواد أنَّ فارس أكرههم وحشروهم ؛ فلم يخالفوا إلينا ؛ ولم يذهبوا في الأرض .

٢٣٦٩/١

وكتب مع أبي الهيثاج الأسدي - يعني ابن مالك - إنَّ أهل السَّواد جلوا ، فجاءنا من أمسك بعهد ولم يُجلب علينا ؛ فتمنَّا لهم ما كان بين المسلمين قبلنا وبينهم ؛ وزعوا أنَّ أهل السَّواد^(٥) قد لحقوا بالمداخن ، فأحدث إلينا فيمن تمَّ وفيمن جلا وفيمن ادَّعى أنه

(٢) ابن حيش : « مملكوه » .

(١) ز : « يشار » .

(٤) كذا في ز .

(٣) ز : « بالعلم » .

(٥) ابن حيش : « الأرض » .

استكره وحشر فهرب ولم يقاتل، أو استسلم^(١)؛ فلانّا بأرض رغبة^(٢)، والأرض خلاء من أهلها، وعددنا قليل، وقد كثر أهل صلحنا؛ وإنّ أعمر لنا وأوهن لعدونا تألّفهم. فقام عمر في الناس فقال: إنّهُ مَنْ يَعْمَلُ بِالْهَوَى وَالْمَعْصِيَةِ يَسْقُطُ حَظُّهُ وَلَا يَصْرُ إِلَّا نَفْسُهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ السُّنَّةَ وَيَتَّبِعِ إِلَى الشَّرَائِعِ، وَيَلْزِمِ السَّبِيلَ النَّهْجَ ابْتِغَاءَ مَا عِنْدَ اللَّهِ لِأَهْلِ الطَّاعَةِ؛ أَصَابَ أَمْرُهُ، وَظَفِرَ بِحَظِّهِ، وَذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾^(٣)، وقد ظفر أهل الأيّام والقوادر بما يليهم، وجلا أهلهم، وأتاهم منّ أقام على عهدهم، فما رأيكم فيمن زعم أنه استكره وحشر؛ وفيمن لم يدع ذلك ولم يُقِيمِ وَجَلًا، وفيمن أقام ولم يدع شيئًا، ولم يَسْجُلْ، وفيمن استسلم. فأجمعوا على أنّ الوفاء لمن أقام وكف لم يَزِدْهُ غَنَابَةً إِلَّا خَيْرًا، وأن من ادّعى فُصْدَقَ أَوْ وَفَى فَبِمَنْزِلَتِهِمْ، وإن كُذِّبَ تُبِذِلَ إِلَيْهِمْ وَأَعَادُوا صَلَاحَهُمْ؛ وأن يُسْجَلَ أَمْرُ مَنْ جَلَا إِلَيْهِمْ، فإن شاءوا وادعروهم وكانوا لهم ذِمَّةً، وإن شاءوا تَمَوَّأُوا عَلَى مَنْعِهِمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَلَمْ يُعْطَوْهُمْ إِلَّا الْقِتَالَ؛ وأن يَخِيرُوا مَنْ أَقَامَ وَاسْتَسْلَمَ: الْجِزَاءَ، أَوِ الْجَلَاءَ، وَكَذَلِكَ الْفَلَاحُ.

٢٣٧٠/١

وكتب جواب كتاب أنس بن الحُلَيْسِ: أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَنْزَلَ فِي كُلِّ شَيْءٍ رُخْصَةً فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ إِلَّا فِي أَمْرَيْنِ: الْعَدْلِ فِي السَّيْرِ وَالذِّكْرِ؛ فَأَمَّا الذِّكْرُ فَلَا رُخْصَةَ فِيهِ فِي حَالَةٍ، وَلَمْ يَرْضَ مِنْهُ إِلَّا بِالْكَثِيرِ، وَأَمَّا الْعَدْلُ فَلَا رُخْصَةَ فِيهِ فِي قَرِيبٍ وَلَا بَعِيدٍ، وَلَا فِي شِدَّةٍ وَلَا رَخَاءٍ، وَالْعَدْلُ — وَإِنْ رُئِيَ لَيْتًا — فَهُوَ أَقْوَى وَأَطْفَأُ لِلْجَوْرِ، وَأَقْمَعَ لِلْبَاطِلِ مِنَ الْجَوْرِ، وَإِنْ رُئِيَ شَدِيدًا فَهُوَ أَنْكَشُ لِلْكَفْرِ؛ فَمَنْ تَمَّ عَلَى عَهْدِهِ مِنْ أَهْلِ السَّوَادِ، وَلَمْ يُعِنْ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ؛ فَلَهُمُ الذِّمَّةُ، وَعَلَيْهِمُ الْجِزْيَةُ؛ وَأَمَّا مَنْ ادّعى أَنَّهُ اسْتَكْرَهَ مَنْ لَمْ يَخَالِفْهُمْ إِلَيْكُمْ أَوْ يَذْهَبَ فِي الْأَرْضِ؛ فَلَا تَصْدَقُ قَوْلُهُ بِمَا ادّعى أَنَّ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ تَشَاءُوا؛ وَإِنْ لَمْ تَشَاءُوا فَانْبَذُوا إِلَيْهِمْ، وَأَبْلَغُوهُمْ مَأْمَنَهُمْ.

(١) ابن حيش: «واستسلم».

(٢) أرض رغبة: مرغوب فيها.

(٣) سورة الكهف ٤٩.

وأجابهم في كتاب أبي الهيثاج : أمّا من أقام ولم يَجْلُ وليس له عهد فلهم ما لأهل العهد^(١) بمقامهم لكم وكفّهم عنكم إجابة ، وكذلك الفلاحون إذا فعلوا ذلك ؛ وكلّ من ادّعى ذلك فصدّق فلهم الذمّة ؛ وإن كذبوا نُبذ إليهم ؛ وأمّا مَنْ أعان وجلا^(٢) ؛ فذلك أمرٌ جعله الله لكم ؛ فإن شئتم فادعُوهم إلى أن يقيموا^(٣) لكم في أرضهم ، ولم الذمّة ، وعليهم الجزية ؛ وإن كرهوا ذلك ، فاقسموا ما أفاء الله عليكم منهم .

٢٣٧١/١

فلما قدمت كتب عمر على سعد بن مالك والمسلمين عرضوا على مَنْ يليهم مِنْ جلا وتنتحى عن السواد أن يراجعوا ، ولم الذمّة وعليهم الجزية ، فراجعوا وصاروا ذمّة كن تمّ وازم عهده ؛ إلّا أن خراجهم أنقل ؛ فأنزلوا من ادّعى الاستكراه وهرب منزلتهم وعقدوا لهم ، وأنزلوا مَنْ أقام منزلة ذى العهد وكذلك الفلاحين ، ولم يُدخلوا في الصلح ما كان لآل كسرى ، ولا ما كان لمن خرج معهم ، ولم يُجيبهم إلى واحدة من اثنتين : الإسلام ، أو الجزاء ، فصارت فينا لمن أفاء الله عليه ؛ فهي والصوافي^(٤) الأولى ملك لمن أفاء الله عليه ، وسائر السواد ذمّة وأخذوهم بخراج كسرى ، وكان خراج كسرى على رؤوس الرّجال على ما في أيديهم من الحصّة والأموال ، وكان مما أفاء الله عليهم ما كان لآل كسرى ، ومن صوّب معهم وعيالٌ من قاتل معهم وماله . وما كان لبيوت النيران والآجام ومستنقع المياه ، وما كان للسكك ، وما كان لآل كسرى ، فلم يتأتّ قسم ذلك النّء الذى كان لآل كسرى ومن صوّب معهم ؛ لأنه كان متفرّقاً في كلّ السّواد ، فكان يليه لأهل النّء مَنْ وثّقوا به ، وتراضوا عليه ؛ فهو الذى يتّداعه أهل النّء لاعتظّم السّواد ؛ وكانت الولاة عند تنازعهم فيها تهاونُ بقسمه بينهم ؛ فذلك الذى شبّه على الجّهلة أمر السّواد ، وأوانّ الحلماء جامعوا السّفهاء الذين سألوا الولاة قسمه لقسموه بينهم ، واكنّ الحلماء أبوا ، فتابع الولاة الحلماء ، وترك قول السّفهاء . كذلك صنع على رحمه الله ، وكلّ مَنْ طُلب إليه قسمٌ ذلك فإنّما تابع

٢٣٧٢/١

(١) ابن حيش : « العهد » . (٢) ز : « رجلا » .

(٣) ابن حيش : « يقوموا » . (٤) الصّوافي : الأرض والأملاك التى جلا عنها أهلها .

الحُلماء ، وترك قولَ السُّفهاء ، وقالوا : لئلاَّ يضرب بعضهم وجوهَ بعض .
 كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد بن قيس ،
 عن عامر الشعبي ، قال : قلت له : السَّواد ما حاله ؟ قال : أخذَ عَنوةً ،
 وكذلك كلَّ أرضٍ إلَّا الحصون ، فجلا أهلها ، فدُعوا إلى الصَّاحِ والذِّمة ،
 فأجابوا وتراجعوا ، فصاروا ذمَّةً ، وعليهم الجِزاء ، ولمِ المنعة ، وذلك هو
 السنَّة ، كذلك صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدوَّة ، وبقي ما كان
 لآل كسرى ومَن خرج معهم فيثًا لمن أفاءه الله عليه .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن طلحة وسفيان ، عن
 ماهان ، قالوا : فتح الله السَّوادَ عَنوةً — وكذلك كلَّ أرضٍ بينها وبين نهر
 بلخ — إلَّا حصنًا ، ودُعوا إلى الصلح ، فصاروا ذمَّةً ، وصارت لهم أرضهم
 ولم يدخلوا في ذلك أموال آل كسرى ومَن اتبعهم ، فصارت فيثًا لمن أفاءه الله
 عليه ، ولا يكون شيء من الفتوح فيثًا حتى يُقسَم ؛ وهو قوله : ﴿ مَا غَنِمْتُمْ
 مِنْ شَيْءٍ ﴾ ؛ ممَّا اقتسمتم .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن إسماعيل بن مسلم ،
 عن الحسن بن أبي الحسن ، قال : عامَّة ما أخذ المسلمون عَنوةً فدعاهم
 إلى الرجوع والذِّمة ، وعرضوا عليهم الجِزاء فقبلوه ومنعهم .
 وعن سيف ، عن عمرو بن محمد ، عن الشعبي ، قال : قلت له : إنَّ
 أناسًا يزعمون أنَّ أهل السَّواد عبيد ، فقال : فعلام يؤخذ الجِزاء من العبيد ؟
 أخذ السَّواد عَنوةً ، وكلَّ أرض علمتها إلَّا حصنًا في جبل أو نحوه .
 فدُعوا إلى الرجوع فرجعوا ، وقبل منهم الجِزاء ، وصاروا ذمَّةً ؛ وإنَّما يُقسَم
 من الغنائم ما تُغنم ، فأما ما لم يُغنم وأجاب أهله إلى الجِزاء من قبل أن يُغنم ،
 فليهم جرت السنَّة بذلك .

كتب إلى السريُّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أبي ضمرة ، عن
 عبد الله بن المستورد ، عن محمد بن سيرين ، قال : البلدان كلها أخذت
 عَنوةً إلَّا حصون قليلة ، عاهدوا قبل أن يتزكروا . ثم دُعوا — يعني الذين
 أخذوا عَنوةً — إلى الرجوع والجِزاء ، فصاروا ذمَّةً أهل السَّواد ، والجبل كله

أمر لم يزل يُصنع في أهل النخعة ، وإنما عمل عمر والمسلمون في هذا الجزاء والذمة على إيجرياً ^(١) ما عمل به رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وقد كان بعث خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل ، فأخذها عنه ، وأخذ ملكها أكيدر بن عبد الملك أسيراً ، فدعاه إلى الذمة والجزاء ، وقد أخذت بلاده عنه ، وأخذ أسيراً ؛ وكذلك فعل با بن عريض ^(٢) ، وقد أخذوا فادعيا أنهما أردآه ، فعقد لهما على الجزاء والذمة ، وكذلك كان أمر يحنه ابن رؤبة صاحب أيلة . وليس المعمول به من الأشياء كرواية الخاصة ، من روى غير ما عمل به الأئمة العدول المسلمون ، فقد كذب وطعن عليهم .

وعن سيف ، عن حجاج الصواف ، عن مسلم مولى حذيفة ، قال : تزوج المهاجرون والأنصار في أهل السواد - يعني في أهل الكتابين منهم ، ولو كانوا عبيداً لم يستحلوا ذلك ، ولم يحل لهم أن ينكحوا إماء أهل الكتاب ؛ لأن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ^(٣) ... ﴾ الآية ، ولم يقل : « فتياهم من أهل الكتابين » .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بعد ما ولاه المدائن وكثر المسلمات : إنه بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلّقها . فكتب إليه : لا أفعل حتى تخبرني : أحلال أم حرام ، وما أردت بذلك ! فكتب إليه : لا بل حلال ، ولكن في نساء الأعاجم خلافة ، فإن أقبلتم عليهن غلبتكم ^(٤) على نسايتكم . فقال : الآن ؛ فطلّقها .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عن سيف ، عن أشعث بن سوار ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : شهدت القادسية مع سعد ، فتروجنا نساء أهل الكتاب ، ونحن لا نجد كثير مسلمات ، فلما قفلنا ؛ فمنا من طلق ، ومنا من أمسك .

وعن سيف ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبيرة ، قال :

(٢) ابن حبيش : « حريض » .

(١) ابن حبيش : « على آخر ما » .

(٤) ز : « غلبتكم » .

(٣) سورة النساء ٢٥ .

أَخَذَ السَّوَادَ عَنَّةً ، فَدُعُوا إِلَى الرَّجُوعِ وَالْجِزَاءِ ، فَأَجَابُوا إِلَيْهِ ، فَصَارُوا ذِمَّةً ، إِلَّا مَا كَانَ لآلِ كَسْرَى ، وَأَتْبَاعِهِمْ ، فَصَارَ فَيْثًا لِأَهْلِهِ ، وَهُوَ الَّذِي يَتَحَجَّيْ أَهْلَ الْكُوفَةِ إِلَى أَنْ جُهِلَ ذَلِكَ ، فَحَسِبُوهُ السَّوَادَ كُلَّهُ ، وَأَمَّا سَوَادُهُمْ ؛ فَذَلِكَ .

وَعَنْ سَيْفٍ ، عَنِ الْمُسْتَنِيرِ بْنِ يَزِيدٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدٍ النَّخَعِيِّ ، قَالَ : أَخَذَ السَّوَادَ عَنَّةً ، فَدُعُوا إِلَى الرَّجُوعِ ، فَسُنَّ أَجَابَ فَعَلِيهِ الْجَزْيَةُ وَلَهُ الذِّمَّةُ ، وَمَنْ أَبِي صَارَ مَالَهُ فَيْثًا ، فَلَا يَحِلُّ بَيْعُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ النَّيِّءِ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ إِلَى الْعُدَيْبِ مِنْ أَرْضِ السَّوَادِ وَلَا فِي الْجَبَلِ .

وَعَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدَ بْنَ قَيْسٍ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، بِمِثْلِهِ : لَا يَحِلُّ بَيْعُ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ النَّيِّءِ فِيمَا بَيْنَ الْجَبَلِ وَالْعُدَيْبِ .

وَعَنْ سَيْفٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَامِرٍ ، قَالَ : أَقْطَعَ الزُّبَيْرِ وَخُبَابَ وَابْنَ مَسْعُودٍ وَابْنَ يَاسِرٍ وَابْنَ هُبَّارٍ أَرْمَانَ عُمَانَ ، فَإِنْ يَكُنْ عُثْمَانُ أَخْطَا فَاَلَّذِينَ قَبِلُوا مِنْهُ الْخَطَا أَخْطَا ؛ وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذْنَا عَنْهُمْ دِينَنَا . وَأَقْطَعَ عُمَرُ طَلْحَةَ وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ وَالرُّبَيْلَ بْنَ عَمْرٍو ، وَأَقْطَعَ أَبَا مُفَرِّزٍ دَارَ الْفَيْلِ فِي عَدَدٍ مِمَّنْ أَخَذْنَا عَنْهُمْ ، وَإِنَّمَا الْقَطَائِعُ عَلَى وَجْهِ النَّقْلِ مِنْ خُمْسٍ مَا أَفَاءَ اللَّهُ . وَكَتَبَ عُمَرُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ مَعَ جَرِيرٍ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَأَقْطَعَ جَرِيرُ ابْنَ عَبْدِ اللَّهِ قَدْرَ مَا يَقُوتُهُ لَا ^(١) وَكُسْ وَلَا شَطَطَ . فَكَتَبَ عُثْمَانُ إِلَى عَمْرِو : إِنَّ جَرِيرًا قَدِمَ عَلَيَّ بِكِتَابٍ مِنْكَ تُقْطَعُ مَا يَقُوتُهُ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَمْضِيَ ذَلِكَ حَتَّى أَرَا جَعَلَكَ فِيهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَمْرُ : أَنْ قَدْ صَدَقَ جَرِيرٌ ، فَأَنْفِذْ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَحْسَنْتَ فِي مِثْلِهِ ^(٢) وَأَقْطَعَ أَبَا مُوسَى . وَأَقْطَعَ عَلَى رَحِمِهِ اللَّهُ كَرْدُوسَ بْنِ هَانِيٍّ الْكَرْدُوسِيَّةَ ، وَأَقْطَعَ سُؤَيْدَ بْنَ غَفْلَةَ الْجَعْفِيَّ .

وَعَنْ سَيْفٍ ، عَنْ ثَابِتِ بْنِ هُرَيْثٍ ، عَنْ سُؤَيْدِ بْنِ غَفْلَةَ ، قَالَ : اسْتَقْطَعْتُ عَلَيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ : اكْتُبْ : هَذَا مَا أَقْطَعَ عَلَى سُؤَيْدِ أَرْضًا لِدَاذِ وَيَّهِ ؛ مَا بَيْنَ كَذَا إِلَى كَذَا وَمَا شَاءَ اللَّهُ .

وَعَنْ سَيْفٍ ، عَنِ الْمُسْتَنِيرِ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَزِيدٍ ، قَالَ : قَالَ عَمْرُ : إِذَا

عاهدتم قومًا فأبرءوا إليهم من معرة الجيوش . فكانوا يكتبون في الصلح لمن عاهدوا : « ونبرأ إليكم من معرة الجيوش » .

وقال الواقدي : كانت وقعة القادسية وافتتاحها سنة ست عشرة ، وكان بعض أهل الكوفة يقول : كانت وقعة القادسية سنة خمس عشرة .

قال : والثابت عندنا أنها كانت في سنة أربع عشرة .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : كانت سنة خمس عشرة ، وقد مضى ذكرى الرواية عنه بذلك .

• • •

ذكر بناء البصرة

قال أبو جعفر : وفي سنة أربع عشرة أمر عمر بن الخطاب رحمه الله - فيما زعم الواقدي - الناس بالقيام في المساجد في شهر رمضان بالمدينة ، وكتب إلى الأمصار يأمر المسلمين بذلك .

وفي هذه السنة - أعني سنة أربع عشرة - وجه عمر بن الخطاب عتبة ابن غزوان إلى البصرة ، وأمره بنزلها بمن معه ، وقطع مادة أهل فارس عن الذين بالمدائن ونواحيها منهم في قول المدائني وروايته .

وزعم سيف أن البصرة مُصِّرَتْ في ربيع سنة ست عشرة ، وأن عتبة بن غزوان إنما خرج إلى البصرة من المدائن بعد فراغ سعد من جلولاء وتكثيره والحصنين ؛ وجهه إليها سعد بأمر عمر .

كتب إلى السري ، عن شعيب ، عنه . فحدثني عمر بن شبة ؛ قال : حدثنا علي بن محمد ، عن أبي مخنف ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قُتل مِهْران سنة أربع عشرة في صفر ، فقال عمر لعتبة - يعني ابن غزوان - : قد فتح الله جل وعز على إخوانكم الحيرة وما حولها ، وقَتَلَ عَظِيمَ من عَظَمَائِهَا ،

ولست آمن أن يمدّهم إخوانهم من أهل فارس؛ فإني^(١) أريد أن أوجهك إلى أرض الهند^(٢)، لتمنع أهل تلك الجزيرة من إمداد إخوانهم على إخوانكم، وتقاتلهم؛ لعلّ الله أن يفتح عليكم. فسرّ على بركة الله، واتق الله ما استطعت، واحكم بالعدل، وصلّ الصلاة لوقتها، وأكثر ذكر الله. فأقبل عتبة في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، وضوى إليه قوم من الأعراب وأهل البوادي، فقدم البصرة في خمسمائة، يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً، فنزلها في شهر ربيع الأول - أو الآخر - سنة أربع عشرة، والبصرة يومئذ تدعى أرض الهند فيها حجارة بيض خشن، فتزل الخريبة، وليس بها إلا سبع دساكر؛ بالزبوة والخريبة وموضع بنى تميم والأزد: ثنتان بالخريبة، وثنتان بالأزد، وثنتان في موضع بنى تميم وواحدة بالزبوة. فكتب إلى عمر، ووصف له منزله فكتب إليه عمر: اجمع للناس موضعاً واحداً؛ ولا تفرقهم؛ فأقام عتبة أشهراً لا يغزو ولا يلقى أحداً.

وأما محمد بن بشّار؛ فإنه حدثنا، قال: حدثنا صفوان بن عيسى الزهرى، قال: حدثنا عمرو بن عيسى أبو نعمة العدوي، قال: سمعت خالد بن عمير وشوَيْساً أبا الرقاد، قالا: بعث عمر بن الخطاب عتبة بن غزوان، فقال له: انطلق أنت ومن معك؛ حتى إذا كنتم في أقصى أرض العرب وأدنى أرض العجم، فأقيموا. فأقبلوا حتى إذا كانوا بالميربد وجدوا هذا الكذّان^(٣). قالوا: ما هذه البصرة؟ فساروا حتى بلغوا حيال الجسر الصغير، فإذا فيه حلفاء وقصب نابتة، فقالوا: ها هنا أمرتم، فنزلوا دون صاحب الفرات، فأتوه فقالوا: إننا هنا قوماً معهم راية، وهم يريدونك، فأقبل في أربعة آلاف أسوار، فقال: ما هم إلا ما أرى؛ اجعلوا في أعناقهم الحبال؛ وأتوني بهم؛ فجعل عتبة يترجّل^(٤)، وقال: إني شهدت الحرب^(٥) مع النبي صلّى الله عليه وسلم؛ حتى إذا زالت الشمس، قال: احملوا؛ فحملوا عليهم فقتلوهم أجمعين، فلم يبق منهم أحد إلا صاحب الفرات، أخذوه

(١) ابن حيش: «فأنا». (٢) ابن حيش: «السند».

(٣) الكذّان: حجارة رخوة كالمدّر. (٤) يزجل: يرفع صوته.

(٥) ابن حيش: «القتال».

أسيراً ، فقال عتبة بن غزوان : ابغوا لنا منزلاً هو أنزه من هذا — وكان يوم عكاك^(١) ومَدَّ^(٢) — فرفعوا له منبراً ، فقام يخطب ، فقال : إنَّ الدنيا قد تصرمت وولتَ حَذَاءً^(٣) ، ولم يبق منها إلا صُباية كصُباية^(٤) الإناء. ألا وإنَّكم منتقلون منها إلى دار القرار ، فانتقلوا بخير ما بحضرتكم . وقد ذكر لي : لو أنَّ صخرة أُلقيت من سفير جهنم هوت^(٥) سبعين خريفاً ، ولتُمْلأته ؛ أوعجبتُم ! ولقد ذكر لي أنَّ ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً ، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ^(٦) بزحام ، ولقد رأيتُني وأنا سابع سبعة مع النبي صلى الله عليه وسلم ، مالنا طعام إلا ورق السمُر ، حتى تقرَّحت أشداقنا ؛ والتقطت بُردة فشققتها بيني وبين سعد ، فما منَّا من أولئك السبعة من أحدٍ إلا وهو أمير مِصر من الأمصار ، وسيُجرَّبون الناس بعدنا .

٢٣٨٠/١

وعن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر ، قالوا : لما توجهَّ عتبة بن غزوان المازني من بني مازن بن منصور من المدائن إلى فَرَجِ الهند ، نزل على الشاطيء بحيال جزيرة العرب ، فأقام قليلاً ثم أَرَزَ ، ثم شكوا ذلك حتى أمره عمر بأن ينزل الحجرَ بعد ثلاثة أوطان إذا اجتَووا الطين ، فنزلوا في الرابعة البصرة — والبصرة كلُّ أرض حجارها حصص — وأمر لهم بنهر يجري من دِجْلَةٍ ، فساقوا إليها نهراً للشَّفة ، وكان لإيطان أهل البصرة البصرة اليوم وإيطانُ أهل الكوفة الكوفة اليوم في شهر واحد . فأما أهل الكوفة فكان مقامهم قبل نزولها المدائن إلى أن وطنوها ، وأما أهل البصرة فكان مقامهم على شاطيء دِجْلَةٍ . ثم أَرَزُوا مَرَّاتٍ حَتَّى اسْتَقَرُّوا وبدءوا ، فخنسوا فرسخاً وجَرُّوا معهم نهراً ، ثم فرسخاً ثم جرَّوه ثم فرسخاً ، ثم جرَّوه ثم أتوا

٢٣٨١/١

(١) العكاك : شدة الحر مع سكون الريح . وفي ز : « عكاك » ، وهو الغبار .

(٢) الومد : شدة الحر .

(٣) حذاء : أي مسرة .

(٤) الصباية : البقية .

(٥) ابن الأثير : « هوت » .

(٦) الكظيظ : الممتلئ .

الحجر، ثم جرّوه، واختطت على نحو من خطط الكوفة، وكان على إنزال البصرة أبو الجرباء عاصم بن الدلف، أحد بني غيلان بن مالك بن عمرو بن تميم. وقد كان قطبة بن قتادة - فيما حدثني عمر، قال: حدثنا المدائني عن النضر بن إسحاق السلمي، عن قطبة بن قتادة السدوسي - يغير بناحية الخريبة من البصرة، كما كان المثنى بن حارثة الشيباني يغير بناحية الحيرة. فكتب إلى عمر يعلمه مكانه، وأنه لو كان معه عدد يسير ظفر بمن قبله من العجم، ففاهم من بلادهم. وكانت الأعاجم بتلك الناحية قد هابوه بعد وقعة خالد بنهر المرأة، فكتب إليه عمر: إنّه أتاني كتابك أنّك تغيّر على من قبيلك من الأعاجم، وقد أصبت ووفقت؛ أقم مكانك، واحذر على من معك من أصحابك حتى يأتيك أمري. فوجّه عمر شريح بن عامر، أحد بني سعد بن بكر إلى البصرة؛ فقال له: كن رداءً للمسلمين بهذه الجزيرة، فأقبل إلى البصرة؛ ففرك بها قطبة، ووضى إلى الأهواز حتى انتهى إلى دارس، وفيها مسلحة للأعاجم؛ فقتلوه، وبعث عمر عتبة بن غزوان.

حدثنا عمر، قال: حدثني علي، عن عيسى بن يزيد، عن عبد الملك بن حذيفة ومحمد بن الحجاج، عن عبد الملك بن عمير، قال: إن عمر قال لعتبة بن غزوان إذ وجهه إلى البصرة: يا عتبة، إنّي قد استعملتك على أرض الهند، وهي حومة من حومة العدو، وأرجو أن يكفيك الله ما حولها، وأن يعينك عليها. وقد كتبت إلى العلاء بن الحضرمي أن يمدك بعرفجة بن هرثة؛ وهو ذو مجاهدة العدو ومكايدته، فإذا قدم عليك فاستشره وقرّبه، وادع إلى الله؛ فمن أجابك فاقبل منه، ومن أبى فالجزية عن صغار وذلة، وإلا فالسيف في غير هودة. واتفق الله فيما وليت، وإياك أن تنازعك نفسك إلى كبير يفسد عليك إخوانك، وقد صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعزّزت به بعد الذلة، وقويت به بعد الضعف، حتى صرت أميراً مسلطاً وملياً مطاعاً، تقول فيسمع منك، وتأمر فيطاع أمرك، فيألفها نعمة؛ إن لم ترفعك فوق قدرك وتبترك على من دونك! احتفظ^(١) من النعمة احتفاظك من المعصية؛ وللهي^(٢) أخوفهما عندي عليك

أن تستدرجك وتخدعك، فتسقط سقطة تصير بها إلى جهنم، أعيدك بالله ونفسي من ذلك. إن الناس أسرعوا إلى الله حين رفعت لهم الدنيا فأرادوها، فأرد الله ولا ترد الدنيا، واتق مصارع الظالمين.

٢٣٨٤/١

حدثني عمر بن شبثة، قال: حدثنا علي، قال: حدثنا أبو إسحاق الهمداني وأبو مخنف، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، قال: قدم عتبة بن غزوان البصرة [في^(١)] لثلاثمائة، فلما رأى منبت القصب، وسمع نقيق الضفادع قال: إن أمير المؤمنين أمرني أن أنزل أقصى البر من أرض العرب، وأدنى أرض الرّيف من أرض العجم؛ فهذا حيث واجب علينا فيه طاعة إمامنا. فنزل الحُرَيْبَة وبالأبلّة خمسمائة من الأساورة يحمونها. وكانت مرفأ السفن من الصين وما دونها، فسار عتبة فزل دون الإجمانة، فأقام نحواً من شهر، ثم خرج إليه أهل الأبلّة فناهضهم عتبة، وجعل قطبة بن قتادة السدوسي وقسامة بن زهير المازني في عشرة فوارس، وقال لهما: كونوا في ظهرنا، ففردّا المنهزم، وتنعما من أرادنا من ورائنا. ثم التقوا فما اقتتلوا مقدار جتر جترور وقسمها؛ حتى منحهم الله أكتافهم، وولّوا منهزمين؛ حتى دخلوا المدينة، ورجع عتبة إلى عسكره، فأقاموا أياماً، وألقى الله في قلوبهم الرّعب. فخرجوا عن المدينة، وحملوا ما خفّ لهم، وعبروا إلى الفرات، وخلّوا^(٢) المدينة، فدخلها المسلمون فأصابوا متاعاً وسلاحاً وصبيّاً وعيناً، فاقسموا العين، فأصاب كل رجل منهم درهمان، وولّى عتبة نافع بن الحارث أقباض الأبلّة؛ فأخرج خمسة، ثم قسم الباقي بين من أفاءه الله عليه؛ وكتب بذلك مع نافع بن الحارث. وعن بشير بن عبيد الله؛ قال: قتل نافع بن الحارث يوم الأبلّة تسعة، وأبو بكر ستة.

٢٣٨٥/١

وعن داود بن أبي هند، قال: أصاب المسلمون بالأبلّة من الدراهم ستمائة درهم، فأخذ كل رجل درهمين، ففرض عمر لأصحاب الدرهمين ممن أخذهما من فتح الأبلّة في ألفين من العطاء، وكانوا ثلاثمائة رجل، وكان فتح الأبلّة في رجب، أو في شعبان من هذه السنة.

(١) من هنا يبدأ النص الموجود بالمخطوطات التي رجع إليها مصححو ط وآخرون في ص ١١٥

(٢) خلّوها: تركوها.

س ٨ من هذا الجزء.

وعن الشعبي ، قال : شهد فتح الأبلّة مائتان وسبعون ، فيهم أبو بكرّة ، ونافع بن الحارث ، وشبيل بن معبد ، والمغيرة بن شعبة ، ومجاشع بن مسعود ، وأبو مريم البلّوى ، وربيعه بن كلدّة بن أبي الصلت الثقي ، والحجاج .

وعن عباية بن عبد عمرو ، قال : شهدت فتح الأبلّة مع عتبة ، فبعث نافع بن الحارث إلى عمر رحمه الله بالفتح ، وجمع لنا أهل دست ملسان ، فقال عتبة : أرى أن نسير إليهم ، فسرنا فلقينّا مرزبان دست ميسان ، فقاتلناه ، فانهزم أصحابه وأخذ أسيراً ، فأخذ قباؤه ومنطقته ، فبعث به عتبة مع أنس ابن حُجّية اليشكري .

٢٣٨٦/١ وعن أبي المليح الهذلي ، قال : بعث عتبة أنس بن حُجّية إلى عمر بمنطقة مرزبان دست ميسان ، فقال له : كيف المسلمون ؟ قال : انثالت عليهم الدنيا ، فهم يتهيلون الذهب والفضّة . فرغب الناس في البصرة ، فأتوها .

وعن عليّ بن زيد ، قال : لما فرغ عتبة من الأبلّة ، جمع له مرزبان دست ميسان ، فسار إليه عتبة من الأبلّة ، فقتله ، ثم سرح مجاشع بن مسعود إلى الفرات وبها مدينة . ووفد عتبة إلى عمر ، وأمر المغيرة أن يصلّي بالناس حتى يقدم مجاشع من الفرات ، فإذا قدم فهو الأمير . فظفر مجاشع بأهل الفرات ، ورجع إلى البصرة وجمع الفياكان^(١) ، عظيم من عظماء أبنز قباد^(٢) للمسلمين ، فخرج إليه المغيرة بن شعبة ، فلقبه بالمرغاب ، فظفر به ، فكتب إلى عمر بالفتح ، فقال عمر لعتبة : من استعملت على البصرة ؟ قال : مجاشع بن مسعود ، قال : تستعمل رجلاً من أهل الوبر على أهل المدر ؟ تدري ما حدث ! قال : لا ، فأخبره بما كان من أمر المغيرة ، وأمره أن يرجع إلى عمله ، فمات عتبة في

(١) ابن حبيش : « الميكان » ، ابن الأثير : « الفيلكان » .

(٢) ابن حبيش : « أبرقاد » .

الطريق ، واستعمل عمرُ المغيرةَ بنَ شعبة .

وعن عبد الرحمن بن جـَوْشَن ، قال : شخص عُتْبَة بعد ما قتل مرزبان دَسَتْ مَيْسَانَ ، وَجَّهَ مجاشعًا إلى الفرات ، واستخلفه على عمله ، وأمر المغيرة ابن شعبة بالصلاة حتى يرجع مجاشع من الفرات ، وجمع أهل مَيْسَانَ ، فلقيتهم المغيرة ، وظهر عليهم قبل قدوم مجاشع من الفرات ، وبعث بالفتح إلى عمر .

الطبري ، بإسناده عن قتادة ، قال : جمع أهل مَيْسَانَ للمسلمين ، فسار إليهم المغيرة ، وخلف المغيرة الأثقال ، فلقى العدو دون دِجْلَة ، فقالت أُرْدَة بنت الحارث بن كَلْدَة : لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم ! فاعتقدت لواءً من خمارها ، واتخذ النساءُ من خُمْرهنَّ رايات ، وخرجنَ يَرِدْنَ المسلمين ، فانتهينَ إليهم ، والمشركون يقاتلونهم ، فلما رأى المشركون الرايات مقبلة ، ظنوا أن مددًا أتى المسلمين فانكشفوا ، وأتبعهم المسلمون فقتلوا منهم عدة . ٢٣٨٧/١

وعن حارثة بن مضرب ، قال : فتحت الأبلَّة عَنوة ، فقم بينهم عتبة - كَكَّة - يعني خبزًا أبيض . وعن محمد بن سيرين مثله .

قال الطبري ، وكان ممن سبى من مَيْسَانَ يسار أبو الحسن البصري ، وأرطبان جدَّ عبد الله بن عون بن أرطبان .

وعن المثني بن موسى بن سلمة بن المحبق ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : شهدت فتح الأبلَّة ، فوقع لي في سهمي قيدُ نحاس ، فلما نظرت إذا هي ذهب فيها ثمانون ألف مثقال ، فكتب في ذلك إلى عمر ، فكتب أن يُصَبَّرَ^(١) يمين سلمة بالله لقد أخذها وهي عنده نحاس ، فإن حلف سلَّمت إليه ؛ وإلاَّ قسمت بين المسلمين . قال : فحلفت ، فسُلِّمت لي . قال المثني : فأصول أموالنا اليوم منها .

(١) في اللسان : « ومن هذا يمين الصبر ، وهو أن يحبس السلطان على اليمين حتى يحلف بها » .

وعن عمرة ابنة قيس ، قالت : لما خرج الناس لقتال أهل الأبلّة خرج زوجي وابني معهم ، فأخذوا الدرهمين وكوك زيب^(١) ، وإنهم مضوا حتى إذا كانوا حيال الأبلّة ، قالوا للعدو ، نعبّر إليكم أو تعبرون إلينا ؟ قال : بل اعبروا إلينا ، فأخذوا خشب العُشّ^(٢) فأوقفوه ، وعبروا إليهم ، فقال المشركون : لا تأخذوا أولهم حتى يعُبر آخرهم . فلما صاروا على لأرض كبروا تكبيرة ، ثم كبروا الثانية ، فقامت دوابهم على أرجلها ، ثم كبروا الثالثة ، فجعلت الدابة تضرب بصاحبها الأرض ، وجعلنا ننظر إلى رؤوس تُندّر ، ما نرى من يضربها ؛ وفتح الله على أيديهم .

المدائني ، قال : كانت عند عتبة صفية بنت الحارث بن كلدة ، وكانت أختها أردة بنت الحارث عند شبيل بن معبد البجلي ، فلما ولي عتبة البصرة انحدر معه أصهاره : أبو بكر ، ونافع ، وشبيل بن معبد ، وانحدر معهم زياد ؛ فلما فتحوا الأبلّة لم يجدوا قاسماً يقسم بينهم ، فكان زياد قاسمهم ؛ وهو ابن أربع عشرة سنة ، له ذؤابة ، فأجروا عليه كل يوم درهمين .

وقيل : إن إمارة عتبة البصرة كانت سنة خمس عشرة ، وقيل ست عشرة ؛ والأول أصح ؛ فكانت إمارته عليها ستة أشهر . واستعمل عمر على البصرة المغيرة بن شعبة فبقى سنتين ، ثم رمى بمارمى ؛ واستعمل أبا موسى ، وقيل استعمل بعد عتبة أبا موسى ، وبعده المغيرة . وفيها - أعنى سنة أربع عشرة - ضرب عمر ابنه عبيد الله وأصحابه في شراب شربوه وأبا مخجن .

وحج بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان على مكة عتّاب بن أسيد في قول ، وعلى اليمن يعلّى بن مُنية ، وعلى الكوفة سعد بن أبي وقاص ، وعلى الشام أبو عبيدة بن الجراح ، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاص - وقيل : العلاء بن الحضرمي - وعلى عُمان حذيفة بن محصن .

(١) الكوك : مكيال يسع صاعاً ونصف صاع .

(٢) العُشّ كصرد : شجر فيه حراق لم يقتدح الناس في أجود منه .

ثم دخلت سنة خمس عشرة

قال ابن جرير : قال بعضهم : فيها مصرَّ سعد بن أبي وقاص الكوفة ؛
دلَّهم عليها^(١) ابن بُقَيْلَة ؛ قال لسعد : أدلُّك على أرض ارتفعت عن^(٢)
البقيَّة ، وانحدرت عن الفلاة ! فدلَّهم على موضع الكوفة اليوم .

• • •

ذكر الوقعة بمرج الروم

وفي هذه السنة كانت الوقعة بمرج الروم ، وكان من ذلك أن أبا عبيدة
خرج بخالد بن الوليد من فحل إلى حمص ، وانصرف بمن أضيف إليهم
من اليرموك ؛ فقتلوا جميعاً على ذى الكلاع ، وقد بلغ الخبر هرقل ،
فبعث توذرا البيطريق حتى نزل بمرج دمشق وغربها ، فبدأ أبو عبيدة بمرج
الروم وجمعهم هذا ، وقد هجم الشتاء عليهم والجراح فيهم فاشية ، فلما نزل
على القوم بمرج الروم نازله يوم نزل عليه شنس الرومي ، في مثل خيل توذرا ؛
إمداداً لتوذرا ورداء لأهل حمص ؛ فنزل في عسكر على حدة ، فلما كان
من الليل أصبحت الأرض من توذرا بلاقع ، وكان خالد بإزائه وأبو عبيدة بإزاء ٢٣٩٠/١
شنس ، وأتى خالد الخبر أن توذرا قد رحل إلى دمشق ، فأجمع رأيهم ورأى
أبي عبيدة أن يتبعه خالد ، فأتبعه خالد من ليلته في جريدة ؛ وقد بلغ يزيد بن
أبي سفيان الذي فعل^(٣) ، فاستقبله فاقتتلوا ، ولحق بهم خالد وهم يقتتلون ؛
فأخذهم من خلفهم ، فقتلوا من بين أيديهم ومن خلفهم ؛ فأناموهم ولم يفلت
منهم إلا الشريد ؛ فأصاب المسلمون ما شاءوا من ظهْرٍ وأداة وثياب ، وقسم

(١) ابن الأثير : « على موضعها » .

(٢) ابن الأثير : « من » .

(٣) ابن الأثير : « فعل توذرا » ، النويري : « الخبر » .

ذلك يزيد بن أبي سفيان على أصحابه وأصحاب خالد ، ثم انصرف يزيد إلى دمشق ، وانصرف خالد إلى أبي عبيدة ، وقد قتل خالد تودرا ، وقال خالد :

نَحْنُ قَتَلْنَا تَوْدَرًا وَشَوْدَرًا وَقَبْلَهُ مَا قَدْ قَتَلْنَا حَيْدَرًا
• نَحْنُ أَرْزَنَّا الْفَيْضَةَ الْأَكْيَدَرَا •

وقد ناهد أبو عبيدة بعد خروج خالد في أثر تودرا شمس ، فاقتلوا بمرج الروم ، فقتلهم مقتلة عظيمة ، وقتل أبو عبيدة شمس ، وامتلأ المرج من قتلاهم ، فأنتنت منهم الأرض ، وهرب من هرب منهم ، فلم يفلتهم ، وركبوا أكساءهم إلى حمص^(١) .

• • •

ذكر فتح حمص

حكى الطبري عن سيف ، في كتابه ، عن أبي عثمان ، قال : ولما بلغ هرقل الخبر بمقتل أهل المرج ، أمر أمير حمص بالسير والمضي إلى حمص ، وقال : إنه بلغني أن طعامهم لحوم الإبل ، وشرابهم ألبانها ، وهذا الشتاء فلا تقاتلهم إلا في كل يوم بارد ، فإنه لا يبقى إلى الصيف منهم أحد ، هذا جل طعامه وشرابه . وارتحل من عسكره ذلك ، فأقى الرهاء ، وأخذ عامله بـحمص ، وأقبل أبو عبيدة حتى نزل على حمص ، وأقبل خالد بعده حتى ينزل عليها ، فكانوا يغادون المسلمين ويراجونهم في كل يوم بارد ؛ ولقى المسلمون بها برداً شديداً ، والروم حصاراً طويلاً ، فأما المسلمون فصبروا وربطوا ، وأفرغ الله عليهم الصبر ، وأعقبهم النصر ، حتى اضطرب الشتاء ، وإنما تمسك القوم بالمدينة رجاء أن يهلكهم الشتاء .

وعن أبي الزهراء القشيري ، عن رجل من قومه ، قال : كان أهل حمص

(١) الأكساء هنا : الأدبار ؛ يريد أنهم تنعموا .

يتواصون فيما بينهم ، ويقولون : تمسكوا فإنهم حُفَاة ، فإذا أصابهم البرد تقطعت أقدامهم مع ما يأكلون ويشربون ؛ فكانت الروم تراجُع ، وقد سقطت أقدام بعضهم في خفافهم ، وإن المسلمين في النُّعَال ما أصيب أصبع أحد منهم ، حتى إذا انخنس الشتاء ، قام فيهم شيخ لم يدعهم إلى مصالحة المسلمين . قالوا : كيف والملك في سلطانه وعزّه ، ليس بيننا وبينهم شيء ! فتركهم ؛ وقام فيهم آخر فقال : ذهب الشتاء ، وانقطع الرجاء ، فما تنتظرون ؟ فقالوا : البَرَسام ، فإنما يسكن في الشتاء ويظهر في الصيف ، فقال : إن هؤلاء قوم يُعانون ؛ ولأن تأتوهم بعهد وميثاق ، خير من أن تؤخذوا عَنوة ؛ أجيبي عمودين قبل أن تجيبي مذموين ! فقالوا : شيخ خَرَف ، ولا علم له بالحرب .

وعن أشياخ من غَسَّانَ وبلقين ، قالوا : أناب الله المسلمين على صبرهم أيام حِمَص أن زُلزل بأهل حِمَص ؛ وذلك أن المسلمين ناهدوهم ، فكبروا تكبيرة زُلزلت معها الروم في المدينة ، وتصدعت الحيطان ، ففرعوا إلى رؤسائهم وإلى ذوى رأيهم ممن كان يدعهم إلى المسألة ، فلم يجيبوهم وأذلّوهم بذلك ، ثم كبروا الثانية ، فتهافت منها دور كثيرة وحيطان ؛ وفرعوا إلى رؤسائهم وذوى رأيهم ، فقالوا : ألا ترون إلى عذاب الله ! فأجابوهم : لا يطلب الصلح غيركم ؛ فأشرفوا فنادوا : الصلح الصلح ! ولا يشعر المسلمون بما حدث فيهم ، فأجابوهم وقبلوا منهم على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك المسلمون أموال الروم وبنائهم ؛ لا يتزلونه عليهم ، فتركوه لهم ، فصالح بعضهم على صلح دِشَق على دينار وطعام ، على كل جريب أبدا أيسروا أو أعسروا . وصالح بعضهم على قَدَر طاقته ؛ إن زاد ماله زيد عليه ، وإن نقص نُقص ، وكذلك كان صلح دِشَق والأردن ؛ بعضهم على شيء إن أيسروا وإن أعسروا ، وبعضهم على قَدَر طاقته ، وولّوا مُعاملة ما جلا ملوكهم عنه .

٢٣٩٢/١

وبعث أبو عبيدة السَّمْطَ بن الأسود في بني معاوية ، والأشعث بن ميثناس في السكون ، معه ابن عابيس ، والمقداد في بَلَكِي ، وبلالا وخالد في الجيش ، والصباح

ابن شُتَيْبٍ وَذُهَيْلُ بْنُ عَطِيَّةٍ وَذَا شَمِيسْتَانُ ، فَكَانُوا فِي قَصَبَتِهَا . وَأَقَامَ فِي عَسْكَرِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى عُمَرَ بِالْفَتْحِ ، وَبَعَثَ بِالْأَخْمَاسِ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، وَقَدْ وَقَدَهُ . وَأَخْبِرَ خَبِيرُ هِرَقْلَ ؛ وَأَنَّهُ عَبَرَ الْمَاءَ إِلَى الْخَزِيرَةِ ، فَهُوَ بِالرُّهَاءِ يَنْغَمِسُ أحيانًا ، وَيَطْلُعُ أحيانًا . فَقَدِمَ ابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى عُمَرَ ، فَردّه ، ثُمَّ بَعَثَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى سَعْدِ بِالْكُوفَةِ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ : أَنِ اقْمِ فِي مَدِينَتِكَ وَادْعُ أَهْلَ الْقُوَّةِ وَالْجَلَدِ مِنْ عَرَبِ الشَّامِ ، فَإِنِّي غَيْرُ تَارِكٍ الْبُعْثَةَ إِلَيْكَ بَعْنِ يَكَاثُفُكَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

• • •

حديث قنسرین

وَعَنْ أَبِي عَثْمَانَ جَارِيَةٍ ، قَالَا : وَبَعَثَ أَبُو عُبَيْدَةَ بَعْدَ فَتْحِ حِمَصَ خَالِدَ ابْنَ الْوَلِيدِ إِلَى قِنْسَرِينَ ، فَلَمَّا نَزَلَ بِالْحَاضِرِ زَحَفَ إِلَيْهِمُ الرُّومُ ، وَعَلَيْهِمْ مِينَاسُ ، وَهُوَ رَأْسُ الرُّومِ وَأَعْظَمُهُمْ فِيهِمْ بَعْدَ هِرَقْلَ ، فَالْتَقَوْا بِالْحَاضِرِ ، فَقَتَلَ مِينَاسُ وَمَنْ مَعَهُ مَقْتَلَةً^(١) لَمْ يَقْتُلُوا مِثْلَهَا ، فَأَمَّا الرُّومُ فَمَاتُوا عَلَى دَمِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، وَأَمَّا أَهْلُ الْحَاضِرِ فَأَرْسَلُوا إِلَى خَالِدٍ أَنَّهُمْ عَرَبٌ ، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا حَشَرُوا وَلَمْ يَكُنْ مِنْ رَأْيِهِمْ حَرْبُهُ ، فَقَبِلَ مِنْهُمْ وَتَرَكَهُمْ . وَلَمَّا بَلَغَ عُمَرُ ذَلِكَ قَالَ : أَمَرَ خَالِدَ نَفْسَهُ ؛ يَرْحِمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ؛ هُوَ كَانَ أَعْلَمَ بِالرِّجَالِ مَنًى ، وَقَدْ كَانَ عَزَلَهُ وَالْمُتَشَّى مَعَ قِيَامِهِ ، وَقَالَ : إِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُمَا عَنْ رِيْبَةٍ ؛ وَلَكِنْ النَّاسَ عَظَمُوهُمَا ، فَخَشِيتُ أَنْ يَوْكَلُوا إِلَيْهِمَا . فَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمَرَ قِنْسَرِينَ مَا كَانَ ، رَجَعَ عَنْ رَأْيِهِ ، وَسَارَ خَالِدٌ حَتَّى نَزَلَ قِنْسَرِينَ ، فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ فِي السَّحَابِ لَحَمَلْنَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ أَوْ لَأَنْزَلَكُمْ اللَّهُ إِلَيْنَا . قَالَ : فَنَظَرُوا فِي أَمْرِهِمْ ، وَذَكَرُوا مَا لَقِيَ أَهْلُ حِمَصَ ؛ فَصَالَحُوهُ عَلَى صَلَاحِ حِمَصَ ، فَأَبَى إِلَّا عَلَى إِخْرَابِ الْمَدِينَةِ فَأَخْبَرَهَا ، وَاتَّطَاعَتْ حِمَصَ وَقِنْسَرِينَ ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ خَنَسَ^(٢) هِرَقْلَ ؛ وَإِنَّمَا كَانَ سَبَبُ خَنُوسِهِ أَنَّ خَالِدًا حِينَ قَتَلَ مِينَاسَ وَمَاتَ الرُّومُ عَلَى دَمِهِ ، وَعَقَدَ لِأَهْلِ الْحَاضِرِ وَتَرَكَ قِنْسَرِينَ ، طَلَعَ مِنْ قِبَلِ الْكُوفَةِ عُمَرُ

(١) ابن الأثير : « مقتلة عظيمة » .

(٢) خنس خنوساً : رجع وتأخر .

ابن مالك من قبل قرقيسيا، وعبد الله بن المَعْتَم من قبَل الموصل، والوليد ابن عقبة من بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة، وطوا مدائن الجزيرة من نحو هرقل، وأهل الجزيرة في حرّان والرقّة ونصيبين وذواتها لم يُغرضوا غرضهم؛ حتى يرجعوا إليهم؛ إلا أنهم خلقوا في الجزيرة الوليد لثلاثاً يؤتوا من خلفهم؛ فأدرب خالد وعياض ممّا يلي الشام، وأدرب عمر وعبد الله ممّا يلي الجزيرة؛ ولم يكونوا أدربوا قبله؛ ثم رجعوا، فهي أول مُدربة كانت في الإسلام سنة ست عشرة. فرجع خالد إلى قنسرين فترها، وأتمه امرأته، فلما عزله قال: إن عمرو لا تأتي الشام حتى إذا صارت بشية وعسلا عزلني^(١).

قال أبو جعفر الطبري: ثم خرج هرقل نحو القسطنطينية، فاختلّف في حين شخوصه إليها وتركه بلاد الشام؛ فقال ابن إسحاق: كان ذلك سنة خمس عشرة؛ وقال سيف: كان سنة ست عشرة.

• • •

ذكر خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية

١ ٢٣٩٥

ذكر سيف عن أبي الزهراء القشيري، عن رجل من بني قشير، قالوا: لما خرج هرقل من الرّهاء واستبج أهلها، قالوا: نحن ها هنا خير منّا معك، وأبوأ أن يتبعوه، وتفرقوا عنه وعن المسلمين؛ وكان أول من أنبح كلابها، وأنفر^(٢) دجاجها زياد بن حنظلة، وكان من الصحابة، وكان مع عمر ابن مالك مساندّه، وكان حليفاً لبني عبد بن قصى؛ وقبل ذلك ما قد خرج هرقل حتى شيشاط؛ فلما نزل القوم الرّهاء أدرب فنفذ نحو القسطنطينية، ولحقه رجل من الروم كان أسيراً في أيدي المسلمين، فأقلت: فقال له: أخبرني عن هؤلاء القوم، فقال: أحذرك كأنك تنظر إليهم؛ فرسان بالنهار ورجال بالليل، ما يأكلون في ذمتهم إلا بثمان، ولا يدخلون إلا بسلام، يقفون على

(١) البنية: نسبة إلى البنية، بلدة بدمشق مشهورة بالحنطة الجيدة.

(٢) ابن الأثير: «ونفر».

مَنْ حَارِبُهُمْ حَتَّى يَأْتُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : لَنْ كُنْتُ صَدَقْتَنِي لِيَرْثُنَّ مَا تَحْتَ
قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ .

وعن عبادة وخالد ، أَنَّ هِرَقْلَ كَانَ كُلَّمَا حَجَّ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ فَخَلَفَ
سُورِيَّةَ ، وَظَنَّ فِي أَرْضِ الرُّومِ التَّفْتَ فَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سُورِيَّةَ
تَسْلِمُ مَوْدَعٌ لَمْ يَقْضِ مِنْكَ وَطَرَهُ ، وَهُوَ عَائِدٌ . فَلَمَّا تَوَجَّهَ الْمُسْلِمُونَ نَحْوَ حِمَاصٍ
عَبَّرَ الْمَاءَ ، فَتَزَلَّ الرَّهَاءُ ، فَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى طَلَعَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَفَتِيحَتْ قِنَاصِرِينَ
وَقَتِيلَ مَيْنَاسَ ، فَخَنَسَ عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى شَمِشَاطٍ ؛ حَتَّى إِذَا فَصَلَ مِنْهَا نَحْوَ
الرُّومِ عَلَا عَلَى شَرْفٍ ، فَالْتَفَتَ وَنَظَرَ نَحْوَ سُورِيَّةَ ، وَقَالَ : عَلَيْكَ السَّلَامُ
يَا سُورِيَّةَ ، سَلَامًا ^(١) لَا اجْتِمَاعَ بَعْدَهُ ، وَلَا يَعُودُ إِلَيْكَ رَوْيٌ أَبَدًا إِلَّا خَائِفًا ،
حَتَّى يُولَدَ الْمَوْلُودُ الْمُشْتُومُ ، وَيَالِيَتَهُ لَا يُولَدُ ! مَا أَهْلَتْنِي فِعْلَتُهُ ، وَأَمَرَتْ عَاقِبَتُهُ عَلَى
الرُّومِ !

وعن أَبِي الزَّهْرَاءِ وَعَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ ، قَالَا : لَمَّا فَصَلَ هِرَقْلُ مِنْ شَمِشَاطٍ
دَاخِلًا الرُّومَ التَّفْتَ إِلَى سُورِيَّةَ ، فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ سَلَّمْتُ عَلَيْكَ تَسْلِيمَ الْمَسَافِرِ ،
فَأَمَّا الْيَوْمَ فَعَلَيْكَ السَّلَامُ يَا سُورِيَّةَ تَسْلِمُ الْمَفَارِقَ ، وَلَا يَعُودُ إِلَيْكَ رَوْيٌ أَبَدًا
إِلَّا خَائِفًا ، حَتَّى يُولَدَ الْمَوْلُودُ الْمُشْتُومُ ، وَلِيَتَهُ لَمْ يُولَدُ ! وَمَضَى حَتَّى نَزَلَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ .
وَأَخَذَ أَهْلَ الْحِصُونِ الَّتِي بَيْنَ إِسْكَنْدَرِيَّةَ وَطَرَسُوسَ مَعَهُ ؛ ثَلَاثًا يَسِيرُ الْمُسْلِمُونَ
فِي عِمَارَةٍ مَا بَيْنَ أَنْطَاكِيَّةَ وَبِلَادِ الرُّومِ ، وَشَعَثَ الْحِصُونَ ، فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ
لَا يَجِدُونَ بِهَا أَحَدًا ، وَرَبَّمَا كُنْ عِنْدَهَا الرُّومُ ؛ فَأَصَابُوا غَيْرَةَ الْمُتَخَلِّفِينَ ، فَاحْتَاطَ
الْمُسْلِمُونَ لِذَلِكَ .

• • •

ذَكَرَ فَتْحَ قَيْسَارِيَّةَ وَحَصَرَ غَزَةَ

ذَكَرَ سَيْفٌ ، عَنْ أَبِي عَثْمَانَ وَأَبِي حَارِثَةَ ، عَنْ خَالِدٍ وَعَبَادَةَ ، قَالَا : لَمَّا
انْصَرَفَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَخَالِدٌ إِلَى حِمَاصٍ مِنْ فِجَلٍ ، نَزَلَ عَمْرُو وَشَرْجِيلُ عَلَى
بَيْتَانٍ فَافْتَحَاهَا ، وَصَالَحَتَهُ الْأُرْدُنَّ ، وَاجْتَمَعَ عَسْكَرُ الرُّومِ بِأَجْنَادِيْنِ .

(١) ابن الأثير : « سلام » .

وبَيْسَانَ وَغَزَّةَ ، وَكُتِبُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ قُصَيْبٍ ، فَكُتِبَ إِلَى يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ظُهُورَهُمْ بِالرَّجَالِ ، وَأَنْ يَسْرَحَ مُعَاوِيَةَ إِلَى قَيْسَارِيَّةَ . وَكُتِبَ إِلَى عَمْرِو بْنِ قُصَيْبٍ بِصَدَمِ الْأَرطَبُونَ ، وَإِلَى عُلُقَمَةَ بِصَدَمِ الْفَيْقَارِ .

وَكَانَ كِتَابُ عَمْرِو بْنِ مُعَاوِيَةَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ وَلَيْتُكَ قَيْسَارِيَّةَ ، فَسِرْ إِلَيْهَا وَاسْتَنْصِرِ اللَّهَ عَلَيْهِمْ ، وَأَكْثَرُ مِنْ قَوْلِ : « لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ، اللَّهُ رَبُّنَا وَثِقَتُنَا وَرَجَاؤُنَا وَمَوْلَانَا ، نَعْمُ الْمَوْلَى وَنَعْمُ النَّصِيرُ » . فَانْتَهَى الرَّجُلَانِ إِلَى مَا أَمَرَا بِهِ ، وَسَارَ مُعَاوِيَةُ فِي جَنْدِهِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى أَهْلِ قَيْسَارِيَّةَ وَعَلَيْهِمْ أَبْنَى ، فَهَزَمَهُ وَحَصَرَهُ فِي قَيْسَارِيَّةَ . ثُمَّ لَمَسَهُمْ جَعَلُوا يَزَاحِفُونَهُ ، وَجَعَلُوا لَا يَزَاحِفُونَهُ مِنْ مَرَّةٍ إِلَّا هَزَمَهُمْ وَرَدَّهُمْ إِلَى حَصْنِهِمْ . ثُمَّ زَاحَفُوهُ آخِرَ ذَلِكَ ، وَخَرَجُوا مِنْ صِيَاصِيهِمْ ، فَاقْتَتَلُوا فِي حَفِظَةِ وَاسْتَمَاتَةَ ، فَلَبِغَتْ قَتْلَاهُمْ فِي الْمَعْرَكَةِ ثَمَانِينَ أَلْفًا ، وَكَلَّمَهَا فِي هَزِيمَتِهِمْ مِائَةَ أَلْفٍ ، وَبَعَثَ بِالْفَتْحِ مَعَ رَجُلَيْنِ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ ، ثُمَّ خَافَ مِنْهُمَا الْاِسْتَعْفَ ، فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُلُقَمَةَ الْفَرَّاسِيَّ وَزُهَيْرَ بْنَ الْحَلَّابِ الْخُثَمِيَّ ، وَأَمَرَهُمَا أَنْ يَتَّبِعَاهُمَا وَيَسْبِقَاهُمَا ، فَاحْقَاهُمَا ، فَطَوَّيَاهُمَا وَهَمَّا نَائِمَانِ . وَابْنُ عُلُقَمَةَ يَتِمَثَّلُ وَهِيَ هِجِيرَاهُ :

أَرْقَ عَيْنِي أَخَوَا جُدَامٍ كَيْفَ أَنَامُ وَهُمَا أُمَامِي
إِذْ يَرْحَلَانِ وَالْهَجِيرُ طَائِي أَخُو حُشِيمٍ وَأَخُو حَرَامِ

وَإِنِ انْطَلَقَ عُلُقَمَةُ بْنُ مُجَزَّرٍ ، فَحَصَرَ الْفَيْقَارَ بِغَزَّةَ ، وَجَعَلَ يُرَاسِلُهُ ، فَلَمْ يَشْفِهِ مِمَّا يَرِيدُ أَحَدٌ ؛ فَأَتَاهُ كَأَنَّهُ رَسُولُ عُلُقَمَةَ ، فَأَمَرَ الْفَيْقَارَ رَجُلًا أَنْ يَقْعُدَ لَهُ بِالطَّرِيقِ ، فَإِذَا مَرَّ قَتْلَهُ ، فَفَطِنَ عُلُقَمَةَ ، فَقَالَ : إِنَّ مَعِيَ نَفَرًا شُرَكَائِي فِي الرَّأْيِ ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِيكَ بِهِمْ ؛ فَبَعَثَ إِلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ : لَا تَعْرِضْ لَهُ . فَخَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ يَتَّعُدْ ، وَفَعَلَ كَمَا فَعَلَ عَمْرُو بِالْأَرطَبُونَ ، وَانْتَهَى بِرِيدِ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَبَرِ ، فَجَمَعَ النَّاسَ وَأَبَاتَهُمْ عَلَى الْفَرَحِ لَيْلًا ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَقَالَ : لَتَحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى فَتْحِ قَيْسَارِيَّةَ ، وَجَعَلَ مُعَاوِيَةَ قَبْلَ الْفَتْحِ وَبَعْدَهُ يَحْبِسُ الْأَسْرَى عِنْدَهُ ، وَيَقُولُ : مَا صَنَعَ مِيخَائِيلُ بِأَسْرَانَا صَنَعْنَا بِأَسْرَاهِمِ مِثْلَهُ ، فَفَطَمَهُ عَنِ الْعَبَثِ بِأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ حَتَّى افْتَتَحَهَا .

ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين

ولما توجه علقمة إلى غزة وتوجه معاوية إلى قيسارية، صمد عمرو بن العاص إلى الأرطوبون، ومرّ بإزائه، وخرج معه شُرْحِيل بن حَسَنَة على مقدمته، واستخلف على عمل الأرْدُنّ أبا الأعور، وولى عمرو بن العاص مجنبيه عبد الله بن عمرو وجنادة بن تميم المالكي، مالك بن كنانة، فخرج حتى يتزل على الروم بأجنادين، والروم في حصونهم وخنادقهم وعليهم الأرطوبون. وكان الأرطوبون أذهى الروم وأبعدها غوراً، وأنكاهها فعلاً، وقد كان وضع بالرملة جنداً عظيماً، وبإيلياء جنداً عظيماً، وكسب عمرو إلى عمر بالخبر؛ فلما جاءه كتاب عمرو، قال: قد رمينا أرطوبون الروم بأرطوبون العرب، فانظروا عمّ تنفرج^(١)! وجعل عمر رحمه الله من لدن وجه أمراء الشام يمدّ كل أمير جند ويرمي بالأمداد؛ حتى إذا أتاه كتاب عمرو بتفريق الروم، كتب إلى يزيد أن يبعث معاوية في خيله إلى قيسارية، وكتب إلى معاوية بإمرته على قتال أهل قيسارية؛ وليشغلهم عن عمرو؛ وكان عمرو قد استعمل علقمة ابن حكيم الفراسي وممرق بن فلان العكي على قتال أهل إيلياء، فصاروا بإزاء أهل إيلياء، فشغلهم عن عمرو، وبعث أبا أيوب المالكي إلى الرملة، وعليها التدارق، وكان بإزائهما، ولما تابعت الأمداد على عمرو، بعث محمد بن عمرو مدداً لعلقمة ومسروق، وبعث ثُمارة بن عمرو بن أمية الضمري مدداً لأبي أيوب، وأقام عمرو على أجنادين لا يقلر من الأرطوبون على سقطة، ولا تشفيه الرسل، فوليه بنفسه، فدخل عليه كأنه رسول، فأبلغه ما يريد، وسمع كلامه، وتأمل حصونه حتى عرف ما أراد. وقال أرطوبون في نفسه: والله إن هذا لعمرو، أو إنه لالذي يأخذ عمرو برأيه؛ وما كنت لأصيب القوم بأمر أعظم عليهم من قتله. ثم دعا حرسياً فسار به بقتله، فقال: اخرج. فقم مكان كذا وكذا، فإذا مرّ بك فاقتله، وفطن له عمرو، فقال: قد سمعت مني وسمعت منك، فأما ما قلتَه فقد وقع مني

(١) ابن الأثير والنويري: «تنفرج».

٢٤٠٠/١

موقعاً؛ وأنا واحد من عشرة ؛ بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالى لنكافئه^(١) ويشهدنا أموره ، فأرجع فأتيك بهم الآن ، فإن رأوا فى الذى عرضت مثل الذى أرى ، فقد رآه أهل العسكر والأمير ؛ وإن لم يروه رددتهم إلى مأمئهم ، وكنت على رأس أمرك . فقال : نعم ، ودعا رجلا فساره ، وقال : اذهب إلى فلان فردّه إلى ، فرجع إليه الرجل وقال لعمر : انطلق فجئ بأصحابك ؛ فخرج عمرو ورأى ألا يعود لئلهما ، وعلم الرومى بأنه قد خدعه ، فقال : خدعنى الرجل ؛ هذا أدهى الخلق . فبلغت عمر ، فقال : غلبه عمرو ، لله عمرو ! وناهذه عمرو ، وقد عرف مأخذة وعاقبته ، والتقوا ولم يجد من ذلك بدءاً فالتقوا بأجنادين ، فاقتتلوا قتالا شديداً كقتال اليرموك ؛ حتى كثرت القتلى بينهم .

ثم إن أربطون انهزم فى الناس فأوى إلى إيلياء ، ونزل عمرو أجنادين . ولما أتى أربطون إيلياء أفرج له المسلمون حتى دخلها ، ثم أزالهم إلى أجنادين ، فانضم علقمة ومسروق ومحمد بن عمرو وأبو أيوب إلى عمرو بأجنادين ، وكتب أربطون إلى عمرو بأنك صديق ونظيرى ؛ أنت فى قومك مثلى فى قومى ؛ والله لا تفتح من فلسطين شيئاً بعد أجنادين ، فارجع ولا تغرّ فتلقتى ما لى الذين قبلك من الهزيمة . فدعا عمرو رجلا يتكلم بالرومية ، فأرسله إلى أربطون ، وأمره أن يغرب ويتنكر ، وقال : استمع ما يقول حتى تخبرنى به إذا رجعت إن شاء الله .

وكتب إليه : جاءنى كتابك وأنت نظيرى ومثلى فى قومك ، لو أخطأتك خصلة تجاهلت فضيلتى ، وقد علمت أننى صاحب فتح هذه البلاد ، وأستعدى عليك فلاناً وفلاناً وفلاناً - لوزرائه - فأقرهم كتابى ، ولينظروا فيما بينى وبينك فخرج الرسول على ما أمره به حتى أتى أربطون فدفع إليه الكتاب بمشهد من النفر ، فاقرأه فضحكوا وتعجبوا وأقبلوا على أربطون ، فقالوا : من أين علمت أنه ليس بصاحبها ؟ قال : صاحبها رجل اسمه «عمر» ثلاثة أحرف ؛ فخرج الرسول إلى عمرو فعرف أنه عمر .

٢٤٠١/١

وكتب إلى عمر يستمده ، ويقول : إني أعالج حرباً كثوداً صدموا وبلاداً
 ادُّخِرَتْ لك ، فأريك . ولما كتب عمرو إلى عمر بذلك ، عرف أن عمر لم يقل
 إلاّ بعلم ، فنأدى في الناس ، ثم خرج فيهم حتى نزل بالجابية . وجميع
 ما خرج عمر إلى الشام أربع مرّات ، فأما الأولى فعلى فرس ، وأما الثانية
 فعلى بعير ، وأما الثالثة فقصر عنها أن الطاعون مستعر ، وأما الرابعة فدخلها
 على حمار . فاستخلف عليها ، وخرج وقد كتب مخرجه أول مرة إلى أمراء
 الأجناد أن يوافوه بالجابية - ليوم سَمَاهُ لهم في المجرّدة - وأن يستخلفوا على أعمالهم .
 فلقوه حيث رفعت لهم الجابية ؛ فكان أول من لقيه يزيد ثم أبو عبيدة ثم خالد
 على الخيول ؛ عليهم الدّيباج والحرير ، فتزل وأخذ الحجارة ، فرماهم بها ،
 وقال : سرّع ما لُفِتِم عن رأيكم ! إيتاي تستقبلون في هذا الزّمي ، وإنما
 شبعتم منذ سنتين ! سرّع ما ندّت بكم البيطنة ! والله لو فعلتموها على رأس
 المائتين لاستبدلت بكم غيركم ، فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إنها يلامقة ،
 وإن علينا السلاح ، قال : فنعم إذاً . وركب حتى دخل الجابية وعمرو
 وشرحبيل بأجنّاديين لم يتحرّكا من مكانهما .

• • •

ذكر فتح بيت المقدس

وعن سالم بن عبد الله ، قال : لما قدم عمر رحمه الله الجابية ، قال له
 رجل من يهود : يا أمير المؤمنين ؛ لا ترجع إلى بلادك حتى يفتح الله عليك
 إيلياء ؛ فبينما عمر بن الخطاب بها ؛ إذ نظر إلى كُردوس من خيل مقبل ، فلمّا
 دنوا منه سلّوا السيوف . فقال عمر : هؤلاء قوم يستأمنون ، فأمنوهم ؛ فأقبلوا
 فإذا هم أهل إيلياء ، فصاحوه على الجزية ، وفتحوها له ، فلمّا فتحت عليه
 دعا ذلك اليهودي ، فقبل له : إن عنده لعلماً . قال : فسأله عن الدّجال
 - وكان كثير المسألة عنه - فقال له اليهودي : وما سألتك عنه يا أمير المؤمنين !
 فأنتم والله معشر العرب تقتلونهم دون باب لدّ ببضع عشرة ذراعاً .

وعن سالم، قال: لمّا دخل عمر الشام تلقّاه رجل من يهود دمشق، فقال: السلامُ عليك يا فاروق! أنت صاحب إيلياء لا والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء؛ وكانوا قد أشجّوا عمرًا وأشجّاهم؛ ولم يقدر عليها ولا على الرملة، فبينما عمر معسكرًا بالجابية، فرع الناس إلى السلاح، فقال: ما شأنكم؟ فقالوا: ألا ترى الخيل والسيوف! فنظر، فإذا كُردوس يلمعون بالسيوف؛ فقال عمر: مستأمنة، ولا تُراعوا وأمنّوهم؛ فأمنّوهم؛ وإذا هم أهل إيلياء، فأعطوه واكتبوا منه على إيلياء وحيزها، والرملة وحيزها؛ فصارت فلسطين نصفين: نصف مع أهل إيلياء، ونصف مع أهل الرملة؛ وهم عشر كُور، وفلسطين تعدل الشام كله؛ وشهد ذلك اليهودي الصلح، فسأله عمر عن الدجال؛ فقال: هو من بني بنيامين؛ وأنتم والله يا معشر العرب تقتلونهم على بضع عشرة ذراعًا من باب لُدّ.

وعن خالد وعادة، قالوا: كان الذي صالح فلسطين العوام من أهل إيلياء والرملة؛ وذلك أن أرتبون والتذارق لحقا بمصر، مقدّم عمر الجابية، وأصيبا بعد في بعض الصوائف^(١).

وقيل: كان سبب قدوم عمر إلى الشام، أن أبا عبيدة حضر بيت المقدس، فطلب أهله منه أن يصالحهم على صلح أهل مدن الشام، وأن يكون المتولّى للعقد عمر بن الخطاب؛ فكتب إليه بذلك، فسار عن المدينة.

وعن عديّ بن سهل، قال: لما استمدّ أهل الشام عمر على أهل فلسطين، استخلف عليًّا، وخرج ممدًّا لهم، فقال عليّ: أين تخرج بنفسك! إنك تريد عدوًّا كليلًا، فقال: إني أبادر بجهاد العدو موت العباس؛ إنكم لو قد فقدتم العباس لانقضى بكم الشر كما ينتقض أولُ الجبل.

قال: وانضمّ عمرو وشرجيل إلى عمر بالجابية حين جرى الصلح فيما بينهم، فشهد الكتاب.

وعن خالد وعادة، قالوا: صالح عمر أهل إيلياء بالجابية، وكتب لهم

(١) الصوائف: جمع صائفة؛ وبها سميت غزوة الروم؛ لأنهم كانوا يفزونها صيفًا لمكان البرد والثلج.

فيها الصلح لكل كُورة كتابًا واحدًا ، ما خلا أهل إيلياء .

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبدُ الله عمر أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان ؛ أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ، ولكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها ؛ أنه لا تسكن كنائسهم ولا تُهدم ، ولا يُنتقص منها ولا من حيزها ، ولا من صليبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضارَ أحد منهم ، ولا يسكنُ بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يُعطى أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الرّوم والصّوت^(١) ؛ فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ؛ ومن أقام منهم فهو آمن ؛ وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الرّوم ويختلّ بينهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعتهم وصلبهم ، حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان ، فمن شاء منهم قعدوا عليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الرّوم ؛ ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يُحصّد حصادهم ؛ وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية . شهد على ذلك خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان . وكتب وحضّر سنة خمس عشرة . فأما سائر كتبهم فعلى كتاب لُدّ . بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما

أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل لُدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أجمعين ، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتهم ؛ أنه لا تُسكن كنائسهم ولا تُهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها ولا ميلها ، ولا من صليبهم ولا من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ؛ ولا يضارَ أحد منهم ؛ وعلى أهل لُدّ ومن دخل معهم من أهل فلسطين أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل مدائن الشام ، وعليهم أن يخرجوا مثل

(١) الصّوت مثل الصّ : السارق ، وجمعه لصوت .

ذلك الشرط إلى آخره . ثم سرح إليهم ، وفرّق فلسطين على رجلين ، فجعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة ، وعلقمة بن مجزّر على نصفها وأنزله إيلياء ؛ فترل كل واحد منهما في عمله في الجنود التي معه .

وعن سالم ، قال : استعمل علقمة بن مجزّر على إيلياء وعلقمة بن حكيم على الرملة في الجنود التي كانت مع عمرو وضمّ عمرًا وشرحبيل إليه بالجابية ، فلمّا انتهيا إلى الجابية ، وافقا عمر رحمه الله راكبًا ، فقبلا ركبتيه ، وضمّ عمر كل واحد منهما محتضنهما ^(١) .

وعن عبادة وخالد ، قالا : ولما بعث عمر بأمان أهل إيلياء وسكنها الجند ، شخص إلى بيت المقدس من الجابية ، فرأى فرسه يتوجّى ^(٢) ، فترل عنه ، وأتى بيرذون فركبه ، فهزّه فترل ، فضرب وجهه بردائه ، ثم قال : قبح الله من علمك هذا ! ثم دعا بفرسه بعد ما أجّمه أيامًا يوقّحه ^(٣) فركبه ، ثم سار حتّى انتهى إلى بيت المقدس .

وعن أبي صفيّة ؛ شيخ من بني شيان ، قال : لما أتى عمر الشام أتى بيرذون فركبه ، فلما سار جعل يتخلّج ^(٤) به ، فترل عنه ، وضرب وجهه ، وقال : لا علم الله من علمك ! هذا من الخيلاء ؛ ولم يركب برذونا قبله ولا بعده . وفتحت إيلياء وأرضها كلّها على يديه ، ما خلا أجنادين فلما فتحت على يدى عمرو ، وقيساريّة على يدى معاوية .

٢٤٠٨/١

وعن أنى عثمان وأبى حارثة ، قالا : افتتحت إيلياء وأرضها على يدى عمر في ربيع الآخر سنة ست عشرة .

وعن أبى مریم مولى سلامة ، قال : شهدت فتح إيلياء مع عمر رحمه الله ، فسار من الجابية فاصلاً حتّى يقدم إيلياء ، ثم مضى حتّى يدخل المسجد ، ثم مضى نحو محراب داود ؛ ونحن معه ،

(١) النويرى : « محتضناً » .

(٢) وجى الفرس وتوجى : إذا وجد وجماً فى حافره .

(٣) يوقّحه ، أى تركه أياماً حتّى صلب حافره .

(٤) ابن الأثير : « يتجلجل » ، والنويرى : « يتخلخل » .

فدخله ثم قرأ سجدة داود ، فسجد وسجدنا معه .

وعن رجاء بن حيوة ، عمن شهد ؛ قال : لما شخص عمر من الجابية إلى إيلياء ، فدنا من باب المسجد ، قال : ارقبوا لي كعباً ، فلما انفرق به الباب ، قال : لبسك ، اللهم لبتيك ، بما هو أحب إليك ! ثم قصد المحراب ؛ محراب داود عليه السلام ، وذلك ليلاً ، فصلى فيه ، ولم يلبث أن طلع الفجر ، فأمر المؤذن بالإقامة ، فتقدم فصلتي بالناس ، وقرأ بهم « ص » ، وسجد فيها ، ثم قام ، وقرأ بهم في الثانية صدر « بنى إسرائيل »^(١) ، ثم ركع ثم انصرف ، فقال : على بكعب ، فأتيت به ، فقال : أين ترى أن نجعل المصلّي ؟ فقال : إلى الصخرة ، فقال : ضاهيت والله اليهودية يا كعب ، وقد رأيتك وخلعتك نعليك ، فقال : أحببت أن أباشره بقدمي ، فقال : قد رأيتك ، بل نجعل قبلته صدره ، كما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبله مساجدنا صدورها ، اذهب إليك ، فإننا لم نؤمر بالصخرة ، ولكننا أمرنا بالكعبة ، فجعل قبلته صدره ، ثم قام من مصلاة إلى كنيسة قد كانت الروم قد دفنت بها بيت المقدس ٢٤٠٩/١ في زمان بنى إسرائيل ؛ فلما صار إليهم أبرزوا بعضها ، وتركوا سائرها ، وقال : يأتيها الناس ، اصنعوا كما أصنع ، وجثا في أصلها ، وجثا في فرج من فروج قبائه ، وسمع التكبير من خلفه ، وكان يكره سوء الرعة في كل شيء ، فقال : ما هذا ؟ فقالوا : كبر كعب وكبر الناس بتكبيره فقال : على به فأتيت به ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبي منذ خمسمائة سنة ، فقال : وكيف ؟ فقال : إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأدبلوا عليهم ، فدفعوه ، ثم أدبلوا فلم يفرغوا له حتى أغارت عليهم فارس فبغوا على بنى إسرائيل ، ثم أدبلت الروم عليهم إلى أن وليت ، فبعث الله نبياً على الكنيسة ، فقال : أبشري أوري سَلَم ! عليك الفاروق ينقذك مما فيك . وبعث إلى القسطنطينية نبي ؛ فقام على تلها ، فقال : يا قسطنطينية ، ما فعل أهلك ببني ! أخربوه وشبهوك كعرشي ؛ وتأولوا على ، فقد قضيت عليك أن أجعلك جرحاء^(٢) يوماً ما ، لا يأوى إليك أحد ، ولا يستظل فيك

(١) أي سورة الإسراء .

(٢) يقال : بند جرحاء ، أي لا شجر فيها .

على أيدي بنى القافر سبباً وودان ؛ فما أمسوا حتى ما بقي منه شيء .
وعن ربيعة الشامي بمثله ؛ وزاد : أذاك الفاروق في جندى المطيع ،
ويُدركون لأهلك بئارك في الروم . وقال في قسطنطينية : أدعك جكنحاء
بارزة للشمس ، لا يأوى إليك أحد ، ولا تظليته .

٢٤١٠/١

وعن أنس بن مالك ، قال : شهدت لإبلاء مع عمر ، فينا هو يطعم
الناس يوماً بها أتاه راهبها وهو لا يشعر أن الخمر محرمة ، فقال : هل لك
في شراب نجده في كتبنا حللاً إذا حرمت الخمر ! فدعاه به فقال : من أي
شيء هذا ؟ فأخبره أنه طبخه عصيراً ، حتى صار إلى ثلثه ، فغرف بإصبعه ،
ثم حرّكه في الإناء فشطره ، فقال : هذا طلاء ؛ فشبهه بالقطران ، وشرب
منه ، وأمر أمراء الأجناد بالشام به ؛ وكتب في الأمصار : إني أتيت بشراب
مما قد طبخ من العصير حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه كالطلاء ، فاطبخوه
وارزقوه المسلمين .

وعن أبي عثمان وأبي حارثة ، قالا : ولحق أرطبون بمصر مقدّم عمر الحابية ،
ولحق به من أحبّ ممن أبي الصلح ، ثم لحق عند صلح أهل مصر ، وغلبهم
بالروم في البحر ، وبقي بعد ذلك ؛ فكان يكون على صوائف الروم ،
والتي هو وصاحب صائفة المسلمين فيختلف هو ورجل من قيس يقال له
ضريس ؛ فقطع يد القيسي ، وقتله القيسي^(١) ، فقال :

فإن يكن أرطبون الروم أفسدها فإن فيها بحمد الله منتقعا
بناتان وجرموز أقسم به صدر القنافة إذا ما أنسوا فزعا
وإن يكن أرطبون الروم قطعها فقد تركت بها أوصاله قطعاً

وقال زياد بن حنظلة :

تذكرت حرب الروم لماتوا كنت وإذا نحن في عام كثير نزائله
وإذا نحن في أرض الحجاز وبيننا مسيرة شهر بينهم بلابله
وإذا أرطبون الروم يحمي بلاده يحاوله قرم هناك يساجله

٢٤١١/١

فَلَمَّا رَأَى الْفَارُوقَ أَزْمَانَ فَتَحَهَا
فَلَمَّا أَحَسَّوهُ وَخَافُوا صِوَالَهُ
وَأَلْقَتْ إِلَيْهِ الشَّامَ أَفْلَازَ بَطْنِهَا
أَبَاحَ لَنَا مَا بَيْنَ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ
وَكَمْ مُثْقَلٍ لَمْ يَضْطَلْعْ بِاحْتِمَالِهِ
وَقَالَ أَيْضًا :

مَا عَمَرَ لِمَا أَتَتْهُ رَسَائِلُ
وَقَدْ عَضَلَتْ بِالشَّامِ أَرْضُ بَاهِلِهَا
فَلَمَّا أَنَاهُ مَا أَنَاهُ أَجَابَهُمْ
وَأَقْبَلَتِ الشَّامُ الْعَرِيضَةُ بِالَّذِي
فَقَطَّ فِيمَا بَيْنَهُمْ كُلَّ جَزِيَّةٍ
كَأَصِيدٍ يَحْمِي صِرْمَةَ الْحَيِّ أَغِيدًا
تَرِيدُ مِنَ الْأَقْوَامِ مَنْ كَانَ أُجْدَا
يَحْيِي تَرَى مِنْهُ الشَّبَائِكَ سُجْدًا
أَرَادَ أَبُو حَفْصٍ وَأَزَكِي وَأَزِيدًا
وَكُلَّ رِفَادٍ كَانَ أَهْنَا وَأَحْمَدًا

ذكر فرض العطاء وعمل الديوان

وفي هذه السنة فرض عمر للمسلمين الفروض ، ودون الدواوين ، وأعطى
العطايا على السابقة ، وأعطى صفوان بن أمية والحرث بن هشام وسُهَيْل بن
عمر في أهل الفتح أقل ما أخذ^(١) من قبلهم ، فامتنعوا من أخذه وقالوا :
لا نعرف أن يكون أحد أكرم منا ، فقال : إني إنما أعطيتكم على السابقة
في الإسلام لا على الأحساب ؛ قالوا : فنعم إذا ، وأخذوا ، وخرج الحرث
وسُهَيْل بأهليهما نحو الشام ؛ فلم يزالا مجاهدين حتى أصيبا في بعض تلك
الدروب ؛ وقيل : ماتا في طاعون عمواس^(٢) .

(١) التويري : « أعطى » .

(٢) عمواس ، رواه الزنجشري بسكون الثاني ، ورواه غيره بفتح : كورة بفلسطين ؛ كان
منها ابتداء الطاعون في زمن عمر ، ثم فشا في الشام كله ؛ فمات فيه خلق كثير لا يحصى من
الصحابة وغيرهم ؛ وكان ذلك سنة ١٨ هـ . ياقوت .

ولما أراد عمر وضع الديوان ، قال له عليّ وعبد الرحمن بن عوف : ابدأ بنفسك ، قال : لا ، بل أبدأ بعم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم الأقرب فالأقرب ؛ ففرض للعبّاس وبدأ به ، ثم فرض لأهل بدر خمسة آلاف خمسة آلاف ، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف أربعة آلاف ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أفلح أبو بكر عن أهل الردّة ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف ؛ في ذلك من شهد الفتح وقاتل عن أبي بكر ، ومن ولى الأيام قبل القادسية ؛ كل هؤلاء ثلاثة آلاف ثلاثة آلاف . ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين ؛ وفرض لأهل البلاء البارح^(١) منهم ألفين وخمسمائة ، ألفين وخمسمائة ، فقليل له : لو ألحقت أهل القادسية بأهل الأيتام ! فقال : لم أكن لألحقهم بدرجة من لم يدركوا ، وقيل له : قد سوّيت من بعدت داره بمن قربت داره وقاتلهم عن فئائه ، فقال : من قربت داره أحقّ بالزيادة ، لأنهم كانوا رداءً للّحوق^(٢) وشجّى للعدوّ ، فهلاًّ قال المهاجرون مثل قولكم حين سوّينا بين السابقين منهم والأنصار ! فقد كانت نصرة الأنصار بفنائهم ؛ وهاجر إليهم المهاجرون من بعد ؛ وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً ، ثم فرض للروادف : المثنى خمسمائة خمسمائة ، ثم للروادف التلث^(٣) بعدهم ؛ ثلثمائة ثلثمائة ؛ سوّى كلّ طبقة في العطاء ، قويهم وضعيفهم ، عربهم وعجمهم ، وفرض للروادف الربيع^(٤) على مائتين وخمسين ، وفرض لمن بعدهم وهم أهل هجر والعباد على مائتين ، وألحق بأهل بدر أربعة من غير أهلها : الحسن والحسين وأبذرّ وسلمان ؛ وكان فرض للعبّاس خمسة وعشرين ألفاً - وقيل . اثني عشر ألفاً - وأعطى نساء النبي صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف عشرة آلاف ؛ إلّا من جرى عليها الملك ؛ فقال نسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفضّلنا عليهنّ في القسمة ؛ فسوّ بيننا ؛ ففعل وفضّل عائشة بألفين لحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إيتاها فلم تأخذ ؛ وجعل نساء أهل بدر في

٢٤١٣/١

(٢) ابن الأثير : « للتحرف » .

(١) ابن الأثير : « النازع » .

(٣) النويري : « الثلث » ، وهما سواء .

(٤) الربيع هنا : الجزء من أربعة .

خمسمائة خمسمائة، ونساء مَن بعدهم إلى الحديبية على أربعمائة أربعمائة ؛ ونساء من بعد ذلك إلى الأيام ثلثمائة ثلثمائة ، ونساء أهل القادسية مائتين مائتين ، ثم سوى بين النساء بعد ذلك ؛ وجعل الصبيان سواء على مائة مائة ، ثم جمع ستين مسكيناً ، وأطعمهم الخبز ، فأحصوا ما أكلوا ، فوجدوه يخرج من جريبتين ، ٢٤١٤/١
ففرض لكل إنسان منهم ولعِياله جريبتين في الشهر .

وقال عمر قبل موته : لقد همتُ أن أجعلَ العطاء أربعة آلاف أربعة آلاف ، ألفاً يجعلها الرجل في أهله ، وألفاً يزودها ^(١) معه ، وألفاً يتجهز بها ، وألفاً يترفق بها ؛ فمات قبل أن يفعل ^(٢) .

قال أبو جعفر الطبري : كتب إلى المروءي عن شعيب ، عن سيف ؛ عن محمد وطلحة والمهلب وزِيَاد والمجالد وعمرو ، عن الشعبي ؛ وإسماعيل عن الحسن ، وأبي ضمرة عن عبد الله بن المستورد عن محمد بن سيرين ، ويحيى ابن سعيد عن سعيد بن المسيب ، والمستنير بن يزيد عن إبراهيم ، وزهرة عن أبي سلمة ، قالوا : فرض عمر العطاء حين فرض لأهل النُبى الذين أفاء الله عليهم ؛ وهم أهل المدائن ، فصاروا بعدُ إلى الكوفة ، انتقلوا عن المدائن إلى الكوفة والبصرة ودمشق وحمص والأردن وفلسطين ومصر ، وقال : النُبى لأهل هؤلاء الأمصار ولمن لحق بهم وأعانهم ، وأقام معهم ولم يفرض لغيرهم ؛ ألا فيهم سُكنت المدائن والقرى ، وعليهم جرى الصلح ؛ وإليهم أدّى الجزاء ، وبهم سُدت الفروج ودُوخ العدو . ثم كتب في إعطاء أهل العطاء أعطياتهم إعطاءً واحداً سنة خمس عشرة .

وقال قائل : يا أمير المؤمنين ، لو تركت ^(٣) في بيوت الأموال عدّة لكون إن كان ! فقال : كلمة ألقاها الشيطان على فيك وقائى الله شرّها ؛ وهى فتنة لمن بعدى ؛ بل أعدّ لهم ما أمرنا الله ورسوله طاعة لله ورسوله ؛ فهماعدتنا التى بها أفضينا إلى ما ترون ، فإذا كان هذا المال ثمن دين أحدكم هلكتم .

(١) التزوي : « يتزودها » .

(٢) هذا آخر ما زيد من ابن الأثير وابن حبان : مما لم يرد في الأصول المحظوظة ، وانظر ص ٥٩٤ س ٥ من هذا الجزء

(٣) ابن الأثير : « شركت » .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد والمهلب وطلحة وعمر وسعيد ؛ قالوا : لما فتح الله على المسلمين وقتل رسّم ، وقدمت على عمر الفتوح من الشام جمع المسلمين ، فقال : ما يحلّ للوالى من هذا المال ؟ فقالوا جميعاً : أمّا لخاصته فقوته وقوت عياله ، لا وكس ولا شطط ، وكسوتهم وكسوته للشتاء والصيف ، ودابتان إلى جهاده وحوائجه وحملانه إلى حجّه وعمرته ، والقسم بالسوية ، أن يعطى أهل البلاء على قدر بلائهم ، ويرمّ أمور الناس بعد ؛ ويتعاهدهم عند الشدائد والنوازل حتى تكشف ، ويبدأ بأهل الفء .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله بن عمر ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : جمع الناس عمر بالمدينة حين انتهى إليه فتح القادسية ودمشق ، فقال : إني كنت امرأ تاجرًا ، يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بأمركم ، فإذا ترون أنه يحلّ لى من هذا المال ^(١) ؟ فأكثر القوم وعلى عليه السلام ساكت ، فقال : ما تقول يا على ؟ فقال : ما أصلحك وأصلح عيالك بالمعروف ، ليمس لك من هذا المال غيره ، فقال القوم : القول قول ابن أبي طالب . ٢٤١٦/١

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد ، عن عبيد الله ، عن نافع ، عن أسلم ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : ما يحلّ لك من هذا المال ؟ فقال : ما أصلحتى وأصلح عيالى بالمعروف ، وحلّة الشتاء وحلّة الصيف ، وراحلة عمر للحج والعمرة ، ودابة فى حوائجه وجهاده .

كتب إلى المروى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن مبشر بن الفضيل ، عن سالم بن عبد الله ، قال : لما ولي عمر قعد على رزق أبى بكر الذى كانوا فرضوا له ، فكان بذلك ؛ فاشتدت حاجته ، فاجتمع نفر من المهاجرين ^(٢) منهم عثمان ، وعلى وطلحة ، والزبير ، فقال الزبير : لو قلنا لعمر فى زيادة نزيدها إياه فى رزقه ! فقال على : ودنا قبل ذلك ؛ فانطلقوا بنا ، فقال

(١) ابن الأثير والنويرى : « فى هذا المال » .

(٢) ابن الأثير والنويرى : « الصحابة » .

عثمان : إنه عمر ! فهلّموا فلنستبرئ ما عنده من وراء ؛ نأتى حفصة فنسألها ونستكلمها ، فدخلوا عليها وأمروها أن تخبر بالخبر عن نفر ، ولا تسمي له أحداً ، إلا أن يقبل ، وخرجوا من عندها ، فلقيت عمر في ذلك ، فعرفت الغضب في وجهه ، وقال : من هؤلاء ؟ قالت : لا سبيل إلى علمهم حتى أعلم رأيك ، فقال : لو علمت من هم لسوت وجوههم ؛ أنت بيني وبينهم ! أنشدك بالله ؛ ما أفضل ما اقتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتك من الملبس ؟ قالت : ثوبين ممشقين ^(١) كان يلبسهما للوفد ، ويخطب فيهما للجمع ؛ قال : فأى الطعام ناله عندك أرفع ؟ قالت : خبزنا خبزة شعير ، فصبينا عليها وهي حارة أسفل عكّة ^(٢) لنا ، فجعلناها هشة دسمة ؛ فأكل منها وتطعم منها استطابة لها . قال : فأى مبسط كان يسطه عندك كان أوطأ ؟ قالت : كساء لنا ثخين كنا نربّعه في الصيف ، فنجعله تحتنا ، فإذا كان الشتاء بسطنا نصفه وتدثرنا بنصفه ، قال : يا حفصة ؛ فأبلغهم عنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رفّوض الفضول مواضعها ؛ وتبلغ بالترجية ^(٣) ، وإني قدّرت فوالله لأضعن الفضول مواضعها ، ولأبّلغن بالترجية ؛ وإنما مثلى ومثل صاحبي كثلانة سلكوا طريقاً ؛ فضى الأول وقد تزود زاداً فبلغ ، ثم اتبعه الآخر فسلك طريقه ، فأفضى إليه ، ثم اتبعه الثالث ، فإن لزم طريقهما ورضى بزادهما لحق بهما وكان معهما ؛ وإن سلك غير طريقهما لم يجامعهما .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن عطية ، عن أصحابه .
والضحّاك عن ابن عباس ، قال : لما افتتحت القادسية وصالح من صالح من أهل السواد وافتتحت دمشق ، وصالح أهل دمشق ، قال عمر للناس : اجتمعوا فأحضروني علمكم فيما أفاء الله على أهل القادسية وأهل الشام . فاجتمع

(١) الثوب المشق : المصبوع بالمشق ، أى المنفرة .

(٢) العكة : زقيق صنير للمن .

(٣) الترجية : الاكتفاء ؛ يقال : ترجيت بكذا ، أى اكتفيت به ، وفى ط : « الترجية »

رَأَى عُمَرُ وَعَلِيٌّ عَلَيَّ أَنْ يَأْخُذُوا مِنْ قَبْلِ الْقُرْآنِ ، فَقَالُوا : ﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى ﴾ — يعنى من الخمس — ﴿ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ ؛ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ ؛ مِنْ اللَّهِ الْأَمْرُ وَعَلَى الرَّسُولِ الْقِسْمُ ﴿ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ .. ﴾ الْآيَةُ ، ثُمَّ فَسَّرُوا ذَلِكَ بِالْآيَةِ الَّتِي تَلِيهَا : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ .. ﴾ ^(١) الْآيَةُ ، فَأَخَذُوا الْأَرْبَعَةَ أَخْمَاسَ عَلَى مَا قَسَمَ عَلَيْهِ الْخُمْسَ فِيمَنْ بَدَأَ بِهِ وَتَنَّى وَتَلَّثَ ، وَأَرْبَعَةَ أَخْمَاسَ لِمَنْ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمَغْنَمَ . ثُمَّ اسْتَشْهَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ ^(٢) ، فَقَسَمَ الْأَخْمَاسَ عَلَى ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعَ عَلَى ذَلِكَ عُمَرُ وَعَلِيٌّ ، وَعَمِلَ بِهِ الْمُسْلِمُونَ بَعْدَهُ ، فَبَدَأَ بِالْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ ، ثُمَّ بِالتَّابِعِينَ الَّذِينَ شَهِدُوا مَعَهُمْ وَأَعَانُوهُمْ ، ثُمَّ فَوَّضَ الْأَعْطِيَةَ مِنَ الْجِزَاءِ عَلَى مَنْ صَالِحٌ أَوْ دُعِيَ إِلَى الصِّلَاحِ مِنْ جِزَائِهِ ، مُرَدُّدٌ عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ ؛ وَلَيْسَ فِي الْجِزَاءِ أَخْمَاسٌ ، وَالْجِزَاءُ لِمَنْ مَنَعَ الذِّمَّةَ . وَوَفَّقَى لَهُمْ مِمَّنْ وَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُمْ ؛ وَلِمَنْ لَحِقَ بِهِمْ فَأَعَانَهُمْ ، إِلَّا أَنْ يُؤَاسُوا بِفَضْلَةٍ مِنْ طَيِّبِ أَنْفُسِ مَنْهُمْ مَنْ لَمْ يَنْلِ مِثْلَ الَّذِي نَالُوا .

قَالَ الطَّبْرِيُّ : وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ — أَعْنَى سَنَةَ خَمْسٍ عَشْرَةَ — كَانَتْ وَقَعَاتٌ فِي قَوْلِ سَيْفِ بْنِ عُمَرَ ، وَفِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ : كَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةَ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا الرِّوَايَةَ بِذَلِكَ عَنْهُ قَبْلَ ؛ وَكَذَلِكَ ذَلِكَ فِي قَوْلِ الْوَاقِدِيِّ .

• • •

نَذَكُرُ الْآنَ الْأَخْبَارَ الَّتِي وَرَدَتْ بِمَا كَانَ بَيْنَ مَا ذَكَرْتُ مِنَ الْحُرُوبِ إِلَى انْقِضَاءِ السَّنَةِ الَّتِي ذَكَرْتُ أَنَّهُمْ اخْتَلَفُوا فِيهَا مَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ :

كُتِبَ إِلَى السَّرِيِّ ، عَنْ شُعَيْبٍ ، عَنْ سَيْفٍ ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَالْمُهَلَّبِ وَعُمَرُ وَسَعِيدٌ ، قَالُوا : عَهْدُ عُمَرَ إِلَى سَعْدٍ حِينَ أَمَرَهُ بِالسَّيْرِ إِلَى الْمَدَائِنِ أَنْ يَخْلُفَ النِّسَاءَ وَالْعِيَالَ بِالْعَتِيقِ ، وَيَجْعَلَ مَعَهُمْ كَتِفًا ^(٣) مِنَ الْجَنْدِ ، فَفَعَلَ

(٢) سورة الأنفال ٤١ .

(١) سورة الحشر ٧ ، ٨ .

(٣) الكنف : الجماعة .

وعهد إليه أن يُشركهم في كل مغنم ما داموا يخلفون المسلمين في عيالاتهم .
 قالوا : وكان مقام سعد بالقادسية بعد الفتح شهرين في مكاتبة عمر في
 العمل بما ينبغي ، فقدّم زهرة نحو اللسان – واللسان لسان البرّ الذي أدلعه
 في الريف ، وعليه الكوفة اليوم ، والحية قبل اليوم – والتخيرجان معسكر به ،
 فافرض ولم يثبت حين سمع بمسيرهم إليه ، فلحق بأصحابه . قالوا : فكان
 مما يلعب به الصبيان في العسكر وتلقيه النساء عليهم ، وهم على شاطئ العتيق ،
 أمر كان النساء يلعبن به في زرد وذى قار ؛ وتلك الأمواه حين أمروا بالسير
 في جمادى إلى القادسية ، وكان كلاماً أبدن فيه كالأوبد من الشعر ؛
 لأنه ليس بين جمادى ورجب شيء :

العَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبِ

أَمْرٌ قَضَاءٌ قَدْ وَجَبَ يَحْبِرُهُ مَنْ قَدْ شَجَبَ

تَحْتَ غَيَارٍ وَلَجَبِ .

خبر يوم بُرس

قال : ثم إن سعدا ارتحل بعد الفراغ من أمر القادسية كله ، وبعد
 تقديم زهرة بن الحوية في المقدمات إلى اللسان ، ثم أتبعه عبد الله بن المعتز ،
 ثم أتبع عبد الله شريحيل بن السمط ، ثم أتبعهم هاشم بن عتبة ، وقد ولّاه
 خلافته ، عمل خالد بن عرقطة ، وجعل خالداً على الساقة ، ثم أتبعهم وكل
 المسلمين فارس مؤد قد نقل الله إليهم ما كان في عسكر فارس من سلاح
 وكراع ومال ، لأيتام بقين من شوال ، فسار زهرة حتى ينزل الكوفة
 – والكوفة كل حصباء حمراء وسهلة حمراء مختلطتين – ثم نزل عليه عبد الله
 وشريحيل ، وارتحل زهرة حين نزل عليه نحو المدائن ، فلما انتهى إلى بُرس
 لقيه بها بُصْبُهري في جمع فناوشوه فهزمهم ، فهرب بُصْبُهري ومن

معه إلى بابل وبها فالتة القادسية^(١) وبقايا رؤسائهم: النخيرجان وميهران الرازي والهَرْمَزَان وأشباههم؛ فأقاموا واستعملوا عليهم الفيرْزَان ، وقدم عليهم بُصْبُهْرِي وقد نجا بطعنة ، فمات منها .

كتب إلى السريّ ، عن شعيب ، عن سيف ، عن النضر بن السريّ ، عن ابن الرّفيل ، عن أبيه ، قال : طعن زهرة بُصْبُهْرِي في يوم بُرْس ، فوقع في النهر فمات من طعنته بعد ما لحق ببابل ؛ ولما هُزِم بُصْبُهْرِي أقبل بِسْطَام دِهْقَان بُرْس ، فاعتقد من زهرة وعقد له الجسور ، وأتاه بخبر الذين اجتمعوا ببابل .

يوم بابل

قالوا: ولما أتى بِسْطَام زهرة بالخبر عن الذين اجتمعوا ببابل من فُلّال القادسية ، أقام وكتب إلى سعد بالخبر . ولما نزل سعد على مَنْ بالكوفة مع هاشم بن عتبة ، وأتاه الخبر عن زهرة باجتماع الفُرس ببابل على الفيرْزَان ، قدّم عبد الله ، وأتبعه شَرَحْبِيل وهاشماً ، ثم ارتحل بالناس ، فلما نزل عليهم بُرْس ، قدّم زهرة فأتبعه عبد الله وشَرَحْبِيل وهاشما ، واتّبعهم فنزلوا على الفيرْزَان ببابل ، وقد قالوا: نقاتلهم دَسْتًا قبل أن نفرق ، فاقتتلوا ببابل ، فهزموهم في أسرع من لَفَتِ الرِّداء ، فانطلقوا على وجوههم ؛ ولم يكن لهم همة إلا الافتراق ، فخرج الهرمزان متوجّها نحو الأهواز ، فأخذها فأكلها وميهرْجَان قَذَق ، وخرج الفيرْزَان معه حتى طلع على تَهاوُند ، وبها كنوز كبرى ؛ فأخذها وأكل الماهيّن^(٢) ، وصمد النخيرجان وميهران الرازي للمدائن ، حتى عبرا بهرْسِير إلى جانب دجلة الآخر ، ثم قطعوا الجسر ، وأقام سعد ببابل أياماً ، وبلغه أن النخيرجان قد

(١) فالة القادسية: المهزومون منهم .

(٢) الماهان : الدينور ونهاوند ، إحداها ماء البصرة والأخرى ماء الكوفة .

خلف شهریار؛ دهقانان من دهاقین الباب بکوثی فی جمع ، فقدّم زهرة
ثم أتبعه الجنود ، فخرج زهرة حتى ينزل علی شهریار بکوثی بعد قتل
فیومان والفرخان فما بین سورا والدیر .

كتب إلى السری ، عن شعیب ، عن سیف ، عن النضر بن السری ،
عن ابن الرقیل ، عن أبیه ، قال : كان سعد قدّم زهرة من القادسیة فمضى
متسعباً فی حربیه وجنده ، ثم لم یلق جمعاً فهزمهم إلا قدّم ، فأتبعهم
لا یمرّون بأحد إلا قتلوه ممّن لحقوا به منهم أو أقام لهم ، حتى إذا قدّمه من
بابل قدّم زهرة بکثیر بن عبد الله اللیثی وکثیر بن شهاب السعدی أخوا
الغلاّق حین عبّر الصّراة ، فیلحقون بأخریات القوم فیههم فیومان والفرخان ؛
هذا میسانی وهذا أهوازی ، فقتل بکیر الفرخان ، وقتل کثیر فیومان
بسورا . ثم مضى زهرة حتى جاوز سورا ، ثم نزل ، وأقبل هاشم حتى نزل
علیه ، وجاء سعد حتى ینزل علیهم ، ثم قدّم زهرة ، فسار تلقاء القوم ،
وقد أقاموا له فیما بین الدیر وکوثی ، وقد التخلف النّخیرجان ومیهران علی
جنودهما شهریار، دهقان الباب . ومضیا إلى المدائن ، وأقام شهریار هنالك ،
فلما التقوا بأکناف کوثی ؛ جيش شهریار وأوائل الخلیل ، خرج فنادی :
ألا رجل ، ألا فارس منکم شدید عظیم یخرج إلىّ حتى أنکّل به ! فقال ١ / ٢٤٢٣
زهرة : لقد أردت أن أبارزک ؛ فأما إذ سمعت قولک ، فإنی لا أخرج إلیک
إلا عبداً ؛ فإن أقمّت له قتلك إن شاء الله بیغیک ؛ وإن فررت منه فلأما
فررت من عبد ، وکایده ؛ ثم أمر أبا نباتة نائل بن جعشم الأعرجی - وكان
من شجعان بنی تمیم - فخرج إلیه ، ومع کلّ واحد منهما الرمح ، وکلاهما
وثیق الخلق ؛ إلا أن الشهریار مثل الجمل ، فلما رأى نائلا ألقى الرمح
لیعتقه ، وألقى نائل رمحہ لیعتقه ، وانتضیا سیفیهما فاجتلدا ، ثم اعتنقا
فخراً عن دابّتیهما ، فوقع علی نائل كأنه بیّت ، فضغظه بفخذه ، وأخذ
الخنجر وأراغ حلّ أزرار درعه ، فوقعت إبهامه فی فم نائل ، فحطم عظمهما ،
ورأى منه فتوراً ، فتاوره فجلد به الأرض ، ثم قعد علی صدره ، وأخذ
خنجره ، فکشف درعه عن بطنه ، فطعنه فی بطنه وجنبه حتى مات ،

فأخذ فرسه وسواريه وسلّبه ، وانكشف أصحابه ، فذهبوا في البلاد ، وأقام
زهرة بكوثى حتى قدم عليه سعد ، فأتى به سعداً ، فقال سعد : عزمت
عليك يا نائل بن جعشم لما لبست سواريه وقبّاءه ودرّعه ، ولتركتين بيرذونه !
وغنّته ذلك كلّهُ . فانطلق ، فتدرّع سلبه ، ثم أتاه في سلاحه على دابّته ،
فقال : اخلع سواريك إلّا أن ترى حرباً فتلبسهما ؛ فكان أوّل رجل من
المسلمين سوّر بالعراق .

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة والمهلب
وعمر وسعيد ، قالوا : فأقام سعد بكوثى أياماً ، وأتى المكان الذى جلس فيه
إبراهيم عليه السلام بكوثى ، فترل جانب القوم الذين كانوا يشترّون إبراهيم ،
وأتى البيت الذى كان فيه إبراهيم عليه السلام محبوساً ، فنظر إليه وصلى على
رسول الله وعلى إبراهيم ، وعلى أنبياء الله صلوات الله عليهم ، وقرأ :
(وَبَلِّغْ الْأَيَّامُ نَدَاؤِهَا بَيْنَ النَّاسِ) (١) .

حديث بهر سير

فى ذى الحجة سنة خمس عشرة فى قول سيف

كتب إلى السرى ، عن شعيب ، عن سيف ، عن محمد وطلحة
والمهلب وعمر وسعيد والنضر ، عن ابن الرّفيل ، قالوا : ثم إن سعداً قدم زهرة إلى
بهر سير ، هضى زهرة من كوثى فى المقدمات حتى ينزل بهر سير ، وقد
تلقاه شيراز بساباط بالصلح وتأدية الجزاء ، فأمضاه إلى سعد ، فأقبل معه
وتبعته المحنّبات ، وخرج هاشم ، وخرج سعد فى أثره ، وقد فلّ زهرة كتيبة
كيسرى بوران حول المظلم ، وانتهى هاشم إلى مظلم ساباط ، ووقف لسعد
حتى لحق به ، فوافق ذلك رجوع المقرّط . أسد كان لكيسرى قد ألفه
وتخيره من أسود المظلم ؛ وكانت به كتائب كيسرى التى تدعى بوران ،
وكانوا يحلفون بالله كلّ يوم : لا يزول ملك فارس ما عشنا — ، فبادر

المقرط الناس حين انتهى إليهم سعد ، فنزل إليه هاشم فقتله ، وسُمِّي سيفه المَتَن ، فقبِل سعد رأس هاشم ، وقبل هاشم قَدَم سعد ، فقدّمه سعد إلى بَهْرَسِير ، فنزل إلى المظلم وقرأ : ﴿ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ﴾^(١) ، فلما ذهب من الليل هدأة ارتحل ، فنزل على الناس ببَهْرَسِير ، وجعل المسلمون كلما قدمتم خيل على بَهْرَسِير وقفوا ثم كبروا . فكَذَلِكَ حَتَّى نَجَزَ آخِرَ مَنْ مَعَ سَعْدَ ، فَكَانَ مَقَامَهُ بِالنَّاسِ عَلَى بَهْرَسِيرَ شَهْرَيْنِ ، وَعَبَرُوا فِي الثَّالِثِ .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عمر بن الخطاب ، وكان عامله فيها على مكة عتّاب بن أسيد . وعلى الطائف يعلى بن مُسَيَّة . وعلى البصرة والبحرين عُثْمَان ٢٤٢٦/١ ابن أبي العاص ، وعلى عُثْمَان حذيفة بن محصن ، وعلى كُور الشّام أبو عبدة ابن الجراح ، وعلى الكوفة وأرضها سعد بن أبي وقاص ، وعلى قضائها أبو قرّة^(٢) ، وعلى البصرة وأرضها المغيرة بن شعبة .

تم الجزء الثالث من تاريخ الطبرى

وبليه الجزء الرابع وأوله : ذكر حوادث سنة ست عشرة

(١) سورة إبراهيم ٢٤ .

(٢) ط : « أبوزرة » .

obeikandi.com

فهرس الموضوعات

صفحة	بيان
٥ - ٧	

السنة السابعة

٩ - ١٦	غزوة خيبر
١٦ - ١٧	ذكر غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وادى القرى
١٧ - ١٩	أمر الحجاج بن علاط السلمى
١٩ - ٢١	ذكر مقاسم خيبر وأموالها
٢١ - ٢٣	حوادث متفرقة
٢٣ - ٢٦	عمره القضاء

.....

السنة الثامنة

٢٧ - ٢٩	خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوّح
٢٩ - ٣١	إسلام عمرو بن العاص
٣٢ - ٣٣	غزوة ذات السلاسل
٣٢ - ٣٣	غزوة الحبّط
٣٤ - ٣٦	حوادث متفرقة
٣٦ - ٤٢	ذكر الخبر عن غزوة مؤتة
٣٨ - ٦١	ذكر الخبر عن فتح مكة
٦٢ - ٦٦	حوادث متفرقة
٦٦ - ٦٩	مدير خالد بن الوليد إلى بنى جذيمة بن مالك
٧٠ - ٨٢	غزوة هوازن بجنين
٨٢ - ٨٥	غزوة الطائف

صفحة

٩٤ — ٨٦	أمر أموال هوازن وعطايا المؤلفات قلوبهم منها
٩٥ — ٩٤	عمرة رسول الله من الجعرانة

* * *

السنة التاسعة

١٠٠ — ٩٦	أمر ثقيف وإسلامها
١١١ — ١٠٠	ذكر الخبر عن غزوة تبوك
١١٥ — ١١١	أمر طيبيء وعدى بن حاتم
١٢٠ — ١١٥	قدوم وفد تميم ونزول سورة الحجرات
١٢٢ — ١٢٠	قدوم رسول ملوك حمير على رسول الله بكتابهم
١٢٤ — ١٢٢	حوادث متفرقة
١٢٥ — ١٢٤	قدوم ضمام بن ثعلبة وافتدأ عن بني سعد

* * *

السنة العاشرة

١٣٠ — ١٢٦	سرية خالد بن الوليد إلى بني الحارث بن كعب وإسلامهم
١٣٠	حوادث متفرقة
١٣١ — ١٣٠	قدوم وفد الأزد
١٣٢ — ١٣١	سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن
١٣٤ — ١٣٢	قدوم وفد زبيد
١٣٦ — ١٣٤	قدوم فروة بن مسيك المرادي
١٣٧ — ١٣٦	قدوم الجارود في وفد عبد القيس
١٣٨ — ١٣٧	قدوم وفد بني حنيفة ومعهم مسيلمة
١٣٩ — ١٣٨	قدوم الأشعث بن قيس في وفد كندة
١٤٠ — ١٣٩	حوادث متفرقة
١٤٣ — ١٤٠	قدوم رفاعة بن زيد الجذامي

١٤٥ — ١٤٤	.	.	.	.	وفد بني عامر بن صعصعة .
١٤٦ — ١٤٥	.	.	.	.	قدوم زيد الخيل في وفد طيبي .
١٤٧ — ١٤٦	.	.	.	.	كتاب مسيلمة إلى رسول الله والحواب عنه
١٤٧	.	.	.	.	خروج الأمراء والعمال على الصدقات
١٥٢ — ١٤٨	.	.	.	.	حجة الوداع .
١٥٤ — ١٥٢	.	.	.	.	ذكر جملة الغزوات
١٥٨ — ١٥٥	.	.	.	.	ذكر جملة السرايا والبعوث
١٥٩ — ١٥٨	.	.	.	.	حوادث متفرقة
١٦٠ — ١٥٩	.	.	.	.	ذكر الخبر عن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٨ — ١٦٠	.	.	.	.	ذكر الخبر عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
	.	.	.	.	ذكر من خطب النبي صلى الله عليه وسلم من النساء ثم لم ينكحهن
١٦٩	.	.	.	.	ذكر سراري رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٦٩	.	.	.	.	ذكر موالي رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٢ — ١٦٩	.	.	.	.	ذكر من كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٣	.	.	.	.	أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٤ — ١٧٣	.	.	.	.	ذكر أسماء بغال رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٤	.	.	.	.	ذكر أسماء إبله صلى الله عليه وسلم
١٧٥ — ١٧٤	.	.	.	.	ذكر أسماء لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦ — ١٧٥	.	.	.	.	ذكر أسماء منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	.	.	.	.	ذكر أسماء سيوف رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٦	.	.	.	.	ذكر أسماء قسيه ورماحه صلى الله عليه وسلم
١٧٨ — ١٧٧	.	.	.	.	ذكر أسماء دروعه صلى الله عليه وسلم
١٧٨	.	.	.	.	ذكر ترسه صلى الله عليه وسلم
١٧٨ — ١٧٩	.	.	.	.	ذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم

صفحة

١٨٠ - ١٧٩	ذكر صفة النبي صلى الله عليه وسلم . . .
١٨٠	ذكر خاتم النبوة التي كانت به صلى الله عليه وسلم .
١٨١	ذكر شجاعته وجوده صلى الله عليه وسلم . . .
١٨٣ - ١٨١	ذكر صفة شعره صلى الله عليه وسلم وهل كان يخضب أم لا ؟
١٨٣	ذكر الخبر عن بدء مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

* * *

السنة الحادية عشرة

١٩٩ - ١٨٤	ذكر الأحداث التي كانت فيها . . .
	ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفي فيه رسول الله ومبلغ
٢٠٣ - ١٩٩	سنه يوم وفاته
٢١٠ - ٢٠٣	حديث السقيفة
٢١٦ - ٢١٠	ذكر جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه . . .
	ذكر الخبر عن اليوم والشهر اللذين توفى فيهما رسول الله صلى
٢١٨ - ٢١٧	الله عليه وسلم
	ذكر الخبر عما جرى بين المهاجرين والأنصار في أمر الإمارة
٢٢٣ - ٢١٨	في سقيفة بني ساعدة
٢٢٧ - ٢٢٣	ذكر أول أمر أبي بكر في خلافته
٢٤٠ - ٢٢٧	بقية الخبر عن أمر الكذاب العنسي
٢٤٩ - ٢٤٠	حوادث متفرقة
٢٥٢ - ٢٤٩	كتاب أبي بكر إلى قبائل العرب المرتدة ووصيته للأمرء
	ذكر بقية الخبر عن غطفان حين انضمت إلى طليحة وما آل
٢٦١ - ٢٥٣	إليه أمر طليحة
٢٦٧ - ٢٦١	ذكر ردة هوازن وسليم وعامر
٢٧٥ - ٢٦٧	ذكر خبر بني تميم وأمر مسجاح بنت الحارث بن سويد
٢٨٠ - ٢٧٦	ذكر البطاح وخبره

٢٨١ — ٣٠١	ذكر بقية خبر مسيلمة الكذاب وقومه من أهل اليمامة .
٣٠١ — ٣١٣	ذكر خبر أهل البحرين وردة الحطم ومن تجمع معه بالبحرين
٣١٣ — ٣١٦	ذكر الخبر عن ردة أهل عمان ومهرة واليمن
٣١٦ — ٣١٨	ذكر خبر مهرة بالنجد
٣١٨ — ٣٢٠	ذكر خبر المرتدين باليمن
٣٢٠ — ٣٢٢	خبر الأخابث من عك
٣٢٢ — ٣٢٨	ردة أهل اليمن ثانية
٣٢٨ — ٣٣٠	ذكر خبر طاهر حين شخص مدداً لفيروز
٣٣٠ — ٣٤٢	ذكر خبر حضرموت في ردتهم
٣٤٢	حوادث متفرقة

* * *

السنة الثانية عشرة

٣٤٣ — ٣٥٠	مسير خالد إلى العراق وصلح الحيرة
٣٥٠ — ٣٥٢	ذكر واقعة المذار
٣٥٢ — ٣٥٤	ذكر واقعة الوبلة
٣٥٤ — ٣٥٨	خبر أليس ، وهي على صلب الفرات
٣٥٨ — ٣٥٩	حديث أمغيشيا
٣٥٩ — ٣٦٥	حديث يوم المقر وفم فرات بادقلى
٣٦٥ — ٣٧٣	خبر ما بعد الحيرة
٣٧٣ — ٣٧٥	حديث الأنبار — وهي ذات العيون — وذكر كئلواذى
٣٧٥ — ٣٧٧	خبر عين التمر
٣٧٧ — ٣٨٠	خبر دومة الجندل
٣٨٠	خبر حصيد
٣٨٠	الحنافس
٣٨١	مصبيخ بنى البرشاء
٣٨٢ — ٣٨٣	النقى والزميل

صفحة

٣٨٤ — ٣٨٣	.	.	.	.	.	حديث القراض
٣٨٥ — ٣٨٤	.	.	.	.	.	حجة خالد
٣٨٦ — ٣٨٥	.	.	.	.	.	حوادث متفرقة

* * *

السنة الثالثة عشرة

٣٩٤ — ٣٨٧	.	.	.	.	ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث
٤١٤ — ٣٩٤	.	.	.	.	خبر اليرموك
٤١٨ — ٤١٥	.	.	.	.	ذكر وقعة أجنادين *
٤٢٠ — ٤١٩	.	.	.	.	ذكر خبر مرض أبي بكر وفاته
٤٢٣ — ٤٢١	.	.	.	.	ذكر الخبر عمن غسله والكفن الذي كفن فيه ، ومن صلى عليه والوقت الذي صلى عليه فيه ، والوقت الذي توفي فيه
٤٢٤	.	.	.	.	ذكر الخبر عن صفة جسم أبي بكر رحمه الله
٤٢٥ — ٤٢٤	.	.	.	.	ذكر نسب أبي بكر واسمه وما كان يعرف به
٤٢٦ — ٤٢٥	.	.	.	.	ذكر أسماء نسب أبي بكر الصديق رحمه الله
٤٢٧ — ٤٢٦	.	.	.	.	ذكر أسماء قضاياه وعماله على الصدقات
٤٢٧	.	.	.	.	ذكر بعض مناقبه
٤٣١ — ٤٢٨	.	.	.	.	ذكر استخلافه عمر بن الخطاب
٤٣٤ — ٤٣١	.	.	.	.	حال أبي بكر قبل الخلافة وبعدها
٤٤٣ — ٤٣٤	.	.	.	.	ذكر غزوة فيحل وفتح دمشق
٤٤٣	.	.	.	.	ذكر بيتسان
٤٤٤	.	.	.	.	طبرية
٤٤٦ — ٤٤٤	.	.	.	.	ذكر خبر المثنى بن حارثة وأبي عبيدة بن مسعود

صفحة

٤٥٠ — ٤٤٦	.	.	.	.	.	خبر التمارق .
٤٥٤ — ٤٥٠	.	.	.	.	.	انسقاطية بكسركر .
٤٥٩ — ٤٥٤	.	.	.	.	.	وقعة القرقس .
٤٦٠ — ٤٥٩	.	.	.	.	.	خبر أليس الصغرى .
٤٧٢ — ٤٦٠	.	.	.	.	.	البويب .
٤٧٦ — ٤٧٢	.	.	.	.	.	خبر الحنافس * .
٤٧٩ — ٤٧٧	.	.	.	.	.	ذكر الجبر عما هتج أمر القادسية

* * *

السنة الرابعة عشرة

٥٢٩ — ٤٨٠	.	.	.	.	ذكر ابتداء أمر القادسية
٥٤١ — ٥٢٩	.	.	.	.	يوم أرمات .
٥٥٠ — ٥٤١	.	.	.	.	يوم أغواث .
٥٦٣ — ٥٥٠	.	.	.	.	يوم عماس .
٥٧٩ — ٥٦٣	.	.	.	.	ليلة القادسية
٥٩٠ — ٥٧٩	.	.	.	.	ذكر أحوال أهل السواد
٥٩٧ — ٥٩٠	.	.	.	.	ذكر بناء البصرة

* * *

السنة الخامسة عشرة

٥٩٩ — ٥٩٨	.	.	.	.	ذكر الوقعة بمرج الروم
٦٠١ — ٥٩٩	.	.	.	.	ذكر فتح حمص .
٦٠٢ — ٦٠١	.	.	.	.	حديث فتسرين .
٦٠٣ — ٦٠٢	.	.	.	.	خبر ارتحال هرقل إلى القسطنطينية
٦٠٤ — ٦٠٣	.	.	.	.	ذكر فتح قيسارية وحصر غزّة

صفحة

٦٠٧ — ٦٠٥	.	.	.	ذكر فتح بيسان ووقعة أجنادين ^٥
٦١٣ — ٦٠٧	.	.	.	ذكر فتح بيت المقدس
٦١٩ — ٦١٣	.	.	.	ذكر فرض العطاء وعمل الديوان
٦٢٠ — ٦١٩	.	.	.	خبر يوم برس
٦٢٢ — ٦٢٠	.	.	.	يوم بابل
٦٢٣ — ٦٢٢	.	.	.	حديث بهر سير في قول سيف
٦٢٣	.	.	.	ذكر حج عمر بن الخطاب في هذه السنة

• وانظر أيضاً أخبار وقعة أجنادين ص ٤١٥ — ٤١٨ من هذا الجزء (حوادث سنة ١٣)